بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

شجّع مجمع اللغة العربية بدمشق، في إحدى مراحله، نشر التراث الأدّبي الشاميّ، وبخاصّة يوم كان يفزع فيه إلى إثبات الوجود العربيّ الإسلاميّ في وجه البلاء الفرنسيّ، الذي فرض على المنطقة انتدابه المباشر.

وكان الدكتور سامي الدهّان، عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، قد عزم على نشر دواوين شعراء حلب في بلاط سيف الدولة الحمدانيّ وبلاط المرداسيين، لما في عصريهما في القرنين الرابع والخامس الهجريّين من غِنًى بأهل العلم واللغة والأدب والشعر، لاسيّما في عهد سيف الدولة. فالمعروف أن هذا الأمير كان كثير الرعاية لأرباب العلوم والفنون؛ فاجتمع في حاضرة ملكه حلب عدد جمّ ممّن يمتّ إلى الأدب واللغة بوشائج قويّة، كابن نباتة الفارقيّ وابن خالويه والفارابيّ وكشاجم والخالديّين والصنوبريّ والمتنّبي وأبي فراس والوأواء الدمشقيّ والسريّ الرفّاء وأبي الفرج الببّغاء وابن نباتة السعديّ والنامي الدّارميّ والصنوبريّ.

لذلك تعلقت آمال الدكتور الدهّان، رحمه الله، بهؤلاء الأدباء، فجاب الأقطار بحثًا عن مخطوطاتهم وآثارهم، وافتتح مشروعه الكبير بنشر ديوان أبي فراس الحمدانيّ في طبعة علميّة طبقت الآفاق. وكان اتجاهه هذا يوافق هوى سابقًا لدى المعنيّين بدمشق آنذاك؛ فقد كانوا يعملون قبله على نشر تراث شعراء الشام عمومًا. فهذا خليل مردم

بك، رئيس المجمع، ينشر ديوان ابن عنين وديوان ابن حيّوس وديوان الشهاب الشاغوريّ. وبعد وفاته عثر ابنه عدنان مردم بك، الشاعر المسرحيّ المعروف، على عدّة مسودات بخطّ أبيه تتضمّن تحقيق عدّة دواوين وأعمال لشعراء الشام. وهذا الدكتور محمّد أسعد طلس، رحمه الله، ينشر ديوان الأمير أبي الفتح بن أبي حصينة.

أمّا الدكتور الدهّان فخلّف في تركته العلميّة ما يدلّ على أنّه جدّ في إحياء بعض شعراء حلب، ولكنّ المنيّة عاجلته قبل إنجاز ما طمحت إليه نفسه الكبيرة. وقدّمت أرملته الفاضلة إلى مجمع اللغة العربية بدمشق كل ما جمعه زوجها في أسفاره من مخطوطات، لاسيّما مخطوطات شعراء سيف الدولة مثل شعر كشاجم وشرح ديوان المتنّبي لابن الإفليليّ ونثر ابن حجّاج ومصنفًا للسرّي الرفّاء وديوان ابن سنان الخفاجيّ. فاقترحنا على الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب رئيس المجمع بدمشق - وهو المشهود له بحبّ العربية وتراثها وأدبا - أن نقوم بإتمام بعض ما بدأه الدكتور الدهان، وبإنجاز ما عزم على تحقيقه، واخترنا ديوان ابن سنان، فشجّع وأطرى. فعملنا على ذلك، ووجدنا أن الدكتور الدهان، رحمه الله، نسخ مخطوطة الأسكوريال على الآلة الكاتبة تمهيدًا لمقابلتها بمثيلاتها من النسخ ثمّ توقّف فلم يخطّ عليها حرفًا.

ومن هنا بدأنا فجمعنا ما توفّر لنا من نسخ كان بعضها عند الدكتور الدهان، وطلبنا من المكتبة الوطنّية ببرلين تصوير نسخة مخطوطة محفوظة عندهم، ذكرها بروكلمان، فجاءتنا في ورقتين؛ ثمّ عثرنا على نسخة في المكتبة الظاهريّة بدمشق؛ وطبعنا نسخة القاهرة التي كان صوّرها الدكتور الدهان على ميكروفيلم؛ وطالعنا نسخة الديوان المطبوعة ببيروت سنة ١٨٩٨/١٣١٦، ومقطوعات متناثرة في كتب الأدب والتاريخ، وأمضينا عدّة سنوات حتى اطمأنّنا إلى الرواية

التي نقدّمها اليوم مشروحة على طريقة شرح ديوان المتنّبي.

ولعلّ في عملنا هذا إكرامًا لعالِم مجمعيّ مصابر، وإحياء لتراث شاعر خالد، ووفاء لحقّ العربّية لغة الذكر الحكيم. ونفعًا لأبناء العربّية في الارتقاء بأساليب البيان، وبلاغة العبارة، ودقائق اللغة، وأسرار الفصاحة، وحقائق التاريخ.

لم نرم في عملنا هذا إلى مجّرد التحقيق بالاقتصار على الروايات الواردة في المخطوطات المعتمدة، إّنما أردنا أن تكون محاولتنا شرحًا للديوان في شكله ومضمونه، وعرضًا للأوضاع الاجتماعّية، والأحداث التاريخّية، والحركات الفكرّية التي عرفها القرن الخامس الهجريّ في مصر والشام والعراق، وكانت المصدر الأساس، والدعامة الحقيقّية لهذا التراث الأدبي الرفيع، الذي نقدّمه إلى القارئ الكريم آملين أن يجد فيه مبتغاه. وقد حاولنا أن نوسع دائرته بجعله أداة عمل للمتعلّم ومجال بحث للعالم، بما أثرنا فيه من مشاكل واجهتنا في معالجتنا لبعض القضايا، لاسّيما المتعلّق منها بالتاريخ. فللديوان قيمة تاريخية أكيدة إلاّ أنّ الشاعر كثيرًا ما يلجأ إلى التلميح وما شاكله، فيضطرّ القارئ إلى بحث مضنٍ في أّمهات الكتب، وقد يحصل من ذلك على نتيجة ملموسة وقد لا يحصل على شيء. وقد نّبهنا على ما أعضل، في محلّه، ولم نشأ تجّنبه لما له من أهمّية في تاريخ الشام خاصّة.

الدكتور نسيب نشاوي

ديوان ابن سنان والنسخ المعتمدة

قال ابن خلّكان في ترجمته لمخلص الدولة أبي المتوّج مقلّد بن منقذ الكنانيّ: ((ولم يزل مخلص الدولة في رئاسته وجلالته إلى أن تُوُفي في ذي الحجّة سنة خمسين وأربعمائة بحلب وحُمِلَ إلى كفر طاب)).

ورأيت في **ديوان ابن سنان الخفاجيّ** الشاعر عقيب أشعار له في المذكور، يقول ما صورته : ((وقال يرثيه، وقد تُوُفي في ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، والله أعلم بالصواب، رحمه الله تعالى))[1].

وممّا أورد ابن خلّكان، المتوفي سنة ٦٨١، يظهر أن الديوان كان معروفًا في القرن السابع متداولاً، وأن صاحبه جمعه أو جمع معظمه في حياته، على مرحلتين، وأدخل عليه بعض التعديلات.

يستنتج ذلك من مقدّمات بعض المقطوعات كالنونّية رقم ١٣٥؛ إذ نجد في تصديرها: ((وقال على طريق المداعبة ولم يَرَ إيرادها في ديوانه))، كما يستنتج من تعدّد روايات النسخ التي رجعنا إليها وتوّزع المخطوطات في الأرجاء كألمانيا وتركيا وسوريا ومصر وإسبانيا. وقد ذكر عيسى المعلوف في مقال له بمجلّة المجمع العلميّ العربيّ بدمشق (١٩٢١، ٢ / ٢٤١) أنّه يملك نسخة من الديوان الأصليّ.

طبع الديوان ببيْروت سنة ١٨٩٨/١٣١٦ بلا تحقيق ولاضبط وباعتماد نسخة القاهرة، وهي نسخة ناقصة كان عليها معوّل محمود سامي الباروديّ أيضا في ((مختاراته)) التي ضمّنها ثلاثة نماذج في الأدب (١٠ أبيات)، وستة وعشرين في المديح (٥٨٧ بيتًا)، وأربعة في الرثاء

---

(١) وفيات الأعيان، ٣٥٧/٤ الطبعة. الأولى بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٨/١٣٦٧.

(٥٦ بيتًا)، وثلاثة في الصفات (١١ بيتًا)، وتسعة عشر في النسيب (١١٦ بيتًا)، وأنموذجًا واحدًا في الهجاء (بيتان)، وآخر في الزهد (٣ أبيات)؛ فمجموع ما اختار الباروديّ ٧٨٧ بيتًا، كان الحظّ الأوفر فيها للمديح. وكان الشاعر المصريّ يتصرّف من حين إلى آخر في الكلمة أو في العبارة بما يوافق حسّه المرهف وعبقرّيته الفذّة[1]. ولم نر اعتماد «مختارات البارودي» مصدرًا لتحقيق الديوان.

وصف النسخ المعتمدة:

١ - نسخة مدريد: (محفوظة تحت الرقم ٣٧٣)

رمزنا إليها بالحرف (م) واعتمدناها أصلاً، لتمامها قياسًا إلى غيرها، ولحسن ضبطها وصحّة روايتها في نظرنا، كما اعتمدنا الشكل الذي ورد فيها إلاّ في حالات توجب مخالفته.

وهي في تسع ومائة ورقة في كلّ ورقة نحو ٢٦ سطرًا؛ كتبت بخطّ قديم فارسيّ متقن واضح؛ لكنّ الناسخ لم يفصل بين شطري البيت الواحد. وليس على حواشيها أيّ تعليق؛ إنّما هناك استدراكات، تدلّ على أنّ الناسخ عاد إليها فضبط روايتها على نسخة أخرى، واستدرك الخطأ والسقط والتحريف. وقد أثبتنا تسلسل القصائد والمقطوعات كما وردت فيها، إذ إنّ بعض النّسخ الأخرى تختلف عنها في الترتيب.

٢ - نسخة الظاهرية: (محفوظة تحت الرقم ٧٧٤٨)

رمزنا إليها بالحرف (ظ) وتأتي ثانية في أهمّيتها؛ فالخطّ واضح متقن؛ إلاّ أنّ في روايتها بعض الخطأ العائد إلى الناسخ، الذي يبدو أقلّ علمًا بالأدب مقارنة ببراعته في الخط. على أنّ هذه النسخة تنقصها ثماني مقطوعات هي في معظمها ممّا نظم الشاعر في صباه وعدد الأبيات غير المثبتة فيها: ٢٢.

(١) مختارات الباروديّ، أربعة مجلّدات، عني بتصحيحه كاتب المنتخب ياقوت المرسيّ، في سنيه الأخيرة، طبع بمصر سنة ١٣٢٧.

٣ - نسخة القاهرة : رمزنا إليها بالحرف (ق)

وهي محفوظة بدار الكتب المصرية (٥١٠ أدب). قابلناها بنسختي كوبريلي وفاتح فوجدنا أنّها تطابقهما في الرواية. وأول قصيدة فيها الداليّة التي مطلعها:

أرأيـــتَ مـــن داءِ الـــصبابةِ عائـــدا ووجدتَ في شـكوى الغَـرامِ مُـساعِدا

والنسخة جيّدة مكتوبة بخطّ جيّد غير مشكول. وآخرها يطابق نسختي كوبريلي وفاتح، لكنّ نصّها الأخير: ((تمّ شعر أبي محمّد عبد الله بن سنان الخفاجيّ والحمد لله، ٩ ربيع الأوّل/ ٨٨))؛ وهو تاريخ ناقص.

وكان بروكلمان نصّ على وجود هذه النسخة في القاهرة ((ثان برقم ٣ / ١٢٨)). ويلاحظ في بعض حواشيها أنّ الناسخ أعاد قراءة مخطوطته وضبطها على نسخة أخرى، وأشار إلى ذلك كلّما استوجب الأمر. وغير المثبت في هذه النسخة ستّ مقطوعات مجموع أبياتا ٢٤.

٤ - نسخة فاتح : رمزنا إليها بالحرف (ف) ورقمها ٢٨٢٢.

وُسِمتْ صفحتها الأولى بخاتم السلطان: ((السلطان بن السلطان بن السلطان أبو الفتوح والمعالي محمود خان بن السلطان مصطفى خان))، وعبارات تدل على أنّه وقفها على المكتبة.

كتبت بخطّ نسخيّ جميل واضح دقيق متقن مشكول وفيها ٨٣ ورقة. ولم يشر الناسخ إلى تاريخ النسخ أو مكانه أو مصدره. وينقص هذه النسخة ٢١ بيتًا موزّعة على خمس مقطوعات.

٥ - نسخة كوبريلي: رمزنا إليها بالحرف (ك) ورقمها ١٢٤٤٠.

وهي موسومة بخاتم الوزير كوبريلي وفيه ((هذا ممّا وقفه الوزير أبو العبّاس أحمد بن الوزير أبي عبد الله محمّد، عرف بكوبريلي، أقال الله عثارهما)). كتبت هذه النسخة العثمانيّة المصدر والبالغ عدد أوراقها ٨٣

بخطّ يماثل مخطوطة فاتح، حتّى لكأنّهما نسخة واحدة من حيث عدد الأوراق والرواية والشكل ونوع الخطّ؛ ولا يفرق بينهما إلاّ قليل من الخلاف في ضبط الحروف.

وبآخرها: ((قد فرغ من كتابته فقير عفو الله وكرمه الشيخ أحمد الزّيني غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، في سابع عشر شهر شعبان المبارك لسنة ثلاث وعشرين وألف من الهجرة النبوية)).

٦ - النسخة المطبوعة: رمزنا إليها بـ (مط).

وقد طبعت عام ١٣١٦ / ١٨٩٨ ببيروت؛ وفيها تصحيف كثير جلّه مطبعيّ. وروايتها توافق النسخ (ف.ك.ق.) في كثير من الأحيان؛ وينقصها ٤٥ بيتًا تتقاسمها تسع مقطوعات. وقد أشار ناشرها إلى أنّها قوبلت بنسخة المكتبة الخديويّة. لكن هذه النسخة، رغم كونها مطبوعة، غير معروفة لفقدانها من المكتبات الخاصّة وأكثر المكتبات العامّة. وقد عثرنا على نسخة منها في مكتبة مجمع اللغة العربيّة بدمشق.

ونلفت نظر القارئ إلى أنّ النسخ التي رمزنا إليها بـ (ف. ق. ك. مط.) متّفقة في عدد الأبيات وفي الرواية، إلاّ ما يقع عادة من تحريف النسّاخ وتصحيفهم، وأنّ المخطوطتين (م) و (ظ) متّفقتان في أغلب الأحيان، ولذلك كنّا نعمد إليهما لاستجلاء الرواية الصحيحة أو التي نتوسّمها صحيحة.

الدكتور نسيب نشاوي

ابن سنان الخفاجي : حياته وشعره[1]

هو الأمير أبو محمد (وفي أنساب السمعانيّ أبو سعيد) عبد الله بن محمد بن سعيد بن يحي بن الحسين بن محمد بن الربيع بن سنان بن الربيع، الخفاجيّ، الحلبيّ[2]، الشاعر، صاحب «سرّ الفصاحة».

وبنو خفاجة[3] بطن من عقيل بن كعب، من هوازن، ينتمون إلى خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن

---

(١) ترجمته في اللباب ٤٥٤/١، والكامل في التاريخ ٤٦٣/١٠، والأنساب للسمعانيّ (ما. الخفاجي)، وفوات الوفيات ٤٨٩/١، ومعجم البلدان (ما.حلب)، ومراصد الاطّلاع (ما. ياقد)، ومعالم العلماء لابن شهرشوب ص٦٩، والنجوم الزاهرة ٩٦/٥، ودمية القصر للباخرزيّ ١٦٩/١، وذيل تاريخ دمشق، ص ٩١: حوادث سنة ٤٥٣ هج، وأعلام النبلاء لمحمد راغب الطباخ ٣٣٩/١، وزبدة الحلب لابن العديم ٣٦/٢-٤٠ والأفضلّيات لابن الصيرفيّ ص٤١، وكشف الظنون ٧٨٨/١، ومقدمة سرّ الفصاحة لعبد المتعال الصعيديّ، ومختارات البارودي ٨٢/١، وبروكلمان ٤٦/٥، ودائرة المعارف للبستانيّ ٤١٨/٧، والذريعة إلى تصانيف الشيعة لآغا بزرك الطهرانيّ ١٦٩/١٢، وشاعر وكتاب لعبد المنعم خفاجي (لم نطّلع عليه)، والأعلام للزركليّ ٢٦٦/٤، وأعيان الشيعة لمحسن العامليّ الأجزاء ٣٧ - ٣٩، ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢/ ٥، ١٢/ ٣٠ - ٣٦، ومجلة الأزهر ١٣ / ٤١١.

(٢) أوردنا نسبه اعتمادًا على ما ورد في مطلع النسخ الخطّية للديوان، وفيها اختلافات طفيفة: سقط اسم جده الأول (محّمد) من النسخ ط.ف.ق.ك. وسقط اسم جده الأعلى (الربيع) والد (سنان) من النسختَين ظ. م أما في غير ذلك من المصادر فيرِد نسبه مقطّعا.

(٣) انظر المراجع المتعلقة بخفاجة في معجم قبائل العرب: ٣٥٢/١ (ما.خفاجة بن عمرو)، ودائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الثانية ٩٤٣/٤-٩٤٥ (ما.خفاجة).

معاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. هكذا سلسل القدماء نسبهم.[١]

وكانوا، فيما يقول المؤرخون، أحد عشر فرعًا: معاوية ذو القروح، وكعب ذو النويرة، والأقرع، وكعب الأصغر، وعامر، ومالك، والهيثم، والوازع، وعمرو، وحَزْن، وخالد[٢] غير أنّ هذه الفروع لم تلبث أن اضمحلّت عبر القرون. قال ابن الأثير (ت٦٣٠هـ): «وخفاجة في هذه الأعصار (يريد عصرَه) لا تعرف غير قبيلتين: حزنيّ وكعبيّ»[٣].

وقيل إنّ اسم خفاجة معاوية، ولكنه اشتهر باللقب. ذكر ذلك ابن الكلبيّ في «جمهرة الأنساب». وتابعه ابن الأثير في «اللباب»[٤]. ويرى السمعانيّ في «الأنساب» أن خفاجة اسم امرأة، وهو وَهْمٌ منه فيما يرى غيره[٥]. ولا نعرف شيئا عن حياتم ومنازلهم في الجاهلية لفقدان المصادر. أمّا في العهد الإسلاميّ فكانوا يقطنون جنوب شرقيّ المدينة. وكانت لهم بعض القرى.منها سَرْوُ لُبن، والشرائن، وَتَثْليث (قرب مكّة) وثعلب وأرال.

ثمّ نزحوا إلى اليمامة حيث اصطدموا ببني حنيفة. وفي القرن الثاني نجدهم بضواحي الرصافة التي ابتناها هشام بن عبد الملك[٦]، وفي آخر القرن الرابع بالكوفة. والظاهر أنّ الحروب القرمطّية اضطرتم إلى النـزوح نحو الشمال والاستيطان بالكوفة، أو بالشام في الرحبة وحلب وحمص، أو بالجزيرة. ومنهم من انتقل إلى دِلْتا مصر كما ذكر ذلك القلقشنديّ[٧].

---

(١) نهاية الأرب للنويريّ ٣٣٤/٢ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق، ٣٤٠/٢-٣٤١.

(٣) اللباب لابن الأثير ٣٦٣/١ (ما. الحزنيّ).

(٤) ٤٥٥/١ (ما. الخفاجيّ).

(٥) الأنساب ١٥٥/٥ (ما. الخفاجيّ).

(٦) معجم البلدان ٤٧/٣ (ما. رصافة الشام).

(٧) نهاية الأرب ص٢٠٧ (ط.بغداد).

وكان أميرهم آنذاك ثمال ثم ابنه عُلْيان. قال ابن الأثير في حوادث سنة ٣٧٣هـ: ((في هذه السنة قُلد أبو طريف عليان بن ثمال الخفاجيّ حماية الكوفة. وهي أول إمارة بني ثمال))[١]. وقال في حوادث سنة ٣٩١هـ: ((وفيها سار إلى الكوفة قِرْواش بن حسام الدولـة المقلّد بن المسّيب العُقَيْلي، فأوقع ببني خفاجة وقعة عظيمة فساروا بعدها إلى الشام))[٢].

وابن سنان حَزْنِيّ من حَزْن بن خفاجة. وقد تكون عشيرته نزحت إلى حلب وأعمالها في أواخر القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس. قال هاجيًا مفاخرًا [وافر]:

تُحاذِرُ أنْ أسُـبكَ يـا (ابـن سَـلْمى)
كـأن أبـاكَ في حَسَـبٍ كـريم
وَبالشهْباءِ مـن (حَـزْن بْـن عَمْـرو)
بُيـوتٌ مـا رُفِعْـنَ علـى لَئيـم
إذا مـا شـئتُ هـبّ إليّ منهـا
مُذَرَّبـةُ الأسـنّة كالنجـوم[٣]

وبحلب وُلد أو على الأقل بها نشأ. يدلّ على ذلك نسبه إليها (الخفاجيّ الحلبيّ)، وما رواه ابن العديم في كتاب ((الإنصاف والتحريّ)) في حديثه عن ذكاء أبي العلاء المعريّ وعن قوّة حدسه. قال :

((... وحَكَى أنّ أبا محمد الخفاجيّ الحلبيّ، لمّا دخل على أبي

---

(١) الكامل ٣٩/٩.

(٢) المصدر نفسه، ١٦٤/٩

(٣) ق ١١٧، وهي من شعره في صباه. هو حزن بن خفاجة بن عمرو. المؤرخون مجمعون على ذلك (الكامل: ٣٩٤/١١؛واللباب: ٣٦٣/١؛ ونهاية الأرب للنّويريّ : ٢ / ٣٤١). وقد يكون الشاعر نسب نفسه إلى جده على عادة العرب في التوسّع ولضرورة الشعر.

العلاء بن سليمان بالمعرة، سلّم عليه، ولم يكن يعرفه أبو العلاء، فردّ السلام وقال : هذا رجلٌ طُوالٌ. ثمّ سأله عن صناعته، فقال: أقرأ القرآن. فقال : اقرأ عليّ شيئًا منه. فقرأ عليه عَشْرًا. فقال له : أنت أبو محمد الخفاجيّ الحلبيّ؟ فقال : نعم. فسُئل عن ذلك فقال : أما طوله فعرفته بالسلام. وأمّا كونه أبا محمد فعرفته بصحّة قراءته وأدائه بنغمة أهل حلب، فإنني سمعت بحديثه»[1].

ومن الطبيعي أن الإنسان لا يتأثر بلهجة قوم تأثرًا بيّنًا إلا إن طال تَمَرسه با وشبّ عليها. وفي قول أبي العلاء - إن صحّت الرواية - «أنت أبو محمد الخفاجيّ الحلبيّ؟» توكيد لذلك لأن النسبة لا تكتسب إلا بالمولد والنشأة وطول المدّة والجوار. وقد ذكر ابن الأثير أنّه «كان يسكن حلب» ولم يزد على ذلك[2].

ولد حوالي ٤٢٢ هـ لأب خفاجيّ وأمّ تميمية. ولم ينصّ المتقدمون على تاريخ ولادته، ولا على أحوال أسرته ونشأته ومعيشته الأولى. إنما يستفاد بعض ذلك من شعره. ففي ديوانه قصيدة كتبها سنة ٤٤٠هـ إلى الشريف أبي علي محمد بن محمد الهاشميّ يقول فيها [طويل]:

سبقتُ ومـا بُلّغْـتُ عـشرًا كـواملاً
فكيـف وقـد جاوزتـا بثمـان؟[3]

فهذا يعني أنه أنشد الأبيات وعمره ثمانية عشر عامًا. ويؤيّد ما ذهبنا إليه أن ياقوتًا الحمويّ أشار إلى هذه السنة ذاتا سنة ٤٤٠هـ، ذاكرًا عُمُرَ ابن سنان في أثناء حديثه عن حلب. قال: «وفيها حَدَثٌ يعرف بأبي محمد ابن سنان الخفاجيّ، قد ناهز العشرين وعلا في الشعر طبقة المحنكين».

---

(١) عن «تعريف القدماء بأبي العلاء» ص ٥٦٣.
(٢) اللباب ص ٥٥٤.
(٣) ق ٣٥، ب ٢٢.

فمن قوله [بسيط]:

إذا هَجَــوتُكمُ لم أخــشَ صَــولَتكمْ
وإن مدحتُ فكيــف الــريّ باللهَــبِ
فحــين لم ألــقَ لاخوفًــا ولا طمعــًا
رغبتُ في الهَجوِ إشفاقًا مــن الكَــذبِ[1]

وورد في المخطوطات والمطبوعة في تقديم القطعة ٥٢: ((وقال في صباه سنة تسع وثلاثين وله ست عشرة سنة، وهي من أول شعره...)) وهذا يعني أنه ولد حوالي ٤٢٣هـ.

ويؤّيد أنه ولد في هذه السنة أو في سنة ٤٢٢هـ أو قبلها بقليل قوله من قصيدة يمدح بها محمود بن نصر بن صالح المرداسيّ سنة ٤٤٣هـ [متقارب]:

بِعِــشرينَ أنفقْتُهــا في الــصدودِ
وجُــدْتُ بهــا في زمــانِ النــوى[2]

ولا يمكن أن يؤخذ العددان ((عشرين)) في هذا البيت و((ثمان)) في النونّية المذكورة من قبل، بالمعنى الدقيق لتحكّم الوزن والقافية في الشاعر، ممّا يضطره إلى التقريب.

لذلك نقدّر أنّه ولد حوالي ٤٢٢ هـ أو ٤٢٣هـ بمدينة حلب، أو بالقرب منها، للحجج التي قدمناها وإن لم تكن قاطعة.

ولا نعرف شيئًا عن أبيه ولا عن أجداده الأدْنَينَ، لأنه اشتهر بجده السادس سنان وبنسبته إلى خفاجة، ولأن المصادر القديمة، بَلْهَ الحديثةَ، لم تُعْنَ بذلك. فلم نجد لتحقيق نسبه خيرًا من مطالع مخطوطات ديوانه. فهي تذكر نسبه إلى الجد السابع. أما بعده فاعتمدنا في تحقيقه كتب الأنساب وقبائل العرب. وهي تفتقر إلى الدّقة العلميّة كما يبين ذلك البحث الحديث.

---

(١) معجم البلدان، ٢ / ٢٨٤.
(٢) ق ١٢٠ ب ٣٩.

ولم يذكر الشاعر من سلفه، في ديوانه أو فيما وصلنا منه، إلاّ (سنأنا) وهو السادس من أجداده و(الربيع) وهو الخامس أو السابع منهم، لأن كليهما يحمل هذا الاسم، ولأن العرب كثيرًا ما تعطي الحفيد اسم الجدّ، وهو نوع من تخليد الذكرى ومن التمجيد والعرفان. قال [بسيط]:

سقَى (الربيـعَ) ربيـعٌ جـاد وَابِلُـ ـهُ
بكلّ أَسْـحَمَ ضـافي الـذّيل هطّـالِ
وخص رمـسَ (سـنانٍ) مـن مواهبِـهِ
ببـاردٍ كـسُلافِ الخمـرِ سلـسالِ[1]

أما أمّه فتميمّية فيما يظهر من شعره [وافر]:

وَحَـي مـن (خفاجـةَ) رحـتُ فيـه
علـى جـرداءَ حاليــةِ الأديــم
أفي قَـضِلي يُنـازِعُني غَـوِي؟
وأيـنَ الوجـهُ يبْـذَل للـسهـومِ؟
ضَـلالكَ مـا نُـسِبْتَ إلى (سـنانٍ)
ولا ضـرَبَتْ خُؤولُـكَ في (تَمـيمِ)[2]

ولم يَرد في شعره على ما نعلم إلا اسم واحد من خُؤولته التميمّية وهو (مبارك). ولا ندري من هو. والظاهر أنه كان معروفًا مشهورًا على عهد ابن سنان. ولولا شهرته لما افتخر به [كامل]:

مهـلاً فإنّـك مـا تَعُـد (مباركًـا)
خـالاً، ولا تـدعو (سـنأنا) والـدا[3]

---

(١) ق ٦٦ ب ب ٨ - ٩.
(٢) ق ١٨ ب ب ٢٠، ٢٤، ٢٥.
(٣) ق ٦ ب ٢٦.

وانتسابه انتسابًا مباشرًا إلى جده السادس (سنان)، ودعاؤه إياه والدًا، يوحي بأن آباءه الأدنين لم يكن لهم من المكانة السياسية والتاريخية ما يدعوه إلى الفخر بهم والانتماء إليهم. بل لا نعرف شيئا عنهم ولا عن أبيه محمد ولا عن إخوته إن كان له إخوة.

وماتت أمّه سنة ٤٤٦هـ. وكانت سنّه حوالي أربع وعشرين سنة. فبكاها بكاءً مرا ورثاها بـ ((كبد مُحرقةٍ وقلب مُوجَع)). وفي القصيدة ما يُشْعِر بأنا توفيت بعيدة عنه وبأنا لم تكن تعيش معه [كامل]:

ورجَــوتُ قربَــكِ و الــديارُ بعيــدةٌ
فــاليومَ أخفَــقَ في اللّقــاءِ المَطمَــعُ(١)

وبما أننا لم نجد في شعره ولا في شعر غيره ممن له صلة وثيقة به، وهو ((الشيخ)) و((الأمير))، رثاءً لوالده فهذا يعني أنه تُوُفّي، وتركه صغيرًا فكفله أحد أقاربه حتى بلغ أشُده، أو توفي بعده . نرجّح ذلك ترجيحًا ولا نؤكّده، لأن شعره لم يبلغنا كاملاً، ولفقدان المصادر أو لقلّة تقَص منّا.

وفي ديوانه ما لا يدع مجالاً للشكّ في أنه فقد الكثير من أسرته وهو صبيّ. قال [وافر]:

وهل علمتْ (بنو حــزن بــن عمــرو)
إبــايَ علــى مُــشاوَرةِ الخُطــ ــوبِ
وأنّ الدهرَ أبقــ ــى مــ ــن قِراعــ ــي
كما أبقــى الــضرابُ مــن العَــروبِ
وأنزلَ أُسرتــ ــي بمقَــ ــر بــ ــ ــؤسٍ
تــوارى عنــه لاغبــ ــةُ الجَنــ ــوبِ

---

(١) ق ١٦ ب ١٤.

أجـابوا فيـ ـه داعيـ ـةَ المنايـ ـ ـا
لقد صـعُب النـداءُ علـى المُجيـبِ[1]

ولم يرد فيما رجعنا إليه من المظانّ شيء مفصّل عن عقبه. إنّما ذكر ابن العديم أنّ محمود بن نصر المرداسيّ لمّا أَوْعَزَ بمقتله، وعلم أنّ ابن النحّاس ناوله سما، «منع الشريف النقيب أبا المعالي الفضل بن موسى **وسنأنا ابن الشاعر**، وجماعة من أهله من مغادرة حلب»[2].

لكن كنيته بأبي محمد تقضي، من حيث المبدأ لا غير، بأن يكون له ولد يدعى محمدًا، وبأن يكون أكبر إخوته.

لم يذكر صراحة من أبناء عمومته إلا القاضي أبا الحسن علي بن عبد المنعم بن سنان ولم يكن على وفاق دائم معه؛ فكتب إليه يردّ عَتْبَهُ ويدعوه إلى وصل ما انقطع بينهما[3].

ولعله المقصود بأبيات ثلاثة وردت في لاميّة طويلة نظمها على طريقة «استغفر واستغفري» [بسيط]:

وقد أَجَد ابـنُ عمّـ ـي في مُخـالَفتي
رأْيا، فـصادف عنـدي غـيرَ إجفـالِ
كُن كيف شـئت جفـاءً أو مواصـلة
فقد خُلِقْـتُ بـلا عَـم ولا خـ ـالِ
وخـل عنـكَ جِدالـ ـي أو مُعـاتبتي
فإن ذلك فَـضْلُ القِيـل والقـ ـالِ[4]

---

(١) ق ٢٤ ب ب ٣ - ٦.
(٢) زبدة الحلب، ٢ / ٣٩.
(٣) ق ٧٥.
(٤) ق ٦٦ ب ب ١٥-١٧.

يبقى مطلع حياته غامضا لأن كتب التراجم لم تتمّ بحياة الشعراء في العهود العباسيّة المتأخرة، على نحو ما فعلت في شعراء العصرين الأمويّ والعباسيّ الأول. إنما نعثر على قصائد ومقطوعات كتبها في شؤونه الخّاصة لكنها لا تفصح عن دقائق نشأته. وكل ما يظهر من شعره أنّه توفّر له من الميراث ما كفاه مكابدة حرفة أو عمل. يقول [بسيط]:

وللقناعةِ عنـ ـدي مِنّـ ـةٌ شَكـ ـرتْ
والـ ـشكرُ أحـ ـسنُ إعظـ ـامٍ وإجـ ـلالِ

قرنْتُهـ ـا بثـ ـَراءٍ غيـ ـرِ مُكتـ ـسَـ ـبٍ
وعِفّـ ـةٍ بـ ـينَ إكثـ ـارٍ وإقـ ـلالِ

ميراثُ قومٍ كفـ ـاني بعـ ـدَ عَهدِهِـ ـ ـمُ
فتـ ـوى الظنـ ـونِ بـ ـإحرامٍ وإحـ ـلالِ

سقى (الربيعَ) ربيـ ـعٌ جـ ـادَ وابلُـ ـه
بكل أسـ ـحَمَ ضـ ـافِي الـ ـذيلِ هَطّـ ـالِ

وخَص رمسَ (سـ ـنانٍ) مـ ـن مواهِبِـ ـه
بـ ـاردٍ كـ ـسُلافِ الخمـ ـرِ سَلـ ـسالِ

فقد أعانـ ـا علـ ـى زُهـ ـدٍ ومَيـ ـسَـ ـرةٍ
وأغنَيَـ ـانيَ عـ ـن شـ ـد وتَرحـ ـ ـالِ

أرحتُ جسمي فلم تَنـ ـصَبْ جوارِحُـ ـه
وقد أضـ ـرّ بـ ـا في الحِـ ـرصِ أمثـ ـالي(١)

والظاهر أنه، على حّبه لقومه وحّبهم له ودفاعه عن مصالحهم وفخرهم بشاعريته، لم تكن صلته بم خالية من بعض الشوائب، لاختلاف في المشارب، وفي نمط العيش والسلوك، وفي المستوى الثقافيّ،

---

(١) ق ٦٦ ب ب ٦ - ١٢.

إذ غلبت عليه حضارة عصره وطابعها الثقافي، وأتيح له أن يحتكّ بكبار العلماء والكتاب والشعراء، وغلبت عليهم البداوة بما تفرضُ على أصحابا من كدّ وشظف عيش وحلّ وترحال، ومن مغامرات نقلت إلينا بعضها كتب التاريخ.

وفي شعر صباه ما يدلّ على أنهم أخذوا عليه بعض ما يصدر عن الأحداث من مجون وخلاعة وتشبيب لا يلزم حدود الأعراف العربية [طويل]:

تجاهلْـتُ حتّـى أنكـرَتني (خفاجـةٌ)
وقالـت بمـا ضَـلَّ الأغَـرُّ المـشيعُ
وأصـبحتُ أرجـو أن تكـونَ إنـابتي
ولـيس لمـن تَطـوي المنّيـةُ مَرجـعُ
بَني (عامرٍ) تُلقَـونَ بي جَمـرة العِـدى
وأنصرُكُم، واليـومَ بـالنقعِ أسْـفَعُ(١)

ويقول [بسيط]:

بلغ (خفاجةَ) عنّـي إن مـررتَ بـها
ونادِهـا لا أجابَـت دعـوةَ الـداعي!
يا خيّبَ الله مـن يرجـو نوالكُـمُ
كـم تمنعـونيَ آمـالي وأطماعـي!
وتلبسـونَ الهُوَيْنـا وابـنُ عمّكـم
في سـاحَةِ الـذلّ مقـذوفا بجَعجـاعِ!

---

(١) ق ٣٧ ب ب ١٢-١٣.
بنو عامر بطن من خفاجة بن عمرو (ناية الأرب للنويريّ ٢ / ٣٤٠).

وما عليهم إذا ما قلـتُ مـن طـ ـربٍ

«يا ديمة الغيثِ حيـي ديمـةَ القـاعِ»؟

نعم أُحِبّ (سُـلَيمى) فـاهجروا عَـذَلي

فالقلبُ قلـبيَ والأوجـاعُ أوجـاعي[1]

وما ورث الشاعر من آبائه جعله ميسور الحال، فانصرف في سن مبكرة إلى طلب العلم بعد حفظه للقرآن، وعكف على المطالعة والتأليف فجنى من ذلك سعة في التفكير، ومعرفة بأسرار اللغة، وعلمًا بفنون الشعر والأدب والتاريخ، وغير ذلك مما نجد أثره في شعره ونثره.

نظم الشعر وأجاد نظمه ولمّا تتجاوز سنه العشرين. يقول ياقوت في حديثه عن حلب: «وقرأت في رسالة كتبها ابن ُبطلان[2] المتطّبب إلى هلال بن محسّن بن إبراهيم الصابي في نحو ٤٤٠ في دولة بني مرداس: «...وفيها من الشعراء جماعة؛ منهم شاعر ُيعرف بأبي الفتح بن أبي حُصَْينة... وفيها حدث يعرف بأبي محمد بن سنان قد ناهز العشرين، وعلا في الشعر طبقة المحنكين، فمن قوله [بسيط]:

إذا هجـ ـوتكُمُ لم أخـ ـشَ صـ ـولَتكُمْ

وإن مدحتُ فكيف الـريّ باللّهَـ ـبِ

---

(١) ق ١٧ ب ب ٢، ١١،٣، ١٢.

(٢) المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان.طبيب ماهر ومتكلّم وشاعر؛ نصراني الديانة. كان يدرّس الطبّ والفلسفة ببغداد. ثمّ غادرها في شهر رمضان من سنة ٤٤٠ قاصدًا القاهرة؛ ووصل إليها في جمادى الثانية من سنة ٤٤١. ومرّ في طريقه إليها بالرحبة والرصافة وحلب وأنطاكية واللاذقّية. وبحلب نزل ضيفًا على معزّ الدولة ثمال بن صالح فأكرم مثواه. وبها لقي ابن سنان وغيره من شعراء الشام (ت٤٥٨هـ).)راجع مصادر ترجمته في دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الثانية ٣/٧٦٣-٧٦٤).

فحـين لم ألـق لا خوفـا ولا طمعـا
رغبت في الهجْوِ،إشفاقا من الكـذب»[1]

وذكر الباخرزيّ في «دمية القصر»[2] أن الوزير أبا العلاء محمد بن عليّ بن حسّول[3] أنشده بالرّيّ، في دار الكتب سنة ٤٤٣هـ أبياتًا لابن سنان منها [طويل]:

ألا ناشـداً قلبـا مُعَنـى أضعتُـه
بشرقي نجدٍ لهفَ نفسي علـى نَجـدِ!؟
إذا مـا لثَمْنـا تُربَـهُ قـال صـاحبي
أتشْتاقُ ذكرى الحيّ أمْ أَرَجَ النـد؟»[4]

وهذا يعني أن شعر ابن سنان بدأ يسري في الآفاق فوصل إلى الريّ ببلاد فارس وصاحبه في نحو العشرين من عمره، وأن الشاعر نشأ على حبّ الأدب وتمرّس بنماذجه الرفيعة في بيئة صالحة؛ ولا أصلحَ لذلك من حلب عاصمة الحمدانيين، وموئل الشعراء والأدباء والعلماء، على اختلافهم في الاهتمام، وتعددهم في الاختصاص في القرنين الرابع والخامس.

وقصد أبا العلاء المعري بمعرة النعمان كغيره من شباب عصره، فتتلمذ له وأفاد منه الكثير. ذكر ذلك في ثنايا كتابه «سر الفصاحة» كما ذكره ابن العديم في كتابه «الإنصاف والتحرّي». قال متحدثًا عن المعريّ: «فممّن قرأ عليه من أهل بلده ومن الشاميين وروى عنه... أبو

---

(١) معجم البلدان ٢ / ٢٨٣ - ٢٨٤. والقط. ٣٤ في الديوان.
(٢) ١ / ١٦٩.
(٣) محمد بن علي بن حسّول (ت٤٥٠هـ(. انظر ترجمته في الأعلام.
(٤) لا يوجد هذا الشعر في الديوان، مّما يدل على أنّه وصل إلينا ناقصًا.

الفضل هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبي جرادة القاضي، والشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد ابن سنان الخفاجيّ، وأبو القاسم عليّ بن أحمد المقري، الحلبيّون»[1].

تتلمذ له في الأربعينيات من القرن الخامس، لأن ابن سنان ولد سنة ٤٢٢ أو ٤٢٣هـ، وأبا العلاء توفي سنة ٤٤٩، ولأنه كما رأينا في نصّ سابق، وجدَه عندما دخل عليه لأول مرّة يافعًا طُوالاً يحفظ القرآن حفظًا جيدًا، ويؤديه أحسن أداء، ولأنه كان «يسمع بحديثه» . ولا يتصور أن يكون ذلك في سن جِد مبكّرة، كما لا يتصوّر أن يشتهر بموهبته الشعرية ونبوغه المبكّر وأن يذيعَ صيتُه إلى أن يبلغ فارس قبل سن العشرين (٤٤٢ هـ) أو ما يناهزها.

اختلف إلى فيلسوف المعرّة وأخذ عنه إلى سنة ٤٤٩ كما أخذ عن غيره، وتأثر به فيما نظم من الزهديّات. واكتسب ثقافة واسعة رسم معالمها في كتابه «سرّ الفصاحة» الذي فرغ من تأليفه سنة ٤٥٤هـ ويدعى أيضًا «سرّ الصناعة»[2].

يبين هذا الكتاب بمضمونه وبمصادره أنّ صاحبه عالم بالنحو واللغة والفنون الأدبية وعلم الكلام والأصول والفقه والعروض والقراءات،

---

(١) عن تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥١٨.

(٢) ذكر عيسى إسكندر المعلوف أنّ منه نسخة مخطوطة في ٢٦٨ صفحة بقطع الربع كتبت في القرن السادس الهجري، بديعة الضبط مخرومة الأول والآخر محفوظة بالخزانة البارودية الكبرى ببيروت (مجلة المجمع العلميّ، ٥ / ١٨٧). وقد نشره عبد المنعم خفاجي وعلي فودة نشرة علمية. مصر ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م؛ وعبد المتعال الصعيدي. مصر ١٩٥٢.

متشبع بثقافة عصره. يأخذ شواهده من قدماء اللغويين، والنحاة أمثال أبي عبيدة وثعلب وسيبويه والخليل والمبرّد والأخفش وابن دريد والسيرافي وابن السرّاج وابن جنّي، ويروي أقوال المتكلمين كالجبّائي وأبي هاشم والجاحظ والشريف المرتضى والقاضي عبد الجبّار، ونماذج من نثر أبي إسحاق الصابي وأبي الفرج الببّغاء وابن العميد، وغيرهم كُثُر.

وابن سنان، في كتابه هذا، متأثر بالجاحظ، يترسّم خطاه في طريقة العرض والاحتجاج، مَدين لقدامة بن جعفر بأخذ الكثير من كتابه نقد الشعر، وللآمديّ والرّمانيّ والقاضي الجرجانيّ.

كتاب ((سر الفصاحة)) فضلاً عن أهمّية محتواه البلاغي والنقدي يبين أن مؤلفه قضى الأربعينيات، وجزءًا من الخمسينيات، في تحصيل العلم وفي التأليف، ولم يهتم إلا قليلا بغيرهما.

وألف كذلك كتاب ((الصرْفة)). ذكره ياقوت الحمويّ في ترجمته لأبي العلاء المعرّيّ وبيّن غرضه. قال: ((قرأت **بخطّ** عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجيّ الشاعر في كتاب له ألّفه في الصرفة، زعم فيه أن القرآن لم يخرق العادة بالفصاحة حتّى صار معجزة للنبيّ ﷺ، وأنّ كلّ فصيح بليغ قادر على الإتيان بمثله، إلاّ أنهم صُرفوا عن ذلك، لا أن يكون القرآن في نفسه معجز الفصاحة؛ وهو مذهب لجماعة من المتكلمين والرافضة منهم بشر المَريسِيّ والمرتضى أبو القاسم(١). قال في تضاعيفه: وقد حمل جماعة من الأدباء قول أصحاب هذا الرأي على أنه لا يُمَكنُ أحد من المعارضة بعد زمان التحدّي، على أن ينظموا على أسلوب

(١) الكلام لياقوت، لأن ابن سنان شيعيّ لا يسمّي الشيعة رافضة.

القرآن، وأظهر ذلك قوم وأخفاه آخرون))[1].

ومن مؤلفاته أيضا كتاب ((العادل في الإمامة)).ذكره ابن شهراشوب[2] في ((معالم العلماء)) ورسالة في ((الحكم بين النثر والنظم)) و((عبارة المتكلمين في أصول الدين)) و((حكم منثورة)) و ((العروض)) وكتاب ((في رؤية الهلال)).[3] وأكثر هذه الكتب مفقود ما عدا ((سرّ الفصاحة)) الذي اشتهر في الشرق والغرب.

ولهذا كلّه عُرف ابن سنان في العصور التالية عالمًا لغويا لا شاعرًا مجّيدًا. ولرّبما كان ذلك لطغيان شهرة ((سرّ الفصاحة)) على صفة الشاعر، إذ نادرًا ما ذكر المصنفون المتقدمون شواهد من أوابده، وقليلاً ما ترجموا له. وهو لغز لم نجد له تفسيرًا. ألأن ديوانه عزيز المنال أم لأن معاني شعره تطلّب إنعام النظر والمعاناة، فلا تُسلِم عِنانا لقارئها إلاّ بعد إحجامٍ وتمّنع، أم لأن كثرة الشعراء البارزين من مشارقة ومغاربة في القرن الخامس استأثروا باهتمام الأدباء والناشرين؟ فقد سبقه في هذا القرن الشريف الرضيّ وأخوه المرتضى وأبو الحسن التهاميّ ومهيار الديلميّ وعاصره المعرّيّ وابن حيّوس وابن زيدون وكلّهم من فطاحل الشعراء.

هذا مع أننا لا نَعْدَمُ شذرات من شعره متفرقة في كتب الأدب والتاريخ والتراجم والبلدان كدُمية القصر، وأفضليّات ابن الصيرفيّ،

---

(١) إرشاد الأريب ١٣٩/٣-١٤٠.

(٢) أبو جعفر رشيد الدين محمد بن عليّ بن شهراشوب من كبار علماء الإماميّة. أصله من سارية مازندران. انتقل إلى حلب. وبا توفي سنة ٥٨٨ ودفن بجبل جوشن بالقرب من المشهد الحسيني.خصّص الفصل الثالث من ((معالم العلماء)) لشعراء الشيعة.نشره عباس إقبال بطهران ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.

(٣) انظر شرح الكافية البديعّية. تحقيق نسيب النشاوي ص ٣٧٥.

والوافي بالوفيات للصلاح الصفَديّ، ومعجم البلدان، ومراصد الاطّلاع، والنجوم الزاهرة، وتحرير التحبير... على أن ما جاء فيها لا يعدو أن يكون - كما قلنا - شذرات لا تُبل غليلاً ولا تشفي عليلاً؛ مع أنّ كثيرًا من العلماء كانوا شديدي الإعجاب به. منهم السمعانيّ الذي يقول متحدثا عن بني خفاجة: ((والمشهور بالانتساب إليهم الشاعر المفلق أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجيّ، كان يسكن حلب وشعره ممّا يدخل الأُذُنَ بغير إذْن))(١). وقد يكون في هذا متأثرًا شيئًا ما بالخفاجيين، لأنه عرف الكثير منهم وصحبهم طويلاً كما صرّح بذلك في ((الأنساب))(٢).

كانت أول إشارة إلى شعر ابن سنان مع صدور ديوانه ببيروت سنة ١٣١٦هـ. ثم مع مختارات البارودي(٣) الشاعر الكبير الذي قال عن ديوان ابن سنان ((إنه كلّه درر)) وانتقى منه سبعة وخمسين نموذجًا جمعت سبعمائة وخمسة وثمانين بيتًا. واختار له بطرس البستاني كذلك عدة قصائد جعلها في ((دائرة المعارف العربية))(٤). أما محسن الأمين العاملي مصنف ((أعيان

(١) الأنساب ٥ / ١٥٥.

(٢) ٥ / ١٥٥.

(٣) ((مختارات البارودي)) بتصحيح ياقوت المرسيّ، ٤ مجلدات مط.الجريدة، مصر ١٣٢٧هـ جمعت نماذجه الأدب والمديح والرثاء والنسيب والصفات والهجاء والزهد. إلا أنّ الباروديّ لم يُراع في بعض الأبيات ترتيبها الأصليّ، فهو يقدم ويؤخر ويكرّر بعض ما اختاره في بابي الأدب والمديح وفي أبواب أخرى؛ وقد يبدل الفاء بالواو والواو بالفاء أو بلام القسم إذا اقتضى السياق ذلك. وقد يزيدهما أو يحذفهما في أول المنتخب.

(٤) هي أول دائرة علمية في ١٢ مجلدًا. حرر منها الستة الأولى وشرع في السابع فوافته المنيّة، فأتمّ ابنه سليم السّابع والثامن، ثم حرر الأجزاء التالية نجيب وأمين البستاني بمساعدة

الشيعة»[1] فأُعْجِبَ بشعره وأطراه وخصّه بثلاثة أجزاء من كتابه، أثبت فيها مطوّلات من غُرر قصائده. ولعلهم جميعهم نقلوا نماذجهم عن الديوان الذي نشر بلا تحقيق ببْيروت. وكان الفضل الأكبر لعبد المنعم خفاجي، الذي عرّف بالشاعر وقبيلته تعريفًا مسهبًا في كتابيه «شاعر وكتاب» و«الخفاجيون».

لم يكن ابن سنان مع اهتمامه بالدرس والتأليف بمعزل عن أحداث عصره؛ بل اهتم بها ودونها في شعره وكان فيها طرَفًا وعانى بعضها. ولم يأل جهدًا في التقرب إلى أهل الحلّ والعقد ممّن حكم الشام وبخاصة حلب.

عرف من القوّاد الفاطميين الأمير نصير الدين مَكين الدولة، وأمينَها ذا الكفايتين أبا علي الحسن بن علي بن ملهم، ووطّد الصلة به ومدحه وعدّد مناقبه وخلّد مآثره وأخذ هِباته.

وكانت الأسرة الملهميّة العُقَيْليّة وجيهة في العهدين الإخشيديّ والكافوريّ. دبّر فيهما ملهم بن دينار العقيليّ شؤون حَوران والبَثَنِية. وولّى الحاكم العبيديّ ابنه أبا الجيش حميد بن ملهم دمشق، خلفًا لعلي بن جعفر بن فلاح.

أما حفيده الحسن بن علي بن ملهم فقام بأدوار جسام في شمال الشام أواسط القرن الخامس الهجريّ، وخاصة في الحروب التي دارت بين الفاطميين والروم.

وَلِيَ حلب للمستنصر بعد معزّ الدولة ثمال بن صالح المرداسيّ. ذلك أن معزّ الدولة صاحب حلب اضطرب عليه قومه بنو كلاب، «وامتدّت أعيُنهم إلى ما في يده... وأكثروا في العنت له. فكاتب المستنصر في

سليمان البستاني. طبعت على فترات بدءًا من ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦ م.

(١) طبع مرات. وظهر منه ٤٣ جزءًا.

تسليم حلب إليه على أن يعوّضه عنها أماكن تبعد عن مواطن الكلابيين. فعوّضه عنها بْيروت وعكّا وجُبْيل. وأنفذ نوّابه فتسلموا منه حلب والقلعة في ذي الحجّة من سنة٤٤٨))[1]. ومنهم الحسن بن علي بن ملهم وكان مقيمًا بِرَقّنِيةَ، وعين الدولة أبو الحسن عليّ بن عقيل، وقاضي صور أبو محمد عبد الله بن عياض.

وقُلّدَ ابن ملهم الحرب والخراج وولاية حلب. فأقام بالمدينة وساس أمورها بحكمة وحزم فرخصت الأسعار بها وبنى الأبراج لتحصين سورها. إلاّ أنّ موت البساسيري في ذي الحجة من سنة٤٥١ أضعف موقف الفاطميين بالشام، وخاصة في ناحية الفرات، وجعل بني كلاب يخافون هجوم طغرل بك على الغرب الشرقيّ من ديار مُضَر، فامتدّت أبصارهم إلى حلب فأجلوا عنها الجيوش العُبْيدِيّة، ومكين الدولة سنة ٤٥٢هـ. وكان ذلك آخر عهد الفاطميين بحلب.

وفي سنة ٤٥٤هـ أنفذه الخليفة واليًا على طبريّة وعكّا وكلّفه بعقد الصلح بين القبائل المتناحرة على ضفاف نهر الأردنّ، على ما يَرِدُ مُفصلاً في شرح الديوان.

وكان قبل ذلك كلّه أرسله اليَازُورِيّ إلى طرابلس الغرب ليطفئ نار الحرب بين بطنْين كبيرين من بطون بني هلال : بين زغبة وبين سُلْيم؛ فنجح في مهمّته كلّ النجاح. وكان من نتيجة ذلك أن تابع الهلاليون سيرهم إلى القيروان ((لتأديب صاحب إفريقيا)) كما يقول مؤرخو الدولة الفاطميّة.

عرف ابن ملهم بسداد الرأي، وحصافة الذهن، وحسن التدبير في

---

(١) زبدة الحلب ١ / ٢٧٤، وانظر ابن خلدون ٤ / ٦٢.

السلم والحرب. ساس الرعية فأحسن سياستها، وقاد الجيوش، فكسب معارك كثيرة في المناطق المتاخمة للرّوم، لا سيما في اللاذقية والعواصم، وعُرِفَ بمهارته في إصلاح ذات البين بين القبائل التي تربط بينها وشائج القربى. قَدَرَه ولاة الأمر بمصر حق قَدْرِه، ولقّبوه بنصْير الملك ومكين الدولة، وغْيرهما من الألقاب الدالة على علوّ كعبه.

ولا غْرَوَ في أن يحاول ابن سنان أن يصل إليه ويمدحه ويخطب ودّه ويوطّد علاقته به. والظاهر أنه عرفه في ولايته لحلب، فمدحه بأربع قصائد طويلة يربو مجموع أبياتها على المائتين.

أنشد أولاها[1] بحضرته في ثغر حلب في شوال سنة ٤٥٠هـ. وفيها يشير إلى مسعاه في الصلح بين زغبة وسليم، من بني هلال في طرابلس الغرب، وحثّهما على المسير إلى محاربة المعزّ بن باديس الصنهاجيّ [طويل]:

ومؤلّـــفُ الأهـــواءِ بعـــد شَـــتاتها
طوْعًا فمـا بَـيْنَ القلـوب شـقاق[2]

وفيها يهجو المعزّ بن باديس تأكيدًا لمدح ابن ملهم، ويعدّ تخريب صْبَرة بجانب القيروان من مفاخره:

ظنّ ابـن بـاديس يعـادك جُنـةً
فأبـتْ نواجِـلُ كالقِسِيّ دِقاقُ

ألهـاه عـن نظـر العواقـب ساهِـرٌ
غَـرِدٌ وكـأس بالعُقـار دِهـاقُ

فأقـام ينتجـع الظنـونَ سفاهـةً

---

(١) هي القصيدة رقم ٢ في الديوان.

(٢) ب ١٦. انظر التعليق عليه في الشرح.

ومـن الظنـون خديعـةٌ ونفـاقُ

حتّى إذا طالعتَ ثغْرَةَ كيدِه

وهفا عليه لواؤكَ الخفّاق

وَنزَتْ جيادك للطراد كأنّها

سِرْبُ القطا ورماحك الأرواقُ

وَلّى يذمّ له قوائم سابحٍ

جمحتْ به الخُيَلاءُ وَهْيَ إباقُ

ورمى (بصَبْرة) في مخالب ضَيْغَمٍ

طَيّان تُفْتَحُ باسمه الأغلاق[1]

إلى أن يقول واصفًا جياده وأسِنّتُه:

(بالقَيْروان) لها غمامة عِثْيَرٍ

وَطْفَاءُ وَابِلُها الدمُ المُهَراقُ[2]

فهذه النماذج من القصيدة وثيقة تاريخّية مهمّة إلاّ أنّها تطرح مشكلة حقيقية. فالشاعر ينسب إلى الممدوح بطريقة مباشرة تخريب صبرة وقهر جيوش المعزّ بالقيروان. يدلّ على ذلك الإضافة (بِعاذُكَ، لواؤك، جيادك)، والإسناد (طالعتَ)، والسياق (في مخالب ضيغم). ولم نجد فيما رجعنا إليه من كتب التاريخ والتراجم مَنْ ذَكَرَ أنّ ابن ملهم شارك بالفعل في هذه المعارك . فإمّا أن تكون هذه الإضافات مجازّية تبين أن الممدوح قام بدور ما في الحرب، فنسب إليه ما هو من لازمها كما يقول البلاغيون، وهو المسلك الذي سلكه ابن حّيوس في مدحه

(١) ب ب ٢٧- ٣٣.

(٢) ب ٣٦.

لليازوريّ، إذ نسب إليه الانتصار على المعزّ بن باديس وجعل المعركة معركته، ولم يزد اليازوريّ على أن دّبر من مصر بعض أمورها[١]، وإمّا أن يكون ابن ملهم شارك بالفعل في بعض المعارك التي دارت بين الهلاليين وبين جيوش المعزّ بنواحي طرابلس من أرض ليبيا، وكان من نتائجها معركة القيروان فنسب إليه تخريب صْبرة وقهر المعزّ. وهو كذلك مجازٌ كثيرًا ما يلجأ إليه الشعراء لا سيما في المدح.

وقد يكون شارك قليلاً أوكثيرًا في معارك القيروان والمنصوريّة (صْبرة)، ولم يذكر المؤرخون ذلك أو ذكروه و لم نتد إليه. و تكون هذه القصيدة وثيقة تاريخية ذات أهمّية كبرى. وقد يحصل أن يدوّن الشعر حادثة يهملها التاريخ . ومهما يكن فإنّ المشكلة تبقى مطروحة على المؤرخْين.

وفي القصيدة ما يشير إلى أحداث جرت بين الجيوش العربية بقيادة ابن ملهم وبين الروم فيما ْبين سنتي ٤٤٧ و٤٥٠. فصّلها المقريزيّ في كتابه «اتعاظ الحُنفاء بأخبار الأئمّة الفاطميين الخلفاء»، مع شيء من الاضطراب في التواريخ وفي الأسماء[٢]. وأوجزها ابن ميسّر في «المنتقى من أخبار مصر»[٣]، وذكر بعضها ياقوت في معجم البلدان[٤]. وأثبتنا في الديوان ما يناسب الأحداث التاريخّية. يقول ابن سنان:

وعلى (خلـيج الـروم) بَـْرقُ صـفائحٍ

---

(١) ديوان ابن حيّوس ص ٦١٨-٦٢٥ و الحاشية رقم ٣ من ص ٦١٨؛ وابن خلدون، ٣٠/٦.

(٢) ٢ / ٢٢٦-٢٣١، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد ط القاهرة ١٩٧١.

(٣) ص ١٣- ١٥، تحقيق أحمد فؤاد السّيد، القاهرة ١٩٨١.

(٤) ٤ / ٣٤٨ (مادة قسطون).

تَفْري ذيـولَ النقـع وَهْـيَ صِـفاق

فَتنـازعَ الكفّـارُ فـضلـةَ كأسِهـ ـا

من بعد ما ثَملَـت بـه الفُـسـاقُ[1]

صَـبّحْتَهُم (باللاّذقيــة) فالْتقــ ـى

بَحران: مـاءٌ راكـ ـد، وعِتـ ـاق[2]

غادرَتهـا دِمَنًـا علــى أطلالـهـ ـا

يبكـى الخلـيطُ وتُـذْكَرُ الأشـواق[3]

قيمة هذا النص التاريخّية أّنه يصحّح ما ورد في ((اتعاظ الحنفاء)) أو على الأقل يرفع لبسًا. فظاهر نص المقريزيّ يُشعر بأنّ الذي حارب الروم باللاّذقية هو مكين الدولة الحسن بن عليّ بن ملهم **الكتاميّ**، والذي أصلح بين بطني بني هلال بطرابلس الغرب هو الحسن بن عليّ ابن ملهم **العقيليّ**. وابن سنان يؤكّد بذه القصيدة البالغة الأهمية ما أورده ابن ميسّر وياقوت من أن ابن ملهم العقيلي هو الذي أوفِدَ إلى ليبيا، وهو الذي حارب الروم باللاّذقية وأجلاهم عن حصن قسطون.

ومدحه بقصيدة كتب با إليه من القسطنطينية بعد مَسِيره عن حلب سنة ٤٥٣. وليس لها من الأهمّية التاريخّية إلاّ ما عّبر عنه من كرهه للمهمّة التي وَكَلَهَا إليه محمود بن نصر المرداسيّ [سريع]:

وا أسـفي مِـن غربـةٍ طوّحَـتْ

(١) ب ب ٣٧ - ٣٨.

(٢) ب ٤٠

(٣) ب ٤٣.

فيهـ ــا إلى الـ ــروم الأعاريـ ــبُ

قــد قــادني الــدهر إليهــا ومَــنْ

يُجـ ـاذبِ الأقـ ـدارَ مغلـ ـ ـوبُ[1]

ومن أنّ ابن ملهم رعاه ببِرّه و مكّنه من توطيد العلاقة به فبقي وفيا له شاكرا لِنِعَمِه:

رَعَيْــتُ إحــسانَكَ عنــدي وقــد

خــان مــع البُعْــدِ الأصــاحيبُ[2]

وفي الديوان مقطوعة كتب بها الشاعر إلى ابن ملهم يوم كان بحلب، شافعًا بها بعض مطالبه. يقول فيها (كامل):

أكثــرتُ حاجــاتي إليــكَ مُــثقّلا

ورجــاء مثلــك والحــديثُ شُــجونُ

إن كنــتَ واهَبهــا فجــودُكَ عــامرٌ

أو شــافعًا فيهــا فأنــت مكــيْن[3]

وصدر البيت الأول يبيّن أنّ هذا المطلب سبقته مطالب قضاها الأمير للشاعر.

وفيه قصيدتان طويلتان مدحه بالأولى، وهي رائيّة، عندما قُلد طَبرية وعكّا، وأُمرعلى بني سليم وبني فزارة القيسّيين وعقد بينهما الحلف؛ وبالثانية، وهي فائيّة، بعدما عقد الحلف بينهما وبين الكلبيين. أنفذ إليه الرائية في ربيع الأول سنة ٤٥٤هـ، والفائيّة في ذي الحجّة سنة ٤٥٥هـ.

---

(١) ق ٣، ب ب ١٤- ١٥.

(٢) ب ٤٤.

(٣) ق ١٢ ب ب١٢- ١٣.

وليس في الأولى إشارة إلى الحلف؛ إنّما ذكر فيها قَزارة والمنطقة التي قُلّدَها الممدوح. وكرّر إشادته بانتصاراته على الروم في العواصم واللاّذقية. وأهمّ ما يلفت النظر في هذه الرائية من الناحية التاريخية ما أصاب الشام من عَنَتِ البيزنطيّين بعد رحيل ابن ملهم عن حلب [خفيف]:

طـرقَ الـشامَ مِـنْ فراقِـكَ خطْـبٌ
لا يُـرى بعــدَه مَــعَ العُــسرِ يُــسرا

عَلِـم الـرومُ أن سـيفَكَ حامِــ ــ
ــ ــ ـهِ فقد حاولوا لِبُعـدك أمــرا

وأجـاب المحـاربون إلى الـسلـ ــ ــ
ــ ـم فرارًا مـن الطعـان وكفـرا

وإذا ما خلا العَـرينُ مـن الليـ ــ ــ
ــ ـثِ أغارَ الـسرْحَانُ فيـه وكـرا[1]

الأبيات غمز للمرداسيّين وفيها بعض التجنّي عليهم[2].

---

(١) ب ب ٣٣- ٣٦ القط.١٠.

(٢) الظاهر أن الشاعر يشير إلى حوادث جرت ما بين سنتي ٤٤٨ والربع الأول من ٤٥٤. ذكر ياقوت أن ابن ملهم حاصر حصن قسطون في الرّوج بالقرب من أفامية سنة ٤٤٨، ففتحه وخرّب أسواره وغنم منه (معجم البلدان ٣٤٨/٤: مادة قسطون).

وساءت العلاقة بين الروم والمسلمين في الشام بعدما غادر ابن ملهم حلب.هجم الروم على حصن قسطون فاحتلّوه وأعادوا بناء سوره وجدّدوا بناء حصن عين التمر.

وفي جمادى الأولى من سنة ٤٥٤ احتل معزّ الدولة المرداسيّ حصن أرتاح شرق بحيرة أنطاكّية وأجلى الروم عنها.فطلبوا الصلح فاشتطّ عليهم فيه=

والفائية التي مدح بها الشاعر الأمير المُلْهِمي العقيليّ، عندما عقد الحلف بْين القيسيين من فَزارة وسُلَيم، وبين الكلْبِّيين، وهم يمنّيون، وثيقة تاريخية جديرة بالعناية؛ تؤكّد ما روى المؤرّخون كابن القلانسيّ[(١)] وابن عساكر[(٢)] عن واقع بعض القبائل العربّية في الأردنّ في منتصف القرن الخامس [طويل]:

جمعتَ على المعروفِ شمـلَ (فـزارةٍ)
وثقّفـتَ بالإحـسان خـيلَهمُ الجْنفـا
وقد أسندتْ (كلـبٌ) إليـك أمورَهـا
فما فقدت نـصرًا ولا عَـدِمَتْ عُرْفـا
مواهبُ في (قيس)و(قحطـان)لم تـدع
لها حافرًا يطـوي الـبلاد ولا خفّـا[(٣)]

وفي القصيدة ما يشير إلى أنّ ابن ملهم حارب بعض بطون طيئ لحملهم على الطاعة، وخاصة بني بُحْتُرٍ بن عُتود.

وقد بَـدَرَت في (بُحْتُـرٍ) لـك عُـصبةٌ

=فقبلوا بشروطه وإن لم ينفذوها فيما بعد. وعاد معزّ الدولة إلى حلب في جمادى الثانية سنة ٤٥٤.وعلم فيما بعد أن بعض أحداث حلب تآمروا مع الروم لتمكينهم من معرّة مَصْرين ولنصرتم.فصلب أربعة منهم.وفي السنة نفسها عاجلته المنية (ابن العديم١/٢٧٩-٢٨٨).

وبما أن ابن سنان أنفذ قصيدته إلى ابن ملهم قبل تصدّي ثمال بن نصر للروم فهو يشير لا محالة إلى حوادث ما قبل جمادى الأولى من سنة ٤٥٤.

(١) ذيل تاريخ دمشق ص ٩١.
(٢) تاريخ دمشق ٢/٢٦٤.
(٣) ب ب، ٣١ و ٣٤ و ٣٧ من القط.١١.

منحتهمُ فيهـا القـساوة والعُنفـ ـ ـا

فدانوا لأطراف الأسنة عَنْـ ـوَة وكـانوا

لَقاحًـا مـا رَضُـوا خُطـة خَـسْفا[1]

وفيها أيضا إشارة إلى الفترة التي نَعِمَ فيها الحلبيون بولاية ابن ملهم. وفيها غَمْز للمرداسيين:

ومـا (حلـبُ) الوَرْهـاءُ إلا خريـدةٌ

عَطَفتَ عليها ثـم طَلقْتَهـا ألْفـ ـا

وإنْ كفـرتْ آيـاتِ جُـودِك ضَلـ ـةً

فما طلبـتْ إلا الـصواءِـقَ والخَـسْفا

وقد عرسـت فيهـا الخطـوبُ مُقيمـةً

فلا عدِمتْ من بعدك الجوْر والعـسْفا![2]

وصفوة القول أنّ ابن سنان كان وثيق الصلة بابن ملهم. مدحه بقصائد لها أهمية تاريخية كبرى.

وعرف من الأمراء الحمدانيين على وجه الخصوص أبا علي ناصر الدولة الحسين بن الحسن، من حفدة ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان، ومدحه.

وكان الحمدانيون بعد سقوط دولتهم بالموصل وبحلب نزحوا إلى مصر، وتولّوا المناصب العليا للخلفاء الفاطميين، وقادوا لهم الجيوش. منهم ذو القرَنين[3] بن حمدان بن الحسن بن عبد الله بن حمدان. ولي دمشق ثلاث

---

(١) ب ب : ٣٩ - ٤٠.

(٢) ب ب: ٤٢و٤٤-٤٥.

(٣) يسميه مؤرخو الشام وجيه الدولة أبا المطاع.

مرات: مرة للحاكم بأمر الله سنة ٤٠١[١] ومرتين للظاهر سنتي ٤١٢ و٤١٣.

كما ولي الإسكندريّة سنة ٤١٤. و منهم والد الممدوح ناصر الدولة وسيفها ذو الدين أبو محمد الحسن بن الحسْين. ولاه المستنصِرُ دمشق بعد مغادرة الدزْيريّ لها سنة ٤٣٣. وسّيره منها سنة ٤٣٩ لقتال معزّ الدولة ثمال بن صالح المرداسيّ. فانهزم أمام المرداسيين وقبض عليه و نُقِل إلى مصر سنة ٤٤٠. ومنهم أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن عبد الله بن حمدان، جدّ الممدوح وأخو ذي القرنْين أبي المطاع. انتصر عليه أبو عليّ بن مروان الكرديّ سنة ٣٨٠، وانتزع منه الموصل وما يليها، وبعث به إلى مصر بشفاعة العزيز بالله الفاطميّ. وفي سنة ٣٨٦ أو (٣٨٧) عصى أهلُ صُور وبنو الجرّاح بقيادة مفرّج بن دغفل الطائيّ، يُعينُهُم في ذلك جيش من الروم. فسار إليهم أبو عبد الله الحسين بن الحسن وقاتلهم برا وبحرًا، فهزمهم وملك البلاد وتقلّد ولاية صور[٢].

ولم يكن الممدوح أقل حُظْوَة من آبائه وبني عمومته عند الخلفاء الفاطميين. بل كان المتغلّب على مصر في أخريات الخمسينّيات، وأوائل الستينّيات من القرن الخامس. ولي دمشق والإسكندريّة للمستنصر وحارب باسمه المرداسيين فهزموه، والعبيد الثائرين بالصعيد فأخمد فتنتهم بعد حروب طويلة كما أخمد أبوه قبله سنة ٤٤٣ ببحيرة الإسكندريّة فتنة

(١) قال ابن القلانسيّ: ((و صل الأمير وجيه الدولة أبو المطاع بن حمدان المعروف بذي القرنين إلى دمشق واليًا عليها في يوم الجمعة عيد النحر من سنة ٤٠١...)) (ذيل تاريخ دمشق ص٦٩-٧١). ويروي ابن خلكان نقلا عن المسبحيّ أنه وصل إلى مصر في أيام الظاهر بن الحاكم.و الظاهر أن هذا خطأ.

(٢) ابن الأثير :١٢٠/٩ (حوادث ٣٨٦)؛ ابن القلانسي :ص٥٠-٥١ (حوادث ٣٨٧).

بني قُرةَ الهلاليّين[1].

وكانت المصالح متبادلة بين الحمدانيين الشيعيين الباحثين عن الجاه والسلطة، بعد زوال ملكهم بالموصل وحلب، وبين الخلفاء الفاطميين الرامين إلى تدعيم مملكتهم وتوسيعها بمن توسّموا فيه المقدرة والنفاذ من أمراء القبائل العربية.

ولم يكن ناصر الدولة أبو عليّ مخلصًا للدولة الفاطميّة. ناوَءَ المستنصر وَمالأ عليه الأتراك وألّب عليه الأعداء [2]. وكاتب سنة ٤٦٢ ألْب أرْسلان السلْجوقي في إمداده بالمال والرجال، لإزالة خلافة الفاطميين والدعاء على منابر مصر للخليفة العبّاسيّ القائم، كما دُعِيَ له على منابر الشام ومكّة واليمن[3]. وكانت فكرة التخلص من الخلافة الفاطمّية تراوِدُه منذ الخمسينيات. ولعلها خطرت ببال أبيه.

في هذا الإطار وهذا السياق التاريخيّ نظم ابن سنان سنة ٤٥٩ رائّيتين مدح بما ناصر الدولة أبا عليّ ويجمع بينهما حادث مشترك وهو الغرض السياسيّ الذي ينظمهما في سلك واحد؛ حادث بسيط في مظهره لكّنه قويّ الدلالة بعيد المرمى.

يتمثل هذا الحادث في إطلاق سراح حُمّيد بن محمود بن المفرّغ وحازم بن

---

(١) ديوان ابن سنان التعليقة على البيت السادس من القصيدة رقم ١.

(٢) يقول ابن القلانسيّ متحدثًا عن المستنصر : ((وفي أيّامه ثارث الفتن من بني حمدان، وأكابر القوّاد، ووجوه العسكريّة، والأجناد، وغلت الأسعار، وقلّت الأقوات، واضطربت الأحوال، واختلّت الأعمال، وحُصِرَ في قصره، وطُمِع في خلعه...)) (ذيل تاريخ دمشق ص٨٤).

(٣) راجع اتعاظ الحنفاء للمقريزي ٣٠٢/٢ .

علي بن المفرّغ، من بني الجرّاح سنة ٤٥٩ بسعي من ناصر الدولة بن حمدان. وكانا محبوسْين في خزانة البنود بمصر، منذ نّيف وعشرين سنة [(١)].

عمل على إطلاق سراحهما لإفساد أمر َبدْر الجماليّ بالشام، وإثارة أهل دمشق عليه، وإعانة ابن أبي الجَنّ[(٢)] أبي طاهر حيدرة بن إبراهيم نقيب العلويين بدمشق في ثورته على أمير الجيوش بدر الجمالي وعلى الخلافة الفاطمّية. وكان ناصر الدولة من ألدّ خصوم بدر الجمالي وأعظم منافسيه، يجدّ في التخلص منه مستعينًا في ذلك بالقبائل العربية.

وكان بدر وَتَرَ الحمدانيين، ومعظم القبائل العربية، أثخن في بني سِنْبِسٍ[(٣)] وفي غيرهم من الطائّيين وشّتتهم في البلاد، كما قتل بعض أمراء قيس وحارب الكلبيين.

في هذه الظروف نظم ابن سنان رائيّتيه اللتين يمدح بهما ناصر الدولة. يشكره في الأولى، وعدد أبياتا اثنان وستون، ((على جميل فعله معه عند أهله، ويذكر وقعة جرت له بناحية الصعيد مع العبيد، استظهروا عليه فيها وكبسوا عسكره ليلاً لخيانة من كان معه من العرب))[(٤)]. وفي ثنايا هذه الأغراض المعلنة في المقدمة يلمّح كعادته إلى إطلاق سراح ابني الجرّاح من سجن المستنصر، وإلى الهدف الذي كان يرمي إليه ابن حمدان من وراء ذلك، والذي لم يشر إليه من المؤرخين-

---

(١) مقدمة القصيدة رقم ٩ من ديوان ابن سنان.

كانت ((خزانة البنود)) ملاصقة للقصر الكبير. فلمّا احترقت جعلت سجنًا. ((واستمرّت سجنًا للأمراء والوزراء والأعيان إلى أن زالت الدولة، فاّتخذها ملوك بني أيوب أيضا سجنًا تعتقل فيه الأمراء والمماليك)) (خطط المقريزي :١٥٦/٢) .

(٢) آل أبي الجن من نسل إسماعيل بن جعفر الصادق.

(٣) انظر نسبهم في معجم قبائل العرب لكحالة ص ٥٥٧-٥٥٨

(٤) مقدمة القصيدة الأولى من الديوان.

فيما نعلم - إلاّ سبط بن الجوزيّ[1] وتبعه في ذلك ابن تَغْرِيبَرْدي[2]. وهنا تكمن القيمة التاريخية لهذه القصيدة.

يقول في آخر مدحه للحمدانيين [بسيط]:

كنتم (بصِفين) أنصار (الوَصِي) وقد
دعا سواكم فما لبّوا ولا نَصَروا
فَهْي الخلافةُ ما زالت منابرُها
إلى سُيوفِكمُ في الروعِ تَفتقِرُ
هل تشكرُ العَرَبُ النعْمَى التي طرقت
أم ليس ينفع فيها كل ما شكروا؟
قوم أعدتَ إلى الدنيا نفوسَهم
فكلّ عارفةٍ من بعدها هَدَرُ

(١) مرآة الزمان. راجع النص كاملاً في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسيّ ص ٩٤ (التعليقة١)، وص ٩٦-٩٧ (التعليقة ١).

(٢) قال في النجوم الزاهرة (١٣/٥): ((واتفق ابن حمدان مع الشريف أبي طاهر حيدرة بن الحسن الحسينيّ، وكان قد نفاه بدر الجماليّ من دمشق، وكان محبا للناس وتلقّبه العامة بأمير المؤمنين. وكان لمّا نفاه بدر الجماليّ من دمشق دخل إلى مصر شاكيًا إلى ابن حمدان من بدر الجماليّ - فاتفق ابن حمدان والشريف وحازم وحميد ابنا جرّاح، وهما من أمراء عرب الشام، وكان لهما في حبس المستنصر نيف وعشرون سنة، فأخرجهما ابن حمدان. واتفقوا على الفتك ببدر الجماليّ، فأعطاهم ابن حمدان. أربعين ألف دينار ينفقونا في هذا الوجه. وتحدث ابن حمدان بأن يرتب الشريف إذا عاد مكان المستنصر في الخلافة لنسبه الصحيح. وانقسم عسكر مصر قسمين: قسمًا مع ابن حمدان، وقسمًا عليه. وزادت مطالبة ابن حمدان بالأموال حتى استوعبها وأخرج جميع ما في القصر من ثياب وأثاث وباعها بالثمن البخس. وحالف الأتراك سرا على المستنصر. وعلم المستنصر بما فعله مضاقًا لما سمع عنه من أمر الشريف...)).

ِتلكَ الصنيعةُ إن خـصّـت بـني (أُددٍ)

فليس تُنكر مـا في طّيهـا (مـضـر)[1]

هذه الأبيات المعمّاة تكاد تكون لغزًا، لولا السياق التاريخي الذي نظمت فيه، وبعض الألفاظ التي هي معالم لها. وتحليلها يفضي إلى القول بأن الشاعر يشير إلى إطلاق سراح الجرّاحِيْين الطائيين حميد بن محمود وحازم بن عليّ، ويَعُده ((نُعْمى)) طرقت القبائل العربية، وصنيعة لا تنكر (مضر) ما في **طيّها** وإن خصّت بني (أُددٍ)[2]: طيئًا والأشعريين ومذحجًا ومرّة، وعملاً يؤدي إلى قيام الخلافة العلويّة الصادقة النسب، الشرعّية، التي مازالت تفتقر إلى سيوف (الأراقم): بطون تغلب السّتة التي ناصرت عليا في وقعة صفين[3].

ويستشفّ من القصيدة أن ابن حمدان كان في أوج عزّه وسلطانه في نظر القبائل العربية أو على الأقل في نظر بعضهم، وأن ابن سنان كان ينتظر له مستقبلاً زاهرًا؛ لذلك نجده في الثلث الأخير منها يشكوه حاله ويخطب ودّه، بل يطلب منه أن يولّيه بعض المناصب. يلمّح إلى ذلك تلميحًا:

وإن ضـــربتَ بـــه في وَجـــهِ نائبـــةٍ

ففـــي يمينِـــكَ منـــه الـــصّارِمُ الـــذكَرُ

---

(١) ق ١،ب ب :٣٢- ٣٦.

(٢) أُدَدُ بن زيد ينتمي إلى كهلان و أبناؤه أربعة : طيئ والأشعر ومذحج ومرّة.

(٣) الأراقم بطون من تغلب بن وائل، من العدنانّية. وهم ستة : جُشَمُ ومالك وعمرو وثعلبة ومعاوية والحارث؛ بنو بكر بن حبيب بن غْنم بن وائل.

انظر مناصرة الأراقم لعليّ بزعامة كردوس بن هانئ البكري في ((وقعة صفين)) لنصر ابن مزاحم ص ٤٨٤-٥٥٩.

مَحاسِـنٌ هـي عنـدَ الـسامعين بـا
دعـوَى ومثلُـك يتلوهـا وَيعْتَبِـر
فمـا أخـاف مِطـال الحَـظ يحـرِمُني
نـداكَ إن طـالَ في أيامِـكَ العُمُـرُ
ولا يَفوتُ غِنًـى أنـت الكفيـلُ بـه
وإنّمـا غفَـلاتُ الدهـرِ تُبْتَـدَرُ

أما الرائيّة الثانية وهي التاسعة في الديوان فنظمها في السنة نفسها (٤٥٩) في شهر ذي القعدة، يمدحه فيها، ويذكر صراحة «إطلاقه حميد بن محمود بن الجرّاح وحازم بن علي بن جرّاح من الاعتقال بمصر» [طويل]:

أعَدتُم على طَـي(حميـدًا) و(حازمًـا)
فـأمرَعَ واديهـا وفـاضَ غَـديرُها
وقد طَمِعَـت في (حاتـمٍ) فلعلَّـه
يِـسَعْدِكُمُ يـشتاقها فيزورُهـا

وليس لها من الأهمية التاريخية إلاّ التصريح بذا الحادث والنظم فيه والاهتمام البالغ به، لأن الشاعر خصّه بقصيدتين طويلتين في أقل من ثلاثة أشهر.

ومدحه بقصيدة ثالثة بائية غير مؤرخة[1]. وفيها بيتان - الثاني والثاني عشر - يُشعران بأنه نظمها حوالي سنة ٤٦٤؛ وكان آنذاك على قلعة عزاز يليها لمحمود بن نصر بن صالح؛ وبأنه لم يكن مرتاحًا إلى الأمير المرداسيّ، ولعلّه كان يخشى أن يبطش به. لذلك يلتفت إلى الأمير الحمدانيّ طالبًا منه ولاية، منتهجًا نهج المتنبيّ في الطريقة وفي التعبير [طويل]:

---

(١) القصيدة رقم ١٣١.

ووالله مـا صِـدْقُ الثّنـ ـاءِ بـضائـعٍ
لـديكَ ولا حُـسنُ الرجـاءِ بخائِـبِ
وفـيكم روى النـاسُ المـديحَ ومـنكمُ
تعلـمَ فيـه القَـوُم بَـذلَ الرغائِـ ـبِ
أعِنّي على نَيْـل الكواكِـبِ في العُـلا
فأنت الذي صَـيّرتَها مـن مَطـالبي[1]

وعرف من أمراء بني منقذ عليّ بن مقلّد سديد الملك[2]. وكان لبني منقذ دور هام في شؤون الشام من منتصف القرن الخامس إلى أواخر القرن السادس، لِمَا عُرفوا به من حنكة في السياسة وتمرّس بالحرب وميل إلى الأدب والأدباء. بل كان منهم شعراء مجيدون أبرزهم أسامة بن مرشد المعروف في كتب الأدب بأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤). سمّاهم السمعاني «بيت الإمارة والفروسية»[3]. وقال عنهم ابن الأثير الجزريّ إنهم «كانوا معدن العلم والشعر والفتوة»[4].

وهم بطن من بني بَحْدل بن أُنيف، من بني حارثة بن جَناب، من كلب ابن وَبَرة، من تغلب بن حلوان، من القحطانيّة [5]. وكان معظم فروع كلب في القرنين الرابع والخامس ينتجعون في الأراضي الشاسعة المحيطة بدمشق[6].

---

(١) الأبيات ٤٣-٤٥.
(٢) ترجمته في وفيات الأعيان : ٨٦/٣ (رقم ٤٥٦). والنجوم الزاهرة ١٢٤/٥.
(٣) الأنساب ٧/ ٤٦٩.
(٤) اللّباب في تذيب الأنساب ٢٢٥/٢.
(٥) معجم قبائل العرب لكحالة ٣/ ١١٤٧ ومرجعه ابن خلدون والقلقشنديّ.
(٦) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسيّ، ط. بريل، ص ١٠٦، ١١٣، ١١٤، ١١٦، ١٣٠، ١٦٥، ١٧٤، ١٧٧، ٣٤٤، ٣٧٨؛ وتذيب تاريخ ابن عساكر لعبد القادر بدران ٤٠٠/٢- ٤٠٤، دمشق ١٣٢٩.

عُرِفَ آلُ منقذ على الأخصّ منذ سنة ٣٤٩ حين أُسِر منهم مع أبي فراس الحمدانيّ عليّ بن منقذ بن نصر الكنانيّ في وقعة جرت بين الحمدانيين والروم[١].

وفي سنة ٤١٥ -٤١٦ تغلّب صالح بن مرداس على حلب فأقطع مقلّد بن نصر بن منقذ مدينة شيزر على أن يحرّرها من أيدي الروم، وكان مع أهله وعشيرته يكَفَرْطابَ بين المعرّة وحلب. غير أنّ مقلّدًا توفي سنة ٤٥٠، فخلفه على رئاسة بني منقذ ابنه عليّ الملّقب بسديد الدولة، والذي يعدّه المؤرخون بحق مؤسس الإمارة المنقذّية. فقد كان سياسيا ماهرًا، مهيب الجانب، مطاعًا في أهله، بصْيرًا بأمور الحرب. فرض على المرداسيين إمارة سابق بن محمود بن صالح سنة ٤٦٨. وساعد مسلم بن قرواش صاحب الموصل على احتلال حلب فانقرضت دولة المرداسيين (٤٧٢)؛ واحتلّ مدينة شيزر (٤٧٤)[٢]. فأسس بذلك إمارة قوية دامت إلى سنة ٦٠٠.

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية الط الجديدة ٥٧٨/٧-٥٨٠ (النص الفرنسي).

(٢) تقع شَيْزَرُ على الجانب الايسر من نر العاصي بالقرب من حماة، وهي مدينة أثريّة وردت في النصوص المصرية القديمة، خربت وأعاد بناءها السلوقّيون في القرن الرابع قبل الميلاد، وسموها (لاريسه).ثمّ احتلها الرومان وأعادوا إليها اسمها القديم، وكانت بأيدي الروم عندما فتحها أبو عبيدة سنة ١٧هجرية. عرفها العرب في الجاهلية و ذكرها امرؤ القيس في شعره [طويل]:

تَقطّعُ أسبابُ اللبانة والهوى عشّيةَ جاوزنا حماةَ وشَيْزَرَا

(الديوان : ٨٧)

راجع فيما يتعلق بشيزر في العهد الإسلامي: ((الاعتبار)) لأسامة بن منقذ، نشر فليب حتي ط ١٩٣٥ أميركا.

ومن الطبيعي أن يحاول ابن سنان توثيق عرى الصلة بينه وبين عليّ بن مقلّد، والبحث عن رعاية في كنفه وكنف عشيرته. وقد صرّح بذلك في رائيّة مدحه بها [كامل]:

عـــد الزمـــانُ لِئامَـــهُ فاســـتَوقفَتْ
تلك الخـلالُ عليـه عقـدَ الخنـصـر
أَهْوِنْ به مـا كنـتَ يـا بـن مقلّـدٍ
عَوني عليه وكان قومُـك مَعـشَري![1]

وفي الرائيّة نفسها يذكر أن الصداقة بينهما قديمة تعود إلى صباهما، وأنا بقيت على ما كانت عليه :

بـــيني وبينـــك حُرمـــةٌ مـــا غالهـــا
وَلَـــعُ الخطـــوب، وذمّـــةٌ لم تُخفَـــرِ
ومـــودّةٌ مُزِجَـــت بأيـــامِ الـــصبا
ورأتْ تغيّـــرَهُ، ولـــم تتغيّـــرِ[2]

ومما يؤكد صلته الوطيدة بآل منقذ أنه رثى في صباه أبا المغيث منقذ بن نصر المتوفّى سنة ٤٣٩؛ وهو عمّ صديقه أبي الحسن سديد الملك. رثاه بدالية لم يبق منها غير بيتين أوردهما ابن خلكان في «وفيات الأعيان»[3]. ونصّ ناسخ الديوان على أن المرثيّة ناقصة والقارئ للبيتين يدرك من أول وهلة أن القصيدة ليست من أول ما نظم، وأن موهبة الشاعر كانت جدّ مبكرة.

وفي الديوان حائية غير مؤرخّة هنأ بها مقلّد بن نصر حين نال لقب

---

(١) القطعة ٨١: البيتان ٣٧-٣٨.

(٢) القطعة السابقة البيتان ٣٢-٣٣.

(٣) القطعة ٩٣، وفيات الأعيان (الرقم ٧٠٧).

((مُخَلصَ الدولة)) من الخليفة الفاطميّ المستنصر، وفيها يقول [كامل]:

وحبــوتَ ألقــابَ الإمــام نَباهــةً
وسِــواكَ طُوقهــا بعــارٍ فاضــحِ[1]

أما عليّ بن مقلّد فأفرده بأربع عشرة قصيدة ما بين مطوّلة تبلغ الخمسين بيتًا، ومقطوعة تقلّ عن عشرة[2]؛ قصائد يتوزّعها المدح والشكر على جزيل عطاء، والتهنئة بالإبلال من مرض، والعتاب اللّطيف المستطاب. ومنها ما هو جواب عن شعر بعث به إليه ابن مقلّد نفسه. غير أن هذه القصائد كلّها غير مؤرخة. ومن الطبيعي أن تكون كذلك لأن معظمها يدخل فيما يدعى ((بالإخوانيات))، ولأن بني منقذ لم يكن لهم قبل الاستيلاء على قلعة شيزر وجود سياسيّ يفرض نفسه على الخلافتين العباسّية والفاطمّية، والإمارات المعاصرة، وعلى المؤرخين فيما بعد. ومع ذلك نجد في الديوان ما يبّين أن سلطتهم بدأت تبرز إلى الوجود بقوة فخشيهم الناس ونافسهم من كان قادرًا على منافستهم. فلا تكاد تخلو مطوّلة من ذكر أعدائهم تصريحًا أو تلميحًا [متقارب]:

نهيــتُ عــدوكَ عــن غَيــه
بــوخزِ العِتــابِ فلــم يَــسمَعِ
وقلــتُ لــه مَــن يَــرُومُ النجــومَ
ببــاعٍ كباعِــكَ فلْيَربَــعِ
ألــستَ تــرى شَــمَمَ الأكرمــيـ
ـنَ يَهــزأُ مِــن أنفِــكَ الأجــدَعِ؟[3]

---

(١) القطعة ٧٩: البيت ٣٧.
(٢) القصائد والمقطوعات رقم: ٤،٨١-٩٢،١٤٥.
(٣) المقطوعة ٨٤، الأبيات ٣٦-٣٨.

وفي هذه المجموعة من القصائد نونية غير مؤرّخة تكشف فترة قصيرة من حياة الشاعر، كتبها إلى صديقه من أنطاكيّة حيث كان أسيرًا عند الروم، ويستفاد منها أن ابن مقلد قصد هذه المدينة ليفادي الأسرى من المسلمين، وفي مقدمتهم صديقه ابن سنان، أو ليفادي ابن سنان نفسه قاصدًا إلى ذلك قصدًا، كما يفهم من البيت الخامس. إلاّ أن الروم ماطلوه طويلاً فصار عندهم كالأسير. بل يفهم من بعض الأبيات أنهم اتهموه بالإفساد فبقي عندهم أسيرًا، وأن قومه لم يبذلوا جهدًا في مفاداته [متقارب]:

عَـذيري مـن(الـروم)جـارَ الفـراقُ
علـي بحكمِهـم واعتَـدى

دعوتُـكَ مـن أرضِـهم عانِيـًا
فنـاهلتني ذلـك المـوردا

وأوثقتَ نفـسَكَ حِرصًـا علـي (م)
حتّـى عُـدِمتَ بـأن أُوجَـدا

فلا كانَ وعـدُهُمُ مـا أغـثّ (م)
فيـه المطـالُ ومـا أبـرَدا![1]

إلى أن يقول:

وأنّـكَ جِئتَهـمُ مُـصلِحًا
فـصرتَ بجهلِهـمُ مُفـسِدا[2]

ويقول:

وخُبـِّرْتُ قومَـكَ ظَنـوا ثَنـوا
كَ عِنـدَهُمُ أبـدًا سَرمَـدا

(١) القطعة ٨٦، الأبيات، ٤- ٧.

(٢) نفس القطعة، البيت: ١١.

فأســرفَ إدلالُهُــم في الجَفــاءِ
وجــاء يفــوقُ الــذي عَــودا
وإن لم تكُــنْ صــافحًا عنــهُمُ
فَمِــنْ أيــن صِــرتَ لهُــم سَــيدا؟[1]

ولا نعرف الظروف التي أُسر فيها ابن سنان. والظاهر أنه كان عند الأدنين من ذويه القاطنين بالعواصم. وكانت العواصم في القرنْين الرابع والخامس تابعة لأنطاكية. وقد شكى الشاعر ما قاسى قومه من محن أيّام سيف الدولة. كانوا بالعواصم بين الروم والحمدانيين فكان يصيبهم ما يصيب أهل الحدود من عنت في نفوسهم وأموالهم [بسيط]:

وَرِثْتُ مـالَ أنـاسٍ طـالَ عهدُهـمُ
غَنِيتُ منهمْ وما خُبـرتُ كيـف غُنُـوا
أودَى (علي بـنُ حَمـدانٍ) بِـوَفْرِهِمُ
وقُــدِّرَتْ لهــمُ في مُلكِــهِ المِحَــنُ
فأفــسدوا بجــوارِ الــرومِ عَيــشَهـمُ
إن حــاربوا أُسِــروا أو ســالمَوا رُهِنُـوا
فما تخلَّـف عنـهم غيــرُ خاذلــةٍ
تلوكُهــا هــذه الأحــداث والفِتَــنُ
هي العواصِــمُ مَرْمَــى كـل فاقــرةٍ
فليس تُسْكَنُ لـولا أنــا وطــنُ[2]

(١) نفس القطعة، الأبيات : ١٤-١٦.
(٢) القطعة ٥٩، الأبيات: ١٤-١٦.

أمّا الأمراء المرداسيون فقد عاصر منهم ثمال بن صالح وأخاه عطية وابن أخيهما محمود بن نصر، ومدحهم وأخذ جوائزهم. لكنه لا يمكننا أن نعدّه من شعرائهم المعتمدين المبرزين المكثرين فيهم، الذّابين عن حماهم، المدافعين عن سياستهم. فلم تكن تربطه بهم وشائج قربى قريبة، أو صداقة متينة يأمَنُ بها غوائلهم. شأنه في ذلك شأن قبيلته تأخذ حاجتها حيث وجدتها. ولذلك قلّ شعره فيهم ولم يمدح منهم إلاّ المتغلّب(١).

---

(١) بنو مرداس فرع من بطون كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من قبائل هوازن من قيس عيلان. ومن بني كلاب أبو العباس أحمد بن سعيد الذي ولي للإخشيد محمد بن طُغْج حلب (٣٢٨) وأنطاكية (٣٣٣)؛ وأخوه أبو الفتح عثمان بن سعيد؛ ولي له أيضًا حلب (٣٣٣). ونتج عن ذلك أن نزح كثير من بني كلاب من نجد إلى شماليّ الشام فاحتلوا معرّة النعمان ونواحيها، واستوطنوها بجانب من سكنها قبلهم من الكلابيين. ورعت أنعامهم السّهوب الممتدّة من منعطف نهر الفرات، إلى الطريق الواصل بين حلب وقنسرين وحماة وحمص. وقاتلوا المصريين والروم في صفوف سيف الدولة بن حمدان مع بني عقيل وبني كلب وبني نمير وأبلوا البلاء الحسن.

ولم يسمح سيف الدولة لأحد من القبائل العربية بالانتجاع في أعمال حلب ما عدا الكلابيين؛ بل أجلاهم عنها إلى الجزيرة. وقد عرف الكلابيون بقوة بأسهم في الحرب وشدة شكيمتهم وصعوبة مراسهم. كانوا لا يهابون لقاء الجيوش النظامية، وكانوا يتطلّعون إلى تأسيس إمارة بالشام، فكانوا يتحيّنون الفرص لذلك، ويمهدون له، ويفشلون محاولات الفاطميين والروم بسط نفوذهم المباشر وغير المباشر على حلب وأعمالها.

أخذ بنو كلاب في مطلع القرن الخامس يسيطرون على شماليّ الشام، بعد أن ضعف الحمدانيون، وبدأ نفوذهم يضمحلّ إلى أن زالت دولتهم، فقامت على أنقاضها الدولة المرداسية التي أسسها عام ٤١٤ صالح بن مرداس الكلابي؛ وكان=

مدح معزّ الدولة بن صالح سنة ٤٤٤ وكان الغالب على حلب. مدحه بقصيدة واحدة(١)، وخصّ ابنه الأمير ثابتًا بقصيدتْين(٢). نظم أولاهما سنة ٤٤٦ وثانيتهما عام ٤٤٨.

أما عطية بن صالح فمدحه بقصيدة لاتتجاوز تسعة أبيات إلاّ أن تكون وصلتنا مبتورة(٣).

=المتغلب على الرحبة والرّقّة وَبالِسَ ومْنبِجَ و رَفَنِية، ودامت الإمارة المرداسية وعاصمتها حلب إلى أن انتهى أمرها سنة ٤٧٢ على يد الدولة العقيلية.

أسس صالح الإمارة وعمل على توسيعها، فأضاف إلى ما كان بيده حمص وبعلبكّ وصيدا. وضرب الدينار باسمه في حلب سنة ٤١٧.

ولم يكن الخليفة الفاطميّ الظاهر لإعزاز دين الله راضيًا عن حركة القبائل العربية المتحالفة عليه. فقرر استرجاع حلب والشام عامة من أيدي بني الجراح وبني كلب وبني كلاب وسيّر أنوشْتكين الدزْبِري لقتالهم، فكانت معركة الأقحوانة على نر الأردنّ سنة ٤٢٠ وبا قتل صالح بن مرداس. فخلفه ابناه شبل الدولة نصر ومعز الدولة ثمال. أخذ الأول حلب والثاني قلعتها. وفرضا وجودهما على الفاطميين وعلى الروم. لكن المرداسيين لم يسلموا من الفتن الداخلية لاسيما للاستيلاء على حلب.دامت دولتهم إلى سنة ٤٧٢. وكان من أمرائهم، غير الذي ذكرنا، أبو ذؤابة عطّية بن صالح، ورشيد الدولة محمود بن نصر، وجلال الدولة نصر بن محمود، وأبو الفضائل سابق بن محمود، وهو الذي سلّم حلب إلى شرف الدولة مسلم بن قريش العقيليّ. وبذلك انقرضت إمارة المرداسيين.(انظر تاريخ بني مرداس ومراجعه العربية والأجنبّية في دائرة المعارف الإسلامية الط.الجديدة ١١٧/٧-١٢٥. والمقال لـ (TH.Bianquis).

(١) القطعة ١٣ : لامية من الوافر.

(٢) القطعة ١٤: نونّية من الرمل، ٤١ بيتًا، والقط. ١٥: لامّية من الطويل، ٤٦بيتًا

(٣) القطعة ٦٥، همزّية موصولة بالهاء، من الكامل.

وأما محمود بن نصر بن صالح فكان له الحظ الأوفر مّما نظم ابن سنان في المرداسيين. ولعلّ ذلك راجع إلى كون أمّ محمود من خفاجة قوم الشاعر، وكون محمود وابن سنان من جيل واحد. مدحه فيما بين سنتي ٤٤٣ و٤٦٤ بأربع عشرة قصيدة[1]؛ وهو كثير بالنسبة إلى ما نظم في المرداسيين كلّهم (٦٧٩ بيتًا)، قليل إن قارنّاه بما خصّهم به ابن حيّوس في أقل من عشر سنوات (٤٦٤-٤٧٣). ففي ديوانه ثلاث وثلاثون قصيدة نظمها فيهم، وقد ناهز السبعين من عمره. منها أربع عشرة في محمود ومجموعها ٧٢٦بيتًا في أقل من سنة؛ وثمان في سابق بن محمود بلغ مجموعها ٦١٩ بيتًا.

نظم ابن حيوس إذًا في المرداسيين وفي هذه المدّة القصيرة وسنّ لا تساعد على قرض الشعر ٢١٦٨ بيتًا، على حين لا يتجاوز شعر ابن سنان فيهم ثلثه في فترة بلغت اثنتين وعشرين سنة.

وإن قارنّا ابن سنان بابن أبي حصينة الحسن بن عبد الله السلميّ (٣٨٨-٤٥٧) وجدنا الثاني خص ثمالاً وحده بمائة وخمس عشرة قصيدة، فأثرى بمدحه ثراء فاحشا وملك الضياع ونال لقب الإمارة؛ لقبه با الخليفة المستنصر. أما غيره من المرداسيين فلم ينظم فيه ابن أبي حصينة إلا أربع قصائد أولاها في نصر بن صالح سنة ٤٢٦ . ولم يكن آنذاك لابن سنان ذكر لصغر سنه.

وهكذا نجد شاعرنا مع المرداسيين بين فترتين: سبقه إلى الأولى ابن أبي حصينة بحكم سنّه وتقدمه في الوجاهة والنفوذ واختصاصه بثمال، أو قل فاتته. وبسط سلطانه على الثانية ابن حيوس شاعر الدزبري، المفلق الذي يطمح كل خليفة وكل أمير إلى أن يكون شاعره، شأنه في ذلك شأن المتنبيّ مع عظماء عصره. ولولا عظمته وعبقريته والتباهي بشعره لما رضيه محمود بن نصر شاعرًا لقصره وهو الذي مدح الدزبري قاِتلَ جدّه

---

(١) القصائد :٥، ١١٨ - ١٣٠.

صالح بن مرداس وولده الأصغر في معركة الأقحوانة سنة ٤٢٠[1].

مرّ ابن سنان في مدحه للمرداسيين بثلاث مراحل. الأولى، وتمتد في نظرنا إلى منتصف القرن الخامس على وجه التقريب، وكانت سِنه دون الثلاثين اهتمّ فيها بطلب العلم كما أسلفنا، وحاول التقرب من بعض أمراء آل مرداس بنوع من الفتور وبكثير من التحفظ، أو بالعزوف قليلاً عن القضايا السياسية.

وكان معزّ الدولة ثمال بن صالح المتغلب على حلب وأعمالها منذ سنة ٤٣٣. وكان ذا بأس ومنعة في الشام مَهيب الجانب، ناجحًا في سياسته الداخلية والخارجية. دانت له الرعّية كأحسن ما يَدين الناس لولاتم ولم تستطع الخلافة الفاطمية ولا الروم زحزحته عن مكانته. وكان كأبيه حَدِبًا على الأدباء مشجعًا للعلم والعلماء.

عرفه أبو الفتح ابن أبي حصينة السلميّ الشاعر العبقريّ، عرفه في أوائل القرن الخامس فلزمه طَوال ولايته ووقف عليه شعره، فكان الخصيص به، الوجيه عنده، المفضّل على كل شاعر. وأنى لابن سنان أن يحظى عنده مع ابن أبي حصينة ومع صغر سنه؟

لذلك نراه يقتصر على قصيدة واحدة يمدحه با. نظمها سنة٤٤٤،

---

(١) ديوان ابن حيوس ص٥٧-٦٤. يقول في هذه القصيدة [كامل]:

ألهيت عـن يـوم الكُـلاب بوقعـة
شَقِيَت بها عنـد اللقـاء كِـلاب

أردت سـيوفك صـالحًا فأقـام في
دار البلـى وحديثـه جـوّاب

لم تحمـه الأصـحاب حـين أفْتدتـه
وله إلى حوض الردى إصحاب

غادرت بالزُرق الرهاف إهابه
وعليه من قاني النجيع إهاب

ولمّا يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره. وهي قصيدة جيدة لا تقل في فّنها عن أحسن ما نظم ابن أبي حصينة وابن حيوس وغيرهما في المرداسيين. أشاد فيها بانتصارات الأمير على الروم في الجبال والهضاب الممتدّة بين أنطاكية وحلب. وفيها إشارات خفّية إلى المعارك التي جرت بينه وبين الفاطميين بقيادة الدّزْبريّ ورِفْقٍ المستنصري بعده وإلى القبائل العربية التي ناصرتما كالجرّاحّيين والكلّبّيين والجعافرة من بني كلاب. لا يسمي أحدًا؛ إنما يلمّح بما يمكن استخلاصه من كتب التاريخ المتخصصة وما نظم بعض معاصريه في المرداسيين(١).

وفي هذه المرحلة أيضا مدح محمود بن نصر بن صالح بقصيدتين نظمهما سنة ٤٤٣؛ وكان محمود آنذاك واليًا على الثغور؛ كما مدح الأمير ثابت بن معزّ الدولة بقصيدتين أيضًا؛ نظم الأولى سنة ٤٤٦ والثانية سنة ٤٤٩.

أما المرحلة الثانية فتمتد إلى عام ٤٥٧، وهو التاريخ الذي احتلّ فيه محمود حلب للمرة الثانية، وقوي أمره فدانت له إلى أن مات. في هذه الفترة عزف الشاعر بعض العزوف عن المرداسيين، وكان بأسهم بينهم شديدًا يتنازعون حلب وأعمالها، وانصرف إلى الدراسة والتأليف ومَدْحِ بَعْضِ وُلاة الفاطميين، لاسّيما ابن ملهم، وإلى رثاء بعض أصحابه مثل ابن العمريّ(٢)، وصاعد بن عيسى بن سُمان(٣).

وهذا لا يعني أّنه قطع الصلة ببني مرداس، فقد كان هواه مع محمود

---

(١) انظر دالّية لابن أبي حصينة من البحر البسيط، في ديوانه ص١٥٦-١٦٤. نظمها سنة ٤٤٥ يعاتب القبائل اليمنية على نصرتم لأعداء ثمال بن صالح.

(٢) أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى العمريّ الحلبيّ، الكاتب المعروف بابن العمريّ.كان وزير منيع بن شبيب النميريّ. وكان عطية بن صالح دعاه إلى خدمته فامتنع. فلمّا تمكن منه قتله وصلبه. فرثاه ابن سنان بالقصيدة رقم ٦٤.

(٣) رثاه بالقصيدة رقم ٢١؛ وترجمة صاعد في مقدمة شرح القصيدة رقم١٩.

بن نصر في المعارك التي دارت بينه وبين عمه عطية بن صالح للاستيلاء على حلب سنة ٤٥٢. لذلك أرسله محمود في السنة نفسها، أو في التي تليها إلى ملك الروم يستنجده على عمّه. فبقي ببلاد الروم إلى أن ملك ثمال حلب. وبا نظم القصيدة المشهورة [كامل]:

«هــذا كتــابي عــن كمــالِ سَــلامةٍ
عندي وحالٍ شَرْحُهَا في الجُملــةِ...»[1]

قالها على سبيل المداعبة لإخوانه، وأرسلها من القسطنطينيّة إلى صديقه الأمير أبي الحسن عليّ بن مقلّد.

ولمّا استتبّ الأمر لمحمود بحلب على ما أسلفنا - وهي المرحلة الثالثة - مدحه باثنتي عشرة قصيدة، هي من أهم الوثائق التاريخية لحياة الشاعر في علاقته بالأمير، وعلاقة الأمير بالدول والإمارات المجاورة. صوّر الأحداث التي جَرَتْ بين محمود وبين الفاطميين والعباسيين والروم والأتراك والإمارات العربية المجاورة كالعقيليين، كما صوّر الفتَن الداخلّية والوقائع الحربية بْين المرداسيين أنفسهم، وخاصّة بين محمود وبين عَمِهِ عطّية. لذلك يكثر في قصائده من ذكر أعداء الممدوح مشيدًا بانتصاراته عليهم أو متنبئًا له بالانتصار، شادا أزْرَه في ذلك بما يورد من حكم ويضرب من أمثال، مبرزًا مواهبه، مُشيدًا ببأسه وشجاعته وحصافة رأيه، غير فاصل بينه وبين آبائه من مؤسسي الدولة المرداسّية أمثال نصر وصالح، مؤثرًا التلميح على التصريح.

والمتأمل لهذه القصائد يدرك أن الشاعر غير مرتاح كل الارتياح إلى ممدوحه، غير مطمئن إليه، غير راضٍ بمعاملته له كل الرضا. فهو معه في جزر ومدّ إن صحّ التعبير وفي عتاب يكاد يكون مستمرًا. يراه يفضّل عليه غيره من الشعراء ولا يوفيه حقّه وهو الشاعر المفلق الذي لا يجارى [كامل]:

---

(١) القصيدة رقم ١٣٨. وزبدة الحلب ٢٨٢/١

يا جامعَ الحسناتِ دعوةَ عائذٍ
يَنْداكَ أَدْلَجَ في رضاكَ وهجّرا
ما كنت أحسب أنّ جودك يُقْتَضى
حتى أقول منّبهًا ومذكّرا
لا تحفلنّ إذا بقيتُ بناطقٍ
غَيري فليس مع الفُراتِ تَيمّمُ[1]

إلى أن يقول:

وغريبةٍ سَبَقَ الوشاةُ بأول
مِنْهَا وحُسْنُ الشعر حيْن يُتَمم
غنتْ كما سجَع الحمامُ وربّما
زَأَرتْ كما هدر الفنيقُ المُقْرَمُ
كالكاعِبِ الحسناءِ إلاّ أنّها
مِن فَقْدها الأكفاء قبْلك أيمُ
أظهرتُ فيها المعجزاتِ لأمةٍ
ذل البليغُ بها وعز المفحَمُ
لو كان في نظم القريض نبوّةٌ
صلّى عليّ السامعون وسلّموا[2]

وكان محمود، كغيْره من الأمراء رجل سياسة قبل كل شيء. همّه الوحيد توسيع ممالكه واسْتِتْبابُ الأمر له فيها. وقف معظم حياته على تحقيق غايته، وحارب في سبيلها القريب والبعيد، وخاصّة ذويه من آل مرداس والعقيليين على عهد شرف الدولة أبي المكارم مسلم بن قريش

(١) القصيدة رقم ١٣٠، البيتان ١و٢.
(٢) القصيدة نفسها، الأبيات ٤٨-٥٢.

(ت٤٧٨)[١]. وكان في أمسّ الحاجة إلى من يدعم سياسته من الشعراء ومن زعماء القبائل العربية في الشام وفي الجزيرة الفراتّية. وكان ابن سنان مّمن يجمع بين الموهبة الشعرية، وبين الزعامة في بعض بطون خفاجة. وفي الديوان قصيدة غير مؤرّخة يُهيبُ فيها بالخفاجيين ألاّ يناصروا، على محمود،شرف الدولة مُسلمًا العقيليّ؛ قصيدة نظمها بعد حرب وقعت بالرحبة، سنة ٤٦٠، بْين العقيليين، وكان هواهم المُعْلَن مع خلفاء بني العباس، وبين الكلابيين وكانوا في طاعة الفاطميين. فكسر مسلم آل مرداس ((وأخذ أسلابهم، وأرسل أعلامًا كانت معهم عليها سمات (المصريّ)، إلى بغداد، وكُسِرَتْ و طِيفَ بها في البلد، وأرسلت الخلع إلى شرف الدولة))[٢]. في هذه القصيدة يقول ابن سنان مخاطبًا قومه [سريع]:

يــا طالمــا قــومي، وعنــدي لهــم
رســـائلٌ بالنـــصـح حمّالـــهْ
قل لهمُ عنّي، ومـا يكـذب الـرا (م)
ئـــد في أخبـــاره آلـــهْ
إيـــاكمُ مـــن أســـد باســـل
قـــدّم للوثبـــة أشبالـــهْ
أروع لا يعـــرف جيرانـــه
حـــوادثَ الـــدهر وأهوالـــهْ
في كــل أفْــق مــن دجــى نقعــه
غمامـــة بالـــدم هطالـــهْ

---

(١) ترجمته و مصادرها في الأعلام للزركليّ: ١١٩/٨، وفي دائرة المعارف الإسلامية، الط. الجديدة : ٦٩٣/٧-٦٩٤.
(٢) الكامل لابن الأثير، ٥٧/١٠.

وقـائعٌ في الأرض مـشهورة
زلـزل منـها الـشام زلزالـهْ[1]

وكانت الحرب ما زالت على أشدّها بين القبيلتين كما يشعر بذلك الجزء الأول من القصيدة، حيث يتنبأ الشاعر بانتصار ممدوحه على خصمه واستعادته منه الرحبة وبالِس، واستيلائه على الموصل عاصمة العقيليين. ويرى شعره شبيها بالوحي، لأن نبوءته لم تكذب قط:

ولم يـزلْ يُخبِـرُ فيمـا مَضَـى
عنـكَ كـأن اللهَ أوحَـى لَـهْ
وقـد رأى جيـشَكَ، والنـصرُ في
لوائِـهِ، يَـسحَبُ أذيالَـهْ[2]
فاعرِفْ لَـهُ الْبـشرَى وكُـنْ ضـامنًا
ظُنونَـهُ فيـكَ وآمالَـهْ
إنّـكَ إن أنطَقتَـهُ بالغِنَـى
فتحـتَ دون الغَيـبِ أقفالَـهْ
ولم تُـرِدْ مـن بعـدِهِ كاهنـًا
يُجمجِـمُ القَـولَ إذا قالَـهْ[3]

ولا نرى الأبيات الثلاثة الأخيرة مجرّد تكسّب، فهي في نظرنا أكثر من ذلك وأقرب إلى طلب ولاية راوده الحلم بها منذ أن ملك محمود حلب. وفي مدائحه لمحمود ولأبي عليّ ناصر الدولة بن حمدان ما يعرب عن ذلك.

وأخيرًا تحقق الحلم فكان فيه حتفه. ذكر ابن العديم في زبدة الحلب أن

(١) القصيدة ١٢٥، الأبيات ١٠-١٣ و ١٧-١٨.
(٢) القصيدة نفسها، البيتان ٢-٣ .
(٣) القصيدة نفسها، الأبيات ٧-٩.

محمود بن نصر المرداسيّ قرّر أن يوليّ في كل قلعة من قلاعه رجلاً من حلب، على أن يكون أهله وذريته تحت يده بحلب، فاستشار الوزير أبا الحسن بن أبي الثريّا فيمن يوليه قلعة عزاز، فأشار بتولية ابن سنان وزكّاه. وكان ابن النحاس كاتب محمود، حاضرًا فصوّب الرأي فيه ولم يذكره إلاّ بخير، وكان من أعزّ أصدقاء الشاعر وآثرهم عنده. فأحضر محمود ابن سنان وولاّه القلعة فامتنع ثمّ أجاب(1).

وليس فيما بين أيدينا من المراجع ما يمكّننا من تحديد التاريخ الذي باشر فيه الشاعر ولايته، وإنما يمكن استنتاج ذلك من شعره إن وجد فيه ما يدلّ عليه دلالة لا تحتمل التأويل.

ففي ديوانه رائيّة نظمها سنه ٤٦٠ يمدح بها محمودًا، ويذكر فيها الوقعة الحادثة بدمشق في السنة نفسها. وفيها يشير إلى انزام الأمير المرداسيّ أمام العقيليين، ويعاتب ممدوحه بل يشكو عدم حظوته عنده شكوى مرّة فيها إدلال يبلغ حدّ التجرّؤ [كامل]:

أَهْـونْ بـشِعري بعـدما سـبقتْ
مَـدحِي إليـكَ ذرائِـعٌ أُخَـرُ

ودَعِ القَـوافي السّائراتِ ولـو
كانـت نجومًـا فيـكَ تنتثـرُ

فلطالمـا فاضَـت يـداكَ علـى
قـومٍ ومـا نَظمـوا ومـا نَثـرُوا

مـا أخرَّتنِـي عنهـمُ قَـدَمٌ
لـو كـان فيّ وفيهـمُ نَظَـرُ

لكنّـه قَـدَرٌ رضيـتُ بـه
قـسرًا وكيـف يُغالَـبُ القَـدَرُ؟

---

(1) ٣٦/٢.ذكر ابن العديم ذلك في حوادث سنة (٤٦٥هـ).

بـــيني وبـــيْنَ الحَـــظ داجيـــــةٌ
عميــاءُ لا نَجـــــمٌ ولا سَحَــــرُ
لــو أنّنــي نبّهْــتُ فــي وَطَــرٍ
(عُمَرًا) لماتَ مــن الكَــرى (عُمَــر)[1]

مثل هذا العتاب لا يصدر عن شاعر نال من ممدوحه ولاية جديدة.

وفي الديوان ميميّة تنصّ مقدمتها على أنه نظمها «عند نزول ملك الروم بقلعة عزاز وانصرافه عنها. وكتب بها إليه من قلعة عزاز يمدحه ويذكر وصول ملك الروم إليها وانصرافه، ويشكره على جميل ذكره به، وذلك في صفر سنة إحدى وستين وأربعمائة». وفي القصيدة ما يبيّن أنّ الشاعر راض عن الأمير كلّ الرضا، شاكرٌ له منّة عظيمة. ولعلّها ولايته قلعة عزاز (وافر):

أبَيْــتَ اللّعْــنَ إن كَثُــرتْ شُــجوني
فــإني قــد وجــدتُ لهــا مَــسَامَا
وإن بلَغــتْ إليــكَ بِــيَ المعالــي
فقــد زجّيْتُهــا عامــــًا فعامــــا
شكرتُ جميــلَ فعلــك وَهْــوَ عنــدي
تمــامُ الجــودِ إنّ لـــه تمامــــا
ورَوتــني سَــحائبُكَ فــي بــلادٍ
كثيــرًا مــا شــكوتُ بــها الأوامــا
ومــالي والبخيــلَ وقــد كَفَتنــي
مواهِبُــكَ الــتي كَفَــتِ الأنامــا؟
إذا ضَــنّ الــسحابُ علــى نَــداهُ
فقد نالَــت يَــدُ الــصّادِي الغَمامــا[2]

(١) القصيدة ١٢٦، الابيات ٣٤-٣٩ و البيت ٤٢.
(٢) القصيدة ١٢٧، الأبيات ١٦-١٩ و٢٣-٢٤.

وفيه نونّية كتب بها إليه من قلعة عزاز في رجب من سنة اثنتين وستين وأربعمائة يمدحه فيها ويعبّر له عن حنينه إليه ويشكره على نعمه (متقارب):

ومثلُــكَ مَــن جَمَعَــتْ لي يَــدا
ه بَــينَ الثــراءِ وبَــين الــوَطَن[1]

قد يكون هذا البيت الأخير من القصيدة دليلاً على أن الشاعر كان واليًا على القلعة في سنة ٤٦٢، لكن التعبير بـ ((مثلك)) حامل لأوجه أخرى من الدلالة، واستعمال الماضي (جَمَعَتْ) محض توكيد.

ومهما يكن من أمر فإنّ ابن سنان كان واليًا بالفعل على قلعة عزاز سنة ٤٦٥. وهي السنة التي عزم فيها محمود على قتله.

وفاته:

ذكر ابن العديم في حوادث ٤٦٤ أنّ محمودًا تغّيرت أخلاقه بعد رحيل السلطان ألْب أرْسَلانْ عن حلب، ورغِب في جمع المال وغلب عليه حبّ الدنيا وتنكّر لأصحابه.

تغّير على وزيره أبي بشر النصرانيّ فقتل ولدًا له، ثم قتله هو بعد أن طالبه بمال كثير، وعّين مكانه أبا نصر بن النحّاس. وكان أبو بشر هو الذي ساعده بماله حتى ملك حلب واستجذب العرب إليه[2].

وعزم على قتل سديد الملك أبي الحسن علي بن منقذ أخيه من الرضاعة، فأحسّ ابن منقذ بذلك فامتنع عليه فصادر أملاكه كلّها[3].

واستدعى إلى حلب حسين بن كامل بن الدوح - وكان وَليَ له حصن أسفونا - فلمّا دخلها قتله دون أن يمهله.

واستوحش كذلك على ابن سنان، وكان يلي له القلعة، فاستدعاه

(١) آخر بيت من القصيدة ١٢٩

(٢) زبدة الحلب:٣٢/٢-٣٤.

(٣) زبدة الحلب :٣٤/٢-٣٦؛ووفيات الأعيان: ٨٦/٣-٨٧.

إلى حلب عدة مرّات فتعلّل عليه ولم يدخل حلب. وكان ابن النحاس كاتب محمود وصديق الشاعر يكتب إليه سرًا ويحذّره. ولم يجد محمود وسيلة تقنع ابن سنان بالحضور بين يديه. فأمر ابن النحّاس أن يكتب إليه كتابًا شخصيًا يتودّد إليه فيه، ويدعوه إلى حلب، ويضمن له كل خير عن محمود وأن يكتب الكتاب بين يديه.

قال ابن النحاس، فيما روى ابن العديم : ((فما قدرتُ أن أعمل فيه سوى أن شدّدتُ النون من ((إن شاء الله))، وتناهيت في لفظ الكتاب وقلت :((لو عرفتُ ضدّ ما كتبتُ لما كنت بصورة من يغشه))، وأخذ محمود الكتاب ووقف عليه وكرّر فيه نظره، فرآه كافيًا شافيًا فأمر بإلصاقه وعنوانه، ودفعه لبعض أصحابه ووصّاه أن يقول : ((هذا كتاب دفعه إليّ أبو نصر بداره)) وسار الفرّاش.

فلمّا وقف أبو محمد عليه كرّر فيه نظره، وبقي متعجبًا منه، ويقول: ((أخي أبو نصر أعطاك الكتاب بداره أم بالديوان أم بالقلعة قدام الأمير؟ فقال: ((بل بداره))، فقال:((ما هذا صحيح)) فحلف له فلم يصدّقه إلى أن قال: ((وقعت على المعنى)). وكتب جوابه يذكر فيه شكر أبي نصر، وأنّه مهتمّ بالحضور عند زوال حمّى جسمه. ثمّ إنّه كاتب أبا نصر خفية وأعلمه أنّه عثر على المعنى في تشديد ((إن))[1].

وفي نص ابن شاكر الكتبيّ في كتابه فوات الوفيات: ((فلمّا قرأه الخفاجي خرج من عزاز قاصدًا حلب، فلمّا كان في الطريق أعاد النظر في الكتاب، فلما رأى التشديد على النون أمسك رأس فرسه، وفكر في نفسه، وأن ابن النحاس لم يكتب هذا عبثًا، فلاح له أنّه أراد﴿إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾[2]. فعاد إلى عزاز، وكتب الجواب ((أنا الخادم المعترف بإنعام...))

(١) زبدة الحلب : ٣٦/٢-٤٠.

(٢) سورة القصص: ٢٠.

وكسر الألف من ((إنا)) وشدّد النون وفتحها، فلما وقف أبو نصر على ذلك سُر وعلم أنه قصد به ﴿إنا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبداً مَا دَامُوا فِيهَا﴾ [1][2].

وكتب الجواب يستصوب رأيه، فكتب إليه الخفاجيّ [بسيط]:

خَفْ مَن أمِنْـتَ ولا تَـركَنْ إلى أحَـدٍ
فمـا نَـصحُتكَ إلا بعـدَ تَجريـبِ

إن كانَتِ التركُ فـيهم غـيرَ وافيـةٍ
فمـا تَزيـدُ علـى غَـدرِ الأعاريـبِ

تمسكُوا بوصايـا اللـؤمِ بينهُـمُ
وكـاد أن يَدرُسُـوها في المَحاريـبِ[3]

واستدعى محمود بأبي نصر النحاس [هكذا] وقال: أنت أشرت عليّ بتولية الخفاجيّ، وما أعرفه إلاّ منك، ومتى لم يفرغ بالي منه قتلتك، وألحقت بك جميع مَنْ بينك وبينه صلة وحرمة، فقال له مرني بأمر أَمْتَثِلْه. قال: تمضي إليه وفي صحبتك ثلاثون فارسًا، فإذا قاربته

---

(١) سورة المائدة: ٢٤.

(٢) في زبدة الحلب كذلك أنّ هذه الرسالة كتبها ابن النحاس إلى سديد الملك أبي الحسن علي بن منقذ. وقد نبه إلى هذا قال: ((وقد ذكرنا أنه جرى له ذلك مع ابن منقذ فيحتمل أن يكون وقع له ذلك معهما جميعًا)) (٢/٣٧-٣٨).ونرى أن القصة موضوعة مأخوذة من قول حفظة القرآن فيما فيه ريبة ((فيه إن)) ومثل هذه التعابير كثير عندهم وحتّى عند العامة لأنه صار مألوفًا.

(٣) في زبدة الحلب أن ابن سنان أنشد هذه الأبيات عندما أحسّ بالموت. ويورد رواية أخرى مفادها أن الشاعر بعث بذه الأبيات إلى صديقه سديد الملك بن منقذ في رسالة يصف با حاله ((ولجاج محمود في طلبه وتغّير نّيته فيه وخوفه من غائلته وظلمه)) (٢ / ٤٠) والرواية الثانية أقرب إلى الواقع، لكنها مخالفة لنص ابن شاكر.

عرفه بحضورك فإنه يلتقيك، فإذا حضر سألك النزول عنده والأكل معه، فامتنعْ وقل له إني حلّفتك ألاّ تأكل زاده ولا تحضر مجلسه حتى يطيعك في الحضور عندي؛ وطاوله في الحديث حتى يقارب الظهر، ثمّ ادّع أنّك جعت وأخرج هاتين الخُشْكَنَانَتَيْن[1]، فكل أنت هذه وأطعمه هذه، فإذا استوفى أكلها عجل الحضور إليّ فإنّ منّيته فيها، ففعل ما أمره به، ولمّا أكلها الخفاجي رجع أبو نصر إلى حلب ورجع الخفاجيّ إلى عزاز. ولمّا استقر با وجد مَغَصًا شديدًا ورعدة شديدة، فقال قتلني والله أخي أبو نصر؛ ثمّ أمر بالركوب خلفه ورَده ففاتم ووصل إلى حلب، وصبّح من الغد محمودًا فجاءه من عزاز مَن أخبره أن الخفاجي في السياق ومات.

---

(١) ((وأخرج هاتين الخشكنانتين)): وردت في النص بالجيم. وعلق المحقق بذا النص: ((الخشكنانة: دقيق الحنطة إذا عجن بِشيرَجٍ وبُسِط وملئ بالسكّر واللوز، أو الفستق وماء الورد، ثم عجن وخبز. وأهل الشام تسميه ((المكفن)) أهـ)عن تذكرة داود) وقد تكلمت به العرب قال الشاعر [رجز]:

ياحبـ ـذا الكعـ ـك بلحـ ـم مثـ ـرود

وخـ ـ ـشكنان وسـ ـ ـويق مقنـ ـ ـود))

والشيرج دهن السمسم، معرب ((شيره)) عن ابن كمال... (متن اللغة لأحمد رضا ٣٩٥/٣ وفي معجم دوزي الخُشكلان (من الفارسية خشك نان) خبز أو كُبّنة على شكل هلال والخشكنانج: نوع من الخبز على شكل هلال يُهيأ بالسمن والسكر واللوز أو الفستق (من الفاجشك نانه) والخشكنانك، عند ابن الجوزيّ،[في مختصر المُقْنِع في الطب] -وهو الكبّنة- من الفارسية: خشك نانه) ويرى دوزي أنّ الألفاظ الثلاثة (خشكلان وخشكنانج وخشكنانك) من أصل فارسي واحد.

وكانت وفاته في سنة ست وستين وأربعمائة، وحمل إلى حلب[1].

مذهبه:

كانت البلاد الشامية في القرن الرابع والخامس، كغيرها من البلاد العربية، تتجاذبا التيارات الدينّية، وتعصف با الحروب الطاحنة الرامية إلى إرساء عقيدة، أو تأسيس دولة أو خلافة تطمح إلى الهيمنة على الأمبراطورية الإسلامية شرقها وغربا، مستعملة في ذلك السيف والقلم، لاسيما بعد ظهور المذاهب الإسماعيلية بمختلف نزعاتا وحركاتا ودعواتا، واستيلائها على ممالك شاسعة ومناهضتها للخلافة العباسية وللمذهبين :السّنّي والإماميّ الاثني عشريّ.

وكان ابن سنان شيعي المذهب، صادقًا في هواه مقتصدًا فيه كالكثير من مواطنيه، لانجد فيما وصلنا من ديوانه إلا المبادئ العامة الجامعة بين الطوائف المتشيعة. بل نراه أقرب إلى الإمامية الاثني عشرّية منه إلى الحركات الباطنية. نلمس ذلك في إعجابه الشديد بالشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)[2]، أحد كبار المؤصلين للمذهب بمؤلفاته العديدة،

---

(١) فوات الوفيات :٤٨٩/١-٤٩٣.

وذكر ابن العديم أن ابن النحاس أخبر محمودًا بموت ابن سنان فمنع محمود أبا المعالي الفضل بن موسى وسنان ابن الشاعر وجماعة من أهله من مغادرة حلب. وزاد: ((وتوفي أبو محمد في قلعة عزاز في سنة ٤٦٦هـ، وقيل سنة ٤٦٤- و[الأول] هو الصحيح- وحمل إلى حلب وصلى عليه محمود بن صالح، وقيل إنه توفي سنة ثلاث وستين، والأول أصح (٤٠/٢).

ويرى ابن شاكر في فوات الوفيات(٤٨٤/١) أن ابن سنان خرج على محمود، وعبارته في أول الترجمة ((...وكان قد عصى بقلعة عزاز من أعمال حلب)).

(٢) ترجمته ومصادرها في الأعلام للزركلي٨٩/٥؛ ودائرة المعارف الإسلامية ط٢، ٦٣٣/٧-٦٣٤.

العديدة، وخاصة كتاب الشافي في نقض باب الإمامة من كتاب المغني في أصول الدين للقاضي عبد الجبّار (ت ٤١٥ هـ)[١]. ولا شك في أن الشاعر قرأ الكثير من مؤلفات عبد الجبّار والشريف المرتضى؛ إلا أنّ تَشَيَّعُهُ جعله ينتصر للثاني ويكاد يحصر العلم في مؤلفاته. لذلك نراه يقول في معرض تباهيه بشعره من قصيدة مدح بها الأمير سعد الدولة أبا الحسن علي بن منقذ [كامل]:

واسْـمَعْ شَـوارِدَ لا يُمَـلُّ غريبُهـا
حتى يُمَـلَّ مـن الحيـاة وبُغْرضَـها
قَـدْ كـانَ يَـسهلُ خـاطري فكأنـه
سَئِمَتْ ركائبُـه الريـاضَ فأحْمَـضَـا
فِكْـرٌ أقُـودُ بِـهِ الجَمُـوحَ كأنمـا
طُبْعُ (الرضِي) بِهِ وَعِلْـمُ (المُرْتَـضَى)[٢]

وقد ذكر آغا بَزْرَك الطهراني في «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» أنه رأى في بعض المجاميع قصائد له في مراثي الحسين. غير أنّنا لم نتمكن من الاطلاع عليها وليست مثبتة في ديوانه. وذلك ما لا يسمح لنا بتحديد مذهبه في التشيع تحديدًا دقيقًا.

ومهما يكن فإنّ في ديوانه ما يثبت تشيعه منذ صباه. نظم نونّية طويلة يمدح بها الشريف أبا علي محمد بن محمد بن صالح المحّبرة، وأنفذها إليه في سجنه. وكان قد اعتقله معزّ الدولة المرداسي ثمال بن صالح سنة ٤٤٠ هـ. وهي القطعة الخامسة والثلاثون من الديوان[٣].

---

(١) ترجمته ومصادرها في الأعلام ٤٧/٤، ودائرة المعارف الإسلامية ط١، ٦١/٢.

(٢) القصيدة ٨٥ الأبيات ٣٨ - ٤٠.

(٣) انظر في سبب قتله مقدمة القصيدة المذكورة.

ونجد في الرائيّة التي أنفذها إلى ناصر الدولة أبي علي بن حمدان يمدحه بكون أسلافه (الأراقم) ناصروا عليا بوقعة صفين [بسيط]:

كنُتم بصِفّينَ أنـصارَ (الوَصِـي) وقـد
دعا سـواكم فمـا لبّـوْا ولا نَـصروا

فَهْي الخلافـة مـا زالـت منابرُهـا
إلى سـيوفكُمُ في الـروع تفتقِــرُ[1]

والبيت الأخير وآخَر بعده يشعران بأن ابن سنان لم يكن هواه مع الفاطميين.

ويصف كرم الحمدانيين فيقول في القصيدة نفسها:

كـأن أيـدِيَهُمْ لِلـرزق ضامنــةٌ
فللنّـدى قـائمٌ منـها ومُنتظـر[2]

ولذلك كان الإمام الفاطمي يدعى ((القائم)). يقول تميم بن المعزّ لدين الله الفاطمي (ت٣٧٥هـ) من رائيّة طويلة يمدح بها أخاه العزيز بالله (ت٣٨٦هـ)، وكأنه يمهّد للمذهب المعلن صراحة أيام المستنصر المعاصر لابن سنان [طويل]:

وأنّكَ أنـت الخـامسُ القـائمُ الـذي
تدينُ له أرض العراقيْن عـن قَـسـرِ

وأنّـكَ مهــدي الأئمّــةِ كلهــم
وصاحبُ ذا الوقت المُسمى وذا العَصرِ[3]

---

(١) القصيدة رقم ١، البيتان٣٢- ٣٣: وانظر وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص ٤٨٦؛ ونسب الحمدانيين في وفيات الأعيان ٣٨٧/١ الترجمة رقم ٣٨٧.

(٢) البيت ٢٢.

(٣) الديوان ص ٢٠٦، ط دار الكتب.

نرى أنّ ابن سنان حين يصّنف ندى الحمدانيين إلى ((قائم ومنتظر)) يفيد، في تعبيره، من هذه السياسة بنوع من السحْر الوادع المستملَح في الأدب، لأنه يجمع بين الحقيقة والمجاز وبين التصريح والتلميح. بل في عجز البيت ما يشبه المواربة. وأعذب الشعر ما كانت دلالات ألفاظه متعددة من غير غموض، متظاهرة متماسكة.

وينظم ثلاثة أبيات في ذمّ الزمان وأهله فيسارع في إعطاء مثال لذلك: حرمان أبي بكر فاطمةَ ميراثَ أبيها [وافر]:

وقـالوا قـد تغيـرَت الليالـي
وضُـيعَت المنـازِلُ والحُقـوقُ

وأُقسمُ مـا اسْـتَجَد الـدهرُ خُلْقًـا
ولا عُدْوانُـهُ إلاّ عَتيـقُ

أليس يُـرَد عـن (فَـدَكٍ) علـي
وَيمْلِـكُ أكثـرَ الـدنيا (عتيـقُ)؟[1]

وأطول مقطوعة وردت في الديوان من قصيدة يؤكد فيها ولاءه لآل البيت دالّية محكمة السبك، يكرّر فيها بعض ما فصّله المَنظرون للمذهب، وما نظمه من سبقه من الشعراء في القرنين الثاني والثالث وخاصة في الرابع.

وفيها يقول [كامل]:

يـا أمّـةً كفَـرَت وفي أفواهِهـا الـ
قُرآنُ فيـهِ ضَلالهُـا ورَشادُهـا

---

(١) المقطوعة ٦٠ وفيها الأبيات الثلاثة لاغير. وانظر فيما يتعلّق بـ (فدك) التعليقة (٢) من شرح المقطوعة، و(عتيق) اسم أبي بكر الصديق ﵁.

أَعَلــى المنــابِرِ تُعلِنــ ـونَ بِســبِّـهِ
وبسيفِهِ نُـصِبَتْ لَكُـ ـم أعوادُهـ ـا؟

تِلــكَ الــضغائِنُ بيــنَكُم بدريّــ ـةٌ
قُتِلَ (الحُسَيْن) ومـا خَبَـت أحقادُهـا

والله لــولا (تَيْمُهــا) و (عَدِيهــ ـا)
فَرِقَ الخـلافَ (يَزيـدُها) و(زِيادُهـا)

ضَــرَبَتْكُمُ في (كــربلاءَ) صَــوارِمٌ
(يومَ السقيفةِ) مُزِقَـت أغمادُهـا...[1]

فيها يذكر أن قريشًا تألبت على (عليّ)، وحسدته على ما آتاه الله من فضله، وعلى سبقه إلى الإسلام وكفاحه في سبيل تثبيته، وأنه الإمام المنصوص عليه في القرآن.

بل يظهر تشيّعه حتى في مدحه للعباسيين حين أقام لهم الخطبة محمود بن نصر المرداسيّ تحت وطأة السلطان ألب أرسلان السلجوقيّ. وكان النفوذ الفاطمي آنذاك منعدمًا أو شبه منعدم بالشام للظروف السياسية والاقتصادية القاسية التي كانت تمرّ با مصر في ذلك العهد.[2]

---

(١) المقطوعة ٧٨، الأبيات ٤-٨، يرجع إلى الشرح للإشارات التاريخية والعقائد المذهبية.

(٢) دامت هذه الأزمة من سنة ٤٥٧هـ إلى سنة ٤٦٤. قال ابن الأثير في حوادث ٤٦٢:((وفيها كان بمصر غلاء شديد، ومجاعة عظيمة، حتى أكل الناس بعضهم بعضًا، وفارقوا الديار المصرية، فورد بغداد منهم خَلْق كثير هربًا من الجوع، وورد التجار، ومعهم ثياب صاحب مصر وآلاته، نُهِبَت من الجوع وكان فيها أشياء كثيرة نُهبت من دار الخلافة وقت القبض على الطائع لله سنة ٣٨، ومّما نُهب أيضًا في فتنة البساسيريّ... وقال ابن الفضل يمدح القائم بأمر الله،

خطب محمود للقائم بأمر الله العباسيّ فيما يروي ابن العديم، يوم الجمعة ١٩ من شوال سنة ٤٦٢هـ. فلقب بالأمير الأجلّ، حسام الدولة العباسّية، زعيم جيوشها الشامّية، تاج الملوك، ناصر الدين، شرف الأمة، ذو الحسْبين، خالصة أمير المؤمنين. ووصلته الخِلَعُ من الخليفة العباسي ومن ألب أرسلان فمدحه ابن سنان بقصيدة طويلة متباهًيا بشعره في أوّلها وفي آخرها(١)، مشيدًا بمناقب محمود غير عابئ بالعباسيين، بل لا يراهم إلاّ من

يمدح القائم بأمر الله، ويذكر الحال بقصيدة فيها [طويل]:

لقَــد عِلِــمَ المَــصريّ أنّ جُنــودَه سِنو يوسـفَ منـها، وطـاعونُ عِمْـوَاسِ

أقامــت بــه حــتى اســترابَ بنفــسِهِ وأوجــسَ منــه خيفــةً أي إيجــاسِ

(الكامل١٠/٦١-٦٢)

عِمْوَاس - بتسكين الميم للضرورة: كورة من فسلطين بالقرب من بيت المقدس. ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب (رضه) في سنة ١٨هـ. فمات الآلاف من المسلمين (ياقوت : مادة عمواس. وابن الأثير: ٢٠/ ٥٥٨ - ٥٦٠، والبلاذريّ، فتوح البلدان، ص ١٨٨. وهي فيهما بفتح العين والميم).

(١) زبدة الحلب، ١٦/٢-٢٣؛ وابن الأثير في حوادث ٤٦٣ يقول:((في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لأمير المؤمنين القائم بأمر الله، وللسلطان ألب أرسلان.

وأرسل الخليفة إلى محمود الخلع مع نقيب النقباء طراد بن محمد الزيْنيّ، فلبسها، ومدحه ابن سنان الخفاجي، وأبو الفتيان ابن حيوس. وقال أبو عبد الله بن عطّية يمدح القائم بأمر الله، ويذكر الخطبة بحلب ومكّة والمدينة [بسيط]:

كــم طــائعٍ لــكَ لم تجلــبْ عليــه، ولم تعـرفْ لطاعتِـهِ غيـرَ التقَـى سَبَبـا

هــذا البَــشيرُ بإذعــان الحِجــازِ، وذا

خلال ممدوحه. يقول في هذه الميمّية [كامل]:

شـرقًا (بـني العبـاس) إنّ حُـسامَكُم
ماضٍ يُطبـق في العِـدَى ويُـصمـمُ

حملَـت لـواءَكمُ (الـسحابَ) أنامـلٌ
أندَى عليه مـن الـسحابِ وأكـرَمُ

فكأنمـا حَكمَـت علـى عَذباتـهِ
ألاّ يفارقَهـا النـسـورُ الحُـومُ

لولا (ابنُ نـصرٍ) مـا أطـل علـيكمُ
رُكْنُ (الحَطيمِ) و لا سـقاكُمْ (زَمـزَمُ)

وَنظـرتُمُ تلـكَ المعَالِـمَ حَجْـرَةً
عنكُم كما نظـرَ الثـراءَ المُعـدِمُ

لكن أعـادَ لكـم تُـراثَ مُحمـدٍ
طَعنٌ تُرَد بـه الحقـوقُ وتُغْـرَمُ

فـالآن سَـلمتِ القلـوبُ إليكُـمُ
وَتيقَنَـت أنّ الخلافـةَ فيكُـمُ

ما كـان حَملُكُـمُ (القَـضيبَ) بنـافعٍ
حتّى يضافَ إليه هـذا المِخْـذَمُ [1]

هجاء للعباسيين مرير ظاهر في كل بيت وإيهام لا يخفى على القارئ وعداوة متأصّلة بيّنة. وما كان ابن سنان الشاعر الشيعيّ المخلص لعقيدته المتفاني في حبّ آل البيت ليقدر على مدح خليفة عباسيّ.

داعِـي دمـشقَ، وذا المبعـوثُ مـن حَلَبـا
(الكامل ١٠ /٤٦٣)

(١) القصيدة ١٣٠، الأبيات ٢٦-٣١ و ٣٥-٣٦.

شعره:

لم يكن ابن سنان من الذين وقفوا حياتهم على قرض الشعر و لا كان من المكثرين فيه. إنّما كان نظمه -لاسيما في صباه- خطرات يرفّه بها عن نفسه أو محاولات يقلّد فيها أستاذه أبا العلاء المعريّ في لزومياته وفي ديوانه ((استغفر واستغفري))، أو إخوانيات يجيب بها رفيق صباه أبا عليّ بن منقذ أو يبدهه بها، أو يداعب فيها بعض أصدقائه ممّن يجمعه بهم مجرّد المودّة ومحض التأنس.

نظم في صباه ستًّا وستين قطعة لا يتجاوز معظمها البيتين والثلاثة وإن كانت اثنتان منها تبلغ ستّة وأربعين بيتًا. وأكبر الظنّ أنّها في مجملها مختارات من قصائد ضاعت أو لم يثبت منها الشاعر إلاّ ما رآه جديرًا بالإثبات. ولعلّ أكثرها يتراوح بين الاحتمالين: منه الضائع ومنه المختار، أو المُقْتَطَعُ من قصائد كاملة في أصلها كالداليّة التي رثى بها أبا المغيث منقذ بن نصر بن منقذ المتوفّى سنة٤٣٩. والمصادر مجمعة على ذلك؛ نجد في مقدّمة البيتين المثبتين في النسخ: ((وقال في صباه **من أبيات** رثى بها...)) [كامل]:

عَزَبَـتْ خَلائقُـكَ الحِـسانُ غَريبـةً
ورمـى الزمـانُ دُنوهـا ببعـادِ

ذهبتْ كما ذهـبَ الربيـعُ وخلّفَـتْ
فيـضَ المقيـلِ حـرارةُ الأكبـادِ

والحقيقة أنّ القارئ يجد نفسه في هذا النوع من المقطوعات أمام شاعر ناضج وفنّ باهر بإبداعه المبكّر، وأنّ بعض نماذجه يظهر مبتورًا غامضًا يحتاج إلى ما يوضّح مقاصده. وذلك ما يقوّي اعتقادنا أنّ ما بقي منه جزء من كلّ.

ويتراوح شعر صباه بين الحنين إلى الأوطان والشوق إلى العهود المشرقة والصبابة وعذل العواذل ورثاء الأهل والأحباب وبين الفخر والحماسة والتغنّي بالمكارم والتباهي بالنسب؛ يضاف إلى ذلك العتاب وتوعّد الأعداء وهجاؤهم وتهنئة بعض الأمراء بألقاب نالوها.

ونظم على طريقة أستاذه أبي العلاء المعريّ ستّ لزوميّات جدّ قصيرة قلّده فيها في الشكل والمضمون ولم يدرك شأوه؛ كما ترسّم خطاه في أربع مقطوعات لا يتجاوز مجموع أبياتا مائة واثنين وعشرين. نظمها في صباه واختار لها من العناوين «استغفر واستغفري»[1]. وهو عنوان لكتاب شهير ألّفه المعريّ. وسمّاه ابن أبي أصيبعة «كتاب الاستغفار». وهو كتاب في العظة والزهد والاستغفار، منظوم في مائة وعشرين كرّاسة ونحو عشرة آلاف مقطوعة.

نظم ابن سنان مقطوعاته الأربع في العظة والزهد وبعض القضايا التي كانت مطروحة في عصره، كالتنجيم واختلاف الناس في خلود النجوم والتغذّي بحيوان البرّ والبحر؛ بل نجد فيها الفخر والعتاب كذلك. وهو في آخر قصيدة من هذا النمط (ق ٦٨) شديد التأثّر باللزوميّات. والحقيقة أنّ الشاعر كان يرمي، بأثر من أستاذه، إلى مجرّد التمرّن على هذا النوع من القريض لأنه يرى فيه تكلّفًا؛ وينصّ في كتابه «سرّ الفصاحة (ص١٧٣) على أنّه معيب». يقول «وليس يغتفر للشاعر إذا نظم على هذا الفنّ لأجل ما ألزم نفسه ما لا يلزمه شيء من عيوب القوافي، لأنه إنّما فعل ذلك طوعًا واختيارًا من غير إلجاء ولا إكراه، ونحن نريد الكلام الحسن على أسهل الطرق وأقرب السبل، وليس بنا

---

(١) ذكره القفطيّ في «إنباه الرواة على أنباء النحاة» ٦٥/١؛ والحمويّ في «معجم الأدباء» ١٦١/٣؛ وابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» ص ١٣٠. انظر غير ذلك من المراجع في «تعريف القدماء بأبي العلاء المعريّ» ص ٣٩٧.

حاجة إلى المتكلّف المطّرَح، وإن ادّعى علينا قائله أنّ مشقّة نالته وتعبًا مرّ به في نظمه)).

وإنّما الأبرز في شعره والذي خصّه بقصائد طِوال فنّ المديح، وبه اشتهر، فرثاء الأهل والأحباب فالتأملُ في الحياة. أمّا الغزل المحض والوصف الخالص والهجاء المستقلّ بذاته فقلّما ترد في ديوانه. وأكثرها راجع إلى عهود صباه ولا يتجاوز ثلاثة أبيات أو أربعة، ونادرًا ما يبلغ السبعة إلاّ أن يكون مختارات من منظومات لم تصل إلينا كاملة.

وهو في بناء قصيدة المدح َيحْذُو حَذْوَ القدماء؛ فلا يخرج عن الإطار الذي رسمه ابن قتيبة في كتابه ((الشعر والشعراء)) ونسبه إلى بعض الأدباء، جاعلاً منه قانونًا لا ينبغي أن يتجاوزه الشاعر بأّية حال من الأحوال: بكاء على الأطلال الدارسة والأماكن المتروكة نَبًا للأمطار والسوافي، المشحونة بالذكريات الطّيبة وبالعواطف المضطرمة؛ فنسيب يشكو فيه الشاعر شدّة الوجد وألم الفراق و((يستدعي به إصغاء الأسماع إليه فتتعطّف نحوه القلوب))؛ فوصفٌ لما عانى من نصب في تنقلّه إلى الممدوح وما كابدت معه ركائبه ورفاقه من سهر وَسُرًى وحرّ هجير، وما قطعت من فلوات مضنية مرهقة؛ فانتقال إلى الغرض الشعري المقصود وغالًبا ما يكون المدح. وخيره ما كان وسطًا بين طرفين:لم َيطُلْ فيخطئ هدفه ولم يقصر ِقصرًا يكون مدعاة لضروب من التأويل[1].

هذا بناء قصائد ابن سنان في جملتها وفي فن المديح. ولم يشذ عمّا ذكر ابن قتيبة إلاّ في القسم الأول وهو البكاء على الأطلال فتارة يهمله وأخرى يثّني به وثالثة يذكره عرضـًا وقد يورده في غير المديح كما فعل في القطعة الثامنة والخمسين وهي في الشوق والحنين.

(١) انظر الشعر والشعراء ١/٧٤-٧؛ بتحقيق أحمد محمد شاكر وشرحه. ط.دار المعارف بمصر١٣٨٦/١٩٦٦.

حافظ على هذه الطريقة في بناء قصيدة المدح لأنه كان عربيا أعرابيا وفيًّا لتقاليده، ولأنه تقلّب في بيئة تغلب عليها البداوة ومُثُلُها الخلقية. مدح الحسن بن علي بن ملهم وأبا علي ناصر الدولة الحسين بن الحسن بن عبد الله الحمداني وعلي بن مقلد المنقذي وبعض أمراء بني مرداس وكانوا كلهم من قبائل عربية عريقة في أصلها لم يأخذوا من أسباب الحضارة إلا بمقدار.

وشذّ عن هذه القاعدة بعض القصائد كالرائيّة التي مدح بها أبا علي ناصر الدولة الحمداني بعد استظهار العبيد عليه، وغدر العرب له وتقاعسهم عن نصرته في وقعة من وقائع الصعيد بمصر. وهي أول قصيدة مثبتة في الديوان. تتميّز ببراعة مطلعها الذي تبين ألفاظه أنّ الممدوح خاض معركة هُزِمَ فيها [بسيط]:

الـــسيفُ مُنـــتَقِمٌ والجَـــد مُعتَـــذِرُ

ومـــا عليـــكَ إذا لم يُـــسعِدِ القَـــدَرُ؟

وتعضُده الأبيات السبعة الأولى. فهي أشبه ما يكون بمدخل لمقالة أدبيّة معاصرة يمهّد به صاحبه لصُلْب المادّة. بل المدح في هذه الرائيّة البديعة وإن كان على النمط القديم يخدم وحدة الموضوع و يجعله متماسك الأجزاء لأنه يصبّ كلّه في خطّة مدروسة قويّة الإيحاء واضحة المعالم لمن يدرك الملابسات التاريخية لتلك الحقبة.

وشذّ عن هذه القاعدة أيضًا منظومات أخرى قليلة كالدّاليّة التي مدح بها محمود بن نصر المرداسي عندما فتح حلب سنة ٤٥٧هـ. والتي يبّين مطلعها أنّ الأمير المرداسيّ خاض معركة انتصر فيها على أعدائه [طويل]:

أبى اللهُ إلاّ أن يكـــونَ لـــكَ الـــسعدُ

فلــيس لهــا تبغيــهِ منْــعٌ ولا رَد[1]

القصيدة كلّها مخصّصة لموضوع واحد لا يحيد عنه الشاعر قِيدَ أنملة، وهو فتح محمود لحلب وهزيمة أعدائه هزيمة منكرة والإشادة بمناقب الممدوح.

إلاّ أنّ الشاعر في معظم قصائده يترسّم خُطا القدماء فيصف عناء السفر إلى الممدوح ببراعة فائقة، وحسّ مرهف، وفنّ يعرف كيف يعطيه طابع الأصالة، وكيف يخرجه في قالب جديد وإن سُبِقَ إليه: فياف شاسعة مضنية ومطايا تكابد طول السير وحرّ الهجير، ورياح عاتية، وسهر دائم وليل طويل بعيد سَحَرُهُ، وغير ذلك ممّا لا تكاد تخلو منه قصيدة قديمة في المدح. لكن ابن سنان يطعّم كل ذلك بما يحبّبه إلى النفس ويضفي عليه الحياة باستعارات مكنّية يعرف كيف يوظّفها، ويجعله نابضًا بنبضات قلبه، متلاحمًا، متناغمًا هادفًا إلى غاية واحدة ساميَة يهون معها ركوب المصاعب.

وللنسيب حيّز كبير في قصيدة المدح ينهج فيه نهج القدماء ونهج معاصريه من القرنين الرابع والخامس. وهو نسيب مشرق الديباجة، مؤثر، تجيش فيه عاطفة الشاعر، ويمتزج فيه الألم واللذّة والخوف والرجاء، وذكريات الماضي السعيد، ووطأة الحاضر بتناقضاته وأعبائه الثقال. حبّ عارم طغى على الشاعر وعلى رفاقه في الأسفار المضنية وحتى على المطايا؛ وطبيعة حانية عليهم تشاركهم أشجانهم بل هي مسخّرة لخدمتهم، تطالعهم بالأخبار تصريحًا وتعريضًا وتحمل إليهم الرسائل أو تبلغها عنهم. لذلك يكثر ورود الرعود والبروق والغمام والصبا والبان والخزامى وما إلى ذلك ممّا له صلة بالحبيب أو يذكّر به. ومن أمثلة ذلك [سريع]:

لاحَ وعِقْــدُ الليــلِ مَسْلــوبُ

بــرقٌ بنــارِ الــشوقِ مَــشْبوبُ

---

(1) ق. ١٢٢.

طَـوى الفـلا يَـسألُ عـن (حـاجرٍ)
وهْـــوَ إلى (رَامـــةَ) مَجلـــــوبُ
ضـلالة للبـــان فـــي طّيهـــا
شُــكرٌ وللقُمـــري تَطريـــبُ
وعـــارض يجمـــع نُـــدّادَه
زَجْـــرٌ مـــن الرّعـــد وتَرْهِيـــب
عقـــدتُ أجفانـــي بُدّابـــهِ
فَهْـــوَ بمـــاء الـــدمع مَقطـــوبُ
أســألـه عنكـــم وفـــي برْقـــه
سَـــطْر مـــن الأخبـــار مَكتـــوبُ
فليتَـــه أظهـــرَ مـــن (جَوْشَـــنٍ)
مـــا كتمَـــت تلـــك الأهاضـــيبُ
أو ليـــتني أذهـــلُ عـــن ذِكركُـــم
فإنّـــه هَـــم وَتعذيـــبُ[1]

ومنها [كامل]:

يا بـرقُ طـالِعْ مـن ثنّيـة (جَوْشَـنٍ)
(حلَبـا) وحـيّ كريمـةً مـن أهلـها
واسأله هـل حمـلَ النـسيمُ تحّيـةً
منها فـإنّ هُبوبَـهُ مـن رُسلِهـا[2]

والطبيعة كتاب يتضمّن كلّ ما يريد الشاعر أن يعرف من أخبار في صلته بمحبوبه. وقد بيّنا في شرح إحدى المقطوعات أنّ هذه عقيدة قديمة

(١) ق٣، ب ب : ١-٨
(٢) ق ٨، ب ب : ٩-١٠

عرفتها جميع الأمم في جاهليتها الجهلاء وتوارثتها الأجيال، ومنها نشأت العرافة والكهانة والعيافة وما إليها. وأفاد منها الأدب العربيّ وغيره من الآداب. ومازالت آثارها إلى اليوم.

ومن أهمّ ما يلاحظ في النسيب الممهد لقصائد المدح أو التشبيب المستقلّ بنفسه أنّه غزل عفيف لا أثر فيه للوصف الحسيّ، أو لما يخدش الأعراض والكرامة. فالشاعر يصدر عن المبادئ المتعارف عليها في البادية، والتي يؤمن بها كلّ عربيّ أصيل ويحترمها. وليس لنا ما يدلّ على أنّه شغف بامرأة معّينة إلاّ ما يستشفّ من عينّية نظمها في صباه يشكو فيها قومه لأنّهم عتبوا عليه أنّه أحبّ امرأة دعاها (سليمى) وتغنّى بحّبها. وقد يكون الاسم مستعارًا [بسيط]:

ذَنبي إلى القومِ أنّي مـا حملـتُ لَهُـ ـم
قلبًا ذلـيلاً وكفّـا غيـ ـرَ مِـضيـاعِ

وأنكـروا بِـيَ أسقـ ـامًا مؤرقـ ـةً
ولوعـةً تتـوارى بيـ ـنَ أضـ ـلاعي

وما عليهم إذا ما قُلـتُ مـن طـ ـربٍ
يا ديمةَ الغيـثِ حيـي سَـرحةَ القـاعِ

نَعم أُحِب (سُلْيمى) فـاهجروا عَـذَلي
والقلـبُ قلـبيَ والأوجـاعُ أوجـاعي

وإن دعاني الهَـوى لبيـ ـتُ دعوتـ ـهُ
والحُب أكرمُ مـا لبّيـتَ مـ ـن داعِ(1)

وفي بعض القصائد يسمي محبوبته (عذيبة) [طويل]:

فإنّ بقلـبي مـن فِـ ـراقِ (عُذيّبـ ـةٍ)

---

(1) ق.17 ب ب : 9-13.

طِماعَـةَ شـك لا عَـراني يَقينُهـا![1]

هذه أهمّ طرائقه في تمهيده للمدح. وهذا الغرض لا يخرج فيه عن النمط العربي القديم، وهي الإشادة بفضائل الممدوح في علاقته بعصره وبالمجتمع الذي يعيش فيه ويتعامل معه، والتغنّي بكمال رجولته، وهي ما يطلق عليه العرب لفظ **المروءة**. وقوامها أصالة المعدن وكرامة المحتد، والسعي إلى إثراء المجد التالد بالمحمدة الطريفة. وبذلك تكون الصلة وطيدة بين الخلف والسلف، بين الفرع والأصل والفرد والأسرة بالمعنى القديم للفظ وبين البطون والقبيلة، فالمحامد مشتركة والمناقب متقاسمة.

فابن سنان لا يفصل في مدحه بين الفرد وقومه، بل يعدّهم كائنًا واحدًا أو كالكائن الواحد، يقول في الرائيّة التي مدح بها ناصر الدولة أبا عليّ بن حمدان وهي الأولى في ديوانه (بسيط) :

حَـدثْ ببـأسِ بـني حمـدانَ في أُمـمٍ
تأتي، فقـد ظهـرَت في هـذه النـذُرُ
واذكرْ لَهُم سِـيَرًا في المَجـدِ مُعجَـزةً
لولا الـشريعةُ قُلنـا إنّهـا سُـوَرُ
قـومٌ إذا طلـبَ الأعـداءُ عيبَهُـمُ
فمـا يقولـونَ إلاّ أنهُـم بَـشَـرُ
الـسّابقونَ إلى الدنيـا ببأسِهـمُ
ما أورد الناس إلاّ بعـدما صـَدَروا[2]

وفي رائيّة أخرى يعدّد الأمراء الحمدانيين جاعلاً ألقابهم أصولاً

---

(1) ق.٤٦ البيت الأخير.

(2) ق.١ ب ب: ١٨-٢١.

لألقاب غيرهم [طويل]:

من القـومِ سَـنوا للملـوكِ شَريعـ ـةً
من الـ ـدِ كانـت أغفَلَتـها دُهورُهـا

فإن يُمْـنَحِ الألقـابَ قـومٌ سـواهُمُ
فأوّلُهـا مـن عِندِهِـ ـم وأخيرُهـ ـا

لهـم سَـيفُها وسَـعدُها وسَعِيدُهـ ـا
وناصِـ ـرُها وفَخرُهـ ـا ومُنِيرُهـ ـا

كـ ـأنّكُمُ والأرضَ أبنـ ـاءَ ليلـ ـةٍ
فما عُرِفَـتْ إلاّ ومـنكُم أميرُهـا[1]

هذا شأنه مع كلّ ممدوح. أمّا الصفات الفردية فثابتة أيضًا شأنه فيها شأن غيره. هي الشجاعة والشدّة والبأس، والتمرّس بالمكاره، والذّبّ عن المحارم، والدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين، والنجدة والعدل والحزم والعزم وحسن التدبير، وبعد النظر في عواقب الأمور حتّى ليكاد يرى المستقبل - وهو معنى متعاور عند الشعراء - واتقاء أعدائه لغوائله، وانتصاره في الحروب، والبذل بسخاء وأريحّية.

ولقصائده التي مدح بها محمود بن نصر بن صالح المرداسيّ مكانة خاصّة، لأنّه لزمه أكثر ممّا لزم غيره، وخَبَرَهُ طويلاً فعرف طباعه وخفاياه. كان رسوله إلى ملك الروم في حربه مع عمّه عطّية بن صالح، وواليه على قلعة عزاز في أخريات حياته. وكانت العلاقة التي تربطهما بين الجزر والمدّ وفقًا للظروف. وكان شعر ابن سنان يعكس هذه العلاقة بوضوح. ناصر الشاعر الأمير المرداسيّ رغبة ورهبة ومدحه كذلك طمعًا وخوفًا: رغب في بذله وفي مكافأته على خدمته له بالعطاء

(١) ق.٩ ب ب: ٣٠- ٣٣.

الجزيل وبولاية طال انتظاره لها. إلاّ أنّه وجد أنّ الأمير يفضّل غيره عليه فحزّ ذلك في نفسه. فكان يعاتبه من حين إلى آخر عتابًا يُجْهِدُ قريحته ويجعله في موقف حرج، لأنّه يخاطب أميرًا يعرف بأسه وبطشه، ولأن التوفيق بين المدح والعتاب يدخل الضيم على أحد الفنّين أو عليهما جميعًا. فلا الشاعر يبلغ مراده ولا الممدوح يرضى بمديح أقلّ ما يقال فيه أنّه هجين. ومثل هذا كثير في الديوان.

ويضرب الأمثال لمحمود مقابلاً إخلاصه له في مودّته بـ"انتهازية" المفضلين عليه من الشعراء [رمل]:

لــيس مَــن يعْبُــدُ ربــا واحــدًا
مثــلَ مَــن يُــشرِكُ فيــه الوَثَنــا[1]

وفي هذه النونيّة ما يوحي بأن العلاقة سيّئة بين الشاعر والأمير، وأنّ أعداءه سعوا به فهو يدفع عن نفسه ما اتّهموه به:

كــلّ يــومٍ لِــيَ منــهم نَوْبَــة
تَــذَرُ الحُــرّ بــهـم مُمْتَحَنــا
فَتَنبـهْ لمخاريقِهـمُ
مــا عهــدنا منــك هــذا الوَسَــنَا[2]

وَعَجُزُ البيت الأخير ليس ممّا يُخاطب به أمير كمحمود. وابن سنان وهو صاحب ((سرّ الفصاحة))، والشاعر الذي أعجب بشعره القاصي والدّاني، لا يخفى عليه ذلك. وهو تجرؤ لا ندري سببه، لاسّيما

(١) ق. ١٢٤ البيت الأخير.

(٢) ق. ١٢٤، ب ب: ٣٥، ٤١.

إذا تتبعنا القصيدة ووجدنا فيها أنّ الممدوح يتوقّع من ممدوحه، ولو بمجرّد القول، ما لا تحمد عقباه، ويشّبهه بالدهر يَقْلِبُ لصاحبه ظهرَ المِنّ على حين غفلة منه. وهذا أيضا لا يصبر عليه ممدوح:

يــا عمــادَ المَلْـكِ نعتًـا صــادقًا
ومــن الألقــابِ مَــيْنٌ، والكُنَــى

لا أرى عُتْبـكَ إلاّ ظـاهرًا
خـيرُ شَـكوى عاشـقٍ مـا أعلنـا

كنــت ترمــي زمــني بي فلقَــد
صـرتُ أخـشى أن تكـونَ الزمَنـا[1]

شعر مضطرب المضمون ينافي آخره أوله، ويحاول صاحبه تلطيف وقع البيت الأخير على الممدوح، فلا ينجح في ظاهر الأمر ويخطئ مرماه في نظرنا. ولعلّ في الشاعر حدّة مِزَاجٍ لا يستطيع التغلّب عليها، وفيه صراحة البدويّ وغلظته اللتان لا يفيد معهما التفنّن في القول. بل لعلّ ذلك من دواعي تأخيره عن أضرابه من شعراء المرداسيين.

ويرى ابن سنان نفسه أكبر شعراء عصره، وهي دعوى لا تكاد تخلو منها قصيدة مدحٍ مهما كان الممدوح. فشعره، في نظره، يتضوّع كما يتضوّع الزهر. وهو السحر الحلال و«درّة الغواص» ، والأنموذج الذي ينبغي أن يحتذى، والسهل الممتنع إلاّ على صاحبه الذي لا يضاهيه في فن القريض غير الشريف الرضيّ، وفي غزارة العلم سوى الشريف المرتضى. يخاطب أبا الحسن عليّ بن مقلّد فيقول [كامل]:

فِكَرٌ أقـود بـه الجَمـوحَ كأنمـا

---

(١) ق. ١٢٤، ب ب : ٢٨-٣٠.

طَبْع الرضِـي لـه وعِلـمُ المُرتَـضَى[1]

وكثيرًا ما يجعل قصيدة المدح أبى عروس تزفّ إلى خاطبها والبدر تاج لها والنجوم نطاق، أو يُدِلّ بها على الممدوح، وقد يبالغ في الاعتداد بموهبته الشعرية [كامل]:

قـد غـادرَ الـشعَراءَ مَـن يترنـمُ
إن كـان يُـسمَع مـا أقـولُ وُيفهَـمُ
لا تحَفِلَـن إذا بقيـتُ بناطـقٍ
غيري فلـيس مـع الفُـراتِ تَيمـمُ
ودَعِ الكـلامَ لمـن يـسيرُ ثَنـاؤُهُ
والـريحُ حـسْرى والكواكـبُ نُـوَمُ
قـد كـان قبلَـك واهبـونَ وفـاتَهمْ
مـدحي فمـاتوا والمواهِـبُ مَعْهُـم
لم يبـقَ بعـدهُمُ حـديثٌ سائـرٌ
فيهـا ولا حـادٍ بهـا يترنّـم[2]

وفي القصيدة نفسها يذهب إلى تشبيه نظمه بالقرآن الكريم:

لـو كـانَ في نَظـمِ القَـريضِ نُبُـوّةٌ
صلّى علـي الـسامِعونَ وسَلمُـوا[3]

وقد يغلو كذلك في وصف الممدوح متجاوزًا به حدّ المعقول، وإن كان الشعر، في نظر أصحابه، لا يتقيّد إلاّ بحدود الفنّ، وبما يحقّق له بلوغ أقصى غايات الجمال والروعة. يقول في رائيّة مدح بها ناصر

---

(١) ق.٨٥، ب. ٤٠.
(٢) ق. ١٣٠، ب ب: ١، ٣- ٥.
(٣) ق. ١٣٠ البيت الأخير.

الدولة بن حمدان [طويل]:

فلو أضمَرَتْ فيك الكواكبُ غَدْرةً
تحيَّرَ هاديها وضَلَّ بَصيرُها
ولو خالَفَتْ أفلاكُها ما تريدُهُ
لأنزلها قَسْرًا إليكَ مُديرُها
ولو كَتَمَتْ عنك القلوبُ سَريرةً
تُريُكَ ما ضُمتْ عليها صُدُورُها[1]

ولا يخفى أنّه ينظر في البيتين الأولين إلى قول المتنّبي في مدح كافور [طويل]:

لَو الفَلَكُ الدّوّارُ أبغَضتَ سَعيَه
لَعوقَهُ شَيءٌ عَن الدَوَران

وإن كان في بيت المتنبيّ خلفّية يعرفها من خَبَرَ شعر أبي الطّيب في كافور[2].

وفي الديوان مقطوعة تذكّر بـ «حديث الأشباه» المروي في معظم مؤلّفات الإماميّة، لاسّيما في القرنين الرابع والخامس، والذي نظمه كثير من شعرائهم. إلاّ أنّ ابن سنان يتجاوز مضمونه بجرأة غير منتظرة منه وبطريقة فنّية رائعة [كامل]:

أغْنى جَزيلُ نَداكَ يا ابن مقلّدٍ
شُكري وقَصرَ عنكَ جهدُ ثنائي
وصفوا بياضَ يَدِ الكليم بمُعجزٍ
فيه وكم لك من يدٍ بيضاءِ!
واستَطرَفوا إحياءَ عيسى ميتًا

(١) ق. ٩، ب ب: ٥٠-٥١،٥٣.

(٢) الديوان ٤/ ٣٧٨.

فــرْدًا، وجُــودُكَ باعِــثُ الفُقَــ ـراءِ

ورأوا، وقــد طَلَــعَ الــسّماءَ، محمّــدًا

عَجَبًا، وقَدرُكَ فوق كــل سَمــ ـاءِ [1]

أورد ابن الصيرفيّ في كتابه ((الأفضليّات)) (ص ٤١) البيتين الثاني والثالث وعدّهما من ((مليح الشعر)).

وإذا ما أنعمنا النظر في المقطوعة وجدنا الشاعر يقابل أعجازها بصدورها، وأنّ هذه الأعجاز من مبتذل القول ومّما لاكته الألسن. فالممدوح الأمثل في الأدب العربي من له الأيادي البيضاء على الناس ومن يعمّ جودُه رعيّته فينعش الفقير وكأنّه يبعثه من جديد، ومن يسمو فوق كلّ سام. وإذا أخذنا هذا القول على ظاهره وبالمنطق العاديّ كان كلّ مُمَدحٍ في الشعر العربي أفضل من أولي العزم من الرسل. والأعجاز كلّها على المجاز والصدور جميعها على الحقيقة. وابن سنان يوهم بأنّه جادّ في مقابلته؛ وهي محض تفنن في القول، لاسّيما إذا عرفنا أنّ المخاطب من أعزّ أصدقائه ومن الشعراء المبدعين الذين يعرفون تصريف الكلام ووجوه التعبير. فلا مغالاة في المقطوعة. و ذلك ما أدركه ابن الصيرفيّ بطريقته الخاصّة وبرهافة حسّه فأعجب بالبيتين اللذين أوردهما.

ويقول في ظهير الدولة أبي الحسن عليّ بن عبد الرحيم [كامل]:

ما كــان يُعلَــمُ قبــلَ فَــيضِ نَوالِــ ــهِ

أنّ الغَمــ ــامَ إذا اســ ــتَهَل بَخيــ ــلُ

فُرِقَتْ عزائِمُــهُ فــشابَ لهــا الــدُّجى

خوفًـــا وأثـــرَ في الهِـــلالِ نُحـــولُ

لــو أنّ للأيــ ــامِ نــ ــارَ ذكائِــ ــهِ

(1) ق. ٨٨، ب ب: ١-٤.

مــا كــان فيهــا بُكــرةٌ وأصــيلُ[1]

وليس هذا أيضًا بغلوّ في المدح إنّما نراه مبالغة بالمعنى الأصيل للفظ وهو أن يبلغ الشاعر بالفكرة أقصى حدودها، بشرط ألاّ يكون ذلك معيبًا ينافي الذوق السليم ويصدم المشاعر. هو على حدّ قوله تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ (الدخان: ٢٩) وقول أبي العلاء المعريّ في سيف ممدوحه [وافر]:

يُــذيبُ الرعــبُ منــه كُــل عُــضوٍ
فلــولا الغِمــدُ يُمــسِكُهُ لَــسالا[2]

ولا تكاد قصيدة المدح تخلو ممّا يعرف في علم البديع بحسن التخلّص، ومنهم من يدعوه الخروج كابن رشيق[3]، ولم يكن يعرفه المتقدمون من الجاهليين والإسلاميين إلاّ في النــزر القليل من منظومهم. نصّ على ذلك ابن سنان وغيره[4]. إنّما اخترعه المحدثون أمثال أبي نواس وأبي تمام والبحتريّ، وبرع فيه المتأخرون وخاصّة المتنّبي والشريف الرضيّ ومهيار الدّيلميّ، وأضرابم كُثُر. قصدوا به الخروج من غرض إلى غرض ومن نوع إلى نوع، لتتلاحم أجزاء القصيدة وتُكوّن وحدة متراصّة البناء . ولم يعودوا يتحمّلون الطفرة والانتقال المفاجئ أو العبارات القديمة مثل «دعْ ذا» و «عد عن ذا» و «بلْ» و«إنّ» في أول المدح كقول البحتريّ [كامل]:

لولا الرجاءُ لَمُــت مــن ألَــمِ الهَــوى
لكــن قلـبي بالرجــاءِ مُوَكــلُ

(١) ق.٧، ب ب: ٢٩-٣١.
(٢) سقط الزند، ص١٦٣
(٣) العمدة: ٢٣٤/١.
(٤) سرّ الفصاحة،ص ٢٥٩.

إن الرعيّــةَ لم تــزلْ فــي سيــرةٍ
عُمَرِيّــةٍ مــذْ ساسَــها المتوكــلُ[(١)]

أصبح المحدثون ومن لفّ لفّهم يتصرّفون في الاستطراد مثلاً من الغزل أو الفخر أو الشكوى إلى المدح أو إلى غرض آخر بما يريح السامع ويوهمه بأن أجزاء القصيدة أُفْرِغت في قالب واحد، وذلك يحرك من نشاطه، لاسّيما إذا كان مترقّبًا للانتقال من الافتتاح إلى المقصود[(٢)].

معظم مدائح ابن سنان على النمط القديم كما ذكرنا فكان لزامًا عليه بعد فطاحل شعراء القرن الرابع ومستهلّ الخامس والنماذج التي شبّ عليها ووعاها أن يسلك سبيل من حفظ لهم الكثير. لذلك نجده مهتما بحسن التخلّص في فنّ المديح، متمرّسًا به، بارعًا فيه؛ فكانت قصائده متماسكة الأجزاء أو كالمتماسكة.

ومن طرائقه في حسن التخلّص من الغزل أنّه في قصيدة مدح بها نصير الدولة أبا علي الحسن بن ملهم يشكو حاله؛ فهو مصدود عن ورود المناهل، مشتّت العزمات، منفق عمره بين الظفر والإخفاق، والأمل واليأس، منخدع بالأماني والوعود الكاذبة. ثمّ يقول [كامل]:

أتــرى اللئــامُ وجَــدهُ بَنَــسيئــةٍ
عَــذراءَ مــا قَطَنَــت بــا الأرزاقُ
لــولا (نَــصيرُ الُملــكِ) طــالَ ثَــواؤُهُ
فيهــا ولــيسَ لأســـرهِ إطــلاقُ[(٣)]

وكثيرًا ما ينتقل من النسيب أو الوقوف على الأطلال إلى هجاء

(١) العمدة: ٢٣٩/١. ولا يوجد البيت الأول في الديوان(ط. دار المعارف).
(٢) يراجع كتاب «نفحات الأزهار...» لعبد الغنيّ النابلسيّ، ص١٢٣.
(٣) ق.٢، ب ب: ١٣-١٤.

أعدائه وترهيبهم بالممدوح؛ أو إلى هجاء أعداء الممدوح نفسه ليؤّكد مناقبه ومثالبهم. وقد يكون العذل والعاذلة توطئة للمدح على طريقة جرير في الحائية الشهيرة التي مدح بها عبد الملك بن مروان[1]. وقد يوطئ بوصف النجوم على غرار ابن هانئ ليصل إلى المدح بالتشبيه؛ وهو أمر طبيعي في منظومة عارض بها فائّية الشاعر الأندلسيّ. وفّنه في حسن التخلص متشّعب متنوع وإن كان في معظمه يعتمد هجاء الأعداء. وقد وفّرت له الحياة السياسية في القرن الخامس ميدانًا فسيحًا في ذلك. فقد كان المرداسّيون في حروب مستمرّة فيما بينهم أو مع العلوّيين والعقيلّيين والكلبّيين. وكان لكل ممدوح أعداؤه. ولعل ذلك ما جعل ابن سنان يسلك سبيل التعريض والتلميح لأنّ مهجوّ اليوم قد يصبح ممدوح الغد. والشعر لا يعرف عدوا ولا صديقًا؛ إّنما يهمّه الكسب والجاه.

وقد يسهب في الخروج وقد يوجز، كما فعل في لامّية مدح بها معزّ الدولة ثمال بن صالح المرداسيّ. ينتقل مباشرة وبمهارة فائقة من وصف أرض المحبوب إلى المدح [وافر]:

سَــقَت (أرضَ الثوّيــةِ) -والغَــوادِي
تاداهـ ــا الأبـ ــاطحُ والـ ــسهولُ

َيمانِيَــ ـةٌ تُــصَفقُهـا الّنعـاَمــ ـى
إذا خطـ ـرتْ وُتلِقحُهـ ـا القُبـ ـولُ

كأنّ يـدَ (المُعِـز) حَنَـ ـت عليهـ ـا
مخافــةَ أن تَــضرّ بــا الــسيـولُ

---

(١) الديوان، ص٩٦.

شَفَى مَرضَ (العَواصِمِ) عَامِري

تَنمّ علَى خلائِقِه الشمُولُ[1]

وقد يأتي به نابيًا مثلما فعل في مدح مخلّص الدولة مقلّد بن نصر بن منقذ [كامل]:

ولعلّ عطفَكَ أنْ يعودَ بمثلِها

بعدَ الرقادِ فربّ يومٍ صالحِ

قد أصحَبَ الدهرَ الأبي قيادُهُ

قسْرًا وفرّجَ كلّ خطبٍ فادِحِ

وهمَى بنانُ أبي المتوّج بعدما

نُسِخَ السماحُ وعزّ صدقُ المادِحِ[2]

فالأبيات كلها متنافرة. يخاطب في الأوّل الطيف، وينتقل فجأة في الثاني إلى الحديث عن الدهر وفي الثالث عن الممدوح. ثمّ إنّه يعطف سماحة الممدوح على لين الدهر وجوده بغير ما اعتاد الناس منه. وفي هذا نوع من الهجاء لابن منقذ؛ فكأنّه قال: لانَ الدهرُ وهمى بنانُ أبي المتوّج. وذلك يوحي بأنّ الممدوح بخيل. لكنّ الشاعر خفّف في عجز البيت الثالث ممّا يتبادر إلى ذهن القارئ أو السامع. ومثل هذا التخلّص نادر في الديوان. بل هو المثال الوحيد الذي وجدناه. وقد يكون هناك سرّ رآه الشاعر ولم نتد إليه.

أمّا الرثاء فلم يبق منه إلاّ القليل إن كان لابن سنان ميل حقيقيّ إلى هذا الغرض من الشعر. وبعض ما ورد في المخطوطات وفي الكتب المطبوعة ناقص. رثى مؤتمن الدّولة أبا الحسن عليّ بن محمّد بن عيسى الحلبي، الكاتب المعروف بابن العمريّ، رثاه بمزّية موصولة تكاد تكون كلّها عيونًا. وكان

---

(١) ق.١٣: ب ب ٩-١٢.

(٢) ق.٧٩: ب ب١٧-١٩.

عطية بن صالح المرداسيّ حَقَدَ عليه فقتله وصلبه(١). ورثى مقلّد بن نصر الكنانيّ برائية موصولة أيضًا نحا فيها المنهج العاديّ في الأدب القديم مِنْ جَعْل الرثاء مدحًا للميّت، وإن اتسمت بالجزالة والجودة(٢). وبكى أمّه وجماعة من أهله بنماذج مؤثّرة تطبعها العاطفة الصادقة الجياشّة(٣). وخصّص لصديقه أبي العلاء صاعد بن عيسى بن سُمَان الكاتب، ثلاث مراثٍ لم يصلنا منها كاملاً إلاّ عينّية جميلة تعبّر عن حزن عميق ووفاء صادق(٤). وما عدا ذلك، من كلّ ما ورد في الديوان، مبتور لا يسمح للقارئ بالحكم له أو عليه. ومنه ما يبّين بوضوح أنّ ابن سنان لم يكن يرتاح إلى هذا الغرض من الشعر(٥).

وأمّا هجاؤه فأكثره سياسيّ يمهّد به للمدح، وما كان مْحوضًا للهجاء نُتَفٌ ترجع إلى عهد صباه وُتشْعِر بأنّ له باعًا طويلاً في هذا المضمار لو أولاه عنايته. ومنه في وصف خامل بخيل [منسرح]:

يَرتَــعُ في ذِمّــةِ الخُمــولِ فمــ ــا
تعـ ـضّ منـ ـه لـ ـواذع الكَلِـ ـم

لــو ضُـــرِبَت بالـــسيوفِ راحتُـــهُ
لمــا تنـــدّت مـــن بخلِـــهِ بـــ ـدمِ(٦)

أسلوبه:

يصعب الحديث عن أسلوب ابن سنان في شعره وأن نجد له ميزة

---

(١) المقطوعة ٦٤؛ وهي ناقصة.
(٢) القصيدة ٨٠.
(٣) القصيدة ١٦.
(٤) القصيدة ٢١. وانظر المقطوعتين ٢٢ و ٢٣.
(5) القطعة ٧٧ خير مثال لذلك.
(٦) ق. ٣٦، ب ب ٣-٤.

خاصّة؛ فقد كان صاحبه ضليعًا بفنّه، واسع الأفق، غزير المادّة، يحفظ من الشعر العربي، على اختلاف عصوره، ما صقل ذهنه وأرهف حسّه وجعله يتمثّل ما استوعب خير تمثّل بالمعنى العلمي المعاصر للّفظ. وقد قيل إنّه كان يتشبّه بالشريف الرضيّ. كان بالفعل معجبًا بالشاعر العلويّ الفذّ؛ فهو القائل في آخر قصيدة يمدح بها صديقه الأمير سعد الدولة أبا الحسن عليّ بن المقلّد بن نصر الكنانيّ: [كامل]

فِكْــرٌ أقــودُ بـــه الجَمــوحَ كأنّمــا
طَبْعُ (الرضِيّ) له وعِلْـمُ (المُرتَـضَى)[1]

وقد سبق ذكرُ البيت مرتين لاختلاف الأغراض الوارد فيها.

وضمّن قصيدة أخرى في مدح الصديق نفسه شطرًا من قافية للشريف الرضيّ. قال [خفيف]:

واعتمدْ مذهَبَ (الـشريفِ) فقـد قـا
لَ: «التـصابي رياضــةُ الأخــلاقِ»[2]

إلاّ أننا نقرأ الديوان فنجد الكثير من الأبيات والتعابير بل وقسمًا مُهما من القصائد يذكرنا بعدد كبير من فطاحل شعراء القرون الخمسة الأولى من الأدب العربيّ. وهذا شأن الشعراء في الآداب العالمية: يبدؤون مقلّدين ثمّ لا يلبثون أن يستقلوا؛ يَردون ثمّ يُصْدِرُون. ومن الصعب، إن لم يكن من المستحيل، أن يتخلّص الإنسان ممّا غذى به فكره طوال شبابه ورسخ في أعماق نفسه ومداركه ولغته. يأتي بعد ذلك العبقريّة التي تأخذ وتعطي وتحوّل القديم إلى جديد بإبداع لا يُعْرَف سره. ذلك شأن ابن سنان وتلك عبقريّته.

أسلوب ابن سنان قديم جديد في مضمونه وفي شكله، في مادّته وفي

---

(١) ق. ٨٥، البيت الأخير.

(٢) ق١,٩١ : البيت الأخير.

تنوّع أشكاله؛ وذلك ما ضمن للشعر العربيّ السير بخطا ثابتة لم تتنكر للقديم ولم تتجاهل محاسن الحديث. فالشاعر مولع بديباجة شعره من غير إفراط وذلك ما طبعه بطابع الأصالة وكساه جدّة ورونقًا يثبتان أنّه صاحِبُه بلا منازع.

لا يحسّ القارئ بأنّ ابن سنان يجهد فكره في النظم، بل يشعر بأنّ التعبير عفويّ وأنّ البيت مسبوك سبكًا محكمًا، لا سبيل إلى تغييره ولو تغييرًا طفيفًا لتماسك أجزائه. لكن الشاعر وهو المشهود له بالتفوق في علم البلاغة يعرف كيف يفيد من هذا الفن بلا إفراط ولا تفريط. لذلك حفل شعره بالصور البلاغية التي تكسوه رونقًا وتزيده جمالاً وتحبّبه إلى النفس؛ قال فيه السمعانيّ: ((وشعره ممّا يدخل الأذن بغير إذن))[1]. وأثنى عليه الكثير من المؤرخين ومؤلفي كتب التراجم ونوّهوا بعبقريّته المبكّرة وأبرز المستشرقون أهمّية كتابه ((سر الفصاحة)) في توضيح مفهوم ((الفصاحة)) كما كان يتصوّره علماء البلاغة آنذاك[2].

ولعلّ بين هذا الكتاب وبين الديوان علاقة حميمة، وإن كان الأول نتيجة التفكير والدراسة المتأنّية، والثاني ثمرة العاطفة المتأجّجة والموهبة الصادقة. في شعره الكثير من فنون البيان والبديع غير المتكلّفة.وذلك ما جعله مشرق الديباجة مستطابًا. وقليلاً ما نجد فيه التفرد بتشبيه أو استعارة أو طباق أو حكمة أو ضرب مثل، أو ما شاكلها من أبواب البلاغة لكنّه يحسن توظيفها، كما يقال في عصرنا هذا ويطبعها بطابعه ويمزجها بعاطفته ويكسوها جدّة و((لكلّ جديد لذّة)) كما يقال أيضًا. وخير مثال لذلك حكمه وأمثاله؛ لا نجد فيها إبداعًا أو عمقًا إنّما يقصد بها توضيح المعنى وتأكيده وذلك، في الحقيقة، دور الحكمة والمثل. وغالبًا ما تكون في عجز

---

(١) الأنساب، ١٥٥/٥.

(٢) دائرة المعارف الإسلاميّة الط. الجديدة ٢ /٨٤٤-٥: النص الفرنسيّ، (ما.فصاحة).

البيت لتؤكّد مضمون صدره. والأمثلة على ذلك كثيرة. يقول في القصيدة الأولى مادحًا أبا عليّ ناصر الدولة بن حمدان وآباءه [بسيط]:

يُثنى عليهم بما تُعطي أناملُهُ
والروضُ يُحْمَدُ في إحسانِهِ المطرُ

فرْعٌ أبانَ جناهُ طيبَ عُنصره
ما يُحْمَدُ العودُ حتّى يُعْرَفَ الثمرُ[1]

ويقول في مدح الحسن بن ملهم، مطريًا قصيدته [كامل]:

لم تَعترِضْها بالحِجابِ نَقيصةٌ
ما كل ما سَتَرَ البُدورَ مَحاقُ[2]

وقد تستغرق الحكمة البيت كلّه [كامل]:

وإذا بَعَثتَ إلى السباخ برائدٍ
يَبغي الرياضَ فقد ظلمتَ الرائدا[3]

ولئن ذكروا بأنّه معجب بشعر الشريف الرضيّ فإنّنا كثيرًا ما نجد فيه أثر المتنبّي والمعريّ ودعبل بن عليّ الخزاعي وخاصّة ابن هانئ الأندلسيّ؛ ينسج على منواله في العديد من قصائده لا سيّما في الطباق والمقابلة والتوفيق بين الأضداد. ومن الشواهد على ذلك [كامل]:

وعلى (الثنية) من (تبالةَ) موعِدٌ
عَقُمَت به الآمالُ وهي وَلودُ

لي في بيوتهمُ القِصارِ أوابدٌ
معقولةٌ باللؤمِ وهْيَ شَرُودُ

(1) ق. ١:ب ب ٢٥،٣٨.
(2) ق.٢ : البيت الأخير.
(3) ق.٦ : ب ١٤

مــن دِيــنِهِمْ أنّ الســماحَ علــيهمُ
فَـ ـرضٌ وأنّ الرّاِفـ ـدَ المَرفُـ ـ ـودُ

حَــي تناســبَ في العــلا فأُصــولُه
أغـ ـصانُهُ والوالـ ـ ـدُ المَولُـ ـ ـودُ[1]

ومثل هذا كثير في شعر ابن هانئ كقوله من دالّية مدح با المعزّ لدين الله الفاطميّ [طويل]:

رَحيبةُ مـ ـد البـ ـاع، وهْـ ـي نتيجـ ـةٌ
بغير شـ ـوًى، عـ ـذراءُ وهْـ ـي وَلـ ـود[2]

وقوله في وصف حرّاقات المعزّ [كامل]:

والحــاملاتُ، وكلّهــا مَحمولــ ـةٌ؛
والنّاتِجــاتُ وكلّهــ ـا عَــ ـذراءُ[3]

ويطول بنا الحديث عن أسلوب ابن سنان ولو بإيجاز. وقد أشرنا في شرح قصائده إلى بعض خصائصه البارزة، وعرضنا قيمتيه الأدبّية والاجتماعّية في مداخل هذا الشرح. وللجانب التاريخيّ أهمّية كبرى في التوفيق بين الروايات المختلفة، الخاصّة بأحداث أواسط القرن الخامس التي عاصرها الشاعر، وعرف مداخلها ومخارجها، وقديًما قيل: ((ليس الخبر كالعِيان)).

نصَصْنا في أماكن عديدة من عملنا هذا على بعض ما اختلف فيه المورّخون وأتيح لنا أن نرجّح ونضعّف معتمدين الديوان الذي نقدمه إلى القارئ آملين أن يتدارك ما فاتنا.

وصفوة القول أنّ ابن سنان شاعر مطبوع، من فطاحل شعراء القرن

---

(١) ق.٤: ب ب٣٠،٢٩،٥.
(٢) الديوان، ص٥٤.
(٣) الديوان، ص١٨.

الخامس. ظلّ مغمورًا إلاّ عند معاصريه وذويه من الخفاجيّين[1] وعند المؤرخين لمدينة حلب. وقد ذكرنا عند الحديث عن آثاره بعض الأسباب التي يرجع إليها، في تقديرنا، إهمال هذا التراث الجدير بكلّ عناية في تاريخ الأدب العربيّ. ولعلّ في شرحنا وتحقيقنا له بعض الإنصاف لصاحبه.

الدكتور مختار الأحمديّ نُويوات

رموز النسخ المخطوطة

١ - م تعني : نسخة مدريد (إسبانيا)
٢ - ك = : نسخة كوبريلي
٣ - ف = : نسخة فاتح (تركيا)
٤ - ق = : نسخة القاهرة (مصر)
٥ - ظ = : نسخة الظاهرية بدمشق (سورية)
٦ - مط = : النسخة المطبوعة ببيروت عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م المقابلة على نسخة المكتبة الخديوية.

رموز أخرى

ق = القطعة
ب = البيت
ب ب = الأبيات

(١) يُفهَم ذلك من ترجمة السمعانيّ لابن سنان. قال متحدثا عن الخفّاجيّين: ((ولقيتُ منهم جماعة كثيرة وصحبتهم؛ والمشهور بالانتساب إليهم الشاعر المفلق (أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن سعيد بن سنان) الخفاجيّ كان يسكن حلب))، (الأنساب ١٥٥/٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

رب يسر ولا تعسر!

*[١]

قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن يحيى بن الحسين بن محمد بن الربيع بن سنان بن الربيع الخفاجي الحلبي يمدح ناصر الدولة أبا علي ابن ناصر الدولة الحسين بن عبد الله بن حمدان(١)،

((*) (القصيدة في النسخ م٣، وظ٣، وف٣٥، وق٤، ومط٥٣ (الرقم المجرد يشير إلى مكان ورود القصيدة في النسخ المخطوطة). وهي من اختيارات البارودي ٣٨٣/٢-٣٨٦.

(١) في م: قال الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي رحمه الله يمدح الأجل ناصر الدولة بن حمدان، وكتبها إليه يشكره على جميل. وفي ق:وقال يمدح الأمير ناصر الدولة. والممدوح، بنسبه الكامل، ناصر الدولة أبو علي الحسين بن الحسن بن الحسين بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبي، آخر أمراء دولة بني حمدان. والمؤرخون يخلطون بينه وبين أبيه تارة في الاسم (الحسين والحسن)، وتارة في الكنية (أبو علي وأبو محمد) أو فيما وليا من الأمور، وكثيرًا ما يكتفون باللقب (ناصر الدولة)، فيدخلون الضيْم على القارئ، فلا يدري من منهما المعني، لأن كليهما وَليَ دمشق للمستنصر بالله الفاطمي، وقاد له الجيوش ضد المرداسيين وضد الخارجين عليه بمصر، وكلاهما حمل لقب ناصر الدولة. فأبو الممدوح ناصر الدولة وسيفها ذو المجدين أبو محمد الحسن بن الحسين، خلف أنوشتكين الدزبري على دمشق في منتصف جمادى الثانية من سنة ٤٣٣هـ، وفي عام ٤٤٠هـ عزله عنها المستنصر ونقله إلى مصر (ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، ص ٨٣). والممدوح أبو علي الحسين بن الحسن. يظهر ذلك في الكنية الواردة في المقدمة (أبا علي) وفي البيت الرابع والعشرين من القصيدة:

ماتوا وأحيا ابن ذي المجدين ذكرهمُ فما يظنون إلا أنهم نُشِروا

ولي دمشق سنة ٤٥٠هـ، مثلما وليَها أبوه، وندبه المستنصر لقتال المرداسيين،=

ويشكره على جميل فعله معه عند أهله، ويذكر وقعة جرت له بناحية الصعيد مع العبيد، استظهروا عليه فيها وكبسوا عسكره ليلاً، لخيانة من كان معه من العرب، في شعبان[1] سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وذلك[2] في آخر شهر رمضان سنة تسع وخمسين وأربعمائة [بسيط]:

١- السَّيْفُ مُنْتَقِمٌ والجَدُّ مُعْتَذِرُ
وما عليكَ إذا لم يُسْعِدِ القَدَرُ ؟[3]

=كما ندب والده من قبل، وقاد مثله الجيوش لإخماد الفتن وخاصّة فتنة العبيد التي يشير إليها ابن سنان في هذه القصيدة، ويذكرها ابن القلانسي في ذيل تاريخ دمشق، في ٤٥٩ هـ، موافقًا بذلك ما ورد في مقدمة القصيدة وفي بعض أبياتنا، قال: «فيها وردت الأخبار من ناحية مصر باجتماع العبيد في الصعيد وكبسهم عسكر الأمير ناصر الدولة أبي علي الحسن (هكذا) بن حمدان، وانفلال العرب المتمعة معه، واستظهار العبيد على جانب من عسكره، ونبوه واستولوا عليه، ثم عادوا عليهم واستعادوا ما أخذ لهم وزيادة عليه وقتل جماعة منهم» (ص ٩٣). وتسمية ابن القلانسي أبا علي بالحسن، إمّا سهو منه، وإمّا تصحيف من النسّاخ، وإما خطأ مطبعيّ. والظاهر أن القصيدة نظمت قبل انتهاء ناصر الدولة من أمر العبيد، وانتصاره عليهم انتصاراً كاملاً جعلهم لا يتجاوزون منطقة الصعيد. وأبو علي هذا (لا أبوه) هو الذي بسط سلطانه على مصر بعد انتصاره على العبيد في الصعيد وفي منطقة الاسكندرّية، وضّيق على الخليفة وعلى القصر، وانتزع لقب سلطان الدولة وأمير الجيوش. وفي عام ٤٦٥هـ قتله الأتراك غِيلةً وقتلوا معه أخويه فخر الدولة وتاج المعالي وكثيرًا من أسرته. وبذلك انقرض البيت الحمداني (راجع ابن الأثير: الكامل ١٠/٨٠ - ٨٧).

(١) شعبان تاريخ كبس عسكر ناصر الدولة. وفي ف، كـ، مط. في رمضان، وفي ق: في شهر رمضان.

(٢) ذلك: إشارة إلى تاريخ نظم القصيدة.

(٣) الجَد: الحظ. أسعد: أعان. يقول: ستنتقم من أعدائك وتنتصر عليهم، فيعتذر إليك الحظ الذي لم يواتك اليوم؛ ولا عار عليك إذا لم يسعدك، فإن الإنسان لا يستطيع أن يفرّ مما قُدّر له.

وَإِنْ دَجَــتْ لَيلــةٌ في الــدّهرِ واحــدةٌ
فَطَالمــا أَشْــرَقَتْ أيامُــه الأُخَــرُ![1]
ومَــا شَــكوْنا ظَلامًــا مــن غَيَاهِبِهَــا[2]
حتّــى تَطَلــعَ في أثنَائِــه[3] القمَــرُ[4]
ولا ينــالُ كُــسوفُ الــشّمسِ طلْعَتهــا
وإنّمَــا هــو فيمَــا يَزْعُــمُ البَــصَرُ[5]
٥- وهــلْ علَــى البَطَــلِ الحــامِي حَقِيقَتَــهُ
عــار إذا جــبُن الأعــوانُ أو غَــدَرُوا؟[6]
أمــا الكِــرَامُ فقــدْ أبلَــى وَفَاؤُهــمُ
علــى (البُحَيْــرةِ) مَــا لم يُبْلِــه الظّفَــرُ[7]

---

(١) دجا: أظلم. يريد: إن أصابك الدهر مرة واحدة بما آلمك، فكثيرًا ما سرك بالانتصارات التي أحرزتها على أعدائك.

(٢) م: في غياهبها.

(٣) ق: في أثنائها.

(٤) الغياهب جمع غيهب: الظلمات، ويقصد بها الملمّات. يقول: كلما نزل بالإنسان مكروه فرّجه الله، فبعد العسر يُسر، وبعد هذا الانكسار انتصارات وشفاء غليل.

(٥) الطلعة: اسم المرة من طلع. قصد بها الشمسَ نفسَها. يقول: إن الكسوف لا يحجب الشمس حقيقة، وإنما يخّيل إلى الناظر أنه حجبها، وأنت الشمس لم يصبك كسوف بهذا الحدث، فلا تأبه له.

(٦) سقط البيت من مط. وفي م: جبن الإخوان.

الحقيقة: ما يحق عليك أن تحميه. يقول: إن الإنسان بغيره، فلا عار على البطل الذاب عن الحمى أن يهزم إذا ما أسلمه أعوانه وخذلوه.

(٧) البحيرة كورة صغيرة بالقرب من الإسكندرية (راجع في سبب تسميتها بالبحيرة= معجم ياقوت: بحيرة الإسكندرية، ودائرة المعارف الإسلامية الطبعة. الثانية ١٣٢٧/١-١٣٢٨). =

مَــا ضَــرهُم والعَــوَالي في نُحــورِهِمُ؟
تَعْفُــو الكُلُــومُ وتبقَــى هــذه الــسِّيَرُ[1]

لاَذُوا بِــسيفِكَ حَتــى حَــالَ دونَهُــمُ
مُجَــربٌ في دِفَــاعِ الخطْــبِ مُخْتَبَــرُ

مِــنَ الــسُّيوفِ الــتي لَــوْلاَ مَــضَارِبُهَـا
مَــا كَــان للــدينِ لا عَــيْنٌ ولا أثَــرُ[2]

١٠- هِنْدِيــةٌ و(بَنُــو حَمْــدانَ) رُفْقَتُهَــا
لَقَــدْ تُخُيــرَتِ الأحْــسَابُ والزَبَــرُ[3]

= يشير الشاعر إما إلى ثورة بني قرة بالبحيرة سنة ٤٤٣ هـ. عصوا على المستنصر- كما عصوا على الحاكم بأمر الله قبله - فوجّه إليهم ناصر الدولة أبا محمد الحسن بن الحسين، والد الممدوح، فكسرهم بكوم شريك، يعضده في ذلك طيء وكلب وغيرهما من القبائل العربية، وإما إلى ثورة العبيد بالقرب من الإسكندرية. أخمدها الممدوح نفسه. وقد ذكرها ابن تغريبردي في حوادث سنة ٤٥٦ هـ. قال: ((فيها وقعت فتنة عظيمة بين عبيد مصر والترك، ووصل ناصر الدولة بن حمدان إلى الإسكندرية، والتقى مع العبيد بموضع يعرف بالكرم؛ فقتل من العبيد ألف رجل، وهرب من بقي. ثم تردّدت الرسل في إصلاح ذات البين فتم)) (النجوم الزاهرة: ٧٤/٥).

(١) العالية: رأس القناة، والجمع عوالٍ. عفا: برئَ. الكلوم: الجروح، جمع كَلْم. السير: السنن الحميدة، ويقصد بها المآثر. يقول: تبرأ الجروح ويبقى الذكر الحميد، فما يضرّ هؤلاء المقاتلين أن يصبروا على الطعن ؟

(٢) العين: الحاضر من كل شيء، من المعاينة؛ والشيء نفسه، وكلاهما صالح للمعنى. والأثر: الخبر. ومنه المثل: ((لا أطلب أثرًا بعد عين))؛ ويروى ((تطلب أثرا بعد عين!)).

(٣) قوله: ((وبنو حمدان رفقتها)) يريد به هم أصحابها وهم الأجدر بها. والحسب، والج أحساب: الشرف الثابت في الإنسان، مِنْ حسَب بمعنى عدّ. سمي كذلك لأن الإنسان يعد في نسبه آباء أشرافا. والزبر جمع زبرة، وزبرة الحديد القطعة الضخمة منه. قصد بها السيوف. ((لقد تخيرت الأحساب والزبر)): يريد أن أحساب الحمدانيين رفيعة وسيوفهم جيدة المعدن ماضية في أعدائها.

وَمُكْبِرِينَ صَغِيرًا مِنْ عُقُولِهِمُ[1]
لم يَركَبُوا الخيلَ إلا بَعْدَ مَا كَبِرُوا[2]
أَخْفَوْا بكيدِهِمُ غدرًا [3]فما عَبَأَتْ
سُمْرُ الرماحِ بما هَمَّتْ بهِ الإِبَرُ[4]
لا تَعْجَلُوا فَعَلَى أَطْرَافِهِ خَلَفٌ
تُرْجَى عواقِبُه فيكم وتُنْتَظَرُ[5]
أَثَرْتُمُ أَسَدًا تَدْمَى[6] أظافِرُه
طَيَانُ لا عَصَرٌ منه ولا وَزَرُ[7]
١٥- حَذَارِ أن يَسْتَزِلَ الحِلْمَ غَضْبَتُهُ
إن كانَ يَنفَعُ عَنْدَ الخائنِ الحذرُ[8]

---

(١) اخترنا رواية ظ، وفي سائر النسخ: عقوقهم.

(٢) أكبر الشيء: وجده كبيرًا. قصد بالمكبرين العرب الذين خانوه في الوقعة التي جرت له مع العبيد.

يقول: إنهم يرون أنفسهم ذوي عقول راجحة رغم نقصها، وذلك لعدم تمرسهم بالحرب وقلة درايتهم بعواقب الأمور.

(٣) مط. عذرًا.

(٤) ك: الأبر، بفتح الهمزة وكسر الباء.

قابل قوة الممدوح (سمر الرماح) بضعف الكائدين الغادرين (الإبر)؛ من باب التمثيل. يريد أن الرماح السمر لا تعبأ بالإبر.

(٥) الضمير في ((أطرافها)) عائد على الرماح. الخلف: البدل والعوض. يهددهم بالانتقام.

(٦) ق، مط أسرتم. ظ تدمي.

(٧) طيان: جوعان، من طوي. العصر: المنجاة. الوزر: الملجأ والمعقل.

(٨) استزله: حمله على الزلل. يقول: إن الممدوح حليم لكن للحلم حدودًا، فاحذروا أن يطغى غضبه الشديد على حلمه. والحقيقة أن الخيانة العظمى لا ينفع معها الحذر.

خَبَرْتُمُوهُ[1] فَأَفْنَتْكُمْ صَوَارِمُهُ
ولو عَقَلْتُمْ كفاكم دُونَه الخَبَرُ[2]

وقد عَلا فوق أفلاكِ النجُومِ بِها
فكَيْفَ يَلْحَقُ مَنْ في باعِه قِصَرُ؟[3]

حَدثْ بِبأسِ (بَنِي حمدانَ) في أُمَمٍ
تأتي فقدْ ظهرتْ في هذه النُذُرُ[4]

واذكُرْ لهم سِيَرًا في العَدلِ مُعْجِزَةً
لولا الشريعةُ قُلْنَا: إنها سُوَرُ[5]

٢٠- قَوْمٌ إذا طَلَبَ الأَعْدَاءُ عَيْبَهُمُ
فَمَا يَقُولُونَ إلا أنهُمْ بَشَرُ

السَابِقونَ إلى الدّنيَا بِمُلْكِهِمُ
مَا أَوْرَدَ النّاسُ إلاّ بَعْدَ مَا صَدَرُوا[6]

---

(١) ظ. م: جَرَّبْتُمُوهُ.

(٢) يقول: أردتم أن تجربوا قدرته فأفنتكم سيوفه، ولو كان لكم عقول تدرك لكفاكم ما سمعتم عنه.

(٣) الفلك من كل شيء مستداره ومعظمه. والباع: قدر مد اليدين، وقصره كناية عن العجز. الضمير في ((بها)) يعود على الصوارم.
يقول: إن صوارمه وبلاءه في الحروب أحلاه مُحَلًّا يفوق أفلاك النجوم، فكيف ترومون اللحاق به وأنتم العاجزون ؟

(٤) النذر جمع نذير وهي هنا الآيات الواضحة. والأسلوب قرآني.

(٥) البيت والذي يليه في الأفضليات لابن الصيرفي (ص٤٤). أوردهما بعد قصيدة محمد ابن عبّاد بن عمرو. قال: فأما قصيدة محمد المقدم ذكره، فإن لعبد الله بن سنان قصيدة على وزنا وفي معناها على تقارب العصرين وتباعد المستقرين ... منها:
ومُلْكُه سيرة في العدل معجزة   لولا الشريعة...

(٦) أورده: أحضره المورد؛ جعله يرد الماء. صدر الوارد: انصرف عن ورده، والاسم منه الصدَرُ. عجز البيت كناية عن قوة بني حمدان وسبقهم إلى المكارم وهيبة الناس لهم.

كـ ـأن أيدِيَهُـ ـمْ للـ ـرزْقِ ضَامِنَـ ـةٌ
فَلِلنـ ـدَى قَائِـ ـمٌ منهـ ـا ومُنْتَظَـ ـرُ[1]

تَـ ـسْمُو الـ ـبِلادُ إذا عُـ ـدتْ وَقَـ ـائِعُهُمْ
فيهـ ـا وتَبْتَـ ـسِمُ الـ ـدّنَيا إذا ذُكِـ ـرُوا[2]

مَاتُوا وأحيَـ ـا ابـ ـنُ (ذي الـ ـدّين) ذِكْـ ـرَهُمُ
فمـ ـا يُظَنـ ـونَ إلا أنهـ ـم نُـ ـشِـ ـرُوا[3]

٢٥- يُثْنى[4] عليهم بمـ ـا تُعْطِـ ـي أنامِلُـ ـهُ
والـ ـرّوضُ يُحْمَـ ـدُ[5] في إحْـ ـسانِه المَطَـ ـرُ

وسـ ـابِقٍ طَلَـ ـقَ[6] الألحَـ ـاظِ في أمَـ ـدٍ
لا ينفـ ـعُ العـ ـيْنَ في إدراكِـ ـه النظَـ ـرُ

إذا تَأملْتـ ـه فـ ـي نَيْـ ـلِ غَايَتِـ ـهِ[7]
رَأيْـ ـتَ كيـ ـف تُـ ـصَادُ الأنجـ ـمُ الزهُـ ـرُ

---

(١) ف، ق،:، مط: وللندى.
(٢) الأفضليات لابن الصيرفي ص ٤٧.
(٣) ذو الدين: والد الممدوح أبو محمد الحسن بن الحسين، الملقب كذلك بناصر الدولة (انظر ابن القلانسي، ص٨٣). أراد أن مآثر الممدوح جعلت الناس لا يفترون عن ذكر آبائه، فكأن هؤلاء نشروا، لأن الذكر الحسن حياة ثانية للإنسان. وهو معنى تعاوره الشعراء.
(٤) مط نثني.
(٥) ف. ق. ك: يحسد
عليهم: على أسلافه. ((والروض يحمد في إحسانه المطر)): شبهه بالروض وشبه آباءه بالمطر. والمطر يحمد إذا ظهرت آثاره في الروض.
(٦) ظ. م: طَلَقٍ. الطلق في الأصل الإبل التي أطلقت لتتوجه إلى الماء؛ استعاره للألحاظ تطلق وراء الشيء. ومثل هذا الأسلوب كثير عند أبي تمام. الأمد: الغاية. يصف سرعة بلوغ الممدوح غايته حتى إن الألحاظ لا تدركه.
(٧) ظ: بُعْدِ غايته، مط. غانية

كأنمـا رأيـهُ فِـي كُـل مُـشْكِلَةٍ
عَيْنٌ عَلَـى كُـل مَـا يَخْفَـى وَيَـسْتَتِرُ[1]
يـا (ناصـرَ الدّوْلـةِ) المـشهُـورَ مَوقفُـهُ
في نَـصْرها وضِـرَامُ الحـربِ يَـسْتَعِرُ[2]
٣٠- أَنْتُمْ صَوَارِمُهـا والبِيـضُ نَائِبَـةٌ[3]
وشُـهْبها[4] وظـلامُ الخطْـبِ مُعْتَكِـرُ
وحـامِلُو[5] الرّايـةِ البَيـضاءِ مـا بَرِحَـتْ
علـى رِمَـاحِكُمُ[6] تعلُـو وتَنْتَـشِرُ
كنـتمْ (بِـصِفينَ) أنـصارَ (الوَصِـي) وقَـدْ
دَعَـا سِـوَاكمْ فَمَـا لَبـوْا ولا نَـصَرُوا[7]

---

(١) يقول: إن رأيه يصيب فيما يشكل على غيره، فكأنه يرى الخفايا رؤية عيان. وهذا من القول:((إن المؤمن ينظر بنور الله)). أخذه أبو تمام، فقال (كامل):
ولذاك قيل: ((مِنَ الظُنـونِ جَلِيـةٌ صِدْقٌ وفي بَعْضِ القلـوبِ عيـونُ
الديوان ٣٢٦/٣
(٢) ف، ق، كـ، ظ: تستعر
((في نصرها)): في نصر الدولة.
(٣) م. ف.ك والأفضليات لابن الصيرفي -ص ٤٥- والبيض نابية. وفي الأفضليات أيضا: فهم صوارمها.
(٤) ظ: وشمسها.
(٥) م: ورافعوا.
(٦) ظ: رماحهم.
(٧) صِفين: موضع على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، كانت فيه الوقعة المشهورة بين علي ومعاوية في غرة صفر سنة ٣٧ هـ. والوَصِي علي كرّم الله وجهه. =

فَهْـيَ الخلافَـةُ مـا زالـت مَنابِرُهـا
إلى سيوفِكُمُ[1] فِـي الـرَّوْعِ تَفْتَقِـرُ
هل تَشْكُرُ العـربُ النُعْمَـى الـتي طَرَقَـتْ
أَمْ لَيسَ ينفعُ[2] فيهـا كـل مـا شَـكَرُوا؟[3]
٣٥- قومٌ أعـدْتَ إلى الدُنيـا نُفُوسَهُـمُ
فَكُـل عَارِفَـةٍ مـن بعدهـا هَـدَرُ[4]

= يشير إلى قتال (الأراقم) في صفوف علي في وقعة صفين. والأراقم ستة بطون من قبيلة تغلب، وهم جُشَمُ ومالك وعمرو وثعلبة والحرث ومعاوية، بنو بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. والحمدانيون من نسل مالك.

(راجع في كتاب وقعة صفين -ص ٤٨٦- لنصر بن مزاحم سينية للنجاشيّ، شاعر علي، في مدح الأراقم. وانظر نسب الحمدانيين في وفيات الأعيان، ٣٨٧/١: الترجمة رقم ٣٨٧).

(١) الأفضليات -ص ٤٥- إن الخلافة إلى سيوفهم. ((فهي الخلافة...)) هذا البيت والأبيات الثلاثة بعده تشير إلى الخلافة التي كان ناصر الدولة يسعى إلى تأسيسها معتمدًا على ابن أبي الجَنّ أبي طاهر حيدرة بن إبراهيم نقيب العلويين بدمشق، من نسل الحسين بن علي. وكانت العامة تدعوه ((أمير المؤمنين)) (انظر القصيدة رقم ٩ من هذا الديوان).

(٢) م: يقنع -ك، ف، ق، مط: يتبع.

(٣) النعمى: النعمة. العرب: يقصد با على وجه الخصوص قبيلة طيئ. ويشير إلى إطلاق الممدوح سراح حُمَيْد بن محمود وحازم بن علي من بني الجراح. ((أم ليس ينفع فيها كل ما شكروا)): أراد: بل لا يستطيعون أن يوفوها حقها من الشكر، مهما قالوا وفعلوا.

(٤) العارفة: الإحسان. والهدر: الباطل.

تلـــكَ الـــصنيعةُ إن خَـــصتْ بـــني (أُدَدٍ)[1]
فلـــيس تُنْكِـــرُ مـــا في طَيهـــــا مُـــضَـــرُ
أما (ابنُ نَـــصْرٍ)[2]فقـــدْ أخفَـــتْ ضـــمائرُه
مَـــوَدةً لـــك مَـــا في صَفْوهـــــا كَـــدَرُ
فَـــرْعٌ أبـــانَ جنـــاهُ[3] طِيـــبَ عُنْـــصُرِه
مَـــا يُحْمَـــدُ العُـــودُ حَتـــى يُعْـــرَفَ الثَّمَـــرُ
سَـــلَلْتَ منـــه علـــى الأعْـــدَاءِ مُرْهَفَـــةً
لِمـــثْلِهِمْ كُنْـــتَ تَقْنَاهَـــــا وَتدخِـــرُ[4]

(١) أدد: جد جاهلي بنوه طيئ والأشْعَريونَ ومذحج ومُرة. مضر بن نزار بن مَعَدّ: جد لقبيلة عظيمة من العدنانية تمتاز بالكثرة والغلبة بالحجاز. وكانت لها رئاسة مكة. وكان يجمعها فخذان عظيمان: خِندِفُ وقَيْس.

(٢) الظاهر أنه يقصد بابن نصر محمود بن نصر بن صالح بن مرداس. وكان المستولي على حلب حين نظم الشاعر هذه القصيدة. وكان المستنصر بالله الخليفة الفاطمي يضايقه ويطالبه بحمل الأموال إليه وغزو الروم وصرف ابن خاقان ومن معه مِنَ الغُز (في تاريخ ابن القلانسي - ص ٩٢ - ((ابن خان التركي))). فاعتلّ عليه بما لم يقبله. فكتب في قتاله إلى بدر الجمالي أمير الجيوش المقيم بدمشق. فندب بَدْرٌ عطّيّةَ صاحب الرحبة لإخضاع محمود، إلا أن ابن عمّار صاحب طرابلس أصلح بينهما (راجع التفاصيل في النجوم الزاهرة، ٧٩/٥). وأكبر الظن أن الشاعر يشير إلى هذا كله ويطلب من ممدوحه - وكان المتغلب على مصر- أن يحمل المستنصر على مهادنة محمود. وفي هذا دليل على أن الشاعر مازال آنذاك طامعًا في إصلاح الأمر بينه وبين أمير حلب.

(٣) جناه: ما يجني الناس منه.

(٤) ((منه)): ضمّنه معنى ((به)). تقناها: من قَنِيَ الشيء: رضيه وعَنِي.

٤٠- يقظانُ إن عَلِقَـتْ بالنـومِ مُقْلَتُـهُ
فلا يُنَبِّـهُ في حَـرْبِ العِـدَى (عُمَـرُ)[1]
يـا واهِبًـا وغَـوادِي المُـزْنِ باخِلَـةٌ
وصـاعِدًا وعَـوالي الشُهْبِ تَنْحَـدِرُ[2]
أمـا القَـوافِي فقَـدْ جاءَتْـكَ سَابِقَـةً
كمـا تَضَوعَ قَبْـلَ[3] الدِّيمَـة الزَهَـرُ
مَنظُومَـةً فـإذا فَـاهَ الـرُّوَاةُ بِهَـا
ظَنَنْـتَ أن نُجـومَ اللَيْـلِ تَنْتَثِـرُ
مِـن مُعجِزاتـي الـتي لَـوْلا بَـدائِعُهَا
في الشِعْرِ شَبه قَـوْمٌ بعضَ مَـا سَـحَرُوا[4]

---

(١) ((إن علقت بالنوم مقلته)): التركيب على القلب، وأصله: إن علق النوم بمقلته.
يقول: هو حذر يقظان في كل حين، فلا ينطبق عليه قول بشار في عُمَرَ بن العلاء عامل المهديّ على طبرستان [متقارب]:
إذَا أيقَظَتْـكَ حُـرُوبُ العِـدَاةِ فَنبـهْ لَهَـا عُمَـرًا ثُـم نَـمْ
وللبيت روايات أخرى (راجع طبقات الشعراء لابن المعتز، ص ٣٥).
(٢) الغوادي: السحب الناشئة غدوة والمزن: السحاب الشهب: الكواكب المنقضّة ليلاً. ((عوالي الشهب)): في التركيب قلب، وأصله: شهب العوالي. قصد بها: أسنّة الرماح في ميدان الحرب. يصف الممدوح بالعطاء في سنوات القحط وبالشجاعة ونباهة الذكر في الحرب.
(٣) مط: غبّ، وهو لا يناسب ((سابقة)) في صدر البيت. غب: بعد الديمة: المطر يدوم في سكون ((أي بلا رعد ولا برق)) أيامًا أو يومًا وليلة أو أقل من ذلك.
(٤) في البيت إشارة إلى معجزة موسى عليه السلام وقصته مع السحرة (الأعراف الآيات: ١١٦-١١٩) يقول: هذه القصيدة من معجزاتي، ولو لم أكن السابق إلى بدائعها لشبهها قوم بخَيْر ما سحروا به الناس. ولا يخلو البيت من تعقيد في التركيب وفي المعنى.

٤٥- تُثْنِي عليكمْ وتُبْدِي عَيْبَ غيرِكُمُ
فقدْ[1] هَجَوْتُ بها قومًا[2] وما شَعَرُوا
أتاكَ رائدُ قومٍ ليسَ عِنْدهُمُ
على الحقيقةِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ[3]
يَلُوحُ ذِكْرُكَ في داجِي هُمُومِهِمُ
كما يلوحُ لعينِ الساهرِ السحَرُ
فاسْتَجْلِهَا دُرةَ الغَوّاصِ أَخْرَجَها
من بعد ما غَمَرَتْهُ دونَها الفِكَرُ[4]
ما تَشْتكِي غُرْبَةَ المَثْوى ورُفْقَتُها
أفْعالُكَ[5] الشُّهْبُ أو أخْلاقُكَ الغُرَرُ

---

(١) م: وقد هجوت.

(٢) ف، ق، ك، مط: خلقا.

(٣) الرائد في أصل معناه: المرتاد لأهله منـزلاً أو كلأ، المرسل في طلب النجعة. وأراد به الناطق بلسانهم المعبر عن حاجاتهم. قوم: قصد به عشيرته وقومه من خفاجة. والبيت يذكّر برائية الحطيئة التي يستعطف بها عمر بن الخطاب (رضه)، وابن سنان ينظر إلى ذلك فيما يظهر.

(٤) فاستجلها: لم نجد استجلى بهذا الوزن فيما رجعنا إليه من المعجمات. والظاهر أنه أراد بها: تجلها، من تجلّى فلان الشيء: نظر إليه مشرفًا وتأمل فيه. شبه قصيدته بالدرة، وقصد بالغواص نفسه.

(٥) م. ظ: جيرانك. أو أخلاقك: وأخلاقك. يقول: لا تشتكي هذه القصيدة غربة المثوى، لأنها إشادة صادقة بأفعالك ومآثرك السامية وبأخلاقك الغراء، فهي لصيقة بها مستأنسة إليها كما تستأنس العروس إلى زوجها. وهو معنى تعاوره الشعراء العرب.

٥٠- واسمعْ أُبثك أَخْبَـارِي فَـإن لَهَـا
شَـرْحًا وإن كُنْـتُ أَرْوِيْـهِ وأخْتَصِرُ
جَـادَتْ لقَـومِي سَـحابٌ منـكَ هَاطِلَـةٌ
مـا غُيِّبَـتْ مِنَّـةٌ[1] منـها وقَـد حَـضَرُوا
شَـكَرْتُ عنْـهمْ وإن أحْـسنْتُ عنْـدَهُمُ
فَـإنني نَـاظِمٌ بعْـضَ الَّـذي نَثَـرُوا
وغَـادرَتْنِي صُـرُوفُ الـدّهْرِ بعْـدهُمُ
كالصِّل أطْـرَقَ لا نَـابٌ ولا ظُفُـرُ[2]
في بلْـدةٍ يجتَـوي[3] الأحْـرَارُ سَـاحَتَها
فَمَـا لهُـم وَطَـنٌ فيهـا ولا وَطَـرُ
٥٥- أَشْـتَاقُكُمْ ويحُـولُ العَجْـزُ دونَكُـمُ
فَـأدعِي بُعْدَكُـم عنِّـي وأعْتَـذِرُ
وأشْـتَكِي خَطَـرًا بَيْنِـي وبينَكُـمُ
وآيَـةُ الـشوقِ أن يُسْتَـصْغَـرَ الخطَـرُ

---

(١) م. ظ: ما غبت عن منّة. المنة والمِنّة: الإحسان والإنعام. في هذا البيت والذي يليه إشارة إلى أحداث تاريخيّة لا يسمح السياق بمعرفتها، ولم نجدها فيما رجعنا إليه من الكتب.

(٢) الصّل: الحيّة التي لا تقبل الرقى. أطرق: أرخى عينيه ينظر إلى الأرض. يقول: تركتني صروف الدهر ضعيفًا، بعد قوة، لا سلاح لي أدفع به النوائب.

(٣) ظ. مط: تحتوي. اجتوى: كره وأبغض، على المجاز. وأصله من الجوى وهو داء في الجوف لا يستمرأ منه الطعام. ومنه اجتويت الطعام واستجويته. واجتوينا أرضكم: لم يوافقنا غذاؤها. الوطر: الحاجة والبغية.

فهـــلْ لرأيِـــكَ أن يَنْتـــاشَ مُطرَحًـــا[1]
لــه مــن الفَــضْلِ ذَنْــبٌ لــيس يُغْتَفَــرُ؟
فعنــدَكَ الجُــودُ لا مَــنٌّ وَلاَ كَــدَرٌ
وعنــدَه الحمــدُ لا عِــيٌّ ولا حَــصَرُ
وإنْ ضــرَبْتَ بِــهِ في وجْــهِ نَائِبَــةٍ
ففــي يمينِــكَ منــه الــصَّارِمُ الذكَــرُ[2]
٦٠- مَحَاسِــنٌ هــي عِنْــدَ الــسَّامِعين بــلا
دعْــوَى ومِثلُــكَ يَتلُوهــا وَيَعْتَبِــرُ[3]
فَمَــا أخَــافُ مِطَــالَ الحــظِّ يَحْرِمُنِــي
نَــدَاكَ إنْ طَــالَ في أيَّامِــكَ العُمُــرُ[4]
ولا يَفُــوتُ غِنًــى أنــتَ الكَفِيــلُ بِــهِ
وإنمــا غَفَــلاَتُ الدَّهْــرِ تُبْتَــدَرُ[5]
اثنان وستون بيتًا

(١) ظ. م: تنتاش مطرحًا. انتاشه من الهلكة: أنقذه منها. المطرح: المبعد. يقول: هل لك أن تنقذ وتقرب رجلاً فاضلاً يعد الحاسدون فضله ذنبًا لا يغتفر؟.
(٢) سقط البيت من ف، ق، ك، مط. الذكر من السيوف: الجيد القاطع. عنى به نفسه.
(٣) الدعوى: الاسم من ادعى الشيء: زعمه له حقًا كان أو باطلاً. يعتَبر: لا يوجد في دلالات اللفظ ما يناسب المعنى والمقام. وربما قصد بالاعتبار مجرد التصديق والتصرف وفقًا لهذا التصديق.
(٤) إن طال في أيامك العمر: إن طال عمري في عهدك.
(٥) الكفيل به: الضامن له. تبتدر: تنتهز فرصها وتغتنم، من ابتدر القوم أمرًا وتبادروه: بادر بعضهم بعضًا إليه أيهم يسبق إليه ويغلب عليه.
في هذا البيت والذي قبله احتراس بين.

[٢]*

وقال يمدح الأمير نصير الدولة وأمينها ذا الكفايتين أبا علي الحسن بن ملهم[1] وأنشدت بحضرته في ثغر حلب في شوال سنة خمسين وأربعمائة [كامل]:

(*) القصيدة في النسخ ظ ورقة ٩، ف ٧، ق ١٠، ك ٧، م ٥، مط ٧٥. وورد بعض أبياتا في ((تحرير التحبير))، ص ٥١٣، و ((الأفضليات)) لابن الصيرفيّ، ص ٤٢.

(١) أبو علي الحسن بن علي بن ملهم بن دينار العقيلي، مكين الدولة، كان أميرًا على حلب سنة ٤٥٠هـ، للخليفة المستنصر الفاطمي بمصر. ففي سنة ٤٤٨هـ، اضطرب بنو كلاب على أمير حلب ثمال بن صالح بن مرداس، وامتدت أعينهم إلى ما في يده، وأكثروا من الإعنات له، فكاتب المستنصر الفاطمي في تسليم حلب إليه سنة ٤٤٨هـ، وطلب أن يعوضه عنها بما يبعده عن الكلابيين، فأجابه الخليفة الفاطمي، وأنفذ نوابه فتسلموا منه حلب. وكان ممن أنفذهم مكين الدولة الحسن بن ملهم، وكان مقيمًا برفنية، فتسلم حلب، وعدل في الرعية، ورخصت الأسعار في أيامه، وبني كثيرًا من أبرجة سور حلب. ثم عاد إليه بنو كلاب، وتجمعوا، وقدموا عليه محمود بن نصر المرداسي، فسار إلى حلب في جمادى الأولى سنة ٤٥٢ هـ، وبعد خطوب يطول شرحها، يئس الأمير ابن ملهم من حلب وغادرها سنة ٤٥٣ هـ. وفي سنة ٤٥٤ هـ قلده الخليفة المستنصر الفاطمي طبرية وعكا، وأمره على بني سليم وبني فزارة القيسيين، فمدحه ابن سنان. وفي العام التالي عقد الحلف بين القيسيين المذكورين، سنة ٤٥٥هـ، فمدحه ثانية. والقصيدة الثانية تشيد بذكره في الدور الذي قام به لصالح الفاطميين في محاربتهم للمعز بن باديس الصنهاجي بإفريقيا وللروم باللاذقية على ما سنوضحه في مكانه.

١- في كُــل يــومٍ نَــشْطَةٌ وفِــراقُ[1]
فمَتــى يَكُــونُ لِــدَائِها إفْــرَاقُ؟[2]

إنْ كــانَ أعْطَاهَــا جِــذَابُ نُــسُوعِها
سَــفَهًا فقــدْ لَغِبَــتْ بــه الأعْنَــاقُ[3]

تَــشْكُو صَــدَاهَا والــدموعُ مَنَاهِــلٌ
ووَجَــى المَناسِــمِ والخُــدودُ طِــرَاقُ[4]

فاسْــتَبْقِ فَــضْلَتَهَا إذا دَبّ الــوَنَى
فيهــا، فمَــا كــل الــسرَى إعْنَــاقُ[5]

---

(١) ظ، م: وثاق.

(٢) نشِط من المكان: خرج، ونشِطت الناقة: إذا شدت. الإفراق: البرء من المرض. يتبرم بحياة السفر من بلد إلى آخر، ويتمنى أن تبرأ راحلته من داء التنقل والارتحال.

(٣) النسع والج: نسوع: سير يضفر عريضًا على هيئة أعنّة النعال، تشد به الرحال ويجعل زمامًا للبعير وغيره. جذاب نسوعها: مجاذبتها. والهاء تعود إلى النوق. يقال: زمام سفيه: مضطرب، وذلك لمَرَحِ الناقة ومنازعتها إيّاه. ومن المجاز: ناقة سفيهة الزّمام: إذا كانت خفيفة السير. لَغِبَتْ به: تعبت وأعيت أشدّ الإعياء.

(٤) الصدى: شدة العطش. المنهل: المشرب. الوجى: الحفا. المنسِم: خفّ البعير.

الطراق: جلد النعل إذا عزل عن الشراك، ونعل الدابة: طبق من حديد أو جلد يوقى به الحافر أو الخف ويكون له كالنعل للقدم. يقول: تشكو العطش مع أن دموعها مناهل وتشكو الحفا مع أن خدودها يبست، فصارت صالحة لأن تكون طراقًا لها.

(٥) الفضلة: البقية. الونى -يمد ويقصر-: الكلال والضعف. الإعناق: ضرب من السير السريع. يقول: ادّخرْ بقية قوّتا إذا دب التعب في أعضائها، فما ينبغي أن يكون كلّ السرى إعناقًا.

٥- وَدَعِ النَّسِيمَ يُعِيدُ مِنْ أخْبَارِهِ
فَلَهُ حَوَاشٍ للحَدِيثِ رِقَاقُ[١]
ما نَمَّ مِن عَلَقٍ (العُذَيْبِ) لغائِبٍ[٢]
إلا وقَدْ شَهِدَتْ بِهِ الآمَاقُ[٣]
وعلى (الغَضَا) إن كُنْتَ مِنْ جيرانِهِ
نَارٌ تقاسَمَ حَرَّهَا العُشَاقُ[٤]
ومُحَلؤُونَ عَنِ المَنَاهِلِ بَعْدَمَا
شَرِقَتْ بِجُمَّةِ مَائِهَا الطِّراقُ[٥]

---

(١) حديث رقيق الحواشي ناعم في دعة. يستذكر الشاعر الخلان.

(٢) أثبتنا رواية م، وفي غيرها بغائب.

(٣) مط: الآفاق. نم ظهر. العَلَقُ: الحب. العُذَيْبُ: ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة. والعذيب أيضًا ماء بين القادسيّة والمُغيثة، على أربعة أميال من القادسية. المؤق: مؤخر العين؛ وقيل مقدمتها، والجمع آماق على القلب، مثل بئر وآبار. والشهادة في الأصل أن يخبر الإنسان بما شهد. وقد ذكر الشاعر العذيب جريًا وراء الشعراء الذين سبقوه. (انظر فهارس الدواوين والمجموعات).

(٤) ظ: نار أقل فعالها الإحراق. الغضا: من نبات الرمل له هدب كالأرطى؛ وهو من أجود الوقود عند العرب، ولذلك قيل: «نار غاضية» أي عظيمة. وقيل «بين جنبيه نار الغضا». وأهل الغضا: أهل نجد لكثرته هناك. وقد عرف هذا الإقليم بكثرة الشعراء الغزليين ويعبّر الشعراء بالغضا أو جمر الغضا عن لواعج الحب. وفي البيت استخدام.

(٥) ظ: مخلأون؛ مط ص٧٥: ومسلؤون، وهو خطأ من الناسخ. المحلؤون: الجماعة يصدون ويمنعون من ورود المناهل. المناهل جمع منهل، والمنهل موضع النهل وقال أبو حنيفة: المنهل كل ما يطؤه الطريق، وكلّ ما كان غير طريق لا يدعى منهلاً، بل يضاف إلى موضعه أو إلى من هو مختص به فيقال: منهل بني فلان أي مشربهم وموضع نلهم. جُمةُ الماء: الموضع يجتمع فيه معظم الماء. الطراق: سالكو الطريق. البيت متصل بما قبله، أي: وعلى الغضا نار ومحلؤون. قصد بالمحلئين: نفسه وأصحابه.

ومُشَتتِ العَزماتِ يُنفِقُ عُمْرَهُ
حَيْرانَ لا ظَفَرٌ ولا إخْفَاقُ

أمَلٌ يلوحُ اليأسُ في أثنائِهِ(١)
وغِنًى يَشِف وراءَهُ الإمْلاقُ

يَمْري عُفَاقَةَ ثروةٍ لوْ أنهَا
نَوْمٌ لمَا شعرَتْ بهِ الأحْدَاقُ (٢)

وتَرُوقُه خُدَعُ المُنى فكأنهَا
حَقٌ، وكاذِبُ وَعْدِهَا مِيثَاقُ

أثْرى اللئَام وجَدُّهُ بِنَسِيئَةٍ
عذراءَ ما قَطِنَتْ بِهَا الأرْزَاقُ(٣)

لوْلا (نَصِيرُ الملْكِ)(٤) طَالَ ثَوَاؤُهُ
فيهَا وليْس لأسْرِه إطْلاقُ(٥)

---

(١) ظ: في أرجائه. والبيت توضيح للذي قبله.

(٢) المَرْيُ: مسح ضرع الناقة لتدر. العُفافة: القليل الباقي من اللبن في الضرع. يريد أنه يحاول استدرار المال من ثروة لم يبق له فيها إلا القليل.

(٣) الجَد: الرزق والحظ. النسِيئة: الأرض البعيدة وأصله من نسأ أي أخّر.عذراء: بكر. الرملة العذراء: التي لم توطأ. يقول: إن اللئام وحدهم أثروا، أما هو فظل رزقه وعدًا مؤخرًا، يمهد بذلك لمدح نصير الدولة.

(٤) مط: نصير الدين.

(٥) نصير الملك: هو الحسن بن علي بن ملهم بن دينار العقيلي. الضمير في (فيها) يعود على النسيئة أو خدع المنى. الثواء: طول المقام. يريد أنه لولا الأمير الحسن بن علي بن ملهم لطال تخبطه في خدع المنى وامتناع الرزق، أو طال حظه بالنسيئة العذراء.

١٥- القائـــدُ البُـــزْلَ الـــصعَابَ كأنهـــا
-مـــا يجـــوبُ بـــا الفَـــلاةَ[1]-خِفَـــاقُ[2]

ومُؤَلـــفُ الأهـــواءِ بَعْـــدَ شَـــتَاتِهَا
طَوْعًـــا، فمـــا بـــين القُلُـــوبِ شِـــقَاقُ[3]

يَـــسْطُو وقَـــدْ بَرَقَـــتْ أسِـــرةُ وَجْهِـــهِ
بِـــشْرًا فيمـــزُجُ أمْنَـــهُ الإشْـــفَاقُ

كالسيْفِ يُـــسْعِرُ[4] حَـــدهُ نـــارَ الـــوَغَى
والمـــاءُ في صَـــفَحَاتِهِ رَقْـــرَاقُ

مـــا هَـــزهُ طَـــرَبُ العُقَـــارِ وإنمَـــا
أعطتْـــهُ نَـــشْوَةَ كأسِـــهَا الأخْـــلاقُ

(١) ظ: به الفلاة. ف. ك: الفلاة، بالضم.

(٢) البُزْلُ ج بازل: وهو البعير الذي فطر نابه وطلع، وإذا استكمل الثامنة وطعن في التاسعة. والصعب من الدوابّ، نقيض الذلول. مما يجوب: ما مصدرية، أي من جوبه. والخفاق من الخيل: الضامرة، من خفق الفرس: ضمر بطنه من جهد أو خلقةً.

(٣) يظهر أن هذا البيت وثيقة تاريخيه، وأن له علاقة بما سيأتي في القصيدة من أمر المعزّ بن باديس الصنهاجيّ، وكان بين المعزّ وبين اليازوريّ وزير المستنصر عداوة. فلما خطب للخليفة العباسي وأرسلت إليه الهدايا على طريق الروم، وأخبر الروم بذلك المصريين على ما نجد في شعر ابن حيّوس (... «حتى أذاع مليكُ الروم سِرهُمُ» الديوان، ص ٦٢٣). قلنا لما حدث ذلك أشار اليازوري على الخليفة الفاطمي بإرسال بعض بطون بني هلال لتأديبه. وعندما بلغ بنو زغبة وبنو رياح طرابلس، وكانا أهمّ فروع الهلاليين، دبّ الشقاق بينهما ونشبت معارك. فندب اليازوريّ ابن ملهم للصلح بينهما وحثهما على متابعة المسير إلى القيروان. فسار إلى طرابلس، وما زال بهما حتى اصطلحا.

(٤) ظ. م: والسيف يُسْعَرُ، بالبناء للمجهول، وهو تصحيف.

٢٠- هِيَ في الهَوى وَعْدُ الوِصَالِ وفي الكَـرى
طَيْــفُ الخيــالِ وفي الــوَدَاعِ عِنَــاقُ[(١)]

يَنْمِــي إلى حَــسَبٍ تقَــدمَ (مُلْهَــمٌ)
فيــهِ، وعَــز علَــى النجــومِ لَحَــاقُ[(٢)]

بَيْــتٌ لــه الــشرَفُ القــدِيمُ وغَيْــرُهُ
كالــشَّيبِ جِــدةُ مِثْلِــهِ إخْــلاقُ[(٣)]

البَــرْكُ دَثْــرٌ، والقِبَــابُ فَــسِيحَةٌ
والجــودُ غَمْــرٌ، والجِفَــانُ عِمَــاقُ[(٤)]

---

(١) يشبه هذه الأخلاق في نشوتنا بوعد الوصال في الهوى، وطيف الخيال في الكرى، وعناق الحبيب في الوداع. وهذا البيت والذي سبق في ((الأفضليات)) لابن الصيرفيّ، ص٤٢. وقد أوردهما لبيان أن ابن سنان استعمل هذا التركيب في موضع آخر من قوله: له خلق في المحل غيث، وفي الصبا نسيم، وفي جنح الدجى غُرة البدر، وأن قوله: ((هي في الهوى ...)) مأخوذ من قول ابن نباتة السعديّ المتوفي سنة ٤٠٥ هـ: إنا في السحاب وبل وفي الريح نسيم، ونشوة في الشراب، ونرى أن في البيت تقسيمًا، وأن هذا اللون من البديع قديم لا يحتاج فيه ابن سنان إلى الأخذ من ابن نباتة.

(٢) ينمي: ينسب. الحسب: الشرف الثابت في الآباء. ملهم: هو ملهم بن دينار العقيليّ جد الأمير أبي عليّ الحسن. عَز: شَق. يريد أن مجدهم تليد، ومجد غيرهم طريف كالشيب ما يظهر على الإنسان إلا لِيُبينَ بِلاه.

(٣) الجِدة: مصدر جَد فهو جديد. الإخلاق: البلى.

(٤) البرك: الإبل الباركة. الدثر: الكثير من كل شيء -لا يثنى ولا يجمع-. وفي الحديث: ((ابعثْ راعَيها في الدثْر)) أي الخصب والنبات الكثير. الجفان ج جفنة: وهي أعظم ما يكون من القصاع.

يمدح آل ملهم بالكرم، ويصف محلّهم بالخصب.

أحْيا النـدَى جَـذْلانَ ، نَـم بِحِلْمِـهِ
بِـ ـشْرٌ[1] يُهَـ ـابُ كأنـ ـهُ إطْـ ـرَاقُ

٢٥- وَحَمَى (العَوَاصِمَ) بعدما عَاثَ العِـدَى
فيهـ ـا، وحَـ ـاوَلَ[2] سَـ ـرْحَها المُـ ـراقُ[3]

ما ضَرَهَا جَدْبٌ[4] وأنـ ـتَ ربيعُهـ ـا الْـ ـ
ـ ـسحالي ، وكَفـ ـكَ غَيثُهـ ـا الغَيْـ ـدَاقُ [5]

---

(١)ظ: نَم بِحَمْلِهِ بَشَرٌ.وقوله: نَم بِحِلْمِه من باب الاحتراز.

(٢) ظ. م: وخاتل.

(٣) يقصد بالعدى: الروم، وبالمراق: النابذين للطاعة من المسلمين. السرح: المال السائم في المراعي من الأنعام. ولا يسمى من المال سرحًا إلا ما يغدى به ويراح. والعواصم: حصون موانع وولاية تحيط با، بين حلب وأنطاكية، وقصبتها أنطاكية. ولم تكن لها نفس الدلالة من فتحها على عهد عمر وعثمان (رضي الله عنهما) إلى عصر ابن سنان. (راجع في ذلك: البلاذري وياقوت والطبري وغيرهم). وفي أخريات عهد الحمدانيين احتل الروم على يد نقفور فوكاس جزءًا كبيرًا منها، وخاصة غربا وشمالها وكان حدثًا مؤلمًا وجد صداه في الأدب العربي بالمشرق والمغرب. يقول ابن هانئ الأندلسي في مدح المعز لدين الله الفاطمي [طويل]:

غضبت له أن ثلّ بالشام عرشـه وعادك من ذكر (العواصم) عيد

(الديوان، ص ٥٥)

لكن أمراء الشام شنوا بعدها على الروم حروبًا شعواء أبلوا فيها البلاء الحسن. وابن سنان يشير إلى بعضها في هذا البيت، مثلما فعل ابن حيّوس في عدة مواضع من ديوانه.

(٤) ف. ك: جذب (بالذال المعجمة)، غيثها (بالنصب).

(٥) الحالي: من حلى المرأة يحليها: جعل لها حليًا وزينها. الغيداق: الغزير الكثير.

ظَن (ابنُ باديسٍ) يِعَادَك جُنةً
فأَبَتْ نَواحِلُ كالقِسِي دِقَاقُ [1]

أَلْهَاهُ عنْ نَظَرِ العَوَاقِبِ سَامِرٌ
غَرِدٌ وكأْسٌ بالعُقَارِ دِهَاقُ [2]

فأقَامَ يَنْتَجِعُ الظُنونَ سَفَاهَةً[3]
ومِنَ الظُنون خَدِيعَةٌ ونِفَاقُ[4]

---

(١) ابن باديس: أبو تميم شرف الدولة، رابع أمراء الدولة الزيرية بإفريقية. توفي أبوه باديس سنة ٤٠٦هـ، فاعتلى بعده العرش ولم يكن بلغ التاسعة من عمره. وانتقل من المهدية إلى المنصورية. عاصر من خلفاء الفاطميين: الحاكم بأمر الله والظاهر والمستنصر بالله. وكان مشهورًا بحزمه وضبطه لأمور دولته وحبه للعلم والعلماء. ولكن الحظ لم يسعفه فتكالبت عليه وعلى رعيته السنون والأوبئة والأزمات الاقتصادية والاضطرابات السياسية والتعصب الديني وثورات السنيين على الشيعة، مما اضطره إلى إرضاء العامة بالدعوة إلى العباسيين، وكان ذلك بعد موت الجراجرائي. فأشار اليازوري وزير المستنصر على الخليفة الفاطمي بالانتقام من المعز. فسلط قبائل بني هلال وسليم على إفريقية، فاستباحوها وخربوا القيروان والمنصورية. وذلك ما يشير إليه ابن سنان في هذه القصيدة، وابن حيوس في مدحه لليازوري (الديوان، ص ٦١٨-٦٢٦، والحاشية رقم ٣، ص ٦١٨). ورثى القيروان كثير من شعراء إفريقية، وخاصة ابن شرف (راجع: الذخيرة لابن بسام الأندلسي: ١/٤: ٢٢٧-٢٣٨). واضطر المعزّ بعد هذه الأهوال إلى الرجوع إلى طاعة العبيديّين، وضرب السكة باسمهم إلى أن توفي سنة ٤٥٤ هـ.

الجُنة: ما واراك من السلاح وكل ما وقى، من جن: ستر ووارى. وهو أصل المعنى.

(٢) العقار: الخمر. وكأس دهاق: ممتلئة مترعة.

(٣) م: وأقام ينتظر. انتجع ونجع: طلب الكلأ. وانتجعت فلانًا: طلبت معروفه (مجاز).

(٤) ((ومن الظنون خديعة ونفاق)) أي من الظنون ما هو خديعة ونفاق.

٣٠- حَتَــى إذا طَالَعْــتَ ثَغْــرَةَ كَيْــدِهِ
وَهَفَـ ـــا عليـ ـــه لِـ ـــوَاؤُكَ الخَفـ ـــاقُ
وَنَــزَتْ جِيَــادُكَ للطــرادِ (١) كأنهَــا
سِـ ـــرْبُ المَهَـ ـــا، ورِمَاحَـ ـــكَ الأَرْوَاقُ (٢)
ولى يَــذُم لــه(٣) قَــوائِمَ سَــابِحٍ
جَمَحَــتْ بــه الخُــيَلاءُ وَهْــيَ إِبَــاقُ(٤)

---

(١) بحاشية ك إشارة إلى رواية في نسخة أخرى: برزت جيادك للطعان ...

(٢) نزا الفرس: مرح فوثب. المها: بقر الوحش، سميت بذلك لبياضها على التشبيه بالدرة. الأرواق ج رَوْق: وهو قرن الثور. وأصل المعنى فيه التقدم، ومنه روْق الإنسان: شبابه. وروق من الليل طائفة منه، وهي المتقدمة.

(٣) م: تذم. مط، ص ٧٦: يذم بها.

(٤) السابح من الخيل: الحسن مدّ اليدين في الجري كأنه يسْبحُ. وهي صفة غالبة فيها. ومن شواهد العمل [طويل]:

فولّيتَ عنه يرتمي بــك ســابح وقد قابلتْ أذْنيه منك الأخادعُ

جمح الفرسُ: إذا اعتزّ فارسَه حتى يغلبه. وأصل معناه ذهاب الشيء قدمًا بغلبة وقوة. والخيلاء بضم الخاء وكسرها: الإعجاب بالنفس والكِبْرُ. وقد عدّه ابن بريّ من (خول) فهو واوي. وأورده ابن منظور في الواو والياء، وإن كان يراه واويًا (اللسان في مادتي: خول وخيل). والإباق: هرب العبد من سيّده. يريد أنّ ابن باديس كان مختالاً فخورًا يمني نفسه الأماني، فلما هزمته فرّ منك كما يفرّ العبد من سيّده، وجرى مسرعًا جري السابح، وإن كان يحس من نفسه العجز عن الجري لما لحقه من شدة الخوف والهزيمة النكراء. وقوله: ((ولّى يذم له قوائم سابح)) يعني به في أصل التركيب: ولى يذم قوائمه مع أنها قوائم سابح.

وَرَمَى بـ (صَبْرَةَ) في مَخَالِـبِ ضَـيْغَمٍ
طَيـانَ تُنْفَـتَحُ باسْـمِهِ الأغْـلاقُ[1]
مـا دَب للـصَّهْبَاءِ في أعْطَافِـه
مَـرَحٌ[2] ولا عَبَثَـتْ بـه الأعْـلاقُ[3]

---

(١) صبرة: هي المنصورية نفسها. قال أبو عبيد البكري: ((صبرة متصلة بالقيروان. بناها إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله سنة ٣٣٧ هـ، واستوطنها..)) (عن ياقوت: مادة صبرة). وذكر ابن حوقل أن المنصور اختط صبرة في أقرب أمد بعد ما ثار عليه أبو يزيد مخلد بن كيداد، صاحب الحمار، وكاد يستولي على المغرب بأجمعه وخانه أهل القيروان، وأنه انتقل إليها في شهر شوال من سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة (صورة الأرض، ص ٧٤). ونص المقدسي البشّاريّ في ((أحسن التقاسيم)) ص ٢٢٦، على أن ((صبرة بناها الفاطمي أول ما ملك الإقليم واشتق اسمها من صبر عسكره في الحرب)). وقد وصفها أبو عبيد البكري وابن حوقل والمقدسي أحسن وصف، وذكروا أنا كانت مفخرة الدولة العبيدية. ووردت كثيرًا في الشعر. قال ابن رشيق [طويل]:

بنفسيَ من سكان صبرة واحـد   هو الناس والباقون بعدُ فـضولُ

ومن قصيدة مشهورة له [بسيط]:

يا أهل صبرة والأحباب عندكمُ   إن كان عندكمُ صبر فواسـوني
إني أدين بدين الحـب ويحكـمُ   واللهُ قد قال: ((لا إكراه في الدين))

الذخيرة ق٤/مج٢/ص ٦١١.

أما الحوادث التي يشير إليها الشاعر فمفصلة في كتب التاريخ مثل تاريخ ابن الأثير (٥٦٦/٩-٧٠) والبيان المغرب لابن عذاري المراكشي (٣٨٩/١-٩٥).

(٢) ظ: فرح.

(٣) العلق: النفيس من كل شيء، سمي كذلك لتعلق القلب به والجمع أعلاق، والأعلاق أيضا: المال الكريم.

٣٥- دَامِــي الأسِــنةِ مَــا تَقِــر جِيَــادُهُ
حتـ ــى تُـ ــضِيءَ بِعَدْلِـ ــهِ الآفَـ ــاقُ
(بِـــالقَيْرَوَانِ) لهـــا عَمَامَـــةُ عِثْيَـــرٍ
وَطَفَـ ــاءُ وَابِلُهـ ــا الـ ــدمُ المُهَـ ــرَاقُ[1]
وعلى (خَلِيجِ الـرومِ) بَـرْقُ صَـفَائِحٍ
تَفْــري ذُيُــولَ النقْــعِ وهْــي صِـفَاقُ[2]

---

(١) العثير: الغبار.سحابة وطفاء: سَح حثيثة. الوابل: المطر الشديد الضخم القطر. المهراق: الهاء متحركة لأنها ليست بأصلية، وإنما هي بدل من همزة أراق. يذكر وقائع الأمير بالقيروان وقوة جيشه عند البأس. ويشير إلى انكسار أمير القيروان المعز ابن باديس. قال ابن أبي الضياف في ((اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان)) ص ١٧٣-١٧٤ ط. تونس: ((واستباحوها في الحين (أي القيروان)، وعظم ذلك على المعز وأهل إفريقية، فخرج لدفاعهم على القيروان، فهزموه (أي بنو هلال) وقال في ذلك شاعرهم [علي بن رزق] من الطويل:

وإن ابن باديس لأحزم فـارس لعمري ولكن ما لديـه رجـال
ثلاثة آلاف لنا هزمـت لـه ثلاثـين ألفًـا، إن ذا لنكـال

ولم يزالوا على عيثهم وفسادهم، وكلما مانعهم آذنوه بحرب، وبعثوا إلى إخوتهم يشكرون الأرض والخصب وطيب المرعى، وما حصل لهم من التغلب ولما اشتدت وطأتهم خرج المعز من القيروان سنة ٤٤٩ هـ مع خفير من العرب، ودخلوا القيروان، وعاثوا فيها، وقتلوا أكثر أهلها بل وباعوها وخرج أكثر البلاد من يد المعز)).

(٢) صفاق: كثيفة، من صَفُقَ الثوبُ: كَثُفَ نسجُه. يشير بهذا البيت والأبيات التي بعده إلى المعارك التي قادها ابن ملهم ضد الروم.

فَتنـازَعَ الكُفـارُ فَضْلَةَ كَأسِـهَا

مِـنْ بَعْـدِ مَـا ثَمِلَـتْ بِـهِ الفُـساقُ[1]

عَـادَتْ سِـهَامُهُمُ الحِـدَادُ كَلِيلَـةً

حَتّى كَأنَّ نِصَالَها أفْـوَاقُ[2]

٤٠- صَبحْتَهُمْ بـ (اللاذِقيـةِ) في التقى

بَحْـرانِ: مَـاءٌ راكِـدٌ وعِتَـاقُ[3]

فَـاتَ الظـلامُ بِـها فَعِفْـتَ وُرُودَهَـا

تَبَعًـا وأنْـتَ بمِثْلِهـا سَبّـاقُ[4]

---

(١) يقصد بالكفار الروم وبالفساق المعز بن باديس. والفاسق، في أصل معناه: الخارج عن الاستقامة الجائر. وفي البيت دليل على أن وقعة اللاذقية كانت بعد وقعة القيروان.

(٢) الأفواق ج فُوقٍ وهو موضع الوتر من السهم.

(٣) اللاذقية: مدينة على ساحل البحر غربي بلاد الشام، خضعت في منتصف القرن الخامس الهجري لسلطة الروم وكانت تابعة لحمص. العتاق: الخيل الكريمة. وقد يكون قصد بها عتاق الطير وهي الجوارح منها. يشير إلى المعارك التي قادها ابن ملهم من سنة ٤٤٦ إلى سنة ٤٤٨، ضد الروم وهجومه على اللاذقية وانتصاره بها. يقول المقريزي: ((بعث الخليفة المستنصر بالله إلى ملك الروم، إلى القسطنطينية أن يحمل الغلال إلى مصر، فأطلق أربعمائة ألف إردب، وعزم على حملها إلى مصر، فأدركه أجله ومات قبل ذلك. فقام في الملك بعده امرأة وعاقت الغلال عن المسير إلى مصر، فحنق المستنصر وجهّز العساكر وعليها مكين الدولة الحسن بن ملهم، وسارت إلى اللاذقية فحاربتها)).. (الخطط ٣٣٥/١).

(٤) يريد أنه وصل مساء إلى اللاذقية، فمنعه الظلام من الهجوم عليها.

حتّى إذَا سَفَرَ الضحَى وتمارَتِ الـ

أبصارُ أيكُمَا لَهُ الإشْرَاقُ(١)

غَادَرْتَهَا دِمَنًا ، على أطْلالِهَا

يُبْكَى الخَلِيطُ وتُذْكَرُ الأشْوَاقُ(٢)

وشَرَعْتَ دينَ قِرَاكَ في عَرَصَاتِها

فالنارُ تُضْرَمُ والدمَاءُ تُرَاقُ(٣)

٤٥- فَأَطَاعَ جَامِحُها وكانَتْ زَبْرَةً

عَوْجَاءَ ثَقَّفَ مَيْلَهَا الإحْرَاقُ

شَرَفًا (بني كَعْبٍ) فمَا عَذْبُ الجَنَى

إلا بما سَبَقَتْ به الأعْرَاقُ(٤)

شَادَتْ(٥) سُيُوفُ (أبي عليّ) فِيكُمُ

مَجْدًا لَهُ فَوْقَ السمَاءِ طِبَاقُ

وسَعَى المُهَذبُ سَعْيَه فتوافَقَا

إن كان بين الفَرْقَدَيْنِ وِفَاقُ

---

(١) تمارى: شك. يريد: فلما أشرق الصبح وأشرق سلاحك شك الناظر في أيكما المشرق.

(٢) ظ، ف، ق، ك: تبكي. أصل التركيب: غادرتها دمنًا يُبكَى الخليط وتذكر الأشواق على أطلالها. ولا يخفى ما في البيت من تحكم يمزج بين النسيب ووصف المعارك.

(٣) جعل المعركة قِرًى تُضرم فيه النار لتهيئة طعام الضيوف ويُراق فيه دم الذبائح.

(٤) بنو كعب: قوم الممدوح. الأعراق: الأصول.

(٥) ف، ق، ك: سادت. طباق: مثيل وموافق. يريد أن هذا المجد رفيع.

يــا جَــامِعَ الحَــسَنَاتِ إنّ عَرَائِبِــي[1]
تُهْــدَى ولَيْــسَ سِــوَى الــوِدَادِ صَــدَاقُ

٥٠- لَوْ أُنْــصِفَتْ[2] زُفَّــتْ إلى خُطَابِهَــا
والبَــدْرُ تَــاجٌ والنجُــومُ نِطَــاقُ

لم تَعْتَرِضْــهَا بِالحِجَــابِ نَقِيــصَةٌ
مَــا كُــلُّ مَــا سَــتَرَ الْبُــدُورَ مَحَــاقُ

خمسون بيتا

(١) ((غرائبي)) عنى بها قصائده التي ليس لها مثيل، وجعل منها عرائس تزف إلى الممدوح.

(٢) م، ط: أَنْصَفْتَ، بالبناء للمعلوم.

*[٣]

وقال يمدحه ، وكتب بها إليه من القسطنطينية بعد مسيره عن حلب في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة[1] [سريع]:

١- لاحَ وعِقْدُ اللَّيْلِ مَسْلُوبُ
بَرْقٌ بِنارِ الشَّوْقِ[2] مَشْبُوبُ[3]

طَوَى الفَلا يَسْأَلُ عَنْ (حَاجِرٍ)
وَهْوَ إلى (رَامَةَ) مَجْلُوبُ[4]

(*) القصيدة في نسخة م ٧، ظ ١١، ف. ك ٨، ق ١٢. مط ٨، في مختارات البارودي، ٥٧٣ منها ٢٩ بيتًا.

(١) م: ((وكتب إليه من القسطنطينية)). في مختارات البارودي: بعد مسيره من حلب. وانظر ق ١٣.

(٢) ظ: برق على رامة مشبوب.

(٣) العِقد: الخيط ينظم فيه الخرز والدر وغيرهما، وقصد بعقد الليل النجوم لشبهها بالدر وتسميتها بالدراري. والبرق هنا الآتي من حلب، يلمح إلى مسيره عنها إلى القسطنطينية. شبّ النار: أوقدها، والشباب والشبوب ما يوقد به النار، ويقال: هذا شبوب لكذا: أي يزيد فيه ويقويه. يقول: لاح في ظلام الليل الحالك برق أشعله شوقي إلى الحبيب. ومن عادة الشعراء أن يثير البرق شوقهم إلى المحبوب. وفي البيت مبالغة جَيدة.

(٤) ظ: منسوب. الفلا: ج فلاة وهي الأرض الواسعة القفرة المنقطعة. حاجر: مكان بطريق مكة قبل معدن النقرة من منازل حاج الكوفة بين أضاخ وماوان. رامة: مَنْزل بينه وبين الرمادة ليلة في طريق البصرة إلى مكة ومنه إلى إمرة وهي آخر بلاد تميم، وكثيرًا ما ذكره الشعراء بالإفراد والتثنية. ورامة أيضًا من قرى البيت المقدس بها مقام إبراهيم عليه السلام. وقد كثر ورود (حاجر) و(رامة) في الشعر العربي الصوفي (البرعي، البوصيري). جعل البرق مُوَلَّهًا غلب عليه هواه، فكلما يمم سبيلاً جذبته عاطفة إلى حيث حبيبه مقيم. وقال ابن الصائغ العروضي ٧٢٢هـ يتشوق إلى دمشق مفضلاً وادي النيربين على (رامة) [كامل]:

لله وادي (النيرَبين) وظِلّه ... لا (الرقمتان) و(رامةٌ) و(الأبرقُ)

(فوات الوفيات: ٠٢ / ٣٨١)

ضَـ ـلالَةٌ للْبَـ ـانِ في طَيِـ ـهَـ ـ ـا

سُـ ـكْرٌ وللقُمْـ ـ ـرِي تَطْرِيـ ـ ـبُ[1]

وعَـ ـارِضٌ يَجْمَـ ـعُ نُـ ـ ـدادَهُ

زَجْـ ـرٌ مِـ ـنَ الرَعْـ ـدِ وَتَرْهِيـ ـبُ[2]

٥- عَقَـ ـدْتُ أَجْفَـ ـانِي بِهُدابِـ ـهِ[3]

فهْـ ـوَ بِمـ ـاءِ الـ ـدمْعِ[4] مَقْطُـ ـوبُ[5]

---

(١) الضلالة: ضد الهدى والرشاد، وأصلها الغيبوبة. البان ضرب من الشجر، انظر ق٤ ب ٧، وق ١١ ب ٢. القمري: طائر يشبه الحمام القمر البيض. رأى الشاعر عاطفته في الطبيعة، فجعل البرق عاشقًا، وغصون البان، تحركها الريح، منتشية بخمر الحب، والقمري غَرِدًا ثملاً بواه. ولا يخفى أن الشعراء يرمزون إلى المرأة بغصن البان وبالقمرية، فلا عجب أن يؤلف الشاعر بين هذه الصور في مثل هذا الغرض.

(٢) العارض: السحاب المطل يعترض في الأفق. والناد الشارد من الإبل، والجمع نُداد. شبه السحاب يجمع قِطَعَهُ ويتلبد شيئًا فشيئًا بسائق إبل يزجرها ويرهبها لتتجمع، واستعار صوت الرعد لزجره، وهذا قريب من معتقد قديم نجده عند اليونان في تصورهم للإله (زوس)، والرومان في نظرتم لـ (جوبيتير) المشتري، والساميين في حديثهم عن أدد، وبقي أثر ذلك في بعض التفسير وفي الآداب العالمية.

(٣) مط: بأهدابه.

(٤) ظ: بدمع العين.

(٥) هدّاب الثوب: طرفه مما يلي طرّته وقصد الشاعر أطراف السحاب.مقطوب: مملوء، وقَطَبَ الشرابَ: مزَجَه. يصف السحاب القادم ويعكس الصورة فيجعل ماء السحاب من الدمع كناية عن الوجد والشوق.

أسْــألُه عــنْكُم وَفِــي بَرْقِــ ـه
سَــطْرٌ مِــنَ الأخْبَــارِ مَكْتُــوبُ [1]
فلَيْتَــه أظْهَــرَ مِــن (جَوْشَــنٍ)
مَــا كَتَمَــتْ تِلْــكَ الأهَاضِــيبُ [2]
ولائِــمٍ يُظْهِــرُ إشْفَـاقَــ ـهُ
عِنْــدِي وَبَعْــضُ النُّــصْحِ تَثْرِيــبُ [3]
١٠- ظَـن غَرَامِـي بِكُـمُ صَبْـوَةً
وَهْـوَ مِـنَ الآدَابِ مَحْـسُـوبُ [4]

---

(١) معنى البيت متداول في الشعر العربي الأندلسي والعباسي.

(٢) جوشن: جبل مطل على حلب في غربيها، قال ياقوت: ((وقد أكثر شعراء حلب من ذكره جدًا.وقرأت في ديوان شعر عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي عند قوله [كامل]:

يابَرقُ طالِعْ مِن ثَنِيّـةِ جَوشَـنٍ حَلَبًا وحَي كَريمةً مِـن أهلِهـا
واسألْهُ هل حَمَل النسيمُ تَحِيّـةً مِنها، فإن هُبُوبَهُ مِـن رُسْـلِها

جوشن: جبل في غربيّ حلب ومنه كان يحمل النحاس الأحمر وهو معدنه)) اهـ. الأهاضيب: جمع أهضوبة وهي الدفعة من المطر. يقول: إن ما يخبر به البرق يخفيه المطر، ويتمنى رؤية جوشن بوضوح كناية عن شوقه إلى وطنه.

(٣) التثريب كالتأنيب والاستقصاء في اللوم، أعرب عن تبرمه بالأعداء الذين يأتونه في صورة نصحاء مشفقين.

(٤) الصبوة: جَهْلَة الفتوة. ((من)) هنا بيانية. يريد أن العدو ظن شعر ابن سنان الخفاجي محض عواطف كاذبة يثيرها الشعراء.

مَا لَكَ ؟ لا حُـدثْتَ فِـي مِثْلِهَـا[1]
إلا وَتْعِلِيـ ـ ـ ـلُكَ تَأْنِيـ ـ ـ ـ ـ ـبُ![2]

يـا صَـاحِبَيْ رَحْلِـي أَعِيـدَا أَمَـا
نِـي فَفِـي الغَيْـ ـبِ أَعَاجِيـ ـبُ[3]

وخَبرَانِـي أَيْـنَ شَـمْسُ الـضحَى
فـإن لَـوْنَ اللَيْـ ـلِ[4] غِرْبِيـ ـبُ[5]

وَا أَسَـفِي مِـنْ غُرْبَـةٍ[6] طُوحَـتْ
فِيهَـا إلى (الـروم) الأعَارِيـ ـبُ![7]

---

(١) ظ: عن مثلها.

(٢) ف، ق، ك، مط صفحة ٩: تأديب. يدعو على لائمه بأن يحب حبًا شديدًا، وبأن يعلّل بالتأنيب مثلما فعل معه.

(٣) انتقل إلى غرض ثان شاكيًا غربته ببلاد الروم واصفًا شوقه إلى وطنه وحنينه إلى ذويه، وانتهج في هذا القسم طريقة الجاهليين فطلب إلى صاحبيه أن يعيدا إليه أمله؛ لأن المستقبل يفاجئ الإنسان بما لم يكن ينتظر، وهذا البيت والمقطع المدحي التالي في مختارات البارودي ٢ / ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٤) ما أثبتناه من ظ وفي سائر النسخ: فإن لون الصبح..

(٥) غربيب: شديد السواد، وإذا قلت غرابيب سود جعلْتَ السود بدلاً من غرابيب، لأن توكيد الألوان لا يتقدم. يستبطئ طلوع النهار كناية عن السهر والأرق وإحاطة الهموم به.

(٦) ظ: وا أسفي كم لِيَ من غربة.م، ف: وا أسفي. وهي رواية البارودي.

(٧) الأعاريب ج أعراب، وقصد بها العرب الخُلص. يذكر قدومه إلى القسطنطينية من بلاد الروم عن غير رغبة منه.

١٥- قَادَنِيَ الدهْـ ـرُ إِلَيْهَـ ـا وَهَـ ـنْ
يُجَـ ـاذِبِ الأَوْ ـ ـ ـدَارَ مَغْلُـ ـ ـوبُ
فَهَلْ تَـ ـشِيمَـ ـانِ علـ ـى (رَاهِـ ـطٍ)
نَـ ـارًا لَهَـ ـا في الجَـ ـو أُلْهُـ ـوبُ ؟ [١]
دُونَ سَنَاهَـ ـا كُـ ـل مَجْهُولَـ ـةٍ
تَعْرِفُهَـ ـا[٢] الجُـ ـرْدُ الـ ـسرَاحِيبُ[٣]
لعلهَـ ـا نَـ ـارُ (ابْنِـ ـي مُلْهَـ ـمٍ)
تُعْقَـ ـ ـرُ في أَرْجَائِهـ ـا النيـ ـ ـبُ[٤]

---

(١) شام السحاب والبرق: نظر إليه من بعيد، وقد يكون الشَّيْمُ النظر إلى النار، كما في البيت، ومنه قول ابن مقبل [طويل]:

ولو تشتري منـه لبـاع ثيابـه　　بنبحة كلب أو بنـار يـشيمها

(اللسان، مادة شام)

وشِمْتُ البرق نظرت إلى سحابته أين تمطر. وقصد الشاعر بالنار نار القرى التي يوقدها ابن ملهم، كنى بها عن جوده. وراهط: موضع بالغوطة من دمشق في مشرقيه بعد مرج عذراء إذا كنت في القصير طالبًا ثنية العقاب تلقاء حمص فهو عن يمينك، وسماه كثّير عزة نقعاء راهط في لامية له، ويدعى أيضا مرج راهط، وهو أشهر المروج في الشعر، فإذا استعملوه مفردًا فإياه يعنون. والألهوب هنا اللهب المرتفع من النار.

(٢) ف، ق، ك، م: تفرقها.

(٣) سناها: أراد سنى نار الكرم؛ الهولة: أراد الصحراء القفر والهولة والهل المفازة لا أعلام فيها ولا جبال. الجرد ج أجرد للفرس القصير الشعر، وذلك من علامات العتق والكرم. السّرحوبة من الإبل: السريعة الطويلة، ومن الخيل العتيق الخفيف، وأكثر ما ينعت به الخيل. يقول: إن نار الكرم مشهورة في الصحراء لدى الضيفان.

(٤) النيب ج ناب: وهي في الأصل الناقة المسنة، وأراد بها هنا مطلق النوق، كما في قول ابن الرومي [وافر]:

((يذكرني الشبابَ وميضُ بـرقٍ　　وسجعُ حمامةٍ وحـنينُ نـابِ))

الديوان، ١ / ٣٧٦.

إنْ بَخِلَــتْ في[1] المَحْــلِ أَخْلاَفُهَــا
دَرتْ علَـــى الـــضيْفِ العَرَاقِيـــبُ[2]

٢٠- قَـــوْمٌ ذَكَرْنَــاهُمْ ومِـــنْ دُونِهــم
للريـــــح إسْـــــآدٌ وَتَأويـــــبُ[3]

فَرَنحَتْنَــا لَهُـــمْ نَـــشْـــوَةٌ
يَطْـــرَبُ مِنْهَـــا الـــراحُ والكُـــوبُ

ذوائِـــبٌ مِـــنْ (عَـــامِرٍ) ضَـــمهَا
بَيْـــتٌ علـــى الجـــوْزَاءِ مَـــضْرُوبُ[4]

لهـــم إذَا مَـــا أَمهُـــمْ[5] سَائِـــلٌ
فَـــنٌ مِـــنَ الجُـــودِ وأُسْلُـــوبُ

---

(١) ظ: إن خلت في.

(٢) المحل: الشدة والجدب وانقطاع المطر. الأخلاف جمع خِلْفٍ، والخلف حلمة ضرع الناقة أو طرفه أو هو للناقة كالضرع للشاة. العراقيب، جمع عرقوب. وعرقوب الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها. قال الأصمعي: وكل ذي أربع عرقوباه في رجليه، وركبتاه في يديه.هـ.

يقول: إن انقطع لبن النوق في الشدة والجدب، فإن الممدوح ينحر هذه النوق لضيوفه. يمدحه بالكرم.

(٣) الإسآد: سير الليل كله لا تعريس فيه، والتأويب: سير النهار لا تعريج فيه. يشكو بعده عن الممدوح ويجعل الريح الصلة الوحيدة بينهما.

(٤) الذوائب: السادة، من ذؤابة الشيء أي أعلاه. عامر جدّ جاهلي ينتسب إليه بنو ملهم بن دينار العقيليّ. جعل الشاعر أهله سادة عامر وبيته أشرف بيت في هذه القبيلة.

(٥) ظ، م، مط صفحة ٩: إذا أمهم، وكذا في مختارات البارودي.

طَلاقَـةٌ تُـشْرِقُ قَبْـلَ النَّـدَى
والبِـشْرُ مثـلُ الحُسْنِ مَحْبُـوبُ

٢٥- تَعْجَـبُ مِـنْ إِسْعارِ أَيْدِيهِـمُ
نَـارَ الـوَغَى وَهْـيَ شَآبِيـبُ[(١)]

لأَنَّـوا وَفِـيهِمْ لِلعِـدَى قَـسْـوَةٌ
والغَيْـثُ مَرْجُـوٌ وَمَرْهُـوبُ

تَنَاسَـبُوا قَبْـلُ إلى[(٢)] (مَالِـكٍ)
وَبَـانَ سِـرٌ فِيـهِ مَحْجُـوبُ[(٣)]

فَهْوَ سِنَانٌ طَـالَ عَـنْ رُمْحِـهِ
واعْتَـدَلَتْ بعْـدُ الأَنَابِيـبُ[(٤)]

---

(١) شآبيب: جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر وغيره، كناية عن الجود، وفي البيت مجاز. يصفهم بالبأس في الحرب وبالكرم، ويتعجب من اجتماع النار والماء في أيديهم.

(٢) ظ. م: قبل أبي.

(٣) تناسبوا: شارك بعضهم بعضًا في النسب.

(٤) سنان الرمح: حديدته. الأنبوب: ما بين العقدتين من القصب والقناة، وأنبوب الرمح كعبه والجمع أنابيب. يمدحه بالطول، والعرب تستحبه وتمدح به وتكره القصر وتذمه، قال مسلم [طويل]:

يطول مع الرمح الرُّدَيْنِيّ قامـةً ويقصر عنه طولُ كـلّ نجـاد

شرح ديوان صريع الغواني، ص ٣١١.

ولبعضهم [طويل]:

فجاءت به سبط البنـان كأنمـا عمامتـه بـين الرجـال لـواء

(انظر ديوان الحماسة لأبي تمام بشرح التبريزي ٢٦٢/١)

ولا يخفى أن ابن سنان يراعي هذا المعنى ويقصد أيضا أن الممدوح طويل الباع في الحروب شديد البأس صلب القناة.

أبلَـجُ تُبْـدِي الغَيْـبَ أفْكَـارُهُ
وَكُـل رأي النـاسِ تَجْرِيـبُ[(١)]
٣٠- أزِمَّـةُ الأيَّـامِ[(٢)] فِـي كَفِّـهِ
وَجَامِـحُ الأقْـدَارِ مَجْنُـوبُ[(٣)]
كَمَالُهُ يُغْنِيـكَ عَـنْ عَـدِّ مَـا
فِيـهِ وكُـل الصُّبْـحِ تَجْبِيـبُ[(٤)]
لَـهُ مَحَـلٌ دونَ إِدْرَاكِـهِ
للشُّهْبِ تَصْعِيدٌ وَتَصْوِيبُ[(٥)]
أوْفَـى عليْهَـا فَلَهَـا[(٦)] بَعْـدَهُ
في الأُفْـقِ تَشْرِيـقٌ وَتَغْرِيـبُ[(٧)]

---

(١) البلج: نقاوة ما بين الحاجبين، والأبلج: الأبيض الحسن الواسع الوجه، والرجل الطلق الوجه. يريد أن للأمير حدسا بما سيقع من مغيبات الأمور.
(٢) م: أزمة الأقدار.
(٣) جنبه: أبعده. فهو مجنوب. يشير إلى سعة ملك الأمير وعظمة سلطانه في الزمان.
(٤) ط: النصح تجريب. تجبيب: قصد التحجيل. عّبر عن البياض بالتجبيب. يقول: إن كمال الممدوح يغنيك عن ذكر محاسنه فهو كالصبح.
(٥) التصعيد: الارتقاء والإشراف. والتصويب خلاف التصعيد. مدح الأمير بأن مْنزلته لا تدرك، وأن الشهبَ تصّعد وتصّوب من دون أن تدرك مقامه لأنه في مَحل أرفع منها.
(٦) ظ: فله.
(٧) أوفى عليها: جاوزها في العلو فهي تشرق وتغرب من دون مْنزلته.

تُـشْـرِقُ إنْ قَـابَلَهَـا مِثْلَمَـا
تُـشْرِقُ[1] بِالبَيْـتِ المَحَارِيـبُ[2]
٣٥-(أبا عَلِي)[3] كَيفَ صَـارَ النـدَى
عَلَيْـكَ قَرْضـاً وَهْـوَ مَنْـدُوبُ؟[4]
قَبْلَكَ ضَل النـاسُ عَـنْ نَهْجِـهِ
وَعَـز شَـأْوٌ فِيـهِ مَطْلُـوبُ
فَمَـا هَـدَى بعـدَكَ قُـصـادَهُ
إلا مَنَـارٌ لَـكَ مَنْصُـوبُ
مَا ضَر أَهْلَ (الشامِ) أن يُخْلِفَ الـ
ـغَيْثُ وإحْسَانُكَ مَسْكُوبُ؟[5]
كَمْ لَـكَ في وَادِيهِـمُ رَوْضَـةً
نمٍ[6] إلى رَائِـدِهَا الطيـبُ!
٤٠- مَا أَنْـتِ يَـا مُزْنَـةُ خَطـارَةٌ
فِيهَـا ولاَ ذَيْلُـكِ مَسْحُـوبُ[7]

---

(١) ف، ق، ك: تشرف إن قابلها قال ما تشرف. ظ: يشرق. مثلما يشرق.

(٢) الضمير في (قابلها) يعود على الشهب. البيت: المسجد الحرام. أراد أن ضياء الشهب مستمد من نور الممدوح.

(٣) ف، ق، ك،م، مط صفحة ١٠: يا بن علي وعنها نقل البارودي في مختاراته.

(٤) أبو علي هو الأمير مكين الدولة الحسن بن ملهم.

(٥) البيت من باب الغلو في تعظيم الممدوح.

(٦) ف، ك: ثم. وفي مط صفحة ١٠: نم على.

(٧) يُدِل على السحاب بكرم الأمير وأنا لن تخطر تيهًا واستكبارًا على أهل الشام بعدما حل أبو علي أميرًا عليهم.

وإنمَـا رَوضَهَـا غَـ ـ ـ ـارِضٌ
إلى (نَـ ـصِيرِ المُلْـ ـكِ) مَنْـ ـسُـوبُ[1]
جَادَتْ يَدَاهُ حِينَ ضَـ ـن الحَيَـ ـا
والخـ ـيرُ مَمْنُـ ـوعٌ وَمَوْهُـ ـ ـوبُ[2]
يَا خَيْرَ مَنْ نُصت[3] إلَـى نَـ ـارِهِ
ضَـ ـوَامِرُ البُـ ـ ـزْلِ المَـ ـصَاعِيبُ[4]
رَعَيْتُ إحْسَانَكَ عِنْـدِي وَقَـ ـدْ
خَـانَ مـع البُعْـدِ الأصَاحِيـ ـبُ[5]
٤٥- قَلِبي غَرَامٌ بِكَ مَـ ـا أَضْرَمَـ ـتْ
زِيَـ ـادَهُ[6] البِـ ـيضُ الرعَابِيـ ـبُ[7]

---

(١) رَوضَهَا: جعلها روضة وألبسها النبات، يشير إلى أن الغَنَى حل ببلاد الشام بعد نزول الأمير فيها.
(٢) في البيت تلميح إلى ندرة المطر، وإلى القحط الذي أصاب البلاد في القرن الخامس (راجع كتب التاريخ فهي مجمعة على ذلك).
(٣) مط صفحة ١٠: مضت.
(٤) نُصتْ: سير با سيرًا شديدًا حثيثًا. جمل ضامر: أي ضامر البطن. المصاعيب: جمع على غير قياس، الواحد مُصْعَبٌ، وهو القرم الفحل الذي يودع من الركوب ويُترك للفحلة.
(٥) في مختارات البارودي: خان على البعد.
(٦) ظ ما أضمرت. م، ظ: أضرمت زياده.
(٧) الرعابيب جمع رُعبوبة: الجارية البيضاء الناعمة الحلوة. يريد أن حبه ووَلَهَانَهُ بالأمير دائم لا ينقضي، قوي لا يدانيه حب، وهذا البيت والذي يليه مما لا يليق بمدح الأمراء.

وَصَبْـ ـوَةٌ نحْـ ـوَكَ عُذْرِيـ ـ ـةٌ
فَكُـ ـل مَـ ـدْحي فِيـ ـكَ تَـ ـشْبِيبُ
أَبْعَدَنِي مِنْـ ـكَ زَمَـ ـانٌ لَـ ـهُ
في طَلَبِـ ـي وَخْـ ـدٌ وَتقْرِيـ ـ ـبُ[1]
وإلْـ ـفُ دَارٍ بَرْقُهَـ ـا لامِـ ـعُ الـ ـ
آلِ ورَاءِ ـي سَـ ـرْحِهَا الـ ـذيبُ[2]
مَـ ـاهِيَ مِـ ـنْ بَعْـ ـدِيَ[3] إلا كَمَـ ـا
أَقْفَـ ـرَ في الأطْـ ـلالِ (مَلْحُـ ـوبُ) [4]
٥٠- فَهَـ ـلْ أَمَانِـ ـي إذا رَاضَهَـ ـا
في الفِكْـ ـرِ تَقْـ ـدِيرٌ وَتَرْتِيـ ـبُ

تَـ ـصْدُقُنِي فِيـ ـكَ إذَا كَـ ـانَ لا ـ

---

(١) الوخْد: ضرب من سير الإبل فيه سعة الخطو، والتقريب ضرب من العدو دون الإسراع. والشاعر يتظلم أمام الأمير من جور الزمان والأصحاب.

(٢) إلف دار: لزوم دار، من ألف الشيء أي لزمه. والدار بلاد الروم. لامع الآل: من إضافة الصفة إلى الموصوف، برقها لامع الآل: أي برقها خلب لا مطر معه. يُوَري عن نزوله ببلاد الروم ويشبه مَلِكَهَا بالذئب لمكره بالعرب، وقصد بالسرح الشعب. ويلزم هذه المسألة تحقيق تاريخي.

(٣) م: بعدك

(٤) الطريق الملحوب: الواضح، والملحوب اسم موضع قال عبيد: [والبيت مضطرب الوزن كالقصيدة كلها]:

أقفـ ـر مـ ـن أهلـ ـه مَلْحُـ ـوبُ فالقُطَبِيـ ـاتُ فالـ ـذُنوبُ

(شرح القصائد العشر للتبريزيّ، آخر قصيدة)

مُنَـ ـــى خِـ ـــ ـــدَاعٌ وأكَاذِيـ ـــ ـــ ـــبُ

فَقَدْ شَـفَى الغُلـةَ مِـنْ (يُوسُـفٍ)

بَعْــدَ طَوِيــلِ الحُــزْنِ (يَعْقُــوبُ)[1].

اثنان وخمسون بيتًا

---

(١) يقول: قد تصدق المنى رغم خداعها وأكاذيبها، كما صدقت مع يعقوب، فقد رجع إليه يوسف فشفى غلته من فراقه. يصعب فهم هذه القصيدة وجوها العام ورموزها وإشاراتا ما لم تُقْرَأْ إلى جانبها القطعة ١٣٨ التي كتبها من القسطنطينية أيضًا وداعب با بعض إخوانه عام ٤٥٣ ه.

[٤]*

وقال يمدح الأمير سعد الدولة أبا الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ[1] رحمه الله[2]: [كامل]

١- أما (الشريفُ) مِـنَ (الغَـضَا) فَبَعِيــدُ
لَــولاَ الركَائِــبُ وَالــدجَى والبِيــدُ[3]

(*) القصيدة في نسخة ف ٤٥، ق ٦٩، ك ٤٥، ظ ٦٣، م ٩، مط ٢٤.

(1) قوله: رحمه الله، من تزيد النساخ لأن ابن سنان توفي قبله.

(٢) الأمير سعد الدولة سديد الملك، أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانيّ، من بني مالك، أمير شيزر، كان شجاعًا قوي النفس كريمًا، مدحه جماعة من الشعراء منهم ابن سنان بعشر قصائد ونيف، وابن أبي حصينة. وهو أول من ملك قلعة شيزر بشمالي حماة على العاصي بين المعرة وحماة، وكانت في يد الروم فاستولى عليها وحصّنها وبقي فيها إلى وفاته سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م، وعندما سار أمير حلب محمود بن نصر المرداسي إلى طرابلس صحبه الأمير سعد الدولة أبو الحسن والقائد أبو الحسن ابن أبي الثريا. ولابن سنان مراسلات شعرية معه. له شعر جيد وردت نتف منه في هذا الديوان، جمع شعره في ديوان. ترجم له الزركلي.

(٣) الشريف في أصل معناه تصغير شَرَفٍ، والشرف الموضع العالي ويطلق على عدة أماكن فهو ماء لبني نمير وتنسب إليه العقبان، ويقال إنه سرة نَجْدٍ وهو أمرأ موضع به، وقال أبو زياد: وأرض بني نمير الشريف دارها كلها به، إلا بطنًا واحدًا باليمامة يقال لهم بنو ظالم بن ربيعة بن عبد الله، وهو بين حمى ضَرِيَّة وبين سَوْدِ شَمام. ويوم الشريف من أيامهم، وقال ابن السكيت: الشريف واد بنجد فما كان عن يمينه فهو الشرف وما كان عن يساره فهو الشريف. وقال الأصمعي: الشرف كبد نجد، والشريف إلى جانبه يفصل بينهما التسرير، وما كان مشرقًا فهو شريف، وما كان

وضَــوَامِرٌ غَلَبــتْ عَلَــى صَهَوَاتِهَــا
شُــعْثٌ[١] تَطُــولُ مَــعَ القَنَــا وَتَمِيــدُ[٢]

يَــا سَــائِقَ الأَظْعَــانِ! أَيُّ لُبَانَــةٍ
بِــ(النَّعْفِ)[3] تَنْــشُدُهَا المَهَــارِي القُــودُ؟[4]

عَــزَتْ عَلَــى سَــوْمِ الغَــرَامِ فَمَــا دَرَى

مغربًا فهو الشرف (معجم البلدان - الشريف). =

= الغضا: واد بنجد وهو المقصود، وأرض في ديار بني كلاب كانت بها وقعة لهم. والغضا في اللغة: من شجر البادية يشبه الأثل، إلا أنه لا يعظم عظامة الأثل، وهو من أجود الوقود وأبقاه نارًا. الركائب: جمع ركاب وهي الإبل يسار عليها واحدتها راحلة، وتسمى ركابًا متى أريد بها ذلك وإن لم تركب قط. يريد أن هذا الموضع (الشُّرَيْف) بعيد عن المحب لولا الركائب وتحمّل السرى في البيد.

(١) م: شُعَثٌ - بفتح العين -

(٢) ضوامر جمع ضامر، وهو الهضيم البطن اللطيف الجسم - عنى به الفرس الذي أصابه الضمور أو الهزال. الصَّهْوَة من كل شيء: أعلاه ومن الفرس مقعد الفارس من ظهره.. ومن الإبل مؤخر السنام أو الرادفة تراها فوق العجُز، والجمع صهوات وصِهَاء. شعث جمع أشعث وهو المغبرّ الرأس الجَافُّ. قوله غلبت على صهواتها أي امتطتها.

(٣) ف، ق: بالنعت - وهو تصحيف -

(٤) الأظعان جمع ظعينة وهي المرأة ما دامت في الهودج، والراحلة التي يظعن عليها أي يسار، وهو المقصود. اللبانة: الحاجة من غير فاقة بل من همة. النَّعْفُ في اللغة: ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي، فما بينهما نَعْفٌ وسَرْوٌ وخَيْفٌ - الجوهري -، والمكان المرتفع باعتراض، وما انحدر من السفح وغلظ وكان فيه صعود وهبوط، وما استرقّ من الرملة أو مقدّمها، وما عرض من أعالي الجبل وشماريخه. ولا نجده في أسماء الأماكن إلا مضافًا، وقد ذكر منها ياقوت ثلاثة: نَعْف سُوَيْقَة وهو المقصود، ونعف مَيَاسِر، ونعف وَدَاعٍ. وسُويقة مواضع كثيرة منها ما هو بنجد بالريان. فرس قؤود: سلس منقاد وفرس أقود بيِّن القَوَد، أي الطويل العنق والظهر، يقال: خيل قُبٌّ قُودٌ. والقُودُ جمع قوداء مؤنث أقودَ. وفي عجز البيت مجاز.

وَلَــعُ النــسِيمِ بِهَــ ــا ولاَ التغْرِيــ ــدُ[1]

٥- وَعَلَــى الثنِيــةِ مِــنَ (تَبالــةَ) مَوْعِــ ــدٌ
عُقِمَــتْ بِــهِ الآمــالُ وَهْــيَ وَلُــ ــودُ[2]

ومُهَــونٍ[3] للوَجْــدِ يَحْــسِبُ[4] أنهَــا
يَــوْمَ (العُــذَيبِ) مَــدَامِعٌ وخُــدُودُ[5]

سَــلْ بانــةَ الــوَادِي فَلَيْــسَ يَفُوتُهَــا

---

(١) عزّت: صعبت. السَّوْم من سامه لزمه ولم يبرحه. والضمير في عزت عائد على اللبانة. أراد أن هذه اللبانة خفيت حتى على النسيم والتغريد المولَعَيْن بإثارة العاطفة وذلك رغم ما كلّف الغرام أصحابها.

(٢) الثَّنِيَّة: العقبة المسكوكة أو طريقها، والجبل أو الطريق فيه أو إليه. تَبَالَة: بلد باليمن خصبة، قال لبيد في معلقته [كامل]:

فالضيف والجار الجَنِيبُ كأنما ... هبطا تبالة مُخصِبًا أهضامُها

ومِوضع يدعى تبالة الحجاج، بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن وفيها قيل المثل (أهون من تبالة على الحجاج)، وذلك أنها كانت أول عمل وليه الحجاج بن يوسف فسار إليها، فلما قرب منها قال للدليل: أين تبالة، وعلى أي سمت هي ؟ فقال: ما يسترها عنك إلا هذه الأكمة. فاستحقرها فلم يدخلها وقال: لا أراني أميرًا على موضع تستره عني هذه الأكمة، أهون بها ولاية ! وكرّ راجعًا فقيل هذا المثل. وبين تبالة وبيشَة يوم واحد: أربعة وعشرون ميلاً. وجميع بني خفاجة يجتمعون ببيشة وزينة وهما واديان: بيشة تصب في اليمن وزينة تصب في سراة تهامة (معجم البلدان).

ونعتقد أن الشاعر قصد تبالة الحجاج، وشبه خيبة أمله بخيبة أمل الحجاج، وعجز البيت يبين ذلك.

(٣) م: ومهونٍ - بتنوين الكسر - وفي ف، ك: ومهونُ - بالرفع -.

(٤) ظ: تحسب - وهو تصحيف.

(٥) العذيب - لغة- تصغير العذب وهو الماء الطيب. والعذيب اسم عدة مواضع منها ماء بين القادسية والمُغيثة، وواد لبني تميم من منازل حاج الكوفة، وماء قرب الفَرَمَا من أرض مصر وسط الرمل، وموضع بالبصرة.

يقول: إن هذا الذي يهون علينا الوجد ويحسبه هيِّنًا لا يرى منه إلا الظاهر كالبكاء عند منازل الأحباب، وتتمة المعنى في البيت التالي.

خَبَــرٌ يطــولُ بِــهِ الجَــوَى ويَزِيــ ـدُ[1]

وأنشُدْ مَعِــي ضَــوْءَ الــصَباحِ وَقُــلْ لَــهُ :

كَــمْ تَــسْتَطِيلُ بِــكَ اللّيَــالي الــسودُ ![2]

وإذا هَبطْــ ــ ــتَ (الــ ــوَادِيَيْنِ) وفيهمــ ــا

دِمَــــنٌ حُبِــــسْنَ عَلَــــى البِلَــــى وعُهُــــودُ

١٠- فاخْدَعْ فُــؤَادِي في الخَلِــيطِ لَعَلَــهُ

يَهْفُــــو علــــى آثَارِهــــ ــم وَيَعُــــ ــودُ [3]

أَصَبَابَةٌ[4] بِــ ــ ـِ (الجَــزْعِ)[5] بعــد (سُــوَيْقَةٍ)!

شُــغُل لعَمْــرُكَ يَــا (أُمَــيْمُ) جَدِيــدُ[6]

ومُطَــوحٍ رَكِــــبَ الخِطَــــارَ[7] بِعَزْمَــــةٍ

---

(١) البان جمع بانة وهو ضرب من الشجر طويل الأفنان ناعمها، ثمرته تشبه قرون اللوبياء، إلا أن خضرتها أشد، ولورقه هدب كهدب الأثل، وليس لخشبه صلابة، انظر ق ١١، ب٢.
ذكر بَانَة الوادي إما لكونها موضع لقاء الحبيبين، وإما لأن الريح تحمل إليها أخبار المحبوبة، وهذا المعنى كثير في الشعر العربي.

(٢) يُشهد الطبيعة على صدق دعواه.

(٣) الخليط: القوم أمرهم واحد، وزاد بعضهم: من قبائل شتى، انظر ق ٨٤، ب ٦. قوله: لعلَّ الفؤاد يهفو على آثارهم أي يذهب في آثارهم ويطرب (مجاز). يقول إن قلبه مع المحبوبة، ويطلب إلى خليله أن يرجعه إليه.

(٤) ف، ك: أصبابةً - بتنوين الفتح -. م: أضبابة.

(٥) ف، ق: بالجذع. م: بالجرع - بالراء المهملة -

(٦) الصبابة: الشوق أو رقته أو حرارته. الجِزْع: منعطف الوادي، وبالفتح موضع بديار بني الضباب بنجد وهو جَزع بني كوز، وجزع الدواهي موضع بأرض طيِّئ، فإن كانت بالراء (الجرع) فمن معانيها الرملة الطيّبة المنبت. سُوَيْقة: مواضع كثيرة، وأغلب الظن أنه قصد بها سويقة الحمى، حمى ضَرِيَّة ببطن الريان أو سويقة بني جعفر بنجد، وسويقة في اللغة قارة مستطيلة تشبّه بساق الإنسان، وإنما استعملت مصغرة. قوله: أصبابة، استفهام خرج عن أصله للتعجب. يتعجب ويتألم، لكون صبابته تتجدد ولا تفارقه.

(٧) ظ: الخطيّ - تصحيف -

هَبَّتْ وسَارِيَةُ النجُومِ هُجُودُ[1]

ذَعَرَ الدجَى فَتَنَاثَرَتْ مِن جِيدِهِ

نحو الصَباحِ قَلاَئِدٌ وعُقُودُ[2]

عَرجْ عن الحي[3] الذمِيمِ قَدُوَتَهُ

بُخْلٌ يَصُد عَن القِرَى وَيَذُودُ[4]

١٥- إن الذِينَ يَغُر طَالِبَ رِفْدِهِمْ

بِشْرٌ[5] يُضَيعُ لَمْعُهُ[6] ووُعُودُ[7]

لِي فِي بُيُوتِهمُ القِصَارِ أوابِدٌ

مَعْقُولَةٌ[8] بِاللؤمِ وَهْيَ شَرُودُ[1]

---

(١) المطوَّح: من طوّح به طوحه: توَّهه وذهب به ههنا وههنا. تطوَّح في البلاد، إذا رمى بنفسه ههنا وههنا - الصحاح - الخِطار: جمع خطر. قوله ومطوّح: أراد ورب مطوّح، عنى نفسه. يتحدث عن همومه وصبره على الشدائد وإحيائه الليالي بالسرى.

(٢) الضمير في (جيده) عائد على الدجى، أي تناثرت من جيد الدجى. قلائد وعقود: قصد بها النجوم. والبيت حافل بالصور البيانية.

(٣) ظ، م: عَرِّجْ على الحيّ.

(٤) قوله عن الحي: (عن) هنا لمعنى المجاوزة ذكره البديعيّون نحو (سافرت عن البلد)، عرج عن الحي: أي جاوزهم وابتعد عنهم، ولا تنـزل فيهم.

والبيت تهكم يؤكد الهجاء، وسيأتي تفصيله في الأبيات التالية.

(٥) م: طالب رفدهم بشر.

(٦) ف، ك: لمعَه - بالنصب -.

(٧) الضمير في (لمعه) عائد على (بشر).

أراد أنه مدح قومًا لئامًا طالبًا رفدهم فجزوه البشر المفتعل الخادع، ووعدوه ولم يفوا بوعودهم. وهذا على مثل ما قال المتنبي في كافور [بسيط]:

إني نزلت بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود

(الديوان ٢ / ٢١٤).

والبيت (١٦) خبر إن في البيت (١٥).

(٨) م: مقصورة باللؤم.

وَمُطَلَّحَـــاتٍ يَنْتَجِعْــــنَ مَـــوَارِدًا

آلُ الظَهِـيرَةِ قَبْلَهَـــا[2] مَـــوْرُودُ[3]

جَـــوَّلْنَ في طَلَـــبِ العُـــلا فتقَاعَـــسَتْ

عنهُـــن أيْـــدٍ بالنَّـــوَالِ جُمُـــودُ[4]

وأصَـــابَهَا (الـــسلَمي) نِـــشْدَةَ بَاخِـــلٍ

شَـــنْعَاءَ طَـــارَدَ ذِكْرَهَـــا[5] غِرِيـــدُ[6]

٢٠-يا ابْنَ اللَئِيمَـــةِ لَـــسْتَ مِـــن أكْفَائِهَـــا

فَـــارْبَعْ[7] فَإنَّـــكَ بِالثَّـــرَاءِ عَمِيـــدُ[8]

---

(١) الأوابد: الوحوش وقصد بها غرائب الكلام وشُرَّد القوافي والقصائد الفذّة - على المجاز -

(٢) م: آل الظهيرة دونها.

(٣) مطلّحات: متعبات أضمرها الكلال، واستعملها بصيغة فعّل للتوكيد، كنى بها عن قصائده في مدح هؤلاء القوم، والطِّلْح المُعْيي من الإبل وغيرها. ينتجعن: يطلبن. الآل: السراب.
يريد: أن سراب الهاجرة يورد قبل نيلها عطاء هؤلاء اللئام، وبما أن الأول محال، فالثاني مُنْتَفٍ.

(٤) م: خمود.

(٥) ف، ق، ك، مط: طائرُ ذكرها.

(٦) السلمي: لعله أمير كان ابن سنان قد مدحه من قبل. نَشَدْتُ الضالة أنْشُدها نِشدة: أي طلبتها، والناشدون الذين ينشدون الإبل، يطلبون الضوالّ، فيأخذونها ويحبسونها على أربابها، وهذا المعنى يصلح للبيت في عمومه ونتيجته. شنعاء مؤنث أشنع، صفة من شنّعت الناقة وأشنعت أسرعت في سيرها وجدَّت فهي مُشْنِعة وقصد بها الضالّة. طارد ذكرها: تابع ذكرها والسؤال عنها. الغرِّيد: قصد به عالي الصوت. والضمير في أصابها عائد على المطلّحات المراد بها القصائد.
يقول: أصاب السُّلمِيُّ مدائحي وحبسها كما يحبس البخيل الضالّة التي يجدها، والتي طلبها صاحبها وعرّفها بصوت عال مسموع.

(٧) ف، ق، ك، مط: فارجع فإنك.

(٨) عميد: مولع. أفاد الشاعر في هذا البيت من قول الحطيئة في هجاء الزبرقان بن بدر [بسيط]:

الثأرُ ممطولٌ[١] لديكَ مع الندى
سِيانِ وعدٌ كاذبٌ ووعيدُ[٢]

أتركتَ سرحكَ (بالجزيرةِ) مُهْمَلاً
وعجبتَ حين عدا عليهِ[٣] السيدُ؟![٤]

لو أن قومكَ من (كِنانةَ) أشرعتْ
أيدٍ يطولُ[5] بها القنا والجودُ[6]

قومٌ يلوحُ لهُم على علياِئهم[7]
قبلَ اللقاءِ دلائلٌ وشُهودُ[8]

دَع المكارمَ لا تَرحَلْ لِبُغيتِها   واقعدْ فإنكَ أنتَ الطّاعِمُ الكاسِي
(عن الصحاح: مادة،كسا)

(١) ظ، مط: مطلول.
(٢) يقول أنت عاجز عن الأخذ بثأرك وعن الجود، والوعد الكاذب والوعيد الذي لا ينفّذ سواء.
(٣) ف، ق، ك: وعجبت كيف عدا عليك. م: غدا -بالغين المعجمة-. ظ: حين عدا عليها.
(٤) السّرْح: الأنعام في المرعى، ولا تسمّى سرْحًا حتى يُغدَى بها ويُراحُ، أو في الغداة فقط. واللفظ في البيت على المجاز. وقوله: سرحك بالجزيرة إشارة إلى بني عقيل الذين كانوا يقيمون بها، مما يجعلنا نفترض أن المهجو هو سيّدهم الأمير مسلم بن قريش العقيلي ت ٤٧٨ هـ. السِّيدُ: الذئب، وبنو هذيل يطلقونه على الأسد، انظر ق ٥، ب ٣٦.
(٥) ف، ق، ك، مط: تطول.
(٦) كنانة: هو كنانة بن بكر: بطن من عذرة من كلب، من قضاعة، من القحطانيّة. وهم بنو كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن كلب بن وبارة (عن معجم قبائل العرب). وذكر كنانة لأن بني منقذ منهم.
(٧) مط: قوم تلوح. ظ: على غلوائهم.
(٨) أصل التركيب: قوم يلوح لهم قبل اللقاء دلائل وشهود على عليائهم.

٢٥- فاللامِعَـــاتُ أَسِنـــةٌ وَأَسِـــرةٌ
والمَائِــسَاتُ[1] ذَوَابِــلٌ وقُــدُودُ[2]

هَبــوا إلى المَجْــدِ الرفِيــعِ فَأَحْــرَزُوا
قَـصَبَاتِهِ وبَنُــو الرِهَــانِ[٣] رُقُــودُ

وبَنَــتْ لهــم أحْــسَابُهُمْ وسُيوفُهُــمْ
بَيْتَــا عَمُــودُ الــصُبحِ فيــه عَمُــودُ[٤]

جَــادُوا وأَندِيَــةُ الغَمَــامِ بَخِيلَــةٌ
وجَــرَوْا وشَــارِدَةُ الريَــاحِ رُكُــودُ

هِــنْ دِيــنِهِمْ أن الــسمَاحَ عَلَيهِــمُ
فَــرْضٌ وأن الرافِــدَ المَرْفُــودُ[٥]

---

(١) ف، ق، ك: والماشيات.

(٢) أسرّة جمع نادر للسرّ، ويطلق السرّ على خط الوجه والجبهة.. وهو المقصود في البيت، ويطلق أيضًا على أشياء أخرى كثيرة ويجمع غالبًا على أسرار، وجمع الجمع أسارير. يصفهم بالبأس والشجاعة والكرم والبشر وجمال الخلق. وفي البيت اللّفُّ والنشر.

(٣) ظ. م: وبنو الرهان.

(٤) قوله بنت لهم أحسابهم: إشارة إلى أسرة بني منقذ الكنانية، ومنها أبو الممدوح وكان في رياسة وجلالة إلى أن توفي سنة ٤٥٠هـ، ومنها عم الممدوح، نصر بن منقذ، وابنه منقذ أبو المغيث المتوفى سنة ٤٣٩هـ. عمود الصبح: ما تبلّج من ضوئه، وهو المستظهر منه، يقال: سطع عمود الصبح.

(٥) السماح والسماحة: العطاء وكذلك الرفد -بكسر الراء- رفَده يَرفِده إذا أعانه، وقوله: وأن الرافد المرفود أراد أنهم يعينون الناس مرتاحين إلى ذلك كأنهم يعينون أنفسهم، وهذا كقول دعبل بن عليّ الخزاعيّ [كامل]:

٣٠- حَيٌّ تَنَاسَبَ في العُلا فَأُصُولُهُ
أَغْصَانُهُ والوَالِدُ المَوْلُودُ(١)

إنْ قَصَّرُوا عَنْ غَايَةِ (ابْنِ مُقَلَّدٍ)
فَمِنَ الأَرَاكَةِ غُصْنُهَا الأُمْلُودُ(٢)

شَأْوٌ تَفُوتُ(٣) طِلابَهُمْ غُلَوَاؤُهُ
إنَّ البَعِيدَ عَلَيْهِمُ لَبَعِيدُ

لَوْلاهُ مَا عُرِفَ النَّوَالُ وَلَمْ تَكُنْ
تَدْرِي السَّحَابُ الغُرُّ كَيْفَ تَجُودُ(٤)

وَعَفَا الثَّنَاءُ مِنَ الزَّمَانِ وأَهْلِهِ
فَتَشَابَهَ المَذْمُومُ والمَحْمُودُ(٥)

اللهُ يَعْلَمُ أَنَّنِي مَا سَرَّنِي ... شَيْءٌ كَطَارِقَةِ الضُّيُوفِ النُّزَّلِ
مَا زِلْتُ بِالتَّرْحِيبِ حَتَّى خِلْتَنِي ... ضَيْفًا لَهُ وَالضَّيْفَ رَبَّ المَنْزِلِ
(الديوان: ص ١٧٥ ـ ١٧٦)

(١) أراد أنهم متشابهون في العلا، فلا فرق بين الأصل والفرع، ولا بين الوالد والمولود، لأنهم من دوحة واحدة.
(٢) الأملود: الناعم من الغصون، والعجز نظم للمثل المشهور (العصا من العُصَيَّة)، وابن سنان هنا يعطي ممدوحه الأمير ابن مقلد مزيَّة على قومه بهذا التشبيه الضمنيّ.
(٣) ظ، م: يفوت.
(٤) في البيت عودة إلى هجاء منافسي الممدوح. والشأو: الغاية والأمد. الغُلَوَاء أوّل الشباب وشدّته وسرعته وهو في البيت على المجاز. الضمير في طلابهم يعود على منافسي الممدوح في المجد والعلياء. لبعيد أي: لبعيد كلّ البعد، يريد أنه لا يُنال. ويستفاد من البيت أن الأمير الممدوح كان في نضارة الشباب.
(٥) عفا: زال

٣٥- شَرَفًا (بني الأجْدَارِ)(١) يُعْدَمُ أمسُكَ الـ ـ

ـ ـمَاضِي فيُخْلِـفُ يَوْمُـكَ المَوْجُـودُ(٢)

وعُلاً (أبـا حَـسَنٍ) فَرَهْطُـكَ رُمْحُهَـا الـ ـ

ـ ـعَالِي وأنـتَ لِـوَاؤُه(٣) المَعْقُـودُ(٤)

إنْ لم يَكُـنْ بيني وبَيْنَـكَ نِسْبَـةٌ(٥)

قُرُبَـتْ فإنِّـي مِـنْكُمُ مَعْـدُودُ(٦)

لي فِيـكَ مِـنْ فِقَـرِ الكَـلامِ غَرَائِـبٌ

يُثْنِـي عليْهَـا الـدَّهْرُ وَهْـوَ حَسُـودُ

لَـوْلاَ هَـوَاكَ لَطَـالَ عَـن تَثْقِيفِهَـا(٧)

قَـدْرِي وَلَـوْ أن النجُـومَ قَصِيدُ(٨)

---

(١) مط: الأجداد - وهو تصحيف -

(٢) بنو الأجدار: بطن عظيم من بني كلب يقال لهم بنو عامر الأجدار. وعامر هذا، فيما يقال، هو أخو عامر بن الصعصعة لأمه (عن معجم القبائل). قوله: ((يُعدم أمسُك الماضي فيُخلِف يومُك الموجودُ))، أي إذا ذهب منكم سيّد خلفه سيّد.

(٣) م: وأنت لواؤها.

(٤) أبو حسن هو الأمير علي بن مقلد الممدوح.

(٥) ف، ك: نسبة - بضم النون المعجمة -

(٦) يشير إلى الصحبة القديمة واشتداد أواصر المودة بينهما.
والنِّسبة - بكسر النون - والنُّسبة - بضمها - واحدة الأنساب، والنسيب القريب.

(٧) ف، ق، مط: عن تعقيفها - وهو تصحيف -

(٨) لطال عن تثقيفها.. ضمَّن (عن) معنى (على)، أو (طال) بمعنى (بعد)، وأراد معنى الاستعلاء؛ والنحويون يأتون بأمثلة عديدة لهذا

٤٠- ولَعز عَنْ طَـوْعِ القِيَـادِ زِمَامُهَـا

لَـوْ أن عِيْـرَكَ كُفُؤَهَـا المَقْـصُودُ

أَعْرَضْـتُ عَـنْ ذُل الطِـلابِ ورُبـمَا

وَجَـدَ المُـرِيحُ وأَخْفَـقَ المَكْـدُودُ(١)

وسكَنتُ في ظِـل النزَاهَـةِ قَلْبِـصُـنْ

مَـالَ البَخِيـلِ رِتَاجُـهُ المَـسْدُودُ(٢)

الغرض، كقول ذي الإصبع العَدوانيّ [بسيط]:

((لاهِ ابنُ عمِّك، لا أفْضَلْتَ في حَسَبٍ عَنِّي ولا أنتَ دَيَّانِي فَتَحْزُونِي))

(المفضّليّات،ص ١٦٢)

أي لا أفضلت في حسب عَلَيَّ.

الضمير في (تثقيفها) عائد على فِقَرِ الكلام. وفي هذه الأبيات يتطاول المادح على الممدوح.

(١) المُرِيحُ من أراح أي استراح ورجعت إليه نفسه بعد الإعياء، وقصد به من لا يسعى في طلب الرزق. المكدود من كدَّه أي أتعبه، وهذا البيت شبيه بقول ابن زيدون: (مجزوء الرمل).

((ولَكَمْ أجدَى قُعودٌ ولَكَمْ أكدَى التِماسُ!))

(الديوان، ص ٢٧٣).

(٢) ف، ق، ك: رتاجه الموصود.

النزاهة: قصد بها البعد عن اللؤماء، قال ابن السكيت: التنـزه التباعد عن المياه والأرياف، ومنه قيل: فلان يتنزه عن الأقذار ويَنزه نفسه عنها أي يباعدها عنها، والنزاهة: البعد عن السوء - الصحاح - الرتاج: الباب العظيم، أو الباب المغلق، وعليه باب صغير. الموصود: لم يرد بالمعنى الذي أراده الشاعر

وإذا وجــدْتَ العَــيْشَ يُعْقِــبُ صَــفْوُهُ[1]
كَـ ـدَرًا فَـ ـإن شَقِيـ ـ ـهُ لـ ـسَعِيـ ـدُ[2]
العُمْـ ـرُ حُلْـ ـ ـمٌ، واللّيَالِـ ـ ـي قُلَّـ ـ ـبٌ
والبُخْـ ـلُ فَقْـ ـرٌ، والثَنـ ـاءُ خُلُـ ـودُ[3].

أربعة وأربعون بيتًا

لأن فعله رباعي: أوصد الباب فهو موصد، فتبقى الرواية الأخرى (المسدود) وهي أقل فصاحة من الموصد.

(١) ف، ك: صفوُه - بالرفع -

(٢) يقول: حين تتكدر الدنيا يسود الأشقياء.

(٣) الليالي قُلَّب أي تتقلب. البخل فقر، هذا كقول المتنبي [طويل]:

ومَن يُنفق السّاعاتِ في جَمعِ مالِهِ مخافة فقرٍ فالذي فَعَلَ الفقرُ

(الديوان: ٢ / ٢٥٥)

وقوله: الثناء خلود، كقول المتنبي أيضًا [بسيط]:

ذِكْرُ الفتى عمْرُه الثاني، وحاجتُه ما قاته، وفُضولُ العيشِ أشغالُ

(الديوان: ٣/٤٠٨)

[٥]*

وقال يمدح شرف أمراء العرب سيف الخلافة أبا سلامة محمود بن نصر بن صالح سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، ويعاتبه في عيد النحر من هذه السنة[1]: [كامل]

أَرَأَيْـتَ طَيْـفَ خَيَالِهَـا لَمَّـا سَـرَى
تَـرَكَ الـدجَى إلا صَـبَاحًا مُـسْفِـرًا؟[2]

أَوْفَـى[3] وَقَـدْ عَلِـقَ الرقَـادُ بِهَائِـمٍ
حَكَمَـتْ عَلَيْـهِ هُمُومُـه أَنْ يَسْهَرَا[4]

(*) ف، ٦٩، ق ١٠٨، ك ٦٩، ظ ٩١، م ١١، مط ٣٩ .

(١) في هذه السنة مدح الأمير محمود بن نصر بثلاث قصائد مطوّلة، وقد قال القصيدة بعد فتح محمود بن نصر حلب، ٤٥٧هـ واستهلّها بالمطلع الغزليّ وانتقل إلى شكوى الأعداء والأصحاب، ثم استغرق المدح جلّ أبياته ليصل إلى غرضه في العتاب وطلب الرفد، ولا تخلو خاتمة القصيدة من الإشارة إلى أنه جدير بالولاية على مكان ما في دولة الأمير الممدوح. وقد أجاب الأمير طلبه بعد عدّة سنوات، ولكنه ولاّه على ثغر حربي في مواجهة الروم وهو قلعة عزاز، ومعنى ذلك أن النوايا لم تكن صافية تمامًا بينهما (راجع زبدة الحلب ٣٦/٢).

(٢) الطيف من طاف يطوف طوْفًا وطيْفًا ومطافًا: ألم به في المنام، ومنه طيف الخيال وطائف الخيال، ويطلق تارة على الخيال نفسه. قوله: إلا صباحًا مسفرًا، (إلا) بمعنى (غير) وليست أداة استثناء . وفي البيت قصر.
يريد أن خيال المحبوبة في سراه جعل الليل صباحًا، وذلك دليل على جمالها.

(٣) ظ: وافى.

(٤) أوفى على الشيء وفيه: أشرف، وأوفى المكان: أتاه . الرقاد: النوم.

لا تَحْـسُدُوه عَلَـى زِيَارَتِـهِ فَمَـا
مَـنَحَ الوِصَـالَ وإنمَـا مَـنَحَ[1] الكَـرَى

حَـظ عُرِفْـتُ بِـهِ فَلَـسْـتُ أَذُمّـهُ
ولقـد يَطُـولُ الـشيْءُ حَتـى يَقْـصُرَا[2]

٥- وَسَجِيةٌ في الغَـدْرِ كُنْـتُ أَعِيبُهَـا
حتـى عَرَفْـتُ بِهَـا الـصدِيقَ الأكْثَـرَا[3]

يَاصَـاحِبي - ومَـا وَثِقْـتُ بِـصَاحِـبٍ
إلا تغيـرَ وُدُّهُ وَتَنكـرَا -[4]

---

(١) م: لا يحسدوه . ف، ك: مُنِح .. مُنِح . الكرى: النعاس .

يقول: لا تحسدوا المحب على زيارة الطيف له فإن هذا الطيف لم يمنحه الوصال وإنما منحه النوم، فلولا النوم لما زاره الطيف .

(٢) ينعى حظه في هذا المطلع، لأن ما في أول القصيدة دال على ما في آخرها، ببراعة. ((ولقد يطول الشيء حتى يقصرا)): يريد أن الإنسان إذا تعود شيئًا وجده - بطول المدة - عاديا.

(٣) ظ، مط: الصديق الأكبرا .

السجّية: الخلُق والطبع والغريزة؛ الملكة الراسخة في النفس لا تقبل الزوال بسهولة، انظر ق ٨، ب٢. قوله (وسجّية في الغدر) قصد (وسجّية غدر)، (في) زائدة للتوكيد، وأجازها الفارسيّ في الضرورة وأجازها بعضهم لقوله تعالى:﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا﴾(هود:٤١). الصديق الأكثر: أي الصديق الأكثر وفاء الصديق الحقيقيّ.

(٤) ظ: إلا تنكّر ودّه وتغيرا، البيت على معنى قول امرئ القيس [طويل]:

كذلكَ جَدي ما أُصاحِبُ صاحِبًا   مِنَ النّاس إلا خانَني وَتَغيرا

(الديوان، ص ٩١)

أرأيْتَمَــ ـا مِثْلِــ ـي يُــ ـرامُ قِيَـ ــ ـادُهُ
مِنْ بَعْـ ـدِ مَـ ـا نَـ ـشَطَ العِقَـ ـالَ وجَرْجَـ ـرَا[1]

وُيسَامُ أنْ يَرْضَـ ـى الخُمُـ ـولَ وقَـ ـدْ أبَـ ـى[2]
إيمَــ ـاضُ وَجْــ ـهِ الــ ـصُبْحِ أنْ يَتَــ ـسَتـ ـرَا[3]

مَـ ـا تَنْقِــ ـمُ الأعْـ ــ ـدَاءُ إلا أنــ ـنِي
أنْـ ـدَى يَـ ـدًا مِـ ـنْهُمْ وأطْيَـ ـبُ عُنْـ ـصُـ ـرَا[4]

١٠- ومِنَ البَلِيةِ فِـ ـي الزمَـ ـانِ مُعَانِـ ـدٌ
يُخْزِيــ ـكَ أن يُعْــ ـزَى إلَيْــ ـكَ وَيُــ ـذْكَرَا[5]

مـ ـا أهْــ ـوَنَ الدنْيَـ ـا إذَا نَظَـ ـرَ امْــ ـرُؤٌ
فيهـ ــ ـا! وآنَ لِحَـ ــ ـازِمٍ أنْ يَنظُـ ــ ـرَا[6]

---

(١) نَشَطَ الأنشوطة: عقدها وشدّها، وأنشطها: حلها . والأنشوطة عقدة يسهل انحلالها مثل عقدة التكة، ومنه (ما عقالك بأنشوطة). وَنَشَطَ الدلوَ: نزعها وجذبا من البئر صُعُدًا من غير بكرةٍ . والظاهر أنه أراد بـ ((نشط العقال)) نزعه وجذبه كما تجذب الدلوُ من البئر. جرجر البعير والفحل: ردد هديره في حنجرته؛ صوّت وصاح وهو الأصل في المعنى، والضمير في (جرجر) عائد على الشاعر الذي شبه نفسه بالفحل.

(٢) ظ: بدا .

(٣) شبه نفسه بضوء الصبح، وضوء الصبح لا يخفيه أحد، فكذلك هو، لا يستطيع أحد أن يفرض عليه الخمول .

(٤) يفتخر بنفسه، وفي البيت تأكيد المدح بما يشبه الذم .

(٥) يريد: من بلايا الزمان أن يُنسَب إليك إنسان وُيذْكَر اسْمُه أمامك فتستحيي بذلك، وأن يكون هذا الإنسان معاندًا لك منافسًا .

(٦) مرّ هذا المعنى في شعر ابن سنان وفي شعر غيره، وقد ختم القطعة (٤) الآنفة الذكر بقوله:

العمر حلم، والليـ ـالي قُلَّـ ـبٌ   والبخل فقر، والثناء خلـ ـود

ومع أن شعره يدعو الممدوح إلى الزهد في الدنيا، فإنه يفصح عن تعلّقه الشديد با وغيرته ممن سبقه إليها. والواو في ((وآن لحازم...)) للاستئناف، فكأنه قال: ((وقد آن لحازم أن ينظر)).

وَلَقَلَّ مَا يَجِدُ الحَرِيصُ [1] مُرَادَهُ !
وإذَا أَرَاحَ فَمَا يَفُوتُ مُقَدَّرَا[2]

مَنْ مُبْلِغُ اللؤَمَاءِ أن رَكَائِبِي
وَجَدَتْ مَرَاحًا للإبَاءِ وَمَصْدَرَا ؟[3]

تَرَكَتْ مُقَارَنَةَ[٤] الدَنِيءِ وفَارَقَتْ
مَاءً بِلُؤْمِ الوَارِدِينَ مُكَدَّرَا

١٥- ورأَتْ (عِمَادَ المُلْكِ) أكْرَمَ شِيمَةً
مِن أنْ يُكَلِّفَهَا المُنَاخَ الأوْعَرَا[٥]

مَلِكٌ يُذِمُّ مِنَ الزَمَانِ فَجَارُهُ
جَذْلانُ يَهْزَأُ بِالقَضَاءِ إذَا جَرَى[٦]

---

(١) ظ، م: وأقل ما، ف، ك: الحريصَ .
(٢) أراح الرجل: رجعت إليه نفسه بعد الإعياء، قوله: فما يفوت مقدرا: أي يبلغ ما قدر له ويصل إليه.
(٣) بذا البيت تخلص من الشكوى إلى المديح. المُراح: المُناخ تأوي إليه الإبل والغنم بالليل، وبذه الراوية ورد في نسخة م؛ والمَراح - بفتح الميم - الموضع الذي يروحُ القومُ منه أو إليه.
(٤) ظ: مقاربة .
(٥) عماد الملك: محمود بن نصر. المناخ في الأصل مبرك الإبل من أناخ الإبل ونوّخها، ومنه على المجاز (هذا مناخ سوء)، وعلى هذا ورد في البيت . الأوعر: من وعُر المكان ووعِر: صلُب، وصيغة أفعل ههنا للمبالغة والتكثير لا للتفضيل ومعناها الكثير الوعورة، الصعب جدًا.
(٦) سقط البيت من مط، ظ. م: فخاره، يُذِم: يجير، من الذّمة وهي العهد والكفالة؛ الأمان، ومنه الذمي للمعاهد. الجار: الذي يجار من أن يظلم. العفاة جمع عاف من عَفَاه: أتاه يطلب فضله ومعروفه. وفي البيت غُلُو.

وَمُتَـوِّجٌ يَلْقَـى الْعُفَـاةَ بِوَجْهِـهِ

بِـشْرًا كَمَـا لَمَـعَ الـسَّحَابُ وأَمْطَـرَا

كالـصَّارِمِ الهِنْـدِي إلا أنـهُ

أمْـضَى شَـبًا مِنْـهُ وأكْـرَمُ جَوْهَـرَا[1]

واللَّيْـثِ لَـوْلا أنـهُ يَنْـدَى يَـدًا[2]

وَيَلِـينُ أَخْلاَقًـا وَيَحْـسُـنُ مَنْظَـرَا

٢٠- مَلأَتْ وَقَائِعُـهُ الطـرُوسَ فلـم تَـدَعْ

في الأَرْضِ إلا سَائِـلاً أو مُخْبِـرَا

وَدَعَـتْ مَوَاهِبُـهُ الْعُفَـاةَ فَلَـمْ تَـذَرْ

في النـاسِ إلا طَالِبًـا أو مُوسِـرَا[3]

دَامِـي الأسِـنةِ والظبَـى فَكَأنمَـا

طَبَعُـوا لَـهُ وَرْدَ الخُـدُودِ الأَحْمَـرَا[4]

سَـمَّوْهُ (ذا الحَـسَبَيْنِ) لمـا قَابَلُـوا

في المَجْـدِ (مِرْدَاسًـا) عَلَيْـهِ و(جَعْبَـرَا)[5]

---

(١) شبا السيف: حده . الجوهر: الأصل والكلمة معرّبة من الفارسية (كُوْهَرْ).

(٢) م: إلا أنه أندى يدا، وهو تصحيف .

(٣) ظ: ومسيرا .

(٤) طبع السنان والسيف: صاغه .

(٥) مرداس: أحد أجداد الممدوح الذي ينتسب إليه المرداسّيون وهو مرداس بن إدريس بن نصير. وجعبر: أحد أجداده من جهة أمه . يريد أنه أشبه سلفه من أبيه وأمه فسمّوه ذا الحسبيـن.

وَلَـو اهْتَـدَوْا لَرَأَوْهُمَـا نَـالاَ بِـهِ
شَـرَفًا عَلَـى الشَرَفِ التِليـدِ وَمَفْخَـرَا[1]

٢٥- قَدْ قُلْـتُ للأَعْـدَاءِ غَـيرَ مُجَامِـلٍ
لَهُـمُ -وأَعْـذَرَ فِـيهمُ مَـنْ أَنْـذَرَا -:[2]

أمـا الثُغُـورُ فـإن دُونَ مَرَامِهَـا
لَيْثًـا أَشَـمَّ السَاعِدَيْـنِ غَضَنْفَـرَا[3]

أَلْقَـى ذِرَاعَيْـهِ وأَطْـرَقَ مُلْبِـدًا
مِنْ بَعْـدِ مَـا هَجَـرَ العَـرِينَ وأَصْحَرَا[4]

---

(١) ظ: على الشرف البليد - والمقصود به الثابت الراسخ - يقول: إن الحقيقة أنه زاد على الشرف الموروث شرفًا مكتسبًا فازداد به آباؤه شرفًا على شرف. وفي عجز البيت احتراس.

(٢) أعذر الرجلُ: بلغ أقصى العذر، و(أعذر من أنذر) مثل نظمه الشاعر ومعناه: أقام العذر من خوّف قبل الفعل - الميداني ٣٢٠/١، والمستقصى ٩٦، وفصل المقال ٣٢٥، واللسان - عذر.

(٣) الثغر: كلّ موضع قريب من أرض العدو، كأنه مأخوذ من الثغرة وهي الفرجة في الحائط وجمعه ثغور، أراد ثغور الشام، قال ياقوت: ثغر الشام يشمل بلادًا كثيرة، وهي البلاد المعروفة اليوم ببلاد ابن لاون، ولا قصبة لها لأن أكثر بلادها متساوية.. فمن مدنا بياس، والإسكندرية، والمصيصة، وعين زربة، وأذنة، وطرسوس، والجوزات، وأولاس، والكنيسة السوداء، والهارونية، وأنطاكية، وبغراس، وغير ذلك، معجم البلدان (ثغر)، وكان الممدوح محمود بن نصر أميرًا على الثغور في سنة ٤٤٣هـ إلى أن ولي حلب وسيتكرر اللفظ في البيت (٢٧) القطعة (٦).

(٤) ألبد بالمكان: أقام (مجاز)، أصحر: خرج إلى الصحراء أو إلى فضاء لا يواريه شيء، وأصحر لعدوه: كان منه على أمر واضح (مجاز).

لا تَحْمِلُـــوهُ علـــى العُقُـــوقِ فُتوقِظُـــوا
طَبـــــا بِـــأدْوَاءِ العُقُـــــوقِ مُكَـــرِرَا[1]
جَرَّبْتُمُـــــــوهُ مُحَارِبًـــا وهُـــسَالِمًـــا
وعَرَفْتُمُـــوهُ مُـــصَمِمًـا ومُعَـــــذرَا[2]
٣٠- وَبَلَوْتُمُـــــوهُ فَمَـــا وَجَـــدْتُمْ عِنْـــدَهُ
إلا الـــصَوَارِمَ والوَشِـــيجَ الأَسْـــمَرَا[3]
وَبَدَتْ لَكُـــمْ في النقْـــعِ بِـــيضُ سُـــيُوفِهِ
فَـــرَأَيْتُمُ فِيهَـــا[4] الحِمَـــام مُـــصَوَرَا
تِلْـــــكَ الوَقَـــائِعُ فِـــيكُمُ مَـــشْهُورَةٌ
والـــسّيفُ لَـــيْسَ يَـــرُوعُ حتـــى يُـــشْهَرَا
لا تَعْدَمَنـــــكَ أُسْـــرَةٌ مُـــضَرِيـــةٌ
نَزَلَـــتْ بِـــسَاحَتِكَ الجَنَـــابَ الأَخْـــضَرَا ![5]

---

(١) الطبّ: الماهر الحاذق بالأمور، ومنه قول عنترة (من معلقته) [كامل]:

إن تُغْدِفِي دوني القناعَ فإنني   طَب بأخذِ الفارس المستلئم

(الديوان: ٢٣)

فتوقظوا مكررًا: أراد مجربًا .

(٢) المعذر: الملجم حصانه، مأخوذ من العذار .

(٣) الوشيج الرمح، وتطلق على الرماح ما كانت وهي هنا مخصصة.

(٤) ظ: فرأيتم فيه.

(٥) لا تعدمنك: جملة دعائية . نزلت بساحتك الجناب الأخضر: أي نزلت الجناب الأخضر بنزولها ساحتك، والجناب: الفناء والناحية أو ما قرب من محلة القوم. يقال: فلان رحب الجناب خصيبه. الأسرة المضرية: قصد با قوم الممدوح الذين هم من كلاب من عامر من هوزان من قيس عيلان بن مضر.

كَــمْ أَدْرَكَــتْ يَــدَاكَ مِــنْ أَوْطَارِهَــا[1]

خَطَــرًا وكَــمْ قَرَعَــتْ بِــسَيْفِكَ مِنْبَــرَا ![2]

٣٥- أَسْعَرْتَ جَمْرَةَ (عَامِــرٍ) وَهْــيَ التــي

لاَ يَنْكِــرُ الأعْــــدَاءُ أنْ تَتَــسَعَّــرَا[3]

وحَمَــتْ مَخَافَتُــكَ (الجَزِيــرَةَ) هَيْبَــةً

فَكَأَنَمَــا قَــادَتْ إِلَيْهَــا عَــسْكَــرَا[4]

وَتَحَيَّــرَ (الغُــزي) فِــي ظُلُمَاتِهَــا

حتــى أضَــاءَ لَــهُ النَهَــارُ فَأَبْــصَــرَا[5]

فَمَــضَى ومَــا وَجَــدَ الفِــرَارَ دَنِيــةً

مَــنْ خَــافَ حَــد ظُبَــاكَ أنْ يَتَدَبَّــرَا[6]

---

(١) ظ، م: أقطارها.

(٢) قرعت بسيفك: أي بفضل سيفك وانتصاراتك، وقرع المنبر قصد به التولية.

(٣) الجمرة القبيلة ذات المنعة والشدّة، وكلّ قبيل انضموا فصاروا يدًا واحدة ولم يحالفوا غيرهم فهم جمرة - الصحاح - وقد عرف عن العامريّين أنهم قوم حمس متشدّدون، وأنهم لقاح أي لا يدينون للملوك، انظر ق ٧٩، ب١٢.أسعر جمرة الحرب: أوقدها وهو من باب النار.

(٤) الجزيرة: موضع بعينه وهو ما بين دجلة والفرات شمالي بلاد الشام، وكان العامريّون ينزلون به.

(٥) ف. ق. ك: وتحيّز الغزّيّ. الغزّيّ: قصد ابن الخان التركماني الذي استنجد به أسد الدولة عطية بن صالح على محمود بن نصر (الممدوح)، فهزمه محمود واستولى على حلب عام ٤٥٧هـ بعد تغلّبه على عطية - انظر زبدة الحلب ٢٧٩/١ وما بعدها.

(٦) سقط البيت من ف، ق، ك، مط، وتأخّر في ظ عن البيت التالي. (من خاف) فاعل (وجد). قوله أن يتدّبر: قصد به أن يَدْبَرَه أي أن يتبعه في فراره، أو قصد: أن يتدّبر الأمر فيتبعه ليهلكه، والضمير فيه عائد على الحدّ.

إيــ ـاكَ أنْ تَــ ـرِدَ (الفُــ ـرَاتَ) فَإنــ ـهُ
مَـ ـاءٌ يَعُــ ـودُ الجَــ ـوْنُ[1] مِنْــ ـهُ أشْقَــ ـرَا[2]

٤٠- أوَلَيسَ (مَحْمُودُ بْــ ـنُ نَـ ـصْـ ـرٍ) دُونَــ ـهُ
فَحَــ ـذَارِ[3]! إنْ نَفَــ ـعَ امْــ ـرَأً أنْ يَحْــ ـذَرَا

يَا جَـ ـامِعَ الحَـ ـسَنَـ ـاتِ دَعْـ ـوَةَ عَائِـ ـذٍ
يَنْــ ـدَاكَ أدْلَــ ـجَ فِي رِضَــ ـاكَ وَهَجــ ـرَا[4]

مَا كُنْـ ـتُ أحْـ ـسَبُ[5] أن جُـ ـودَكَ يُقْتَـ ـضَى
حتـــ ـى أقُــ ـولَ مُنَبهًــ ـا وَمُذَكــ ـرَا[6]

وأخَافُ فِيكَ مِـ ـنَ الوُشَـ ـاةِ وَلَـ ـمْ تَكُـ ـنْ
مِــ ـنْ يُخَــ ـافُ عليــ ـه أنْ يَتَغَيـ ــ ـرَا

---

(١) ظ: الجون - بضم الجيم المعجمة -

(٢) م: الفراة .الجون: الأبيض والأسود وهو من الأضداد، والجمع جون - بالضم - وقصد الأول وكنى بالشقرة عن لون الدم.

(٣) ظ: فحذار - بكسر الحاء - حذار - بالفتح - بمعنى احذر، والحِذار: المحاذرة.

(٤) دعوى عائذ: أدعوك بندائي هذا دعوى عائذ. أدلج: سار الليلة كلها. هجر: سار في الهجير وقوله: أدلج في رضاك وهجر أي لم يترك وسيلة لإرضائك.

(٥) ظ، ف: أحسب - بضم السين -

(٦) حسَبته أحسُبه: إذا عددته، وحسِبته صالحًا أحسَبه أي ظننته وهو المراد في البيت. وقد وردت الرواية في م بالكسر (أحسِب) وهو شاذ لأن كل فعل كان ماضيه مكسورًا فإن مستقبله يأتي مفتوح العين نحو علم يعلم إلا أربعة أحرف جاءت نوادر، قالوا حسِب يحسِب، ويئس ييئس - الصحاح - ف. ك: أقولُ. يشكو في هذا البيت وفيما يليه إلى البيت ٤٨ تقديم الممدوح غيره من الشعراء عليه وتفضيله لهم في العطاء.

حَاشَـــا لِعَـــدْلِكَ أنْ يَنَـــالَ مَطَالِبِـــي
قَـــوْمٌ سَبَقْتُهُـــمُ إلَيْـــكَ تَخَيـــرَا
٤٥- فَيَكُونُ سَهْمِـي فِي الغَنَـاءِ مُقَدَّمًـا
عَنْهُمْ وحَظِّـي في العَطَـاءِ مُؤَخـرَا
طَلَعَـتْ عَلَيْهِمْ مِـنْ نَـدَاكَ سَحَابَـةٌ
تُـرْوِي البِـلادَ وَمَـا تَبُـلُّ لِـيَ الثـرَى
وسَـرَيْتُ قَبْلَهُـمُ إلَـى إدْرَاكِهَـا
وَبَدَا الصَّباحُ فَمَا[1]حَمِدْتُ بِـهِ السرَى[2]
ولقَدْ صَـبَرْتُ وكُـل صَبْـرٍ نِعْمَـةٌ
إلا إذَا سَـرَ العِـدَى أنْ أصْبِـرَا
ورَضِـيتُ[3] بِـشِرْكَ دُونَ وَفْـرِكَ إنـهُ
ثَمَنٌ تُبَـاعُ بِـهِ الكِـرَامُ وتُـشْتَـرَى[4]
٥٠- هَـذَا عِتَابُـكَ غَيْـرَ أن وَرَاءَهُ
قَلْبًـا أرَقَّ[5] عَلَيْـكَ مِـنْ أنْ يَهْجُـرَا[6]

(١) م: وما.
(٢) قوله: وبدا الصباح وما حمدت به السرى، يشير إلى المثل (عند الصباح يحمد القوم السرى) (الميداني: الرقم ٢٣٨٢).
(٣) ظ: وأصبت.
(٤) ((ورضيت بشرك دون وفرك ...))، قابل هذا البيت بما سبقه.
(٥) م: أرق - بالرفع - .
(٦) في هذا البيت إدلال مُشرَب تحذيرًا خفيا.

فـــارْجِعْ إلَـــى الـــرأيِ الـــذِي جَرِّبْتَـــهُ
فَوَجَـــدْتَ مَيْمُـــونَ النَقِيبَـــةِ مُثْمِـــرَا[1]

وامْـــنُنْ عَلَـــي فَقَـــدْ قَـــدَرْتَ وإنمَـــا
أمْـــسَكْتَ عَـــنْ نُعْمَـــاكَ حتـــى تَقْـــدِرَا[2]

واعْلَـــمْ بِـــأني مَـــا ذَخَـــرْتُ[3] نَـــصِيحَةً
عِنْـــدِي فَمَالَـــكَ في النـــدَى أنْ تَـــدْخَرَا[4]

وَتَهَـــنَّ بِالعِيـــدِ الـــذِي شَرفْتَـــهُ
لَمـــا بَـــرَزْتَ مُـــصَلِّيًـــا ومُكَبِّـــرَا[5]

55- واسْلَمْ لَـهُ ولِكُـلِّ يَـوْمٍ مِثْلِـهِ
حتـــى تَعُـــودَ عِـــدَاكَ فِيـــهِ وتُنْحَـــرَا[6]

خمسة وخمسون بيتًا

---

(١) النقيبة: النفس والطبيعة والخليقة ويمن الفعل ونفاذ الرأي، وهو ميمون النقيبة أي مبارك مظفر فيما يحاول، وقصد الشاعر بالنقيبة رأي الأمير وقد ذكر في صدر البيت.

(٢) يرجوه منح الصلة بعدما فتح حلب وصار قادرًا على تولية الأمراء، وكأنه يطلب إلى ممدوحه العفو ويعتذر عن ذنب، لأن هذا البيت مشترك المعنى ذو أوجه.

(٣) أثبتنا رواية م: ما تَرَكْتُ.

(٤) يقول : بما أنني لم أذخر دونك نصيحتي فلا تذخر عني نداك.

(٥) معنى الشطر الأول كثير في الشعر العربي، ومنه قول المتنّبي [طويل]:

هنيئًا لكَ العيدُ الذي أنت عِيدُهُ   وعيدٌ لِمَنْ سمّى وضَحّى وعيّدَا

الديوان: ٢ / ٧٢

(٦) هذا البيت يشير إلى أن القصيدة أنشدت أمام الممدوح بمناسبة عيد النحر.

*[٦]

وقال الأمير أبو محمد عبد الله بن سعيد بن يحيى بن الحسين بن محمد بن الربيع بن سنان الخفاجي الحلبي[(١)] يفتخر ويذكر غرضًا في نفسه: [الكامل]

١-أَرَأَيْـــتَ مِـــنْ دَاءِ الـــصَبَابَةِ عَائِـــدَا
وَوَجَدْتَ في شَـكْوى الغَـرَامِ[(٢)] مُـسَاعِدَا[(٣)]

(*) القصيدة في ف، ق، ك صفحة ٢، ونسخة ظ صفحة ١ ونسخة م صفحة ١٣، ونسخة مط صفحة ٢٢. وهي القصيدة الأولى في ظ، ف، ق، ك.

(١) أثبتنا رواية ظ، وفي ف، ق، ك: ((بن الربيع بن سنان بن الربيع الخفاجي يفتخر)) على أنه ورد اسم الشاعر في مطلع نسخة م، مط كما يلي: الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن.

(٢) م: من شكوى الكرام.

(٣) الأبيات الأربعة عشر الأولى من القصيدة نسيب. يعمّم في أبياته الأربعة الأولى ويقصد العين، وهذا كثير في الأدب العربي (ينظر نونّية ابن زيدون مثلاً).

الهمزة في (أرأيت) للإنكار لا للاستفهام، ولذلك كانت ((أم)) في البيت الثاني منقطعة، ومن هذا القبيل قوله تعالى:﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ الأعراف: ١٩٥. ينظر المغني لابن هشام، ص٦٥ في حديثه عن (أمْ). داء الصبابة: أراد ألم الحب. العائد: زائر المريض. والشطر الثاني في معنى الأول، يخاطب نفسه على سبيل التجريد وهي طريقة القدماء. والبيت ظاهرهُ حكمة عامة والمقصود به الخصوص، ومعناه: قل لي: أرأيت في حياتك محبوبة

أمْ كُنْـــتَ تَـــذْكُرُ بِالوَفَـــاءِ عِـــصَابَـةً

حتى بَلَوْتَهُــمُ فَلَــمْ تَـــرَ وَاحِـــدَا؟[١]

تَرَكُــوكَ واللَّيْـــلَ الطوِيـــلَ وعِنْـــدَهُمْ

سِحْرٌ[٢] يَرُد لَــكَ الرقَــادَ الــشــارِدَا[٣]

وكأنمَــا كَانَــتْ عُهُــودُكَ فِيهِــمُ

دِمَنًا حُبِــسْنَ علَــى البِلَــى ومَعَاهِـــدَا[٤]

٥-يا صَـاحِبِي-ومَـتى نَـشَدْتُ مُحَافِظًـا

في الـــوُد لم أَزَلِ المُعَنـــى الناشِـــدَا -[٥]

تعود حبيبها وتخفّف عنه بعض ما أصابه من داء الصبابة ! ؟ إنّ هذا لا يكون قَبْ إلى رُشدك.

(١) العِصابة والعُصبة: جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين. والبيت في عتاب نفسه يقول: لعلك كنت تنتظر الوفاء ممّن وهبتهم قلبك، فلمّا خَبرتم لم تجد منهم وفيا واحدًا، وبعبارة أخرى: كنت تنتظر منها الوفاء فخيّبت ظنك.

(٢) ف، ك: سَحَر - بالتحريك -

(٣) الرقاد: النوم بالنهار، والرقود: النوم بالليل - اللسان عن الليث، وقال الأزهري: الرقاد والرقود يكون بالليل والنهار عند العرب. في هذا البيت وما يليه يعمم ويقصد التخصيص. المعنى: تركتك مهمومًا مؤرّقًا طويلاً ليلك، مع أن لها سحرًا يردّ إليك رقادك الذي شَرد عنك من فرْط حبّك إيّاها.

(٤) العهود ج عهد، وهو اليمين يحِلف با الرجل، وكل ما بين العباد من المواثيق. المعاهد ج معهد وهو الموضع كنتَ عهدتَ هوًى لك فيه، والمنـزل لا يزال القوم إذا نأوا عنه رجعوا إليه. يشبه ما أعطته من مواثق وعهود بِدِمَنٍ ومعاهد حبست على البلى.

(٥) جملة (ومتى نشدت ... الناشدا) معترضة، وأصل التركيب: يا صاحبي أعددت بعدك، ويقصد بـ (ياصاحبي) محبوبته. نشدت: ناديت وسألت،

أعْـدَدْتُ بَعْــدَكَ للمَلاَمَــةِ وَقْـرَةً
وذَخَـرْتُ عِنْـدَكَ[1] للـصَبَابَةِ[2] شَـاهِدَا[3]

ورَجَوْتُ فِيكَ عَلَـى النوَائِـبِ شِـدةً[4]
فَلَقِيـتُ مِنْــكَ نَوَائِبًــا وشَدَائِــدَا[5]

أما الخَيَـالُ فَمَـا نَكِـرْتُ صُـدُودَهُ
عني وهَـلْ يَـصِلُ الخَيَـالُ الـساهِـدَا؟[6]

سَارٍ يُؤَمِمُ[7](جَوْشَـنًا) مِـنْ (حَـاجِرٍ)
مَرْمًـى كَمَـا حكَـمَ النـوَى مُتَبَاعِـدَا[8]

ونشدته، استحلفته، والناشد: الطالب الذي يرفع صوته بالطلب.

المعنى: كلما طلبت محافظًا على الود والعهد خاب ظني، وإنك تعرفين مدى حبي لك.

(١) ف، ق، ك، مط، ص ٢٢، بعدك.

(٢) ف، م: بالصبابة.

(٣) الوقرة: مصدر مرة من الوقر، وهو ثقل السمع.

يريد في الشطر الثاني أنه ترك عندها شواهد كثيرة على حبه لا تستطيع إنكارها.

(٤) م: نصرة.

(٥) يقول: كنت أرجو أن تنصريني على النوائب فكنت مصدر نوائبي وعلة شدائدي. وقد جانس بين (الشدة) و(الشدائد) ومعنى الأول القوة، والثاني المصائب. وفي البيت مقابلة.

(٦) المعْنى: يزورني خيالك كل ليلة لشدة شوقي إليك، إلا أنه لا يلبث أن يعود من حيث أتى، وهذا شيء طبيعي لم أنكره لأن الخيال لا يناسبه إلا النوم، وهل لمحب نوم!؟

(٧) ق، ظ: تيمم: يؤمم، مط: ييمم.

(٨) م: يرمي، مط: مرمى على حاجر، جوشن: انظر ٣ ب ٢ و٧ الساري:

١٠- كَيفَ اهْتَدَيْتَ لَـهُ ودُونَ مَنَالِهِ
خَرْقٌ تَحُورُ[1] بِهِ الرِيَاحُ قَوَاصِدَا؟[2]
ما قَصَرَتْ بِكَ[3] في الزِيَارَةِ نِيَّةٌ
لَوْ كُنْتَ تَطْرُقُ[4] فِيهِ جَفْنًا رَاقِدَا[5]
عَجِبَتْ لإخْفَاقِ[6] الرجَاءِ وَمَا دَرَتْ
أنِي ضَرَبْتُ بِهِ حَدِيدًا بَارِدَا[7]
مَا كَانَ يَمْطُرُهُ الجَهَامُ سَحَائِبًا
تُرْوِي[8] ولاَ يَجِدُ السَرَابَ مَوَارِدَا[1]

الذي يسير ليلاً وقصد به الخيال. معنى البيت: هذا الخيال انطلق من (حاجر) قاصدًا (جوشنًا) وما أبعده من مقصد ! ولكن النوى حكمت بذلك.

(١) ظ: خرقا تجوز، ف، ك: خرق تحوز. أثبتنا رواية م.

(٢) يقول: كيف اهتديت أيها الطيف إلى مكاني بجوشن ودونه مِنا مفازة واسعة الأطراف، تعجز الرياح فيها عن بلوغ قصدها فتنثني راجعة. والخرق: الفلاة الواسعة أو الأرض البعيدة تتخرق با الرياح. تحورُ به: من حارَ: انتقل من حال إلى حال؛ صار. قواصد، ج قصيدة منكسرة: أراد تعجز الرياح عن قطعه.

(٣) ظ: لك.

(٤) ظ: تطرف فيه، م: تطرق منه.

(٥) المعنى: إن نيتك حسنة أيها الطيف، وإنك لم تقصر في زيارتي إلا أنك لا تزور جفنًا راقدًا (لو أنك تزور جفنًا راقدًا).

(٦) مط: لإخفاف - تصحيف -

(٧) التقدير: عجبت النية، ويقصد الطيف.

يقول: كلما زارني الطيف أخفق، إذ يجدني مسهدًا، فيعجب من كوني لم أنل رجائي من حبيبـي، وما درى أنني في حبي كمن يضرب في حديد بارد، أي أن النية عجبت من قصور الشاعر عن بلوغ أمله.

(٨) ظ: يروي.

وإذَا بَعَثْـتَ إلَـى السِّبَـاخِ بِرَائِـدٍ
يَبْغِـي الرِّيَـاضَ فَقَـدْ ظَلَمْـتَ الرَّائِـدَا[2]

١٥- مَـنْ مُبْلِـغُ اللؤَمَـاءِ[3] أنَّ مَطَـامِعي
صَـارَتْ حَـدِيثًا فِـيهِمُ وقَـصَائِـدَا[4]

رَكَدَتْ عَلَى أعْرَاضِـهِمْ وَهْـيَ الَّـتي
تَطْـوِي الـبِلاَدَ شَـوَارِدًا ورَوَاكِـدَا ؟[5]

مَا لِي أُجَاذِبُ كُـلَّ وَقْـتٍ[6] مُعْرِضًـا
عَـنْهُمْ وأُصْـلِحُ كُـلَّ يَـوْمٍ فَاسِــدَا[7]

وأُقِيمُ سُوقَ المَجْـدِ فِــي نَادِيهِـمُ
حتـى أُنفِـقَ فِيـهِ فَـضْـلاً كَاسِــدَا؟

خَطَلٌ مِـنَ الطَّبْـعِ[8] الـذَّمِيمِ وضَـلَّةٌ

---

(١) ما، هنا، للنفي. الجَهام - بالفتح - السحاب الذي قد هراق ماءه مع الريح.
يقول: إن السحاب الجهام (الذي لا ماء فيه) لا يمكن أن يسقي رجائي غيثًا يرويه، والسراب كذلك ليس فيه لهذا الرجاء موارد.

(٢) السبخة الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تنبت إلا بعض الشجر، والرائد: الذي يرسَل في التماس النجعة وطلب الكلأ.
والبيت في الحكمة على سبيل إرسال المثل، يقول: إنك إن بعثت إلى السباخ برائد يبحث فيها عن الرياض فقد ظلمته، وكلّ ما تقدم كناية عن قسوة المحبوبة وقلّة حظّه منها.

(٣) ف، ق، ك، مط: اللوام ؛ وأثبتنا رواية م. ط.

(٤) انتقل إلى هجاء أعدائه والافتخار بشعره الذي جعلهم أحاديث بين الناس.

(٥) ركدت: سكنت، وأراد: جثمت، ثبتت. شوارد ج شَرُود، وقافية شرود سائرة في البلاد تشرد كما يشرد البعير.

(٦) م: كلّ يوم.

(٧) يعجب من توليه قومًا فسدة يتألّف قلوبهم وهم معرضون.

(٨) ما أثبتناه من م، ظ. وفي سائر النسخ الطمع.

أَرَأَيتَ أَضْـيَعَ مِـنْ كَـرِيمٍ رَاغِـ ـبٍ

فِي الـرأْيِ مَـا وَجَـدَتْ دَلِـيلاً رَاشِـدَا[1]

يَـــدْعُو لِخُلتِـــهِ[2] لَئِيمًـــا زَاهِـــ ـدًا؟[3]

٢٠- وَمُعَـرسٍ بِرِكَابِـ ـهِ فِـ ـي مَنْـزِلٍ

يَلْقَــى الـصدِيقَ بِــهِ عَــدُوا حَاسِـدَا[4]

عُكِسَ الأَنَـامُ فَـإِنْ سَـمِعْتَ بِنَـاقِصٍ

فَــاعْلَمْ بِــأَن لَدَيْــهِ حَظًّــ ـا زَائِــ ـدَا

وَتَفَــاوُتُ الأَرْزَاقِ أَوْجَــ ـبَ فِــ ـيهِمُ

أَنْ يَجْعَلُــوهُ مُــ ـصَالِحًا وَمُفَاسِــ ـ ـدَا[5]

وَمُعَــدِدٍ فِي الفَخْــرِ طَــارِفَ مَالِــ ـهِ

---

(١) الخطل: الخفة والسرعة والكلام الفاسد السريع المضطرب والمنطق الفاسد. اتهم نفسه بخطل الرأي والضلة عن القصد الصحيح.

(٢) ظ: بخلته.

(٣) الخلة: المصادقة.

(٤) المعرس الذي ينـزل في السفر من آخر الليل بمكان للاستراحة ثم ينيخ وينام نومة خفيفة، ثم يسير مع الصبح. الركاب: واحدتا راحلة، وهي الإبل تحمل القوم وجمعها ركب.

قوله: (ومعرس)، معطوف على (كريم)، أي أضيع من كريم ومعرس.

(٥) ف، ك: مَفاسدا - بفتح الميم -

حتـــى تلَــوْتُ عَلَيْـــهِ مَجْــ ـدًا تَالِـــدَا

٢٥- طَوقْتُـ ـهُ بِأَوابِـ ـدِي ولَطَالَمَـ ـا
أَهْــدَيْتُ أَغْــلالاً بِهَــا وقَلاِئِــ ـدَا[١]

مَهْـلاً فَإِنــكَ مَـا تُعَـد (مُبَارَكَــ ـا)
خَــالاً ولا تَــدْعُو (سِــنَانًا) وَالِــ ـدَا

أَهْــلُ الثغُــ ـورِ إِذَا تُلِــ ـم مُلِمـ ـةٌ
بَــسَطُوا رِمَاحَــا دونَهَــا وسَــوَاعِدَا[٢]

وأُولُــو التقَــى فـ إِذَا مَـرَرْتَ عَلَـيْهِمُ
لم تَلْقَ[٣] إلا مُحْرِمًـا[٤] ومُجَاهِـدَا[١]

---

(١) الأوابد: القوافي الشرد، أي القصائد السائرة في البلاد، انظر ق٤، ب١٦. قصد بالأغلال: قصائد الهجاء مثلما كنى عن المدح والثناء بالقلائد. ونظنّ أنّ الشاعر يعرض بالأمير محمود بن نصر بن صالح في أواخر أيامه معه وهو والٍ له على قلعة أعزاز التي عصي با، وقد مدحه ابن سنان بنحو خمس عشرة قصيدة.
يقول: نظمت في هذا الإنسان قصائد بينت لؤمه وأظهرت حقيقته للناس، وإني لشاعر مفلق أضع بشعري من أشاء وأرفع من أشاء.

(٢) الثغور: المواضع التي تكون حدًا فاصلاً بين المسلمين وأعدائهم، وهي مواضع المخافة من أطراف البلاد وأهلها حماتا ؛ ولعلّه يشير إلى قومه الأدنين، وكانوا يقطنون الثغور، كما تبّين ذلك القصيدة رقم ٥٩. يمدح حماة ثغور المسلمين وهو منهم. وقد مضى شرح اللفظ في القطعة (٥) البيت (٢٦).

(٣) م: لم تلف.

(٤) أثبتنا رواية م، ط. وفي سائر النسخ إلا مكرما.

ومُجَاهِـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـدَا[1]

إنْ حَـارَبوا مَلَـؤوا الـبِلادَ مَـصَارِعًا
أوْ سَـالَمُوا عَمَـرُوا الـدِّيَارَ مَـسَاجِدَا[2]

٣٠- هَيْهَاتَ! مَـا تَـرِدُ المَطَالِـبَ نَائِمًـا
عَنْهَـا، ولا تَـصِلُ الكَوَاكِـبَ قَاعِـدَا

ولَـرُبَّ مِثْلِـكَ ثَقَّفُـوا مِـنْ مَيْلِـهِ
حَتى أقَـامُوا مِنْـهُ قَـدْرًا مَائِـدَا[3]

مَا كَـانَ جَـارُهُمُ كَجَـارِكَ مُـسْلِمًا
يَوْمًـا وزَنْـدُهُمُ كَزَنْـدِكَ خَامِـدَا[4]

بَيْـتٌ لَـهُ النَـسَبُ الجَلِـي وغَيْـرُهُ
دَعْـوَى تُرِيـدُ أدِلَّـةً وشَوَاهِـدَا[5]

ثلاثة وثلاثون بيتًا

---

(١) لعله يلمّح إلى آل البيت الذين يتشيع لهم .

(٢) ينوّه بمزاياهم في السلم والجهاد.

(٣) ظ: ولرب ملك ثقفوا في ميله حتى أقاموا فيه قدا. م: أقاموا عنه. مط: قدًا زائدًا.
الثقاف ما تسوى به الرماح، وثقّف من ميله: سوّاه، من باب المجاز، وفي البيت إشارة إلى الأمير المهجو.

(٤) الزند والزندة خشبتان يستقدح بما النار، والسّفلى زندة والأعلى زند.

(٥) بيت له النسب الجلي: قصد القرابة من رسول الله ﷺ، وهي لعلي رضي الله عنه ولأبنائه، عجز البيت كقول البوصيريّ في همزيته [خفيف]:

والدعاوى، ما لم تُقِيمُوا عليها بيناتٍ، أبناؤُها أدعِياءُ

[٧]*

وقال وقد التمس منه علم الدين ظهير الدولة أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد الرحيم إنفاذ قصائد من شعره، فكتب إليه شيئًا جعل منه هذه القصيدة، وأنفذها إلى حضرته بالجزيرة في شهر ربيع الآخر لسنة تسع وأربعين وأربعمائة[1]: [كامل]

يَا حَادِيَ الأظْعَانِ أيْنَ تَمِيلُ ... هِيَ وَجْرَةٌ وسُؤَالُهَا تَعْلِيلُ[2]

مَا هَذِهِ في الرَّبْعِ أولُ وَقْفَةٍ ... وُقِفَتْ لِيُنْشَدَ[3] قَاتِلاً مَقْتُولُ

عُجْنَا بِنَاحِلِ رَسْمِهِ فَتَحَيَّرَتْ

(*) ظ ١٨، ف، ك ١٣، ق ٢٠، م ١٤، مط ٧٩.

(١) هو زعيم الملك أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الرحيم وزير وأخو ثلاثة وزراء هُمْ: أبو سعد عميد الدولة محمد بن الحسين وهو أشهرهم، وكمال الملك أبو المعالي هبة الله بن محمد، وشرف الأمة أبو عبد الله عبد الرحيم بن محمد. وَزَرُوا كلّهم لبني بوْيه مثل أبيهم أبي القاسم، وَنالتْهم شدائد مختلفة (الوافي بالوفيات ٣/ ٨ - ٩).

(٢) وَجْرة : قال الأصمعي: وجرة بين مكة والبصرة، اهـ. وقد أكثر الشعراء من ذكرها قال امرؤ القيس في معلقته [طويل]:

تصدّ وتُبْدي عن أسِيلٍ وَتتقِي ... بِناظِرةٍ مِن وَحشِ وَجرةَ مُطفِلِ

(معجم البلدان، واللسان)

علّله تعليلا: لَهاه وشغله بشيء لينسى شيئًا آخر.

(٣) ظ، ف: وقَفَتْ، ظ: فينشد.

فِيهِ دُمُوعٌ مَا لَهُنَّ مَسِيلُ[1]

وَتَحَمَّلَتْ لِيَدِ السَّحَابِ طُلُولُهُ

مَنَّا[2] وَنَحْنُ سَحَائِبٌ وطُلُولُ[3]

٥- وعَلَى (الْعُذَيْبِ) - ولا أغُشكَ - بَانَةٌ[4]

مَا ظِلُّهَا لَوْلاَ السَّقَامُ ظَلِيلُ [5]

ومُرَنِّحٍ في الكُورِ تَحْسِبُهُ الصَّبَا

غُصْنًا يَمِيدُ بِمَرهَا وَيَمِيلُ[6]

حَمَلَتْ إلَيْهِ تَحِيَّةً وَنَسِيمُهَا

---

(١) عاج بالمكان وعليه: أقام به. والعائج: الواقف. تحير الدمع: اجتمع. ما لهنّ مسيل: أي كأن الدموع لا تريد أن تفارق الرسم وكأنا تحبه لحبنا إياه.

(٢) ظ: لبد السحاب طلوله مِنا. مط، ق: السحائب طوله. ف، ك: طوله.

(٣) أصل التركيب: تحملت طلول الرسم مَنا لِيَدِ السحاب. أراد أن الطلول رحلت أيضا عن المكان بعد أن سقاها الغيث وظهرت آثاره فيها، ونحن سحائب بما أسلنا على الرسوم من الدمع، وطلولٌ لسوء حالنا.

(٤) م: وما أغشك.

(٥) العذيب سبق شرحه في القطعة ٢، البيت ٦.

قوله: ما ظلّها لولا السقام ظليل، أي لولا نحولي لما ظللتني. يعّبر عما أصابه من سقام لارتحال الحيّ عن الربع الذي أضحى بعدهم قفرًا ضعيف الشجر.

(٦) الكور: رحْل البعير أو الرحل بأداته والأول هو المقصود. والمرنح: شخص زار المكان فرنحته الذكرى، فصار يميد ويميل من الهيام والشوق. والواو واو ربّ مثل الواو في وفوارس في البيت (١٤).

أبـــدًا عَلَـــى دِيـــنِ الغَـــرَامِ رَسُـــولُ[1]

مَا كُنْـتَ تُخْبِـرُ[2] قَبْلَهَـا عَـنْ (حَـاجِرٍ)

إلا وَطِيبُـــكَ شَـــاهِدٌ مَقْبُـــــ ـــولُ[3]

وَتُبِـثُ مَـا كَـتَمَ الأقَـاحُ وَلَـوْ دَرَى

مَـــا كَـــانَ مِنْـــكَ لِثَغْـــرِهِ تَقْبِيـــ ـلُ[4]

١٠- وفَوَارِسٍ[5] أَلِفُـوا القَنَـا فَكَأَنَـهُ

قَبْـلَ الطَعَـانِ بُيُـوعِهِمْ مَوْصُـولُ[6]

---

(١) الضمير في (حملت) و(نسيمها) عائد على (الصبا) في البيت السابق، أي حملت الصبا إلى المرنح تحية من الحبيب، والنسيم هو الرسول بينهما في مذهب الهوى. وقد قصد نفسه.

(٢) ف، ك: ما كنت تُخْبَرُ - تصحيف -

(٣) حاجر: انظر ق ٣، ب ٢. وقوله: ما كنت تخبر.. يخاطب النسيم على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب. وطيبك: طيب نسيم الصبا.

(٤) الأقاح والأقاحي جمع أقحوانة، واسم الجنس أقحوان، وهو نبت طّيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر، مفرّق الورق دقيق العيدان، تشّبه به ثغور الجواري الحديثات السن، والقُحْوانة لغة فيه أو لم ترد إلا في الشعر. لثغره: الضمير فيه عائد على الأقاح، عَدهُ الشاعر اسم جنس فذكره.
تبث: الخطاب للنسيم أيضًا. يريد: كتم الأقاح ما يعرف من حديث الحب وجعله غِرا يقبله النسيم وهو لا يشعر فيعرف منه سرّ الهوى. عند ذلك يفوح النسيم بالعطر، أي يبثّ ما كتم الأقاح.

(٥) ف، ك: وفوارسٌ - بالرفع -

(٦) البُوع، والبَوْع لغة في الباع، وهو مدّ اليدين، وقصد به اليدين. بذا البيت بدأ الشاعر يمهّد للمدح.

ذَعَرُوا الظلامَ فَمَا يَمُرُّ عَلَيْهِمُ
إلا وعِقْدُ نُجُومِهِ[(١)] مَحْلُولُ

طَمَحَتْ[(٢)] بِهِمْ آمَالُهُمْ ولَوَاهُمُ
قَدَرٌ بِمَا وَعَدَ الكِرَامَ مَطُولُ[(٣)]

ومُطَوَّحٍ رَكِبَ الخِدَاعَ مَطِيَّةً
مَا ظَهْرُهَا يَوْمَ اللقَاءِ ذَلُولُ[(٤)]

كَيْفَ اهْتَدَيْتَ (لِعَامِرٍ) ورِعَالُهَا
سُدَفٌ وسِتْرُ عَجَاجِهَا مَسْدُولُ؟[(٥)]

١٥- جَمَحَتْ بِكَ الخُيَلاءُ حتى هِجْتَهَا

---

(١) ((إلا وعقد نجومه محلول)) كناية عن شدّة الذعر، وهو معنى متعاور في الشعر العربي، مقتبس من القرآن: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

(٢) ف، ك: طمِحت - بكسر الميم -

(٣) م: الكرامُ - بالرفع - طَمَحَ بصره إلى الشيء: ارتفع، وطمَح بالشيء: رماه وذهب به، وطمَح في الطلب: أبعد. وحاصل معنى البيت: هؤلاء القوم بعيدُو الهمة إلا أن القدر خانم ومطلهم وعدَه.

(٤) ف، ق، ك، مط: فوق اللقاء.

قوله: ومطوح: الظاهر أنه قصد به (قريش بن بدران) يدلّ على ذلك البيت (١٨): ((أو ما بسنجار لقومك مصرع...)) .

(٥) الرعال: جمع رَعْلة ورَعيل وهي القطعة من الخيل، وقيل أولها ومقدمتها. السدَف جمع سَدْفة. وسُدْفة ؛ والسدْفة في لغة نجد: الظلمة، وفي لغة قيس الضوء. والسدفة الطائفة من الليل وسواده، وهو المعنى المقصود في البيت.

شَـــنْعَاءَ ثَـــأْرُ صَرِيعِهَـــ ـــا مَطْلُـــ ـــولُ [1]

وَبَـــدَتْ مَخَايِلُهَــا لَـــدَيْكَ مُـــضِيئَـــةً
لَـــوْ كَـــانَ عِنْـــدَكَ لِلْـــصَبَاحِ دَلِيـــ ـــلُ[2]

وظَنَنْـــتَ (عَوْفًـــا)[3] بِالطِّعَـــانِ بَخِيلَـــةً
ظَـــنٍ لَعَمْـــرُكَ بِالحِمَـــ ـــامِ جَمِيـــ ـــلُ[4]

أَوَمَـــا (بِـــسِنْجَارٍ) لِقَوْمِـــكَ مَـــصْرَعٌ
شَـــهِدَتْ بِـــهِ في المُرْهَفَـــاتِ فُلُـــ ـــولُ[5]

طَلَبُـــوا النجَـــاءَ فَكَـــانَ في أَعْمَـــارِهِمْ
قِـــصَرٌ وفي سُـــمْرٍ[6] الـــذَوَابِلِ طُـــولُ[7]

٢٠- وَغَـــدَرْ (العِـــرَاقَ) طَرِيـــدَةً مَبْذُولَـــةً

---

(١) الخيلاء: الكِبْر وأراد به الغرور. هجتها: هجت الحرب. ثأر صريعها مطلول: أي مَنْ صُرِعَ في هذه الحرب،كان دمه هَدَرًا. وطُل دمُه: ذهب هدرًا .

(٢) وبدت مخايلها لديك مضيئة: أي ظننت أنّك ستنتصر في هذه الحرب.

(٣) ظ: عونا. م: وظننت عوفا بالطعان بخيلةٌ.

(٤) عوف: أراد بني عوف، قوم عوف بن عامر بن ربيعة بن صعصعة الجدّ الجاهلي. أراد: من ظنّ عوفًا بخيلة بالطعان كان كمَنْ ظنّ بالموت ظنا جميلاً.

(٥) سنجار جبل في نواحي الجزيرة به مدينة مشهورة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام - ياقوت - يشير إلى وقعة سنجار التي انزم فيها قريش بن بدران وقتلمش ابن عم السلطان طغرلبك السلجوقي أمام البساسيري سنة ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦ م - انظر: هبة الله الشيرازي: سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ص ١٢٠، ابن خلدون: العبر ٢٧٩/٤، ابن الأثير ٦٢٥/٩، خاشع المعاضيدي: دولة بني عقيل في الموصل من سنة ٣٨٠ هـ إلى سنة ٤٨٩ هـ، ص ٨٨.

(٦) ظ، م: بوع الذوابل.

(٧) النجاء: السرعة في السير وقصد به الفرار، ويقال: النجاءَ.. النجاءَ! - مقصورًا وممدودًا، والنجاءَك والنجاك - بكاف الخطاب - بمعنى انجُ بِنَفْسِكَ !

سَـبَقَ الأسِـنةَ سَـرْحُها المَـشْلُـولُ[1]
وامْنَـعْ حَلِيفَـكَ بِـالفِرَارِ وقُـلْ لَـهُ:
هَيْهَـاتَ! ذَادَ عَـنِ (الفُـرَاتِ) (النيـلُ)[2]
وحَـذَارِ مِـنْ كَـلأِ (الجَزِيـرَةِ)[3] إنـهُ
مَرْعًـى بِـأطْرَافِ الرمَـاحِ وَبِيـلُ[4]
صَحتْ فَلَـيْسَ سِـوَى الجُفُـون مَرِيـضَةٌ[5]

---

(١) الطريدة: ما طردت من صيد أو غيره والجمع طرائد، والطريدة: الوسيقة، وهو ما يسرق من الإبل يُغِيرُ عليها القوم فيطردونا، وهو المعنى المقصود في البيت. الشلّ: الطرد، والمشلول: المطرود.
يقول: اترك العراق فهو طريدة سائغة، لأنك لا تستطيع الدفاع عنها.

(٢) ظ: بالعراق.

(٣) قصد بالنيل الممدوح، على وجه التشبيه، وللمناسبة بين نر الفرات ونر النيل.
يقول: انصح حليفك بالفرار وبألا يطمع في احتلال بلاد الفرات لأن من دونا من هو أقوى منه.

(٤) الوبيل من وَبُل المرعى: وَخُم وثقُل، وَبُلَتْ عليهم الأرضُ: صارت وبيلة، واستوبلتُ البلدَ أي استوخمته، وذلك إذا لم يوافقك في بدنك وإن كنت تحبه.
يقول: احذر من أن ترعى كلأ الجزيرة فهو وبيل ؛ لأن الممدوح مدافع عنه بأطراف رماحه.

(٥) ظ: مريضةً - بتنوين النصب -

فِيهَـــا ولا غيْـــ ـــرُ النـــسِيـــمِ عَلِيـــلُ[(١)]

وثَنـــى (زَعِـــيمُ الـــدينِ) فَـــضْلَ جِمَاحِهَـــا
فاللّيـــلُ فَجْـــرٌ والرِيـــ ـــاحُ قُبـــ ـــولُ[(٢)]

٢٥- إنْ كانَ حَـــلَّ بِهَـــا وفَـــارَقَ دَارَهُ
فالليْـــثُ يفْـــرَقُ بَأسُـــهُ لا الغِيـــلُ[(٣)]

---

(١) ف، ك: ولا غير - بالفتح -

صحت: عكس مرضت، الضمير فيه عائد على (الجزيرة). جفون مريضة: أي فاترة كأن النعاس يخامرها وهو من نعوت الجمال في النساء. قال جرير [بسيط]:

((إن العُيونَ التي في طَرفِها حَــوَرٌ قَتلنَنا ثُمّ لم يُحيِيـنَ قَتْلانـا
يَصرَعْنَ ذا اللب حتّى لا حِراكَ بِهِ وهُن أضعَفُ خَلقِ اللهِ إنسانا))

(الديوان: ص ٥٩٥)

ويروى ((في طرفها مرض)) و((لا صراع به)) و((خلق الله أركانا)) .

وفي بيت ابن سنان تأكيد المدح بما يشبه الذمّ.

يصف الجزيرة بمنعتها وطيب أرضها ومناخها وجمال نسائها.

(٢) زعيم الدين: لقب الممدوح ويدعى أيضًا زعيم الملك - راجع الوافي بالوفيات للصفدي ٨/٣.

القبول في الأصل: كل ما استقبلك بين يديك إذا وقفت في القبلة، وكل ريح طيبة المس لينة لا أذى فيها، وأصلها: الصبا تهب من تلقاء القبلة.

يقول: لكن الممدوح طوّع الجزيرة وثنى فضل جماحها ببأسه وجوده، فالظلام فيها نور، والأمور سهلة، والدهر مُوَاتٍ. وبهذا البيت خلص الشاعر إلى المدح بعدما اعتمد (الافتنان) في جزء كبير من قصيدته.

(٣) حل بها: أي بالجزيرة. فارق داره: أي بغداد. الفَرَق - بالتحريك - الخوف، تقول فَرِقْت منك ولا تقل فَرِقْتُكَ. الغيل: الأجمة وموضع الأسد. - في نسخة

نَشْوَانُ يَخْطِرُ للنَّدَى في هِزَّةٍ
عَلِمُوا بِهَا أن السَّمَاحَ شَمُولُ[1]

يَغْتَالُ بَادِرَةَ الخُطُوبِ بِرَيْثِهِ
وَيَنَالُ أقْصَى الحَزْمِ وهْوَ عَجُولُ[2]

عَطِرُ الثَّنَاءِ تَضَوَّعَتْ أوْصَافُهُ
طِيبًا فَكُلُّ فَمٍ بِهَا[3] مَعْلُولُ[4]

مَا كَانَ يُعْلَمُ قَبْلَ فَيْضِ نَوَالِهِ
أن الغَمَامَ إذَا اسْتَهَلَّ بَخِيلُ

٣٠- فَرَقَتْ عَزَائِمُهُ[5] فَشَابَ لَهَا الدُّجَى
خَوْفًا وأثَّرَ في الهِلالِ نُحُولُ[6]

لَوْ أن لِلأيَّامِ نَارَ ذَكَائِهِ
مَا كَانَ فِيهَا بُكْرَةٌ وأصِيلُ[7]

ظ: يُفْرِق - بالبناء للمعلوم - يقول: إن حل بالجزيرة وفارق بغداد.. فإنه كالأسد يُخشى بأسُه لا أجمُته.

(١) خَطَر الرمحُ يخطِر: اهتزّ، وقوله يخطر أي يتبختر انظر ق ١٣، ب ١٠. الشمول: الخمر.

المعنى: يرتاح الممدوح للندى ويهتزّ له وينتشي من العطاء مثل انتشائه من الخمر.

(٢) الخطوب البادرة: التي تبدُرك وتعاجلك. الريث: التمهّل.
يصف ممدوحه بحسن التأنّي وحصافة الرأي. فهو يتأنّى في مقام التأنّي، ويَعْجَل إن اقتضى الأمرُ العجلة ؛ وبذلك يتغلب على الخطوب.

(٣) ظ: فكلّ فم به، ويعود الضمير في هذه الرواية على (الثناء).

(٤) معلول من علّه يعله، إذا سقاه السقية الثانية.

(٥) ف، ك: فُرِقَت - بالبناء للمفعول -. م: غرائمه.

(٦) فَرَقَ - بالتحريك -: بان وظهر وبدا.

(٧) قوله: ما كان فيها بكرة وأصيل، أي لكانت كلها نارًا ونورًا.

شَــرَفٌ بَنَــى (عَبْــدُ الــرحِيمِ) عِمَــادَهُ[1]
ولَرُبَمَــا تَــضَعُ الفُــرُوعَ أُصُــ ـولُ[2]

أَبقَــى بِــهِ عَبَــ ـقَ الثَنَــاءِ لِرَهْطِــ ـهِ
والحَمْــدُ حَــظُّ للكِــرَامِ جَزِيــ ـلُ[3]

قَــوْمٌ إذَا نَــضَبَ الكَــلامُ[4] وأَظْلَمَــتْ
للنَــاطِقِينَ خَوَاطِــ ـرٌ وعُقُــ ـولُ[5]

٣٥- شَــامُوا مَــضَارِبَ أَلْــسُنٍ عَرَبِيــةٍ
تَفْــرِي وَمَاضِــي المُرْهَفَــاتِ كَلِيــلُ[6]

إنْ فَــاتَهُمْ بُــرْدٌ يُــلاثُ ومِنْبَــرٌ
فلَهُــمْ سَــرِيرُ المُلْــكِ والإِكْلِيــلُ[7]

---

(١) م: شرفُ بني عبدِ الرحيم عمادُه. ظ: عمادُه. مط: شرف بنو..
(٢) عبد الرحيم: جد الممدوح: عليّ بن الحسين بن عبد الرحيم.
البيت بروايتنا معناه مدح الجد، وفي الرواية الثانية معناه مدح أبناء الجد، في الصدْرِ، ولكن العجُز لا يناسبه. يريد أن عبد الرحيم أسّس هذا الشرف وأتم أبناؤه بناءَه.
ومعنى العجز: ((قد يكون الخلَف رفيعًا والسلف وضيعًا)) .
(٣) أبقى به: أي بالشرف الذي بناه الجد عبد الرحيم. العَبَق - بالتحريك - مصدر قولك عِبِقَ به من الطيب أي لزق به عَبَقًا. رَهْط الرجل - بتسكين الهاء -: قومه وقبيلته الأقربون، والتسكين أفصح من الفتح.
(٤) م: نُصِبَ - بالصاد المهملة -
(٥) قال الأصمعي: الناضب: البعيد، ومنه قيل للماء إذا ذهب نَضَبَ - الصحاح -. وجملة شاموا.. جواب شرط إذا.
(٦) شام سيفه: استله، وأغمده (ضد)، والمقصود المعنى الأول. يصفهم في البيتين بالفصاحة وسداد الرأي، ويشبه ألسنتهم بالسيوف القاطعة، لفصاحتهم ولأن أقوالهم هي الفاصلة الماضية.
(٧) إن فاتم بُرْد يُلاثُ ومِنْبر: أي إن فاتتهم الخلافة..

نَسَبٌ هَدَى زُهْرَ النجُومِ مَنَارُهُ
وسِوَاهُ فَقْعُ قَرَارَةٍ مَجْهُولُ[1]

يا جَامِعَ الآمَالِ وَهْيَ بَدَائِدٌ
ومُرَوِّضَ الأيَّامِ وهْيَ مُحُولُ[2]

أعْيَى كَمَالُكَ أنْ تُعَدَّ فَضِيلَةٌ
كالصُّبْحِ لا رَثَمٌ ولاَ تَحْجِيلُ[3]

٤٠- لَوْلاكَ أُرْتِجَتِ[4] الأكُفُّ فَلَمْ يَكُنْ
في الدَّهْرِ لا أمَلٌ ولا مَأمُولُ[5]

مَا ضَرَّ (نَاشِرَةً) ورَأْيُكَ[6] فِيهِمُ

---

(١) نسبٌ: أي نسبهم، والتنوين فيه للنوع. زُهْر جمع أزهر، والأزهر: النير، وزَهَرَت النارُ: أضاءت، وزهرت بك ناري أي قويتْ بك وكثرتْ، مثل وريت بك زنادي. الفقع: ضرب من الكمأة رخو ؛ يقال فلان فقع قرقر أي ذليل، وأذل من فقع القاع، وأذلّ من فقع بقرقرة.. لأن هذا الفقع لا يمتنع على من اجتناه أو لأنه يؤطأ بالأرجل. نسب إلى قوم الممدوح إضاءة النجوم، وجعل غيرَهم يوطؤون بالأرجل.

(٢) بدائد: متفرقة، وجعلها كذلك لأنّ مؤمليه كثيرون. روّض: عبّد. مُحُول جمع ماحلة، وأمحل البلد والزمان أجدب فهو ما حل عل غير قياس، وممحل. يصفه بالكرم وبأنه أمل الناس في المحل.

(٣) الرثَم: بياض في طرف أنف الفرس، أو كل بياض يصيب الجحفلة العليا فيبلغ المرسن قل أو كثر، أو بياض الأنف. التحجيل: بياض في قوائم الفرس. وكل هذا لا يكون في الفرس الناصع البياض ؛ فكذلك صفات الممدوح لا يحدّها وصف لكمالها ونصوعها.

(٤) ظ: ما ارتجتِ الأكفّ.

(٥) أرتج البابَ: أغلقه إغلاقًا وثيقًا، وأرتجت الأكفّ أي لم تَجُدْ بالعطاء لأن مالها من مالك.

(٦) مط: ما ضرّ ناضرة. ك: ولحمك فيهم. م: باشَرةٌ.

ألا يُقَــارِقَ غِمْــدَهُ مَــصْقُــولُ[(١)]
قُــلْ لِلأَمِــيرِ (أبِــي الأعَــزِ) ودُونَــهُ
للطــالِبِينَ سَبَاسِــبٌ وهُجُــولُ[(٢)]
عَــادَاتُ جَــدِكَ في العِــدَى مَنْــصُورَةٌ
أبــدًا وسَــيْفُكَ ضَاهِــنٌ وكَفِيــلُ
أسْــلَفْتَ (جُوثَــةَ) مِنَّــةً مَــشْهُــورَةً
فَوَفَــتْ بحمْــدِكَ والوَفَــاءُ قَلِيــلُ[(٣)]
٤٥- وثَوَى ابْنُ عَمِــكَ (بِــالعِرَاقِ) وقَوْمُــهُ
كالــذَوْدِ حَــن وفَحْلُــهُ مَعْقُــولُ[(٤)]

(١) ناشرة: قصد به بني ناشرة بن نصر بن سواءة بن الحارث بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة، وإليه ينسب بنو مزيد أمراء الحلة، ومنهم دبيس ابن علي بن مزيد الأسديّ الناشريّ الذي انضمّ إلى أمير خفاجة أبي الفتيان منيع بن حسان عام ٤١٧هـ وجمعا عشائرهما لمحاربة عقيل، فكانت الحرب بين خفاجة وقرواش بن المقلد العقيلي. وأزالت خفاجة العقيليين عن سقي الفرات بمساعدة الملك أبي كاليجار الديلميّ. والظاهر أن ابن سنان يقصد بناشرة بني مزيد.

(٢) الهجول جمع هَجْل، وهو المطئمنّ من الأرض، وما اتسع من الأرض وغمض وهو المراد.

(٣) جوثة: موضع، وأراد أهل جوثة، وجعلها ابن منظور حيا إليه تنسب تميم، وعلى هذا يقال : تميم جؤثة وضبطها بالهمزة وبالواو، لأنه ذكرها في كلا الحرفين.

(٤) الذود - وأكثر ما يستعمل في الإناث -: قطعة من الإبل من الثلاث إلى العشر - على الأشهر - أو إلى خمس عشرة، أو إلى عشرين، أو إلى ثلاثين، وتصغيره ذُوَيد على غير قياس. ومن استعماله في المفرد قول الحطيئة: [وافر]
ونحنُ ثلاثةٌ وثــلاثُ ذَودٍ لقد جارَ الزمانُ على عِيالي
ويروى:
((ثَلاثَةُ أنفُسٍ وثَلاثُ ذَودٍ! لقد عالَ الزمانُ على عِيالي))

مَـا صَـدُّهُمْ عَنْـكَ الجَفَـاءُ وإِنَمَـا
مَـالُوا مَـعَ الأيـامِ حَيْـثُ تَمِيـلُ
وغَرِيبَـةٍ زَارَتْ[1] ومَـا تَبْغِـي بِهَـا
إلا الـوِدَادَ فَهَـلْ إلَيْـهِ سَبِيـلُ؟[2]
إنْ شُفِعَـتْ آمالُهَـا في نَيْلِـهِ
فَلْتَسْمَعِ[3] الفُصَحَاءُ كَيْـفَ أَقُـولُ[4].
ثمانية وأربعون بيتًا

(الديوان / ٣٣٣)

وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها، والكثير أذواد.

(١) ظ: دارت. مط: زادت.

(٢) وغريبة: أراد بها قصيدته.

(٣) م: فليسمع.

(٤) شُفع في كذا: قُبِلَت شفاعتُه. في نيله: في نيل الوداد. «فلتسمع الفصحاء كيف أقول»: يريد: كنت خير من يمدحك لأنني لا أُجَارَى في القريض.

[٨]*

وقال وكتب بها من القسطنطينية إلى الوزير فخر الدولة أبي نصر محمد بن محمد بن جهير [1] رحمه الله [2] [كامل] :

١- مَــا بَــالُ قَلْبِــكَ لاَ يَنُــوءُ[3] بِحَمْلِهَــا
حَتــى كَأَنّــكَ مَــا بُلِيــتَ بِمِثْلِهَــا[4]؟

(*) ظ ٣٦، ف ٢٦، ق ٣٩، ك ٢٦، م ١٦، مط ٨٦.

وبعض أبيات القصيدة في معجم البلدان (مادة جوشن).

(١) ف، مط: جهْين - بالنون - وهو تصحيف.

فخر الدولة أبو نصر محمد بن محمد بن جهير الثعلبيّ، ولد بالموصل سنة ٣٩٨هـ. ونشأ بها في أسرة ثريّة. كان في خدمة العقيليّين. وبعد وفاة قرواش بن المقلد (٤٤٢ هـ) غادر الموصل إلى حلب، حيث تقلّد نظارة الديوان لمعزّ الدولة ثمال بن نصر المرداسيّ. ولما صرف عنها حوالي ٤٤٦ هـ، انتقل إلى آمد، ثم قصد أحمد بن مروان الكردي، صاحب ميافارقين وديار بكر فَوَزَرَ له ولابنه نظام الدين، وأظهر في ذلك كفاءة لفتت نظر الخليفة العباسيّ القائم بأمر الله فاستوزره سنة ٤٥٤هـ. وبقي في خدمته وخدمة ابنه المقتدي إلى سنة ٤٧١هـ. ثم عاد إلى ديار ربيعة: ولاه إياها السلطان ملك شاه إلى سنة ٤٨٢هـ. فملك بها نَصِيبينَ فالموصل فسِنْجَارَ فالخابورَ إلى أن استولى على ديار ربيعة كلها. توفي بالموصل سنة ٤٨٣هـ ((وكان ذا رأي وعقل وحزم وتدبير)) (ابن خلكان، ٢١٢/٤). مدحه كثير من الشعراء.

(٢) ((رحمه الله)) زيادة من م.

(٣) م: ما ينوء.

(٤) ناء ينوء نوءًا : نض بجهد ومشقة، وناء أيضًا: أُثْقِلَ فسقط وناء بالحمل: نض مثقلاً. وناء به الحمل: أثقله ومال به إلى السقوط. وقوله ((ما بال قلبك لا ينوء بحملها)) أي ما بال قلبك عاجزًا عن تحمل هذه البلية التي أصابتك. والخطاب على سبيل التجريد.

هِيَ مَـا أَلِفْـتَ[1] مِـنَ الخُطُـوبِ سَـجِيةٌ
لَـيْسَ الفِــرَاقُ غَرِيبَــةً مِــنْ فِعْلِهَــا[2]
وَلَقَــدْ رَمَتْــكَ فَكَــانَ صَــبْرُكَ نَثْــرَةً
حَـصْدَاءَ تَهْـزَأُ مِــنْ صَــوَائِبِ نَبِلِهَــا[3]
وَلَعَلهَــا مَــا ضَــاقَ عَقْــدُ إِسَــارِهَا
إلا وَقَـــدْ بَـــدَأَ القَـــضَاءُ بِحَلهَـــا[4]
٥-أَسِـــفَتْ لِرَائِعَــةِ المَــشِيبِ كَــأَننِي
أَدْرَكْـــتُ أَوْطَـــارَ الـــصبَا مِــنْ قَبْلِهَــا[5]

---

(١) ظ: ألفتُ - بضم التاء -
(٢) السجّية: الطبيعة الراسخة الثابتة، من سجا: سكن ودام.
أراد: هذه المحنة التي أصابتك هي ما أَلِفْتَ من الخطوب، والمرأة بنت الحياة تتقلّب كما يتقلّب الدهر فلا تعجب لفراقها إياك.
(٣) ظ: من نوائب. النثرة: الدرع السلسة الملبس، أو الدرع الواسعة. الحصداء من الدروع: الصلبة الشديدة المحكمة. صوائب جمع صائبة من صاب صوْبًا؛ وصاب السهم لم يخطئ الهدف.
أراد أن صبره وقاه سهام المحبوبة، أو سهام الدهر، لأن في الأبيات اشتراكًا معنويًا رغم أن البيت الخامس يمحض المعنى ويجعله خاصًا بالمحبوبة.
(٤) أسرَ قَتَبَهُ: شده بالإسار وهو القِد. ومنه سمي الأسير، كانوا يشدونه بالقِدّ، فسميَ كل أخيذ أسيرًا وإن لم يشد به - الصحاح - يلفت النظر إلى الآية الكريمة ﴿إِن مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ (الشرح:٥) ، والبيت في معنى قول ابن النحوي أبي الفضل يوسف بن محمد بن يوسف المتوفي سنة ٥١٣ هـ [متدارك]:
اشتــدّي أزمة تنفرجي قد آذن صُبحك بالبَلَجِ
(البستان، لابن مريم، ص ٣٠٠)
(٥) لرائعة المشيب: أي لما يخيف الإنسان من المشيب، تكرر المعنى في ق ٢٨، ب ٣.

لا تَظْلِمِيــــهِ فَمَــــا وَجَــــدْتُ[1] هُمُومَــــهُ
إلا بِأَيِـــــامِ الـــــشبِيبَةِ كُلِهَـــــا
عَـــصْرٌ يُـــضَن بِـــهِ وَقَـــدْ أَنفَقْتُـــهُ[2]
سَـــرَفًا عَلَـــى طَـــل الـــدمُوعِ وَوَبْلِهَـــا[3]
وقَـــضِيةٌ للـــدهْرِ[4] أَشْـــكُو جَوْرَهَـــا
حتـــى كَـــأني قَـــدْ رَضِـــيتُ بِعَـــدْلِهَا
يَـــا بَـــرْقُ طَـــالِعْ مِـــنْ ثَنِيـــةِ (جَوْشَـــنٍ)
(حَلَبًـــا) وَحَـــي كَرِيمَـــةً مِـــنْ أَهْلِهَـــا[5]

---

(١) ف، ك: فما وجدتِ - بكسر التاء -
(٢) ف، ق، ك، مط: تضَن. ف، ك: أنفقته.
(٣) قوله: عصر يضن به. أي يبخل به لنفاسته. والخطاب على التجريد أو التعميم، وإذا صحت الرواية الثانية (تضن) فهي مِثْلُ (تقول) بمعنى يقال أو يقول القائل. الطل: المطر الضعيف. الوْبل: المطر الشديد الضخم القطر.
يريد: هو شباب يضنّ به الإنسان وقد أنفقه باكيًا، والشاعر يقصد نفسه لا محالة.
(٤) م: وقضيةٍ - بتنوين الجر - ((بعدلها)) الإضافة على حذف الجار، أي بالعدل فيها. ومثل هذا كثير في العربية. يريد بعجز البيت: كأنني أنتظر أن أُنصَفَ في هذه القضية.
(٥) ف، ك: وحي كريمةٍ - بالإضافة - .
جوشن: سبق شرحه في القطعة (٣) البيت (٧)، وقد نص ياقوت الحموي على أن شعراء حلب أكثروا من ذكره واستشهد ببعض هذه القصيدة، قال: وقرأت في ديوان شعر عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي عند قوله [كامل]:
يا برق طالع من ثنية جوشن حلبًا وحي كريمة من أهلها
واسأله: هل حمل النسيم تحية منها ؟ فإن هبوبه من رسلها
ولقد رأيت، فهل رأيت كوقفة للبين يشفع هجرها في وصلها؟
ولقد تصفحنا ديوان ابن حيوس بيتًا بيتًا فلم نجد لهذا الجبل ذكرًا؛ لأن ابن حيوس - معاصر ابن سنان - دمشقيّ.. لا حلبيّ، وهذا ما يصدّق قول ياقوت.

١٠- واسْأَلْهُ هَـلْ حَمَـلَ النـسِيمُ[١] تَحِيـةً
منـــها فـــإن هُبُوبَـــهُ مِـــنْ رُسْـــلِهَا!
ولَقَـــدْ رَأَيْـــتَ، فَهَـــلْ رَأَيْـــتَ كَوَقْفَـــةٍ[2]
للبَـــيْنِ يَـــشْفَعُ هَجْرُهَـــا في وَصْـــلِهَا[3]
ومَـــدَامِعٍ سَـــبَقَتْ حَيَـــاكَ بِدِيَمَـــةٍ
مَـــا كُنْـــتَ إلا قَطْـــرَةً في طَلِهَـــا؟[4]
وإذَا القُلُـــوبُ تَرَادَفَـــتْ أَحْزَانُهَـــا
فالـــدَمْعُ يَحْمِـــلُ شُـــعْبَةً مِـــنْ ثِقْلِهَـــا
مَـــا لي ولِلأَقْـــدَارِ ضَـــاقَ بِـــصَرْفِهَا
ذَرْعِـــي ومَـــا ظَفِـــرَتْ لَـــدَي[5] بِنَيْلِهَـــا؟[6]

---

(١) مط: هل حمل السلام.

(٢) رواية ياقوت: ولقد رأيت.. وهي التي اعتمدناها. م: وما رأيت. ظ: فهل رأيت لموقف.

(٣) تعددت روايات هذا البيت إلا أن رواية ياقوت أبلغها، لأننا تقرب البيت من الحكمة، والحكمة تطمئن إليها النفس وتأنس بها.

(٤) ف: حياكِ. م: ما كنتُ إلا قطرة في بحرها. وهو تصحيف لأن لا قصيدة لامية موصولة بالهاء. ومدامعٍ: معطوف على (وقفة) في البيت الذي قبله. أراد: قل لجوشن: ((لقد رأيت كثيرًا من الأعاجيب، فهل رأيت كوقفة ... وكمدامع..)) . ((ما كنت إلا قطرة في طلها)) ، يريد: ليس مطرك إذا قيس بدموعي إلا كالقطرة من الطل. والتعبير بقوله (ما كنتَ) على المجاز المرسل لما بين المطر (حياك) وبين الجبل من علاقة.

(٥) مط: وما ظفرت يدي، وهو خطأ.

(٦) ظ: بنبلها. ف، ك: بتبلها. الذرع في أصل معناه بسط اليد، ويطلق مجازًا على الوسْع والطاقة، يقال: ضاق به ذرعًا، وضاق به ذرعُه أي ضعفت طاقته. وصَرْف الدهر: حدثانه ونوائبه. وقوله: وما ظفرت لدي بنيلها أي بمرادها، على المجاز المرسل لما بين النيل والمراد من علاقة. وفي بعض النسخ: (بتبلها) التبل التِرَة والذحْل وهو أصل المعنى، ويكون معنى التركيب (وما ظفرت لدي بتبلها أي لم تدرك ثأرها ولم تشف غليلها مني).

١٥- فِـــي كُـــلِ يَـــوْمٍ غُرْبَـــةٌ وصَـــبَابَةٌ
عَجَبًـــا لِجِـــد النائِبَـــاتِ وهَزْلِهَـــا!
عَـــيْشٌ أزَجيـــهِ ويُـــسْلِمُنِي إلَـــى
وَعْـــدِ الأمَـــانِي الكَاذِبَـــاتِ ومَطْلِهَـــا[1]
إنْ تَـــسْرِ[2] في جَـــوْبِ الـــبِلاَدِ رَكَـــائِبي
حتـــى نَهَجْـــتُ بِهَـــا جَـــوَائِرَ سُـــبْلِهَا[3]
فَلَقَـــدْ شَـــكَوْتُ البَـــيْنَ عِنْـــدَ أَعَزهَـــا
جَـــارًا، فَكَيْـــفَ أكُـــونُ عِنْـــدَ أذَلهَـــا![4]
وطَرَقْـــتُ أندِيَـــةَ المُلُـــوكِ أشِيـــمُهَا
في خِـــصْبِ وَادِيهَـــا وَبَـــارِدِ ظِلهَـــا[5]

---

(١) أزجيه أراد: أسهل تحصيله، وأصله من زَجَا: تيسّر واستقام.

(٢) مط: لم تسر..

(٣) الجَوْب، مصدر جاب يجوب، إذا خرق وقطع قال الله تعالى: ﴿وَثَمُودَ الذِينَ جَابُوا الصخْرَ بِالْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]. وربما كانت الرواية ب (في جُوَبِ) وهي الفُرَج في الجبال. قوله: نجت بها جوائر سبلها: أي سبلها الجائرة التي لم تتعود السير فيها.

(٤) هذا البيت مؤخر في الترتيب عن تاليه في جميع النسخ برواية ((وَلَقَدْ))، واعتمدنا تَسَلْسُل نسخة م وروايتها لمناسبة المساق.

قوله: فلقد شكوت. جواب الشرط المتقدم في البيت السابق، وبذلك يكون المعنى أن ابن سنان لم يجد النجدة عند الكرام، فعطف الركائب إلى أندية الملوك يشيم خصبها وظلّها.. وقد بين ذلك في البيت التالي.

(٥) قصد بالملوك الممدوح، من إطلاق الجمع وإرادة المفرد. والأندية في معنى النادي، وعنى ب ((طرق)) ((وشام)) قصد ورغب في. وبهذا البيت البديع تخلّص إلى المدح.

٢٠- طَلَعَتْ بـ ـِ (مَيـ ـا فَـ ـارِقينَ) سَـ ـحَابَةٌ
أَعْـ ـدَتْ عَلَـ ـى جَـ ـدْبِ الـ ـبِلاَدِ وَمَحْلِهَـ ـا[1]
وَهَمَـ ـى بَنَـ ـانُ (مُحَمـ ـدِ بْـ ـنِ محمـ ـدٍ)[2]
فيهَـ ـا وقَـ ـدْ نَـ ـسَخَتْ شَـ ـرِيعَةَ بُخْلِهَـ ـا[3]

---

(١) مّيا فارقين: قاعدة بلاد ديار بكر بين الجزيرة وأرمينيا، وسماها العرب كذلك ما فارقين، ومَفَارِقين، وفارِقين، ولذا قيل الفارقيّ نسبة إلى فارقين. قال ابن الأثير في اللباب: الفارقي: هذه النسبة إلى ميافارقين، قيل بناها ميا بنت أد، وفارقين هو فندق المدينة يقال له بالعجمية باركين، فعرّب فقيل ميا فارقين - مادة الفارقي-. وتدعى باليونانية مارتيروبوليس أي مدينة الشهداء، وبالسريانية ميفرقات - ما بعد القاف يقرأ بإمالة شديدة -، وبالآرامية نفرقتْ، ثم نطق بها الآراميون مُهَرُكِن فمفرجن - ينطق بالجيم كما ينطق بها المصريون حاليًا -.

وقال ياقوت بعد كلام طويل: فسميت مدورصالا، ومعناها بالعربية مدينة الشهداء، فعرّبت على تطاول الأيام حتى صارت ميافارقين. ويعقب مينورسكي في دائرة المعارف الإسلامية (ط١ - مادة مّيافارقين) بأن القراءة الحقيقية (مُتْرُخَلَخُ). ومعناه بالآرامية مدينة الشهداء - شهداء المسيحيين الذين جمعت عظامهم بها - أما تأسيسها واسمها القديم فيرجع إلى ما قبل السيد المسيح عليه السلام، وفي دائرة المعارف الإسلامية مادة غزيرة ودراسة علمية وافية.

سحابة: قصد بها الممدوح والبيت التالي يبين ذلك. أشار إلى ازدهار أيام الممدوح في تلك المنطقة وكان له دور مع السلاجقة في حرب ابن البساسيري، وقريش بن بدران أمير الموصل سنة ٤٥١هـ، ثم فرّ البساسيري إلى واسط حيث قتل في معركة مع جيوش السلاجقة ٤٥٢هـ، وعاد الخليفة العباسي إلى كرسّيه ببغداد، وما زالت دولته في صعود بدعم طغرلبك، ثم ألّب أرسلان إلى أن خطب له مسلم بن قريش ومحمود بن نصر. وكان الممدوح في تلك الأثناء وزيرًا للقائم.

(٢) سقط البيت من مط. وفي ف، ق، ك: وهَمَى سحاب.

(٣) محمد بن محمد هو الوزير فخر الدولة أبو نصر بن جهير الموصليّ، والشاعر يمدحه في هذه القصيدة ويصف الزمان الذي كان قبله بالقحط والبخل.

أَلْقَى عَلَى سَرْحِ الثُّغُورِ جِرَانَهُ
يَقْظَانَ يَهْزَأُ بِالخُطُوبِ وشَلِّهَا[1]

مَاضٍ عَلَى عَنَتِ الزَمَانِ، وَإِنمَا
يَبْدُو فِرِنْدُ المُرْهَفَاتِ بِصَقْلِهَا[2]

رَأْيٌ بِمِرْآةِ[3] الغُيُوبِ وهِمَّةٌ
هَبطَتْ نُجُومُ الأُفْقِ دُونَ مَحَلِّهَا[4]

٢٥- وسَجِيةٌ في الجُودِ مَا حُمِدَ الحَيَا
حتى تَعَلَّمَ خَطْرَةً مِنْ بَذْلِهَا

---

(١) الجِرَان: باطن العنق أو مقدمه من مذبح البعير إلى منحره، والجمع جُرُن وأجْرِنة. وتشبيه الممدوح بالجمل جارٍ في الأدب العربي القديم لا غضاضة فيه. الثغور: مضى الكلام عليها في القطعة ٥ البيت ٢٦. الشلّ: الطرد، استعمله مجازًا.

(٢) العنت: الجور والأذى، قال ابن الأنباري: أصل العنت التشديد ثم نقلت إلى معنى الهلاك اهـ. ومن معاني العنت الفساد والإثم والهلاك والمشقة الشديدة.وقوله: ((ماض على عنت الزمان)) أي أنه ماض رغم ما أصابه من صروف الدهر وشدائده، وفي هذا إشارة إلى ما عانى ابن جهير من الأمراء والملوك والأيام قبل وزارته للقائم العباسي. وفي الشطر الثاني تشبيه ضمني.

(٣) ظ: راءٍ بمرآة. وقد سقط البيت من مط.

(٤) تكرّر هذا المعنى في ديوان ابن سنان، وهو كثير في شعر معاصريه، قال ابن حيوس مادحًا أنوشتكين الدزبريّ: [كامل]:

وإذا نظرتَ إلى عَواقِبِ رأيِهِ أيقنتَ أن ظُنونَهُ تَتنجمُ
فاسألْهُ عمّا لم يكنْ بكِنايةٍ فالغَيبُ مِن أفكارِهِ يُسْتَعْلَم
ولذاكَ حَققَ ظنهُ فيما أتى وظُنونُ أهل الخافِقَين تَوَهمُ

(الديوان ص٥٥١)

شَـهِدَتْ مَكَارِمُـهُ بِطِيـبِ نِجَـارِهِ
وجَنَـى الفُـرُوعِ مُخَبِّـرٌ عَـنْ أَصْـلِهَا[1]

يُـرْوَى حَـدِيثُ نَـدَاهُ عَـنْ أَعْدَائِـهِ
حتـى يَكُـونَ[2] زِيَـادَةً في غِلَهَـا

وَيَهُـزُّهُ طَـرَبُ الـسؤَالِ بِنَـشْوَةٍ
أَغْنَتْـهُ عَـنْ نَهْـلِ المُـدَامِ وعَلَهَـا

وَيَلِـيْنُ جَانِبُـهُ فَـإِنْ خَادَعْتَـهُ
فَحَـذَارِهِ مِـنْ رُبْـدِ الـصفَاةِ وصِـلهَا[3]

٣٠- إن الفَـضَائِلَ لم تَـزَلْ مَبْثُوثَـةً[4]
حتـى خُلِقْـتَ فَكُنْـتَ جَـامِعَ شَـمْلِهَا

فَخْـرًا لِمَـنْ أَلْقَـى إِلَيْـكَ أُمُـورَهُ
فَلَقَـدْ أَنَـاخَ الراسِـيَاتِ لِحَمْلِهَـا[5]

---

(١) م: بطيب نجاده وجنى الفروعَ. النجار والنجْر: الأصل والحسب.

(٢) ظ: حتّى تكون.

(٣) ق، مط: الصفاح.وتصحيح رواية ق أكّدها الناسخ بالحاشية. ظ: من زبد، وبلا نقط في م. الرّبْدُ: الحْيد وهو الحرف الناتئ من الجبل. الصفاة: صخرة ملساء يقال في المثل: ((ما تندى صفاته)) - الصحاح -. الصلة: الأرض اليابسة. وربما تكون الرواية (رُبْد) وهي التي نميل إليها، والكلمة غير منقوطة في نسخة م، فيكون المعنى: الرّبد ج أربد: ضرب من الحيات خبيث ، والصل الحيّة التي لا تنفع منها الرقية، ويقال: إنا لصِل صَفًا، إذا كانت منكرة مثل الأفعى - الصحاح -

(٤) م: لم تزل منثورة.

(٥) ظ: بحملها. قوله: فخرًا لمن ألقى إليك أموره.. قصد به إما نصر الدولة أحمد بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر المتوفى سنة ٤٥٣هـ وإما القائم الخليفة العباسي، لأن الممدوح كان آنذاك وزيره. والرأي الثاني أرجح.

وِلَدَوْلَـــةٍ أَصْـــبَحْتَ عَقْـــدَ لِوَائِهَـــا
وسِـــنَانَ صَـــعْدَتِهَا وَمَـــضْرِبَ نَـــصْلِهَا[1]

مَـــا قَـــدمَتْكَ سُـــدًى ولَكِـــنْ شَـــانَهَا
نَقْـــصٌ فَكُنْـــتَ بَقِيـــةً مِـــنْ نَيْلِهَـــا[2]

---

(١) الصّعْدة: القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج إلى تثقيف، قال كعب بن جعيل [رمل]:

صَعـدةٌ نابِتـةٌ في حـائِرٍ أينما الريحُ تُمَيلْهـا تَمِلْ

(اللسان، المادة: صعد)

يشير إلى إقبال دولة الخلافة العباسية وتسلّمه وزارتا. وقوله (ولدولة): أي وفخرًا لدولة، وفي ذلك إشارة إلى ما كانت تعانيه من ضعفٍ (أيامَ فتنة البساسيري).

(٢) قوله: شانا نقص: يشير إلى ما أصاب الخليفة العباسي، فقد فر البساسيري إلى الشمال فتعقّبه طغرلبك حتى الموصل. وعرف البساسيري كيف يفيد من النـزاع بين طغرلبك وإبراهيم بن ينال، فحَارَبَ قريشَ بن بدران أحد أمراء الدولة العقيلّية، واستولى على بغداد بعد أن خلت ممن يحميها من الجند، وقبض على الخليفة القائم بأمر الله، واستذمّ الخليفة من قريش بن بدران بذمام الله ورسوله وذمام العربية، فأعطاه ذلك وسار به إلى عانة ببلاد الجزيرة، بينما خطب البساسيري للمستنصر الفاطمي وهتف باسم آل البيت على منابر المدن التي آلت إليه، ولم يكد طغرلبك يقضي على حركة إبراهيم بن ينال حتى أعاد الخليفة إلى بغداد فخلع عليه الخليفة لقب (ملك الشرق والغرب) جزاء ما أسدى إليه من خدمة، وفرّ البساسيري إلى (واسط) حيث قتل في معركة خاضها مع جيوش السلاجقة سنة ٤٥٢ هـ/ ١٠٦٠ م، تاريخ بغداد: ٤٩٩/٩-٤٥٤؛ ابن القلانسي ٨١ - ٩٥؛ ابن الاثير حوادث ٤٥٢ هـ؛ ابن ميسر تاريخ مصر: ٨ وما بعدها؛ النجوم الزاهرة ٥ / ٥ - ١٢. بروكلمان، ص ٢٧٢. فهذا معنى قوله: شانا نقص.

جَمَحَـــتْ عَلَـــى خُطابِهَـــا واقْتَادَهَـــا

بِزِمَـــامِ فَـــضْلِكَ بَاعِـــثٌ مِـــنْ فَـــضْلِهَا[1]

٣٥- وإِذَا المُلُـــوكُ تَنافَـــسَتْ وزَرَاؤُهَـــا

فِيهَـــا فَـــإن أجَلَهَـــا[2] لأجلهَـــا[3]

أَعْنَتْـــكَ عَـــنْ بِـــيضِ الـــصوَارِمِ هَيْبَـــةٌ

لم تُبْـــقِ[4] عِنْـــدَكَ رَغْبَـــةً في سَـــلِّهَا[5]

وأظَلَّـــتِ الأَعْـــدَاءَ مِنْـــكَ مَخَافَـــةٌ

صَـــارَتْ أَشَـــد رَزِيـــةً مِـــنْ قَتْلِهَـــا

بَيْنِـــي وبَيْنَـــكَ حُرْمَـــةٌ مَـــا أتقِـــي[6]

دَهْـــرِي وقَـــدْ عَلِقَـــتْ يَـــدَايَ بِحَبْلِهَـــا

ومَـــوَدةٌ قَـــدُمَتْ فَـــصَارَتْ ذِمـــةً

تَـــأبى العُـــلاَ إلا الوَفَـــاءَ بِإِلهَـــا[7]

---

(١) ظ، ف، ق، ك: باعث عن. م: قائد من فضلها.

(٢) مط: تنافست عقلاؤها. م:فأنت أجلها.

(٣) نافست في الشيء منافسة ونِفاسًا إذا رغبت فيه على وجه المباراة في الكرم، وتنافسوا فيها: أي رغبوا. قوله: فإن أجلها لأجلها، قصد أنت أجل وزير لأجل ملك.

(٤) ف، ك: لم يَبْقَ عندك رغبة.

(٥) لم تبق عندك رغبة: قصد بالرغبة الحاجة. أراد: أن هيبة الناس للممدوح هدأت من روعهم وخروجهم على الخلافة، وجعلته لا يحتاج إلى سل بيض الصوارم.

(٦) م: عزمة لا أتقي.

(٧) ف، ك: تأبى العدى. تَأبى العلا: تأبى علاك. هذا البيت يدلّ على أن للشاعر سابق معرفة بالممدوح. والإل - بالكسر - العهد والذمة والحلف والقرابة، قال حسان بن ثابت [وافر]:

لعمرُكَ إن إلكَ من قُريشٍ كإل السقْبِ من رَألِ النعام

(الديوان ص ٤٠٧، والصحاح، مادة: ألل)

٤٠- حَنَتْ إِلَيْكَ عَزَائِمِي ولَطَالَمَا
نَفَرَتْ فَلَمْ تُمْلَكْ شَوَارِدُ[1] بُزْلِهَا
عَزَتْ أَزِمَّتَهَا ولَكِنْ قَادَهَا
شَوْقٌ ألانَ قَسَاوَةً مِنْ جَزْلِهَا[2]
وإِذَا صَنَعْتَ يَدًا ظَفِرْتَ بِجَاهِدٍ
في حَمْدِهَا[3] أَوْ مُوثَقٍ في غُلِّهَا[4]
اثنان وأربعون بيتًا

(١) ظ: حنت إليك رغائبي. ف، ق، ك، مط: عزائمي فلم يُملك.
(٢) ظ: غرت أزمتها - تصحيف - الجَزْل: ما عظم من الحطب ويبس، واللفظ الجزل خلاف الركيك، وفلان جزْل الرأيِ بَينُ الجزالة إذا كان ذا رأي.
(٣) ف. ق. ك: في جهدك م: صنعتُ يدًا ظرفتُ... غَلها.
(٤) قوله ظفرتَ بجاهد في حمدها: قصد نفسه وكأنه يعاهد الممدوح على حمد نعمه المقبلة. الغُل - بالضم - القيد واحد الأغلال ولا يكسر إلا على هذه الصيغة، ومنه الآية الكريمة ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩].

[٩]*

وكتب إلى حضرة الأجل ناصر الدولة يمدحه ويذكر إطلاقه حميد بن محمود بن الجراح، وحازم بن علي بن جراح من الاعتقال بمصر[١]،بعد أن أقاما محبوسين سنين طويلة، وذلك في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وأربعمائة: [طويل]

عَسَى لَيْلَةُ (الدَّهْنَاءِ) تَسْرِي بُدُورُهَا
فَقَدْ غَابَ وَاشِيهَا وَنَامَ[٢] سَمِيرُهَا[٣]

(*) القصيدة في نسخة ف، وك صفحة ٥، ونسخة ق، صفحة ٧، ونسخة ظ صفحة ٦، ونسخة م صفحة ١٨.

(١) سقطت (بمصر) من م ومط.انظر سبب إطلاق حميد وحازم الجرّاحيين في النحوم الزاهرة ٥ / ١٣. وقد أوردنا النصّ كاملاً في المقدمة، ص ٣٠، التعليقة ٨١، فلم نرَ تكراره.

(٢) م: ونم.

(٣) الدهناء: موضع من ديار بني تميم إذا أخصبت ربعت العرب با لسعتها وكثرة شجرها، وقيل: من سكنها لا يعرف الحمى لطيب تربتها وهوائها، انظر ق ١٥، ب ٢. وربما أراد الأرض الدهناء وهي ذات الأمطار اللينة. الواشي: النمّام والساعي من وشى الثوب نمنمه وحسنه ونقشه، وكذلك يفعل الواشي في كلامه. وقصد بالبدور المحبوبة وإن كنى عنها بالجمع على عادة الشعراء. يقول: إن ليلة الدهناء غاب فيها الوشاة ونام السامرُ فهل للمحبوبة أن تصلني أو يزورني طيفها!

طَلَبْنَا الكَرَى فِيهَا فَدَلَّتْ[١] عَلَيْكُمُ
فَهَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ فَضْلَةٍ نَسْتَعِيرُهَا[٢]
وَبَدَّدَ حَرَّ الشَّوْقِ بَرْدُ[٣] نَسِيمِهَا
عَذِيرِيَ مِنْ وَجْدِي بِكُمْ وَعَذِيرُهَا![٤]
وَجَذْوَةَ نَارٍ دُونَ ذِكْرِ مَكَانِهَا
سَرِيرَةُ حُبٍّ لَا يُخَافُ ظُهُورُهَا[5]
٥- تَنَاهَيْتُ فِي كِتْمَانِهِ فَنَسِيتُهُ
فَلِلَّهِ نَفْسٌ غَابَ عَنْهَا ضَمِيرُهَا![6]

---

(١) ف، ق، ك: منها فدلّت. م: فنمّت عليكم.

(٢) رواية ط، وفي سائر النسخ: يستعيرها. الكرى - يكتب بالياء والجمع أكراء - النوم والنعاس. وكَرِيَ الرجل يكرَى كرًى إذا نام. الضمير في فيها يعود على الليلة.
يريد أن شوقه الشديد إليها منعه الرقاد وأن خلوّ قلبها جعلها تنام نومًا عميقًا، فأشارت عليه الليلة أن يستعير من محبوبته فضلة نوم.

(٣) ف، ق، ك: شمل نسيمها.

(٤) عذيرَك من فلان - بالنصب -: أي هات من يعذرك - فعيل بمعنى فاعل - أراد هات من يعذرني من الوجد. ووجَد بم وجْدًا: أحبّهم حبا شديدًا، ووجَد به، في الحب ليس غير. والعذير الأول النصير، والعذير الثاني العاذر.
يريد: أن حر شوقه الشديد بدّد برد نسيم ليلة الدهناء، ثم يلتفت إلى محبوبته قائلاً: من ينصرني على وجدي بكم ومن يعذركِ في قسوتكِ علي؟

(٥) الجذوة: القبسة من النار، وهي معطوفة على حرّ الشوق في البيت السابق.
يقول: بدد كذلك لظى نار تشتعل في قلبي بردَ ليلة الدهناء، وأن الحب الحقيقي الصادقَ يقضي أن يكتمه صاحبه إلا عن محبوبته.

(٦) الضمير في كتمانه عائد على الحب.
يريد: أنه بالغ في كتمان عاطفته حتى نسي مكانا، ثم يتعجب من كون النفس تنسى محلّ لّبها منها. يشير إلى أن الحب تيمه حتى أصابه شيء من الخبال، وأن محبوبته تحلّ منه محلّ الروح من الجسد.

رَفَعْـتُمْ سَـنَاها لِلْقِـرَى وَبَخِلْتُـمُ
فَمَـا شَـبَّ إلا في القُلُـوبِ سَـعِيرُهَا[1]

أقُـولُ لِمَغْـرُورٍ سَـرَى[2] في طِلاَبِهَـا
وَمَـا قَتَـلَ البَيْـدَاءَ إلا خَبِيرُهَـا -[3]:

«حَـذَارِ عُيُونًـا عِنْدَهَـا بَدَوِيَّـةً
يُطِيـلُ فُتُـورًا في العِظَـامِ فُتُـورُهَـا![4]

وغَيْـرَانَ لَـوْ هَبَّـتْ لَـهُ الـرِيحُ ظَنَّهَـا
رِسَـالَةَ مَـشْغُوفٍ بِهَـا يَـسْتَزِيرُهَـا[5]

(١) يقول: أوقدتم نار القرى ثم تركتموها وابتعدتم فما اشتعلت إلا في القلوب، يقصد قلبه.

وفي صدر البيت عيب لأنّ المرأة لا توصف بالكرم بله المحبوبة، وكثيرًا ما عاب النقاد مثل هذا المعنى على الشعراء. فإن كان الضمير في «رفعتم» عائدًا على المحبوب، وعلى أهله، فلا عيب في البيت.

(٢) م: سعى في طلابها. ف، ق، ك: ظلامها.

(٣) أراد: وما قطع البيداء من غير سوء إلا من عرفها وخبرها، وفي المثل:«قتلتْ أرضٌ جاهلَها وقتل أرضًا عالِمُها» .(أبو عبيدة) والميداني - المثل رقم ٢٩٠٩. ويقصد بالمغرور نفسه على سبيل التجريد، أو قلبه على الاستعارة المكنية. وتُشَبَّهُ المحبوبةُ بالبيداء لصعوبة مراسها.

(٤) فتر الجسم فتورًا: لانت مفاصله وضعف؛ وفتورها الثانية قصد بها سكونها، وفتور العين ممدوح عند الشعراء على نحو ما قال جرير «يصرعن ذا اللب ...».

(٥) يريد: أقول لمغرور سرى في طلبها قول صادق مجرب: احذر عيونًا بدوية فاترة يورث الحمى جمالها، واحذر من أهلها غيران شديد الغيرة يكاد يرى في هبوب الريح رسالة مشغوف يطلب فيها زيارة هذه المحبوبة.

١٠- ولما وَقَفْنَـا في الـدِّيار وعِنْدَنـا[1]
مَـدَامِعُ نُـسْدِيهَـا لَكُـمْ وُنِثيرُهَــا[2]
شَـكَوْنا إِلَيْهَـا مَـا لَقِينَـا مِـنَ الـضَنَـى
فَعرفَنَـا كَيْـفَ الـسقَـامُ دُثُورُهَــا[3]
وَقَـدْ دَرَسَـتْ إِلا أَمَــارَةَ ذَاكِــرٍ
تَلُـوحُ[4] لَـهُ بَعْـدَ التمَـارِي سُـطُورُهَا[5]
وُنـؤْيٌ[6] كَـسِر الكَـف عَـافٍ تَعَاقَبَـتْ
عَلَـى طَيِـهِ[7] رِيـحُ الـصَبَا ودُبورُهَـا[8]

---

(١) ظ: وعندها مدامع نسديها لهم.

(٢) ف، ق، ك: ونثيرها. أسدى: أولى وأعطى، وأسدى إليه سَدًى إذا اصطنع معروفًا. وفي البيت إشارة إلى أن الشاعر وقف على الآثار يبكي ويستبكي.

(٣) الدثور: الدروس وهو أن تهب الرياح على المنـزل فتغشي الرمال رسومه وتغطيها بالتراب.

يقول: شكونا إلى هذه الديار ما عانينا من سقام الحب، فبين لنا دثورها أنها أشد تضررًا منا، وأن المحب الصادق قد يعاني أكثر مما عانينا.

(٤) ظ: يلوح - بالياء -

(٥) الأَمَرُ: الحجارة واحدتها أَمَرَةٌ، والأمارة: العلامة.

التماري: الشك. يقول: درست هذه الديار ولم يبق منها إلا علامات لا يستطيع الإنسان أن يتبيّنها إلا بعد الجهد.

(٦) ف، ك، م: ونؤي.

(٧) ف، ق، ك: على طيها. م: على كره. معطوف على أمارة.

(٨) الدبور: الريح تهب من المغرب من مسقط النسر الطائر إلى مطلع سهيل، والصبا تقابلها من ناحية المشرق. يصف فعل ريح الصبا والدبور في تبديد ملامح النؤي حتى صار خفيا كأسرار اليد.

وأَوْرَقَ في سُحْمٍ عَوَارٍ كأنَّهَا
بِهِ لِمَمٌ قد لاحَ فيهَا قَتِيرُهَا[1]

١٥- خَلِيلَيَّ قَدْ عَمَّ الأَسَى وتَقَاسَمَتْ
فُنونَ[2] البِلَى عُشَّاقُ لَيْلَى ودُورُهَا

فَلا دَارَ إلا دِمْنَةٌ ورُسُومُهَا
ولا نَفْسَ إلا لَوْعَةٌ وزَفِيرُهَا[3]

لَعَمْرُ اللَّيَالِي مَا حَمِدْتُ قَدِيمَهَا
فَيُوحِشَنِي ذَهَابُهَا[4] ومُرُورُهَا[5]

وقَالُوا: عَطَاءُ الدَّهْرِ يَبْلَى جَدِيدُهُ
ومَنْ لِي بِدُنْيَا لا يَدُومُ سُرُورُهَا[6]

وعَاذِلَةٍ عَابَتْ عَلَيَّ قَنَاعَتِي
كَأَنِّي إذَا رُمْتُ الغِنَى أَسْتَشِيرُهَا[7]

---

(١) الأورق: الرماد. السحْمُ: السودُ وقصد بها الأثافي. اللمَم جمع لِمة، وهي شعر الرأس يجاوز شحمة الأذن فإذا بلغت المنكبين فهي جُمة.
القتير: أول ما يظهر من الشيب. وأصل القتير مسامير حلق الدروع تلوح فيها. شبه الرماد عالقًا بالأثافي السود بشيب لاح في لمم.
(٢) م: فنون - بالرفع - يريد: عمني الأسى والبلى كما عم دمن ليلى وأصابها ما أصابني.
(٣) يقول: لم يبق من ديار الأحباب إلا الرسوم، ومن النفس إلا اللوعة والأسى.
يريد: فلم يبق من ديارها إلا الدمنة والرسوم، ولم يبق من نفسي إلا اللوعة والزفير.
(٤) م: ذهابها - بكسر الذال المعجمة -
(٥) يتجلد بأنه مغبون منذ القديم فلا يؤلمه اليوم ما يلاقي من البعاد، وبأن الدهر أصابه بما أفقده كل إحساس، فلا يبالي، ولا يشعر بما هو فيه من شدة.
(٦) من لي بدنيا: يريد من يدفع عني شر دنيا. يشكو الزمان في سوداوية.
(٧) ف، ق، ك، مط: أستزيرها. يشير إلى بأسه وغناه عن الناس. في مثل هذا الغرض يقصد الشعراء عادة بالعاذلة الزوجة. والأمثلة على هذا جد كثيرة في الأدب العربي.

٢٠- وَلَوْ أنني خَبرْتُهَـا كَيْـفَ عَزْمَتِـي
عَلَى بُعْدِهَا حَنَّـتْ مِـنَ الـشَوْقِ عِيرُهَـا[1]
رُوَيْـدَكِ حَتَّـى يَـسْحَبَ الـرَوْضُ ذَيْلَـهُ
وَتُثْـرِيَ أعْـلامُ الفَيَـافي وَقُورُهَـا[2]
فَلِـي هِمَّـةٌ لَـوْ أبْعَـدَ اللهُ دَارَهَـا
عَـنِ الـشامِ لم يُعْـرَفْ لِمِثْلِـي نَظِيرُهَـا[3]
فَـإنْ أعْرَضَـتْ مِـنْ دُونِنَـا هَـضَبَاتُـهُ
وَودَعْنَـا (لُبْنَـانُهَا) و(سَـنِيرُهَا)[4]
ولاَحَـتْ ذُرا أطْـوَادِ (مِـصْرَ)وفَرجَـتْ
سُـجُوفَ الـدجَى أهْرَامُهَـا وقُـصُورُهَا [5]

---

(١) يفتخر بعلو همته وبأن العاذلة لو عرفت قوة عزيمته لسعت إليه سعيًا حثيثًا. يقول: لو خبرت هذه العاذلة بعزمتي على نيل عُظْمَى الغايات وأسماها وبطول الابتعاد لحنت عيرها قبل الرحيل، وفي هذا مبالغة حسنة.

(٢) ((يسحب الروض ذيله)): كناية عن نماء الزرع والزهر والثمر.
العلَم: الجبل الطويل. ومنصوب في الطريق يهتدى به. الفيافي جمع فيف وهو المكان المستوي أو المفازة لا ماء فيها. قور جمع قارة: الجبل الصغير المنقطع عن الجبال.
يكني عما سيلقاه من الأمير ويمهد لمدحه.

(٣) يشير إلى أمله في الارتحال إلى الممدوح بمصر على طريق الشام.

(٤) يصور الرحلة إلى مصر على طريق حلب وحماة ولبنان والشام. وسنير - بالفتح ثم الكسر - جبل بين حمص وبعلبك على الطريق وعلى رأسه قلعة سنير، وهي شرقي حماة (مراصد الاطلاع ٧٤٨/٢ ومعجم البلدان) وسيرد في قول ابن سنان [طويل]:
أسيم ركابي في بلادٍ غريبـةٍ ... من العيس لم يسرحْ بن بعيرُ
فقد جهلَتْ حتى أرادَ خبيرُها ... بوادِي القطينِ أن يَلوحَ سَنِيرُ
تنبيه: قبض مفاعيلن في عجز البيت الثاني، وهو قبيح.

(٥) أطواد مصر: قصد با جبال مصر. السجوف جمع السجف - بالفتح ويكسر: الستر، وأسجف الليل أسدف. القصور: أراد قصور الإمارة بمصر.

٢٥- فَقُولِي لِـوَادِي المَحْـلِ: أَيـنَ نَزِيلُـهُ؟
ولا سَنَةِ الشَّهْبَاءِ: كَيْفَ فَقِيرُهَا؟[1]

وقُومِي اسْأَلِي عَنْ مِنَّةٍ تَغْلِبِيَّةٍ
سَرَى نَشْرُهَا قَبْلَ النَّدَى وَبَشِيرُهَا[2]

إِذَا بَلَغَتْ مِنْ (نَاصِرِ الدَّوْلَةِ) المُنَى
فَمَا عُذْرُهَا أَلا تُوَفَّى نُذُورُهَا؟[3]

وأَبْلَجَ مِنْ (آلِ المُثَنَّى) تَأَلَّقَتْ
لِنَاسِيهِ شُهْبُ العُلا وَبُدُورُهَا[4]

تُنَاخُ عِتَاقُ العِيسِ حَوْلَ قِبَابِهِ
وقَدْ أَمِنَتْ شَدَّ الرِّحَالِ ظُهُورُهَا[5]

---

(١) السنة الشهباء: التي لا خضرة فيها ولا مطر. والبيت مرتبط بما قبله: يقول لها إنه ما إن تلوح جبال مصر من بعيد حتى يدخل المسافر في خضرة دولة الممدوح فينتفي عنه الفقر.

(٢) النشر: الريح الطيبة. والمنة التغلبية أراد المنح التي يوفيها الأمير ناصر الدولة؛ وخاصة سعيه في إطلاق سراح حميد بن محمود وحازم بن علي.

(٣) النذر: ما يوجبه الإنسان على نفسه إن حقق مراده، وفاعل بلغت محذوف تقديره النفس. يقول: إذا تحقق مرادي عند ناصر الدولة فليس لي عذر إن لم أوف بما نذرت.

(٤) كرر هنا مدح ناصر الدولة بالبلج، انظر ق٣، ب٢٩. الأبلج: الأبيض الأغر المشهور. المثّنى: الجدّ التاسع للمدوح، وهو المثّنى بن رافع بن الحارث، ينتهي نسبه إلى تغلب بن وائل، من مضرَ. (راجع تسلسل النسب كاملاً في وفيات الأعيان ١/ ٣٨٧ الترجمة ١٦٧).

(٥) العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة، يقال جمل أعيس وناقة عيساء. يصف الممدوح بأنه كريم وبأن من يقصده لا يريد أن يفارقه، وهذا شبيه بقول أبي نواس في الأمين [كامل]:

((وإذا المطي بنا بَلَغْنَ محمدا   فظهورُهُن على الرجالِ حَرامُ))

(الديوان ص ٥٧٥)

٣٠- مِنَ القَـوْمِ سَـنوا لِلْمُلُـوكِ[1] شَـرِيعَةً
مِـنَ المَجْـدِ كَانَـتْ أَغْفَلَتْهَـا دُهُورُهَـا

فَـإِنْ يُمْـنَح[2] الأَلْقَـابَ قَـوْمٌ سِـوَاهُمُ
فَأَولُهَـا مِـنْ عِنْدِهِـمْ وَأَخِيرُهَـا

لَهُـمْ سَـيْفُهَا وَسَـعْدُهَا وَسَعِيدُهَـا
وَناصِرُهَـا وفَخْرُهَـا ومُنِيرُهَـا[3]

كَأَنكُـمُ والأَرْضَ أَبنَـاءُ لَيْلَـةٍ
فَمَـا غُرِفَـتْ إلا ومِـنْكُمْ أَمِيرُهَـا[4]

إِذَا أَظْلَمَـتْ[5] فِيهَـا اللّيَـالي جَلَـوْتُمُ[6]
عَلَيْهَا وُجُوهًـا يُخْجِـلُ[7] الـشمْسَ نُورُهَـا

---

(١) مط: للأنام. الضمير في ((دهورها)) يعود على الملوك.
(٢) أثبتناه من م. وفي سائر النسخ تمنح، بالبناء للمفعول يريد أن ألقاب الأمراء الحمدانيين حقيقية لأنم لقبوا با عن جدارة فهي الأولى وهي الأخيرة لأن سائرها زيف ومين.
(٣) يعدد في هذا البيت ألقاب الحمدانيين. فسيف الدولة صاحب حلب، وسعد الدولة أبو المعالي ابنه، وسعيد الدولة أبو الفضل حفيده، وناصر الدولة لقب لأربعة أمراء منهم: أبو الهيجاء صاحب الموصل وابنه أبو علي وحفيده أبو محمد وابن حفيده أبو علي، وفخر العرب أخو أبي علي هذا. أما منير الدولة فهو لبعض الحمدانيين كما يقتضي ذلك آخر البيت، ولكننا لم نتد إلى صاحب هذا اللقب بالضبط. وقد وجد في غير الحمدانيين.
قال ابن العديم في ((زبدة الحلب)) في حوادث ٤٤٠هـ (٢٦٤/١): ((فانزم ناصر الدولة عن حلب إلى دمشق، فقبض عليه الأمير منير الدولة با في شهر رجب من سنة ٤٤٠ وسيّر إلى مصر)).
(٤) لا يخفى ما للعقائد الشيعية من أثر في هذا البيت، وبخاصة ما يتعلق بـ (أهل الكساء).
(٥) ظ: ظلمت.
(٦) مط: جلونهُ.
(٧) ف، ك: تُخْجِلُ.

٣٥- وَمَا عَدِمَتْ مِنْكُمْ يَدًا رَبَعِيَّةً[1]
إِذَا أَمْحَلَتْ عَاذَتْ[2] بِهَا تَسْتَجِيرُهَا
ولاَ زَالَتِ الأَمْصَارُ تُزْهَى بِذِكْرِكُمْ
مَنَابِرُهَا حَتَّى يَطُولَ قَصِيرُهَا!
سَبَقْتُمْ إِلَى الأيامِ قَبْلَ صُرُوفِهَا
فَمَا ثَبَتَتْ إلا عَلَيْكُمْ أُمُورُهَا
وصَاحَبْتُمُوهَا وَهْيَ بَعْدُ غَرِيرَةٌ
فَصَحَّتْ لَكُمْ ثُمَّ اسْتَمَرَّ مَرِيرُهَا[3]
وأَعْدَيْتُمُ الدُّنْيَا بِفَيْضِ نَوَالِكُمْ[4]
فَمِنْ عِنْدِكُمْ أَمْطَارُهَا وبُحُورُهَا
٤٠- ولمَا شَكَتْ فَقْدَ الكِرَامِ إِلَيْكُمُ
وَكَانَ عَلَيْكُمْ بَعْثُهَا ونُشُورُهَا

---

(١) ظ: ربيعية. وهي من خطأ الناسخ لأنا تخالف قواعد العربية والنظم.

(٢) ما أثبتناه في ظ. وفي مط: إذا ما أمحلت وبذه الرواية ينكسر الوزن. وفي سائر النسخ: إذا أمحلت عادت. وربعية: نسبة إلى ربيعة بن عامر بن صعصعة. إليه تنسب تغلب وإلى تغلب ينسب الحمدانيون. والعوذ في أصل معناه الالتجاء إلى الشيء، ثم حمل عليه كل شيء لصق بشيء أو لازمه.

(٣) أصل الغرير: الخلق الحسن. يقولون للشيخ: أدبر غريره وأقبل هديره. ومن هذا: الغَرارة، وهي كالغفلة لأنا من كرم الخلق، قد تكون في كل كريم، ولذلك تمدح الجارية بكونا غِرة وغريرة. والمِرة: الفتل. وأمر الحبل: أحكم فتله. والمرير والمريرة: الحبل المحكم. ومن المجاز: استمر مريره واستمرت مريرته: استحكم. ورجل ذو مِرّة: قوي.

(٤) ظ، مط: نداكُم.

أَعَدْتُمْ عَلَـى طَـيْءٍ (حُمَيْـدًا) و(حَازِمًـا)
وَقَـدْ أَمْرَعَ وَادِيهَـا وفَـاضَ غَدِيرُهَـا[1]

وقَـدْ طَمِعَـتْ في (حَـاتِمٍ) فَلَعَلَّـهُ
بِـسَعْدِكُمُ يَـشْتَاقُهَـا فَيَزُورُهَـا[2]

صَـنَائِعُ إِنْ قَـادَتْ[3] إِلَيْكُمْ صِعَابَهَا
فَـإِن طَلِيـقَ العَارِفَـاتِ أَسِيرُهَـا

لَكُـمْ ذَخَرَتْهَـا العَارِفَـاتُ[4] وأجمَعَـتْ
عَلَـى مَطْلِهَـا أَعْوَامُهَـا وشُهُورُهَـا

ومَا ذَهَبَـتْ عَـنْ قَـادِرٍ قَـطُّ مِنَّـةٌ
يَمُـنُّ بِهَـا إِلا إِلَيْكُـمْ مَصِيرُهَا[5]

شَهِدْتُ لَقَـدْ جَـادَتْ عَلَـى الأَرْضِ مُزْنَـةٌ
لِكَفِّـكَ أَحْيَـا كُـلَّ شَـيْءٍ[6] مَطِيرُهَـا

---

(١) أمرع الوادي: أخصب، من المَرْع وهو الخصب والكلأ.
(٢) م: ويزورها. حاتم: الظاهر أنه يقصد به حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي (ت. حوالي ٤٦ ق، هـ). كان فارسًا شاعرًا، يضرب المثل بجوده.
(٣) مط: فادت، وهو خطأ مطبعي. العارفات ج عارفة، وهي ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه، وكأنّ صيغة فاعل هنا (عارف) بمعنى مفعول (معروف): والصنائع مرادف للعارفات، وهذا الترادف هو الذي ربط عجز البيت بصدره في المعنى. يقول في الشطر الثاني: إن من أحسنت إليه ملكت قلبه وإن بني الجراح - وهم من طيئ - لا ينسون صنيعك لسعيك في إطلاق حميد وحازم.
(٤) ظ، م: الحادثات.
(٥) سقط البيت من ف، ق، ك، مط. المِنة والمُنة بالفعل، الإحسان والإنعام. يقول: ما تخطّى الإحسانُ غيركم من القادرين عليه إلا ليصير إليكم ولأنه مقصور عليكم.
(٦) ف، ق، ك، مط: كل أرض، وفي م: كل خلق. المطير: قصد به المطر النازل من كفه أي النوال والإحسان الذي أصاب بني الجراح.

وإنـــكَ لَـــوْ نَادَيْـــتَ سَاكِنَـــةَ الثَّـــرَى
أجَـــابَ صَـــدَاهَا أَوْ أَصَـــاخَتْ[1] قُبورُهَـــا
وَإن امْـــرَأً يَـــسْعَى إِلَيْـــكَ بِكَيْـــدِهِ
كَباحِثَـــةٍ عَـــنْ مُدْيَـــةٍ تَـــسْتَثِيرُهُـــا[2]
يَمُـــدُّ إلى نَيْـــلِ الـــسمَـــاءِ بَنَـــانَـــهُ
وتِلْـــكَ أَحَادِيـــثُ المُنَـــى وغُرُورُهَـــا
٥٠- فَلَوْ أضْمَرَتْ فِيـكَ الكَوَاكِـبُ غَـدْرةً
تَحَيَّـــرَ هَادِيهَـــا وَضَـــلَّ بَـــصِيرُهَا
وَلَـــوْ خَالَفَـــتْ أَفْلاكُهَـــا مَـــا تُرِيـــدُهُ
لأَنْزَلَهَـــا قَـــسْـرًا إِلَيْـــكَ مُدِيرُهَـــا
وَلَـــوْ عَـــدِمَتْ مِنْـــكَ الخِلافَـــةُ نَظْـــرَةً
وَهَـــى تَاجُهَـــا العَـــالي ومَـــادَ[3] سَـــرِيرُهَا[4]

(١) مط: أصاحت، وهو تصحيف. يريد أن مقدرة الممدوح تبلغ حد المعجزة.

(٢) ينظر في هذا البيت إلى المثل العربي: كالباحث عن «المدية» ويروى «عن الشفرة». زعموا أن رجلاً وجد صيدًا ولم يكن معه ما يذبحه به. فبحث الصيد بأظلافه في الأرض فسقط على شفرة، فذبحه الرجل بها. والمثل في طلب الشيء يؤدي بصاحبه إلى تلف النفس. مجمع الأمثال للميداني: الرقم ٣١١٢، وفصل المقال للبكري ص (٣٦٢). وفي هذا المثل يقول الفرزدق [طويل]:

وكان يُجِيرُ النّاسَ من سَيفِ مالِكٍ ... فأصبَحَ يَبغِي نفسَهُ مَن يُجِيرُها
فكانَ كعَنْزِ السوءِ قامَت بظِلفِها ... إلى مُديةٍ تحتَ الثرى تَستَثِيرُها

وراوية الديوان (ص٢٤٩) إلى مدية وسط التراب تثيرها.

(٣) مط: ولو أضمرت «فيك»: ضمنها معنى «لك». هذا البيت والذي بعده كقول المتنبي يمدح كافورًا [طويل]:

لو الفَلَكُ الدوّارُ أبغضْتَ سَعيَهُ ... لَعوقَـهُ شَيءٌ عَـن الدوَران

(الديوان ٣٧٨/٤).

(٤) م: ومال، وهي رواية جيدة. يقصد بالخلافة خلافة الفاطميين.

وَلَــوْ كَتَمَــتْ عَنْــكَ القُلُــوبُ سَرِيــرَةً
تُرِيــدُكَ مَــا ضُــمتْ عَلَيْهَــا صُــدُورُهَا
وَقَــدْ ظَهَــرَتْ آيَــاتُ سَــيْفِكَ للــوَرَى
وَقَــامَ بِأَمْــرِ اللهِ فِيهِــمْ نَذِيرُهَــا[1]
٥٥- فَإِنْ أَبَــتِ الحُــسَّادُ إلا عِنَادَهَــا
فَقَــدْ عَرَفَــتْ[2] سُــمْرَ العَــوَالي نُحُورُهَــا
وَكَــمْ طَالِــبٍ أَمْــرًا وفِيــهِ حِمَامُــهُ
وسَــارِيَةٍ[3] تَــسْعَى إلى مَــا يَــضِيرُهَا![4]
لَــكَ الخَيْــرُ! مَــا جُهْــدُ القَــوَافي بِبَــالِغٍ
مَــدَاكَ وإنْ نَــد الرِّيَــاحَ حَــسِيرُهَــا[5]

(١) البيت من مط. ص ٤٨.
(٢) ف، ق: وقد عرفت.
(٣) ظ: وساعية.
(٤) مط، ص ٤٧: إلى ما يغيرها. وهو تصحيف. ندّ البعير: شرد. وإبل نَدَد: متفرقة.
وقد أندّها وندّدها. والحسير من البصر: الكليل، ومن الدواب المتعب المُعْيى الكالّ.
(٥) يريد أن شعره لا يفي بحق الممدوح، وإن كان أضعفه لا يجارى. غير أن الفعل ندّ لا يستعمل إلا لازما. فإما أن يكون الشاعر أراد: ند عن الرياح حسير القوافي، ثم حذف الجار ونصب، وهو عربي فصيح، أو يكون ((ندّ)) تصحيفًا لفعل آخر مثل ((بذّ)).

وَلَوْ نُظِمَتْ[1] فِيكَ النُّجُومُ مَدَائِحًا

لَقَصَّرَ عَنْ حَدِّ الثَّنَاءِ مَسِيرُهَا

وَلِي فِيكَ آمَالٌ طِوَالٌ وَمَا سَمَتْ

إِلَى غَايَةٍ إِلا وَأَنْتَ جَدِيرُهَا[2]

٦٠- وَمَا فَاتَنِي خَيْرٌ نَدَاكَ[3] كَفِيلُهُ

وَلاَ غِبْتُ عَنْ نُعْمَى وَقَوْمِي حُضُورُهَا

ستون بيتًا

(١) ف، ك: نَظَمَتْ، بالبناء للمعلوم.

(٢) الجدير بالشيء: الخليق والحريّ. يقول: لي فيك آمال جسام، وأنت قادر على تحقيقها مهما سمت، بل أنت الأقدر على ذلك، لكن الشاعر لجأ إلى الحذف والإيصال. أراد: وأنت جدير بها، ثم حذف الباء، وأضاف (جديرها).

(٣) م: وأنت كفيله.

*[١٠]

وقال يمدح الأمير نصير الملك مكين الدولة أبا علي الحسن بن علي بن ملهم، وقد قُلِّدَ طَبَرِيةَ وعَكا وأُمِّرَ على بني سليم وبني فزارة القيسيّين، وأنفذها إليه في ربيع الأول سنة أربع وخمسين وأربعمائة[١] [خفيف]:

مَـا أَذَاعَـتْ رِيـحُ الصَّبَا لَـكَ سِـرا ... إنمـا عَرضَـتْ بِـهِ وَهْـيَ سَـكْرَى[٢]

وعَلَـى أنهَـا تَـنِم فَقَـدْ أَهْـدَتْ نَسِيمًا مِـنَ (العُـذَيْبِ) وعِطْـرَا[٣]

(*) ظ ١٣، ف ١٠، ك ١٠، ق ١٥، م ٢١، مط ٤٨.

(١) انظر حاشية مطلع القطعة (٢) في ترجمة الممدوح. وهذه القصيدة في مدح الأمير ابن ملهم بن دينار العقيلي عندما قلّد طبرية وعكا عام ٤٥٤هـ . وكان الشاعر مدحه بقصيدة حين قدم أميرًا على حلب عام ٤٥٠ هـ، وبأخرى حين غادرها ٤٥٣هـ، وزاد قصيدة رابعة فيه عندما أصلح بين القيسيين من بني سليم وبني فزارة المتنازعين جنوبي بلاد الشام عام ٤٥٥هـ، وبلغ مجموع ما قال فيه ست قطع - أوردناها في هذا الديوان- وبعد هذا صعد نجم محمود بن نصر المرداسي بسرعة، فالتفت إليه الشاعر من دون أن يقطع صلته بابن ملهم وخاصة عند الحاجة.

(٢) عرضت بالسر: ضد صرحت. استهل المطلع على نحو غزلي، ثم انتقل إلى وصف الرحلة والناقة، وترامیها في البلاد قبل أن تصل إلى الممدوح، فاستغرق بضعة عشر بيتًا، كثر فيها الـاز.

(٣) نمت الريح: جلبت الرائحة أو الحركة . قوله: ((وعلى أنا تنم)) أي رغم كونا. والعذيب موضع سبق شرحه في القطعة (٢) البيت (٦).

وَلَدَى البَارِقِ الذِي بِتَّ تَرْعَا
ـهُ فُنُونٌ[1] مِنَ الخِيَانَةِ أُخْرَى[2]
بَاتَ يَطْوِي ذَيْلَ الدُّجَى وَيُضِيءُ الـ
ـبِيدَ حَتَّى لَظَنَّهُ[3] الطَّيْفُ فَجْرَا
٥- فَمَتَى يَعْرِفُ الوَفَاءَ وَمَا يَذْ
ـكُرُ إلا لَوْمًا عَلَيْكَ وَغَدْرَا[4]
وإِذَا كُنْتَ مَا وَجَدْتَ لأَشْجَا
ـنِكَ حُرًّا فَمُتْ بِدَائِكَ حُرَّا[5]
يَا خَلِيلَيَّ! قَدْ سَئِمْتُ أَمَانِي
وأُنفَقْتُ فِي القَنَاعَةِ عُمْرَا
فَاطْلِقَا مِنْ أَزِمَّةِ العِيسِ مَا شَا
ءَتْ فَإِنَّا فِي رِبْقَةِ الهَمِّ أَسْرَى[6]

---

(١) ظ: وأرى البارق. فنونا . م: الذي كنت ترعاه .

(٢) البارق: اللامع المتلألئ، أي البرق، انظر ق٣، ب١.

(٣) ف، ك: تطوي . ظ، مط: حتى يظنه .

(٤) ظ، ك: لؤما عليك . ف، ك: فمتى يعرف الوفاء .

(٥) وإذا كنت: يعني الشاعر نفسه على سبيل التجريد. والبيت من باب (إرسال المثل) عند البديعيين، وبه خلص إلى الشكوى ممهدًا للمديح .

(٦) طلق، يطلُق، وأطلق الشيءَ أعطاه . العيس جمع أعيس وعيساء وهي الإبل، يخالط بياضها شقرة . وهذا البيت والبيت المتقدم عليه يشبه قول لبيد [وافر]:

وكنت إذا الهمومُ تَحَضرْتنِي … وضنت خلةٌ بعدَ الوصال
صرمت حبالَهَا وصددتُ عنها … بناجَيةٍ تَجِل عن الكَلال

(شرح ديوان لبيد، ص ٧٥)

زَادَ عَــرْضُ الفَــلاَ عَلَيْهَــا كَمَــا طَــا
لَ الــدجَى فَهْــيَ والكَوَاكِــبُ حَــسْرَى[1]

١٠- تَتَرَامَــى بِهَــا الــبِلاَدُ ومَــا تَنْــ
شُــدُ إلا رَسْــمًا مِــنَ الجُــودِ قَفْــرَا

فاعْــذِرَاهَا إنْ أَخْفَقَــتْ فَلَقَــدْ رَا
مَــتْ عَــسِيرًا مِــنَ المَطَالِــبِ وَعْــرَا

نَقَــصَ[2] الــدهْرُ حَظَهَــا مِــنْ بَنِيــهِ
فَهْــيَ تَبْغِــي حَظًّــا وَنَاسًــا ودَهْــرَا

ولَعَمْــرِي لَقَــدْ كَفَاهَــا (نَــصِيرُ المُلْــ
كِ) فَلْتوسَــعِ البَرِيــةُ عُــذْرَا[3]

---

(١) حسرى جمع حاسرة وحسير من حسر أي أعيا وكل، وحُسُور الكواكب دليل على طول الليل. وما تنشد: ما تطلب، غير أن الشاعر قصد: وما تجد بطلبها، وإلا فسد المعنى. وفي قوله هذا مجاز إذ أراد نفسه. لم يشف عطاء الأمراء غليل الشاعر وكأنه يعرض بهم في هذا البيت ليسوغ قصده نصير الملك بن ملهم. ومن الذين خصّهم بالمدح قبل هذه القصيدة ثمال بن صالح معز الدولة المتوفى سنة ٤٥٣ هـ صاحب حلب قبل مجيء الممدوح أميرًا عليها في حدود عام ٤٥٠ هـ. وقد مدح الشاعر ثمَالاً هذا سنة ٤٤٤ هـ بقصيدة مطلعها [وافر]:

أفي نجد تحاورك القبول أظن الريح تفهم ما أقول

(٢) ف، ك: نقص - بلا تشديد -

(٣) نصير الملك: ابن ملهم . فلتوسع البرية عذرًا: أي فليعذرها الناس العذر كله، وأوسع الشيء جعله يسعه، ومنه على المجاز: أوسعه مدحًا أو قدحًا أو عذرًا. وفي البيت إضراب معنوي عما سبق.

رَتَعَتْ مِنْ جَنَابِهِ فِي رِيَاضٍ
ضَوَّعَتْهَا فِيهِ ثَنَاءً وذِكْرَا[1]
١٥- وسَرَى جُودُهُ إِلَيْهَا عَلَى البُعْـ
ـدِ كَمَا تَحْمِلُ الرِّيَاحُ القَطْرَا[2]
وَرَدَتْ مَشْرَعَ المَكَارِمِ مَلآ
نَ وحَيَّتْ وَجْهَ الزَمَانِ أَغَرا[3]
طَلْعَةٌ كالصَباحِ يَلْمَعُ فِيهَا
بَارِقٌ للسَماحِ سَمُوُّهُ بِشْرَا[4]
وبَنَانٌ إِذَا تَجَهَّمَتِ الأَنْـ
ـوَاءُ أَجْرَى بِهِ سَحَائِبَ عَشْرَا[5]
يَشْيِقُ السمْهَرِي طُولاً وطَوْلاً
وَيَفُوتُ الهِنْدِي أُثْرًا وأَثْرَا[6]

---

(١) ضوعتها فيه ثناء وذكرا: أي جعلت العيس هذه الرياض تضوع في جناب الممدوح بالثناء والذكر الحسن، من قولهم: ضاع المسك وتضوع أي فاحت رائحته، ويقال: ضوعه العطار.

(٢) ظ: تحمل الرياح العطرا . مط: تحمل النسائم عطرا.

سرى جوده إليها: أي إلى العيس. ووزن هذا البيت غير مستساغ لدخول (التشعيث) ضربه من غير ردف، وهو ممنوع في علم العروض.

(٣) المشرَع: المورد.

(٤) طلعة الرجل: وجهه، شبه وجه الأمير بالصباح.

(٥) يشّبه أنامل الممدوح العشر بسائحب عشر كناية عن الندى حين تضن الأنواء.

(٦) ظ: أُثْرًا وَأَثْرًا. الأُثر: الرونق . الأَثْر: جوهر السيف. الطول - بفتح الطاء المشددة -: الفضل والقدرة؛ الغنى والسعة والعلوّ؛ مد اليد بالعطاء؛ المنة.

٢٠- شَرَفًا يَا (بَنِي فَزَارَةَ) قَدْ أحْيَا نَدَاهُ عَلَيْكَ (حِصْنًا) و(بَدْرَا)[1]

وغِنًى عَنْ مَوَاهِبِ المُزْنِ يَا (غَوْرُ)[2] فَقَدْ صَارَتِ (البُحَيْرَةُ) بَحْرَا[3]

حَلَّ فِيكَ (ابْنُ مَلْهَمٍ) وخَصِيبُ الأرْضِ مَا كَانَ عَيْشُهُ مُسْتَقِرا[4]

---

(١) فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، أبو حي من غطفان. كان بنو فزارة يسكنون بنواحي طبرية وعكا زمن إنشاء القصيدة. وقد تفرع عن الجد الجاهلي فزارة خمسة من أبنائه هم مازن، وسعد، وعدي، وظالم، وشمخ. حِصْن: قصد به حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو، الفزاري. وهو الذي مدحه زهير بن أبي سلمى بلامية مطلعها [طويل]:

صَحا القلبُ عن سَلمَى وأقصَرَ باطِلُهْ ... وعُرِيَ أفراسُ الصبا ورَواحِلُهْ

وفيها يقول:

حُذَيفةُ ينمِيهِ وبَدرٌ كِلاهُمـا ... إلى باذِخٍ يَعلُو على مَنْ يُطاوِلُهْ

ومَنْ مِثلُ حِصنٍ في الحُروبِ ومثلُهُ ... لإنكارِ ضَيمٍ أو لأمرٍ يُحاوِلُهْ؟

وبدر جده الأدنى كما رأينا في نسبه، وهو من فروع سعد بن فزارة. (شرح الديوان، لثعلب، ص ١٢٤، ١٤٣).

(٢) ف، ق، ك، مط: بالجود . ظ: بالغور.

(٣) قوله: وغنى عن مواهب المزن: أي كن في غنى عنها، والخطاب لغور فلسطين والأردن، وهو بين بيت المقدس والشام منخفض عنهما، ولذلك سمي بالغور، يجري فيه ماء نهر الأردن وبه بلاد وقرى كثيرة، وطبرية أشهر مدنه، وبيسان، ومن قراه أريحا بفلسطين الآن . البحيرة: أراد بحيرة طبرية.

(٤) البيت من باب ما يسميه البديعيون (التعليل)، يقول: كن ياغور في غنى لأن ابن ملهم حلّ فيك.

عَـ ــارِضٌ يَـ ــسْتَهِلُّ جُـ ــودًا وفِيـ ــهِ
بَـ ــارِقٌ رُبَّمَـ ــا تَوَقَّـ ــدَ جَمْـ ــرَا[1]

فَجَـ ــرَى مَـ ـاؤُهُ[2] مَوَاهِـ ــبَ بِيـ ـضًا
وَوَرَتْ نَـ ـــارُهُ قَوَاضِـ ـــبَ حُمْـ ـــرَا

٢٥- قَـ ـدْ عَرَفْنَـ ـا ضِـ ـرَامَهُ كَيْـ ـفَ يُـ ـصْلَى
وعَلِمْنَـ ـا غَمَامَـ ـهُ كَيْـ ـفَ يُمْـ ـرَى[3]

فَوَجَـ ـدْنَا حَيَـ ـاهُ[4] في الـ ـسِّلْمِ حُلْـ ـوًا
ورَأَيْنَـ ـا لَظَـ ـاهُ في الحَـ ـرْبِ مُـ ـرًّا[5]

خَطَـ ـرَاتُ الزَّمَـ ـانِ بُؤْسَـ ـى ونُعْمَـ ـى
وفُنُـ ـونُ الأَقْـ ـدَارِ نَفْعًـ ـا وضُـ ـرًّا[6]

عَلَّـ ـمَ النَّـ ـاسَ كَيْـ ـفَ يُـ ـسْعَى إلى المَجْـ ـ
ـدِ وَلَكِـ ـنْ بَـ ـاتُوا نِيَامًـ ـا وأَسْـ ـرَى

وأَرَاهُـ ـمْ مِـ ـنْ جُـ ـودِهِ كُـ ـلَّ عَـ ـذْرَا
ءَ علـ ـى أنَّهَـ ـا مَوَاهِـ ـبُ تَتْـ ـرَى[7]

---

(١) العارض: السحاب المعترض في الأفق، والمقصود به الممدوح على التشبيه. البارق: أراد به وجه ابن ملهم.

(٢) ظ: فجرى جوده.

(٣) م: كيف يَصْلَى.. كيف يَمْرَى.
يُمْرَى: من مرت الريح السحاب تمريه أي استدرته، وأتى به على المجاز.

(٤) ظ: ووجدنا حياه . ف، ق، ك، مط: فوجدنا جناه.

(٥) الحيا: المطر سمي بذلك لأنه يُحْيِي الأرض.

(٦) هذا البيت يدحض الأبيات الأربعة المتقدمة لولا (الاحتراز) الذي يليه في الأبيات التالية.

(٧) أراهم كل عذراء أي كل جديد لم يسبق إليه ويعجز عنه غيره. تترى: تتابع، يقال: جاؤوا تترى أي واحدًا بعد واحد بينهم فترات، وأصلها وترى لأنا مشتقة من وتر.

٣٠-مِنـ ـةٌ لم تَجُـ ـدْ[1] بِهَـ ـا غَيْـ ـرُ كَفَيْـ ـ
ـ ـهِ فَأَعْجِـ ـبْ بِهَـ ـا عَوَانًـ ـا وبِكْـ ـرَا![2]

وإذَا عُـ ـ ـ ـد (جَامِـ ـ ـ ـدًا) و(عَلِيـ ـ ـ ـا)
و(سُـ ـلَيْمَ النـ ـدَى)[3]و(كَعْبًـ ـا)و(بَكْـ ـرَا)[4]

سَـ ـ ـ ـبَقَ النـ ـ ـ ـاسَ أولاً وأخِيـ ـ ـ ـرا
وحَـ ـ ـوَى المَكْرُمَـ ـ ـاتِ بَـ ـ ـدْوًا وحَـ ـ ـضْرَا

طَـ ـرَقَ (الـ ـشامَ) مِـ ـنْ فِرَاقِـ ـكَ خَطْـ ـبٌ
لا يُـ ـرَى بَعْـ ـدَهُ مَـ ـعَ العُـ ـسْرِ يُـ ـسْرَا[5]

عَلِـ ـمَ (الـ ـرومُ)[6] أن سَـ ـيْفَكَ حَامِيـ ـ ـ
ـ ـ ـهِ فَقَـ ـ ـدْ حَـ ـ ـاوَلُوا لِبُعْـ ـ ـدِكَ أمْـ ـ ـرَا

٣٥- وأجَـ ـابَ المُحَـ ـارِبُونَ إلَـ ـى الـ ـسلْـ ـ
مِ فِـ ـرَارًا مِـ ـ ـنَ الطعَـ ـانِ وكُفْـ ـرَا[7]

---

(١) ف، ق، ك، مط: لم يجد.
(٢) فأعجب بها أي ما أعجبها! العوان: ما كان في منتصف السن من كل شيء، وهي هنا على المجاز.
(٣) ف، ك: وإذا عُد جامدا .. وسليم الندى وعوفا. وسقط البيت من مط.
(٤) الأعلام في هذا البيت سلف الممدوح.
(٥) ظ، ف، ك: لا يَرَى - بالبناء للمعلوم - ظ، مط: من العسر يسرا. طرق: أصاب، وأصل معناه الضرب والدق. يشير إلى تَرْكِ الممدوح حلب في حدود عام ٤٥٣ هـ بعدما شغب عليه الكلابيون.
(٦) ف، ق، ك، مط: علم الناس .
(٧) يشير في هذا البيت والذي قبله إلى الدور الذي قام به الروم في الحرب بين نواب الفاطميين (ومنهم ابن ملهم وناصر الدولة بن حمدان)، وبين الكلابيين للاستيلاء على حلب من سنة ٤٤٨ هـ إلى سنة ٤٥٢هـ. وكان الروم يخشون استيلاء الفاطميين على الشام، ويسعون إلى إقصائهم عنه لما يعلمون من قوتم.

وإذَا مَـــا خَـــلاَ العَـــرِينُ مِـــنَ اللّيْـــ ـ
ثِ أغَـــارَ الـــسِّرْحَانُ فِيـــهِ وكَـــرا[1]
عَـــوّدْتَهُمْ ظُبَـــاكَ جَامِحَـــةَ الفَـــرِّ
وشَـــنتْ فِـــيهمْ جِيَـــادُكَ ذُعْـــرَا[2]
وَتحَـــامَتْهُمُ[3] المَعَاقِـــلُ لمـــا
مَلَكْتَهَـــا لَـــكَ الـــصَوَارِمُ قَـــسْرَا[4]
طَلَعَـــتْ نَحْـــوَهُمْ مِـــنَ الجُـــوْنِ جُـــونٌ
وَجَـــدُوهَا بِـــ (اللاذِقِيـــةِ) شُـــقْرَا[5]

---

(١) السرحان: الذئب، وهذيل تسمي الأسد سرحانًا، وفي المثل: سقط العشاء به على سرحان، قال سيبويه: النون زائدة وهو فعلان والجمع سراحين، قال الكسائي: الأنثى سرحانة - الصحاح -، وجاء في شعر امرئ القيس الكندي بمعنى الذئب، وهو المقصود ها هنا .

(٢) عودتم: الضمير فيه عائد على الروم . جامحة الفرّ: من جمح الفرس براكبه: اعتزه على رأسه وغلبه، أو ذهب به جريًا غالبًا لا يملكه . ومن المجاز: جمحت المرأة إلى أهلها من غير إذن بعلها. أراد أن سيوف الممدوح كانت تضطر الروم إلى الفرار اضطرارًا وكأنا عودتم ذلك.

(٣) مط: وتحامتكم .

(٤) تحامتهم: توقتهم واجتنبتهم -على المجاز- المعاقل: الحصون والملاجئ.

(٥) ظ: شقرا - بفتح الشين - طلعت نحوهم من الجون جون: أراد طلعت نحوهم جون من جونك . والجُوْنُ من الخيل: الأدهم الشديد السواد، ويحتمل أنه قصد به الجبل آخر الليل أو ثنية ما، فكأنه قال: طلعت عليهم من الثنايا السود خيل جون، والعادة أن المغير يُصَبِحُ عدوه. اللاذقية: سبق شرحها في القطعة (٢) البيت (٤٠). وشقرة الخيل في البيت وهمية لأنا تذكّر الروم الدم والموت فرأوها شقرًا.

٤٠- مُقْرَبَـ ـاتٌ مِثْـ ـلَ الـ ـسَراحِينِ إلا
أنهـ ـا تَقْـ ـنِصُ القَـ ـرَائِسَ جَهْـ ـرَا[1]
وَخَمِـ ـيسٌ أَلْقَـ ـى عَلَـ ـى طَـ ـرَفِ السـ ـا
حِـ ـلِ شَـ ـطْرًا وفي (العَوَاصِـ ـمِ) شَـ ـطْرَا[2]
تَتَشَـ ـى قَنَـ ـاهُ سَـ ـكْرَى[3] وَمَـ ـا تَـ ـشْـ
رَبِ إلا دَمَ الفَـ ـ ـ ـوَارِسِ خَمْـ ـ ـ ـرَا
قَـ ـادَهُ مُرْهَـ ـفُ العَزِيمَـ ـةِ[4] وَالـ ـرأْ
يِ إذَا أَقْـ ـ ـدَمَ المُحَـ ـ ـارِبُ غِـ ـ ـرا[5]
هَـ ـذَبَتْ فِكْـ ـرَهُ[6] التجَـ ـارِبُ حَتـ ـى
هَتكَـ ـتْ دُونَـ ـهُ مِـ ـنَ الغَيْـ ـبِ سِـ ـتْرَا

---

(١) المُقْرب من الخيل: الذي يدنى ويكرم والأنثى مقربة ولا تترك أن ترود، قال ابن دريد: إنما يفعل ذلك بالإناث لئلا يقرعها فحل لئيم . والتقريب: ضرب من العدو. يقول: إن هذه الخيل تأخذ فريستها جهارًا وذلك دليل على قوتنا.

(٢) الخميس: الجيش الجرار المؤلف من خمس فرق وهي المقدمة والقلب والساقة والميمنة والمسيرة.

وقد ذكره المتنبي في وصف الجيش [طويل]:

خَميسٌ بشَرَقِ الأرضِ والغَربِ زَحفُهُ   وفي أُذُنِ الجَوزاءِ مِنهُ زَمازِمُ

(الديوان ١٠٠/٤)

وقصد ابن سنان جيش ابن ملهم. العواصم: سبق شرحها في القطعة (٢) البيت (٢٥).

(٣) أثبتنا رواية م وفي سائر النسخ سُكرا.

(٤) ظ: العزائم.. إذا قدم .

(٥) مرهف العزيمة والرأي: قوي العزيمة ثاقب الفكر بصير بأمور الحرب، وقصد به الممدوح. الغِر في الأصل الشاب لا تجربة له في الأمور، وقصد به قائد جيش الأعداء.

(٦) ظ: هذبت فعله.

٤٥- رَفَعَ اللهُ مِنْ لِوَائِكَ لَمَّا
كَانَ عِزًّا لِلْمُسْلِمِينَ وَنَصْرًا[1]

طُلْتَ قَدْرًا عَنِ المَدِيحِ فَمَا أَذْ
هَبُ فِيهِ إلا وَفَاءً وشُكْرًا[2]

زَهَرَاتٌ أُثِيرُهُنَّ[3] مِنَ الشَّوْ
قِ وإِنْ كُنَّ في المَسَامِعِ شِعْرَا

وثَنَاءٌ كَأَنَمَا أَطْلَعَ الصُّبْـ
ـحَ ضِيَاءً وأرجَ الرَّوْضَ نَشْرًا[4]

يُخْبِرُ النَاسَ أن في ذِكْرِ إِحْسَا
نِكَ[5] دَيْنًا وفي بَنَانِيَ سِحْرًا[6]

تسعة وأربعون بيتًا

---

(١) لما: أحسن المعاني المناسبة لها في البيت معنى (إذ). قوله: رفع الله من لوائك: إما جملة خبرية وتكون على مقتضى الظاهر، وإما دعائية ويكون معناها: زاد الله لواءك رفعة، وإلا كان البيت غير لائق بآداب المدح وقواعده.

(٢) أراد: لا يبلغ المدح من صفاتك إلا القليل، وإنما ألبي بشعري فيك داعي الوفاء والشكر.

(٣) أثبتنا رواية م، وفي سائر النسخ: أثرتُهن .

(٤) أرج: أصل معناها أوقد، وعلى المجاز، أثار وهيج. النشر في البيت: الريح الطيبة تفوح من الروض ويبعثها النسيم. يشبه مدحه بنور الصبح وعطر الروض.

(٥) ظ: إنعامك .

(٦) ظ . م: وفي ثنائيَ سِحْرَا . دَيْنا: دينًا لك عليّ. في بنانيَ سِحْرًا: أراد أن شعرَه هو السحرُ الحلال.

*[١١]

وكتب إليه أيضًا يمدحه ويذكر عقده الحلف بين القيسيين من فزارة وسليم وبين الكلبيين، وأنفذها إليه في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وأربعمائة [طويل]:

سَلاَ ظَبْيَةَ(١) الوَعْـسَاءِ هَـلْ فَقَـدَتْ خِـشْفَا
فَإِنــا وَجَــدْنا في مَرَاتِعِهَــا ظِلْفَــا(٢)

وقُولاَ لِخُـوطِ البَـانِ فَلْيُمْـسِـكِ الـصَبَا
عَلَيْنا فَإنـا قَـدْ عَرَفْنـا بِهـا(٣) عَرْفَـا(٤)

(*) القصيدة في نسخة م صفحة ٢٦، ظ ١٦، ق ١٧، فك ١١، مط ٧١.
والأبيات الأولى منها في فوات الوفيات ٤٩٢/١ - ٤٩٣.
فيما يتعلق بالجو التاريخي لهذه القصيدة راجع القطعة رقم ١٠.

(١) ف، ك: سلا بانة فإنا لمحنا.

(٢) آثرنا رواية مط وفوات الوفيات ٤٩٢/١ في كلمة (ظلفا)، وفي سائر النسخ: طرفا.
الوعساء: رابية من رمل لينة تنبت أحرار البقول؛ والخِشف صغير الظبي أول ما يولد؛ انظر ق ٣٥، ب ٩. أراد به أثر ظِلْفِهِ أي أثره وهو مجاز مرسل من باب إطلاق البعض وإرادة الكل. يذكر حبه لهذا الخشف الذي أراد به الحسناء. ومن عادة الشعراء أن يكنوا عن الملاح بالظباء وعن القلوب بالمراتع يقول ابن الرومي في وصف (وحيد) المغّنية [خفيف]:
ظَبيةٌ تَسكُنُ القُلُوبَ وَترعا (م) ها وقُمرِّيةٌ لَها تَغريدُ

(٣) م: عرفنا به.

(٤) الخُوط: الغصن الناعم، والبان، شجر يسمو ويطول في استواء؛ شبه الشعراء بأفنانه الجارية الناعمة ذات الشطاط، فقيل: كأنا بانة أو غصن بان. ذكر الصبا والعرف على عادة الشعراء في ذكر الريح مهما كان نوعها إذا هبت من ناحية الحبيب. يطلب إلى البان أن يمسك بأغصانه الصبا فإن فيها أثر المحبوبة.

سَرَتْ مِنْ هِضَابِ الشامِ وَهْيَ مَرِيضَةٌ
فَمَا ظَهَرَتْ إلا وَقَدْ كَادَ أَنْ يخْفَى[١]

عَلِيلَةُ أَنفَاسٍ يُدَاوَى بِهَا الجَوَى
وضَعْفَى [٢] ولَكِنا نُرَجِي بِهَا ضَعْفَا[٣]

٥- وهَاتِفَةٍ في البَانِ تُمْلِي غَرَامَهَا
عَلَيْنَا وتَتْلُو مِنْ صَبَابَتِهَا صُحْفَا

عَجِبْتُ لهَا تَشْكُو الفِرَاقَ جَهَالَةً
وقَدْ جَاوَبَتْ مِنْ كُلِ نَاحِيَةٍ إِلْفَا

وَيَشْجُو قُلُوبَ العَاشِقِينَ حَنِينُهَا
وَمَا فَهِمُوا مِمَا تَغَنتْ بِهِ حَرْفَا

وَلَوْ صَدَقَتْ فِيمَا تَقُولُ مِنَ الأَسَى
لَمَا لَبِسَتْ طَوْقًا ولاَ خَضَبَتْ كَفًا[٤]

أَجَارَتَنَا أَذْكَرْتِ مَنْ كَانَ نَاسِيًا
وأَضْرَمْتِ نَارًا للصَبَابَةِ مَا تُطْفَا

---

(١) فوات الوفيات ٤٩٢/١: أن تخفى. الضمير في يخفى عائد على العرف. وخفاء العرف رجع إلى كون الصبا جد ضعيفة، فلا تكاد تقدر على حمل أثر الحبيب.

(٢) في النسخ: ضعفا - بالألف الطويلة -

(٣) ضعفى جمع ضعيفة، والضعف في آخر البيت أراد به الانتعاش والقوة.

(٤) يشير إلى جمال طوق الحمامة وحمرة ساقيها، ولا يخفى أن اللباس والكف يشيران إلى المرأة، ومثل هذا المعنى كثير في الشعر العربي -انظر مثلاً ديوان أبي فراس الحمداني- يقول: لو كانت صادقة فيما تدعي من الحزن، لما تزينت بطوقها ولا خضبت كفها بالحناء.

١٠- وفي جَانِبِ المَــاءِ الــذِي تَرِدِينَــهُ
مَوَاعِيــدُ مَــا يَنكِــرْنَ[١] لَيــا ولاَ خُلْفَــا[٢]

وَمَهْــزَوزَةٍ لِلْبَــانِ فِيهَــا شَــمَائِلٌ
جَعَلْــنَ لَــهُ في كُــلِّ قَافِيَــةٍ وَصْــفَا[٣]

لَبِسْنَــا عَلَيْهَــا بِالثنِيــةِ لَيْلَــةً
مِنَ السودِ لم يَطْــوِ الــصَبَاحُ لهــا سَــجْفَا[٤]

لَعَمْــرِي لَــئِنْ طَالَــتْ عَلَيْنَــا فَإِنَنَــا
بِحُكْمِ الثرَيــا قَــدْ قَطَعْنَــا لهــا كَفَّــا[٥]

---

(١) م، وفوات الوفيات ٤٩٢/١: لا ينكرن.

(٢) اللي: المطل، من لوى. الخلف: عدم إنجاز الوعد. يشكو مطل الحبيبة وخلفها، وهما خلتان ممدوحتان في المرأة، ولذلك يعيب النقاد على الشاعر أن يجعل محبوبته لا تمطل ولا تخلف الوعد.

(٣) فوات الوفيات ٤٩٢/١: تمايل جعلن لها. المهزوزة: الأرض التي هزتها الريح والري فطال نبتها. الشمائل في الأصل الطبيعة والخلق ويقصد بها هنا المحاسن.
القافية: القصيدة من إطلاق الجزء على الكل، والوصف هنا النعت أي الإشادة بالمحاسن لا مطلق الوصف.

(٤) الثنية هنا: ثنية العقاب المشرفة على غوطة دمشق يمر بها القاصد من دمشق إلى حمص، والسجف: الستر. لبسنا: لبستُ أي قضيت، لأن الجمع ينافي ما قبل البيت وما بعده. يقول: قضيت بالثنية ليلة سوداء طويلة.

(٥) يقول: لئن طالت علينا هذه الليلة، فقد قطعنا كفّها. يشير إلى غياب الثرّيا.
وتشبيه الثرّيا بالكفّ كثير في الشعر العربي، ومنه قول أبي العلاء المعرّيّ
أَوْمَــأَتْ للحِــذَاءِ كَفُّ الثرَيا ثُم صَــدَّ الحَدِيثُ وَالإِيمَاءُ
(اللزوميات ١ / ٦٨)

وقول الشريف الرضيّ:
وَقَدْ مَد مِنْ بَاعِ المَجَرةِ فَانْثَنى كَأَن الثرَيا فِيهِ كَــف تُــقَارِعُ
(الديوان: ١ / ٦١٢)

رَمَيْنَـا بِهَـا في الغَـرْبِ وَهْـيَ ذَمِيمَـةٌ(1)
ولم تُبْـقِ لِلْجَـوْزَاءِ عِقْـدًا ولاَ شَـنْفَا

١٥- كَأَن الـدجَى لمـا تَوَلـتْ نُجُومُـهُ
مُـدَبرُ حَـرْبٍ قَـدْ هَزَمْنَـا لَـهُ صَفَـا

كَـأَن عَلَيْـهِ لِلْمَجَـرةِ رَوْضَـةً
مُفَتحَـةَ الأَنْـوَارِ أو نَثْـرَةً زَغْفَـا(2)

كَأَنـا وقَـدْ أَلْقَـى إِلَيْنَـا(3) هَلاَلَـهُ
سَلَبْنَاهُ جَامًـا(4)أو قَصَمْنَا لَـهُ وَقْفَـا(5)

---

(١) فوات الوفيات ٤٩٢/١: ويسلبنها في العرف وهي ضعيفة.
الجوزاء: نجم يعترض في جوز السماء أي وسطها، وهي من البروج. وكان القدماء يصورونا على هيئة إنسان. والشنف ما علق في أعلى الأذن، أما ما علق في أسفلها فقرط. ومعنى البيت أن الفجر أخذ ينتشر في أرجاء السماء فضعف نور الدنيا.

(٢) النثرة الزغف: الدرع اللينة الحسنة السلاسل، قال طريف بن تميم العنبري [كامل]:
تَحتِي الأغَر وفوقَ جِلدِي نَثرةٌ   زَغفٌ تَرد السيفَ وهو مُثَلمُ
- تاج العروس - مادة زغف.

(٣) م: ألقى علينا.

(٤) في النسخ جَانًا، وآثرنا رواية محمد بن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ٤٩/١.

(٥) الجام: الكأس. فصم الدملج ونحوه: كسره من غير أن يتفرق كسره.
والوقف: السوار من عاج، شبه الهلال بيد حسناء نزع منها الكأس فبقيت على شكلها الأول، أي كأنا حاملة هذه الكأس قال أبو هلال العسكريّ (انظر نهاية الأرب ٥٢/١) [خفيف]:
باتَ في مِعصَمِ الظلامِ سِوارًا   وعَلَى مَفرِقِ الدجَى إكلِيلا
ويقول الحسين بن عبد الله البغدادي (ياقوت: معجم الأدباء ٢٤/١٠) [وافر]:
وطَـوقٌ لِلنـجومِ إذا تَبـدى   هِلالُـكَ أم يَـدٌ فيها سِوارُ؟

كَـأن الـسهَا إِنْـسَانُ عَيْـنٍ غَرِيقَـةٍ
مِنَ الدمْعِ تَبْـدُو كُلمَـا ذَرَفَـتْ ذَرْفَـا[1]

كَـأن سُـهَيلاً فَـارِسٌ عَـايَنَ الوَغَـى
فَفَـر ولم يَـشْهَدْ طِـرَادًا ولا زَحْفَـا

٢٠- كَأَن سَنَا المَـريخِ شُعْلَـةُ قَابِـسٍ
تَخَطفَهَـا عَجْـلانَ يَقْذِفُهَـا قَذْفَـا[2]

كَـأن أُفُـولَ النـسْرِ طَـرْفٌ تَعَلقَـتْ
بِهِ سِـنَةٌ مَـا هَـب مِنْهَـا ولاَ أَغْفَـى

كَـأن نَـصِيرَ المُلْـكِ سَـل حُـسَامَـهُ
عَلَى الليْـلِ فَانْـصَاعَتْ كَوَاكِبُـهُ كَـشْفَا[3]

رَعَـى اللهُ عَيْنًـا طَبـقَ الأَرْضَ جُـودُهُ
فَلَمْ يُخْـلِ سَـهْلاً مِـنْ نَـدَاهُ ولاَ نَعْفَـا[4]

---

(١) السها: كوكب خفي من بنات نعش الصغرى. وإنسان العين المثال الذي يرى في سوادها. يشبه السها بإنسان عين غمرتها الدموع، فلا يرى بشيء من الوضوح إلا إذا تخلصت العين من دمعها.

(٢) سهيل يمان لجزيرة العرب لأنه يرى في الجنوب على الأفق، والنسر يطلق على كوكبين أحدهما النسر الطائر والثاني النسر الواقع.

(٣) لجأ الشاعر هنا إلى براعة التخلص أو حسن التخلص موهمًا أنه مازال يتحدث عن الكواكب وعن الليل، مع أنه انتقل إلى مدح نصير الدولة، واصفًا بأسه في الحروب، جاعلاً من الكواكب أعداءً له أصابها الرعب عندما سل عليها سيفه ففرت وأفلت. وهناك معنى ثان للبيت وهو أن الممدوح جعل ليل الناس نارًا بما أزال عنهم من بؤس والبيت التالي يوضح المعنى.

(٤) طبق: عم. النعف هنا الحَزْن.

وحَيــا عَلَــى رَغْــمِ اللّيَالِــ ــي خَلاَئِقًــا
لَوْ انْتَحَلَتْهَــا مَــا ذَمَمْنَــا لَهَــا صَرْفَــ ــا[1]

٢٥- وأَبْلَجَ أَحْيَــا دَارِسَ العَــدْلِ بَعْدَمَــ ــا
ثَوَى وشَفَى المَعْرُوفَ مِنْ بَعْد مَــا أشْــفَى[2]

لَــهُ نَــشْوَةٌ في الجُــودِ حَتــ ــى كَأنمَــ ــا
يُدِيرُ لَــهُ العَافِــ ــي مُعَتقَــ ــةً صِرْفَــ ــا[3]

خَفِــي مَرَامِــي الكَيْــدِ تَفْــرِي شَبَاتُــ ــهُ
ومَا مَالَ عَــنْ نَهْــجِ الوَفَــارِ[4] ولاَ خَفـا[5]

تَفَــرد عَــنْ أَهْــلِ الزمَــانِ بِمَذْهَــ ــبٍ
يُرِيدُ بِهِ مَــشْهُــورَ لُؤْمِهِــمُ كَــشْفَــا[6]

إِذَا أَفْقَــرُوا أَغْنَــى وإِنْ هَــدَمُوا بَنَــ ــى
وإِنْ بَخِلُوا أَعْطَــى وإِنْ غَــدَرُوا وَفَــ ــى[7]

---

(١) حياه: حفظه، والجملة دعائية. لو انتحلتها: لو جعلت هذه الخلائق نِحْلَة، لو اتصفت بها.
(٢) أشفى المعروف: أشرف على الهلاك والزوال. وفي التعبير اكتفاء. وأبلج: الواو فيه حرف عطف (أي حيا خلائق. وأبلج ...).
(٣) العافي: طالب المعروف. يصف الممدوح بالكرم والعدل والأريحية.
(٤) ف، ك: نهج الوفاء.
(5) خفيّ مرامي الكيد: يعجز الناس عن الكيد له. تفري شباته: قوي على أعدائه. شبهه بالسيف القاطع.
(٦) يقول: تفرد عن أهل الزمان بمذهب في الأخلاق فضح لؤمهم، وإن كان هذا اللؤم واضحًا مشهورًا. وفي البيت الثاني يذكر أمثلة لكرمه ولؤمهم.
(٧) ف، ك: أوفى.

٣٠-جَرَى سَابِقًا في حَلْبـةِ الجُـودِ وَحْـدَهُ
وقَالَ العِـدَى كَـانَ الـسحَابُ لَـهُ رِدْفَـا
جَمَعْتَ عَلَـى المَعْـرُوفِ شَـمْلَ (فَـزَارَةٍ)
وثَقفْتَ بِالإِحْـسَانِ خَيْلَهُـمُ الحْنَفَـا[1]
وقُـدْتَ إلَيْهِـمْ خُلـةً يَمَنِيـةً
فَقَدْ حَمِـدُوا تِلْـكَ المَـوَدةَ والخِلْفَـا[2]
وَلَـوْ كُنْـتَ في (يَـوْمِ الهَبَـاءَةِ) شَـاهِدًا
لَطَالَ علَى نَفْـسِ (الجُـذْيمِي) أنْ يُـشْفَى[3]

(١) فزارة: قبيلة من غطفان. وثقه: سواه. والأحنف: المائل المعوج.
(٢) الخِلة - بكسر الخاء المعجمة وتشديد اللام -: المصادقة والإخاء. وبضم الخاء: الصداقة. يقول: جمعت على الخير شمل فزارة، وقد كانت جامحة راكبة هواها، وسُسْتَهم بالخير والحكمة اللذين اشتهر بما قومك اليمنيون، وصادقتهم وحالفتهم فحمدوا هذه المودة والمحالفة.
(٣) الهباءة: أرض ببلاد غطفان، وجفر الهباءة مستنقع في هذه الأرض. ويوم الهباءة لعبس على ذبيان في حرب داحس والغبراء وكلتا القبيلتين من غطفان، وكان بنو فزارة ناصروا في هذا اليوم ذبيان على عبس وحلفائهم. وجذيمة قبيلة من عبد القيس والنسبة إليها جذميّ. يقول: لو شهدت يوم الهباءة لما سلم الجذيميّ من بأساء الحروب. ويشير بالجذيمي إلى قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي أمير عبس وداهيتها. ورث الإمارة عن أبيه، واشتهرت وقائعه في حروبه مع بني فزارة وذبيان في حرب داحس والغبراء. قَتَلَ بابنه في جفر الهباَءة حُذيفةَ وحَمَل، ابنيْ بدرٍ الفزاريّين، وفي ذلك يقول [وافر]:

شفيتُ النفسَ مِن حَمَل بن بدرٍ وسيفي من حذيفةَ قَدْ شَفاني

وفي ابنه يقول [وافر]:

تعلمْ أن خيرَ النّاسِ مَيتٌ على جَفرِ الهَباءةِ لا يَريمُ

مات بعُمَانَ سنة ١٠ هـ، ياقوت : مادة هباءة، وتاريخ ابن الأثير ٥٧٨/١... يقول: لو شهدت يوم الهباءة لما شفى نفسه قيس بن زهير لأنك أقوى منه وأشجع وأدهى.

وقَــدْ أسْــنَدَتْ (كَلْــبٌ) إلَيْــكَ أُمورَهَــا

فَمَا فَقَــدَتْ نَــصْرًا ولاَ عَــدِمَتْ عُرْفَــا[1]

٣٥- وَكَمْ لَكَ فِيهِمْ مِــنْ يَــدٍ مُلْهِمِيَّــةٍ

إذَا انْتَجَعَــتْ أرْخَــتْ سَــحَائِبَهَاالوُطْفَا[2]

أَصَــابَ سِــنَانٌ دَرهَــا وَهْــوَ حَافِــلٌ

وَخَلفَ لِلْهِرْمَــاسِ مِــنْ بَعْــدِهِ خِلْفَــا[3]

مَوَاهِــبُ في (قَــيْسٍ) و(قَحْطَــانَ)لم تَــدَعْ

لها حَــافِرًا[4] يَطْــوِي الــبِلاَدَ ولاَ خُفــا[5]

أَقَامَــتْ عَلَــى الأَوْطَــانِ تَــشْرَبُ مَاءَهَــا

نَمِيرًا وَتَرْعَــى رَوْضَــهَا خَــضِلاً وَحْفَــا[6]

---

(١) كلب من قبائل قضاعة، والعرف: الخير.

(٢) اليد: النعمة والجمع أيادٍ. انتجع: طلب الكلأ في موضعه. الوطفاء السحابة الدائمة الحثيثة طال مطرها أو قصر. يريد أنه عامل قبيلة كلب بخلق ورثه عن سلفه، فأكرمها وعم جوده فيها.

(٣) سنان: جد الشاعر، الدر في الأصل اللبن، والهرماس: الأسد الشديد العادي على الناس. والخلف في أصل معناه ما ينبت من العشب وقصد به البقية. يصف سنانًا بالبأس والشجاعة والغنى، فيشبهه بحالب ناقة لا يجرؤ أحد أن يتقدم عليه لحلبها ولو كان الهرماس نفسه. ويريد بذا التعبير البدوي أن قومه بني سنان أصابوا الكثير من جود الممدوح، من در سحابه الوطفاء.

(٤) ف، ك: منسما.

(٥) قيس من قبائل مضر الكبرى. قحطان: قبائل اليمن.

(٦) خضل: ندي وابتل فهو خضل وخاضل. الوحف: النبات الريان، وعشب وحف: كثير. يريد أن نعم الممدوح عمت عرب الشمال والجنوب، فلم يتكلفوا مشقة الانتجاع بل أقامت تشرب من ماء هذه النعم، الغزير الصافي، وترعى روضها الندي الكثير عشبه. وفي البيت استعارات ظاهرة.

وقَـدْ بَـدَرَتْ في (بُحْتُـرٍ) لَـكَ عُـصْبَةٌ[1]

مَنَحْـتَهُمُ فِيـهِ القَـسَـاوَةَ والعُنْفَــا[2]

٤٠- فَدَانُوا لأَطْـرَافِ الأَسِنـةِ عَنْـوَةً

وَكَانُوا لَقَاحًا مَـا رَضُـوا خُطـةً خَـسْفَا[3]

إذَا نَظَــرُوا خِــصْبَ الــسوَادِ وَدُونَــهُ

سُـيُوفُكَ حَـارُوا لا أَمَامًـا ولاَ خَلْفَـا[4]

وَمَــا حَلَــبُ الوَرْهَــاءُ إلا خَرِيـــدَةٌ

عَطَفْتَ عَلَيْهَـا ثُـم طَلَقْتَهَـا أَلْفَـا[5]

وإنْ ظَهَــرَتْ فِيهَــا عُيُــوبٌ كَثِيــرَةٌ

فَمَا عَـدِمَتْ وَجْـدًا عَلَيْـكَ ولاَ لَهْفَـا[6]

---

(١) ف، ك: غضبة.

(٢) بحتر: قبيلة من طيئ سمي بها أحد المواضع، لأن ساكنيه منها، يقول: ناوأتك في بحتر عصبة جهلوا بأسك وبلاءك في الحروب فأدبتهم.

(٣) اللقاح: الحي الذين لا يدينون للملوك، أو لم يصبهم في الجاهلية سباء. يقول: خضعوا لك وكانوا لا يدينون لقوي ولا يرضون خطة خسف.

(٤) يقول: إن الأمير الممدوح حال بين بني بحتر والسّواد المشهور بخصبه، فتحيروا ولم يستطيعوا أن يتقدموا أو يتأخروا، لأنه سد عليهم المذاهب.

(٥) الورهاء: الريح كثر هبوبها، وصف بها حلب لاضطراب أهلها آنذاك ووقوعهم في فتنة. الخريدة: البكر. عطفت عليها: ملت إليها ثم غادرتها. يقول: عرجت على حلب التي كثرت فيها الفتن ثم غادرتها. ويتابع في البيت التالي: ولئن ظهرت فيها عيوب كثيرة فإن أهلها ما زالوا يشتاقون إليك ويتحسرون على نأك.

(٦) ف، ك: فإن ظهرت.

وإنْ كَفَــرَتْ آيَــاتُ جُــودِكَ ضَلــ ـةً

فَمَـا طَلَبَـتْ إلا الـصوَاعِقَ والخَـسْفَـا[1]

٤٥- وقَدْ عَرسَتْ فِيهَـا الخُطُـوبُ مُقِيمَـةً

فَلاَ عَدِمَتْ مِنْ بَعْـدِكَ الجَـوْرَ والعَـسْفَا[2]

لَـكَ الخَيْـرُ قَـدْ وَفَيْـتُ جُـودَكَ فَرْضَـهُ

وَمَـنْ بَـذَلَ الـمَجْهُـودَ في شُـكْرِهِ وَفَـى[3]

ولي فِيـكَ مِـنْ غُـرِ القَـوَافي قَـصَائِلٌ[4]

تُقَبِــلُ أفْــوَاهُ الــروَاةِ لَهَـــا رَشْفَـــ ـا

يَـنِم بِهَــا طِيــبُ النــسِيمِ إذَا هَفَـــ ـا

ويَنْــشُرُهَا نَــوْرُ الريَــاضِ إذَا رَفَـــ ـا[5]

ومَــا أدعِــي دُر الكَــ ـلاَمِ لأنَــ ـهُ

صِــفَاتُكَ إلا أننِــي أحْــسِنُ الرصْــفَا[6]

تسعة وأربعون بيتًا

---

(١) سقط البيت من م.

(٢) يدعو على حلب بألا يغادرها الجور والعسف من بعدما اشترت جور غيره بعدله. وهذا يوافق ما ورد في زبدة الحلب (١ / ٤٥١). قال ابن العديم: ((وأقام ابن ملهم بحلب وعدل في الرعية ورخصت الأسعار في أيامه وبنى كثيرًا)).

(٣) يريد أن جود الأمير فرض عليه الشكر والثناء، ومن بذل جهده في شكر المنعم عليه فقد أدى واجبه.

(٤) م: غرائب.

(٥) يشبه قصائده بطيب النسيم وعطر الزهر في الرياض.

(٦) م: أحسن الوصفا. الرّصْف: من رَصَفَ الشيءَ ضم بعضَه إلى بعضٍ.

*[١٢]

قال وكتب بها إلى الأمير نصير الملك مكين الدولة أبي علي الحسن بن علي بن ملهم(١)، وهو بحلب، في حاجة تختص به [كامل]:

يَا نَاصِــرَ المُلْــكِ الــذِي بِــسُيُوفِــهِ
ذَلَّــتْ أَعَادِيـــهِ وَعَــزَ الديــنُ

أَرْهَفْــتَ في ظُلَــمِ الخُطُــوبِ عَزَائِمًــا
تُثْنَى(٢) بِهَـا الأقْـدَارُ وَهْـيَ سُـكُونُ

رَأْيٌ يَــنِم عَلَــى الغُيــوبِ فَطَنــهُ
عِلْمٌ، وَوَهْـمُ الـشكِ فِيـهِ يقِيــنُ(٣)

أَكْثَــرْتُ حَاجَــاتِي إِلَيْــكَ مُثَقــلاً
وَرَجَــاءُ مِثْلِــكَ كالحَـدِيثِ شُـجُونُ

إِنْ كُنْــتَ وَاهِبَهَــا فَجُــودُكَ غَــامِرٌ
أَوْ شَافِعًا فِيهَـا (٤)فَأَنْـتَ مَكِــينُ(٥)

(*) القصيدة في ف، ك ١٣، ق ٢٠، ظ ١٨، م ٢٥، مط ١٠٤.

(١) تقدمت ترجمته في القطعة ٢، وانظر القطعة ١٠ أيضًا. أما تاريخ القصيدة فيكون ما بين ٤٤٨ و٤٥١هـ، لأن الممدوح كان في هذه الفترة يتولى الحرب والخراج بحلب (راجع ابن القلانسي: ٨٦؛ وابن العديم: ٢٧٤/١؛ وابن الأثير ٢٦٢/٧ ؛ وهبة الله الشيرازي: ١٧٢).

(٢) م، ظ: تثني بها الأقدار بالبناء للمعلوم.

(٣) سقط البيت من مط. يصف ممدوحه بحصافة الرأي والفكر الثاقب؛ فيقول إن ظنه هو في الحقيقة علم وشكه هو عين اليقين.

(٤) الشجن: الغصن المشتبك من غصون الشجرة. وهو أصل المعنى. و((الحديث ذو شجون)) أي ذو شعب وامتساك بعضه ببعض (على المجاز). يريد أن حاجاته يجذب بعضها بعضًا وتتداعى. ((رجاء مثلك)) من إضافة المصدر إلى مفعوله. م: أو كنت شافعها.

(٥) إن كنت واهبها: إن كنت مليبا رغباتي. أو شافعًا فيها: أو معينًا عليها. قوله (مكين) من باب الاشتراك في البلاغة. فقد وجه هذه المفردة من الكلام إلى اسم الأمير مكين الدولة توجيها مطابقًا لمعنى اللفظ الثاني مع اشتراك حقيقي. فقصد في آن واحد الصفة (القوة) واللقب (مكين).

[١٣]*

قال يمدح الأمير معز الدولة أبا علوان ثمال بن صالح بن مرداس[(١)]
سنة أربع وأربعين وأربعمائة: [وافر]

أفي نَجْــــدٍ تُحَــــاوِرُكَ القَبُـــــولُ؟
أظُـــن الـــريحَ تَفْهَـــمُ مَـــا أقُـــولُ[(٢)]

(*) ظ ٢٠، ف ١٥، ق ٢٣، ك ١٥، م ٢٥، مط ٨.

(١) معز الدولة أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس، ثالث الأمراء المرداسيين بحلب بعد أخيه نصر المتوفى سنة ٤٢٩هـ. كان أمير الثغور ثم ملك حلب عام ٤٣٤هـ/١٠٦٢م. وكان أبوه صالح بن مرداس قد حاربه الفاطميون، وقُتِل في الأقحوانة بالقرب من بحيرة طبرّية. كذلك قتل أخوه في حرب الفاطميين. فلما ولي ثمال قاوم الفاطميين أولاً، ثم استرضاهم فاستتب له الأمر، واستغنى الناس في أيامه فمدحه الشعراء. ومدحه ابن سنان عام ٤٤٤هـ وهو في أوج قوته؛ بعد ذلك اضطرب عليه قومه بنو كلاب فكاتب المستنصر بالله الفاطمي فأشار عليه بترك حلب (انظر ق٢)، وأعطاه بيروت وعكا وجبيل، فتركها سنة ٤٤٨هـ للأمير ابن ملهم الذي تجمع عليه بنو كلاب ثانية مقدمين عليهم محمود بن نصر فغادرها ابن ملهم سنة ٤٥٢هـ، وعاد إليها ثمال وتسلم مقاليدها. وفي سنة ٤٥٣هـ استقر الصلح والموادعة بين ثمال وابن أخيه محمود بن نصر. وتوفي يوم الجمعة لسبع بقين من ذي القعدة سنة ٤٥٣هـ ودفن بالمسجد بالقلعة فملكها أخوه عطية بن صالح. (انظر زبدة الحلب لابن العديم ٢٥٥/١-٢٨٨).

(٢) أصل التركيب: أتحاورك القبول في نجد، لأن الشاعر يسأل عن الحوار لا عن نجد، وإنما اضطره الوزن إلى تقديم الجار والمجرور. تحاورك: يخاطب محبوبته وليست الكاف للتجريد لتنافيه مع البيت الثالث ((في دياركم)). حمل الشاعر الريح تحيته لمحبوبته وسألها قائلا: هل أبلغتك القبول تحيتي وحدثتك عن عاطفتي المشبوبة؟! أظن أن الريح تفهم قولي.

تَغَنــتْ في رِحَــالِ الركْــبِ[١] حَتــى
تَــشَابَهتِ الــذوَائِبُ والــذُيولُ[٢]

صَــجِبْنا في دِيَــارِكُمُ صَبَــاهَا
يَنَــا ويهَــا التــنفسُ والنحُــولُ[٣]

وأَمطَرَنــا سَــحَابَ الــدمْعِ حَتــى
حَسِبْنا أنــهُ مُهَــجٌ تَــسِيلُ[٤]

٥- وعُجْنــا ذَاهِلِــينَ فَمَــا عَلِمْنــا
أنحْــنُ الــسائِلُونَ أمِ الطلُــولُ[٥]

وأعْــدَيْنا بِــذِكْرِكُمُ الخُزَامَــى
فَمَــالَ مَــعَ النــسِيمِ كَمَــا يَمِيــلُ[٦]

---

(١) ظ: رحال القوم.

(٢) م: تشافهت الذوائب. ف، ق، ك، مط: والذبول. تغنت: أي تغنت القبول. الذوائب: أوائل الإبل في القافلة، والذيول: أواخرها. المعنى: تغنت القبول في رحال الركب، وشوق حداؤها المطايا، فاحتثها على السير حتى لحقت أواخرها بأوائلها، فلم يبق في القافلة مؤخرة ولا مقدمة.

(٣) في دياركم أي في رسوم دياركم. التنفس والنحول: في الكلمتين اشتراك؛ فتنفس الصبا هبوبا ونحولها لكونا عليلة، وتنفس الركب ونحوله ناتجان عن الشوق، والوجه الثالث أن الصبا تأثرت بعاطفة الإنسان.

(٤) ظ: أنه صبح يسيل. سحاب الدمع: إضافة تشبيه. أنه: أي أن الدمع. المهج: جمع مهجة وهي الدم أو دم القلب، والروح أو خالص النفس، وكانوا في القديم يظنون أن الدم أصل النفس ولذلك سموا الدم نفسًا فقالوا: سالت نفسه، وسالت مهجته وامرأة نفساء لكثرة ما يسيل منها من دم، ولاعتقادهم أن الكبد دم متجمد جعلوها مركز العواطف، وسموا الولد فلذة الكبد.

(٥) عاج بالمكان وعليه: أقام. السائلون: من سأل أو من سال، كلاهما صالح على اعتبار معنيين، والأول أظهر.

(٦) الخزامى: نبت طيب الرائحة واحده خزاماة.

وفي الأظْعَـ ـ ـان لَينَـ ـ ـةُ التّشَـ ـ ـي
عَـ ـصِي الـ ـرِدْفِ مَانِعَـ ـةٌ بَـ ـذُولُ[1]

سَـ ـ ـألْنَاهَا تُحَيينَـ ـ ـا[2] فَـ ـ ـضَنتْ
وذَا ـ ـكَ لَـ ـوْ تَجُـ ـودُ بِـ ـهِ جَزِيـ ـلُ[3]

سَـ ـقَتْ (أرْضَ الثوِيـ ـةِ) - والغَـ ـوَادِي
تَهَادَاهَـ ـا الأبَـ ـاطِحُ والـ ـسهُولُ- [4]

١٠- يَمَانِيَـ ـةٌ تُـ ـصَفقُهَا النعَـ ـامَى
إذَا خَطَـ ـرَتْ وتُلْقِحُهَـ ـا القُبُـ ـولُ[5]

---

(١) لينة التثني: قصد بها المحبوبة. عصي الردف: عصا عصوًا: اجتمع وائتلف وهو أصل المعنى، ومنه العصا: الاجتماع والائتلاف، وشق العصا: فارق الجماعة أو خالفها، وعصي الردف: ردفها مكتنـز لحمًا، قابل به (لينة التثني).

(٢) ظ: تحيينا. م: تحيينا.

(٣) سألناها تحيينا: أي سألناها أن تحيينا، حذف أن وإعمالها بعد حذفها في غير المنصوص عليه شاذ لا يقاس عليه، ومنه مره يحفرها وخذ اللص قبل يأخذَك، والفصيح أن يرفع الفعل بعد حذفها ومنه الآية الكريمة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ - الروم: ٢٤ و﴿ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ﴾- الزمر ٦٤ والأصل: أن يريكم وأن أعبد، وعليه فقراءة تحيينا بالرفع أحسن في البيت. جزيل: كثير. وعجز البيت على نحو قول الشاعر: [وافر]

قَليلٌ مِنكِ يَكفِيني ولكِنْ قَليلُكِ لا يُقَالُ لَهُ قَلِيلُ

(٤) م. مط: السوية - بالسين المهملة - الثوية وتلفظ بصيغة التصغير أيضًا: اسم موضع قريب من الكوفة، وقيل خربة إلى جانب الحيرة على ساعة منها، وقد ذكرها المتنبي في شعره. وفاعل سقت: ((يمانية)) الوارد في البيت التالي. والشاعر يمدح أرض العراق.

(٥) من هنا سقط ثلاثة أبيات من نسخة ظ، ف، ك: القبول - بالضم - يَمانِيَةٌ - بتخفيف الياء والألف فيها عوض عن إحدى الياءين - جمع يمان: أي الآتية من جهة اليمن، وأراد بها السحاب، فاعل سقت.تصفقها: تزجيها وتسوقها. النعامى: من أسماء ريح الجنوب أو ريح تجيء بين الجنوب والصبا. القبول: الصبا وهي ريح تقابل الدبور قال الأخطل [وافر]:

فإنْ تَبخَلْ سَدُوسُ بِدِرهَمَيها فإن الريحَ طَيبةٌ قُبولُ))

(الديوان ١٢٦)

خطرت: أراد بها سارت.

كـــأن يَـــدَ (المُعِــز) حَنَــتْ عَلَيْهَــا
مَخَافَـةَ أنْ تُـضِر بِهَـا الـسُيولُ[1]

شَــفَى مَــرَضَ (العَوَاصِــم) (عَــامِري)
تَـنِم عَلَـى خَلاَئِقِـهِ الـشمُولُ[2]

جَــلا صَــدَأَ القَــذَى عَنْهَــا وصَــحتْ
فَلَــيْسَ سِــوَى النــسِيم بِهَــا عَلِيــلُ[3]

وآمَــنَ سِــرْبَهَا مِــنْ كُــل خَطْــبٍ
فَـأم النائِبَـاتِ بِهَـا ثَكُـولُ[4]

١٥-كَــرِيمٌ يَــسْتُرُ المَعْــرُوفَ حَتَــى
كَــأن كَــثِيرَ مَــا يُعْطِــي قَلِيــلُ[5]

تُغِـيرُ عَلَـى سَـوَابِقِهِ الفَيَـافِي
وتَـضْرِبُ[6] في صَـوَارِمِهِ الفُلُـولُ[7]

---

(١) المعز: معز الدولة. حنت عليها: أي حنت على أرض الثوية.
(٢) عامري: قصد به الممدوح الذي ذكره في البيت السابق. الشمول: الخمر. وقوله تنم على خلائقه الشمول: أي تظهر خلائقه الشمول، والتعبير على التشبيه المعكوس لأنه أراد أن خلائقه تحكي الشمول وهي الخمرة الطيبة الباردة.
(٣) في البيت تأكيد المدح بما يشبه الذم.
(٤) سربا: مستعار من سرب الظباء والبقر والقطا، وقصد به الرعية. فأم النائبات بها ثكول: بما أن الممدوح أزال النائبات وأعدمها وأهلكها فأمها ثكلى.
(٥) يقول: يستر مواهبه عن العيون لأنه يعدها قليلة مع كثرتها.
(٦) ظ: وتكثر في صوارمه.
(٧) قوله: تغير على سوابقه الفيافي؛ إما أن يكون قصد أن الفيافي تتعب خيله لكثرة ما تجوبها هذه السوابق للقاء الأعداء. وهذا يوافق تركيب الشطر الثاني ويتناسق معه. وإما أن يكون التركيب على القلب أي تغير سوابقه على الفيافي، للتوكيد. والمعنى الأول أظهر.

تَـ ـ ـزُورُ جِيَـ ـ ـادُهُ أَرْضَ الأَعَـ ـ ـادِي
وأطْـ ـرَافُ الرِمَـ ـاحِ لَهَـ ـا دَلِيـ ـلُ
طَلَعْـ ـنَ بِهِـ ـنَ (الجَزِيـ ـرَةِ) في هَنَـ ـاتٍ
تَقَاضَـ ـاهَا الطوَائِـ ـلُ والـ ـذحُولُ[1]
وجُـ ـبْنَ مَعَاقِـ ـلَ الأعْـ ـدَاءِ حَتـ ـى
تَنَـ ـاذَرَتِ الركَائِـ ـبُ والخُيـ ـولُ[2]
٢٠- إذَا خَـ ـدَعْتُهمُ بِـ ـالنقْعِ قَـ ـالُوا:
نَعَـ ـامُ الـ ـدو أفْزَعَهَـ ـا الرعِيـ ـلُ[3]
وإنْ صَـ ـدَفْتُهمُ الخِرْصَـ ـانُ عَنْهَـ ـا
ولاَحَـ ـتْ في عَجَاجَتِهَـ ـا النـ ـصُولُ[4]
أجَـ ـارَهُمُ الفِـ ـرَارُ بِهِـ ـنَ العَـ ـوَالِي
وهَـ ـلْ يَنْجُـ ـو[5] بِهِـ ـنَ القَـ ـدَرِ الـ ـذلِيلُ؟

---

(١) ف، ق، ك، مط: الدخول ووردت بلا نقط في ظ، م في هنات: أي في أمور تسوء العدو، والهنات في الأصل العيوب وخصال السوء، لا مفرد لها. تقاضاها: تطالب بها أي تقتضيها وتوجبها. الطوائل جمع طائلة وهي العداوة والترة. الجزيرة: انظر ق٤، ب٢٢، ق٥، ب٣٦. الذحلة - بالذال المعجمة - جمع الذحل: الحقد والعداوة وطلب بذحله أي بثأره - الصحاح - أراد خرجت جياد الأمير تطلب ثأرها من أرض الأعادي. وهذا يدل على أن الأمير كان على (الثغور) و(العواصم) قبل إنشاده القصيدة، والأبيات التالية توضح ذلك أكثر.

(٢) ظ، م: حتى تبادرت. تناذر القوم: أنذر بعضهم بعضًا والاسم: النذْر.

(٣) الدوّ: الفلاة الواسعة الأطراف. والفلاة المستوية البعيدة الأطراف. الرعيل: جماعة الخيل، انظر ق٧ ب١٤.

(٤) صدفه: منعه وصرفه. الخرصان جمع خرص -وتثلث الخاء- أي الرمح أو سنانه. النصول جمع نصل: أي حديدة السهم والرمح والسيف.

(٥) ف، ق، ك: وقد ينجو.

وحَلُّوا بِـ (السَّمَاوَةِ) في شِعَابٍ
يُذَمُّ لها[1] مِنَ الطَّلَبِ الخُمُولُ[2]

رَعَوْا فِيهَا الهَشِيمَ وَقَدْ تَنَاهَتْ[3]
بِزِينَتِهَا المَخَارِمُ والهُجُولُ[4]

٢٥- إذَا سَرَحَتْ قِلاَصُ الحَيِّ أَمْنًا
وسَارَتْ عَنْ مَنَازِلِهَا الحُمُولُ

ثَوَوْا أَسْرَى الحِذَارِ وَقَدْ أُرِيحَتْ
مَطِيُّهُمْ وسَامَهَا الذَّمِيلُ[5]

طِلاَبٌ لاَ يُرَوِّعُهُ عِثَارٌ
وعَزْمٌ لاَ يُنَفِّرُهُ نُكُولُ[6]

---

(١) ظ: يذم بها.

(٢) السماوة: بادية السماوة أرض قفرى بين الكوفة والشام. قوله: يذم لها من الطلب الخمول أي إن طلبها الخمول ذم.

(٣) ظ، مط: وقد تباهت.

(٤) الهشيم: النبت اليابس المتكسر أو الذي بقي من عام أول وهو المقصود. تناهت بِزِينَتِهَا: قضت عليها. المخارم: أفواه الفجاج والطرق في الغلظ والجبال والرمل. الهجول جمع هجل وهو المنفرج من الجبال مطمئنًا، موطئُهُ صلب.

(٥) الذميل: ضرب من سير الإبل، قال أبو عبيدة: فإذا ارتفع السير عن العنق فهو التزيد، فإذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل، ثم الرسيم، قال الأصمعي: ولا يذمل بعير يومًا وليلة إلا مهري - الصحاح - وقصد الشاعر مطلق السير. سامها الذميل: أي أنهم لا يغادرون بيوتهم لجبنهم، وبذلك تستريح مطاياهم ولا تتعرض إلى السير المضني.

(٦) أخذ يخاطب الممدوح مباشرة فكأنه أجمل ما تقدم فقال: هذا طلابك: طلاب لا يروعه عثار، وعزمك عزم لا ينفره نكول. وإنما حذف للتوكيد. والمقصود بالنكول العجز والخيبة في المسعى.

وَمُلْكٌ شَادَهُ[1] طَعْنُ الهَوَادِي
تَزُولُ الراسِيَاتُ ولا يَزُولُ
حَمَاهُ مِنْ مُخَاتَلَةِ اللَّيَالِي
فَتًى مِثْلُ المُرَادِ بِهِ جَلِيلُ[2]
٣٠- تُحَاذِرُ بَأْسَهُ سُمْرُ العَوَالِي
فَفِيهَا مِنْ مَهَابَتِهِ ذُبُولُ
وَيُطْلِعُ في ظَلامِ النقْعِ مِنْهَا
نُجُومًا في النحُورِ لَهَا أُفُولُ[3]
مِنَ القَوْمِ الذِينَ لَهُمْ أَكُفُّ
تَنَاذَرَهَا[4]- فَتَنْجَابُ -المُحُولُ[5]
كُهُولُهُمُ إذَا غَضِبُوا شَبَابٌ
ومُرْدُهُمْ إذَا حَلُمُوا كُهُولُ[6]
إذَا رَاعَتْ سُيُوفُهُمُ المَطَايَا
تَمَنَّتْ أن مَالِكَهَا بَخِيلُ[7]

(١) ق، مط: وملك ساده - بالسين المهملة - والهوادي الأعناق، ومفرده هاد. والهادي كذلك المتقدم من كل شيء.

(٢) سقط البيت من مط. قوله: المراد به.. أي ما يطلبه هذا الفتى لنفسه ولملكه.

(٣) نجوما: شبه الأسنة في ظلام النقع بالنجوم.

(٤) ظ، م: تبادرها.

(٥) أصل التركيب في عجز البيت: تتناذر المحول الأكف، فتنجاب هذه المحول، أي يخوّف كل منهما صاحبه ويحذره فتكون الغلبة للأكف وذلك لكثرة جودها. المحل: انقطاع المطر واحتباسه في حينه.

(٦) ظ، م: إذا حملوا.

(٧) قوله: ((تمنت أن مالكها بخيل)) كناية عن الكرم أي تتمنى المطايا أن مالكها بخيل لكثرة ما يعقرها لضيوفه وعفاته.

٣٥- غَدَتْ غُـرَرًا عَلَـى هَـامِ الأَعَـادِي
وهُـنَّ عَلَـى مَنَاسِـمِهَا حجـولُ[١]

وقَفْـرٍ قُيِّـدَتْ فِيـهِ الـدَّيَاجِي
فَمَـا لِخِـضَابِهَا عَنْـهُ نُـصُولُ[٢]

تَـسَتَّرَ فِيـهِ ضَـوْءُ الـصُّبحِ خَوْفًـا
فَـنَمَّ بِـسِرِّهِ الـسَّيْفُ الـصَّقِيلُ[٣]

تَمُـرُّ بِـهِ الـسَّحَائِبُ خَائِفَـاتٍ
فلَـيْسَ لَهَـا بِـسَاحَتِهِ هُمُـولُ[٤]

أَقَـامُوا في غَيَاهِبِـهِ العَـوَالِي
مَنَـارًا مَـا يَـضِلُّ بِـهِ[٥] سَـبِيلُ

---

(١) ((وهن على مناسمها حجول)): شبه بياض السيوف عاملة في قوائم المطايا بالتحجيل. أما حين ترفع السيوف على هامات الأعادي، فهي تشبه الغرر لبياضها ونصوع شفرتها.

(٢) ظ: وقفر بالرفع. الخضاب: ما يختضب به، واختضب بالحناء ونحوها: غير لونه بها. أراد أن الدياجي خضبت القفر بلونها فلم ينصل. والنصول ذهاب اللون. نصل الشعر: زال عنه الخضاب. جعل الدياجي خضابًا ثابتًا للقفر.

(٣) ((تستر فيه ضوء الصبح)) أي في القفر. وعجز البيت كناية عن امتلاء المكان بسيوف الممدوح.

(٤) عزا الخوف إلى السحائب مبالغة في تأكيد قوة الجند أو إشارة إلى كثرة ما يسيل من دماء الأعداء أو للإشارة إلى جوده. ولعله يعرض بناصر الدولة حين قصد حلب ليحتلها فنـزل بصليدى (٣٣٩هـ) على نهر قويق فجاءهم سيل بالليل كاد يهلكهم فانهزم ناصر الدولة عن حلب إلى دمشق، فقبض عليه الأمير منير الدولة وسيّره إلى مصر (٤٤٠هـ)، كما هو مفصل في زبدة حلب: ٢٦٤/١. وقد يكون الشاعر قصد هذه المعاني كلها.

(٥) كذا ورد الشكل في النسخ. ونرجح ((ما يضل)) بالبناء للمجهول. ولعله أراد: ما يَخْفَى به السبيل.

٤٠- حَـــذَارِ فَـــإن في (حَلَـــبٍ) لُيوثًـــا
أَنابِيـــبُ[١] الرمَـــاحِ لَهُـــن غِيـــلُ[٢]

ومِـــنْ بَطْـــنِ (الـــشآمِ) إلى (دُجَيْـــلٍ)
مَرَاتِـــعُ نَبْتُهَـــا الأَسَـــلُ الطوِيـــلُ[٣]

يُـــشَيدُ[٤] دُونَهَـــا الـــ (بَنِـــي كِـــلاَبٍ)
بُيُـــوتٌ مَـــا يُـــضَامُ لَهَـــا نَزِيـــلُ

تَـــسِيلُ شِـــعَابُهَا بَنَـــدَى (ثِمَـــالٍ)
فَلَـــيْسَ لَهَـــا إلَـــى كَـــلأٍ رَحِيـــلُ[٥]

تَغَمـــدْ حُرْمَهَـــا[٦] إنْ طَـــاحَ حِلْـــمٌ
وصَـــلتْ عَـــنْ هِـــدَايَتِهَا عُقُـــولُ[٧]

٤٥- وصُـــنْهَا فَهْـــيَ في يُمْنَـــاكَ عَـــضْبٌ
يَزِينُـــكَ حَمْلُـــهُ وبِـــهِ تَـــصُولُ

---

(١) ظ. وآجام.

(٢) حلب موطن الشاعر ومركز إمارة الممدوح، ولذلك خصها بالذكر.

(٣) دُجَيْل: اسم نهر في موضعين، أحدهما مخرجه من أعلى بغداد، بين تكريت وبينها، مقابل القادسية دون سامراء؛ والثاني بالأهواز. والأول هو المقصود. وفي قوله ((مراتع ...)) تهكم لاذع.

(٤) م: تشيد.

(٥) سقط البيت من م سهوا من الناسخ. في البيت إشارة إلى الرغد الذي عمّ الناس في أيامه، انظر ق ١٣.

(٦) ف، ق، ك، مط: جرمها. م: حزمها.

(٧) تغمد حرمها: أي اتخذ منعتها غمدًا يقيك ويسرك ويقويك. والضمير في (صنها) يعود على البيوت في البيت السابق وهي على المجاز. أراد: ليكن قومك عضدك.

فَـ ـدُونَكَ عَاجَلْـ ـتْ وَخْـ ـزَ العَـ ـوَالِي
كَـ ـأن الـ ـرمْحَ يطْعُنْـ ـهُ التِلِيـ ـلُ[1]
وَتحْـ ـتَ لِـ ـوَائِكُمْ صَـ ـعُبتْ[2] إِبـ ـاءً
فَلَـ ـمْ يُرْكَـ ـبْ لَهَـ ـا ظَهْـ ـرٌ ذَلُـ ـولُ
ولم يُعْـ ـ ـرَفْ لِمُـ ـ ـصْعَبِهَا قُتُـ ـ ـودٌ
ولم يُمْلَـ ـكْ لِـ ـشَارِدِهَا جَـ ـدِيلُ[3]
أرَى إبِلِـ ـي شَـ ـوَارِعَ مِـ ـنْ قُنُـ ـوعِي
مَـ ـوَارِدَ مـ ـا يُبَـ ـل بِهَـ ـا غَلِيـ ـلُ[4]
٥٠- وآمَـ ـ ـالِي مُطَرحَـ ـ ـةً بِطَـ ـ ـاءً
يُنَـ ـازِعُ دُونَهَـ ـا قَـ ـدَرٌ مَطُـ ـولُ[5]
أُعِيـ ـذُ نَمِـ ـيرَ وِرْدِكَ مِـ ـنْ أُوَامِـ ـي
وقَـ ـ ـدْ أَوْدَى بِجُمتِـ ـ ـهِ النهُـ ـ ـولُ[6]

---

(١) التليل: العنق. يقول إن قومك لم يألوا جهدًا في نصرتك فكأن أعناقهم هي التي تسابق العوالي إلى الطعن من أجلك.
(٢) ظ: صعب. م: عصيت.
(٣) المصعب: الفحل الذي يترك ويعفى من الركوب والحمل. القتود جمع قتد وهو خشب الرحل أو جميع أداته. الجديل: الزمام المجدول أي المفتول من أدم أو من شعر والضمائر تعود على بيوت بني كلاب
(٤) إبلي شوارع: أي قاصدة لتشرب، مجاز مرسل.
أراد أن إبله نلت من موارد القناعة فما بلت غليلاً.
(٥) ينازع دونا قدر: أي زمان.
والمطول - من المطل - مبالغة في الماطل.
(٦) الجمة: الماء أو معظمه والثاني هو المقصود. النهول: الشاربون للمرة الأولى حتى رووا، والعطاش (ضد).
يطلب إليه أن يعطيه وإن كان كرمه الذي لا حد له أودى بمعظم ماله.

وَهَــلْ يَرْضَــى لَــكَ الكَــرَمُ اطِّرَاحِــي
وَلَــوْ أَنِّــي لِجُــودِكُمُ عَــذُولُ؟[1]

فَمَــا يَــسْمُو الزَمَــانُ إِلَــى قِرَاعِــي
وَظِــلُّ جَنَــابِكُمْ أَبَــدًا ظَلِيــلُ

وَلاَ تَــسْطُو عَلَــيَّ يَــدُ اللَيَــالِي
وَظَنِّــي فِي رَجَــائِكُمُ جَمِيــلُ

أربعة وخمسون بيتًا

[١٤]*

قال يمدح الأمير عزيز الدولة أبا الدوام ثابت بن معز الدولة في سنة ست وأربعين وأربعمائة[2]: [رمل]

---

(١) ولو أني لجودكم عذول: أي ولو أني ألومكم على مبالغتكم في الكرم.

(*) القصيدة في ف، ك ١٦، مط ١٤، ق ٢٥، ظ٢٣، م ٧.

(٢) لم نجد ترجمة الممدوح فيما بين أيدينا من المصادر، ويذكر ابن العديم في زبدة

أَتظُـ ـن الـ ـوُرْقَ في الأيْـ ـكِ تُغَنـ ـي؟
إنهَـ ـا تُـ ـضْمِرُ[1] حُزْنًـ ـا مِثْـ ـلَ حُزْنِـ ـي[2]

لاَ أَرَاكَ اللهُ نَجْـ ـ ـ ـ ـدًا بَعْـ ـ ـ ـ ـدَهَا
أيهَـ ـا الحَـ ـادِي بِنَـ ـا[3] إنْ لم تُجِبْنِـ ـي![4]

هَـ ـلْ تُبَـ ـارِينِي إلى بَـ ـثّ الجَـ ـوَى
في دِيَـ ـارِ الحَـ ـيِ نَـ ـشْوَى ذَاتُ غُـ ـصْنٍ؟[5]

زبدة الحلب (مج١) أن ثمال بن صالح بن مرداس كان أمير حلب واقتضته السياسة أن يستميل الفاطميين، وفي شهر محرم من سنة ٤٤٧ هـ وصلته خلع من مصر مع أبي الغنائم صالح بن علي بن أبي شيبة، وأصاب من هذه الخلع أبو الدوام ثابت بن معز الدولة فمدحه ابن سنان بهذه المناسبة، انظر ق١٥.

(١) ظ: إنما.

(٢) الورق ج ورقاء: الحمام يضرب لونه إلى الخضرة، وقصد به مطلق الحمام، الأيك الواحدة أيكة: الشجر الملتف الكثير. يقول: أتظن الحمام يغني على غصون الأيك؟ لا! بل هو يبكي لأنه يضمر من الحزن ما أضمر.

(٣) ما أثبتناه من م، ط، وفي سائر النسخ: الحادي بها.

(٤) نجد مواضع مرتفعة عالية ببلاد العرب يذكرها الشعراء في غرامياتهم، لارتفاع مواضعها وطيب هوائها وجمال أهلها قال ابن الدمينة: [طويل]

ألا يا صَبا نَجدٍ مَتى هِجتِ مِن نَجدِ؟ لقد زادَني مَسراكِ وَجدًا علَى وَجدِي

(الديوان: ٨٥، التبريزي: ديوان الحماسة ٢٥٦/٣)

وقد يكني الصوفية بنجد عن الجسم الطبيعي المطهر من الأخلاق الذميمة كما في قول ابن الفارض [كامل]:

أوميـ ـضُ بَـ ـرقٍ بالأبيـ ـرقِ لاحَا أم في رُبـ ـا نَجدٍ أرى مِصْبَاحَا

(الديوان: ٣٨/٢).

يقول: أيها الحادي! لا أراك الله نجدًا ومن تتغنى به مِنْ نسائه، إن لم تجبني عن سؤالي.

(٥) باراه سابقه وعارضه. الجوى: الهوى الباطن. النشوى مؤنث نشوان: السكرى. يقول: أتسابقني هذه الوُرْق التي تتغنى على أغصاننا إلى التعبير عن الهوى

هَــبْ لَهَــا الــسّبْقَ ، وَلَكِــنْ زَادَنَــا

أنَنَـ ـــا نَبْكِـ ـــي عَلَيْهَـ ـــا وُتَغَنـ ـــي[1]

٥- يَـا زَمَـانَ الخَيْـفِ هَـلْ مِـنْ عَـوْدَةٍ

يَـسْمَحُ الـدّهْرُ بِهَـا مِـنْ بَعْـدِ ضَـنٍ؟[2]

أَرَضِـيِنَا بِـ ـ ـ (ثَنِيـاتِ[3] اللِّـوَى)

عَـنْ (زَرُودٍ)؟ يَـا لَهَـا صَـفْقَةَ غَـبْنٍ![4]

الباطن في ديار الحي حي المحبوبة؟

(١) يقول: هب أنا فاقتني في التعبير عن الجوى، غير أنا لا تزيد على أن تتغنى بنغمات شجية، أما أنا فأبكي حقيقة عليها وأبث وجدي با وشتان ما بيننا.

ولا يخفى أن الشاعر في هذين البيتين يكني بالحمامة عن محبوبته ويصف رشاقتها وحسن قوامها؛ وتعبيره يدل على ذلك (في ديار الحي - نشوى ذات غصن - نبكي عليها).

(٢) الخيف ما انحدر من غلظ الجبل، وارتفع عن مسيل الماء، وكل هبوط وارتقاء في سفح جبل، وغرة بيضاء في الجبل الأسود خلف أبي قبيس وبا مسجد الخيف، قال نصيب، وقيل البيت للمجنون [طويل]:

ولم أرَ ليـلى بعدَ مَوقفِ ساعةٍ بخيفِ مِنى تَرمِي جمارَ المحصّبِ

(معجم البلدان مادة خيف)

والخيف - ويدعى أيضا خيف بني كنانة وخيف المحصّب - مبتدأ الأبطح بِمِنًى، كثيرًا ما يذكره الشعراء الغزليون والصوفية، والشاعر هنا يتمنى أن تعود أيامه التي قضاها بالخيف، وأن يسمح بذلك الدهر بعد ما بخل.

(٣) م: بثنيات الحمى.

(٤) الثنية والجمع ثنيات: العقبة المسكوكة أو طريقها، والجبل أو الطريق فيه أو

سَــلْ أَرَاكَ (الجِــزْعِ) هَــلْ جَــادَتْ بِــهِ
مُزْنَــةٌ رَوتْ ثَــرَاهُ[1] مِثْــلَ جَفْنِــي[2]
وأحَادِيــثُ (الغَــضَا) هَــلْ عَلِمَــتْ

إليه. اللوى ما التوى من الرمل أو مُسْتَرَقُهُ، وقال ياقوت الحموي ((هو في الأصل منقطع الرملة، يقال قد ألويتم فانزلوا إذا بلغوا منقطع الرمل، وهو أيضًا موضع بعينه قد أكثر الشعراء من ذكره، وخلطت بين ذلك اللوى والرمل فعزّ الفصل بينهما)) اهـ. ويورد المتصوفة في أشعارهم (ثنيات اللوى) كانين بها تارة عن الصفات الربانية، يقول ابن الفارض [كامل]:

وإذا وَصلتَ إلى ثَنِيّاتِ اللوى فانشُدْ فُؤادًا بالأُبيطِحِ طاحَا

(الديوان ٤١/٢)

وزرود: رمال بين الثعلبّية والخزْيمِيةِ بطريق الحاج من الكوفة، كثيرًا ما نجدها في الشعر، قال مهيار [كامل]:

ولقَد أحِن إلى زَرُودَ وطِينتي مِن غَيرِ ما جُبِلَت عَلَيهِ زَرُودُ

(الديوان ٣٢٧/١)

وقول ابن سنان (عن زرود) متعلق برضي، فكأنه قال: أرضينا عن زرود بثنيات اللوى؟ والقاعدة في مثل هذا التركيب، دخول الباء على المتروك كقوله تعالى:﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الذِي هُوَ أَدْنَى بِالذِي هُوَ خَيْرٌ﴾(البقرة: ٦١). يقول: أنقنع بوصولنا إلى زرود، ولا نتابع سيرنا حتى نبلغ ثنيات اللوى!؟ يا لها صفقة خاسرة! والبيت كناية عن أنه لم يبلغ مراده مع أنه كان قريبًا من الغاية.

(١) في ف، ق، ك، مذ: روت ثراها، وما أثبتناه من ظ، م.

(٢) الجزع: منعطف الوادي أو وسطه، ويقصد به مكانًا معينًا. يصف الشاعر كثرة بكائه على الحبيب وهذا معنى شائع في الأدب العربي يقول ابن الفارض [كامل]:

وبِجِزْعِ ذيّاكَ الحِمَى ظَبيٌ حَمَى بظُبى اللواحظ إذ أحاذ إخـاذا
هي أدمعُ العشّاقِ جادَ وَلِيهَا الـ ـوادي ووالى جُودُهَا الألْوَاذَا

(الديوان ١٢٥/١-١٢٦)

(أحاذ: غلب، الإخاذ: مجتمع الماء كالغدير، الألواذ: جوانب الجبل) والنفحة الصوفية ظاهرة في هذا الجزء من قصيدة ابن سنان.

أنهَـا تَمْلِـكُ قَلْبِـي قَبْـلَ أُذْنِـي[1]

لَـسْتُ أرْتَـاعُ لِخَطْـبٍ نَـازِلٍ

إنمَـا الخَـوْفُ لِقَلْـبٍ مُطْمَـئِن[2]

١٠- وكَـرِيمِ القَـوْمِ لاَ أسْـألُهُ

فَلِمَـاذَا يُعْـرِضُ البَاخِـلُ عَنـي؟[3]

قَـدْ رَضِيْنَـا[4] بِإِبَـاءٍ عَـنْ غِنًـى

وبِعِـزِّ اليَـأسِ عَـنْ ذُلِّ التَمَنِّـي[5]

صَـاحِبِ الـدهْرَ قَلِـيلاً تَعْتَـرِفْ

---

(١) الغضا من نبات الرمل له هدب كهدب الأرطى، وواد بنجد سمي كذلك لكثرة الغضا به، ذكره الشعراء كثيرًا قال مالك بن الريب [طويل]:

لقد كانَ في أهلِ الغَضا لو دَنا الغَضا   مَزارٌ ولكن الغَضا ليسَ دانِيا

(معجم البلدان، مادة الغضا)

وقول ابن سنان (أحاديث الغضا) أراد أحاديث أهل الغضا (مجاز) وقصد على وجه الخصوص حلاوة حديث محبوبته فقلبه يسمعه قبل أذنه.

(٢) يريد أن القلب المطمئن يأخذه الحب على غرة وهذا كقول عمر بن أبي ربيعة: [خفيف]

((ثم مـا نِمتُ بَعدَكُم مِن مَنـامٍ   مُنذُ فارَقتُ أرضَكُم مُطمَئِنّا

(الديوان: ٢٦٨)

(٣) في هذا البيت يعرض بشخص لا يذكره وبهذا ينتقل إلى غرض آخر مفتخرًا شاكيًا دهره ممهدًا لمدح عزيز الدولة.

(٤) قد رضينا.

(٥) الإباء: من أبى عليه امتنع، ونفس أبية لا تقبل الضيم والهوان. فضل عزة النفس مع الناس على الغنى مع الذل.

ِفِيــهِ بِالــسجْلَيْنِ مِــنْ سَــهْلٍ وحَــزْنِ[1]

يُخْبِـــرُ الـــصاحِبُ عَـــنْ إِخْوَانِـــهِ

فَاسْــأَلِ الــصارِمَ مَــا يَعْــرِفُ مِنــي[2]

وذَلِيـــلٍ مُوْعِـــدٍ لِـــي بِـــالردَى

إِنمَـــا يَطْمَـــعُ أنْ يُحْـــسَبَ[3] قِرْنِـــي[4]

١٥- نَـــمْ عَلَـــى ظَلْعِـــكَ مَـــا رُعْـــتَ بِهَـــا

إِنمَـــا قَعْقَعْـــتَ للطَـــوْدِ بِـــشَنِ[5]

لَـــسْتُ أَرْضَـــاكَ لِحَرْبِـــي فَـــاحترز

---

(١) السجل والسجال في الأصل الدلو العظيمة، وعنه تفرعت المعاني الأخرى، يقال فلان عظيم السجل أي العطاء ، وأعطاه سجله من كذا أي نصيبه، وله من الـد سجل سجيل، والحرب سجال مرة على هؤلاء وأخرى على هؤلاء. اعترف هنا بمعنى عرف. الحَزن: ما ارتفع من الأرض. يشير إلى أن الدهر حُول قُلب، سرعان ما ينتقل من السهل إلى الصعب ومن اليسر إلى العسر.

(٢) يقول: إن من صاحب قومًا عرف طباعهم فهو الأولى بأن يخبر عنهم، وسيفه خير من يخبر عن شجاعته وبأسه.

(٣) ف، ق، ك: تطمع أن تحسب.

(٤) يتهكم بعدو له، يقول إنه توعّده بالقتل ليعدّه الناس من أضرابه وأقرانه وما هو بذلك.

(٥) الظلع من ظلعت الدابة في مشيها. ونم على ظلعك، أي إنك ضعيف فانته عما لا تطيقه. ويقال «اربع على ظلعك»، و«ارْق على ظلعك» أي تكلف ما تطيق. الطود: الجبل المنطاد في السماء الذاهب صعدًا. الشن والشنة: القربة البالية الصغيرة. وقوله ما رعت بها: ما نافية، والقعقعة تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت. وفلان لا يُقَعْقَعُ له بالشنان.

بِـذِمَامِ[1] الهُـونِ مِـنْ ضَـرْبِي وطَعْنِـي[2]

مِيـسَمٌ يُـشْهَرُ قَـدْرًا خَـامِلاً

أنـتَ مِـنْ لَذْعَتِـهِ في شَـر[3] أمْـنِ[4]

كُـنْ مَـعَ الأيـامِ إِلْبًـا إنمَـا

صُـلْتَ في البُخْـلِ[5] بِكَـفٍ لم تَنَلْنِـي[6]

بِعَزِيـزِ الدَّوْلَـةِ امْتَـدتْ يَـدِي

فَعَلَـى فَـرْعِ الـسهَا أسْـحَبُ رُدْنِـي[7]

---

(١) مط: بزمام.
(٢) البيت من باب التهكم. يقول: اذهب في أمان محترزًا بوانك من ضربي وطعني.
(٣) ف، ق، ك، مط: في سر أمن.
(٤) الميسم آلة يوسم بها، يقال وسم دابته بالميسم وسمًا وسمة وهو موسوم بالخير والشر ومتسم به، ووسمه بالهجاء ومنه قول الفرزدق [وافر]:

لقد قلدْتُ حِلْفَ بني كُليبٍ مَواسِمَ في السوابِقِ خالِداتِ

(الديوان ١٢٧)

ولذعه بلسانه: قال ما يُوجِعُه. يقول: أربأ بنفسي أن أضعَ عليك هذا الميسم، وأنت من لذعته في أمنٍ لا يزيدك إلا ضعةً وهَوَانًا.
(٥) وردت في ظ روايتان: صلت في البخل، صلت في الدهر. ينلني.
(٦) الإلب - وأصله الاجتماع- التدبير على العدو من حيث لا يعلم، يقال هم عليه ألْب وإلْب واحد، أي مجتمعون عليه بالظلم والعداوة، وتألبوا عليه اجتمعوا. يقول: كن مع الدهر عدوًا علي، لكن صولتك لا تضيرني لأنك بخيل فكفك لا تنالني.
(٧) إلسها: كوكب خفي صغير مع أوسط بنات نعش يسمى أسلم، ومنه المثل ((أريها السها وتريني القمر)) و((فلان لا يفرق بين السها والفرقد)). وفرع السها: رأسها على سبيل الاستعارة المكنية، لأن الفرع أعلى الشيء ؛ ومنه فلان فرع قومه أي شريفهم. والردن أصل الكمّ وقصد به الثوب من إطلاق الجزء وإرادة الكل. يقول: طال باعي بعزيز الدولة حتى صرت في أعلى المراتب. ومن عادة الشعراء أن يجعلوا الممدوح أرفع منـزلة من الكواكب والنجم، يقول المعري في إبراهيم بن موسى بن إسحاق [خفيف]:

أنتَ كالشمسِ في الضياءِ وإن جا وَزْتَ كَيْـوانَ في عُـلو المَكانِ

(سقط الزند: ٩٧).

٢٠- سَلْ صُـرُوفَ الـدهْرِ عَنـي[1] عِنْـدَهُ
أي إِبْـ ـ ـآءٍ وِفْـ ـ ـي أي مِجَـ ـ ـن[2]

قَـ ـادَنِي بَعْـ ـدَ شِمَاسِـ ـي بِـ ـشْرُهُ
لَـ ـوْ بَغَـ ـانِي بِـ ـسِوَاهُ[3] لم يَقُـ ـدْنِي[4]

سَـ ـبَقَ النـ ـاسَ إِلَيْهَـ ـا صَـ ـفْقَةً
لم يَعُـ ـدْ رَائِـ ـدُهَا عَنْهَـ ـا بِغَـ ـبْنِ[5]

---

(١) أثبتنا رواية م، ظ، وفي سائر النسخ: عندي إنه.

(٢) الإِبْآء في اللغة دبغ الأديم، وقصد به الصيانةَ، عبّر عن المعنوي بالمحسوس، والمجن: الترس من جَنُهُ وجن عليه ستره. يقول: سل عني صروف الدهر تخبرك أنني عند هذا الممدوح في صيانة وحرز، بما أغدق علي من نعمه، وما حاطني به من رعايته.

(٣) م: لسواه.

(٤) الشمَاس والشموس أن يمنع الفرس ظهره والمتشمس القوي الشديد، ومن المجاز: رجل شَمُوسٌ الأخلاق، وشَمَسَ لي فلان أبدى عداوته وكاد يوقع بي، قال الأخطل في مدح الأمويين [بسيط]:

شُمْسُ العداوة حتى يُسْتَقَادَ لهم وَأعظمُ الناسِ أحْلامًا إذا قدروا
(الديوان: ١٠٤)

والبِشْر: طلاقة الوجه والارتياح للمعروف، مأخوذ من البَشَرَة. وفي هذا البيت إشكال أو نقص في الذوق أو تعمد من الشاعر.. لأن الإنسان لا يمدح بمثل هذا المعنى فلا يقال لو قربني هذا الممدوح بغير بشره لما اقتربت منه. ثم إن قوله (قادني بعد شماس) نَابٍ تتجافى عنه الأذواق السليمة ولو كان بين المادح والممدوح سابق قطيعة، ثم إن فيه جرأة لا يقبلها العظماء.

(٥) نصب (صفقة) لأنا ميزت الضمير في إليها.

يقول: سبق الناس بالجود إلى هذه الصفقة الرابحة، ولا يبوء السابق إليها بخسران. وفي مط: لم يعد رائدها عني بغبن.

قَـ ـصَرَتْ آمَالُنَـ ـا عَـ ـنْ جُـ ـودِهِ
فَعَلَيْـ ـهِ لا عَلَـ ـى الآمَـ ـالِ نُثْنِـ ـي[1]

لا تَلُومُـ ـ ـ ـوهُ عَلَـ ـ ـ ـى إِقْتَـ ـ ـ ـارِهِ
يَهْـ ـدِمُ المُتْـ ـرِبُ والمُـ ـنْفِضُ[2] يَبْنِـ ـي[3]

٢٥- وكَـ ـأن المَـ ـالَ آلَـ ـى حِلْفَـ ـةً
لأُهِيـ ـ ـنَن بَخِـ ـ ـيلاً[4] لم يُهنـ ـ ـ ـي

مِـ ـنْ كِـ ـرَامٍ أُدبَ الـ ـدهْرُ بِهِـ ـمْ
بَعْـ ـدَمَا كَـ ـانَ عَلَـ ـى الأحْـ ـرَارِ يَجْنِـ ـي[5]

نَقَلُـ ـوا سُـ ـمْرَ القَنَـ ـا يَـ ـوْمَ الـ ـوَغَى
عَـ ـنْ سِـ ـيَاطٍ[6] مِثْلِهَـ ـا في الطعْـ ـنِ لُـ ـدْنِ[7]

---

(١) يقول: فاق جوده آمالنا، فنحن نثني عليه لا فرحًا ببلوغ آمالنا وتحقيق مرادنا، بل فرحًا بمزاياه.
(٢) م: المنفص.
(٣) الإقتار مصدر أقتر، قلّ ماله وله مع ذلك بقية، أترب: استغنى وكثر ماله فصار كالتراب، الإنفاض هنا قلة المال. يقول: لا تلوموه على قلة ماله الناتجة عن كرمه الذي لا يجارى، فقد يفسد الغني ببخله ويصلح قليل المال بجوده، فالبخل والكرم من الطباع المركبة في الناس لا من قلة المال أو وفرته.
(٤) ظ: لأهينن كريما..
(٥) يذكر انتساب الممدوح إلى قوم كرام أدبوا الدهر على إساءته إلى الأحرار.
(٦) م، ذ: بسياط.
(٧) قيل سمي السوط بذلك لأنه يخلط الدم باللحم (من ساط: خلط) والحقيقة أن اللفظ آرامي Chawto ويعني القضيب في لغته الأصلية. اللدن ج لدنة: اللينة، وباللدانة توصف الرماح.
يقول: إن كان الممدوح يستعمل السوط في التأديب فإنه في الحرب يلجأ إلى سمر القنا وهي مثل السياط في لدونتها وأثرها.

كُـ ـل مَيـ ـاسٍ جَـ ـرَتْ أَعْطَافُـ ـهُ
وعَوَالِيـ ـهِ عَلَـ ـى حُكْـ ـمِ التَثَنـ ـي[1]

هِـ ـزةٌ لِلْجُـ ـودِ صَـ ـارَتْ نَـ ـشْوَةً
لم يُكَـ ـدرْ عِنْـ ـدَهَا العُـ ـرْفُ بَمَـ ـن[2]

٣٠- طَلَبُـ ـوا الـ ـشأوَ فَـ ـوَافَى سَـ ـابِقًا:
جَـ ـذَعٌ غَبـ ـرَ[3] في وَجْـ ـهِ المُـ ـسِن[4]

صِـ ـيغَ لِلْفَـ ـضْلِ مِثَـ ـالاً شَخْـ ـصُهُ
إنمَـ ـا مَادِحُـ ـهُ لِلْفَـ ـضْلِ يَعْنِـ ـي[5]

---

(١) أعطاف ج عطف، والعطف من كل شيء الجانب. والعوالي ج عالية وهي أرفع الشيء.

أرسل هذا البيت حكمة تجري على السياط والرماح والغواني وأولي السماح والأريحية وغير ذلك. ثم إن الشاعر ربط به بين البيتين: ((نقلوا سمر القنا)) و((هزة للجود صارت نشوة)).

(٢) يقول: لا يكدر معروفه بِمَنّ وهو يهتز للجود ويرتاح إليه إلى حد النشوة.

(٣) ظ: طلب الشأو.. جدع غر في وجه المسن.

(٤) الشأو: الغاية. يقول: بارى غيره في الكرم فكان السابق، فهو كالجذع من الخيل يسبق المسن منها دائما، وهذا كقول الحريري في المقامة المراغية: ((وبرّز فيه الجذع على القارح))، وعكس المثل ((جرى المذكيات غلاب)) والذي اقتبسه ابن زيدون في مدحه لابن جهور [طويل]:

((رأيُتكَ جاراكَ الوَرَى فغَلَبْتَهُم   لذِلكَ جَريُ المُذكياتِ غِلابُ))

(الديوان: ٣٧٩).

(٥) يقول: صاغ الله شخص الممدوح مثالاً للفضل، فكل مادح له مادح في الحقيقة للفضل.

هُـوَ في الـلأوَاءِ رُكْنِـي، لاَهَفَـتْ
رِيحُـكَ النكْبـاءُ يَـا دَهْـرُ بِرُكْنِـي![1]

يَـا ابْـنَ (فَخْـرِ الْمُلْـكِ)[2] فَخْـرًا إِنَّـهُ
نَسَـبٌ يُقْنِـعُ في الْمَجْـدِ وَيُغْنِـي[3]

قُـدْتُ مَـدْحِي بَعْـدَمَا كَانَـتْ[4] بِـهِ
عِزَّةُ السِّرَّيْنِ مِـنْ[5] صَـدْرِي وجَفْنِـي[6]

---

(١) اللأواء: الشدة والمحنة. لا: دعائية. هفت الريح: هبت. نكبت الريح: مالت عن مهاب الرياح، والنكباء: التي تب بين الصبا والشمال خاصة، وهي تلك المال وتحبس القطر. يقول: إن الممدوح ركني، وملجئي في الشدائد فلا أصاب هذا الركن مكروه! فخر الملك وفخر الدين وفخر الدولة ألقاب لكثير من عظماء القرنين الرابع والخامس.

(٢) ف، ق، ك: فخر الدين.

(٣) ينوه بنسب الأمير عزيز الدولة أبي الدوّام ثابت بن معز الدولة. يقول: إن نسبك خير نسب فافخر به، وفخر الملك من ألقاب أبيه، وكانوا في ذلك العهد يضفون على الشخص الواحد عدة ألقاب.

(٤) ف، ك، ظ: قُدْتَ.

(٥) ظ: عزة الشرين. م: في صدري.

(٦) يقول: قدت إليك مدحي وخصصتك به بعد أن صنته طويلاً في صدري، ولم يبح به جفني، فهو إذن سر مكين. وهذا البيت مشكل لأن الإنسان لا يستر إلا ما يخاف أن ينتشر وفي هذا غض من قدر الممدوح، إلا أن يكون السر هنا بمعنى الإعلان كقوله تعالى: ﴿وَأَسَروا النَدَامَةَ لَما رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ (يونس: ٥٤)، أي أعلنوها، لأن (السر) من الأضداد، ويكون معنى البيت: قدت مدحي إليك؛ ولعل المعنى: مدحتك وقلبي مطمئن معتز بما أقول وعيني قريرة به، أوقدته إليك بعدما كان مكينا في قلبي وعيني. ولك أن تقدر معنى غير هذا..

٣٥- وأتى دونَ لئامٍ تبِعوا[1]
سُنّةَ الأيامِ في بُخْلٍ وجُبْنِ

كُلُّ مَنْ يُسْفِرُ[2] لي عَنْ بِشْرِهِ
لَمْعَةُ الخُلّبِ في المَحْلِ المُبِين[3]

يُتْبِعُ الجُودَ - إذا ما غَلِطَتْ
كَفُّهُ بالجُودِ يومًا - قَرْعَ سِنّ[4]

مِنْ بَني الدهرِ لهُمْ مِنْ لُؤْمِهِ[5]
نَسَبٌ أُلْحِقَ فيهِ الأبُ بِابْن[6]

بَذَلكَ المَعروفَ مَعْ بُخْلِهِمُ
مَنْظَرٌ ما شِئتَ مِنْ قُبْحٍ وحُسْن[7]

٤٠- صَرَفَتْ عَنْكَ الليالي ناظِرًا
لم يَزَلْ يَرْنُو إلى الفَضْلِ بِضِغْن![8]

وَسَمَتْ بي أنْ يُرامى جانِبي
بِرَعادِيدَ مِنَ الأقْوامِ لُكْن![9]

واحد وأربعون بيتًا

---

(١) م: قنعوا - بلا نقط - ظ: وأبى دون. مط: لئام تعبوا. وهذا كله من تصحيف النساخ.
(٢) ظ: كل من يسفره من بأسه لمعة المخلف في المحل المبن.
(٣) بنّ وأبنّ: أقام وثبت، ومعنى البيت واضح.
(٤) البيت تتمة لما قبله يقول: كل من يبدي لي بشره في شدة تعروني إنما يبدي لي بشرًا كاذبًا فعل البرق الخلب في السنة الشهباء، وإذا ما جادت لي كفه غلطًا أتبع جوده بالندم.
(٥) مط: لؤمه ... الحق فيه.
(٦) يقول: هو من بني الدهر اللئيم، ورث اللؤم عن أبيه وبئس النسب والوراثة.
(٧) يعرض الشاعر منظرين مختلفين جود الممدوح وبخل الأعداء.
(٨) في البيت دعاء للممدوح بأن تصرف الليالي حساده الذين لا ينظرون إلى الفضل إلا حاقدين.
(٩) في البيت دعاء لنفسه بأن تقيه الليالي شر الرعاديد (الجبناء) اللكن، الذين لا يظهرون عواطفهم وشرورهم، مما يجعل تعاملهم مع الناس بالختل والمكر.

*[١٥]

قال يمدح الأمير عزيز الدولة أبا الدوام ثابت بن معز الدولة، ويهنئه بخلع وصلته من مصر في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة[1] [طويل]:

(*) ف، ك ١٧، ق ٢٧، ظ ٢٤، م ٢٩، مط ٨٤.

في سنة ٤٤١ هـ أو ٤٤٢ هـ سيّر المستنصر الفاطمي جيشًا كثيفًا إلى حلب بقيادة رفق الخادم، فنـزل بالقرب منها على مشهد الجف. فقاتله الحلبيون وهزموه وأسروه بالقلعة فمات سجينًا. وسير معز الدولة ثمال بن صالح بن مرداس كل من بقي من جند رفق مأسورًا إلى مصر. واقتضت السياسة من ثمال أن يستميل الفاطميين ويلاطفهم بعد هذه الوقعة، فبعث إليهم ببعض الهدايا يحملها شيخ الدولة علي بن أحمد بن الأيسر وولده وثاب، وزوجته علوية المعروفة بالسيدة. فتوثقت الصداقة بين المصريين والمرداسيين. وانتهج ثمال السياسة نفسها مع الروم ليأمن جانبهم. وفي المحرم من سنة ٤٤٧ وصلت ثمالاً خلع من مصر مع أبي الغنائم صالح بن علي بن أبي شيبة، فمدحه أبو القاسم هبة الله بن فارس المؤدب بقصيدة (زبدة الحلب: ٢٦٣/١-٢٦٦). وأصاب من هذه الخلع أبو الدوام ثابت بن معز الدولة فمدحه ابن سنان بذه المناسبة، وعدد بعض ما أهدي إليه. وتعد هذه القصيدة وثيقة تاريخية مهمة. أما سنة ٤٤٨هـ التي تذكرها المقدمة فنستبعدها، لأنا سنة استيلاء المصريين على حلب، كما سبق في تقديمنا للقصيدة الثانية من الديوان.

(١) الأبيات السبعة الأولى نموذج من المعتقدات التي عرفتها الحضارات القديمة من سامية وهندية وصينية ويونانية وغيرها. وهي أن الكائنات - الحي منها والجامد - تخبر الإنسان بما كان وما يكون وما هو كائن، إن عرف كيف يفيد من دلالاتا وإشاراتا وتعبيرها. وعن هذه المعتقدات نشأ التنجيم والزجر والعيافة والعرافة والكهانة والطيرة والفأل. وعنها نشأت فكرة ((تطبيق الآفاق على الأنفس)) التي نجدها في كثير من الكتب الإسلامية. وقد كان العراف مثلاً يعّبر ظواهر الطبيعية كهبوب الرياح ولمعان البروق وحفيف الأشجار ومنطق الطير وحركاته ومرآه. وفي ((رسالة الزجر)) المنسوبة إلى الجاحظ تظهر أهمية الظواهر الطبيعية عند العرب، وخاصة هبوب الرياح ولمعان البرق وحركات الحيوان وأصواته. وذلك مبسوط أيضًا في كتب التاريخ والأدب. وابن سنان في الجزء الأول من هذه القصيدة وفي غيرها يترسم خطا القدماء، إلا أن ذلك لا يكاد يظهر لأن الشاعر يكتفي بالتلميح.

أظُن نَـسِيمَ الـريح مِـنْ حَيْـثُ أَرْسَـلا[١]
أَعَادَ عَلَـى بَـرْقٍ (اللـوَى) مَـا تَحَمـلا[٢]
ومَــا لاحَ مُخْتَــالاً عَلَيْنَــا بِعِلْمِــهِ
وعَــرضَ (بِالــدهْنَاءِ) إلا لِيَــسْألا[٣]
رَوَى مُجْمَــلاً والبَــانُ يَتْلُــو حَدِيثَــهُ
فَفَــسرَ مَــا قَــالَ النــسِيمُ وفَــصلا[٤]
وخَبــرَ بالمَحْــلِ[٥] الركَائِــبَ بَعْــدَمَا
ضَمِنا لَهَـا خِـصْبَ[٦](العُـذَيبِ) تَعَلـلا[٧]

---

(١) ف، ك: أرسلا بالبناء للمفعول، وهي كذلك رواية جيدة.
(٢) اللوى: منقطع الرمل. وموضع بعينه وقد أكثرت الشعراء من ذكره. وهو وادٍ لبني سليم.
(٣) سقط البيت وما يليه من ق، وبقي من القصيدة الأبيات الاثنا عشر الأخيرة. الدهناء في الأصل الفلاة وموضع كله رمل؛ وموضع في بلاد بني تميم مسيرة ثلاثة أيام، لا ماء فيه. وهي سبعة أجبل اشتهرت بوفرة الكلأ مع قلة مائها.
(٤) م: ففسر ... مفصّلا.
(٥) مط: وجزنا محل الركائب وهو خطأ.
(٦) ظ: ضمنا له. ف. ك: خصب.
(٧) المحل: الشدة والجدب وانقطاع المطر ويبس الأرض والجوع، العذيب تصغير العذب، وهو الماء الطيب، وهو ماء معروف بين القادسية والمغيثة، وقيل هو ماء لبني تميم وهو من منازل الكوفة إليه، وكانت مسلحة للفرس، بينها وبين القادسية حائطان متصلان بينهما نخل وهي ستة أميال، فإذا خرجت منه دخلت البادية ثم المغيثة وقد أكثر الشعراء من ذكرها، والعذيب أيضًا ماء قرب الفَرَمَا من أرض مصر. علله بكذا: شغله، وقوله تعلل بكذا أي تشغل، والأولى أن يقول تعليلاً لا تعللاً، ولعل الضرورة الشعرية هي التي أَلْجَأَته إلى هذا الاستعمال. المعنى: كان هذا البرق خُلَّبًا لا مطر في سحائبه، فكأن البان خبر الركائب بجدب قاسٍ بعدما كنا ضمنا لها خصب العذيب لنعللها.

٥- وَمَــا كَــانَ[١] إلا صَــادِقًا غَيْــرَ أنَّــهُ
حَــدِيثٌ هَوِينَــا فِيــهِ أنْ يَتَــأولا[٢]

فَهَــلْ عَلِــمَ[٣] البَــرْقُ اليَمَــانِي أنَنَــا
طَرَقْنَا بِــهِ طَرْقًــا مِــنَ اللَّيْــلِ أكْحَــلا؟[٤]

وَمَــا بَالُــهُ خَــصَّ الغَــضَا[٥] بِابْتِــسَامِهِ
وسَــلَّ عَلَــى رَمْــلِ الــشقِيقَةِ مُنْــصُلا؟[٦]

وفي الركْبِ طَاوٍ لَــوْ أتَــى الــذئْبُ ضَــافَهُ
عَلَــى الــزادِ إمــا غَــارَةً أوْ تَوَســلا[٧]

إذَا خَطَرَتْ مِــنْ جَانِــبِ[٨] البِــشْرِ نَفْحَــةٌ
تَــــرَنحَ في أعْــــوَادِهِ[٩] وَتَمَلْمَــــلا

---

(١) ف، ك، ظ، مط: فما كان.
(٢) تأول الشيء: عبره وأرجعه إلى معناه الحقيقي كما تعّبر الرؤيا، وكثيرًا ما يطلق (التفسير) على ظاهرة النص و(التأويل) على بيان المعنى العميق الباطن. يقول: ما كان البان إلا صادقًا غير أننا وددنا لو فسّر الحديث بغير هذا المعنى الظاهر.
(٣) ف، ك، ظ، مط: وهل علم..
(٤) طرف: أبصر، والطرف العين، والكحَل سواد منابت شعر الأجفان خلقة.
يقول: هل علم البرق اليماني أنه ذكّرنا بلمعانه حبيبنا المتصف بالكحل، وهذا البيت يبين أن هذه المقدمة من القصيدة نسيب لم يرد الشاعر أن يصرح به.
(٥) مط: المضا - وهو تصحيف -.
(٦) الغضا سبق شرحها في القصيدة ١٤ ب ٨.
(٧) الشقيقة: فرجة في الرمال تنبت العشب. المعنى: ما بال البرق ابتسم للغضا وسل سيفه على رمل الشقيقة. والذي أوحى إلى الشاعر بذه الفكرة هو أن الشقيقة مستطيلة فلمعان البرق فوقها يجعلها تذكر الناظر إليها بنصل السيف.
(٨) مط: ما عاداه وهو خطأ. ط: إما غارة أو تفضلا. في هذا البيت وما بعده يطرق الشاعر غرضًا ثانيًا. وقوله ضافه أي نزل به ضيفًا، يريد أن في الركب شخصًا لو أتى الذئب وفي فمه صيده لدنا منه لأخذ بعض ما اصطاده بالقوة أو باللين، وقد عنى نفسه.
(٩) ظ، مط: في جانب البشر.

١٠- يَعُدُّ إبائي للعدوِّ قساوةً
وطَوْعَ قِيادي للصديقِ تَذَلُّلا(١)

يَلُومُ عَلَى عَيْشٍ تَبَرَّضْتُ صَفْوَهُ(٢)
وأيُّ حُسَامٍ لَمْ يُصَادِفْ مَفْصِلا!(٣)

إِلَيْكَ فَإِني قَدْ عَقَلْتُ(٤) رَكَائِبِي
ولم(٥) أَرَ عَارًا مِثْلَ أَنْ أَتَرَحَّلا(٦)

رَمَى الْبُخْلُ طُلابَ الغِنَى في سُؤَالِهِ
وكُنْتُ(٧) عَلَى وَجْهِي أَضَنَّ(٨) وأَبْخَلا(٩)

وأَثْقَلُ رِفْدٍ مَا امْتَطَى المَنُّ ظَهْرَهُ
وشَرُّ ثَرَاءٍ مَا أَتَاكَ تَطَوُّلا(١٠)

---

(١) م: إذا خطرت ... بجة. ظ: ترنح في أعطافه.
(٢) أوردنا البيت بحسب ترتيبه في نسخة ظ، وموضعه من ف، ك، م بعد قوله:
عذيري من الأيام تلقى محاسني.
(٣) ظ، مط: لم يصادف.. البرض الماء القليل ومنه التَبرضُ أي الترشف، انظر ق ٨٥، ب٣. المفصل كل ملتقى عظمين من الجسد، ومعرفة المفاصل (مجازا) دليل على الحذق والمهارة، ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى [طويل]:
دفعتَ بمعروف من القول صائبٍ إذا ما أضلّ القائلين مفاصلُه
(الديوان، ص ١٣٨)
(٤) ظ، م: قد علقت.. تر عارا مثل أن تترحّلا.
(٥) ف، ك، م، مط: فلم..
(٦) المعنى: ابتعد عني فقد عقلت ناقتي وانقطعت عن السفر، وإنني أربأ بنفسي عن قصدهم فإن أشد العار أن ترحل للسؤال.
(٧) ظ: فكنت.
(٨) ف، ك، م: أضِن..، ولم يظهر الشكل في ظ، مط.
(٩) يريد: دفع البخل كل من سأله طالبًا الغنى. وأنا على وجهي أبخل لأنني لا أريق ماءه بالسؤال.
(١٠) هذا البيت والذي يليه من باب (إرسال المثل). والتطول: المن، يقال تطول عليه أي امتَنّ.

١٥- لأَخْلَـفُ غَيْـثٍ بِالـسؤَالِ انْتِجَاعُـهُ
وأَجْـدَبُ رَوْضٍ بِالمَذَالَةِ يُخْتَلَـى[1]
عَـذِيرِي مِـنَ الأَيـامِ تَلْقَـى[2] مَحَاسِـنِي
ذُنوبًـا إِلَيْهَـا وَالعِتَـابَ تَنَـصلا[3]
عَسَى رَائِـدُ الآمَـالِ يَلْقَـى بِـ (ثَابِـتٍ)
مِنَ البِشْرِ رَوْضًا أوْ مِـنَ الجُـودِ جَـدْوَلا[4]
كَـرِيمٌ إذَا ضَـنَ الغَمَـامُ فَكَفُّـهُ
كَفِيـلٌ بِطَـرْدِ العَـامِ أغْبَـرَ مُمْحِـلا[5]

---

(١) م، ط: يجتلى. المراد بالغيث هنا المحسن، وانتجعت فلانًا: أتيته طالبًا معروفه، اختلى العشب: قطعه. يريد أن شر العطاء ما كان عن سؤال يُذِل، ولا يخفى ما في البيت من الاستعارات.

(٢) ظ: تلقي، وسقط ما بعدها من نسخة مط إلى قوله (من البشر روضا).

(٣) العذير: النصير، وتنصل من الجناية: خرج وتبرأ منها.
المعنى: من ينصرني من الدهر الذي يرى إحساني إساءة ومعاتبتي له عجزًا ؟

(٤) إلى هنا ينتهي ما سقط من مط.
ثابت: الممدوح، وهو ثابت بن معز الدولة. يريد: عسى رائد الآمال يلقى بلقاء (ثابت) روضًا من البشر أو جدولاً من الجود.

(٥) الغبراء من السنْين: الجدبة يقال سنة غبراء وعام أغبر، ومن ذلك سمي الفقراء بني غبراء، الممحل مشتق من المحل وهو القحط والجدب. و((أغبر)) و((ممحلا)) حال من العام. ((بطرْدِ العامِ)) من إضافة المصدر إلى مفعوله يقول: إذا بخل السحاب كفلت كف الأمير للناس الخير والغنى، فكأنا تبعد عنهم العام الأغبر الممحل. وكأن الشاعر هنا ينظر إلى قول لبيد في مدح كرم قومه بني عامر:

وَيُكلّلونَ إذا الرّياحُ تَناوَحَت قَلِجًا تمد شوارعًا أيتامُها
فالضيفُ والجارُ الجَنيبُ كأنما هَبطا تَبالةَ مُخصِبًا أهضامُها

يُغِيْـــرُ عَلَـــى جُـــنْحِ الظَـــلامِ بِغُـــرَةٍ

تُعَلِّـــمُ وَجْـــهَ البَـــدْرِ أَنْ يَـــتَهَلَّلا[1]

٢٠- دَعَتْــهُ إلى بَــذْلِ النــدَى أَرْيَحِيــةٌ

تَعَــوّدَ مِنْهَــا أَنْ يَقُــولَ وَيَفْعَــلا

نَــوَالٌ يَعُــم الأَرْضَ حَتَــى كَأَنَــهُ

تَــضَمنَ أَرْزَاقَ الــوَرَى وَتَكَفــلا

إِذَا اسْـتُحْدِثَ المَجْـدُ الطرِيـفُ أَبَـتْ لَـهُ

مَنَاصِـبُهُ إلا القَـدِيمَ المـؤَثلا[2]

---

(١) الغرة: البياض في جبهة الفرس، والأغر الأبيض من كل شيء يطلق على المحسوس والمعنوي. قال السموءل [طويل]:

وأيامُنـا مَشهـورةٌ في عَدُونـا	لها غُـرَرٌ معلومـةٌ وحُجُـولُ

(شرح ديوان الحماسة للتبريزي ١١٦/١)

وقال المتنبي [طويل]:

طَلَعنا عليهم طَلعةً يَعرِفُونَها	لها غُرَرٌ ما تَنقَضِي وحُجُولُ

(الديوان ٢٢٥/٣)

وابن سنان يعبر عن المحسوس بالمعنوي متوسلاً بالاستعارة المكنية، فهو لا يصف الممدوح بالجمال لأن ذلك مذموم في الشعر العربي، نص عليه النقاد ولم يستسغه أي مِمن مُدِحَ بالجمال الحسي.

(٢) الطريف: الجديد المستحدث، المؤثل من أثل الشيء أي أصله وجمعه وقواه، مناصب ج منصب - كالنصاب -: الأصل والمرجع.

يقول: إذا كان مجد الناس طريفًا مستحدثًا فإن مجد الممدوح أصيل قديم ورثه عن آبائه، وهذا مثل قول حسان رضي الله عنه [بسيط]:

سَجِيّةٌ تِلكَ فِيهم غَيرُ مُحدَثَةٍ	إنّ الخلائِقَ -فاعلَمْ- شَرّهَا البِدَعُ

(الديوان: ٢٤٨)

عُـلاً وُجِـدَتْ والـدهْرُ في حِجْـرِ أمـهِ[1]
وخَيْـرُ خَلِيلَيْـكَ الـذِي كَـانَ أولاً[2]

مِـنَ القَـوْمِ حَلـوا في الـسمَاءِ فَمِـنْهُمُ
الـسحَائِبُ تُمْـرَى والأهِلـةُ تُجْتَلَـى[3]

٢٥- أقَمْتَ (عَزيزَ الدوْلَـةِ) الجُـودَ وَاصِـفًا
لهـا عَـابَ مِـنْ أفْعَـالِهِمْ ومُمَـثلاَ

خُلِقْـتَ وَدِيـنُ الْبُخْـلِ عَـالٍ مَنَـارُهُ
فَكُنْـتَ نَبِيـا[4] بِالـسمَاحَةِ مُرْسَـلاَ

ولاَمُـوكَ في إِتْـلافِ مَالِـكَ بِالنـدَى
وحَاشَـاكَ أنْ تَغْنَـى وأنْ تَتَمَـولاَ

عَمَرْتَ مِـنَ الإِحْـسَانِ مَـا كَـانَ دَارِسًـا
وأوْضَحْتَ في المَعْرُوفِ مَـا كَـانَ مُـشْكِلاَ

فَـإِنْ كُنْـتَ فَـذا في الزمَـانِ فَإِنمَـا
سَـلَكْتَ سَـبِيلاً كَـانَ قَبْلَـكَ مُهْمَـلاَ[5]

---

(١) ظ، م: والدهر ترب شبيبة.
(٢) في البيت (مغالاة) يقول: وجد مجد الممدوح والدهر في حجر أمه فهو أعلق منه بغيره كخليلي الإنسان أو هما خير وأوثق له حبًا من آخرهما، والشاعر هنا ينظر إلى قول أبي تمام [كامل]:

نقلْ فُؤادَكَ حَيثُ شِئتَ مِن الهَوَى ‏ ‏ ‏ ‏ مـا الحُب إلا لِلحَبِيـبِ الأولِ

(الديوان ص ٤٥٧، نشر محي الدين الخياط)
ورواية العقد الفريد (٥٣/٤) ((ما القلب إلا للحبيب الأول)).
(٣) مريت الناقة: حلبتها فأمرت: فدرّت، السحائب، ج السحب، والسحب ج السحاب. يقول إن الممدوح من قوم حلوا في سماء الرفعة والجود.
(٤) سقط هذا البيت والذي قبله من مط. وفي ظ: فكنت نبيها ...
(٥) ف، ك: فإن كان فذًا..

٣٠- فِـدَاؤُكَ مُثْـرٍ مَـا أَعَـدَ سَـوَامَهُ
وَنِيرَانَـهُ إلا لِتُرْعَـى وَتُصْطَلَى(١)
أَذَمَّ لَهَـا مِـنْ سَـيْفِهِ بُخْـلُ كَفِّـهِ!(٢)
فَهَـلْ أَمِنَـتْ مِـنْ ذُلِّـهِ أنْ تَـشَللا؟(3)
أَبُـوكَ الـذِي عَـم الأَنَـامَ(4) نَوَالُـهُ
فلَـمْ يُبْـقِ جِيـدًا مِـنْ نَـدَاهُ مُعَطـلا(5)
وكَـمْ قَـصَدَ الـدهْرُ الكِـرَامَ بِجَـوْرِهِ
فَمَـا وَجَـدُوا إلا عَلَيْـهِ مُعَـولاَ
وَلَـوْ نَزَلَـتْ غُـرُّ النجُـومِ فِنَـاءَهُ
لَعَـزَ عَلَيْـهِ الأَفْـلاَكِ أنْ تَتَحَـولاَ(6)

---

(١) السوام: الماشية الراعية، من سام خرج إلى المرعى. يقول: جعل الله فداءك غنيا بخيلاً لم يتخذ أمواله ونيرانه للقرى وإنما أعد سوامه للرعي ونيرانه ليتدفأ بها. ويسمي البلاغيون هذا الأسلوب بـ (اللف والنشر) وكان ابن حيوس معاصره يستخدمه كثيرًا، كقوله في مدح الأمير نصر بن محمود بن صالح أمير حلب [كامل]:

فِعْـلُ المـدامِ ولونُها ومَذاقُها في مُقلَتيهِ ووَجنَتيـهِ وريقِـهِ

(الديوان: ٩٤)

(٢) وردت مشكولة في نسخة ف فحسب على النحو التالي: أذَم لها.. ورواية مط: أذم لها من نحرها بخل.. أن تذللا، وفي ظ: من سيفه بخلافه فهل أمنت من ذله أن تذللا.

(٣) يريد أن يزيد في الهجاء، فيقول إن سيفه المثلم لقلة الضرب به يجلب لمواشيه الذم، ولكن بخل كفه يوقعها في ذم أشد يصل بها إلى الذل..

(٤) آثرنا رواية مط لقربها من سياق الأبيات ومناسبة القصيدة، وفي سائر النسخ: الذي عم الملوك..

(٥) الجيد: العنق وقد غلب على عنق المرأة..! لكن الشاعر عممه.

(٦) سقط البيت من مط.

يقول: لو نزلت غر النجوم بجواره لصعب عليها أن تفارقه.

٣٥- وَمَنْ لِبُدُورِ الأُفْـقِ والمُـزْنِ أنْ تَـرَى
بَنَانَــكَ مَبْــسُوطًا ووَجْهَــكَ مُقْــبِلا![1]
وَمَــا جَــاءَكَ التــشْرِيفُ إلا دَلالَــةً
عَلَيْــكَ ورَأْيًــا فِيــكَ أنْ تَتَبَــدلا[2]

(١) البنان في الأصل أطراف الأصابع، وتطلق كذلك على الأصابع وعلى اليد، من إطلاق الجزء على الكل.
يقول: أنى للأفلاك أن ترى يده مبسوطة بالعطاء ووجهه متهللاً بالبشر.. وفي هذا البيت (مغالاة).

(٢) من هنا تبدأ تتمة نسخة ق، ولهذا البيت روايات مختلفة: ف، ق، ك: لن يتبدلا، ظ: لن تتبدلا، مط: أن يتبدلا.. وآثرنا رواية م. يشير بذا البيت إلى حادث تاريخي كتلقيبه بعزيز الدولة من قِبَل الخليفة الفاطمي (المستنصر العبيدي)، أو تقليده منصبًا من المناصب، فضلاً عن الخلع التي وصلته من مصر. وربما جاءه التشريف لأن الخليفة العبيدي بالقاهرة بدأ يشعر بالقلق بعدما نبذ المعز بن باديس بن المنصور بن يوسف بن زيري طاعته وبايع للقائم العباسي ببغداد وسب بني عبيد على منابره حتى إنه كتب (لوزير العبيدي) [بسيط]:
وفيكَ صاحَبتُ قَومًا لا خَلاقَ لهُمُ   لَولاكَ ما كُنتُ أدرِي أنهُم خُلِقُوا
وكان هذا قد حدث قبل عام ٤٤٨ هـ الذي أنشدت فيه القصيدة. فأراد الخليفة المستنصر العبيدي بالقاهرة أن يقوي جناحه بأنصاره في البلاد الشامية، وفعلاً جهز الجيوش. وابن سنان هنا يشيد بنخوة الأمير عزيز الدولة ثابت ويعظم شأن الهدية تأييدًا لارتباطه بمشاعر الشيعة بالقاهرة. بعد أن عاداهم أمير القيروان المعز بن باديس وغالى في إنكارهم. ودخلت جيوش المستنصر العبيدي القيروان في عام ٤٤٩ هـ بعد انتصارها بوقعة حيدران سنة ٤٤٤هـ)الذخيرة لابن بسام ق٤/ص٦١٤).

بِـــأبيضَ مَاضِـــي الـــشفرَتَينِ تَكفلَـــتْ[1]

يَمِينُـــكَ عَنْـــهُ أنْ يَعُـــودَ مُفَلـــلا[2]

وأجْـــرَدَ نَهْـــدٍ[3] لم يَجِـــدْ غَيْـــرَ ظِلـــهِ

رَسِـــيلاً ولم يَمْلِـــكْ مِـــنَ الأَرضِ مَنْـــزِلا[4]

يَفُـــوتُ مَجَـــالَ الطَـــرْفِ حَتـــى تَخَالُـــهُ

مِـــنَ البَـــرْقِ لَـــوْلاَ أنـــهُ كَـــانَ أعْجَـــلا[5]

٤٠- وهَيْفَاءُ طَوْعُ الريحِ قَدْ خَلَـــعَ الـــدجَى

عَلَيْهَـــا هِـــلالاً بِـــالنجُومِ مُكَلـــلا[6]

---

(١) ف، ق، ك، م: فأبيض ماضي.. تضمنت. ظ: وأبيض..

(٢) المفلل من السيوف المثلم. يقول: شرفت عن جدارة لأنك أخذت العهد على نفسك ألا تعود من الحروب إلا منتصرًا مفلل السيف. والسيف المفلل عند العرب دليل الشجاعة؛ من ذلك قول النابغة يمدح عمرو بن الحارث الأصغر:

ولا عَيبَ فِيهم غَيرَ أنّ سُيُوفَهُم ... بِهِن فُلُولٌ مِن قِراعِ الكَتَائِبِ

(الديوان: ٤٤)

(٣) ف، ق، ك: وأبيض نهد.

(٤) الأجرد من الخيل: السّباق، انظر ق٨، ب ٢٠. النهد: الفرس الحسن الجميل الجسيم، الرسيل: الفرس الذي يرسل مع آخر في السباق. يقول: ولك فرس سباق مشرف لا يجاريه إلا ظله، ولا يكاد يستقر على الأرض لكثرة غاراتك.

(٥) م: إلا أنه كان. يقول: هو أسرع من لمح البصر حتى ليخاله الناظر برقًا لولا أنه أسرع من البرق.

(٦) الفرس الهيفاء: الضامرة، طوع الريح: سرعتها كسرعة الريح. يصف فرسه بأنها ضامرة سريعة دهماء غرّاء محجلة فكأن الليل (يشير إلى لونها) خلع عليها هلالاً (غرة هذه الفرس) مكللاً بالنجوم (يقصد أنها محجلة). وهذا المعنى مطروق في الشعر العربي، قال ابن نباتة [وافر]:

وأدهمَ يستمِـدُّ الليـلُ مِنـهُ ... وتَطلعُ بَينَ عَينَيهِ الثُرَيّـا

جَرى خلفَ الصباحِ يَطيرُ زَهوًا ... وَيطوي خَلفَهُ الأفلاكَ طَيّا

فلما خافَ وَشْكَ الفَوْتِ مِنهُ ... تشَبّثَ بالقوائِمِ والمُحيّـا

(يتيمة الدهر: ٢ / ٤٦٢ - ٤٦٣)

لَهَـــا مِـــنْ خِـــلالِ المَـــشْرَفي صِـــقَالُهُ
وَمِـــنْ شِـــيَمِ الخَطِّـــي أنْ يَتَمَـــيلا[1]

وضَـــافِيَةٌ[2] مِثْـــلُ الرِيَـــاضِ تَزُورُهَـــا الــــ
ـجَنَائِبُ نَـــشْوَى[3] وَالـــسحَائِبُ حُفَّـــلا[4]

لأَحْـــسَنُ مِنْهَـــا أنْ تُـــزَف غَرَائِبِـــي
إلَيْـــكَ وَتَكْـــسُوكَ الثَنَـــاءَ المُـــنَخلا[5]

---

(١) المشرفي: السيف نسب إلى مشارف الشام. الخطي -اسم جمع-: الرماح المنسوبة إلى الخط وهو مرفأ للسفن بالبحرين تباع به الرماح.
يقول: لهذه الفرس رونق السيف وتثني الرماح.

(٢) م، ظ، مط: وصافية.

(٣) ظ: تزُرُّها السحائب نشرى..

(٤) الضافية: الدرع السابغة الواسعة. ومن عادة الشعراء أن يشبهوا الدرع بسطح الماء تحركه الرياح، وذلك ما يوحي به البيت، أو يشبهون سطح الماء بالدرع كقول البحتري في وصف بركة المتوكل [بسيط]:

إذا عَلَتها الصبا أبدَتْ لها حُبُكـًا مثلَ الجَوَاشِنِ مصقولاً حَواشِيها

(الديوان: ٣١٩/٤ الطبعة الأولى ١٣٢٩/١٩١١)

وقال ابن حمديس الصقليّ يصف بركة قصر المنصور بن الناصر بن أعلى الناس أمير بجاية [كامل]:

وكأنما نسَجَ النسِيمُ لِمائِهِ دِرْعًا فقـَدَّرَ سَردَها تَقـدِيرا

(الديوان: ٥٤٧)

فابن سنان يقصد بالرياض برك الرياض، وبالجنائب الرياح التي تسوقها السحائب الممطرة، والسحائب جمع سحب فهي إذن جمع الجمع. ولا يخفى ما في هذا التعبير من بلاغة.

(٥) الغريبة من الكلام: العجيبة البعيدة الفهم، وعنى بها قصائده، المنخّل: المصفى المختار. المعنى: وأحسن من كل ما ذكرت قصائدي الحسان التي أزفها إليك، والتي أمدحك بها أحسن مدح وأنقاه. ويلاحظ أن في البيت شيئًا ما من العجب والتيه.

شَــوَارِدُ كَانَــتْ فِــي القِيَــادِ أَبِيــةً
فَمَــا قَرَعَــتْ بَابًــا مِــنَ اللــؤْمِ مُقْفَــلا[1]

٤٥- أَغَارُ عَلَيْهَــا أنْ يُــرَاضَ جُمُوحُهَــا[2]
لِغَيْــرِكَ أو تَرْجُــو[3] سِــوَاكَ مُــؤَملا

وَلَــوْ رَامَهَــا دَاعِــي النــوَالِ تَقَاصَــرَتْ
خُطَاهَا وأكْــدَى الفِكْــرُ فِيهَــا وأجْــبَلا[4]

ولَكِنَّــهُ وُدٌ صَــرِيحٌ وذِمَّــةٌ
بَعِيــدٌ عَلَــى أمْرَاسِــهَا أنْ تَحَلّــلا[5]

سبعة وأربعون بيتًا

---

(١) ظ: من القوم مقفلا، مط: من اللوم مقفلا..
شوارد: سبقت الإشارة إلى أنه يريد قصائده الشاردة في البلاد، يقول ابن هانئ [طويل]:
وهل يَستَوِي وَحيٌ من الله مُنْزَلٌ   وقافيةٌ في الغابِرينَ شَرُودُ؟
(الديوان: ٥٢)
ويرمي ابن سنان إلى القول: إن قصائدي كانت مصونة عندي فلم أقرع بها أبواب اللؤماء البخلاء..
(٢) ظ: أن تراض جُموحها، مط: أن يراد جموحها.
(٣) ف، ق، ك: لغير أن ترجو.
(٤) الكدية: الأرض الغليظة الصلبة. أكدى: بلغ الصلْبَ وصادف كدية. أجبل: أخْفَقَ، انظر ق ٨٩، ب ٨. المعنى: لم أقصد بها نوالك حين نظمتها ولو قصدت ذلك لاستعصت معانيها على فكري.
(٥) أمراس ج مَرَسَة وهو الحبل أطلق عليه هذا الاسم لتمرّس اليد به، وأراد الصداقة الوثيقة العرى. أن تَحَللا: أصلها أن تتحللا.

*[١٦]

وقال يرثي والدته وتوفيت عُقَيب قدومها من الحجّ في سنة ست وأربعين وأربعمائة: [كامل]

أبكيكِ لو نَقَعَ الغليلَ بكاؤُهُ ... وأقولُ لو أن النوائبَ تسمعُ[1]

وأُخادِعُ الأيامَ وهْيَ مَليئةٌ ... بِنَتاجِ كُلِّ مُلِمَّةٍ لا تُخْدَعُ[2]

لا يُغْبَطَن[3] على البقاءِ مُرَزَّأٌ ... إن المُوَدِّعَ إلْفَهُ لَمُوَدَّعُ[4]

(*) القصيدة في نسخة ف، ك ١٩، ق ٢٨، ظ ٢٨، م ٣١، مط ٦١.

أشار إليها ابن الصيرفي في كتابه الأفضليات، ص ٣١٥، نبّه على أخذ ابن سنان من مهيار الديلمي في رثائه للشريف الرضي.

(١) يقول: لو كان البكاء يفي بحق الأم على ابنها .. ولو كانت الخطوب تسمع القول وتلين .. لبكيتك طويلاً ولكثرت مراثيّ فيك .

(٢) الملي والمليء: الغني المقتدر والمؤنث مليئة، يقال هو أملأ القوم أي أقدرهم وأغناهم، الملمة: النازلة الشديدة من نوازل الدهر، من ألم بالقوم وعليهم أتاهم فنـزل بهم وزارهم زيارة غير طويلة. يقول: لو كانت الأيام تخادع على نواياها لخادعتها وتغلبت عليها ومنعتُها من إصابتنا بالخطوب.

(٣) ظ: لا تغبضن، وفي ك: لا يُغَبَطن.

(٤) مرزّأ - فاعل يغبط: من الرزية وهي المصيبة العظيمة، وتقدير الجملة لا يَغْبِطَن مرزأ أحدًا على البقاء فإن الفاقد لإلفه هو المفقود في الحقيقة لأن الموت أشد وطأة عليه.

مَاطِــلْ بِــصَرْفِكَ[١] يَــا زَمَــانُ فَإِنــهُ
لم يَبْــقَ عِنْــدِي لِلــصَبَابَةِ مَوْضِــعُ[٢]

٥- أَوْ فَــارْمِنِي بِــسِهَامِ خَطْبِــكَ جَاهِــدًا
إنْ كَــانَ فِي قَــوْسِ الحَــوَادِثِ مِنْــزَعُ[٣]

لاَ سَــالَمَتْنِي النائِبَــاتُ[٤] فَــإِنَنِي
تَلْــجُ الفُــؤَادِ إِذَا تَقُــودُ[٥] فَــأَتْبَعُ![6]

وعَــدِمْتُ أَوْطَــانِي فَــآنسُ[٧] أَرْضِــهَا
وَحْــشٌ وَأَضْــيَقُهَا عَلَــي الأَوْسَــعُ![٨]

أَوْضَــحْتَ لي سُــبُلَ الهُمُــومِ كَأَنَمَــا
صَبْري تَخُــب بِــهِ الركَــابُ[٩]وتُوضِــعُ[١٠]

---

(١) ق، مط: ماطل بطرفك، ظ: لم تبق عندي.

(٢) الصبابة: الشوق ورقة الهوى والولع الشديد، وقصد بالمماطلة: التأخير. يقول: ذهبت رقة الهوى من النفس، فلا أسف على الزمان.

(٣) المِنْزع: السهم البعيد المرمى. يقول: ارمني جاهدًا بسهام خطبك، إن بقي لك سهم أشد من الذي رميتني به.

(٤) م: الحادثات.

(٥) ظ : إذا يقود.

(٦) قوله (لا سالمتني ..) جملة دعائية وكذلك قوله في البيت التالي (وعدمت أوطاني..) يقول: لا سالمتني حوادث الدهر فإنني لم أعد أكترثُ لشيء بل صرت طوع أمرها تقودني فأتبعها وأستسلم.

(٧) مط: فانسى.

(٨) يقول: عدمْتُ أوطاني لأن آنس ما فيها صار وحشًا، ولأن أوسع أرضها صار الأضيق عليّ.

(٩) ما أثبتناه رواية ظ، وفي سائر النسخ: يخب به الغرام.

(١٠) الخبب ضرب من العدو، والإيضاع نوع آخر من السرعة ؛ والخطاب ما زال موجهًا إلى الدهر. يقول : فتحت لي سبل الهموم بموتا وكأن عذابي مطية لصبري تخب به وتوضع، وفي البيت إشارة إلى أنه صبر على الشدائد بما لا يطيقه أحد.

وأضَــقْتَ ذَرْعِــي بِــالغَرَامِ[1] وطَالَمَــا
أَمْـــسَى رحِيبًـــا إذْ تَـــضِيقُ الأَذْرُعُ[2]
١٠- وحَجَبْتَ عَنْ عَيْنِي الـضِيَاءَ كأنَمَـا (م)
الآفَــاقُ غَــرْبٌ لَــيْسَ فِيـــهِ مَطْلِــعُ
فَلْتَفْخَـــــرِ الأيــــــامُ أن مُلِمــــــةً
مِنْهَــــا أَهَـــــالُ يَوَقْعِهَـــــا وأُروعُ
قُبْحًـــا لِيَوْمِـــكَ فَالنَوَائِـــبُ بَعْـــدَهُ
جَلَـــلٌ وَكُـــل رَزِيـــةٍ لا تَفْجَـــعُ![3]
أَشْــكُو فِرَاقَــكِ ثُــم أَعْلَــمُ عِنْــدَهُ
أن الــسبِيلَ إلَــى لَحَاقِــكِ[4] مَهْيَــعُ[5]

---

(١) ف، ك، ط، م : وأضقت ذرعي بالعزاء ..
(٢) الغرام في الأصل أشد العذاب، وكلّ ما كان لازما ملحا من عذاب وبلاء وحب، وما لا يستطاع التخلص منه.
(٣) الجلل: الصغير والكبير (ضد)، وقوله (قبحا) إنشاء قصد به الخبر أي ما أقبح!
يقول: ما أقبح وأشد هذا اليوم الذي فقدتك فيه! وكل رزية من دونه لا تعدّ بل تون عليّ.
(٤) ف، ق، ك، مط: أعلم أنه أن السبيل إلى لقائك. وقد ورد بالرواية التي أثبتناها في كتاب الأفضليات لابن الصيرفي -ص ٣١٥.
(٥) هاع هِياعًا: اتسع وانتشر، وطريق مهيع: واضح واسع بين وأنشد ابن برّيّ [كامل]:
إن الصنِيعةَ لا تَكونُ صَنِيعةً حتّى يُصابَ بها طَرِيقٌ مَهيَعُ» (اللسان مادة هيع)
وقال متمم بن نويره [كامل]:
ذَهَبُوا فلم أُدرِكْهُمُ ودَعَتْهُمُ غولٌ أتوها والطريقُ المَهيَعُ» (المفضليات، ص٥٤)
يقول ابن سنان: كنتُ أشكو فراقك وآمل لقاءك في هذه الحياة على بعد المُقام، فكيف الآن وقد فرّق الموت بيننا؟

وَرَجَوْتُ قُرْبَكِ والدِّيارُ بَعِيدَةٌ
فَاليَوْمَ أَخْفَقَ في اللقَاءِ المَطْمَعُ[1]

١٥- لَوْ كَانَ يَنْفَعُنِي السلُوَ نَبَذْتُهُ
أَسَفًا عَلَيْكِ فَكَيْفَ إِذْ لا يَنْفَعُ

هَيْهَاتَ يَجْمَعُ شَمْلَ صَبْرٍ نَافِرٍ
قَلْبٌ بِأَيْدِي الحَادِثَاتِ مُرَوعُ!

أَحْنُو الضلُوعَ عَلَى بَوَاعِثِ غُلةٍ
ضَمِنَ ادكَارُكِ أنهَا لا تُنْقَعُ[2]

وأَلُومُ طُولَ الليْلِ أَرْقُبُ فَجْرَهُ
أَوَمَا بَيَاضُ الصبْحِ عِنْدَكِ[3] أَسْفَعُ[4]

---

(١) في البيت إشارة إلى كثرة أسفاره، ومقامه بعيدًا عن أمه وحرقته قبل وفاتا إلى لقائها، فكيف وقد توفيت؟

(٢) الغلة: العطش الشديد وعبر با عن شدة الشوق والتلهف، ونقع الماء العطش: سكّنه وقطعه. يقول: بين جوانحي شوق شديد إليك وحرقة لا ينفَعُ معها الادكار وخطورك ببالي كل لحظة.

(٣) م، ظ: بعدك أسفع، ظ: أوما ابيضاض الصبح بعدك أسفع.

(٤) الأسفع: الأسود. وفي عجز البيت روايتان، الأولى: (أوما بياض الصبح عندك أسفع؟!)، والثانية: (أوما ظلام الليل بعدك) رواها ابن الصيرفي في المفضليات، ص ٣١٥، فعلى الرواية الأولى يكون المعنى: طال ليلي ولم أتحمل طوله، فبت أرقب الفجر مع أن الصبح عندك ليل، أي أنك في ليل دائم، أليس هذا دليل أنانيتي. وعلى الرواية الثانية: ضقت ذرعًا بطول ليلي فبتّ أرقُبُ طلوع الفجر، والحقيقة أن الصباح لا يغير شيئًا لأن ليلي وناري كليهما مظلم بعد موتك. ويلاحظ ابن الصيرفي أن ابن سنان نظر في هذا=

قُرِعَـتْ[1] إلَيْـكَ ثَنِيـةٌ مَطْرُوقَـةٌ
وَضَحَتِ المَنِيـةُ أنَهَـا لا تُمْنَـعُ[2]

٢٠- مَا كَـانَ أوْعَـرَ[3] نَهْجُهَـا، لَـوْ أنَـهُ
خَـرْقٌ بِـأطْرَافِ الأسِـنِةِ يُرْقَـعُ[4]

لا تَبْعَـدَن[5] مَصَـارِعٌ مَطْلُولَـةٌ
مَـا حُطمَـتْ فِيهَـا الرمَـاحُ الشرعُ[6]

=المعنى إلى قول مهيار الديلمي يرثي الشريف الرضي:

وبكاكَ يومكَ إذ جرت أخباره ... تَرَحًا وسُميَ بالعُبوسِ الأنكَدِ
صبغت وفاُتك فيه أبيضَ فجره ... يا لَلعُيون من الصباح الأسودِ!

(ديوان مهيار ٢٥١/١)

والحقيقة أن الشعر العربي والأجنبي يزخر بذا المعنى، وقد ورد كثيرًا في ديوان الشريف الرضي وغيره، بل نكاد نجده في كل قصيدة رثى بها الحسين ﷺ، وهو معنى طبيعي يتبادر إلى الذهن ولا نرى ابن سنان متأثرًا فيه بغْيره.

(١) مط: قزعت، ف، ك: قُرِعَت.

(٢) يريد: نُفِذَ إليكِ من ثنية يسلكها كل حي وهذا ما يقضي به الموت.

(٣) ظ: أوعز، ف، ق، ك : أعوز.

(٤) الخرق: الشقّ في الثوب ومنه المثل: "اتسع الخرق على الراقع، يقال في الأمر المعضل، وأوْعَرَ به الطريق، وَعُر عليه أو أفْضَى به إلى وعْر من الأرض. يقول: لو كانت الأسنة تدفع عنها الموت لدفعناه.

(٥) م: ما تبعدن.

(٦) المصارع: القبور، وهي من صرعه، طرحه على الأرض. المطلول من الأماكن الذي أصابه الطل أي المطر الضعيف، وشرع الرماحَ سددها.

ومُـــسَنَدُونَ تَعَـــاقَرُوا[1] كَـــأْسَ الـــرَدَى

ودَعَـــا بِـــشَرْبِهمُ[2] الحِمَـــامُ فَأَسْـــرَعُوا[3]

بَـــرَكَ الزمَـــانُ عَلَـــيْهِمُ بِجِرَانِـــهِ

وهَفَـــتْ بِهِـــمْ رِيـــحُ الخُطُـــوبِ الزعْـــزَعُ[4]

خُـــرْسٌ إذَا نَادَيْـــتَ إلا أنهُـــمْ

وَعَظُوا[5] بِمَـــا يَـــزَعُ اللَّبِيـــبَ فَأَسْـــمَعُوا[6]

٢٥-وفَـــوَارِسٌ عَهِـــدُوا الـــسُيُوفَ ذَوَائِـــدًا

عَنْ سِـــرْبِهِمْ لَـــوْ صَـــادَفَتْ مَـــا تَقْطَـــعُ[7]

---

(١) مط: ومسندون تعامروا.

(٢) ظ: ودعا لشربهم.

(٣) السند: ضرب من البرود، وسند فهو مسند: لبس السَند، وقصد به الإسناد، تعاقروا الخمر: كانوا ندامى أي جلساء على شربها، الشرب ج شارب، وقوله كأس الردى استعارة، استعار للهلاك كأسًا. شبه الموتى بمعاقري الخمر، دعاهم الموت إلى كأسه، فلبوا دعوته مسرعْين.

(٤) جران البعير: مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره واستعاره للزمان. هفا: أسرع. والريح الزعزع: التي تعصف بشدة وتزعزع الأشياء وقصد بها الموت.

(٥) ظ، م: وُعِظُوا.

(٦) يَزَعُ والماضي وزع، يقال وزعته فاتزع أي كففته فكفّ. يقول هم أموات، إلا أنهم بما آلوا إليه وبما أنهم ينطقون (مجازًا) يعظون الأحياء أحسن وعظ وأبلغه. وهذا المعنى كثير في (لزوميات) المعري . يقول أبو العلاء في سقط الزند، ص ١٥٩ [طويل]:

وقد تَنطقُ الأشيـــاءُ وهْي صَوامِتٌ   ومـــا كُلُ نُطـــقِ المُخبِرينَ كَلامُ

(٧) يقول: من هؤلاء الأموات فرسان تمرسوا بالحروب وأحسنوا استعمال السيف للذود عن أنفسهم، إلا أن سيوفهم لم تجد ما تقطع عندما حضرتهم المنية.

تَبَــذُوا الإِبَــاءَ فَمَــا أَضَــاءَ بِــنَقْعِهِمْ
عَــضْبٌ يُــشَامُ ولاَ سِــنَانٌ يَلْمَــعُ[1]

البِــيضُ تُزْهِــرُ، والــدرُوعُ مُفَاضَــةٌ
والخَيْــلُ تَمْــرَحُ[2] والقَنَــا يَتَزَعْــزَعُ

والــدهْرُ يَفْتِــكُ بِــالنفُوسِ حِمَامُــهُ
فَلِمَــنْ تُعَــد كَرِيمَــةٌ أو تُجْمَــعُ؟[3]

عَجَبًــا لِمَــنْ يَبْقِــي ذَخَــائِرَ مَالِــهِ
وَيَظَــلُّ يَحْفَظُهُــن وَهْــوَ مُــضَيعُ!

٣٠- وِلغَافِــلٍ، وَيَــرَى بِكُــل ثَنِيــةٍ
مُلْقًــى لَــهُ بَطْــنُ الــصفَائِحِ مَــضْجَعُ![4]

---

(١) النقع: غبار الحرب، والعضب: السيف القاطع، وشام السيفَ يشِيمُه شَيْمًا: أغمده واستلّه (من الأضداد). يقول: هم أساة للضيم ورجال حرب، لكنهم تركوا إباءهم عندما حضرتم الوفاة، فما استلوا سيفًا ولا أضاء لهم سنان رمح.

(٢) م: والخيل تمرع .

(٣) ظ: فلمن يعد كريمة أو يجمع، ف، ق، ك : أو يجمع. م: فلمن تعد كريمة أو تجمع، وهي رواية حسنة. وهذا البيت مرتبط بما قبله إذ قال : ما أكثر الحروب في الدنيا .. !فالسيوف تلمع في ميادين القتال، والدروع سابغة مُفاضة، والخيل شديدة النشاط، والقنا تعمل ولكن الدهر سلط حمامه على النفوس. فما الفائدة من المفاخر التي يحاول الإنسان اكتسابا، إن الانتصار والهزيمة سيان لأن كل شيء زائل، وهذا كقول أبي العتاهية [وافر]:

هَبِ الدنيا تُساقُ إليكَ عَفوًا   أليسَ مَصِيرُ ذاكَ إلى الزوالِ؟

(الديوان ٢٩٧)

(٤) المعنى: وعجبًا لغافل عن مصيره، مع أنه يرى بكل ثنية ميتًا تخفي رفاته صفائح قبره.

أتـــراه يَحْـــسِبُ أنهُـــمْ مَـــا أسْـــأرُوا
في[1] كَأسِـــهِمْ أضْـــعَافُ مَـــا يَتجَـــرعُ؟[2]

لَـــوْ كَـــانَ يَمْنَعُـــكِ القِـــرَاعُ مَلأْتَهَـــا
جُـــرْدًا يَغَـــص بِهَـــا الفَـــضَاءُ البَلْقَـــعُ[3]

وأثَـــرْتُ في حَلَـــقِ الـــدرُوعِ عِـــصَابَةً
كَالـــدهْرِ تَخْفِـــضُ مَـــنْ تَـــشَاءُ وَتَرْفَـــعُ[4]

لَكِنهَـــا الأوْـــدَارُ لَـــيْسَ أمَامَهَـــا
مَـــا يُـــسْتَجَن بِـــهِ ولاَ مَـــا يُـــدْفَعُ

٣٥- يَـــا قَبْـــرُ فِيـــكَ الـــصالِحَاتُ دَفِينَـــةً
أفَمَـــا تَـــضِيقُ بِهِـــن أوْ تَتَـــصَدعُ؟

لَوْ كُنْـــتَ تُبْلِـــغُ مَـــا أقُـــولُ أطَلْـــتُ مَـــا[5]
أشْـــكُو إلَيْـــكَ مِـــنَ الهُمُـــومِ وأضْـــرَعُ

---

(١) ما أثبتناه من م، وفي سائر النسخ: من كأسهم.

(٢) السؤر: بقية الشراب في الكأس وفي الأثر ((سؤر المؤمن سفاء)). والسؤر كذلك البقية مطلقًا، والسائر من الشيء: ما بقي منه وسائر النّاس بقيتهم. يقول أترى هذا الغافل يحسب أن ما تركه هؤلاء الموتى أضعاف ما سيتجرعه؟

(٣) انظر ق٢١، ب١٧، الفضاء البلقع: الأرض القفرة وأراد المكان الرحب. يقول: لو كانت الحرب تمنعك من الموت لملأت الفضاء الرحب خيلاً سابقة، وهيأت من الدارعين عصابة بطشها وبأسها كالدهر، تخفض من تشاء وترفع من تشاء.

(٤) ظ، م: كالدّهر يخفض من يشاء ويرفع. وقد أشرنا إلى معنى هذا البيت في الحاشية السابقة.

(٥) ف، ق، ك: تركت ما أشكو.

حَيـ ـاكَ فَجْـ ـرِي النـ ـسِيمِ كَأَنـ ـهُ
أَبَـ ـدًا بِطِيـ ـبِ ثَنَائِهَـ ـا يَتَـ ـضَوعُ[1]

وسَـ ـقَتْكِ أَجْفَـ ـانِي فَأَنْـ ـتِ بِمَعْـ ـزِلٍ
عَـ ـنْ أنْ يُتَـ ـاحَ لَـ ـكِ الـ ـسحَابُ الهُمَـ ـعُ[2]

إنْ لم يَكُـ ـنْ عَقْـ ـرٌ عَلَيْـ ـكِ فَإِنهَـ ـا
كَبِـ ـدٌ مُحَرقَـ ـةٌ وقَلْـ ـبٌ مُوجَـ ـعُ[3]

تسعة وثلاثون بيتًا

---

(١) قوله (فجري النسيم) من إضافة الصفة إلى الموصوف أي النسيم الفجري، وأراد نسيم الفجر.

(٢) ظ، م: عن أن تناخ بك. الهمع: السّيالة، من همع: سال. يدعو لها على عادة القدماء بأن يحييها نسيم الفجر الذي يتضوع بثناء أمه، وحسن فعلها. وبما أن المطر لا يصل إليها، فإنه يدعو الله أن يجعل دموعه وقفًا عليها لا ينقطع انهمارها.

(٣) أصل العقر ضرب قوائم الشاة أو البعير بالسيف، ثم توسعوا فيه حتى صار يدل على الهلاك والقتل. يقول: إن لم أهلك لمصابك هذا فإن كبدي مقروحة محّرقه وقلبي موجع.

*[١٧]

وقال في صباه [بسيط]:

يَـا رَاكِـبَ الناقَـةِ[(١)] الوَجْنَـاءِ مُعْتَرِضًـا
دُونَ (العُـذَيْبِ) عَلَـى مِيـثٍ وأجْـرَاعِ[(٢)]
بَلـغْ (خَفَاجَـةَ) عَنـي إنْ مَـرَرْتَ بِهَـا
وَنَادِهَـا - لاَ أجَابَـتْ دَعْـوَةَ الـداعِي![(٣)]

(*) ظ ٢٨، ف ٢٠، ك ٢٠، ق ٣٠، م ٣٢، مط ٦٣.

(١) ظ: العِرْمِسِ (والعرمس الناقة الصلبة الشديدة، أوهي الأديبة الطّيعة القياد).

(٢) الوجناء من الإبل: الصلبة الشديدة أو العظيمة الوجنتين. وقلّما قيل للجمل أوجن، بل هو مُوَجنٌ. معترضًا: منتصبًا. العذيب: قال الأزهري: العذيب ماء معروف بين القادسية ومغيثة ... وهو ماء لبني تميم على مرحلة من الكوفة، مسمى بتصغير العذبِ. وقيل سمي به لأنه طرف أرض العرب، من العذبة وهي طرف الشيء (عن تاج العروس). الِميثُ: جمع مَيْثَاء. والميثاء من الأرض: اللينة من غير رمل، من ماث: لان. الأجراع: جمع جَرَعَةٍ وهي الرملة الطيبة المنبت لا وُعُوثَة فيها، والأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل، والرملة السهلة المستوية، والرملة لا تنبت شيئًا ولا تمسك الماء، وما انبسط من الرمل وامتدّ بعد مُعْظَمِه. وكل هذه المعاني صالح للبيت. و(العذيب) في البيت الأول من القصيدة يشعر بأن ابن سنان يخاطب بني خفاجة القاطنين بأعمال الكوفة ولعله يقصد أميرًا معينًا من أمراء بني ثمال. وقد يكون المقصود بني عمومته الأدنْين. ومع ذلك تبقى ظلال في القصيدة لجهلنا بالسياق التاريخي المحدد والدوافع الحقيقية التي كانت السبب في نظمها.

(٣) قوله: ((لا أجابت دعوة الداعي))! دعاء لا يقصد به شرًا لقومه، وإنما هو للتأكيد. وهذا كثير في العربية. كانت خفاجة في أواخر القرن الرابع والنصف الأول من الخامس تدين لبني ثمال الخفاجي. ومن أشهرهم أبو طريف عليان بن ثمال الذي

يَـــا خَيـــبَ اللهُ مَـــنْ يَرْجُـــو نَـــوَالَكُمُ
كَـــمْ تَمْنَعُـــونِيَ آمَـــالِي وأطْمَـــاعِي![1]
وَتَلْبَـــسُونَ الهُوَيْنَـــا وابْـــنُ عَمكُـــمُ
في سَـــاحَةِ الـــذل مَقْـــذُوفًا بِجَعْجَـــاعِ[2]

ثمال الذي قلد حماية الكوفة سنة ٣٤٧هـ وأسس الإمارة الثمالية، وإخوته سلطان = =ورجب وعليّ. إلا أنهم لم ينجحوا في تأسيس إمارة قوية ثابتة. فقد كانت تغلب عليهم البداوة والنِزاعات الداخلية وسوء التدبْير وعدم الاستقرار. وكانوا ميالْين إلى السلب والنهب، والتنقل بين العراق والشام، ويعيثون في الأرض فسادًا ويهجمون على قوافل الحاجّ، ويستعين بهم الأمراء في حروبهم أو يتعقبونهم. فكانوا طوال النصف الأول من القرن الخامس ما بين حلّ وترحال وهزيمة وانتصار. وهكذا عرفهم ابن سنان في صباه حين نظم هذه القصيدة وفي كهولته. ولعل البيت الخامس من هذه العينة يشير إلى ذلك:

ظَنَنْتُمُ المَجدَ أذوادًا مُهَملةً   وثَلةً صاحَ في أرجائِها الراعِي

وأقرب الأمراء الثمالْيين إليه في الزمن وفي صباه الحسن بن أبي البركات بن ثمال، الذي وثب على عمه عليّ بن ثمال أمير بني خاجة، فقتله في ذي الحجة من سنة ٤٢٦، وقام بإمرة بني خفاجة بجنوب العراق (ابن الأثير: ٩ / ٤٤٤). ونعتقد أن القصيدة نظمت في أواخر الثلاثينيات أو أوائل الأربعينّيات من القرن الخامس قبل هجوم بني خفاجة على الجامعين أعمال نور الدولة دبيس المزْيدِيّ سنة ٤٤٦، وتعقّبِ البساسيري لهم والإيقاع بهم في خفان (ابن الأثير: ٩ / ٥٩٩ - ٦٠٠).

(١) ((يا خيّب الله من يرجو نوالكم)): دعاء لا يقصد به غير التوكيد. لا يمكن أن يكون هذا البيت موصولاً بالسابق في التركيب وفي المعنى، إلا على تقدير حذف يبيح الانتقال إلى المتكلم (كم تمنعوني آمالي وأطماعي) يسوّغ الالتفات ويكسب التركيب إيجازًا وبلاغة.

(٢) الهوينا مصغّر الهونى تأنيث الأهون ؛ والتعبير على الـاز. الجعجاع: الموضع الخشن الضّيق، ومناخ السوْء لا يقرّ فيه صاحبه. وجعجع به: حبسه على

٥- ظَنَنْـ ـــتُمُ المَجْـ ـــدَ أَذْوَادًا مُهَملَـ ـــةً
وثَلـــةً صَـــاحَ في أَرْجَائِهَـــا الراعِـــي[(١)]

فَـ ــرَوعَ اللهُ جَـ ـــارِي إن جَـ ـــزَيْتُكُمُ
إلا بِمُنْـ ـــصَلِتٍ كـ ــالنجْمِ قَطـ ـــاعِ![(٢)]

أنــا ابْــنُ مَــنْ لم يَــدَعْ ذُخْــرًا لِوَارِثِــهِ
إلا الجِيَـ ـــادَ وسُـ ـــمْرًا ذَاتَ زَعْـ ـــزَاعِ[(٣)]

دَانِــي القِــرَى لا يَــذُمُ الــذِئْبُ صُــحْبَتَهُ
ولا يَقِـ ـــرُ عَلَـ ـــى هَـ ـــم وإزْمَـ ـــاعِ[(٤)]

مكروه أو ضيق عليه بالمطالبة. والمقصود به في البيت الحرج والضيق.

(١) الذود من الإبل ما بين الثلاث إلى العشر، وهي مؤنث لا واحد له من لفظه والكثير أذواد. مهمّلة: أراد مهملة من أهمل الإبل: تركها بلا راع ولا حارس، ولا يقال ذلك في الغنم كما في تاج العروس (مادة همل). الثَّلّة بفتح الثاء جماعة الغنم أو الكثير منها أو من الضّأن خاصة. قال ابن السكيت: ((ولا يقال للمعزى الكثيرة ثلّة ولكن حيلة)). وبنو فلان مثلّون: أصحاب غنم. أما الثُّلة بضم الفاء فجماعة الناس. ومنه ((فلان لا يفرق بين الثلة والثلة)) أي بين جماعة الغنم وجماعة الناس (أساس البلاغة، مادة ثلل).

(٢) إلا بمنصلت: بغير منصلت أي سيف مجرد. والصلت من السيوف: الصقيل البرد الماضي في الضريبة.

(٣) الزعْزَاعُ: كلّ تحريك شديد، مثل الزعزعة.

في البيت دليل على أن والده تركه صبيا حين مات. هذا إن كان على ظاهر معناه ولم يُقصد به مجرد الفخر.

(٤) داني القرى: كريم.

الهم: أول العزيمة ؛ وما هم به الإنسان في نفسه ونواه وعزم عليه. وهو ماضي الهم: إذا عزم على أمر أمضاه. الإزماع: مصدر أزمع الأمر و-به و-عليه: أجمع عليه؛ مضى فيه وثبت عزمه عليه. ((وقال الكسائي يقال أزمعته

ذَنْبِي إلى القَـوْمِ أنـي مَـا حَمَلْـتُ لَهُـمْ
قَلْبًـا ذَلِـيلاً وكَفّـا غَيْـرَ مِـضْيَاعِ[1]

١٠- وأنْكَـروا بِـي أسْـقَامًا مُؤَرقَـةً
ولَوْعَـةً تَتَـوَارَى بَـيْنَ أضْـلاَعِي

ومَـا عَلَـيْهِمْ إذَا مَـا قُلْـتُ مِـنْ طَـرَبٍ
((يَا دِيمَةَ الغَيْثِ حَيِّـي سَـرْحَةَ القَـاعِ!؟)) [2]

نَعَـمْ أُحِـب (سُـلَيْمَى) فَـاهْجُرُوا عَـذَلي
فَالقَلْـبُ قَلْبِـيَ والأوْجَـاعُ أوْجَـاعِي[3]

وإنْ دَعَـانِي الهَـوَى لَبيْـتُ دَعْوَتَـهُ
والحُـب أكْـرَمُ مَـا لبّيْـتَ مِـنْ دَاعِ

ثلاثة عشر بيتًا

ولا يقال أزمعت عليه)) (اللسان: مادة زمع) والاسم الزماع.

(١) يقول: هو كريم إذا عزم على أمر أمضاه غير متوان فيه. غير مضياع: غير مضياع للمال، وهو كناية عن الكرم. وفي البيت تأكيد المدح بما يشبه الذم.

(٢) السرحة: الدوحة العظيمة المحلال يحلّ الناس تحتها في الصيف ويبنون البيوت. وظلها صالح. وهذا سر ذكرها، فهو يَتَحِيتهَا يُحَيي المحبوب.

(٣) من المحتمل أن (سليمى) وهمية ليس لها وجود حقيقي في حياة الشاعر.

[١٨]*

وقال أيضًا في صباه: [وافر]

أَمَــا حَياكُـــمْ عَبِـقُ النـسِيـمِ
يُخَبــرُ عَـنْ ذَـرَى تِلْــكَ الرسُــومِ(١)

وَتَنجِـدُهُ الزوَافِــرُ حِـينَ تُرْخَـى
عَلَيْــهِ ذَوَائِــبُ اللَّيْــلِ البَهِيــمِ؟(٢)

أَمَــا ذَا البَــرْقُ يِــيضُ (بَنِــي عَـدِي)(٣)
فَكَيْــفَ رَمَــى فُــؤَادَكَ بِــالهُمُومِ؟

(*) ظ ٩، ف٢١ ، ق٣١، ك ٢١، م ٣٣، مط ٩٨.

(١) عبق النسيم: من إضافة الصفة إلى الموصوف أي النسيم العبق. من عبق به الطيب عبقًا وعباقية: لزق به وبقي وهو أصل المعنى. ومنه قول طرفة [رمل]:

ثم راحُوا عَبِقَ المِسكُ بِهِم ... يُلحِفُون الأرضَ هُدّابَ الأُزُر

(تاج العروس مادة: عبق)

((وقولهم فاح وانتشر إنما هو تفسير باللازم)). ورجل عبق وامرأة عبقة إذا تطيبا بأدنى طيب لم يذهب عنهما أيامًا. وهو المعنى المقصود في البيت على التشبيه.

((يخبر عن ...)) جملة حالية من ((عبق النسيم)).

(٢) الزوافر جمع زافرة وهي أضلاع الجنبين، مشتق من الزفير وهو ترديد النفَس حين تنتفخ منه الضّلوع.

وحاصل معنى البيتين أن المحّبين يأرقون ويتنهدون حين يحييهم النسيم العبق آتيا بأخبار رسوم منازل المحبوبة لما يصيبهم من التذكر ومن لواعج الشوق.

(٣) ق: بني علي. والظاهر من سياق البيت أن عديا من أجداد الشاعر أو ممن تصله به وشائج القربى.

هَنِيئاً لِلْمَدَامِعِ بَثُّ وَجْدِي
لَقَدْ خَبَّرْنَ عَنْ خُلُقٍ كَرِيمِ[(١)]

٥- أَمِنْكَ الطَّيْفُ هَبَّ مَعَ الخُزَامَى
يُخَادِعُ عِطْفَهُ وَلَعُ النَّسِيمِ؟[(٢)]

رَأَى قُرْبَ الحُسَامِ وعَارَ[(٣)] مِنْهُ
فَحَاكَمَنَا إلى العَهْدِ القَدِيمِ[(٤)]

أَحِنُّ إذَا أَصَابَ الغَيْثُ (نَجْدًا)
وَقَعْقَعَ بِالرُّعُودِ عَلَى الغَمِيمِ[(٥)]

ولَمَّا كُنْتُ أَطْرَبُ لِلْغَوَادِي[(٦)]
ظَنَنْتُ خَلاَئِقِي زَهْرَ العَمِيمِ[(٧)]

---

(١) لقد خبرن عن خلق كريم: أراد أن هذه المدامع بينت أن صاحبها ذا خلق كريم، لأنه الحب طبيعي ولأنه عاطفة نبيلة.
(٢) ق. مط: ولع النديم. ولع النسيم أي تعلق النسيم، فإن قرئ (ولع النسيم) - بكسر اللام - فهو من إضافة الصفة إلى الموصوف. يتحدث الشاعر عن تثني الطيف في مشيته، وكأن ذلك نتيجة لمخادعة النسيم المولع به.
(٣) م: فغار
(٤) قوله: فحاكمنا إلى العهد القديم أي لامنا على عدم الوفاء له وذكرنا العهود التي كان أخذها علينا.
(٥) الغميم: الكلأ تحت اليبس، والغميم موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة.
(٦) م: أطرب للغواني.
(٧) العميم: كل ما اجتمع وكثر، وشيء عميم أي تام، والعميم ما طال من النبات وقال ياقوت عن العمراني: هو اسم موضع، ولم يحدده. وقوله: ظننت خلائقي زهر العميم: أي ظننت أن طبعي من طبيعة زهر العميم، فإن كانت (خليقة) بمعنى شبيهة كان المعنى: ظننت زهر العميم شبيهًا بي، والمعنى الأول أظهر.

أفي مَجْدي طَمِعْتَ أخَا الهُوَيْنَا
وَمَا بَالُ البُوَيْزِلِ والقُرُومِ؟[1]

١٠- تَنَاكُرُكَ القَبَائِلَ مِنْ نِزَارٍ[2]
كَأنَّكَ فِيهِمُ خُلُقُ اللِئِيمِ

وعَزْمِي يَسْتَقِلُّ الأُفْقَ دَارًا
وَيَأنفُ مِنْ مُصَاحَبَةِ النجُومِ

وتُرْبٍ يَدعِيهِ المِسْكُ طِيبًا
إذَا وَسَمَتْهُ أنْدِيَةُ الحَمِيمِ[3]

تَغِرُّ بِهِ[4]، إذَا سَفِهَ، النَعَامَى
وتُعْرِضُ عَنْ مُنَازَعَةِ الحَلِيمِ[5]

ورَوْضٍ مَلَّ حَرَّ الشَمْسِ حَتَّى
تَفَيَّأ بِالسَحَائِبِ والغُيُومِ

---

(١) البويزل: قصد البعير البازل أي الذي فطر نابه وطلع وذلك في التاسعة من سنيه، وصغره للتحقير، وخرج الاستفهام في عجز البيت إلى معنى التهكم أي ما للبويزل ينافس الفحول ويطاولها ؟

(٢) ف، ق، ك، مط: من براء. تناكرك: تتناكرك - بحذف التاء الأولى-.

(٣) الحميم: المطر يأتي بعد اشتداد الحر. وسمته: أي زينته ووشته. الأندية: جمع ندى على غير قياس، ويجوز أن يكون جمع نداء والنداء جمع أنداء والأنداء جمع ندى. وقصد بالندى إما السيل وإما المطر وإما الكلأ، لأن كلاًّ منها صالح للمعنى. وقوله: وترب يدعيه المسك طيّبا أي هذا الترب لطيبه يعده الطيب طيّبا.

(٤) ظ: يعزّ به، ف ك: تغر

(٥) تغِر والماضي غَر أي تصابى بعد حنكة. السفه ضد الحلم
وقوله: سفه أي ذكت رائحته واشتدت. والنعامى - بالضم - ريح الجنوب لأنها أبلّ الرياح وأرطبها. وقوله: وتعرض عن منازعة الحليم أراد أنها لشدة وقارها لا تنازع الحليم. وهذه التعابير كلها على الاستعارة.

١٥- إذَا عَبَثَـــتْ بِـــهِ رِيـــحٌ[١] النَعــامَى
تَمَايَــلَ طِرْبَــةَ الرجُــلِ الــسقِيمِ[٢]
صَــجِبْتُ إِلَيْــهِ أَكْــوَارَ المَطَايَــا
فَجَــادَتْ بِالغَــوَارِبِ للرسِيــمِ[٣]
وَقَبْــلَ نَــوْرُهُ أَوْــوَاهُ خَيْلِــي
فَغَــارَ لهُــن هِــنَّ[٤] نَــصَبِ الــشكِيمِ[٥]
فَبِــتْنَ كَــأنهُن رِئَــالُ[٦] (حَــزْنٍ)
وذَاكَ (الزنْــدُ) يَلْعَــبُ بِالحُلُــومِ[٧]

---

(١) ف، ق، ك، مط: أيدي النعامى.

(٢) أي إذا مرّت ريح الجنوب الرطبة بالروض تمايل هذا الروض طربًا كما يتمايل الرجل السقيم.

(٣) ظ: والرسيم . الضمير في (جادت) عائد على الأكوار. أكوار جمع كور - بالضم - وهو الرحْل بأداته. الغوارب جمع غارب وهو ما بين السنام والعنق في الإبل، ومنه قولهم: حبلك على غاربك أي اذهبي حيث شئت، وغوارب الماء: أعالي أمواجه، شبهت بغوارب الإبل.
الرسيم: سْير للإبل فوق الذميل. أراد أن الرحال أنضت المطايا (الإبل) حتى أذابت غواربا، وذلك لطول المسافة وسرعة السير، والصورة متداولة في الشعر القديم.

(٤) ظ: فغازلَهُن.

(٥) تنوير الشجرة: إزهارها، يقال نورت الشجرة أي أخرجت نورها. النصب: التعب والداء، الشكيم جمع شكيمة وهي الحديدة المعترضة في فم الفرس.

(٦) ظ: بأل. مط: ربال، ف، ك، م: ريال.

(٧) الرئال جمع رئل وهو ولد النعام أو الحولي منه.
الحَزن: ما غلظ من الأرض أو المرتفع منها، ولعله قصد به على وجه التشبيه موضعًا بعينه كبلاد يربوع مثلاً وهي فيما يقال أطيب مرعى.
الزند: جبل بنجد وقد يكون رمز به كذلك إلى موضع آخر.

لَهُـ ـ ـن إذَا سَرَحْـ ـ ـنَ بِـ ـهِ مِـ ـ ـرَاحٌ
مِـ ـرَاحُ الحَمْـ ـدِ في الحَـ ـسَبِ الـ ـصمِيمِ[1]

٢٠- وَحَـ ـي مِـ ـنْ (خَفَاجَـ ـةَ) رُحْـ ـتُ فِيـ ـهِ
عَلَـ ـى جَـ ـرْدَاءَ حَالِيَـ ـةِ الأَدِيـ ـمِ[2]

أُبِـ ـيحُ الخَمْـ ـرَ فِيـ ـهِ حِمَـ ـى هُمُومِـ ـي
فَأطْرُبَهَـ ـ ـا وَتَفْتُـ ـ ـكُ بِالنَدِيـ ـ ـمِ[3]

وكَحْـ ـلاَءِ الجُفُـ ـونِ قَرَعْـ ـتُ مِنْهَـ ـ ـا
نِجَـ ـادَ الـ ـسَيْفِ بِالعِقْـ ـ ـدِ النَظِيـ ـ ـمِ

وأَحْيَـ ـ ـاءٍ حَبَائِلُهُـ ـ ـمْ كَرَاهُـ ـ ـمْ
طَرَقْتُهُـ ـ ـمُ بِقَاطِعَـ ـ ـةِ التَمِيـ ـ ـمِ[4]

---

(١) لهن: أي للخيل التي باتت كالرئال في الروض الجميل السابق وصفه.
به: أي بالروض. المِرَاح - بكسر الميم - الاسم من مرح يمرح، والمرح: شدة الفرح والنشاط. ومرحت عينه أيضًا: فسدت وهاجت، ولذلك احترز في الشطر الثاني فقال مراح الحمد. وهو ما يسميه البديعيون (الاحتراز). جعل عجز البيت للانتقال إلى الفخر وفيه حسن تخلص.

(٢) خفاجة: قوم الشاعر. جرداء: جَرِدَ الفرس أي قَصُر شعره ورق، وهو من علامات العتق والكرم في الخيل. الحالية: ضد العاطلة، وهي التي تلبس الحلي، ويستعار اللفظ للشجرة أورقت وأثمرت، ويجري على المجاز في كل ما أشبه ذلك.

(٣) الفتك: أن يأتي الرجل صاحبه وهو غار غافل حتى يشد عليه فيقتله، وقد فتك به يفْتُك ويفتِك، وفي الحديث ((الإيمان قيد الفتك)).

(٤) حبائلهم كراهم: أي يريدون أن يصيدوا أعداءهم ويتغلبوا عليهم بالنوم. التميم: التمائم جمع تميمة وهي خرزة تثقب ويجعل فيها سير وخيوط تعلق بها، ثم يتعوذ بها، وكانوا يعتقدون فيها (تمام) الشفاء. قاطعة التميم: أراد بها الشر الذي لا ينفع معه تميم.

أفي فَـــضْلِي يُبَــارِيني[1] غَــــوِيُّ
وأيـــنَ الوَجْــهُ يُبْــذَلُ للــسهُــومِ[2]
٢٥- ضَــلالُكَ مَــا نُــسِبْتَ إلى (سِــنَانٍ)
ولاَ ضَــرَبَتْ[3] خَؤُولُــكَ في (تَمِــيمِ)[4]
نُجُــومُ اللَّيْــلِ يُــسْهِرُهَا[5] حِــذَارِي
وَسُــمْرُ الخَــطِّ يُرْعِدُهَــا عَزِيمِــي[6]
ودَمْعِــي في جُفُــونِ الركْــبِ يَبْــدُو
كَــدَمْعِ الغَيْــثِ في حَــدَقِ النجِــيمِ[7]
وقَــدْ خُبِــرْتَ عَــنْ نَــشَبٍ قَلِيــلٍ
فَهَــلْ خُبِــرْتَ عَــنْ خُلُــقٍ ذَمِيــمِ؟[8]
ثمانية وعشرون بيتًا

---

(١) ف، ق، ك، م: أفي فضل. ف، ق، ك، مط: ينازعني.
(٢) السهوم: تغير لون الوجه من الهموم والأتعاب وغيرها. أراد ليعرّضْ ذاك المنافس نفسه للمخاطر والأتعاب، كما عرضت نفسي ثم لُيبَارِني.
(٣) ظ، فلا لك. ظ، م: ولا عزيت.
(٤) ما: نافية أي لست تنسب إلى سنان ولا إلى تميم، فأنى لك الفخر. هذا البيت يبين أن أم الشاعر أو (جدته) لأمه من بني تميم، وهو هنا يفاخر بأخواله، فضلاً عن الفخر بآبائه.
(٥) م: تسهرها حذاري.
(٦) م، ف، ك: عريمي. يسهرها: أي يطيل ليلها فكأنا ساهرة ما طال الليل على صاحبها. حِذاري: من إضافة المصدر إلى مفعوله، أي حذر نجوم الليل مني يجعلها تسهر. العزيم: مصدر عزم. أراد أن نجوم الليل تخشاه وأن الرماح المنسوبة إلى الخط ترتعد من بأسه.
(٧) النجيم: الطري من النبات حين نجم فنبت. فعيل بمعنى فاعل.
(٨) النشب: المال والعقار. والأصيل وأكثر استعماله في الأشياء الثابتة كالدور والضياع، لأن الفعل نشب في أصل معناه علق ولزم وثبت.يقول: إن كان مالي قليلاً فإن خلقي غير ذميم.

[١٩]*

وقال في صباه، وكتب بها إلى الشيخ أبي العلاء صاعد بن عيسى بن سمان الكاتب[(١)]: [طويل]

تَـروحُ (بِنَجْـدٍ) تَغْـصِبُ الـذنْبَ زَادَهُ
وَقَوْمُكَ بِالرَوْحَـاءِ فِـي المَنْـزِلِ الرحْـبِ[(٢)]
وَمَـا ذَاكَ إلا نَفْحَـةٌ (حَاجِرِيّـةٌ)
هَوِيتَ لَهَـا عَـيْشَ الأَعَارِيـبِ وَالجَـدْبِ[(٣)]

(*) ظ ٣٠، ف ٢١، ق ٣٢، ك ٢١، م ٣٤، مط ١٢.

(١) صاعد بن عيسى بن سمان الكاتب وكنيته أبو العلاء من تنوخ. كاتب محمود بن نصر بن صالح المرداسي. قال ابن العديم في حوادث سنة ٤٥٢هـ: وقصد محمود حسام الدولة منيع بن مقلد. فأمر محمود كاتبه أبا العلاء صاعد بن عيسى بن سمان النصراني بأن يعمل شعرًا يذكره فيه بعهده، ويعيب عليه في اطراح وده فكتب إليه [طويل]:

ألا أيها السّاري تخُب بِرَحلِهِ   قَصيرةُ فَضلِ النّسعَتينِ إذا تَسرِي

.. ولما ملك معز الدولة (ثمال بن صالح المرداسيّ) حلب جاء أبو العلاء بن سمان ليسلم عليه، فحمل عليه (ثمال) ليطعنه، فطرح نفسه من بغلته وغيب شخصه عنه وسار إلى أنطاكية وصار بها أسقفًا إلى أن مات - زبدة الحلب ١ / ٤٥٤ وما قبلها. رثاه ابن سنان بعد وفاته، انظر ق ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣.

توفي بأنطاكية في مستهل ربيع الأول سنة ٤٥٦هـ. وانظر حاشيتنا في مطلع القطعة (٢١).

(٢) الروحاء لغة: الروح والراحة، ويوم روح: طيب ومنه اسم الروحاء في عدة مواضع منها: الروحاء برحبة الشام أي رحبة مالك بن طوق، والظاهر أنها المقصودة في البيت، والروحاء التي هي من أعمال نهر عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس وهي كورة واسعة غربي بغداد قرب السندية، والروحاء بين مكة والمدينة.

(٣) ظ: هويتُ. نفحة حاجرية: نسبة إلى حاجر وهو موضع مر شرحه في ق٣، ب٢. الأعاريب: الأعراب.

تَبِيتُ خَمِيصَ البَطْنِ إلا مِنَ الجَوَى
وَتَغْدُو رَخِيَّ البَالِ إلا مِنَ الحُبِّ[1]

وَهَيجَكَ البَرْقُ اليَمَانِي مَوْهِنًا
ضَلالَكَ مَا لِلْبَرْقِ وَيْبَكَ وَالقَلْبِ؟[2]

٥- وَأَشْعَثَ حَيَّيْنَا بِهِ غُرَةَ الضُحَى
وَقَدْ نَشِطَ التَهْوِيمُ عَنْ مُقَلِ الركْبِ[3]

إذَا مَا تَغَنَتْ بَيْنَ أَبْرَادِهِ الصَبَا
تَرَنحَ مَرّ الريحِ بِالغُصُنِ الرطْبِ[4]

قَرِيبٌ وَأَنْوَاءُ الغَمَامِ بَخِيلَةٌ[5]
بَعِيدٌ بِأَيَامِ الغَضَارَةِ وَالخِصْبِ[6]

وَلَمْ يَتخِذْ زَادًا سِوَى مَا يَنَالُهُ[7]
مِنَ الغَصْبِ أَوْ يَأْسُو بِهِ سَغَبَ الصحْبِ[8]

---

(١) يصفه بأنه فقير إلا من الإحساس والعواطف.

(٢) ق، مط: وبلك، ف، ك: ويبك. الموهن: وقت نصف الليل أو بعد ساعة منه، وقصد به الليل كله. ضلالك: نصبه بفعل محذوف أي احذر أن تضل. ويبك: ويلك. والقلب: أراد (وللقلب) ثم حذف اللام. يقول: ما للبرق ولقلبك، وأداة التعريف عوض عن الكاف.

(٣) قوله: وأشعث، كنى به عن الفجر، وأصل الشعث: التفريق، يقال: لم الله شعثكم، وسمي الوتد أشعث لتشعث رأسه. التهويم: قصد به النوم القليل الرقيق. وقوله: نشط التهويم.. أي أقلع وزال وغادر المقل.

(٤) أبراد جمع برد: استعارها لسواد الليل تخالطه تزاويق الفجر.

(٥) مط: وأنواء الغمام بعيدة، بخيل بأيام .... ظ: قريت.

(٦) الغضارة: طيب العيش. قال الأصمعيّ: لا يقال أباد الله خضراءهم، ولكن أباد الله غضراءهم أي أهلك خيرهم وغضارتم - الصحاح -

(٧) ظ. م: أبي اتخاذ الزاد ما لا يناله. والرواية التي أثبتناها أحسن لتعدد الإضافات في الرواية الأخرى وثقلها.

(٨) آسيته بمالي مؤساة أي جعلته إسوتي فيه، وواسيته لغة ضعيفة فيه، وتآسوا أي آسى بعضهم بعضًا. سغب - بالكسر - يسغب سغبًا أي جاع، والسغب الجوع، أو الجوع مع تعب.

دَعَا (آلَ حَزْنٍ)[١] وَالرِمَاحُ تَنُوشُهُ
فَيَا قُرْبَ مَا بَيْتَ بِالطَعْنِ وَالضَرْبِ![٢]
١٠- وَلَو أنني أدْعُوهُ كَانَ جَوَابُهُ
بِأَسْرَعَ مِنْ سَلي لِحَادِثَةٍ عَضْبِي[٣]
وَجَدْتُكَ أَحْلَى في جُفُونِي مِنَ الكَرَى
وَأَعْذَبَ فِي نَفْسِي مِنَ البَارِدِ العَذْبِ
فَقُلْ لِجَنَابٍ (بِالغُوَيْرِ) - تَضَوَعَتْ
عَلَيْكَ الخُزَامَى وَهْيَ تَلْعَبُ بِاللب -:[٤]
سَقَاكَ رَسِيلُ الدَمْعِ تَحْسِبُ جُودَهُ
أَكُفَّ (الخَفَاجِيينَ) فَاضِحَةَ السُحْبِ![٥]

---

(١) ف، ق، ك: دعا آل حرب.

(٢) آل حزن: قصد به حزن بن خفاجة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، انظر ق٢٤ ب٣. تنوشه: تتناوله، على المجاز، والفرق بين الطعن والضرب، أن الأول بالرمح والثاني بالسيف.

(٣) العضب: السيف القاطع، قوله: بأسرع الباء زائدة، ولا نرى مسوغًا لاستعمالها في هذا التركيب لأن (كان) غير مسبوقة بنفي.

(٤) الجناب - بالفتح - الفناء، أو ما قرب من محلة القوم، انظر ق٥، ب٣٣، واستعمله الشاعر على المجاز، والجملة المحكية في البيت التالي (سقاك). الغوير تصغير الغور وهو اسم لعدة أمكنة منها غور فلسطين، وماء لكلب، وفي المثل ((عسى الغوير أبؤسًا)).

(٥) سقط البيت والذي يليه من ظ. حسبته صالحًا - بكسر السين - أي ظننته، وحسبته - بفتح السين - إذا عددته، انظر ق ٥، ب ٤٢، رسيل الدمع من إضافة الصفة إلى الموصوف، وعنى بالرسيل: غير المنقطع. الخفاجيون: قوم الشاعر ابن سنان، انظر ق٢٤، ب٣، ق٤٦، ب٧.

إِذَا خِلْتُهُ أَيْمَانُهُمْ قُبْرُوقَهُ
سُيُوفٌ، وَهَلْ أَيْمَانُ قَوْمِي بِلا قُضْبِ؟[١]

١٥-وَمَا كُنْتُ أَهْوَى أَنْ يَحِلَّ فِنَاءَهُ
سِوَى الدَّمْعِ، إِلا أَنَّهَا عَادَةُ العُرْبِ[٢]

يَعِزُّ هَدِيِّي دُونَ أَعْرَاضِ مَعْشَرٍ
يَهِيمُونَ بِي حَتَّى[٣] يَغُرَّهُمْ سَبِّي

وَمَا كُنْتُ أَرْضَى بِالدَّنِيَّةِ فِيهِمُ
سِبَابًا، فَهَلا حَاكَمُونِي إِلَى الحَرْبِ[٤]

وَوَاعَدَنِي مِنْهُمْ رِجَالٌ بِغَارَةٍ
تُشَنُّ، فَأَمَّنَّا يَا لِقَاحَ (بَنِي كَعْبِ)[٥]

---

(١) م: وهل أيمان قوم. قوله: إذا خلته أيمانهم.. أي إذا خِلت هذا المطر أيمان الخفاجيين، للمشاكلة بين المطر وأيمانهم في الجود.

(٢) إلا أنها عادة العرب: أي في الدعاء بالسقيا.
تمنى أن يملأ فناء الجناب بالدمع، لكنه آثر الجري على عادة العرب في الدعاء له بالسقيا، وهي صورة جديدة.

(٣) م يهمون في حبي، ف، ق، ك: يهيمون.

(٤) سقط البيت من ظ.

(٥) ك. ف. ق: وأوعدني. ك. ف: رجاك.
لقاح: اللقاح ج لقحة وهي القريبة العهد بالنتاج من النوق؛ أو الحلوب الغزيرة اللبن.
كعب: سلف خفاجة وهو كعب بن ربيعة.
والشاعر في هذا البيت يهجو خصومه، وهو ينظر إلى قول جرير [كامل]:
زَعَمَ الفَرَزْدَقُ أن سَيَقْتُلُ مِرْبَعًا   أَبشِرْ بِطُولِ سَلامةٍ يا مِرْبَعُ
(الديوان:٣٤٧)
ومربع لقب لرَاوِيَةِ جرير واسمه وعوعة، وكان الفرزدق قد حلف ليقتلنه.

وَقَــدْ عَلِمُــوا أنــي جَعَلْــتُ صُــدُورَهُمْ
مَقَري فَخَـالُونِي خُلِقْـتُ مِـنَ الرعْـبِ

٢٠- أَضَاعُوا المَعَالِي كَالـضُيوفِ وَجَـارُهُمْ
بَعِيدُ القِـرَى عَـصْرُ[1] الربيلَـةِ وَالعُـشْبِ[2]

تَــصَفحْتُ إِخْــوَانِي فَلَــمْ أَرَ فِيهِــمُ
صَــفِي وِدَادٍ لا يَقَــر عَلَــى ذَنْــبِ

وَقَــالَ فُــؤَادِي: لا تُطِــعْ مُتَجَنبًــا
فَخَالَفْتُهُ وَاخْتَرْتُ قَـوْمِي عَلَـى قَلْبِـي[3]

وَلَكِــنْ أَخُلِــي مِــنْ (تَنُــوخَ) يَــوَدنِي
عَلَى البُعْدِ إِنْ خَانَ الصدِيقُ عَلَـى القُـرْبِ[4]

أَلِفْنَــا ظَــلامَ الليْــلِ حَتــى كَأَننَــا
وَجَدكَ- أَوْلَـى بِالليَـالِي مِـنَ الـشهْبِ[5]

أربعة وعشرون بيتًا

---

(١) ظ: غض الربيلة: مط: غير الربيلة، ف، ك: عصر الربيلة.

(٢) مأخوذ من عصر بمعنى منع، وهو وصف بالمصدر والربيلة: السمن، والنعمة، من ربل القوم أي: كثروا أو كثرت أموالهم وأولادهم، وربلت الأرض: كثر ربلها أي عشبها، قال أبو خراش الهذلي [طويل]:

ولم يَكُ مَثلُوجَ الفُؤادِ مُهَيجًا ... أضاعَ الشبابَ في الربيلةِ والخَفْضِ

(ديوان الهذليين ق١٥٧/٢ والصحاح)

(٣) ق: محنبا. ك. ف: متحنبا. المتجنب: المتنحي. وفي الآية الكريمة ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِي أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (إبراهيم: ٣٥).

(٤) يستنتج من هذا البيت أن الممدوح، أبا العلاء صاعد بن عيسى، من تنوخ.

(٥) وجدك: قال ثعلب: ما أتاك في الشعر من قولك (أجدك) فهو بالكسر، فإذا أتاك بالواو (وجدك) فهو مفتوح. قال الجوهري في الصحاح: وقولهم أجدك وأجدك بمعنًى. ولا يتكلم به إلا مضافًا، وأورد قول الأصمعي: معناه أبجد منك هذا ونصبها على طرح الباء، وقول أبي عمرو: معناه مالك؟ أجدا منك؟ ونصبها على المصدر اهـ.

[٢٠]*

وقال، وكتب بها إليه في بعض الأوقات: [كامل]

أَمَلالـــةً ضـــيعْتَ وُدي بَعْــدمَا
وَجَبتْ عَلَيْـكَ حُقُوقُـهُ الأَسْـلاَفُ[١]

أَمْ شِئْتَ تَعْلَمُ[٢] أن جُـودَكَ لَـمْ يَـدَعْ
شَــيْئًا وَأَن طِبَاعَــكَ الإِتْــلاَفُ؟

بيتان



(*) ظ ٣١، ف ٣١، ق ٣٣، ك ٣١، م ٣ ، مط ٧٣.

(١) ف، ق، ك: وجبت عليه

أملالة: أي ألأنك مللت. وجبت عليك حقوقه الأسلاف: أي حقوقه، السالفة.

(٢) ظ، م: تعلم. قوله: أم شئت تعلم أي أن تعلم.

والظاهر أن الشاعر كتب إلى أبي العلاء صاعد يوصيه بإعطاء شخص ما حقوقه، فلم يجبه إلى طلبه، فعاتبه بهذين البيتين ووجه العتاب إلى المدح بالكرم البالغ الذي يذهب بالمال.

[٢١]*

وقال يرثي أبا العلاء صاعد بن عيسى بن سمان الكاتب[1]، وقد توفي بأنطاكية مستهل شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وأربعمائة. [طويل]

أَيَنْفَعُنِــي فَــضْلُ الحَنِيــنِ المُرَجَّــعِ
وهَيْهَاتَ! مَـا وَجْـدِي عَلَيْـكَ بِمُنْجِـعِ[2]

وكَيْــفَ يَفُــوزُ الغَيْــثُ فِيــكَ بِمِنــةٍ
إذَا كُنتُ لا أَرْضَـى سَـحَائِبَ أَدْمُعِـي؟[3]

أَرَى زَفَــرَاتِ الحُــزْنِ بَعْــدَكَ سَــلْوَةً
تَدُلُّ عَلَـى وِجْـدَانِ قَلْـبٍ وأَضْلُـعِ[4]

(*) ظ ٣١، ف، ك ٢٢، ق ٣٣، م ٣٥، مط ٦٤. وأورد منها ابن الصيرفي الأبيات٢، ٤، ١٤، ١٥، ٢٤، في كتابه الأفضليات، ص ٣٢٢.

(١) مضت ترجمته في القطعة ١٩.

(٢) وفي ف، ق، ك: وقال أيضا يرثيه. الفضل: العطية لا يلزم إعطاؤها لمن تعطى له، وهو هنا مجاز. رجّعت الحنين: رددته وقطعته. قصد بالحنين المرجع رثاءه للفقيد. المنجع: الناجع. يقال نجع وأنجع بمعنى واحد. معنى البيت أن التفجع والشكوى والرثاء لا تنفع لأنا لا ترد الحياة إلى المرثي ولا تشفي لوعة من فقده.

(٣) المِنة والمُنة: الإحسان والإنعام. يقول: إن أدمعي لا تقنعني ولو استحالت سحائب تسقي ثراك، فكيف أرضى بما ينـزل على قبرك من الغيث وهو مجرد ماء ؟

(٤) في أكثر النسخ زفرات الحب. وما أثبتناه من ظ سلا الشيء وسلا عنه: نسيه وذهل عن ذكره. والاسم السلوة والسلوة. الوجدان: ضد الفقدان. قال ابن القطاع: وجدت الشيء وجدانًا بعد ذهابه، وفي الغنى بعد الفقر جدة، وفي الغضب موجدة، وفي الحزن وجدًا. وهذا الأكثر في الاستعمال. يقول: إذا قابلت زفرات حزني على فقدانك بزفرات حزني على

ولَـيسَ بُكَـاءُ العَـيْنِ إلا خِيَانَـةً
ولا اللـؤْمُ إلا أنهَـا بَقِيَـتْ مَعِـي[1]

٥- وَكُل أَسًى لاَ تَذْهَبُ النفْسُ عِنْدَهُ
فَمَـا هُـوَ إلا مِـنْ قَبِيـلِ[2] التصَنعِ

ووالله مَا وَفَّيْتُ رُزْءَكَ[3] حَقهُ
وَهَـلْ هِـيَ إلا لَوْعَتِـي وَتَوَجعِي؟

وأيْـنَ وَفَـائِي لاَ مَـدَى الـدمْعِ[4] بَالِغٌ
رِضَـايَ ولاَ جُهْـدُ[5] الصبَابَةِ مُقْنِعِـي؟

بزفرات حزني على غيرك وجدت الثانية سلوة لا تدل إلا على وجود القلب والأضلع في الصدر.

(١) يقول: مجرد بكائي عليك خيانة لك، واللؤم كل اللؤم في كوني لم أفقد عيني بكثرة البكاء عليك.

(٢) القبيل: كل جمع من واحد. والجماعة من الناس من الثلاثة فصاعدًا من نجر واحد أو من قوم شتى.

ثم استعمل مجازًا فقيل قبائل اللجام لسيوره، وقبائل الشجرة لأغصانها، وقبائل الطير لأصنافه وجماعاته. ومنه ((قبيل التصنع)) - في البيت - صنفه؛ وما يجمع من أنواع.

(٣) م، ظ: ودّك.

(٤) ف، ك: لا مدى الدهر.

(٥) جَهْد بفتح الجيم. الجهد والجُهد: الطاقة والوسع. وأما في المشقة والغاية، فالفتح ليس غير (النهاية).

يقول: أنى لي أن أفي بحقك وأنا لا أقنع ببذل دمعي كله عليك، وباستنفاد صبابتي في سبيلك.

رَضِيتُ بِحُكْمِ الدَّهْرِ فِيكَ ذَرِيعَةً[1]
وَكَيْفَ إِبَائِي دُونَهُ وَتَمَنُّعِي؟
وطَاوَعْتُهُ حَتَّى جَعَلْتُكَ عِنْدَهُ
وَدِيعَةَ مُغْرًى بِالخِيَانَةِ مُولَعِ[2]
أُمَثِّلُ في عَيْنِي خَيَالَكَ حَاضِرًا
وأَنْتَ بَعِيدٌ عَنْ مَقِيلِي[3] وَمَوْضِعِي
فَلَوْ أنَّنِي حَدَّثْتُ نَفْسِي بِسَلْوَةٍ
لَكُنْتَ بِمَرْأًى مِنْ حَدِيثِي وَمَسْمَعِي
لَحَا اللهُ دَهْرًا نَازَعَتْكَ صُرُوفُهُ
صُبَابَةَ قَلْبٍ بِالفِرَاقِ مُرَوَّعِ[4]
وشُلَّتْ[5] يَدٌ هَالَتْ عَلَى وَجْهِكَ الثَّرَى

---

(١) م، ظ: ضرورة. الذريعة: الوسيلة؛ والشفيع.

(٢) يقول: أمنت عليك هذا الدهر المولع بالخيانة وطاوعته حتى جعلتك عنده وديعة لا تعبث با يده فخانني فيك.

(٣) م، ظ: مقامي.

(٤) يقول: أتمثلك أمامي، لأن قلبي لا يصدق بموتك، حتى ليخيل إلي أنني لو حدثت نفسي بأن أنساك لرأيتَ شخصي وسمعتَ حديثي. لحا الشجرة لحوًا ولحاها لحيًا قشرها. ولحاه الله: لعنه وأهلكه (مجاز). نازعه الشيء: جاذبه إياه (تكون في الأعيان وفي المعاني). الصَبَابة والصبة: البقية اليسيرة من الماء واللبن ونحوهما في الإناء. ومنه، على المجاز، صبابة الكرى، وصبابة العيش. يقول: لعن الله أحداث الدهر التي أخذت منك ما بقي بقلبك المروّع بالفراق. ذكر الشاعر الفراق لأن المرثي غادر حلب سنة ٤٥٣ هـ إلى أنطاكية فارًا من ثمال بن صالح المرداسي.

(٥) ف، ك: شلت، بفتح الشين.

تَـصَامَمْـتُ عَـنْ نَاعِيـكَ حَتـى أَرَبْتُـهُ لَقَدْ كَـسَفَتْ نُـورَ الـصَباحِ المُلَمـ ـع[1]

وَدَافَعْتُ فِيكَ القَـوْلَ مِـنْ كُـل مَـدْفَع[2]

١٥- وَلما أَبـى[3] إلا يَقِينًـ ـا حَـدِيثُـ ـهُ فَزِعْـتُ إِلَـى جَفْـنٍ مِـنَ الـدمْعِ مُتْـرَع

يَزِيــدُ أُوَامِــ ـي وِرْدُهُ وَهْــوَ[4] طَــافِحٌ وَقَدْ كَانَ مَنْ يَشْرَبْ مِنَ العَـذْبِ يَنقَـعِ[5](1)

---

(١) هال التراب وغيره: أرسله إرسالاً ولم يرفع يده، فإن رفع به يده فهو الصب. وهال الرمل: دفعه لينهال. الملمع: أراد به الشديد اللمعان. والملمع في أصل معناه: ذو الألوان المختلفة، من اللمعة (البقعة).

(٢) يقول: لم أصدق خبر موتك، فلم آبه لنعيك حتى ظنني ناعيك أصم، ودفعت قوله كل مدفع حتى ارتاب بي في صدق مودتي لك. وهذا قريب من قول الشريف الرضي يرثي بعض أصدقائه من أمراء بني عقيل [بسيط]:

لَما أَتانِيَ نَعْيٌ من بلادكمُ عَضَضْتُ كفيَ مِنْ غَيْظٍ على النّاعِي

أُبدي التصامُمَ عنه حين أَسْمَعُه عَمْدًا وقد أبلغ الناعُونَ أسماعي

(الديوان ٦٢٨/١).

(٣) ف، ك: ولما أتى. مترع: ممتلئ، من أترعت الإناء ملأته.

يقول: لما تيقنت من صدق الخبر فزعت إلى البكاء فأسبلت العبرات الغزيرة.

(٤) ظ: فهو طافح.

(٥) ظ، ف، مط: من العِدّ يقنع ق، ك: من العِد ينقع. وهما روايتان جيدتان: والعِدّ: الماء الدائم الذي له مادة لا تنقطع كماء العين والبئر. الأوام: شدة العطش وحرقته. الطافح: الممتلئ

فَقَــدْتُكَ فَقْــدَ المَــاءِ بَعْــدَ ضَــمَائِهِ[2]
مِنَ الغُــل في قَفْــرٍ مِــنَ البِيــدِ بَلْقَــعِ[3]
وكَــانَ رَجَــائِي فِيــكَ ذُخْــرًا جَعَلْتُــهُ
مَــلاَذِيَ في دَفْــعِ الهُمُــومِ ومَفْزَعِــي
فَيَــا مَــاءَ عَيْنِــي كَيْــفَ خَلَفْــتَ نُورَهَــا
مَجَــالاً لغَــرْبِ الدمْعَــةِ المُتَــسَرعِ[4]
٢٠-ومَا كُنتُ أخْشَى مِنْ يَــدَيْكَ جِنَايَــةً[5]

الممتلئ حتى يفيض. نقع من الماء: روي. يقول في الصدر: كلما بكيتك ازددت حرقة رغم غزارة دمعي المنهمر. والعجز من باب التشبيه الضمني الدال على التعجب، ومعناه: كل وارد للماء العذب ينقع غلته. أما أنا فالنهل من الدموع يزيدني حزنًا وبكاء.

(١) الأوام: شدة العطش وحرقته. نقع من الماء ينقع نقوعًا ونقيعًا روي. يقول: كلما بكيتك ازددت حرقة رغم غزارة دمعي المنهمر. وفي البيت تشبيه التمثيل.

(٢) ف، ق، ك، مط: بعد ظمائه. ف، ك: الغِل..

(٣) البلقع: الأرض القفر، للذكر والأنثى وصفًا، والأنثى بلقعة - اسمًا - والجمع بلاقع، ويقال أرض بلاقع (على وصف المفرد بالجمع) وديار بلاقع على وصف الجمع بالمفرد. يقول: فقدتك كما يفقد المسافر الماء في القفر البلقع وقد كان يظن نفسه في أمان من العطش.

(٤) الغرب: الدلو العظيمة، وعرق في مجرى الدمع من العين يسقي ولا ينقطع وهو كالناسور، والعرق الغبر في باطنه فساد والكلمة سريانية معربة-، والغرب أيضًا مسيل الدمع وانماله، وقصد بماء عينه المفقود. يريد أن كثرة البكاء ذهبت بنور عينيه ويستعمل في ذلك أسلوب الخطاب، وأغلب الظن أنه يشير إلى الآية الكريمة ﴿وَابْيَضتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾(يوسف/ ٨٤) وأنه بكاه كما بكى يعقوب يوسف عليهما السلام.

(٥) ظ: من يديك خيانة.

تُـــضَرِمُ نَـــارًا في مَقِيلِـــي[1] ومَـــضْجَعِي

أصَاعِدُ! قَدْ أسْـمِعْتَ لـو بلـغَ الثـرَى[2]

نِـــدَاءَ حَـــزِينٍ أو شِكَايَـــةَ مُوجَـــعِ

ذَكَرْتُ لَكَ العَهْـدَ القَـدِيمَ وقَـدْ مَـضَتْ

عَلَيْـهِ لَيَـالٍ مَـا تَهُـم بِمَرْجِـعِ

وخَالَــسَنِي فِيــكَ الزمَــانُ بَقِيــةً

مِنَ الـصَّبْرِ في أعْـشَارِ قَلْـبٍ مُـرَوعِ[3]

فَــأيّ حُــسَامٍ حَالَــتِ الأَرْضُ دُونَــهُ

وكَانَ مَتَـى يُـضْرَبْ بِـهِ الخَطْـبُ يَقْطَـعِ

٢٥- ومُقْتَسَمٍ[4] النعْمَـى أَنَاخَـتْ عُفَاتُـه

---

(١) مط: في حشاي ومضجعي.

(٢) ف، ك، مط: قد بلغت لو أسمع الثرى، ق: قد بلغت لو سمع.

(٣) ف، ق، ك: من القلب في أعشار..، ظ، م: قلب موزّع.

العِشْر والجمع أعشار: الجزء والقطعة، وقِدْرٌ أعشار: مكسرة على عشر قطع. يقول: أخذ الدهر مني - بسبب موتك - كل ما بقي من صبر في أجزاء قلبي المروع.

(٤) العافي: كل طالب فضل أو رزق والجمع عفاة وعواف وعافية وعُفِي، وكل ما أتي به من غير مسألة، والضيف، والوارد على الماء. مرع: مخصب. وقوله (على المحل) على: تعني المصاحبة مثل (مع) كقوله تعالى:﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ (البقرة: ١٧٧). يصفه بالكرم وإزالة الشدة عن الناس. وكان قد وصف في البيت السابق بالنجاعة في حسم الخطوب وإن كان في بعض الضيق.

عَلَى المَحْلِ في رَوْضٍ مِـنَ الجُـودِ مُمْـرِعِ[1]

لَـهُ نَـشْوَةٌ عِنْـدَ الـسـؤَالِ كأَنَمَـا

تُنَازِعُـهُ كَـأسَ[2] الـسلاَفِ المُشَعْـشَعِ[3]

إذَا أَعْمَـلَ الأَوْلاَمَ[4] نَالَـتْ غُرُوبُهَـا

مَطَـارِحَ أَطْـرَافِ القَنَـا المُتَزَعْـزِعِ[5]

ومَـا الطَعْنَـةُ الـنجْلاَءُ في كُـلِ مَعْـرَكٍ

سِـوَى الخُطْبَـةِ الغَـرَاءِ في كُـلِ مَجْمَـعِ

---

(١) ف، ك: ومقتسم - بالرفع -، وأغفل الشكل في م. وليس في النسخة المطبوعة (مط) شكل ولا في (ق) وآثرنا رواية (ظ) -بالكسر -.

(٢) م، مط: ينازعه، ف، ك: تنازعه كأس.

(٣) يقول إنه يجيب الطالبين بأريحية. وابن سنان هاهنا ينظر إلى قول زهير في= =مدح هرم بن سنان [طويل]:

تَراهُ إذا ما جِئتَهُ مُتهللاً   كأنكَ تُعطِيهِ الذي أنتَ سائِلُهْ

(الديوان: ص ١٤٢)

وقد تبعه بشار بن برد فقال في مدح خالد بن برمك [طويل]:

إذا جِئتَهُ لِلحَمدِ أشرَقَ وَجهُهُ   إليكَ وأعطاكَ الكَرامةَ بالحَمدِ

(كتاب الأغاني ٨٥/٣، لا يوجد البيت في الديوان ١٢٥/٣-٦) والسلاف: والسلافة: الخمر أول ما تعصر، وما سال منها من غير عصر وأخلصُها وأفضلُها، والسلاف من كل شيء خالصه.

(٤) ف، ق، ك، مط: إذا أعمل الأقوام.

(٥) الغرب والجمع غروب: كثرة الريق في الفم: استعاره للحبر في القلم، والمَطَارِح ج مَطْرَح: اسم مكان من طرحه وطرح به رماه وأبعد، وتتمة المعنى في البيت التالي. يقول، هو كاتب مجيد لا يقل شأنه عن شأن المحارب، يدرك بقلمه ما يدرك المحارب برمحه وهو جد فصيح.

أقَـر لَـهُ بِالفَـضْـلِ كُـلُّ مُنَـازِعٍ

وَيَاسَـرَهُ في الفِكْـرِ كُـلُّ مُمَنَّـعِ[1]

٣٠-وأثْنَـى عَلَيْـهِ الحَاسِـدُونَ ضَـرُورَةً

بِأحْسَنِ مَـا يَعْلُـو الـصَدِيقُ وَيَدعِـي

لَعَمْـرِي لَقَـدْ مَنِيَـتْ نَفْـسِي بِقُرْبِـهِ

سَفَاهًا وَمَـنْ يَطْلُـبْ مِـنَ الـدهْرِ يُمْنَـعِ

فَحَـال الـردَى دُونَ اللقَـاءِ ولم تَـدَعْ

صُـرُوفُ اللَيَـالي حِيلَـةً في التجَمُّـعِ

سَقَاكَ -وقَـدْ أغْنَـتْ عَـن الغَيْـثِ مُزْنَـةٌ

مِـنَ الـدمْعِ تَهْمِـي في مَـصِيفٍ ومَرْبَـعِ-

سَـحَابٌ تُزَجيـهِ الـصَبَا وكأنـهُ

يُمَـد[2] بِطَـوْدٍ مِـنْ (عَمَايَـةَ)[3] أتْلَـعِ[4]

٣٥- يُفَـوفُ أبْـرَادَ الرِيَـاضِ وَبَرْقُـهُ

---

(١) ياسره: لاينه وساهله، يريد أن ما يستعصي على الأفكار يطاوعه بكل سهولة.

(٢) ظ، م: وكأنه ف، ك: تمد بطود.

(٣) م: من غمامة..

(٤) عماية: اسم لعدة جبال بالبلاد العربية (والتفصيل في معجم ياقوت: مادة عماية. الأتلع الطويل العنق: والطويل الظهر. قصد به: المرتفع. سحاب فاعل سقاك وجملة (وقد أغنت ... ومربع) معترضة، وأصل التركيب سقاك سحاب. يقول على عادة العرب: سقاك غيث تدفعه الصبا نحو قبرك برفق، وتمده غمامة كثيفة من غمام جبال عماية، وإن كان دمعي أغنى عن الغيث.

يَـــشُق جَلاَبِيـــبَ الظـــلاَمِ المُوَســـع[1]

كَـــأن حَنِيــــنَ الرعْـــدِ في حَجَرَاتِـــهِ
حُـــدَاءُ مُهِيـــبٍ بالركَـــابِ مُذَعْـــذِع[2]

لَـــهُ زَجَـــلٌ يَـــرْوِي النَّسِـــيمُ وَرَاءَهُ
أحَادِيـــثَ نَـــشْرِ الروْضَـــةِ المُتَضَـــوع[3]

وَقَـــدْ جَـــل قَـــدْرُ المَـــاءِ إنْ كَـــانَ حَافِظًـــا
مَـــوَدةَ[4] ثَـــاوٍ في التـــرَابِ مُـــضَيع

وَمَـــا أنَـــا إلا لاَحِـــقٌ بِـــكَ فَانْتَظِـــرْ

---

(١) (التفويف) و(التوشيع) من مصطلحات البديع، والتفويف مشتق من الثوب المفوّف، والمراد تلوينه ونقشه والفعل فوف يفوف، وقال ابن دريد: التوشيع رقم الثوب، ووشع القطن: لفه بعد الندف. وقال الزمخشري: برد موشّع: موشي ذو رقوم وطرائق الواحدة وشيعة اهـ. يريد أن هذا الغيث يُفوف أبراد الرياض أي ينبت فيها أزهارًا مختلفة الألوان، وأن برقه يرسم خطوطًا في جلابيب الدجى، ويعد قوله (يفوف) و(الموشع) في البلاغة من باب (التوجيه).

(٢) ظ: مدعدع، مط: مزعزع. الحَجْرَةُ: الناحية ومنه المثل (دع عنك نبًا صيح في حَجَرَاتِهِ. أهاب به فهو مهيب: دعاه إليه وأصله في الإبل يدعوها بـ هابْ هابْ، وذعذع الشيء فرقه وبدده، وحركه.. يشبه صوت الرعد بحداء من يهيب بالإبل.

(٣) الزجل رفع الصوت في الطرب، واللعب والجلبة والتطريب. نَشَرَ العُشْبُ: اخْضَر بعد يبس في دبر الصيف بمطر يصيبه. تضوع المسك مثل ضاع: انتشرت رائحته. ومعنى هذا البيت وما بعده ظاهر.

(٤) ظ، ف، ك: مودة - بضم الميم - وهي رواية جيّدة.

لِقَـاِئي[1] وَمَـنْ يَـسْلُكْ سَـبِيلَكَ يَتْبَـعِ

٤٠- عَوَائِدُ مِنْ ذِكْـرَاكَ عِنْـدِي حَبِيبَـةٌ

وَمَا لِـيَ مِنْهَـا غَيْـرُ مَبْكًـى وَمَجْـزَعِ[2]

وأي جُفُـونٍ مَـا أفَاضَـتْ دُمُوعُهَـا

عَلَيْـكَ وقَلْـبٍ فِيـكَ لم يَتَـصَـدعِ؟

واحد وأربعون بيتًا

---

(١) ف، ق، ك، م: لقاي.

(٢) عوائد: ج عائدة وهي ما ينتاب الإنسان من الذكريات وغيرها.

[٢٢]*

وقال يرثي أبا العلاء صاعد بن عيسى بن سمان الكاتب: [كامل]

أنفقــتُ بعــدَ أبي العَــلاءِ مَــدامِعًا
حُبِـسَت ذَخِيرتُهـا عَلَـى الإنفـاقِ(١)

وَبكَيْتُـــهُ وجُفُونُهـــا مَوجُـــودةٌ
مِثــلَ الحَمــامِ تَنُــوحُ بــالأطواقِ(٢)

لا تَــدعِي حُــسنَ الوَفــاءِ بِعَهــدِهِ
مِن بَعدِ مـا فَنِيَـت وَطَرفِـي بـاقِ(٣)

ولقَد حَذِرتُ عَلَيـهِ لـو رَفَـعَ الـردَى
حَـــذَرِي ورَد مَنِيّـــةً إشـــفاقِي

وظَننتُ في فَيضِ الدموعِ مِـنَ الجَـوى
فَرَجًــا، فَــصارَ بمائِهــا إحراقِــي(٤)

لَهفي عَلَيـكَ! وكيـفَ يَنفَـعُ ذاهِبًـا
لَهَــفُ الحَــزِينِ ولَوعَــةُ المُــشتاقِ؟

ستة أبيات

(*) ظ ٣٣، ف ٢٣، ق ٣٥، ك ٢٤، م ٣٧، مط ٧٧.

(١) قوله: حبست ذخيرتا على الإنفاق: فيه ما يسميه بعض البلاغيين بـ(إيهام التضاد)، وقد زاد معنى البيت توكيدًا وجمالاً.

(٢) قوله ((وجفونا موجودة)) الضمير عائد على المدامع. أي أنه بكاه بذه المدامع ومع ذلك بقيت الجفون. والشاعر يتعجب في صدر البيت من كون كثرة البكاء وطوله لم يذهبا بعينيه؛ ومن هنا ساغ له التشبيه في العجز.

(٣) ظ، مط: باقي بإثبات الياء. الضمير في ((لا تدعي)) و((فنيت)) عائد على المدامع وقد قصد با الدموع على الماز .

(٤) أصل التركيب: وظننت في فيض الدموع فرجًا من الجوى.

[٢٣]*

وقال فيه أيضا يرثي أبا العلاء صاعد بن عيسى: [كامل]

يـــا غائبًـــا ببعـــادِه وحِمامِـــهِ
جـــارَ الزمـــانُ عَلَيـــكَ في أحكامِـــهِ

لِتطُـــلْ ليـــالِي الـــدهرِ بَعـــدَكَ إنـــهُ
سِـــيّانُ[1] بَـــينَ صَـــباحِهِ وظَلامِـــهِ

سَودتـُهُ فـي ناظِـري كأنمـا
خُلِعَـت لَيـالِيهِ عَلَى أيامِـه[2]

ثلاثة أبيات

(*) ظ ٣٣، ف ٢٧، ق ٣٦، ك ٢٧، م ٣٧، مط ٩٩ .

(١) ظ: سيانُ . م: سيان .

(٢) خلعت لياليه على أيامه: أراد أعطته لونا، من خلع عليه ألبسه خلْعة، والخلعة: الثوب تخلعه وتمنحه غيرك.

*[٢٤]

وقال في صباه[١]: [وافر]

فُـــؤَادٌ مَـــا يقِـــرِ مِـــنَ الوَجِيـــبِ
وَدَهْـــرٌ لاَ يجُـــودُ عَلَـــى لَبِيـــبِ[٢]

وجَفْـــنٌ تَحْـــسِبُ العَبَـــرَاتِ فِيـــهِ
سَـــحَائِبَ يَخْتَـــصِمْنَ عَلَـــى قَلِيـــبِ[٣]

وَهَلْ عَلِمَتْ[٤] (بَنُـــو حَـــزْنِ بْـــنِ عَمْـــرٍو)
إِبَـــايَ عَلَـــى مُـــشَاوَرَةِ الخُطُـــوبِ[٥]

(*) ظ ٣٣، ف ٢٢، ق ٣٦، ك ٢٤، م ٣٧، مط ١٠.

(١) القصيدة في الغزل والشكوى من البعاد، وفيها حنين إلى نجد والغوير، وما يلازم ذلك من ألم الصبابة والذكرى.

(٢) وجب القلب وجيبًا: اضطرب. اللب: العقل، والجمع الألباب، على الماز، وأصله خالص كل شيء وخياره.

(٣) القليب: البئر ما كانت، أو قبل أن تطوى، أو العادّية القديمة - يذكر ويؤنث - والجمع قُلُب وأقلبة وأصل معناه التراب المقلوب - من فعيل بمعنى مفعول - والتعبير بـ (يختصمن) يدل على الكثرة والقوة. يعبر عن ترقرق الدمع في العين وانهماره على طريق الاستعانة بالتشبيه.

(٤) م: فهل علمت.

(٥) حزن بن عمرو: هو حزن بن خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، منهم القحيف بن خمير بن سليم الندى بن عبد الله بن عوف بن حزن بن خفاجة الشاعر. قال ابن الأثير: ((وخفاجة في هذه الأعصار لا تعرف غير قبيلتين: حزنيّ وكعبيّ، وحزن هذا هو الذي بارز الربيع بن زياد العبسي، فنكل الربيع عنه)). (اللباب - ما. حزنيّ، مجلد ١، ص ٣٦٣)، وقد عنى الشاعر بحزن بن عمرو بني خفاجة قومه، انظر ق٤٦، ب٧. إبايَ: أراد إبائي، من أبى. والظاهر من هذه الأبيات أن الشاعر ينتسب إلى (حزن) وأنه يفخر بقومه.

وأن الـــدهْرَ أبْقَـــى مِـــنْ قِرَاعِـــي
كَمَـــا أبْقَـــى الـــضرَابُ مِـــنَ الغُـــرُوبِ[1]

٥- وأنْـــزَلَ[2] أسْـــرَتي بِمَقَـــرِّ بُـــؤْسٍ
تَـــوَارَى عَنْـــهُ لاعِبَـــةُ الجُنُـــوبِ[3]

أجَـــابُوا فِيـــهِ دَاعِيَـــةَ المَنَايَـــا
لَقَـــدْ صَـــعُبَ النِـــدَاءُ عَلَـــى المُجِيـــبِ[4]

إذَا كَـــانَ المَـــشِيبُ نَـــوَى الغَـــوَانِي
فَـــإن وِصَـــالَهُمْ بِيَـــدِ المَـــشِيبِ[5]

يُنَـــادِينِي[6] بِزَفْرَتِـــهِ (عَـــدِي)
وَيُعْـــرِضُ إنْ بَكَيْـــتُ عَلَـــى الكَثِيـــبِ[7]

وَلَـــوْ أعْدَتْـــهُ ثَـــم جُفُـــونُ عَيْنِـــي
لجَـــادَ عَلَيْـــهِ بِالـــدمْعِ الغَرِيـــبِ[8]

---

(١) أثبتنا رواية م، ط. وفي سائر النسخ: العروب -بالعين المهملة- الغروب جمع غرب وهو حد السيف. أراد أن الدهر قارعه ففله كما يفُل الضراب حد السيف أي آذاه.
(٢) ف، ق، ك: وأترك. مط: وأبدل.
(٣) م: لاعبة الغروب. ظ: الجنوب.
(٤) سقط البيت من ظ.
(٥) ظ: بيد النسيب. مط: نبذ المشيب
نوى الغواني: أي ينفر الغواني من الإنسان المسنّ. وقوله: فإن وصالهم بيد المشيب: جعل من المنية غانية يعجبها وصال الشيب.
يكني في هذا البيت والذي قبله عن بكائه على من فقد من قومه. ويظهر أنه فقد الكثير من أسرته وهو في صباه فكان بكاؤه مرًا.
(٦) مط: ينادمني بزفرته.
(٧) عدي: يقصد أحد أجداده الأقربين. الكثيب: التل المستطيل المحدودب من الرمل.
(٨) أعدته: انتقل إليه ما بي. لجاد عليه: أي لجاد على الكثيب. قوله بالدمع الغريب أراد الغزير.

أَأَلِفَةَ النَّوَى سَكَنَتْ قُلُوبٌ
تُعَلِّلُ فِيكَ بِالأَمَلِ الكَذُوبِ

بِعَهْدِكِ! كَيْفَ دَنَّسَتِ اللَّيَالِي
بُرُودًا مَا تُلاثُ عَلَى مَعِيبِ؟

وَكَيْفَ أَمَاطَ عَنْكِ التُّرْبُ[1] حُسْنًا
وَمِنْهُ نَضَارَةُ الغُصْنِ الرَّطِيبِ

سَكَنْتِ القَلْبَ ثُمَّ حَبَاكِ غُدْرًا[2]
فَسَاوَى بَيْنَ حُبِّكِ والوَجِيبِ

وَخَانَتْكِ الجُفُونُ فَقَدْ أَقَامَتْ
أَوَالِفَ بَعْدَ شَخْصِكِ للنَّحِيبِ[3]

لَيَالِينَا (بِذِي سَلَمٍ) أَقَامَتْ
عَلَيْكِ ولاَ تُرَوِّعُ بِالرَّقِيبِ[4]

---

(١) ف، ق، ك: الثوب حسنا.

(٢) ق. م: غدرا. الوجيب: خَفْقُ القلب واضطرابه.

(٣) ظ: ألوفا بعد. ورواية البيت في ف، ق، ك، مط:

وخانَتكِ الجُفُونُ فقَد أقامَت عَلَيكِ ولا تُرَوِّعُ بِالرَقِيبِ

بإسقاط البيت التالي.

(٤) سقط هذا البيت من ف، ق، ك، مط، فلم يرد الشطر الأول، أما الشطر الثاني فجعل عجزًا للبيت السابق. ذو سلم ووادي سلم: بالحجاز، وذو سلم: واد ينحدر على الذنائب، والذنائب في أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة، وسلم الريان: باليمامة قريب من الهجرة. وقد أكثر الشعراء من ذكره، قال الشريف الرضي: [بسيط]

أقُولُ والشوقُ قد عادَت عَوائِدُهُ لِذِكرِ عَهدِ هَوًى وَلى ولم يَدُمِ

يا ظَبيةَ الأُنسِ هل أنسٌ ألذ بِهِ من الغداةِ فأُشفَى من جَوَى الألَمِ؟

وهل أراكِ على وادِي الأراكِ وهل يَعُودُ تَسليمُنا يَومًا بذِي سَلَمِ؟

(معجم البلدان، مادة: سلم، والأبيات غير موجودة في الديوان ط، صادر)

فَلَـ ـسْتُ أَرُومُ أَعْبَـ ـقَ مِـ ـنْ صَـ ـبَاهَا
لَقَـ ـدْ أَكْثَـ ـرْتِ مِـ ـنْ حُـ ـسْنٍ[1] وطِيـ ـبِ
إِذَا مَـ ـا (الحَـ ـزْنُ) ضَـ ـوعَهُ الخُزَامَـ ـى
وصَـ ـد الناعِجَـ ـاتِ عَـ ـنِ اللغُـ ـوبِ[2]
وخِلْـ ـتَ[3] نَـ ـسِيمَهُ إمـ ـا نَـ ـشَقْنَا
يُنازِعُنَـ ـا عَلَـ ـى مُلْـ ـكِ القُلُـ ـوبِ[4]
فَهَـ ـب عَلَـ ـى ثَـ ـرَاكِ وَلَـ ـمْ يُنفـ ـرْ
أَنِـ ـيسَ تُرَابِـ ـهِ عِنْـ ـدَ الهُبُـ ـوبِ[5]
٢٠- وصَـ ـافَحَ مُـ ـسْتَهَل[6] الرمْـ ـلِ مِنْـ ـهُ
عَلَـ ـى رِفْـ ـقٍ مُـ ـصَافَحَةَ الحَبِيـ ـبِ[7]
وأَكْبِـ ـرَ أنْ يُفَاجِئَـ ـهُ[8] بِمَـ ـس
فَعَـ ـارَضَ زَوْرَةَ الرجُـ ـلِ المُرِيـ ـبِ[9]

---

(١) م: أعتق من صباها لقد أكثرت في..
(٢) الناعجة: الناقة البيضاء اللون الكريمة -والجمل ناعج - والناقة السريعة يصاد عليها الوحش. اللغوب: التعب والإعياء الشديد، ماضيه لَغَب.
(٣) ظ: وخلت - ببناء التاء على الفتح -
(٤) إما نشقنا: إن نشقناه، زيدت الميم بعد (إنْ).
تكرر معنى هذا البيت وأسلوبه في شعر ابن سنان.
(٥) أنيس ترابه: ترابه الأنيس.
(٦) ف، ك: مستهل - بفتح الهاء - اسم مفعول.
(٧) الرمل المستهل: المرتفع الظاهر الناتئ.
(٨) ظ، م: أن يفاجيه - بتسهيل الهمزة -
(٩) ف، ك: أ أنسيت - ببناء التاء على الفتح -

أأنسيتِ[1] المَوَاقِفَ في مَغَانٍ
وَمَا سَكن مِنْ حَرْقِ الكُرُوبِ؟
سَبَيْنا بِالبُرُودِ[2] صَعِيدَ (نَجْدٍ)
فَفَاحَ عَلَى الذلاذِلِ[3] والجُيُوبِ[4]
وَكُنا - وَالزمَانُ لَهُ أَيَادٍ
يُوَكَلُ فَيْضُهُن إِلَى شَعُوبِ-[5]
٢٥-نُرَاسِلُ[6] بِالتذَكرِ مِنْ بَعِيدٍ
وَنَعْتِبُ بِاللوَاحِظِ مِنْ قَرِيبِ
حَنَنْتُ إِلىَ الأَرَاكِ فَقَالَ (سَعْدٌ)
طَرِبْتَ، وأي عُذْرٍ للطرُوبِ؟
عَهِدْتُكَ لاَ تَحِن لِغَيْرِ (نَجْدٍ)
أخِلْتَ غُصُونَهُ لِعِبَ[7] الكُعُوبِ؟

---

(١) فعارض زورة الرجل المريب: أي لم يهب على الرجل المريب لتمكنه مصافحة مستهل الرمل الذي عده حبيبًا.
(٢) أثبتنا رواية م، وفي ف، ق، ك، مط: سلبنا بالسجود..
(٣) مط: الزلازل. ظ: الدلاذل.
(٤) قوله: سبينا بالبرود صعيد نجد، أي أخذت برودنا عطر صعيد نجد.
الذلاذل: قصد بها أسافل البرود، جمع ذلذل - وفيه عدة لغات -، الجيوب: جيب القميص هو ما انفتح على النحر.
(٥) ف، ك: يُوَكلُ فيضُهن - بالبناء للمجهول -. ظ: شُعوب.
له أياد: قصد بالأيادي النعم على المجاز. فيضهن: من فاض بالسر أي باح به، ومعنى العجز: له أياد لا يباح بها حتى الموت.
(٦) ظ: نراسِل بكسر السين: اخترنا رواية ظ. وفي غيرها نراسَل.
(٧) م: كعب.

فَلَيْتَ تَنَسُّمِي[1] أَرَجَ الخُزَامَى
عَلَى هِمَمِي بِهِ مِنَ الدُّنْيَا نَصِيبِي![2]

وَيَا بَرْقَ (الغُوَيْرِ) دَنَوْتَ حَتَّى
يَغَارُ[3] عَلَيَّ مِنْكَ شَبَا قَضِيبِي[4]

٣٠- صَحِبْتُكِ يَا ذُكَاءُ فَكُنْتِ أَسْرَى
وَأَصْبَرَ[5] في المَهَامِهِ والسُّهُوبِ[6]

وَسَرْبَلْنَاكِ بُرْدَ[7] النَّقْعِ حَتَّى
أَخَذْتِ الثَّأْرَ مِنَّا بِالشُّحُوبِ

واحد وثلاثون بيتًا

(١) ظ: فليس تنسّمي.
(٢) على هِمَمِي: رغم ما يهمني.
(٣) ف، ك: يغار - بالنصب -
(٤) الغوير: موضع سبق شرحه في القطعة (١٩) البيت (١٢). الشبا من كل شيء طرف حده، أو حدّه. القضيب: السيف القاطع - صيغة فعيل ها هنا بمعنى فاعل-، واللطيف من السيوف.
(٥) م: وأصبر - بالرفع -
(٦) ذكاء: الشمس، وأصل اللفظ من ذكت النار: اشتعلت واشتد لهيبها. المهامه: جمع مهمه ومهمهة وهي الفلاة لا ماء بها ولا أنيس، وأصل التركيب: الكف والانقطاع. السهوب: جمع سهب وهي الفلاة، وأصل المعنى السعة والطول والبعد. والسهوب من الأرض: المستوية البعيدة أو الواسعة، وسهوب الفلاة نواحيها لا مسلك فيها.
(٧) م: ثوب النقع. أخذت النار منها. ظ: وسربلناكَ.

*[٢٥]

وقال أيضًا في صباه: [طويل]

يُقَصِّرُ مَالِي في الحَوَادِثِ عَنْ بَذْلِي
فَمَا عُذْرُ دَهْرٍ لا يَجُودُ عَلَى مِثْلِي؟[(١)]

رَمَتْنِي رِجَالٌ بِالوَعِيدِ[(٢)] كَأَنَّمَا
تَرُومُ مَرَامِي أَوْ تُنَازِعُنِي فَضْلِي

وَقَدْ أَمِنُوا أَنْ يُمْنَعَ السبَّ مِنْ فَمِي
فَهَلْ أَمِنُوا أَنْ يُمْنَعَ الضرْبُ مِنْ نَصْلِي؟[(٣)]

وَيَحْسِبُنِي دَهْرِي أَرُومُ عَطَاءَهُ
فَيُوسِعُنِي قَبْلَ السؤَالِ مِنَ الْبُخْلِ[(٤)]

(*) ظ ٣٥، ف ٢٥، ق ٣٧، ك ٢٥، م ٣٨، مط ٨٦.

(١) قصر عن الأمر: تركه وهو لا يقدر عليه. وهي الدلالة الأليق بالسياق. الحوادث: قصد بها ما يجد من الأمور ويقتضي البذل والسخاء.

(٢) رمتني رجال بالوعيد: توعدني قوم. والتعبير بالرمي للمبالغة.

(٣) في كلا الشطرين قلْب. وأصل التركيب: وقد أمنوا أن أمنع فمي من سّبهم، فهل أمنوا أن أمنع نصلي من ضربهم. والقلب أصيل في اللغة إذا أُمِن اللبس. والمقصود به التوكيد. ولولا هذا القلب لكان المعنى تافهًا، ومن تحصيل الحاصل، لأن السب لا يكون إلا بالفم، والضرب لا يكون إلا بالسيف في مثل هذا المعنى.

(٤) أوسعه الشيء: جلعه يسعه. ومنه أوسعه سبا، وأوسعه بخلاً، على المجاز المراد به التوكيد.

٥- وَهَلْ كُنتُ[١]أرْضَـى أنْ أنـالَ حُطَامَـهُ

وأعْلَـمُ أن الحَـظ فِيـهِ مَـعَ الجَهْـلِ؟![2]

أَنِفْـتُ مِـنَ الـدُّنْيا فَمَـا طَلَبـتْ يَـدِي

ولاَ طَمِعَـتْ نَفْـسِي ولاَ وَخَـدَتْ إبْلِـي[٣]

وَمَـنْ كَـانَ فِي بُـرْدِ القَنَاعَـةِ رَافِـلاً

أَصَابَ الغِنَى فِي الفَقْـرِ والغَيْـثَ فِي المَحْـلِ[٤]

أَلاَمُ إذَا مَـا نَـاوَشَ الـدهْرُ جَـانِبِي

وأيُّ حُـسَامٍ لاَ يُحَـادَثُ بِالـصقْلِ؟[٥]

وَمَـا هُـوَ فِيمَـا بَيْنَنَـا مِـنْ ضَغِينَةٍ

بِمُطـرِحٍ قَـوْلِي ولاَ جَاهِـلٍ فِعْلِـي[٦]

---

(١) ظ: فهل كنتُ.

(٢) حطام الدنيا: كل ما فيها مما يفنى ولا يبقى، من حَطِمَ الشيءُ: تكسّر. ((وأعلم)): يريد ((وأنا أعلم)). معنى البيت مما تعاوره شعراء العصور العباسية.

(٣) وخد البعير أوالفرس في سْيره، يَخِدُ: أسرع، أو وسّع الخطَو.

(٤) رفل في ثيابه: أطالها وجرها متبخترًا. وأصل المعنى السعَة والوُفُور.

(٥) ناوشه القتال: داناه فيه. وتناوشوا القتال: تناول بعضهم بعضًا بالرماح ولم يتدانوا كل التداني. حادث سيفه: جلاه. ومنه الحديث: ((حادِثُوا القُلُوبَ بِذِكرِ الله، فإنا سَرِيعةُ الدثُورِ)).

(٦) الضغْن في أصل معناه تغطية الشيء في ميل واعوجاج. ومنه قناة ضَغِنَة: عوجاء. وضَغَنْتُ إلى فلان ركَنت ومِلْت. واضطغَنْتُ الشيء تحت حضني. والضغينة: ما يخفيه الإنسان من حقد، من فعيل بمعنى مفعول. والاسم الضغْنُ.

١٠- وكُنْتُ[1] أُمَنِّي النفْسَ نَبْذًا مِنَ الغِنَى
يُحَسِّنُ مَعْرُوفِي وَيُوسِعُ فِي بَذْلِي[2]

فَأَمَّا وَقَدْ فَارَقْتُ (آلَ عُذَيْبَةٍ)
فَلاَ خَيْرَ فِي حَزْنٍ مِنَ العَيْشِ أَوْ سَهْلِ

أَلاَ إِنَّمَا وَارَيْتِ يَا (أُمَّ عَامِرٍ)
عُهُودَ الصِّبَا بَيْنَ الصَّفَائِحِ وَالرَّمْلِ[3]

اثنا عشر بيتًا

---

(١) ظ: فكنتُ.

(٢) النَّبْذُ: الشيء القليل لا يعتدّ به. ومنه: ذهب ماله وبقي نَبْذٌ منه. وأصاب الأرض نَبْذٌ من مطر.

(٣) أم عامر: كنية التي يشبّب بها. بين الصفائح والرمل: أي في القبر. يعاتب المحبوبة على نسيانها عهود الصبا؛ فكأنها قبرت كل ما كان بينهما.

[٢٦]*

وقال أيضًا: [مجزوء الكامل]

يـ ــا مُنفِـ ــدًا مـ ــاءَ الجُفُـ ــو
ن وكُنْـ ــتُ أُنفِقُـ ــهُ عَلَيْـ ــهِ[1]

إن لم تَكُـ ـ ـنْ عَينِـ ـ ـي فأنْـ ـ ـ ـ
ـ ـتَ أعَـ ـزُّ مَـ ـن نَظَـ ـرَت إليْـ ـهِ؟

بيتان

(*) ظ ٣٥، ف ٢٥، ق ٣٨، ك ٢٥، م ٣٩، مط ١١٦.

(١) نفد الشيء نفادًا - بالدال المهملة - فَنِيَ، ونفِد الماء: انتهى. وأنفده: أفناه.

يشبه الدمع بالمال، والمحبوب بمن ينفق عليه هذا المال ويسعى في نفاده. وهذا ما لا يقبله عقل.

[٢٧]*

وقال أيضًا: [سريع]

لا تعــذُلِ[1] القَلــبَ علــى وَجــدِهِ

قــد ضَــل عَــن مَقــصَدِ ســلوانه[2]

لم أرَ رَبعًــ ـ ــا مِثلَــ ـ ــهُ واقِيًــ ـ ــا

فارَقَتــ ــهُ في إثــ ــرِ سُــ ــكانِهِ[3]

بيتان

(*) ظ ٣٥، ف ٢٥، ق ٣٨، ك ٢٥، م ٣٩، مط ١٠٦ .

(١) كذا أثبتنا ما في النسخ (تعذل) بضم الذال المعجمة، ووردت في الصحاح بكسرها (يعذل). والعذل: الملامة، والاسم العذَل - بالتحريك - .

(٢) ظ: منهج سلوانه.

(٣) الربع: المنــزل والموطن. من رَبَعَ: أقام . واقيًا: تاما آهلاً بسكانه. شبّه قلبه بالرْبع فارقه صاحبه بعدما فارقه سكانه.

[٢٨]*

وقال أيضًا: [سريع]

مَـرت تَثنـى وبهـا هِـزّةٌ[1]
تَخـدَعُ عِطفَـي غُـصنِها المائِـل[2]

كَلَمعـةِ البـارقِ مُجتـازةً
بمائِهـا في البَلَـدِ الماحِـل

تَرنُـو إلى الـرّائِحِ مِـن شَـيبِهِ
تَلَفـتَ الظَـبي إلى الحابِـل[3]

ثلاثة أبيات

(*) ظ ٣٦، ف ٢٥، ق ٣٨، ك ٢٥، م ٣٩، مط ٨٦ .

(١) م: هَزة - بفتح الهاء - وكسرها أنسب للمعنى المقصود.

(٢) الأبيات في الغزل.

تخدَع: تثني وتلوي. عطفي: جانبيْ. فإن كانت الرواية الصحيحة ((يخدع عطفي غصنها المائل)) كان في البيت إقواء، وهو عيب من عيوب القافية لاختلاف حركة اللام مع البيتين التاليين، وكان المراد بالعطف القلب على المجاز، ويخدع: يخلب.

(٣) الحابل: الصّياد الذي ينصب الحبالة للصيد، وفي المثل: اختلط الحابل بالنابل، ويقال: الحابل: السدى في هذا الموضع، والنابل: اللحمة .

والحبالة: التي يصاد بها - الصحاح -

الرائع: المخيف. جعل الشيب مخيفًا لبغض الغواني له.

*[٢٩]

وقال أيضًا [رمل]:

لَسْتُ مِنْ (عَدْنانَ) إنْ لم تَرَهَا
كَذِئَابِ[1] القَاعِ يَرْعَيْنَ اللجُمْ[2]
كُلُّ نَشْوَانَ يُمَارِي عِطْفَهُ
غُصُنُ البَانَةِ والرُّمْحُ الأَصَمْ[3]
قَدْ أغَارُوا فَحَوْوا مَا بِالقَنَا

(*) ظ ٣٦، ف ٢٥، ق ٣٨، ك ٢٥، م ٣٩، مط ٩٩.

(١) أثبتنا رواية مط، وفي سائر النسخ: كذياب، بتسهيل الهمزة.

(٢) إن لم ترها: يعني خيل الغارة ((يرعين اللجم)): قصد: يعلكنها. وتشبيه الخيل في جريها بالذئاب كثير في الشعر العربي (انظر مثلاً كتاب المعاني لابن قتيبة ٣٣/١ - ٣٧).

(٣) ((كل نشوان)): أي من كل نشوان، على حذف الجارّ. شبه الفرس بالنشوان لاهتزازه في جريه واهتزاز المرح وغصن البانة، على عادة الشعراء العرب في ذلك. قال جارية بن الحجاج الإيادي، المعروف بأبي دؤاد وهو شاعر جاهلي من وصاف الخيل المجيدين (متقارب).

((كَهَزّ الرُّدَيني بَينَ الأكُفّ ... جَرَى في الأنابيبِ ثُم اضطَرَبْ

(راجع شواهد المغني: الشاهد رقم ١٨٨).

((يماري)) قصد به: ينافس وأصل الدلالة: المحالبة، استعملت مجازًا في الجدال.

ـهِـ ــنْ تَمَـ ــامٍ وقَـ ــوَامٍ وهَـ ــضَمْ[1]

يـ ــا بَنِـ ــي (قَيْلَـ ــةَ) لاَ تَخْـ ــدَعْكُمُ
هَجْمَـ ـــةُ اللَّيْـــثِ إِذَا اللَّيْـــثُ هَجَـ ـــمْ[2]

٥- إِن أَسْـ ـــيَافَ (نِـ ـــزَارٍ) طُبِعَـ ـــتْ
لِطُلاَكُـ ـ ـ ـــمْ وعَرَاقِيـ ـ ـ ـــبِ الـ ـ ـ ـــنَعَمْ[3]

رُب خِـ ـــلٍ طَمَـ ـــحَ الغَـ ـــيُ بِـ ـــهِ
فَوَهَبْنَـ ــا اللـ ــؤْمَ فِيـ ــهِ لِلْكَـ ــرَمْ[4]

وابْـ ـــنِ عَـ ـــم قَـ ـــدْ بَلَوْنَـ ـــا شِـ ـــرَهُ[5]
فَلَبِـ ـــسْنَاهُ عَلَـ ـــى مَـ ـــا قَـ ـــدْ كَـ ـــتَمْ[6]

---

(١) الهضم في الخيل: استقامة الضلوع وانضمام أعالي البطن واستقامتها ودخول أعاليه.
«قد أغاروا فحووا»: «قد أغارت فحوت» بتنـزيل مالا يعقل منـزلة ما يعقل.

(٢) قَيْلة أم الأوس والخزرج. والظاهر أنه قصد قومًا من القحطانيين، كما يستشف من مطلع القصيدة ومن البيت الخامس. يقول: لا تخدعكم هجمة الليث بقوة صدمتها، فإننا أفتك من الليث وأشدّ بطشًا.

(٣) طبع السيف والسنان: صاغه. الطلى ج: طُلْية وهي العنق.

(٤) «طمح الغيّ به»: اغتر بنفسه وترفّع وتجاوز حده.
«فوهبنا اللؤم فيه للكرم»: فوهبنا لؤمه لكرمنا، فصفحنا عنه وتغافلنا عن إساءته.

(٥) ف، ك: وابن عمرو ك: شرّه.

(٦) «لبست فلانا على ما فيه»: احتملته وقبلته. قال لبيد [طويل]:

وإني لأُعطِي المالَ مَن لا أَوَدُهُ   وأَلبِسُ أقوامًـا عَلَى الشنـآنِ

(أساس البلاغة مادة: لبس).
يريد ابن سنان أنم احتملوا ابن العمّ على ما انطوى عليه من ضغن.

وَنَدِيمٍ عَبَهَا فِي لَيْلَةٍ
عَطَّ فِيهَا الكَأْسُ جِلْبَابَ الظلامْ[1]
كُلَمَا حَارَبَنَا ضَوْءُ الضحَى
حَالَفَ الصبْحَ عَلَيْنَا وَابْتَسَمْ[2]

١٠- إنْ تَرَيْنِي[3] بِمَضِلاتِ الغِنَى
أَحْمِلُ الجُودَ عَلَى حُكْمِ[4] العَدَمْ
فَأبِي النفْسِ عَنْ ذُل المُنَى
وخَفِيفُ الظهْرِ عَنْ حَمْلِ النعَمْ[5]

---

(١) اخترنا رواية ف، ق، ك، وفي غيرها: غطّ بالغين المعجمة. عطّ: العطّ شق الثوب وغيره عرضًا أو طولاً. يريد أن هذه الكأس جعلت الظلام نورًا بتلألئها.

(٢) اخترنا رواية ف، ك. وفي غيرها ((حالف الصبح)) بالرفع.
الضمير في ((حالف الصبح)) يعود على النديم. يريد أن هذا النديم يتآمر عليهم مع الصبح، فيكشف عن أغرّ أشنب.

(٣) ف، ك: تريني، بكسر الرّاء.
المَضِلة والمَضَلة والجمع مَضِلات: المَتِيَهَة يُضَل فيها الطريق.

(٤) ظ: على ظهر العدم.
((أحمل الجود على حكم العدم)): يريد أنه جدّ كريم ينفق ماله كلّه على العفاة.

(٥) ((فأبيّ النفس عن ذل المنى)) أي آنف من ذل السؤال وبلوغ الأماني بما يضع من قدري.
((وخفيف الظهر عن حمل النعم)): يريد أنه يجود بما يُنْعَمُ به عليه ولا يبقيه

أحد عشر بيتًا

مهما كان مصدر هذه النّعم.

*[٣٠]

وقال يفتخر بعدنان على قحطان [طويل] :

أَتَــذْكُرُ فَخْــرًا في[1] قَبَائِــلِ (يَعْــرُبٍ)

وَتُنْكِرُ (قَــارًا) وَهْــوَ أَبْلَــجُ وَاضِــحُ؟

وَيَوْمَ (المَعَــى)[2] غَادَرْتُمُوهَــا ذَمِيمَــةً

(*) ظ ٣٨، ف ٢٧، ق٤١، ك ٢٧، م ٤٠، مط ٢٢.

(١) م: من قبائل. (قارا): قصد به يوم ذي قار. وذو قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط، وحِنْوُ ذي قار: على ليلة منه، وفيه كانت الوقعة الشهيرة بين بكر بن وائل والفرس، كُسِر فيها الفرس كسرة هائلة وقتل أكثرهم. ومن المؤرخين من يجعلها يوم ولادة الرسول ﷺ، ومنهم من يقول بل كانت عند منصرفه من وقعة بدر الكبرى. وهي من مفاخر بكر بن وائل. ذكرها أبو تمام وجرير في شعرهما، وغيرهما كثير (راجع معجم البلدان مادة ((قار)).

(٢) ق: ويوم المغا. مط: ويوم اللقا. يوم المَعَا من أيام العرب قتل فيه عبد الله بن الرائش الكلبي. فقال بدر بن امرئ القيس بن خلف بن بدلة من أبيات [كامل]:

ولقد رحلت على المكاره واحدًا بالصيف تنبحني الكلاب الحسَّرُ

وطعنتُ عبدَ الله طعنــةَ ثائــرٍ وبأيكم يــومَ المَعــى لَمْ أثــأرُ

فطعنتُهُ نَجــلاءَ يهــدرُ فَرغُهــا سنن الفروع من الرباطِ الأشقرُ

وفي هذه الأبيات إقواء. (معجم البلدان: مادة ((المعا)).

يَسِيرُ بِهَا شَادٍ مِنَ العَارِ قَاضِحُ(1)

وَفي رَوْضَةِ (السلانِ) ثَلَّتْ عُرُوشَكُمْ

ذَوَابِلُ في أَيْمَانِنَا وَصَفَائِحُ(2)

---

(1) ف، ق، ك، مط: حاد من العار صادِح.

(2) يوم السلان لبني عامر على النعمان بن المنذر ملك الحيرة. وقعت معركة ذلك اليوم قبل البعثة النبوية بسنوات، ومن خبرها أن النعمان كان يجهز لطيمة (قافلة تجارية) تباع له في سوق عكاظ، تمر بديار بني عامر تحمل الخمرة المعتقة والدقيق الأبيض والثياب الناعمة وأنواع الطيب والدروع المضاعفة، وصفها لبيد في قوله: (شرح الديوان ص ٢٦٢):

حَقائِبُهُم رَاحٌ عَتِيقٌ ودرمكٌ وريطٌ وفاثوريةٌ وسَلاسِلُ

وما نسجَت أسرادُ داودَ وابنِهِ مُضاعفَةً من نسجِهِ إذ يُقابلُ

هاجمها العامريون في أثناء مرورها ببلادهم وانتهبوها، وكانت علاقتهم سيئة بأمير الحيرة، فأقام النعمان الدنيا وأقعدها، وجهز جيشًا كبيرا أرسله لتأديبهم، وعليه أخوه لأمه حسان بن وبرة الكلبي، وجعل معه الصنائع (نخبة حراسه من بني ثعلبة)، والوضائع (ألف فارس من الفرس)، وجماعة من بني ضبة والرباب وتميم.. وانضم إليهم ضرار بن عمرو الضبي ومعه جيش ابن دلف، فخرجوا وكتموا الأمر، فلما فرغ الناس من عكاظ علمت قريش بحالهم، فأرسل عبد الله بن جدعان من يخبر العامريين بهم؛ فسلم العامريون قيادهم لفارسهم عامر ابن مالك ملاعب الأسنة عمّ لبيد بن ربيعة.. واقتتل الجمعان بالسلان فانتصر العامريون وأسروا رؤوس أعدائهم. والخبر طويل تردد مرارًا في شعر لبيد. (انظر الكامل لابن الأثير ٣٩١/١ والعقد الفريد ٧٩/٣ طبع بولاق. وقد اضطرب الخبر في نهاية الأرب ٦٧٣/٥).

(الواديين): قال ياقوت: «هكذا وجدته والصواب الواديان إلا أن يكون نُزّل منزلة الأندرين ونصيبين، وهي بلدة في جبال السراة بقرب مدائن لوط، وإياها عنى النون في قوله [طويل]:

«أحِب هُبوطَ الوادِيين وإنني لَمُستَهزأٌ بِالوادِيين غَريبُ

رَعَيْتُمْ هَشِيمَ (الوَادِيَيْنِ) وبِالرُّبا
مَرَاتِعُ يَهْفُو نَبْتُهَا المُتَنَاوِحُ
إِذَا شُنتِ الغَارَاتُ حُطتْ بُيُوتُكُمْ
حِذَارًا ولم يَسْرَحْ مِنَ البَرْكِ[1] سَارِحُ
رَغَتْ كَلِمَاتِي رَغْوَةَ السقْبِ فِيكُمُ[2]
وَجَاشَتْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ القَرَائِحُ[3]
وَسَالَتْ بِأَبْكَارِ القَوَافِي شِعَابُهَا[4]
عَلَيْكُمْ وَهُن المُغْرِيَاتُ الفَوَاضِحُ
سبعة أبيات

وباليمن من أعمال زبيد كورة عظيمة لها دخل واسع يقال لها الواديان»
(معجم البلدان: مادة «الواديين») والأولى هي التي عناها ابن سنان.

(١) ف، ك: حذارا - بفتح الحاء -. م: من البزل.

(٢) م: رعت كلماتي رعوة السيف. مط: دعت كلماتي دعوة. ف، ك: دعوة السقب.

(٣) الرغاء: صوت ذوات الخُف، وقد رغا البعير إذا ضبح، وفي المثل «كفى برغائها مناديًا»، ويقال أيضا «أمست إبلهم ترغي وتُنشف».
السقب: الذكر من ولد الناقة. وقصد به سقب ناقة صالح، قال الأخطل [طويل]:
لعَمرِي لقَد لاقَت سليمٌ وعامِرٌ على جانِبِ الثّرثارِ راغِيةَ البكرِ
(الديوان: ١٣٣)
أي لاقت الشؤم والشدة. ومنه «كانت عليهم كراغية البكر» أي اشتدت عليهم كرغاء سقب ناقة صالح.

(٤) ظ، ق: شغابا.

[٣١]*

وقال أيضًا: [طويل]

لَحَا اللهُ مَغْلُوبًا عَلَى نَصْلِ سَيْفِهِ
مُقِيمًا عَلَى نَهْيِ الزمَانِ وَأَمْرِهِ![1]

أَنَاخَ بِدَارِ الهُونِ حَتى كَأَنمَا
يَرَى الرزْقَ مَقْصُورًا عَلَى مُسْتَقَرِهِ[2]

بيتان

(*) ظ ٣٨، ف ٢٧، ق ٤١، ك ٢٧، م ٤٠، مط ٥٠.

(١) لحا الله: قبّح ولعن.

قصد بالمغلوب على نصل سيف: الذي لا يجعل سيفه وسيلة إلى تحقيق مطامحه، فكأن سيفه بيد غيره يذلّه به.

(٢) أناخ الإبل: أبركها ليركبها. ولا يستعمل لازمًا فلا يقال: أناخ الجملُ بمعنى برك. وجوّزه بعض اللغويين على نحو ما جاء في هذا البيت؛ وخرّجوه على الحذف، يقال أنخت الجمل، فأناخ (نفسه) يراجع «تاج العروس»، مادة نوخ. أو هو، في البيت، على الحذف (= أناخ إبله وأقام). مستقرّه: المنْزل الذي استقر به أي دار الهُون.

*[٣٢]

قال أيضًا: [وافر]

وَدَوْحٍ مَالَـ ــتِ الأغْـ ــصَانُ مِنْـ ــهُ
فَخِلْـ ــتُ مُمِيلَهَـ ــا وَسَـ ــنَ العُيُـ ــونِ(١)

كَـ ـأني إذْ نَبَـ ـذْتُ النـ ـوْمَ فِيـ ـهِ
تَعَلْـ ــقَ بِالـ ــذوَائِبِ والغُـ ــصُونِ(٢)

بيتان

(*) ظ ٣٩، ف ٢٧، ك ٤٢، ق ٢٧، م ٤٠، مط ١٠٦.

(١) من معاني الوَسَن: النعاس من غير نوم. وقصد به فتور العين على نحو قول جرير [بسيط]:

إن العُيونَ التي في طَرْفِها مَـرَضٌ ... قَتَلْنَنا ثُم لم يُحيِيـنَ قَتلانـا
يَصرَعنَ ذا اللب حتّى لا صراعَ بِهِ ... وهُن أضعفُ خَلقِ اللهِ أركانا

(الديوان: ٥٩٥)

يقول: مالت أغصان الدوح فخلت أن الذي أمالها هو وسن العيون.

(٢) كأني: يريد كأنه (أي النوم) لأن النوم هو المخبر عنه. وهو مجاز مرسل شائع وخاصة في الشعر.

نبذ الشيء: ألقاه من يده لقلة الاعتداد به ؛ طرحه أمامه أو وراءه. فيه: يمكن أن يكون على أصله ويمكن أن يكون بمعنى: من أجله. والظاهر أن المعنيين مقصودان، لأن البيتين في الغزل، أو ملابسان له إن كان ((الدوح)) على أصل معناه.

[٣٣]*

وقال أيضًا: [سريع]

أحَلنِـي الـدَهْرُ لَـدَى مَعْـشَرٍ
بَـابُ[1] النـدَى عِنْـدَهُمُ مُـرْتَجُ[2]

دَارُهُـمُ الـدُنْيَا لأنـا بِهَـا
نَـدْخُلُ صِـفْرًا وكَـذَا نَخْـرُجُ

بيتان

(*) ظ ٣٩، ف ٢٧، ق ٤٢، ك ٢٧، م ٤٠، مط ١٩.

(١) م: بات.

(٢) مُرْتَج: من أرتَج الباب: أغلقه إغلاقًا وثيقًا.

والبيتان في الهجاء بالبخل.

[٣٤]*

وقال أيضًا: [بسيط]

إِذَا هَجَــوْتُكُمُ لم أَخْــشَ سَــطْوَتَكُمْ
وإِنْ مَدَحْتُ فَمَا حَظي سِوَى التَعَـبِ[(١)]؟

فَحِينَ لم أُلْـفِ لاَ خَوْفًـا وَلاَ أَمَـلاً[(٢)]
رَغِبْتُ في الهَجْوِ إِشْـفَاقًا مِـنَ الكَـذِبِ

بيتان

(*) ظ ٣٩، ف ٢٧، ق٤١، ك ٢٨، م ٤٠، مط ١٣.

والبيتان في معجم البلدان لياقوت (ما. حلب)، وإعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء لراغب الطباخ ١٣٣/١.

(١) قال ياقوت عن حلب وفيها حدث يعرف بأبي محمد بن سنان قد ناهز العشرين وقد علا في الشعر طبقة المحنكين فمن قوله:

إذا هجوتكمُ لم أخش صولتكم   وإن مدحت فكيف الري باللهـب
فحين لم ألق لا خوفًا ولا طمعًـا   رغبت في الهجو إشفاقا من الكذب

وقد نقل الطباخ الرواية ذاتها في كتابه إعلام النبلاء ١٣٣/١ اهـ عن ياقوت (معجم البلدن: مادة حلب).

(٢) م: ولا طمعا اهـ. وهي رواية ياقوت.

[٣٥]*

وقال، وكتب بها في صباه إلى الشريف أبي علي محمد بن محمد الهاشمي[(١)]، وقد اعتقل سنة أربعين وأربعمائة: [طويل]

سَلِ العِيسَ مَا بَيْنَ (اللِّوَى) فـ(أَبَانِ)
خِمَاصًا تُبِيدُ البِيدَ بِالوَخَدَانِ[(٢)]

(*) ظ ٣٩، ف ٢٨، ق ٤٢، ك ٢٨، م ٤٠، مط ١٠٦.

(1) أبو علي محمد بن محمد الشريف، من أعيان حلب، اعتقله معز الدولة ثمال بن صالح سنة ٤٤٠ هـ، وقتله سنة ٤٤٢هـ. وسبب ذلك ما أورده ابن العديم عن حرب ثمال مع المصريين، قال: ((وكان معز الدولة ثمال قد خاف من الحلبيين أن يسلّموا البلد إلى أبي محمد بن حمدان حين توجه إلى حلب، فقبض على أعيان الحلبيين، ومنهم قاضي حلب أبو الحسن بن أبي جرادة، واعتقلهم بالقلعة سنة أربعين، فلما كفي أمرَ ابن حمدان أطلقهم في سنة ٤٤٢هـ. وقتل معز الدولة الشريف أبا علي محمد بن محمد بن صالح المحّبرة بسعاية ابن الأيسر به، دون الباقين ؛ فإن ابن الأيسر صعِد إلى مصر رسولاً، فتحقق براءة الباقين من تهمة تتطرق إليهم)). زبدة الحلب ٠١ / ٢٦٤. ويظهر أن لابن سنان - مع صغر سنه - علاقة بالشريف أو ميلاً إليه لتشيع فيه، أو لأن أبا علي من آل البيت، ولذلك آلمه اعتقاله فنظم هذه القصيدة.

(2) العيس: جمع أعيس وعيساء، وهي الإبل يخالط بياضها شقرة. اللوى: موضع، مرّ شرحه في القطعة (١٤) البيت (٦). أبان اسم لموضعين: أبان الأبيض، وهو شرقيّ الحاجر، فيه نخل وماء، يقال له أُكْرَة، وهذا العلم لبني فزارة وعبس، وأبان الأسود، وهو جبل لبني فزارة خاصّة، وبينه وبين الأبيض مِيلان، وكلاهما محدد الرأس كالسنان، وقد قال امرؤ القيس: [طويل]

كأن (أبانًا) في أفانينِ وَبِلهِ كبيرُ أناسٍ في بجادٍ مُزَمّلِ

(معجم ياقوت)

الخماص: جمع خميص أي ضامرة البطن. والخمَص في البطن دقة خلقته. الوخدان: مصدر وخَد البعير أي أسرع، وسع الخطو، أو رمى بقوائمه مشيَ النعام. الخطاب في البيت على سبيل التجريد أو تخيل مرافق في السفر يسأله عن حال العيس التي أنكت قواها ريثما وصلت إلى (أبان) بأرض نجد، وما زالت على جوعها تقطع البيد بإسراع.

عَنِ الركْبِ في أكْوَارِهَـا هَـلْ تَـسَانَدَتْ[١]
أَنامِلُـ ـ ـهُ إلا عَلَـ ـ ـى خَفَقَـ ـ ـانِ؟[٢]

وَهَلْ نَشِقَتْ [٣] عَـرْفَ العِـرَارِ فَلَـمْ تَـزُلْ
حَقَائِبُهَـ ـا مِـ ـنْ شِـ ـدةِ النـ ـزَوَانِ؟[٤]

أخَــا العُــرْبِ سُــقْهَا إن دُونَ (سُــوَيقَةٍ)
مَجَـ ـالَ[٥] عُيُـ ـونٍ في عِـ ـرَاصِ مَغَـ ـانِ

٥- سَـلَوْتُ عَرَاهِـي إنْ رَضِـيتكَ صَـاحِبًا
إذَا لم تُعِنـ ــي في بُكَـ ــاءِ (مَعَـ ــانِ)[٦]

---

(1) م. ظ: في أكوارهن أَسْنِدَتْ
(2) الكور: رحل البعير أو الرحل بأداته. أنامله: الضمير عائد على الركب. وأصل التركيب: سل العيس عن الركب، هل أسندت أنامله على غير خفقان. قصد إلى تصوير خفقات قلوب من في الركب. وهو هنا يزاوج بين التلميح إلى فداحة الأسى لاعتقال الشريف الهاشمي، وبين التقيد بالمطلع الغزلي للقصيدة.
(3) ظ: ريح العرار فلم تزل م: فهل نشقت.
(4) العرار: بار البرّ وهو نبت طيب الريح أو هو النرجس البريّ. النـزوان: الوثوب، وقصد به السرعة في السير. ومن معانيه أيضًا: التقلب والسورة. نسب الحركة والنّزوان إلى حقائب العير، وأراد با العير نفسها مجازًا. وبذا عّبر عن اغتباط العير بالمكان وعراره ومكثها فيه.
(5) ق: محال بالحاء المهملة. ظ، مط: مغاني.
سُوَيْقة: موضع مرّ ذكره في القطعة (٤) البيت (١١).
يطلب إلى سائق العيس أن يمضي بالركب نحو سويقة - وهي بحمى ضرية من أرض نجد - ليبصر العيون الجميلة في المغاني من تلك الأرض.
(6) معان: المعان في الأصل المنـزل، يقال: الكوفة معاني أي منـزلي، قال الأزهري: وميمه ميم مفعل: وهي مدينة في طرف بادية الشام، تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء، والمحدثون يقولونه بضم الميم، وإياه عنى أهل اللغة، وفيه قال عبد الله بن رواحة: [وافر]
أقامَت ليلَـتينِ عَلَـى مَعَـانٍ   فأعقبَ بعد فَترتِها جُمُـوم
(مادة: معان)

تَلَفَّــتُ مِــنْ سَــفْحِ (الحِيَــارِ) وَدُونَهَــا
حِجَازِيـــــةٌ[1] إنـــــا لَمُخْتَلِفَـــــانِ[2]
فَلَــمْ تَجْهَــلِ العَيْنَــانِ لاَئِــحَ رَسْــمِهَا
عَلَــى البُعْــدِ لَــوْلاَ كَثْــرَةُ الهَمَــلاَنِ[3]
خَلِيلَــي! هَــلْ زَالَ الحِمَــى بَعْــدَ أَهْلِــهِ
وَهَــلْ أَقْفَــرَتْ مِــنْ بَعْــدِنَا (العَلَمَــانِ)؟

---

(1) م. ظ: ودارها حجازية.

(2) تفلت: تتلفّتُ، وفاعلها: العيس. الحيار: قال ياقوت في معجم البلدان: ((كأنه جمع حيّر وهو شبه الحظيرة أو الحمى. حيار بني القعقاع صقع من بريّة قنسرين، كان الوليد بن عبد الملك أقطعه القعقاع بن خليد، وبينه وبين حلب يومان. قال المتنبي في مدح سيف الدولة: [وافر]

وكُنتَ السيفَ قائمُهُ إليـهم   وفي الأعداء حَـدكَ والغِـرار
فأمسَت بالبَديةِ شَفرتـاهُ   وأمسَى خَلفَ قائمـهِ الحيـارُ

(الديوان، ٢ / ٢٠٥)

استذكر غرامه حين تلفتت ناقته وهو بسفح هضبة الحيار بقنسرين من أرض فلسطين، فرأى أن الهضبة أبعدته عن الحبيبة التي غادرها بأرض الحجاز.

(3) العلم: جبل فرد شرقيّ الحاجر يقال له أبان - وهو الوارد في البيت الأول - وعلم بني الصادر يواجه القَنَوْين تلقاء الحاجر. قال ياقوت في معجمه: ((ولا أدري أهو الذي قبله أم آخر. وعلم السّعد ودجوج: جبلان من دُومة على يوم، وهما جبلان كل واحد منهما يتصل بالآخر. ودجوج رمل متصل مسيرة يومين إلى دون تيماء بيوم يُخْرج منه إلى الصحراء. وهو الذي عناه المتنبي بقوله [بسيط]:

طَرَدتُ مِن مِصرَ أيدِيَها بأرجُلِها   حتّى مَرَقْن بنا من جَوشَ والعَلَمِ

(الديوان ٤ / ٢٨٧)

قال: هما جبلان بينهما وبين حِسمى أربع ليال)) (مادة العلم).
وقد قصد ابن سنان ((أرض العلمين)) ، ولذلك أنّث الفعل (أقفرتْ).

وَهَـــلْ لخُـــشْفٍ (بِـــالعَقِيقِ) عَلاَمَـــةٌ
بِقَلْبِـــيَ؟ أَمْ دَانْيِـــتُ غَيْـــرَ مُـــدَانِ(١)

١٠- وَمَا ذَاتُ أَفْـرَاخٍ تَمِـيسُ مَـعَ الـصَبَا
وأَفْرَاخُهَـــــا في غَفْلَـــــةٍ وَأَمَـــــانِ(٢)

---

(1) الخشف - مثلثة الخاء - ولد الظبية بعدما يكون طلاً أو أول مشيه، أو أول ما يولد، جمع خَشِفَة وخُشوف، كنى به عن المحبوبة وصغره للتحبب. العقيق: قال أبو منصور: والعرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنره ووسعه عقيق، قال: وفي بلاد العرب أربعة أعقة، وهي أودية عادية شقتها السيول. وقال الأصمعي: الأعقة الأودية، ومنها عقيق عارض اليمامة لبني عقيل، ومنها عقيق بناحية المدينة... ومنها عقيق البصرة، ومنها عقيق تمرة قرب تبالة وبيشة، والعقيق واد لبني كلاب في أرض هوازن بنجد مما يلي اليمن وغطفان. وقد أكثر الشعراء من ذكر العقيق في غزلهم، ونرى أن ابن سنان ترسم خطاهم في ذلك من غير أن يقصد موضعًا بعينه - راجع ياقوت: العقيق. في الأبيات السابقة ذكرٌ لأمكنة بعينها، وكأن ابن سنان يصف رحلة قطعها أو تخيل أنه قطعها على ناقته من الشام إلى الحجاز ؛ مرّ فيها من بلاد الشام إلى قنسرين ثم العلمين فمعان شمالي الحجار فسويقة، وهي هضبة بحمى ضرية بنجد فأبان وهو شرقي الحاجر بنجد فيه نخل وماء، وأخيرًا العقيق عين بالمدينة أو بنجد عامة. ((أم دانيت غير مدان)): تقتضي قواعد العربية أن يكون المعنى: بل دانيتُ من لا يدانيني، لأن أم لا تدخل على هل إلا إذا كانت للإضراب.

(2) يتوسع في عرض حزنه على طريق التشبيه الضمني، أو ما يسميه بعض أهل البديع بالتفريع - وهم جدّ مختلفين فيه (راجع العمدة، والتلخيص والتوضيح، والسكاكي، ومعاهد التنصيص...) - ومنهم من يسميه النفي والجحود، ومنه قول الأعشى [بسيط]:

ما رَوضةٌ مِن رياضِ الحُزنِ مُعشِبَـةٌ　　خَضراءُ جاءَ عليها مُسبِلٌ هَطِلُ
يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شرِقٌ　　مُؤَزرٌ بِعَمِيمِ النبـتِ مُكتَهِـلُ
يَومًا بأطيَبَ مِنها طِيـبَ رائحـةٍ　　ولا بأحسَنَ مِنها إذ دَنا الأُصُلُ

(الديوان: ١٤٥)

انظر شرح الكافية البديعية للحلي، ص٣٠٣. وفي شعر الخنساء مثل هذا في عرض مصيبتها، حيث تصف عجولاً فقدت ابنها فزاغت في قولها:

فما عَجُولٌ عَلَى بَو تَطِيفُ بِهِ

وبيت ابن سنان والأبيات السّتة التالية في قصة حمامة كانت تميس مع الصبا، وكان لها أفراخ صغار فقدتا في غفلة من عين الزمان.

أُتِـيحَ لَهَـا - وَالـدَّهْرُ جَـمٌ صُـرُوفُهُ -
عَجُـولٌ بِحَمْـرَاوَيْنِ تَسْتَعِرَانِ[١]

يَظَـلُّ قَـذَى الظَّلْمَـاءِ يَنْـزُو بِعَزْمِـهِ
إذَا غَيْـرُهُ أَعْيَـا عَـنِ الطَّيَـرَانِ[٢]

فَلَـمْ يُبْـقَ إلا شِـلْوُ كُـلِّ مُمَـزَقٍ[٣]
كَـأَنَّ بِـهِ آثَـارَ حَـدِّ يَمَـانِ[٤]

إذَا مَـا رَأَتْ سِـرْبًا مِـنَ الـوُرْقِ ضَـاحِيًا
ظَنَنْـتَ جَنَاحَيْهَـا فُـؤَادَ جَبَـانِ[٥]

١٥- وَنَاحَـتْ بِـصَوْتٍ أَعْجَمِـي وأنَّـةٍ
تُـبِينُ عَـنِ المَحْـزُونِ أيَّ بَيَـانِ[٦]

بِـأَجْزَعَ مِنِّـي إذْ تَقُـولُ (عُذَيْبَـةٌ)[٧]
تُـرَاكَ عَلَـى رَغْـمِ الزَمَـانِ تَرَانِـي؟[٨]

---

(1) سقط وثلاثة مما يليه من ظ ف. ق. ك. مط: تشتعلان. العجول: الذي فيه عجلة وقلة تأنٍّ، قصد به طائرًا من الجوارح كالصقر والحدأة وغيرهما. بحمراوين: بعينين حمراوين. تستعران: تتقدان حدّة.

(2) ينـزو: يثب، وينـزو به قلبه: أي يطمح به للوثوب.

(3) م: فلم يبق إلا كل شلو.

(4) الشلو: العضو بعد البلى والتفرق، وأصل الشلو البقية من كل شيء. يمان: سيف يماني، منسوب إلى اليمن، على غير قياس. داس البعير عش الفراخ بالليل، فلم يترك منها إلا أشلاء ممزقة، كأن سيفًا يمانيًا قطعها.

(5) ف: ظننتُ، ببناء الضمير على الرفع. ق: جناني

(6) ظ: يبين.

(7) ف. ق. ك. مط: عديبة - بالدال المهملة - ظ: عديته. ظ. م: يقول.

(8) بأجزع: خبر (ما) في البيت: وما ذات أفراخ.عذيبة: اسم محبوبة الشاعر، والظاهر أنه اسم وهمي مشتق من العذوبة. إذ تقول: عبر عن الماضي بالمضارع. قوله: تراك على رغم الزمان تراني، أي أتبقى وفيا لي وإن طال بيننا الفراق. ألمح في البيت إلى أنه لم يعد يرى (عذيبة) بعد رحيله، وتذكر تجلده أمامها يوم ودعها، مع أنه كان أشد حزنًا من الحمامة التي فقدت فراخها.

أمـــا وَأبِيهَـــا لَـــوْ رَأتنِـــي لأكْبَـــرَتْ
مَقَـــالِيَ: إنِّـــي في غَرَامِـــكِ عَـــانِ[١]

إذَا شِـــئْتَ تَبْلُـــو مُرْهَفَـــاتِ عَزَائِمِـــي
-وَيُعْلَـــمُ صِـــدْقُ الْبَـــرْقِ بِـــالهَطَلاَنِ-[٢]

فَـــشِمْ في الـــوَرَى فِكْـــرًا صَـــحِيحًا فإنّـــهُ
يُرِيـــكَ مَكَـــانَ الـــنجْمِ دُونَ مَكَـــانِي[٣]

٢٠- وذَرْنِـــي وإيّاهَـــا فَـــإنْ لم أفُـــزْ بِهَـــا
سَـــرِيعًا وإلا لَـــسْتُ نَجْـــلَ (سِـــنَانِ) [٤]

ومَـــا أرَبِـــي إلا الـــذِي تَعْلَمُونَـــهُ
إذَا مَـــا عَنَـــوْا أمْـــرًا فَـــذَاكَ أعَـــانِي[٥]

---

(1) أما وأبيها: قسم على العادة الجاهلية، مثل (لعمرك)، و(لعمري). لأكبرت مقالي: أي لوجدته كبيرًا. والمناسب لمعنى البيت: لوجدتني مخطئًا خطأ كبيرًا، لأنا لم تكن تنتظر أن تجدني على هذه الحالة السيئة لما فعل الغرام بي ؛ لأن ما قلته لها يوم الوداع وبين ما تجدني عليه بونًا شاسعًا؛ إذ حسبته يوم الفراق غير معني بها لتجلده.

(2) ظ: وتعلمَ صدقَ. مرهفات عزائمي: عزائمي المرهفة، على المجاز لأنه شبهها بالسيوف. وعجز البيت جملة اعتراضية من باب إرسال المثل، أراد به أنْ ليس الخبر كالعيان.

(3) ف. ق. ك. مط: فوق مكاني. شام البرق والسحاب: نظر إليه أين يقصد وأين يمطر، وهو على المجاز اقتضاه عجز البيت السابق يريك: الضمير فيه عائد على الفكر.

(4) وذرني وإياها: أي ذرني وعزائمي، وفي بقية البيت حذف لا يستقيم التركيب إلا به، أراد: فإن لم أفز بها سريعًا فلست بنجل سنان، أي لست جديرًا بالانتساب إليه. يعرض بمن يحول بينه وبين حبيبته وفيه رمز لتخليص الشريف الهاشمي من الاعتقال.

(5) يلمّح في عجز البيت إلى أن الهدف الذي يسعى إليه أسمى ما يتخيله الناس من الأهداف.

سَــبَقْتُ وَمَــا بُلْغــتُ عَــشْرًا كــوَامِلاً
فَكَيْــفَ وَقَــدْ جَاوَزْتَهَــا بِثَمَــانِ[1]

ولي في قِــــرَاعِ النائِبَــــاتِ عَــــزَائِمٌ
تُرِيــكَ بُلُــوغَ الــنجْمِ بالــذَمَلاَنِ[2]

وَرَكْــبٍ تَعَــاطَوْا بَيْــنَهُمْ نَــشْوَةَ الكَــرَى
فَــلا لُمــةٌ إلا لَقًــى بِلَبَــانِ[3]

٢٥- سَأَلْنَاهُمُ وَالعِيسُ حَسْرَى[4] مِنَ الوَجَــا
وَجُــنْحُ الــدجَى وَالــصبْحُ يَــصْطَرِعَانِ

مَنِ الركْبُ؟ قَالُوا: مِنْ (لُــؤَيِّ بْــنِ غَالِــبٍ)
مَــصَابِيحَ يَــوْمَيْ نَائِــلٍ وطِعَــانِ[5]

---

(1) هذا البيت يبين أنه ولد حوالي ٤٢٢هـ، فقد تكون سنه الحقيقية دون ما ذكر بقليل أو أكثر بقليل فلو قال مثلاً بسبع أو بتسع لما استقام له الوزن والقافية. وصدر البيت يذكّر بقول علي كرم الله وجهه ((نضت بنا وما بلغت العشرين)).

(2) الذملان: ضرب من سير الإبل. انظر ق ١٣ ب ٢٦. أراد الفخر بنفسه وأنْ لا شيء يعجزه مهما بلغ من الصعوبة.

(3) ف. ك: لِمة - بكسر اللام. لُمة الرجل: أصحابه إذا أرادوا سفرًا، يستوي فيه المفرد والجمع، وفي الحديث: ((لا تُسافِرُوا حتّى تُصِيبُوا لُمّةً)) أي رفقة. اللقى - بفتح اللام وضمها -: اللقاء، قال قيس بن الملوح [طويل]:

فإن كانَ مَقدُورًا لقاها لَقِيتُها ولم أخشَ فيها الكاشِحِينَ الأعادِيــا

اللسان، مادة: لقا. اللبان: الصدر، وهو المقصود، أو ما بين الثديين. انتقل إلى مدح الشريف محمد الهاشمي، فوصف قومه على حال من التعب، ومع ذلك فهم يتعاطون الكرى فيما بينهم من الأرق والحزن. وقال: لم يكن هذا الركب من رفقائنا في السفر، وإنما لقيناهم لقاء عاجلاً.

(4) ظ: والنفس حسرى - تصحيف - الوجا: الحفا أو شدته.

(5) لؤي بن غالب بن فهر، من قريش من عدنان، جدّ جاهلي من سلسلة النسب النبوي الشريف. قوله: مصابيح يومي نائل وطعان، أي هداة كرام وفي البأس شجعان.

فَقُلْنَا: بَنُو عَمِّ الشريفِ (مُحَمَّدٍ)
سِمَامُ العِدَى ضَرَّابِ كُلِّ جِرَانِ؟[1]

فَأطْرَبَهُمْ تَذْكَارُهُ[2] وَتَرَنَّمُوا
بِأَخْلاقِ مِقْلاقِ الركَابِ هِجَانِ[3]

وَمَالُوا عَلَى الأكْوَارِ سَكْرَى[4] كَأنَّمَا
تَسَاقَوْا عَلَى وَجْدٍ رُضَابَ عَوَانِ

٣٠- مِنَ القَوْمِ طَلْقٌ لا يَزَالُ بَنَانُهُ
لِبَذْلِ نَوَالٍ أوْ لِصَوْنِ عِنَانِ[5]

وَأشْجَعَ إنْ ضَارَبْتَهُ بِمُهَنَّدٍ
وأعْلَمَ إنْ جَادَلْتَهُ بِلِسَانِ[6]

وَأبْهَى بَيَانًا فَوْقَ أعْوَادِ مِنْبَرٍ
وَأمْضَى جَنَانًا فَوْقَ ظَهْرِ حِصَانِ

أخَا (هَاشِمٍ) كَمْ قُدْتَها هَاشِمِيَّةً
يَغَصُّ بِهَا مِنْ نَقْعِهَا المَلَوَانِ[7]

---

(1) الجران: باطن العنق، أو مقدم العنق من مذبح البعير إلى منحره، وقصد به مطلق العنق. يصفه بالشجاعة والجود.
(2) ظ: تِذكاره - بكسر التاء - ف. ق. ك. مط: تذكارهم.
(3) الهجان من كل شيء: الخيار الخالص، والرجل الكريم النقي الحسب، على المجاز، وهو المقصود؛ ورجل هِجان المحيا: نقيّه، على المجاز.
(4) أثبتنا رواية ظ، وفي سائر النسخ: سُكرًا.
(5) لصون عنان: كنى به عن الشرف والقوة والعظمة - أساس البلاغة - باشر في هذا البيت مدح الشريف محمد.
(6) م: وأشجعُ... وأعلمُ - بالرفع -
(7) م: يغُص - بضم الغين المعجمة.
الملوان: الليل والنهار.

وَفُــزْتَ بِهَــا تَهْفُــو عَلَــى رَغْــمِ حَاسِــدٍ
تَلمَّــظَ بِالبَغْــضَاءِ وَالــشَنَآن![1]

٣٥- فَإِنْ طَرَقَــتْ فِيــكَ اللَّيَــالِي بِفَــادِحٍ
فَــلا عَجَــبٌ أَنْ يُكْــسَفَ القَمَــرَان[2]

وَمَــا فَــادَتِ الأَيــامُ مِنْــكَ مُوَقَّعــا
ذَلُــولاً وَلاَ أَرْهَفْــنَ غَيْــرَ سِــنَان[3]

مَــدَحْتُكَ لاَ أَبْغِــي نَــدَاكَ وَإِنَمَــا
أَبُــوحُ بِــوُدٍ مِنْــكَ غَــيرِ مُهَــان

وَلَــيْسَ يَــبِينُ الــوُد في اليُــسْرِ إِنَمَــا
وَفَــاءُ الفَتَــى في أَزْمَــةِ الحَــدَثَان[4]

فَيَــا لَيْتَنِــي شَــاطَرْتُكَ الــسوءَ[5] سَــامِحًا
بِبَــسْطِ بَنَــانٍ لِــلأَذَى وجَنَــان[6]

٤٠- وَأَصْــبَحَ قَلْبَانَــا نَــدِيمَيْ نَوَائِــبٍ
كَمَــا غُــودِرَا في الخَفْــضِ يَــصْطَحِبَان[7]

---

(1) وفزت بها: بالحرب أو بالحسنى. تهفو: تسرع. تلمظ: تمطق وتذوق، استعمله مجازا للدلالة على الشماتة.
(2) فإن طرقت فيك: فإن أصابتك. القمران: الشمس والقمر.
(3) ظ. م: وما قادت. ولا كهمن. الموقع من الإبل: الذي تكثر عليه آثار الدبر لكثرة ما حمل، فهو ذلول مجرب، ويستعار للإنسان
(4) أثبتنا رواية م، وفي سائر النسخ: في لزبة الحدثان. أرسل البيت على سبيل الحكمة في حق الصحبة.
(5) ظ: شاطرتك الشر.
(6) م: بالأذى.
(7) في الخفض: في خفض العيش، وفي اليسر، أي قبل أن تسجن.

وَمِثْلُـ ـكَ أَرْدَتْـ ـهُ اللّيَـ ـالِي، فَإِنَهَـ ـا
تُحِـ ـلُ الثـ ـرَى فِي مَـ ـوْطِنِ الـ ـدَبَرَانِ[١]

وقَـ ـلَ[٢] زَمَـ ـانُ العَـ ـاجِزِينَ، فَـ ـإِنَنِي
لأُكْـ ـرِمُ نَفْـ ـسِي أَنْ أَقُـ ـولَ زَمَـ ـانِي[٣]

إذا باعَـ ـدَتْ مِنـ ـا المناسِـ ـبُ قَرَبَـ ـتْ
مَـ ـ ـوَدةُ لاَ نـ ـ ـاسٍ ولا مُتَـ ـ ـوَانِ[٤]

وإن سِـ ـنَانَ الـ ـرمْحِ يَنْجِـ ـدُ كَعْبَـ ـهُ[٥]
عَلَـ ـى بُعْـ ـدِهِ لا زُجـ ـهُ المُتَـ ـدَانِي[٦]

٤٥ - وَغَيْـ ـرُكَ فِي خَفْـ ـضِ الزمَـ ـانِ وسِـ ـلْمِهِ
خَمُـ ـولاً[٧] فَمَـ ـا تَهْـ ـوِي بِـ ـهِ القَـ ـدَمَانِ

وغَيْـ ـرِي فَـ ـإِني، مُـ ـذْ خُلِقْـ ـتُ، صُـ ـرُوفُهُ
وَقُـ ـوفٌ عَلَـ ـى مَـ ـا سَـ ـاءَنِي وشَـ ـجَانِي[٨]

ستة وأربعون بيتًا

---

(1) الدبران: نجم بين الثريا والجوزاء، وهو من منازل القمر، ويقال له التابع والتويع. أراد أن الليالي قد تعكس الأمور، فترفع الوضيع، أي تجعل الثرى في مكان النجم.

(2) أثبتنا رواية م، وفي سائر النسخ: وقل - بالقاف -
(3) فل: كسر، وقصد به غلب.
يذمّ الزمان الذي يتغلب فيه العاجزون، ولا تخلو قصائد ابن سنان من ذمّ الزمان.
(4) ف. ق. ك: متوان.
(5) ف. ك: سَنان - بفتح السين - ظ. م: ينجد ربه.
(6) البيت من باب التمثيل، يبين ويؤكد ما سبقه مباشرة.
(7) م: في حرب الزمان وسلمه حَمُولاً.
(8) وغيري: أي وغيري كذلك. صروفه وقوفٌ: عاملة، قاصرة جهدها.

*[٣٦]

وقال أيضًا: [منسرح]

وَصَاحِبٍ كُلَّمَا هَمَمْتُ بِهِ
وَهَبْتُ لُؤْمَ العُقُوقِ لِلكَرَمِ(١)

حَاوَلَ نَيْلَ الكِرَامِ مُقْتَصِرًا
عَلَى الذي شَادَهُ مِنْ عُيُوبِهِمِ(٢)

يَرْتَعُ في ذِمَّةِ الخُمُولِ فَمَا
تَعُضُّ مِنْهُ لَوَاذِعُ الكَلِمِ(٣)

لَوْ ضُرِبَتْ بِالسُّيُوفِ رَاحَتُهُ
لَمَا تَنَدَّتْ مِنْ بُخْلِهِ بِدَمِ(٤)

(*) ظ ٤١، ف ٢٩، ق ٤٤، ك ٢٩، م ٤٢، مط ١٠٠.

(١) يريد: كلما هممت بتأديب هذا الصاحب غلبني كرمي على لؤمه، فصفحت عنه. وهذا مثل قوله في القطعة ٢٩ ب ٦:

رُب خِلٍ طمح الغيّ به فوهبنا اللؤم فيه للكرم

(٢) ف، ك، ق: شاد في. حاول نيل الكرام: يريد النيل من الكرام، شاد الحائط ونحوه: جصّصه وطلاه بالشيد وهو ما يطلى به الجدار من جص ونحوه. وقد ضمّنه الشاعر معنى زخرف واختلق. أما إحكام البناء ورفعه، فيقال فيه شيد وأشاد، لا غير.

(٣) الذمة: العهد والكفالة. يريد أن الهجاء المقذع لا ينال منه، لأنه في الدّرك الأسفل من الخمول.

(٤) تندّت: أصابتها النداوة.

فِـــدًى لمـــنْ لا يَـــزَالُ نَائِلُـــهُ

يَخْلُـــفُ جُـــودًا سَـــحَائِبَ الـــدِّيَمِ[1]

يَمْـــنَحُ حَتـــى تَـــدُومُ نِعْمَتُـــهُ

إن العَطَايَـــا تَمَـــائِمُ الـــنِّعَمِ[2]

ستة أبيات

---

(١) النائل: العطاء. والدِّيم: جمع ديمة وهي المطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق.

(٢) «يمنح حتى تدوم نعمته» يريد: يمنح فتدوم نعمته، لأن دوام النعمة مجرد نتيجة للعطاء، لا غاية مقصودة. ولو ضُمنت «حتى» معنى كي التعليلية لكان البيت إلى الهجاء والتهكم أقرب منه إلى المدح، لأن الجود الحقيقي ما كان عن سجية وسماحة.
التمائم جمع تميمة، وهي عوذة تعلّق على الإنسان. وأصلها من تمام الشيء. فكأن الشفاء يتم بها. وفي الحديث: «مَن عَلقَ تَمِيمةً فلا أَتم اللهُ لَهُ!» (عن اللسان).

*[٣٧]

وقال أيضًا: [طويل]

لِمَـــنْ دِمَـــنٌ بَـــيْنَ (الْغُـــوَيْرِ) وأَرْبُـــعُ
تَوَهَّمَهَـــا جَفْـــنٌ مِـــنَ الـــدَّمْعِ مُتْـــرَعُ[(١)]

مَحَاهَـــا صَـــبُوحُ الْغَيْـــثِ[(٢)] بَعْـــدَ غُبُوقِـــهِ
وَهَبَّتْ بِهَا رِيـــحُ الـــرَّدَى وَهْـــيَ زَعْـــزَعُ[(٣)]

يَقُـــولُ صِـــحَابِي: هَـــلْ نَـــسِيمُ حَدِيقَـــةٍ
تَـــنَفَّسُ أَمْ ذِكْـــرُ الهَـــوَى[(٤)] يَتَـــضَوَّعُ؟[(٥)]

(*) ظ ٤١، ف ٢٩، ق ٤٥، ك ٢٩، م ٤٢، مط ٦٦.

(١) توهّم الشيء: تخيله وتمثله، كان في الوجود أم لم يكن، ومنه قول زهير في معلقته [طويل]:

وَقَفتُ بها مِن بَعدِ عِشرينَ حِجَّةً فَلأْيًا عَرَفتَ الدّارَ بَعدَ تَـوَهُّمِ

والْغُوير موضع سبق شرحه في القصيدة ١٩، ب ١٢.

(٢) ك، ق: الدمع.

(٣) يريد بصبوح الغيث نزوله على هذه الدمن صباحًا، وبغبوقه نزوله عليها مساء.

(٤) م: الحمى.

(٥) تنفس: تتنفس، ويكون التقدير في البيت: هل هذا النسيم حديقة تتنفس؟ أم هو ذكر الهوى يتضوع، وإن قرأنا تنفس (أي النسيم) جعلنا التركيب ضرورة شعرية، لأن هل لا تدخل على مبتدأ خبره جملة فعلية إلا في الشعر. ويكون المعنى أقل دلالة. أما «أمْ» فلا تدخل على هل إلا إذا كانت منقطعة، بمعنى «بل» وكل ما ورد من دخول «أم» على «هل خرجوه على هذا الوجه». وبذا الوجه أيضًا يكون بيت ابن سنان أفصح

فَأَقْسَمْتُ مَا أَدْرِي أَرَكْبٌ تَنَاشَدُوا
عَلَى الدارِ أَمْ لَحْنُ الحَمَائِمِ تَسْجَعُ
٥- وَنَارٌ عَلَى الجَرْعَاءِ يَدْعُو بِهَا الدجَى
إلى الطرْفِ أَمْ بِيضُ القَوَاضِبِ تَلْمَعُ[١]
فَقُلْتُ[٢] لِسَعْدٍ وَالنعَامَى تَنُوشُهُ
وَقَدْ أَثْمَلَ الركْبَ الحَنِينُ المُرَجَّعُ[٣]
تَصَامَمْ عَنِ الأَنْضَاءِ أَوْ فَالْتَمِسْ لَهَا
فُؤَادًا يُعَاطِيهَا الغَرَامَ وَيَجْزَعُ[٤]
وَدَعْ عَنْكَ إِيمَاضَ البُرُوقِ فَإِنَّهَا

سنان أفصح تعبيرًا وأوقع في النفس. والظاهر أن الشاعر نزّل «هل» منْزلة الهمزة فأدخل عليها أم، وقصد التعيين لا التصوّر.

(١) الجرعاء والجمع جرعاوات: الرملة الطيبة لا وعوثة فيها؛ والأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل؛ والرملة السهلة المستوية؛ والرملة لا تنبت شيئًا ولا تمسك الماء؛ وما انبسط من الرمل وامتد بعد معظمه. واختلاف هذه الدلالات راجع إلى اختلاف لغات العرب. والظاهر أن الشاعر قصد بها جرعاء مالك. وهو موضع بالدهناء ذكره ياقوت في معجمه (مادة جرعاء مالك) وتغنى به الشعراء. يقوّي ذلك قول ابن سنان في مطلع مقطوعة نظمها في صباه:
سَقَى بانةَ الجَرعاءَ مِن بَطنِ تَوضحٍ وللّناسِ في سُقيا الديارِ مَذاهِبُ
وتوضح «كثيب أبيض من كثبان حمر بالدهناء، قرب اليمامة، عن نصر» (معجم البلدان، مادة: توضح). والمقصود بالنار في هذا البيت: البرق، يوضّح ذلك البيت الثامن، والليل يجعل البرق أضوأ وأسرع إلى البصر، فكأن الدجى يدنو به إلى الطرف.

(٢) ف، ك: وقلت.

(٣) (سعد) الظاهر أنه اسم أحد الحداة. النعامى من أسماء ريح الجنوب، لأنها أبلّ الرياح وأرطبها. تنوشه: تتناوله وتهيج عاطفته وشوقه.

(٤) ف، ك، ق: وتجزع.
ويبيّن الشاعر في البيتين ٦ و ٧ ما بين السّفر والمطايا من اشتراك في العاطفة.

صَــوَارِمُ في سِــرِ الجَوَانِــ ــحِ تَقْطَــ ــعُ[١]

فَلَمــا أبَــ ــى إلا نِزَاعًــ ــا فُــ ــؤَادُهُ

شَــجَانِي جَــوَاهُ فَالعَــ ــذُولُ المُفَجــ ــعُ[٢]

١٠- وَهَبتْ لَهُ رِيــ ــحُ الــصَبَــا فَأَرَيْتَــ ــهُ

فُــؤَادَ الحَــزِينِ[٣] كَيْــفَ يَمْــضِي وَيَرْجِــعُ

خَلِيلَــيَّ! إنْ لم تَعْرِفَــا زَوْرَةَ النَــوَى

ولم تُــسْعِدَانِي فَــانْظُرَا كَيْــفَ أَصْنَــ ــعُ

تَجَاهَلْــتُ حَتَــى أنْكَرَتْنِــي (خَفَاجَــةٌ)

وقَالَــتْ بِمَــا ضَــلَ الأَعَــ ــزُ المُــشَيــعُ[4]

وأَصْــبَحْتُ أَرْجُــو أنْ تَعُــودَ إِنَــابَتِي[5]

---

(١) السرّ من كل شيء: جوفه ولبه وأصله. والجوانح: الأضلاع، سميت بذلك لميلها. وأراد بسرّ الجوانح القلب.

(٢) النِزاع فرط الحنين والشوق، من نزع نزاعة ونزاعًا ونزوعًا إلى أهله: حن واشتاق اشتياقًا شديدًا. ((فالعذول المفجّع)) يريد: كنت العذول فصرت المفجّع الموجع.

(٣) قبض الشاعر مفاعيلن في عجز البيت، وقبْضُ مفاعيلن الأولى في شطري الطويل جدّ قبيح. ولذلك تخلص منه فحول شعراء العصر العباسي.

(٤) ((بما ضلّ)) نرجّح أن ما مصدرية، والمعنى: بضلال. المشيع: الشجاع.

يريد: أظهرت نسيان ما لقومي عليّ من حقوق، حتى أنكروني ورموني بالعقوق، وقالوا بضلالي مع أنني الأعزّ الشجاع الذي لا يتنكر لذويه.

(٥) ظ، ف، م: إماتتي. الإنابة: الرجوع، ومنه العبد المنيب: الراجع إلى الله التائب إليه. ويقال: ((أتاني فلان فما أنبت إليه)) أي لم أحتفل به (أساس البلاغة).

والظاهر أن الشاعر قصد بالإنابة رجوعه إلى الحظوة التي كانت له عند قومه، وإلى العهود التي عرفها معهم. وذلك واضح في البيت الموالي (توقد أسى ما ذلك العهد عائد ...).

وَلَيْسَ لِمَنْ تَطْوِي المَنِيَّةُ مَرْجِعُ[1]

تَوَقَّدْ أَسًى مَا ذَلِكَ العَهْدُ عَائِدٌ

عَلَيْكَ وَلاَ في قُرْبِ (غَيْدَاءَ)[2] مَطْمَعُ

١٥-(بَنِي عَامِرٍ) تَلْقَوْنَ[3] بِي جَمْرَةَ العِدَى

وَأَنْصُرُكُمْ وَاليَوْمَ بِالنَّقْعِ أَسْفَعُ[4]

وَيُسْهِرُنِي[5] مَنْ شَفَّ قَلْبِي[6] فِرَاقُهُ

وَأَنْظُرُ طَرْفًا في العَشِيرَةِ يَهْجَعُ

تَحَامَوْا[7] وُرُودَ[8] الصَّبْرِ أَوْ فَابْتَغُوا[9] فَتًى

يَقُومُ بِمَا قَامَ الكَرِيمُ السَّمَيْدَعُ

---

(١) و((وليس لمن تطوي المنية مرجع)): يريد أن قومه عدوه ميّتًا أو كالميّت، والميت لا يعود.

(٢) أصل الغيد النعومة. والغيداء اللّيّنة الأعطاف. وهي في البيت علم.

(٣) ف، ك، ق: يلقون.

(٤) ف، ق: أشفع. (بني عامر): يخاطب قومه، لأن عامر ابنُ خفاجة بن عمرو (نهاية الأرب للنويريّ، ٢/ ٣٤٠). والجمرة: اجتماع القبيلة الواحدة على من ناوأها من سائر القبائل.

(٥) ك، ق: يشهدني.

(٦) ف، ك: جسمي.

(٧) ظ، م، مط: فَحَامُوا.

(٨) ف، ك، ق: ورودا.

(٩) ظ، م: فاتبعوا.

سبعة عشر بيتًا

[٣٨]*

وقال أيضًا: [رجز]

ثَوَّرَهَـــا نَاشِـــطَةً عِقَالَهَـــا
قَـــدْ مَـــلأَتْ مِـــنْ بُـــدْنِهَا(١) جِلاَلَهَـــا(٢)
فَلَـــمْ تَـــزَلْ أَشْـــوَاقُهُ تَـــسُوقُهَا
حَتَّـــى رَمَـــتْ مِـــنَ الـــوَجَى رِحَالَهَـــا(٣)
مَـــاذَا عَلَـــى النَاقَـــةِ(٤) مِـــنْ عَزَائِـــهِ

(*) ظ ٤٢، ف ٣٠، ق ٤٥، ك ٣٠، م ٤٣، مط ٨٨.

(١) ظ، م: ندبا.

(٢) ظ، م: حلالها.

ثوّرها: أنضها؛ ناشطة: جاذبة بقوة، من نشط الدّلو: نزعها، وجذبا من البئر صعدًا بغير بكرة، والاستعمال على التشبيه. البدنُ: الضخامة والسمن، من بَدُن: ضخم بدنه وعظم من كثرة لحمه.

والجلال: ج جُل وجَل: وهو ما تغطى به الدابة لتصان.

(٣) الوجى: الحفا الشديد، وهو أن ترقّ القدم أو الحافر أو الفِرْسِنُ وينسحِجَ.

يقول في البيتين: أنض بركه قويّة جسيمة سمينة، فلم يزل يجوب با الفلوات لفرط حبّه وشوقه حتى أصابا الوجى، فعجزت عن السير.

(٤) ف، ك، ق: الناقة.

الناِقهُ والنِقه: سريع الفهم، الفطن، من نِقه: فهم. والاستنقاه: الاستفهام،

لوْ أنهُ أنصَفَ أوْ رَثَى لَها؟

أرادَ أنْ تَشْرَبَ[1] مَاءَ (حَاجِرٍ)
أرِيهَا تطْلُبُ أمْ كَلالَهَا؟

٥- إن لَهَا عَلَى القُلُوبِ ذِمةً
لأنهَا قَدْ عَرَفَتْ بَلْبالَهَا[2]

كانَتْ لَهَا مَعَ الصَبا تَحِيةٌ
أعْجَلَهَا السائِقُ أنْ تَنالَهَا[3]

كَمْ تَسْألُ[4] البَارِقَ عَنْ (سُوَيْقَةٍ)
ولا يُجِيبُ عَامِدًا سُؤَالَهَا

خَوْفًا عَلَى قُلُوبِهَا إنْ عَلِمَتْ
أن الغَوَادِي دَرَسَتْ أطْلالَهَا

مَسَارِحٌ رَعَتْ بِهَا مَنِيعَةً
فَمَا رَأى طَارِدُهَا إنْشَالَهَا[5]

يقول: ما يصيب المحب اللّبيب وما يضير غرامه لو رثى لمطاياه ورفق بها؟

(١) ف: يشرب. (حاجر) اسم موضع. وقد مرّ شرحه في القطعة (٣) ب٢.

(٢) الذمة: العهد والكفالة. و((لفلان ذمة عليّ)) أي حقد. والبلبال: شدة الهمّ والوساوس في الصدر.

(٣) ((لها)): للمطايا. ((أن تنالها)): ((عن أن تنالها)). في هذا البيت والأبيات التي تليها إلى آخر القصيدة، ينقل الشاعر عاطفته وأشواقه إلى المطايا. ((تنالها)): رواية ق، وهي التي اخترناها، لأن السياق يفرضها، وفي باقي النسخ ((ينالها))، ولا نرى لها وجهًا.

(٤) ظ، م: نسأل. (سويقة): اسم موضع مرّ شرحه في (٤) ب١١.

(٥) نشل الشيء ـُ نشلاً: أسرع فزعه. ونشله: جذبه. ونشل اللحم وأنشله

١٠- وَحَيْثُ مَـدتْ في الجَمِـيمِ[1] بُوعَهَـا
وَقَامَـصَتْ مِـنْ مَـرَحٍ إفَالَهَـا[2]
وَسَـارَتْ لاَغِبَـةً[3] كَأنمَـا
تَحْسَبُهَا مِـنْ سَـفَهٍ فِـصَالَهَا
قَـدْ بَـاكَرَتْ مِـنَ الـوَجَى أخْفَافَهَـا
وَنَاحَلَـتْ مِـنْ ضُـمْرِهَا ظِلاَلَهَـا[4]
وامْتَـدتِ الفَـلاَةُ دونَ خَطْوِهَـا
كَأنهَـا قَـدْ كَرِهَـتْ زَوَالَهَـا[5]
فَعَللُوهَـا بِحَـدِيثِ (حَـاجِرٍ)
وَلْتَـصْنَعِ الفَـلاَةُ مَـا بَـدَا لَهَـا

أخرجه من القدر بيده من غير مغرفة. ((فما رأى طاردها إنشالها)): فما فكّر طارد أن يأخذها غصبًا لأنا منيعة. و((الإنشال)) في البيت على المجاز.

(١) ظ، م: الجحيم.

(٢) الجميم من النبت: الكثير، والمنتشر الناهض. والبوع والباع: قدر مد اليدين وما بينهما من البدن. قمص الفرس: استنّ، وهو أن يرفع يديه ويطرحها معًا ويعجم برجليه. و- في المكان: وثب من غير صبر. ـ والناقة بالرديف: مضت به نشيطة. والمقامصة: المغالبة في القمص. الإفال والأفائل: صغار الإبل بنات المخاض ونحوها. والأفيل: الفصيل والج إفالٌ على القياس، لأن حقيقته الوصف، والأفائل على التشبيه بذنائب (سيبويه).

(٣) ظ، م: لاغبة.

(٤) ((باكر)) و((ناحل)) في البيت للمبالغة. يريد أن الإعياء أنكها قبل أن يصيب الوجى أخفافها، وأن هزالها جعلها أنحل من ظلّها.

(٥) زوالها: زوال المطايا، من زال: ذهب وفارق.

أربعة عشر بيتًا

[٣٩]*

وقال أيضًا: [رجز]

مَــا ذَكَــرَ الــرَّوْضَ ولا تَنفــسَا[١]
غَيْــرَ حَــدِيثِ الركْــبِ لمــا[٢] عَرسَــا[٣]
رَكْــبُ هَــوًى تَجَاذَبــُوا حَدِيثَــهُ
فَــأتْرَعُوا مِــنَ الغَــرَامِ أكْؤُسَــا
وَأسْــبَلُوا[٤] مِــنَ الجُفُــونِ أدْمُعًــا
ظَنَنْتهَــا مَــاءً وكَانَــتْ أنفُــسَا
يَا صَاحِبَيْ رَحْلِـي بَجَرْعَـاءِ الحِمَـى
مَــا يُعْــذَلُ الخَــائِفُ إنْ تَحَســسَا[٥]
٥- لَقَــدْ سَــمِعْتُ في الرحَــالِ[٦] أنــةً
أظُنهَــا نَــشْطَةَ وَجْــدٍ حُبِــسَا[٧]

(*) ظ ٤٢، ف ٣٠، ق ٤٦، ك ٣٠، م ٤٤، مط ٥٨.

(١) م: وقد.

(٢) ف، ق: حين.

(٣) عرّس في سفره: نزل أوّل الليل أو آخره أو وقت السحر للاستراحة. فإذا انفجر الصبح سار. يقول: ما ذكر المحب الروض ولا تنفّس الصعداء، إنما هاج هواه حديث الركب حين عرّس.

(٤) ظ، م: فأسبلوا.

(٥) التحسّس: شبه التسمع والتبصر.

(٦) ف، ك: الرجال.

(٧) النشطة: اسم المرة من نشط الدلو جذبا من البئر صعدًا من غير بكرة.

وَيَـا خَلِيلَـي أَمْلِكَـا طَرْفَيْكُمَـا[1]
لاَ تَنْظُـرَان الحَـي حِـينَ غَلَـسَا[2]
فَـإِن قَلْبِـي يَـوْمَ سَـفْحِ (حَـاجِرٍ)
نَفَـرَه دَاعِـي الهَـوَى فَاخْتُلِـسَا
مَاذَا عَلَى قَوْمِـكِ[3] يَـا ذَاتَ اللمَـى
إنْ نَحْـنُ حَيَّيْنَـا مَحَـلاً دَرَسَـا؟
مَاذَا عَلَـى زُوارِكُـمْ[4] لَـوْ لَثَمُـوا
عَنَـا فُـرُوعَ شِـيحِكُمْ وَالْمَغْرِسَـا[5]
١٠-وَرُب لَيْـلٍ في هِضَابِ (عَاقِـلٍ)[6]
رَقَ نَسِيمًا حِينَ طَـابَ مَلْمَسَا[7]
يَظُنُنِـي الْغَيْـرَانُ قَـدْ شَـهِدْتُهُ
وَإِنَمَـا وَصَـفْتُهُ[8] تَفَرسَـا[1]

والاستعمال على المجاز.

(١) م: طرفكما.

(٢) غلّس: الظاهر أنه أراد به أغلس أي دخل في الغلس وهو ظلمة آخر الليل، أو أوّل الصبح حين ينتشر في الآفاق وهو الأولى في البيت. الطرف: العين، أو اسم جامع للبصر. ويكاد اللغويون يجمعون على أنه لا يثنى ولا يجمع لأنه في الأصل مصدر. وتكون رواية م أفصح، و((لا تنظران)) طلبٌ (لا تنظرا) في صيغة نفي، والمعنى ((املكا طرفكما! لا تنظرا الحيّ ...)) وإن كانت الرواية الأصلية ((طرفيكما)) بالتثنية على أن اللفظ خرج من المصدرية إلى الاسمية. فالمعنى ((املكا طرفيكما فلا تنظران الحي)). وتأنيث الطرف مراعاة للمعنى (العين).

(٣) ق: قلبك. اللّمى بتثليث اللام والفتح أشهر والضم للحجاز (المحكم): سمرة مستحسنة في الشفتين واللثات، أو شُربة من سواد فيها.

(٤) ط، م: روّادكم.

(٥) ((والمغرس)): ومغرسه. أداة التعريف فيه نائبة عن الضمير.

(٦) عاقل: اسم لعدة مواضع. فهو رمل بين مكة والمدينة؛ وماء لبني أبان بن دارم. وواد في إمّرة؛ وجبل بنجد. والأخير أقرب إلى سياق البيت.

(٧) ظ، م: ملبسا. وكلتا الروايتين جيدة.

(٨) ف، ك: ظننته.

أحد عشر بيتًا

[٤٠]*

وقال أيضًا [سريع]:

لي رَاحـــةٌ يَفْـــرَقُ مِنْهَـــا الغِنَـــى
لأنَ مَـــا يَنزِلُهَـــا يُـــسْتَبَاحْ

لا بُـــد أنْ أعْمُرَهَـــا بِالقَنَـــا
فَطَالَمَـــا[٢] أفْقَرْتُهَـــا[٣] بِالـــسَمَاحْ

بيتان

---

(١) التفرّس: التثبت وتأمل الشيء والنظر فيه. يقال منه: رجل فارس النظر إذا كان عالمًا به.

(*) ظ ٤٣، ف ٣٠، ق ٤٧، ك ٣١، م ٤٤، مط ٢١.

(٢) ظ، ق، م فطال ما.

(٣) ظ، ف، م أفقرتا.

[٤١]*

وقال أيضًا [خفيف] :

يَـا نَـدِيمِي عَلَـى الهُمُـومِ وَيَـا حَـا
مِلَ عِبْئِـي في الـدَّهْرِ خَوْفًـا وَأَمْنَـا(١)

كَـمْ رَعَيْنَـا الخُطُـوبَ حُلْـوًا وَمُـرا
وَقَطَعْنَـا الزمَـانَ سَـهْلاً وَحَزْنَـا(٢)

وَرَمَتْنَـا صُـرُوفُه بِهَنَـاتٍ(٣)
هُـن أمْـضَى مِـنَ الأسِـنةِ طَعْنَـا

وَعُبُـوسٍ فَـإنْ تَبَـسمَ كَـانَ الـ
ـلُومُ(٤) مِـنْ ذَلِـكَ التبَـسمِ يُجْنَـى

رُب عَـيْنٍ إلَـى الدنِيـةِ شَـزْرَا
ءَ(٥) وأخْرَى عَـنِ المَكَـارِمِ وَسْـنَى(١)

(*) ظ ٤٣، ف ٣١، ق ٤٧، ك ٣١، م ٤٤، مط ١٠٨.

(١) ظ، م عنّي.

(٢) م وحُزْنا.

(٣) الهنات من الهن، وهو كناية عن شيء لا تذكره باسمه عن كل اسم جنس، مؤنثه: هنة، ومنهم من قال هنت بمنـزلة بنت وأخت وجمعها هنات على اللفظ. وهنوات على الأصل والمقصود بالهنات في البيت: شدائد الدهر.

(٤) اللوم اللّؤم، على التخفيف.

(٥) الشزر النظر بمؤخر العين؛ وأكثر ما يكون في حال الغضب. والشزر النظر عن اليمين والشمال وليس بمستقيم الطريقة، والسياق يقتضي أن العْين الشزراء إلى الدنية هي التي تختلس النظر إليها لأنا تستهويها، وتحاول في آن واحد ألا تلفت الانتباه.

وَبَنَــانِ جَعْــدٍ[2] إِذَا كَــرُمَ الغَيْـــ ـ
ـ ـثُ فَقُــلْ في نَوَالِــهِ حِـينَ ضَـنا!

ستة أبيات

(١) ف، ك، ق وسنا.

(٢) الجعد من الرجال المتمع بعضه إلى بعض، القويّ ؛ يكون مدحًا وذمًا (ابن الأثير) فإن قيل فلان جعد اليدين أو الأنامل قُصِدَ به البخيل ((فقل في نواله حين ضنا)) أي فما بالك به حين يضِنّ الغيث ويُجدِب الناس؟

[٤٢]*

وقال أيضًا [كامل]:

مَنَعُـ ـوا خَيَالَـ ـكِ أنْ يُلِـ ـم بِنَـ ـا
وَعَلَـ ـى وِصَـ ـالِكِ يَحْـ ـسُنُ البَخَـ ـلُ[(1)]

مَـ ـا عِنْـ ـدَهُمْ أن الرقَـ ـادَ إذَا
مَـ ـا بِنْـ ـتِ عَـ ـنْ عَـ ـيْني يَرْتَحِـ ـلُ[(2)]

رُدوا عَلَـ ـي النـ ـوْمَ وَيحَكُـ ـمُ
وَدَعُـ ـوا الخَيَـ ـالَ يَـ ـصُد أوْ يَـ ـصِلُ

ثلاثة أبيات

(*) ظ ٤٣، ف ٣١، ق ٤٧، ك ٣١، م ٤٥، مط ٨٩.

(١) ألمّ به: جاءه؛ نزل به ولم يُقِم ؛ زاره غِبا والأخير أنسب للبيت. يقول منع أهلك طيفك من أن يزورني ولو غِبا، وذلك حفاظًا عليك، وبخلوا به علي، ومن كان جماله كجمالك يحسن البخل به.

(٢) ما عندهم لا يدرون يقول لا يعلمون أنك إن بنتِ عنّي بت مسهدا، والمسهدُ لا يزوره طيف حبيبه، فبخلهم في غير محله.

[٤٣]*

وقال أيضًا [طويل]:

وَإِنْ كَفَرُوا نُعْمَاكَ فِيهِمْ فَإِنَّهَا دُيُونٌ تَقَاضَاهَا[1] الرِمَاحُ الذَوَابِلُ[2]

وَإِنْ قَابَلُوهَا بِالجُحُودِ سَفَاهَةً فَقَدْ عَرَفَتْهَا[3] سُمْرُهُمْ وَالمَنَاصِلُ[4]

أَتَوْكَ فَخَانَتْ شَاهِرِيهَا[5] مَضَارِبٌ حَيَاءً وَعَاصَتْ مُشْرِعِيهَا عَوَامِلُ[6]

ثلاثة أبيات

(*) ف. ك ورقة ٣١، ق ورقة ٤٧، ظ ورقة ٤٣، م ورقة ٤٥، مط صفحة ٤٩.

(1) مط: ديون تقاضتها

(2) يقول: إنْ كفر هؤلاء القوم نعماك فإن هذه النعمى ديون تأخذها بقوة سلاحك.

(3) ف. ق. ك: فقد عرفتهم

(4) يقول: إن جحدوا نعماك، فإن قناهم وسيوفهم لم تجحدْها.

(5) ف. ظ. ك. م: ساهريها عاصتْ: عصتْ (من المعاصاة).

(6) يريد: أنم أتوه محاربين فخذلتهم سيوفهم ورماحهم.

[٤٤]*

وقال أيضًا [بسيط]:

إنْ كانَ لَيْلي طَويلاً بَعْـدَ بَينِكُـمُ[1]
فَقَدْ نَعِمْتُ بِكُـمْ واللّيْـلُ كَالـسحَرِ[2]

مَا أَظْلَمَ اللّيْـلُ[3]، لَيْلـي، في فِـرَاقِكُمُ
بِلَيلِ وَصْـلِكُمُ! وَالطـولُ بِالقِـصَرِ[4].

بيتان

(*) البيتان في نسخة ظ ورقة ٤٣، ف . ك ورقة ٣١، ق ورقة ٤٨، م ورقة ٤٥، مط صفحة ٥٠.

(1) ق: بعد بُعدِكُمُ .

(2) يقول: إنْ صار ليلي طويلاً بعد فراقكم، فلقد نعمتُ بوصلكم، وكان ليلي كالنهار.

(3) ظ. م: ما أظلم الدهر. ف. ك: ما أظْلَمُ الليلُ.

(4) ظ. ف. ك. مط: فالطول بالقصر.

يقول: اليوم صار ليل وصالكم المضيء يجعل ليل فراقكم جد مظلم، ولا يعرف الطول إلا بالقصر ، وبضدها تتميز الأشياء.

[٤٥]*

وقال في صباه [سريع]:

لا يُغْبَطِ[1] القَبْرُ عَلَى جِدَّةٍ
وَجِسْمُ مَنْ حَلَّ بِهِ دَاثِرُ[2]

يَسْتَأسِرُ الطَّرْفُ إلى[3] تُرْبِهِ
كَأَنَّما بَاطِنُهُ ظَاهِرُ[4]

بيتان

(*) البيتان في ظ ورقة ٤٣، ف. ك ورقة ٣١، ق ورقة ٤١، م ورقة ٤٥، مط ورقة ٥١.

(1) ظ: لا تغبط ف. ك: لا يَغْبطِ.

(2) يقول: إن منظر القبر لا يثير في النفس الغبطة حين يندثر جسم من حلّ به، ولو جدّدت عمارته الخارجية ما أثار إعجابك.

(3) ظ: يستأنس الطرف إلى قربه.
م: يستأسر الطرف على.مط: يستأثر الطرف...

(4) استأسر: أسلم نفسه أسيرًا، وهو هنا على المجاز.
والبيتان مَثَلٌ ضربه ليعبر عن غرض في نفسه لم يبينه.

[٤٦] *

وقال أيضًا في صباه [طويل]:

تَوَقَّ كَلاَمِي يَا ابْنَ عَمْرٍو فإنّهُ
أسِنّةُ عَارٍ مَا يُبِلُّ[(١)] طَعِينُها[(٢)]

فَقَدْ نَازَعَتْنِي العِزَّ قَبْلُ[(٣)] قَبَائِلٌ
مَلأْتُ عليها دَهْرَهَا مَا يُهِينُها[(٤)]

وَفَارَقْتُهَا مُسْتَبْدِلاً دَارَ غُرْبَةٍ
ألا إن أوطانَ الظبا[(٥)] مَا يَصُونُها[(٦)]

(*) القصيدة في ظ ورقة ٤٣، ف. ك ورقة ٣١، ق ورقة ٤١، م ورقة ٤٥، مط صفحة ١٠٩.

(1) ظ. م: لا يُبِل.

(2) بل من مرضه وأبل: شُفِيَ.

يقول: اتقِ هجائي يابن عمرو، فإنه يكسوك عارًا لا يُمحى، ولأنه كالأسنّة التي لا يبرأ من طُعِنَ بها.

(3) ظ. م: فقد نازعتني العزّ فيك.

(4) يقول: لقد نازعتني العزّ قبلك قبائل، فملأت عليها الدهر ما يُهينُها.

(5) ظ: أوطان الغنى.مط: أوطان الصبا.

(6) أراد بالظبا: الظباء وقصره للضرورة، ويقال إن الظبي لا يربض إلا وهو متباعد متوحش بالبلد القفر، وإنه إذا ترك كناسه لم يعدْ إليه، ومن ذلك المثل: ((لأتركنه ترك الظبي ظله)) (الميداني: ١/ ١٢١، وجمهرة الأمثال: ١/ ٢٦٠).

ومنه أيضًا قول ابن سنان...

يريد: أنه سيفارقهم بلا رجوع كما يفارق الظبي كناسه، فلا يعود إليهم.

تَوَقَّدُ مِنْ غَيْظٍ عَلَيَّ صُدُورُهَا
وَتَزْوَرُّ مِنْ خَوْفٍ إليَّ عُيُونُهَا[1]

٥- غَدَتْ فِقَرٌ مِنِّي تُشِيرُ مَخَازِيًا
بِأَعْرَاضِهَا لَوْ كَانَ لُؤْمٌ يَشِينُهَا[2]

خَلَائِقُ نَدْبٍ أَطْمَعَتْكُمْ سُهُولُهَا
سَتُفْزِعُكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ حُزُونُهَا[3]

وكَيْفَ[4] يُرَامُ الذلُّ مِنِّي وعَامِرٌ
تُقَضَّى بِأَطْرَافِ العَوَالِي دُيُونُهَا[5]

---

(1) ازور: مال، انحرف.

(2) الفقرة: العلم من جبل أو هدف أو نحوه، وأجود بيت في قصيدة، والجمع فِقَرٌ، ويقال: ((ما أحسن فقر كلامك!))، أي نكته، وهي في الأصل حلي تصاغ على شكل فقر الظهر (أساس البلاغة: المادة: فقر).
المعنى: فليكفكم من الهجاء ما يذلّكم ويهينكم ويلوث أعراضكم، إلا أن لؤمكم يجعلكم لا تشعرون.

(3) الندب من الناس: الخفيف في الحاجة، والسريع الظريف النجيب.
يتوعدهم بهذا البيت، ولا يخفى ما فيه من استعارات (سهولها، حزونا) ومقابلة.

(4) م: فكيف.

(5) عامر: بطن من بطون خفاجة الأحد عشر، وهم: معاوية ذو القرح، وكعب ذو النويرة، والأقرع، وكعب الأصغر، وعامر، ومالك، والهيثم، والوازع، وعمرو، وحزن، وخالد.يفتخر ببأس قومه، وأنم لا يسلمون ذويهم، بل يأخذون حقهم بالسيوف والرماح.

وَمَا أنكَرَتْ[1] بِيضَ السُيوفِ صُدُورُهَا
وَلاَ جَهِلَتْ سُمْرَ الرِمَاحِ مُتُونُهَا[2]
نَبذْتُكَ نَبْذَ العَارِ عَنِي[3] فَلَوْ صَبَتْ
إلَيكَ شِمَالِي[4] فَارَقْتَهَا يَمِينُهَا[5]
وَلَوْ كُنتَ بَدْرًا[6] بِالغُوَيرِ بَدَتْ بِهِ
مَنَازِلُ سَلْمَى سَهْلُها ووَجِيُنهَا[7]
لأعرضْتُ عنهُ والجَوَى في مَقَرِهِ
ونازَعْتُ نفسًا جُن منها جُنُونُها

---

(1) ف. ق. ك. مط: وما نكرت

(2) البيت من أجمل ما قيل في الانتساب إلى الأهل والعشيرة، وقد أورده على شكل التشبيه التمثيلي.. فهو من قومه بمثابة الصدر من السيف والمتن من الرمح.

(3) ف. ق. ك. مط: نبذ العار عني.

(4) م: إليك شمالٌ.

(5) البيت في خطاب ابن عمرو المهجوّ. أراد: أنه نبذه إلى الأبد كما يُنبَذُ العار ولو كان عنده بمنزلة إحدى يديه.

(6) ق. مط: ولو كنت بدرا. وفي سائر النسخ: ولو كنت برقا.

(7) الغوير ماء لكلب بأرض السماوة بين العراق والشام، واسم لمواضع أخرى. الوجين: العارض من الأرض يرتفع قليلاً، وهو غليظ صلب. وجواب الشرط في البيت التالي.
يقول: نبذتك ولو كنت بدرًا يبدي لي منازل الحبيبة.. يقول ذلك وهو على أشدّ ما يكون من الهوى.

مَتَــى أنَــا غَــادٍ بــالغَمِيمِ[1] وصُــحْبَتي

تُجَــاوِدُ هَطــالَ الغَــوَادِي شُــؤُونُها[2]

عَلَـ ـى ضُـ ـمرٍ بَـ ـارَتْهُمُ[3] بِحَنِينِهَـ ـا

غَرَامًــا وبَارَاهَــا سَــقَامًا وَضِــينُها[4]

تجِـ ـد[5] إذا هَبـ ـتْ رِيَـ ـاحٌ مرِيـ ـضةٌ

ضَــلالَكَ منــها! إن بُؤْسَــكَ لِينُهــا[6]

١٥- إذا خِلْــنَ غُــدْرَانَ الغُــوَيرِ صَــوَارِمًا

تَمَنــيْنَ لَــوْ أجْفَــانُهن جُفُونُهــا[7]

فــإن بِقَلْبِــي مِــنْ فــراقِ عُذَيْبَــةٍ

طَمَاعَــةَ شَــك، لا عَرَانِــي يَقِينُهــا![8]

ستة عشر بيتًا

---

(1) ظ: بالعميم. مط: بالقميم.

(2) الغَميم: قرب المدينة بين رابغ والجحفة، فإن كان بضم الغين فهو واد في ديار حنظلة من بني تميم. جاوده: غالبه في الجود. يقول: متى أذهب إلى الغميم في صحبة تباري دموعها المطر؟

(3) ظ. مط: باريتهم بحنينها.

(4) الوضِين: البطان العريض المنسوج من سيور أو شعر يشدّ به الرحل على البعير. يتمنى أن يذهب مع صحبه على نوق ضامرة تباريهم بحنينها في الغرام، ويباريها في السقام وضينها.

(5) ظ. ف. ك: تحدّ.

(6) يقول: تُغِذ هذه الضمر السير كلما اعتلت الرياح، فاحذر هذه الرياح أنْ تضلك، فإن لينها هو الذي يورثك الشوق والحنين والعذاب.

(7) يقصد بالأجفان: أجفان العيون، وبالجفون: أغماد السيوف.

(8) قوله: ((لا عراني يقينها!)) دعاء.
يخشى بعد الفراق ألا يعود إلى محبوبته ويدعو ألا يتحقق ما يخشاه.

*[٤٧]

وقال وقد اتصل به وهو في طريق القسطنطينية(١) وفاة مؤتمن الدولة أبي طاهر مسلم بن عليّ بن تغلب(٢) بمصر [طويل]:

(*) ظ ٤٥، ف. ك ٣٢، ق ٤٩، م ٤٦، مط ٦٦. وأورد ابن الصيرفي بعضها في الأفضليات، ص ٣١١.

(١) ف، ق، ك: وقد اتصل به في القسطنطينية.

(٢) عليّ بن تغلب:

قال ابن العديم متحدثًا عن بعض مؤلفات المعريّ وعن مسلم بن عليّ: «وكتاب يتصل بالحقير النافع يعرف بـ «الظلّ الطاهريّ»؛ عمله لرجل من أهل حلب يكّنى أبا طاهر، وهو أبو طاهر المسلّم بن علي بن تغلب الملقّب مؤتمن الدولة، وكان من أكابر الحلبّيين وعلمائهم، وكان وجيهًا عند معز الدولة ثمال بن صالح، وسّيره رسولاً إلى مصر إلى المستنصر سنة ثلاث وستين وأربعمائة، فمات با ؛ وأودع تركته عند المؤيد في الدين ليوصلها إلى ورثته».

وهذا الذي عناه أبو محمد الخفاجي بقوله في قصيدته الرائية:

إن في جانِبِ الُمَقطـمِ مَهجُـو   رًا ومِن أجلِهِ ُتـزَارُ القُبـورُ

ورثاه أبو محمد بما أخبرنا به أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الواحد بن هاشم خطيب حلب، قال: أنشدنا أبي، قال: أنشدنا أبو محمد الخفاجي لنفسه:

أتانِي وعَرضُ الرمْلِ َبيني وبيَنـُه   حَديثٌ لأسرارِ الدمـوعِ مُذِيعُ

َتصاَممتُ عَن راويِهِ حّتى أرّبْتـُه   وإّني - على ما غالَنِي - لسَمِيعُ

وقالَ: رَبيعٌ ماتَ فيه ُمـسلّـمٌ   فقلتُ له: بل ماتَ فيـهِ رَبيعُ

عن تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٣٨ - ٥٣٩. ولا نرى أن سنة ٤٦٣ صحيحة، وهي تاريخ إيفاده إلى مصر، لأن ثمال بن صالح توفي قبل ذلك بكثير (٤٥٤)، ولأن ابن سنان أْرسِلَ إلى القسطنطينية سنة ٤٥٢ (زبدة حلب ١ / ٢٨١).

والظاهر أن وفاة المسلّم بن عليّ كانت سنة ٤٥٣، وهو تاريخ نظم القصيدة أو ٤٥٢ هـ.

أتانِي وَعَرْضُ الرمْلِ(١) بيْنِي وَبيْنَهُ
حَدِيثٌ لأسْرَارِ الدموعِ مُذِيعُ

تَصَامَمْتُ عَنْ رَاوِيهِ حَتى أرَبْتُهُ(٢)
وَإني - عَلَى مَا غَالَنِي - لَسَمِيعُ(٣)

وَقَالَ: رَبِيعٌ مَاتَ فِيهِ (مُسَلَّمٌ)
فَقُلْتُ لَهُ: بَلْ مَاتَ فِيهِ رَبِيعُ(٤)

أبَا طَاهِرٍ! مَا كَانَ ألأمَ لَيْلَةً

---

(١) في ابن الصيرفي ((وعرض البيد...)) وهي رواية جيّدة.

أشار صاحب الأفضليات إلى أن الشاعر ابن مكنسة لما سمع إذاعة سرّ الدموع، قال [متقارب]:

دعوها تَفِضْ بعدَ دمعٍ نجيعَا ... نهاها النهى فأبت أن تُطيعَا

وسِر تبددَ في عَبْرَةٍ ... وكنت جمعتُ عليه الضلُوعَا

والحقيقة أن هذا المعنى قديم لم يسبِقْ إليه ابن سنان.

(٢) في تعريف القدماء بأبي العلاء ((حتى أُرِيْتُهُ)) ونراه تصحيفًا.

(٣) يرى ابن الصيرفي أن معنى البيتين الأول والثاني من القصيدة مأخوذ من قول المتنبي في رثاء أخت سيف الدولة [بسيط]:

طَوى الجَزيرةَ حتّى جاءَني خَبرٌ ... فزِعتُ فيه بآمالي إلى الكَذِبِ

الديوان ١ / ٢١٦

(٤) أراد: قال الناعي: مات مسلّم في فصل الربيع، فقلت: بل مات الربيع بموت مسلّم.

أرِقْـــتُ بِهَـــا وَالـــشامِتُونَ هُجُـــوعُ![1]

٥- فَلَهْفِـي عَلَـى الآمَـالِ فِيـكَ فَإِنهَـا
لَوَائِـبُ[2] لَـمْ يُقْـدَرْ لَهُـن شُـرُوعُ!

وَعَـز عَلَـى سَـارِي الـدجُى أنْ يَجُوبَـهُ
وَمَا لَـكَ مِـنْ دُون[3] النجُـومِ طُلُـوعُ[4]

أَلُـومُ عَلَيْـكَ الوَجْـدَ وَهْـوَ مُبَـرحٌ
وأعْتِـبُ فيـكَ الـدمعَ وَهْـوَ نَجِيـعُ[5]

وَأعْلَـمُ أنـي مَـا مَنَحْتُـكَ طَائِلاً

---

(١) ف. ق. ك. مط: والساهرون هجوع.

(٢) ط. مط: فإنا نوائب. وفي الأفضليات، ص ٣١١: ثوابت. بحاشية ق: لوائب جمع لائب أو لائبة، من اللواب وهو شدّة العطش اهـ.
ولاب لَوْبًا: حام حول الماء من العطش ولم يصل إليه فهو لائب. وشرع الوارد شروعًا: تناول الماء بفيه، والمشرعة مورد الماء، وشرع أيضًا: دخل المشرعة أي المورد. يتحسّر على الآمال التي ضاعت بوفاة أبي طاهر ويشّبهها باللوائب التي لم يقدرْ لها الورود.

(٣) في الأفضليات ص ٣١١: وما لك من بين النجوم.

(٤) جعل مسلّمًا نجمًا يهدي الناس في الظلام الحالك، فقد تركهم يسيرون في الليل على غير هدى بعدما غاب نجمه.

(٥) برّح به الشيء: أتعبه وآذاه أذًى شديدًا.النجيع: الدم المائل إلى السواد. يريد أنه حزن لفقده حزنًا شديدًا وبكاه بكاء مرا، وأن ذلك لم يَشْفِهِ، فكأنه قصّر في حقّه. والبيت الذي يليه يفصّل ذلك ويؤكده.

[٤٨]*

وقال عند مقامه(١) بديار بكر [طويل]:

خَلِيلــي مِــنْ عَــوْفِ بْــنِ عُــذْرَةَ إنَنِــي
يِكُــلِ عَــرَامٍ فِيكُمَــا لَجَــدِيرُ(٢)

كَفَــى حَزَنــاً أنــي أبِيــتُ وَبَيْنَنَــا
وَسِــيعُ الْمَــلاَ وَالْــسامِرُونَ كَــثِيرُ(٣)

وَأُصْــبِحُ مَغْلُوبــاً عَلَــى حُكْــمِ رَأْيِــهِ
وَقَــدْ عِــشْتُ دَهْــرًا مَــا عَلَــي أمِــيرُ(٤)

أُسِــيمُ(٥) رِكَــابِي فِي بِــلادٍ غَرِيبَــةٍ
مِــنَ العِــيسِ لم يَــسْرَحْ(٦) بِهِــن بعــيرُ(٧)

(*) المقطوعة في نسخة ط ورقة ٤٥، ف. ك ٣٢، ق ٤٩، م ٤٦، مط ٥١.
والظاهر أنه كتب بها إلى ابن منقذ وأنها ناقصة.

(1) ظ: وقال في وقت مقامه..

(2) عوف بن عذرة بن زيد اللات، من كلب، من القحطانيّة، جدّ جاهلي بنوه بكر وعوص وكنانة... وهم بطون كثيرة.

(3) الملا: الفلاة، المتّسع من الأرض، الصحراء (الجوهري).

(4) قوله ما عليّ أمير... قريب من قول بشّار بن برد في هجاء رجل [كامل]:
نُبئتُ فاضِح أمه يَغتـابُني ... عندَ الأمير، وهـل علـي أمـيرُ؟
(الديوان: ٣ / ٢٩٦)

(5) م. ف. ك: أشيم.

(6) مط: لم يبرح بنّ...

(7) العيس جمع أعيس وعيساء، وهي الإبل يخالط بياضها شقرة.

٥- فَقَـــدْ جَهِلَـــتْ حتـــى أَرَادَ خَبِيرُهَـــا
بِـــوَادِي القَطِـــينِ أَنْ يَلُـــوحَ سَـــنِيرُ[١]
وَكَـــمْ طَلَبَـــتْ مَـــاءَ الأَحَـــص بآمِـــدٍ
وَذَلِـــكَ ظُلْـــمٌ لِلرجَـــاءِ كَـــبِيرُ[٢]
عِـــدُوهَا قُوَيْقَـــا وَاطْلُبُـــوا لِحَنِينِهَـــا
بجانِـــبِ حِـــسْمَى[٣] أَنْ تَهُـــب دَبُـــورُ[٤]

---

(1) قطن بالمكان أقام به، وقاطن الدار وقطينها: ساكنها، ويقال لأهل مكة وعاكفيها قطين الله، ولعله أراد بوادي القطين مكة، لأنه يوجد موضع بهذا الاسم. سنير: جبل بين حمص وبعلبك على رأسه قلعة سنير، ذكره ابن سنان مرارًا في شعره، قال ياقوت: ((وقد ذكره عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي، فقال من قصيدة:

أَسِيمُ رِكابي في بِلادٍ غَرِيبَـةٍ ... مِنَ العِيسِ لم يَسْرَحْ بِهِن بعِـيرُ
فَقَدْ جَهِلَتْ حتى أَرَادَ خَبِيرُهَـا ... بِوَادِي القَطِينِ أَنْ يَلُوحَ سَـنِيرُ
وَكَمْ طَلَبَتْ مَاءَ الأَحَص بآمِـدٍ ... وَذَلِكَ ظُلْمٌ لِلرجَـاءِ كَبِيـرُ

(معجم البلدان ٣ / ٢٦٩)

ولا يخفى أن العجز (بوادي القطين أن يلوح سنير) فيه قبض مفاعيلن في الحشو، وهو زحاف جدّ ثقيل، ولئن كان القدماء يكثرون منه، فقد تخلّص منه المحدثون.

(2) الأحصّ: كورة كبيرة مشهورة ذات قرى ومزارع بين القبلة وبين الشمال من مدينة حلب. آمد: أعظم مدن ديار بكر وأشهرها. وفي الشطر الثاني أراد أنّ الرجاء الذي يطلبه صعب التحقيق لبعد المسافة بين آمد والأحصّ.

(3) مط: نجائب حسمى ف. ك. ظ: حُسْمَى.

(4) قويق: قال ياقوت: كأنه تصغير قاق وهو صوت الضفدع، ولذلك قال شاعرهم [متقارب]:

إذا ما الـضّفادِع نادينَـهُ ... قُوَيـــقُ! قُويـــقُ! أبى أن يُجِيبـــا

وهو نهر مدينة حلب. حِسْمَى: أرض ببادية الشام بها جبال شواهق ملس الجوانب لا يكاد القتام يفارقها، قريبة من وادي القُرى. الدبور: الريح الغربية، تقابل الصبا.

فَــوَاللهِ مَــا رِيــحُ الــصَبا بِحَبِيبَــةٍ
إِلَيهَــا وَلاَ مَــاءُ الأحــص[1] نَمِــيرُ[2]

سَقَى الهَضْبَةَ الأَدْمَاءَ مِـنْ رُكْـنِ جَوْشَـنٍ[3]
سَــحَائِبُ تُــسْدِي رَوْضَــهُ وتُنِــيرُ[4]

١٠- وحــل عقــودَ الحُــزْنِ في حجراتِــهِ
نَــسِيمٌ بِــأَدْوَاءِ القُلُــوبِ خَــبِيرُ!

فَمَــا ذَكَرْتــهُ الــنفْسُ إلا تَبَــادَرَتْ
مَــدَامِعُ لا يَخْفَــى بِهِــن ضَــمِيرُ[5]

نَظَــرْتُ - وَأَعْــلامُ الجَزِيــرَةِ بَيْنَنَــا
وأطــوادُ حِــسْمَى[6] إِننِــي لَــصَبُورُ-[7]

---

(1) ف. ق. ك. مط: ولا ماء الأحقّ.
(2) الأحصّ: تقدم ذكرها. النمير: الزاكي الناجع من الماء.
يعّبر عن خيبة أمله في ماء الأحصّ بعدما طلبه طويلاً.
(3) ف. ق. ك. مط: من أرض جوشن.
(4) جوشن: جبل مُطِل على حلب غربيها. انظر ق ٣ ب ٧، ق ٦ ب ٩، ق ٨ ب ٩. أسدى الثوب: أقام سَدَاهُ. أنار الثوب: ألحمه. هذا البيت والذي يليه دعاء يعّبر عن لوعة الشاعر، والبيت (١١) يبين ذلك.
(5) م: لا يخفى لهنّ.
قوله: فما ذكرته النفس... يذكّر بغزل جميل بثينة في قوله [طويل]:
فما ذكرَتْكِ النّفسُ يا بُثنُ مرةً   من الدهر إلا كادت النفس تتلف
وإلا عَرَتني زفرةٌ واستِكانــةٌ   وجادَ لها سَجلٌ من الدّمعِ يذرفُ
الأغاني: ٧ / ١٦٢
(6) ظ: وأطواد حِسمي ف. ك: حُسْمى ق: أطراد حسمى.
(7) إنني لصبور: أي ما أصبرني!

بِمَطْرُوفَةِ الأَجْفَانِ عَائِرَةِ القَذَى
تَقُودُ[1] زِمَامَ النَّجْمِ وَهْوَ حَسِيرُ[2]
ذَرَعْتُ بِهَا[3] الظَّلْمَاءَ وَهْيَ فَسِيحَةٌ
وَبَاشَرْتُ فِيهَا الْيَوْمَ وَهْوَ عَسِيرُ[4]

أربعة عشر بيتًا

---

(1) م: غائرة القذى ق: نقود ف. ك: نفود

(2) قوله: بمطروفة الأجفان... متعلق بـ (نظرت) طرفَ الحزنُ العينَ: أبكاها (على المجاز).
والمطروفة: الفاترة العين المنكسرة الجفن، وكلاهما على المجاز. عائرة القذى: أي قذاها مؤلم جدا، كأنما أصابا عوّار كالرمد وما أشبهه.
أراد: أنه لم يغمض له جفن إلى أن طلع الصباح (والبيت الأخير يبين ذلك).
وفي العجز استعارة تخييليّة تعبّر عن طول الليل.

(3) ظ: ذعرت با... وباسرت فيها النوم.

(4) م: وياسرت فيها ق: وهو حسير.
يريد أنه يعاني طول الليل كما يعاني وطأة النهار.

*[٤٩]

وقال أيضًا في هذا المعنى(١) [كامل]:

قُــلْ للنــسِيمِ: إذا حَمَلْــتَ تحيــةً
فَاهْدِ السلاَمَ لِــ (جَوْشَــنٍ) وَهِــضَابِهِ

وَاسْــأَلْهُ: هَــلْ سَــحَبَ الربيــعُ رِدَاءَهُ
فيهــا وجــر الفــضلَ مــنْ هُدابِــهِ(٢)

وتبــسمَتْ عنــهُ الريَــاضُ وأفْــصَحَتْ
بثنــاءِ بَارِقِــهِ ومــدحِ (٣) سَــحَابِهِ(٤)

(*) الأبيات في نسخة ظ ورقة ٤٦، ف ٣٢، ق ٥٠، ك ٣٣، م ٤٧، مط صفحة ١٦.

(1) مقطوعة رقيقة عذبة أنشدها ابن سنان في الحنين إلى جبل جوشن وسكان الوطن الذين غادرهم. وقد تكرر ذكر هذا الجبل في الديوان: انظر ق ٣ ب ٧، ق ٦ ب ٩، ق ٨ ب ٩.

(2) هُدب الثوب وهُدابه وهُدْبته: طرفه مما يلي طُرته.
المعنى: هل ترك الربيع - أي المطر - أثره بهذا المكان؟

(3) ف. ق. ك. مط: ومدّ سحابه.

(4) سقط البيت من نسخة ظ.الثناء: ما تصف به الإنسان مدحًا أو ذما. والأكثر استعمالاً في المدح مثلما هو في هذا البيت. عنه: من أثره.
يريد: هل أصاب الرياضَ من هذا المطر ما جعلها مخضرة زاهيةَ الألوان. والبيت كلّه كنايات.

فلقــد حنّنــتُ وعــادَنِي مِــنْ نَحْــوِهِ

شَجَنٌ بَخِلْــتُ بِــهِ علــى خُطابِــهِ[1]

وَصَــبَابَةٌ عَلِقَــتْ بِقَلْــبٍ مُتَــيمٍ

وَصَــلَ الغَــرَامُ إلَيْــهِ قَبْــلَ حِجَابِــهِ[2]

وإذا الغَرِيــبُ صَــبَا إلى أَوْطَانِــهِ

شَــوْقًا فَمَعْنَــاهُ إلى أحْبَابِــهِ

ستة أبيات

(1) الشجَن: الهمّ والحزن. قصد به الشوق الشديد.
بخلت به على خطّابه: يريد أن اللائي خطّبن وده كثيرات، لكنه أخلص حبه لواحدة تملكت قلبه.

(2) حجاب القلب: ما يحجب بين الفؤاد وسائره. يريد أن الغرام وصل بسرعة إلى قلبه وتحكّم فيه.

*[٥٠]

وقال أيضًا في صباه [منسرح]:

لَوْ كَانَ قَلْبِـي مَعِـي سَـلَوْتُ(١) بِـهِ
وَكُنْــتُ(٢) أُنْفِيــهِ عَــنْ تَرَائِبِــهِ(٣)

لَكِنــهُ بُــزهِــنْ يَــدَي فَمَــا
أَحْكُــمُ فِيــهِ مِــنْ بَعْــدِ صَاحِبِهِ(٤)

بيتان

(*) البيتان في نسخة ظ ورقة ٤٦، ف. ك ٣٣، ق ٥٠، مط صفحة ١٧.

(١) ما أثبتناه من م، وفي سائر النسخ: لو أن قلبي.

ق: سعوت به.

(٢) ظ: أو كنت أنفيه

(٣) الترائب: موضع القلادة من الصدر، وعظام الصدر، وما بين الترقوة إلى الثندوة. وقد قصد بها حنايا الضلوع حيث يخفق القلب.

(٤) معنى البيتين: أن المحبوب أخذ قلبه وسلبه عقله، فلا يتصرف معه في شيء من هواء، ولو كان معه قلبه لاستطاع السلوان ولسمع أقوال العذال.

* [٥١]

وقال في صباه سنة تسع وثلاثين وأربعمائة، وهي من أوّل أشعاره [بسيط]:

إِلَيْكَ عَنِّي فَلَيْسَ الخَوْفُ مِنْ شِيَمِي
سَيَطْرُدُ الهَمَّ مَا يَسْمُو مِنَ الهِمَمِ(١)

إِذَا سُرِرْتُ فَمَا ثَغْرِي بِمُبْتَسِمٍ
وَإِنْ جَزِعْتُ فَمَا دَمْعِي بِمُنْسَجِمِ(٢)

يَا نَاشِدَ العِزِّ مَطْوِيًّا عَلَى ضَمَدٍ
ما يُدْرِكُ المَجْدُ بَيْنَ الشَاءِ والنَعَمِ(٣)

أَمَامَكَ القَاعُ قَاذِفْهَا مُضَمَّرَةً
كَأَنَّمَا وَضَحَتْ أَخْفَافُهَا(٤) بِدَمِ

(*) القصيدة في نسخة ظ ورقة ٤٦، ف. ك ٣٣، ق ٥٠، م ٤٧، مط ١٠٠.

(1) معنى عجز البيت أن الهمّة السامية تتطلب قوّة الإرادة والصبر على المتاعب، وعند ذلك تطرد الهم.

(2) هذا المعنى كثير في الشعر العربي، وهو كقول لبيد [طويل]:

فلا أنا يأتيني طريفٌ بفرحة ولا أنا مما أحدثَ الدهرُ جازعُ

الديوان: وقول الشنفرى في لامية العرب [طويل]:

فلا جَزِعٌ من خلةٍ متكشفٌ ولا مَرِحٌ تحت الغنى أتخيل

(3) الضمَدُ: الحقد اللازق بالقلب.

(4) م: كأنما وُضحَتْ أخفافُها. ظ، ق: كأنما وضحَت أخفافَها.. وَضَحَتْ: من وضَحَتِ الحامل باللبن إذا ألمعتْ ؛ أي أشرق ثدياها واسوَدت الحَلَمَتان باللبن،

٥- حتى تَراهَـا وَقَـدْ أَوْدَى الكَـلالُ بِهَـا
وَفِـي مَناسِـمِهَا عَقْـلٌ مِـنَ الخَـدَمِ(١)

وَصَـاحِبٍ كَغِـرَارِ العَـضْبِ مُفْتَـرِشٍ(٢)
نَمَـارِقَ الرَّحْـلِ طَـلاعٍ عَلَـى الظُلَـمِ(٣)

يُخَـالِسُ الـصُبْحَ وَالظَلْمَـاءُ تَحْجُبُـهُ(٤)
تَـسَتَرَ البَـرْقِ بَـيْنَ الوَابِـلِ الـرَذِمِ(٥)

يَهُـبُّ يَعْثُـرُ فِـي أَرْدَانِـهِ(٦) وَسَـنًا
كَأَنَمَـا النَـوْمُ بَـيْنَ الـساقِ وَالقَـدَمِ(٧)

هَلُـمَّ نَرْسِـلُهَا هَوْجَـاءَ سَـامِيَةً
لا يَمْنَـعُ الـسَيْفَ فِيهَـا خُدْعَـةُ القَلَـمِ(٨)

الحَلَمَتان باللبن، على التشبيه.

(1) الخَدَمُ: جمع خَدَمَةٍ: السير الغليظ من الجلد المحكم كالحلقة يشدّ على رسخ البعير. يشير ابن سنان إلى أن طالب المجد لا يركن إلى الخمول والدعَة، بل عليه أن يُتعِبَ مطاياه ضاربًا في الأرض لتحقيق آماله.

(2) ف. ق. ك. مط: مفترس ظ: مفترش نمارقٍ..

(3) الغرار: حدّ السيف والرمح والسهم. العضب: السيف القاطع. النمارق: جمع نُمْرُقٍ أو نُمْرُقَةٍ وهي الوسادة.

(4) ظ. ف. ك: والظلماء يحجبه.

(5) الوابل: المطر الضخم القطر، الشديد.الرذم: السائل الممتلئ.

(6) مط: يعثر في أذياله وسبا..

(7) الردْنُ: الكُم أو أصله أو مقدّمه.

(8) م: لا يمنع السيفُ - بالرفع - ف. ك: خَدعة - بفتح أوّله.

يريد أن القلم لا يخدع السيف، وفيه إشارة إلى مطلع قصيدة أبي تمام:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتبِ في حَدِّهِ الحَد بينَ الجِد واللعِبِ

١٠- إنا إذا الحَي لا يَرْعَى(١) سَوَائِمُهُ
إلا تَذَكَّرَ رِيحَ الضالِ وَالسلَمِ(٢)
وَأُخْمِدَ البَرْقُ حَتى فِي بُيُوتِهِمُ
مَا يُظْهِرُ الزَّنْدُ مَا فِيهِ مِنَ الضرَمِ(٣)
وَرَاحَتِ النيبُ كَالأَنْسَاعِ سَاغِبَةً
تُنَافِسُ الخَيْلَ(٤) ! إنْ عُلِّنَ بِاللجُمِ(٥)
نُبْنَا عَنِ الغَيْثِ إِحْسَانًا فَحِلَّتنا
لا يَعْدَمُ القَوْمُ(٦) فِيهَا هَاطِلَ الدِّيَمِ(٧)

الديوان ١ / ٤٥

(1) م: لا يرعي.

(2) الضال: أراد الشجر اليماني يرتفع قدر ذراع ينبت نبات السرو، وله بَرَمَة ذكية الريح جدًا. السلَم: شجر من العضاه له شوك دُقاق طُوال حاد، وله بَرَمَةٌ صفراء طّيبة الريح، وفيها شيء من المرارة، واحدته سَلَمَة. في هذا البيت وما يليه يفتخر بكرم قومه في الشتاء، إذ تحتبس السائمة عن الرعي في عام القحط.

(3) الزّند: العُود الذي تُقْدَح به النار.الضرَم: الاشتعال والالتهاب. يشير إلى انقطاع المطر وانطفاء نار القرى في المنازل بسبب الفقر.

(4) م: مَنافس الخيل.

(5) النيب مفردها ناب: الناقة المسّنة يطول نابا ويعظم، مؤنث، ولا يقال للجمل. النسْعُ: سّير يضفر عريضًا تشدّ به الرحال ويجعل زماما للبعير وغيره. الساغب: الجائع، وقيل لا يكون إلا مع تعب، وربما سمي العطش سغبًا وليس بمستعمل. ينظر في الشطر الثاني إلى قول جرير [وافر]:

تُعلل وهْيَ ساغبةٌ بَنيها   بأنفاسٍ من الشبِم القَراح

الديوان: ٩٧.

(6) ف. ق. ك. مط: لا يعدم الغيث.الحِلة: القوم الحلول. الدِيَم جمع ديمة، وهي المطر يدوم في سكون ((أي بلا رعد ولا برق)) أيّامًا أو يومًا وليلة، أو يومًا. وأقلّه ثلث يوم، وأكثره ما بلغ خمسة أيام أو ستّة.

(7) يقول: في السنة الشهباء، حين ينقطع الكلأ والمطر ويخمد البرق، وتصبح النوق

هَلُمَّ طَيْفَ سُلَيْمَى! قَدْ جَلَوْتَ لَنَا
غَيَاهِبَ الصدِّ لَوْلاَ خُدْعَةُ الحُلُمِ
١٥- نَشَدْتُكَ اللهَ! هَلْ أُنْسِيتَ لَيْلَتَنَا
عَلَى الثنيةِ دُونَ السفْحِ مِنْ (إِضَمِ)؟[1]
وَلَيْلَةَ الحَيِّ[2] إِذْ أَغْرَى الرقِيبُ بِنَا
فَمَا اتقَيْنَا بِغَيرِ الخَمْرِ وَاللثَمِ[3]
فَكَيْفَ ضَيعْتَ[4] وُدا كُنْتَ تَحْفَظُهُ
لَقَدْ خَصَمْتُكَ لَوْ صِرْنَا إِلَى حَكَمِ[5]
لَوْلاَ عَقَابِيلُ وَجْدِي قُلْتُ: حبهُمُ
كَخُلبِ البَرْقِ لم يُمْطِرْ ولم يَدُمِ[6]
وَبَانَةُ السفْحِ تُغْرِينِي بِذِكْرِهِمِ

ساغبة... تنوب عن الغيث وتحسن إلى الناس، فكأن المطر لم ينقطع عنهم.

(1) الثّنيّة: العقبة المسكوكة، أو طريقها، أو الجبل نفسه، أو الطريقة فيه. إضم: ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة، وواد بجبال تامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة. قال ابن السكيت: إضم واد يشق الحجاز حتى يفرغ إلى البحر (عن معجم ياقوت، مادة إضم). وقد أكثر الشعراء من ذكر إضم في الغزل وفي التصوّف لما له من علاقة بمدينة الرسول ﷺ والظاهر أن ابن سنان لا يستعمله إلا رمزًا كمعظم الشعراء. وكثيرًا ما يفعل ذلك مع غيره من المواضع المشهورة في الشعر.

(2) ف. ق. ك. مط: لله ريحك إذ أغرى الرقيب بنا إذ اتقينا.

(3) معنى الأبيات واضح، إنما نلاحظ أن الطيف يتحد في شعر ابن سنان مع الحبيب، فلا يلبث بعد ذكر الطيف أن يعاتب محبوبه على الهجر ويذكره بليلة قضاها معه في الحيّ يساقيه الخمر (الرضاب) ويبادله اللثم... !

(4) ما أثبتناه من م، وفي سائر النسخ: فكيف تقذف ودا.

(5) خاصمني فخصمته أخصِمُه - بالكسر - (شاذّ): غالبني في الخصومة فغلبته.

(6) العقابيل: بقايا العلة والعداوة والعشق، ومفرده عُقبُولٌ، وأصله من عقب.

وَجْــدًا، فَيــا لَيْتَهــا بَانَــتْ كَعَهْــدِهِم[١]

٢٠- هَل (الأُجَيْرِعُ) يُشْجِي[٢] مَنْ يَمُــر بِــهِ
بِــالعُرْفِ أَمْ زَالَ مَـــعْ أيامِنَـــا القُـــدُمِ؟

وَنَــشْقَةٍ خَطَــرَتْ وَالركْــبُ مُــشْتَمِلٌ
ذَوَائِــبَ[٣] اللَّيْــلِ بَــيْنَ الأَيْنُــقِ الرسُــمِ[٤]

شَــاقَتْ طِلاحًــا[٥] تَهَــادَى فِي رِحَــالِهِمُ
سُكْرًا مِنَ الــسَيْرِ أَوْ ضَــعْفًا مِــنَ الــسقَمِ[٦]

آهًــا لِقَلْبِــكَ مِــنْ (نَجْــدٍ) وَسَــاكِنِهِ
لَقَــدْ عَلِقْــتَ بِــشَعْبٍ غَيْــرَ مُلْتَــئِمِ![٧]

مَـــا هبـــتِ الـــريحُ إلا مِـــنْ جَوَانِبـــهِ
وَلاَ عَـــلاَ الــــشيحُ إلا ذِرْوَةَ العَلَــــمِ

٢٥- لله لَيْلُــكَ كَــمْ أَقْنَيْــتَ مِــنْ جَلَــدٍ

---

(1) ف. ق. ك: كعدّهم، وهو تصحيف.
(2) ف. ق. ك. مط: يشفي من يمر به.الأجرع مكان (سبق شرحه)، وصغره لأن المقام مقام نسيب.
في هذا البيت، يؤكد على أنه ما زال على العهد رغم ما عانى من صد.
(3) ظ. م: ذؤابة الليل.مط: ذوائب اللين.
(4) الرسوم والجمع رُسُمٌ: الناقة تؤثر في الأرض من شدة الوطء.
(5) سقط البيت من ف. ق. ك.مط: شاقت طلى حانا وافى...
م: ساقت طلاحا تادى..
(6) طلح البعير وغيره يطلُح: أعيا وكَل، فهو طالح والجمع طِلاح. وقصد بالطلاح الركب.
(7) الشعْب: الصدع الذي يشعبه الشعاب أي يصلحه المصلح. والشعب: المتفرّق، البعيد، البعد. ((لقد علقت بشعب غير ملتئم)) أي أصابك جرح لا يلتئم وداء لا تشفى منه.

حَتى الصَباحِ وَكَـمْ أُبقَيْـتَ مِـنْ أَلَـمِ![1]

خمسة وعشرون بيتًا

(1) يريد: كم تجلّدت وكم تألّمت ! إلا أن الجَلَد زال والألم بَقِيَ.

* [٥٢]

وقال في صباه سنة تسع وثلاثين، وله ست عشرة سنة، وهي من أوّل شعره[1] [كامل]:

ألا أرقْتَ لِلَمْعِ بَرْقٍ سَارِ
باتَتْ تُجَرِّدُهُ يَدُ الأمطارِ![2]

يَبْدُو وَيُخْفِيهِ الحَيَا فَكَأَنَّهُ
عَزْمٌ تُجَاذِبُهُ مِنَ الأفْكَارِ[3]

أَوْفَى عَلَى شُعْثٍ أَضَاعَ كَرَاهُمُ
خِصْبُ اللئَامِ وَضَيْعَةُ الأحْرَارِ[4]

عَمَدُوا إلى أسْيَافِهِمْ فَكَأَنَّهَا
آلَتْ لَتُنْجِدُهُمْ عَلَى الأقْدَارِ[5]

(*) الأبيات في نسخة ظ ورقة ٤٧، ف ٣٣، ك ٣٤، ق ٥٢، م ٤٨، مط ٥١.

(1) إشارة تاريخية إلى أن ولادة ابن سنان كانت في حدود عام ٤٢٣ هـ، وفي هذه الأبيات يتابع النسيب.

(2) ألا: بمعنى هلا، وهي كلمة تحضيض على ما يأتي ولوم على ما مضى.

(3) ف. ق. ك. مط: تجاذبه من الأقطار.

في هذين البيتين عدة ضروب من البديع، وهذا ما يسمّيه البلاغيّون بالإبداع.

(4) أوفى على الشيء: أشرف. خصب اللئام: اتساع عيشهم. والضمير في أوفى يعود على البرق.

(5) لتنجدهم: بفتح اللام، حذفت فيها نون التوكيد الثقيلة وبقيت فتحةُ الدال علامةً عليها.

٥- يَحْــدُو بِعِيرِهِــمُ[١] كَــرِيمُ قَبِيلَــةٍ
ذُلِّ العَــدُو[٢] بِــهَــا وعِــزِّ الجَــارِ[٣]

يَرْتَــاحُ للبَــرْقِ المُــضِيءِ وَلَــوْ رَمَــى
فِــي كُــلِّ جَارِحَــةٍ بِجَــذْوَةِ نَــارِ

أَخَيَــالَ (عَذْبَــةَ)! مَــا هَــدَاكَ لِعُــصْبَةٍ
صَــحِبُوا الــدجَى نَــشْوَى بِغَيْــرِ عُقَــارِ[٤]

مَــا زَالَ عَــضْبُ البَــيْنِ يَفْــرِي شَــمْلَهُمْ
حَتــى طَــرَقْتُهُمُ عَلَــى الأَكْــوَارِ[٥]

يَــا دَارُ سَــقْيًا[٦] للكَثِيــبِ وصَــحْبِنَا
آرَامُــهُ، واللَّيْــلُ لَــوْنُ عِــذَارِي![٧]

---

(1) ظ. م: يحدو بعزمهم.

(2) ف. ق. ك. مط: ذُل العدو به...

(3) الضمير في (بها) يعود على القبيلة، أي أن هذه القبيلة تذلّ العدوّ وتعزّ الجار، ويعني الشاعر قبيلته، كما يعني نفسه في قوله: كريم قبيلةٍ... يرتاح للبرق...

(4) عَذْبة: اسم امرأة يتغزل بها الشاعر. العُقار: الخمر، أو هي التي لا تلبث أن تُسْكِرَ.

(5) العَضْب: السيف القاطع. يفري شملهم: يشتت شملهم. استعارَ للبين عضبًا.الكور والج أكوار: رَحْل البعير، أو الرحل بأداته.

(6) ظ: سُقْيًا، بضم السين.

(7) . م: لَوْنَ عِذَارِي. الكثيب: التّل المستطيل المحدودب من الرمل. وقد قصد به موضعًا معيّنًا. الآرام ج ريم (على القلب، مثل بئر وآبار)، والريم من الظباء الخالص البياض.العِذَار: جانب اللحية.
والليل لونُ عِذاري: ولون الليل أسود كسواد عذاري، وهذا دليل على ريعان شبابه. قصد ببدر الدجى وشمس النهار المرأة الجميلة (على التشبيه).
لياليهن: ليالي الأيام، في البيت السابق.
يتذكر في هذه الأبيات ليالي الوصال وبهجتها.

١٠-أيـــامَ فِيـــكِ إذا تـــشاءُ يَـــدُ النـــوَى
جـــادَتْ بِبَـــدْرِ دُجًـــى وشَـــمْسِ نَهَـــارِ

قَـ ـ ـصُرَتْ لَيَـ ـ ـالِيهن إلا أنَهَـ ـ ـا
تَـ ـذَرُ النفُـ ـوسَ طَوِيلَـ ـةَ التـ ـذْكَارِ

قَـسَقَى طُلُولَــكِ كُــل أَبْلَــجَ مُــدْلِجٍ
مُتَكَفْـ ـ ـلٍ بِتَبَـ ـ ـسمِ الأزْهَـ ـ ـارِ(١)

هَـــزِجٌ يــنَظمُ فَـــوْقَ أجْيَـــادِ الربَـــا
سِــمْطَيْ عـ ـرَارٍ فَـ ـائِحٍ وَبَهَـ ـارِ(٢)

زَهَـ ـرٌ كَزُهْـ ـرِ الـ ـشهْبِ إلا أنـ ـهُ
مُتَبَـ ـسمٌ عَـ ـنْ دَمْعِهـ ـن الجَـ ـارِي(٣)

أربعة عشر بيتًا

---

(1) الأبلج: المسفر من الصباح، وأراد به الأغرّ من السحاب.
(2) هَزِج المغّني في غنائه إذا طرب في تدارك الصوت وتقاربه. ومن الـاز (سحاب هزج بالرعد) و(سمعت هزج الرعد والعود). الأجياد جمع جِيد وهو العنق أو مقلّده أو مقدّمه. وغُلب على عنق المرأة، وهو هنا على الـاز.السمط: خيط النظم ما دام فيه الخرز، وإلا فهو سلك، والسمط كذلك قلادة أطول من المخنقة.العرار: بار البّر، وهو نبت طيب الرائحة، أو هو النرجس البرّيّ.
البهار: نبت طيب الريح وهو العرار الذي يقال له عْين البقر.
وفي هذا البيت والذي يليه عدة أنواع من البديع.
(3) ظ. م: متبسم من دمعهن.

*[٥٣]

وقال في صباه أيضًا [وافر]:

أَرَانِي مِنْـكَ يَـا كَعْـبُ بْـنَ عَمْـرٍو
عَلَـى قُـرْبِ الْمَـوَدَّةِ فِـي تَقَـالِ(١)

عَلَيْكَ، إِذَا حَسَدْتَ، طِلابَ فَضْلِي
وَلَـيْسَ عَلَـيَّ أَنْ أَذَرَ الْمَعَـالِي(٢)

حَوَيْـتُ فَضَائِلاً مَـا نِلْـتَ مِنْهَـا
سِوَى بَثِّ الْعَدَاوَةِ فِي الرِّجَالِ(٣)

وَمَـا ذَنْبِـي إِلَـى الأَقْـوَامِ(٤) إِلا

(*) الأبيات في نسخة ظ ورقة ٤٨، نسخة ف. ك ٣٤، ق ٥٢، م ٤٩، مط ٨٩.

(1) ف. ك. ظ: في تقالي.على قرب المودّة: على قرب مودتي منك. قَلاهُ وقِلَيَهُ قِلىً وقَلاءً ومَقْلِيَةً: أبغضه وكرهه غاية الكراهة. أو قلاه في الهجر وقِلَيه في البغض. والمقصود بالتقالي مجرد البغض ؛ لأن الشاعر لا يبادله الكراهة.

يقول: أراك تكرهني يا كعبُ بنَ عمرو، مع أنني لا أكُن لك إلا المودّة.

(2) يريد: اطلبِ السؤْدُدَ كما طلبْتُه ولا تحسدني، ولا تنتظر مّني أن أتخلى عن طلب المعالي.

(3) منها: من فضائلي.في البيت تحّرر في التعبير؛ لأن بث العداوة في الرجال ليس من الفضيلة في شيء. والذي سوغ هذا التعبير ما قصد الشاعر من تكم لاذع.

(4) م: وما ذنبي من الأقوام...مكاثرتي: قصد با: تكثيري أي طلب الكثير في

مُكَـ ـاثَرَتي لأَطْـ ـرَافِ العَـ ـوَالِي

وَإِنّـ ـي لاَ أَعُـ ـد الرفْـ ـدَ جُـ ـودًا

لِمَـ ـنْ حملْتـ ـهُ ذُل الـ ـسؤَالِ[1]

وَلاَ أَبْغِـ ـي طَرِيـ ـفَ المَـ ـالِ إلا

لِتُـ ـرْوِي رَاحَتَـ ـايَ[2] مِـ ـنَ النـ ـوَالِ[3]

عَرَفْـ ـتُ الـ ـدهْرَ مَعْرِفَتِـ ـي بَنِيـ ـهِ

فَلَسْتُ أَخَـ ـافُ[4] مِـ ـنْ نُـ ـوَبِ اللَيَـ ـالِي

سبعة أبيات

في البيت تأكيد المدح بما يشبه الذّم. لمن حملْتُهُ: أراد لمن يحمله الرافِدُ.

(1) الرفْد: العطاء والصلة، وفتح الراء للمصدر وكسرها للاسمية، انظر ب ٢٩.

(2) م: وما أبغي طريف...ظ: لتروي راحتي...

(3) يريد: لا أطلب طريف المال إلا لبذْله ولا أقتنيه لجمْعِهِ.

(4) ظ: فلست أفِر من نوب...

* [٥٤]

وقال أيضًا [طويل]:

ألا تَرَيَانِ البَرْقَ في غَلَسِ[1] الدجَى
تَمِيلُ بِهِ رِيحُ الصَبَا فَيَمِيلُ؟[2]

خَلِيلَيَّ! هُبَّا واسْعِدَانِي بِنَظْرَةٍ
إِلَيْهِ فَطَرْفِي بِالْبُكَاءِ[3] كَلِيلُ

وَفِي تَلَعَاتِ (السفْحِ)، لَوْ تَلْمَحَانِهَا،
غَزَالٌ أحَمُّ المُقْلَتَيْنِ كَحِيلُ[4]

رَحَلْنَا قُبَيْلَ الصبْحِ نَنْشُدُ أَهْلَنَا
وَنَحْنُ بِأَعْلَى (الرقْمَتَيْنِ) نُزُولُ[5]

(*) الأبيات في نسخة ظ ورقة ٤٨، ف. ك ٣٤، ق ٥٣، م ٤٩، مط صفحة ٨٩.

(1) مط. ق: في غسق الدجى...

(2) الغلس: ظلمة آخر الليل.

(3) مط: في البكاء، وهو من خطأ الناسخ.

(4) التلعة: ما ارتفع من الأرض وأشرف، وما انبط منها - ضد -، والأرض الغليظة المرتفعة يتردّد فيها السيْل ثم يدفع منها إلى أخرى.الحُمة: لون بين الدهمة والكتمة ودون الحوّة، وهو أحم وهي حماء. يقال أسود أحمّ وَيحْمُوم، وهم أحمّ المقلتْين.الكحَل: سواد في أجفان العيْن خِلْقَةً.

(5) الرّقْمَة: مجتمع الماء في الوادي، وقال الفراء: يقال عليك بالرقمة ودع الضفة. ورقمة الوادي حيث الماء وضفتاه. وفي الصحاح: الرقمة جانب الوادي، وقيل الروضة، والرقمتان اسم لمواضع عديدة.

فَــأَلْثَمَنِي وَاللَّيْــلُ بَيْنِــي وَبَيْنَــهُ
غُــرُوبَ أَقَــاحٍ ظَلْمُهُــن شَــمُولُ[1]

أُعَارِضُــهُ فِي غَفْلَــةِ الركْــبِ لاَثِمًــا
كَمَا خَلَسَتْ[2] غُـصْنَ الأَرَاكِ قَبُـولُ[3]

أُبِــث سِــرارِي إِن حُــب (عُذَيْبَــةٍ)
أَقَامَ وَوَيْبَ[4] الناسِ! كَيْــفَ يَـزُولُ؟[5]

فَلَيْتَ اللَّيَــالِي فِــي (الغُــوَيْرِ) قَصِيرَةٌ
فِدَاهُن لَيْــلٌ بِــ (الحِيَــارِ) طَوِيــلُ![6]

---

(1) فاعل ألثمني ضمير مستتر يعود على الغزال (الحبيب). الغرب والجمع غروب: منقع ريق السن، طرف السن وماؤها. الأقحوان: البابونج عند العجم، والقرّاص عند العرب، وهو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض تشبّه به ثغور الجواري الحديثات السنّ، مفرده أقحوانة وجمعه أقاح وأقاحيّ.
الظلْم: ماء الأسنان وبريقها والجمع ظُلوم. والمقصود به في البيت ماء الأسنان. الشمول: الخمر أو الخمر الباردة الطيبة الطعم.

(2) ف. ق. ك. مط: كما خلصت غصن..

(3) القَبول من الرياح: الصبا.

(4) ظ: وريب الناس.

(5) سارّه سِرارًا: أعلمه بسره. ويب مثل ويل تفيد التعجب.

(6) ف. ق. ك. مط: في الحيار. الحيار: قال ياقوت: كأنه جمع حَيْر وهو شبه الحظيرة أو الحمى. حيار بني القعقاع: صقع من برّيّة قِنّسْرين كان الوليد بن عبد الملك أقطعه القعقاع بن خليد، بينه وبين حلب يومان. قال المتنبي في مدح سيف الدولة [وافر]:

وكنتَ السيفَ قائمُهُ إليهم وفي الأعــداء حــدّك والغــرار

ثمانية أبيات

* [٥٥]

وقال أيضًا [طويل]:

وَظَبيٍ مِنَ الأعْرَابِ رَنحَهُ الصبَا
فَمَالَ وَمِنْ أعْطَافِهِ تُقْبَسُ الخَمْرُ(١)

إذَا أخَذَ المِرْآةَ يَنظُرُ وَجْهَهُ
ظَنَنتُهُمَا شَمْسَينِ بَيْنَهُمَا بَدْرُ(٢)

بيتان

*[٥٦]

وقال أيضًا [سريع]:

قَدْ أَلِفَ القَلْبُ خِلافَ الذِي
يَرُومُهُ مِنْ سَلْوَةِ القَلْبِ(٣)

قَعَدْ إلَى إسْعَادِهِ فِي الهَوَى

فأمست بالبدية شفرتاه وأمسى خلفَ قائمِهِ الحيارُ

(معجم البلدان - الحيار)

(*) البيتان في نسخة ظ ورقة ٤٨، ف ٣٤، ك ٣٥، ق ٥٣، م ٤٩، مط ٥٢.
والبيت الثاني في الأفضليّات لابن الصّيرفيّ، ص ٢٦٤.

(١) ظ : وظبي من الأتراك م : وغصن من الأعراب.
ف. ق. ك : يقبس الخمر.

(٢) في الأفضليات، ص ٢٦٤ : حسبتهما شمسين.. قصد بالبدر الوجه.

(*) البيتان في نسخة ظ ورقة ٤٩، ف ٣٤، ق ٥٣، ك ٣٥، م ٥٠، مط صفحة ١٧.

(٣) مط : خلاف الذي ترومه...

لَعَلــــهُ يَزْهَــــدُ فِــــي الحُـــــب[1]

بيتـــان

[٥٧]*

وقال أيضًا [بسيط]:

مَنْ كَانَ يَحْمَــدُ لَــيلاً فِــي تَقَاصُــرِهِ

وَــإِن لَيْلِــيَ لاَ يُرْجَــى لَــهُ سَــحَرُ

لاَ تَــسْأَلُونِيَ إِلا عَـــ ــنْ أَوَائِلِـــ ـــهِ

فَآخِرُ اللَّيْلِ مَــا عِنْــدِي لَــهُ خَبَــرُ[2]

بيتـــان

(1) يخاطب في هذين البيتين من يعذله في الحبّ.

(*) البيتان في ظ ٤٩، ف. ك ٣٥، ق ٥٣، م ٥٠، مط ٥٢.

(2) ف. ق. ك: عندي ما له خبر

يريد بعجز البيت أن ليله لا آخر له. وإذا كان كذلك فإنه لا يعلم منه شيئًا.

[٥٨]*

وقال أيضًا [بسيط]:

إني - وإن كُنـتُ أبغِـي الحِلْـمَ آونَـةً
وَأَمتَطِيهِ لِـمَـا آتِـي وَمَـا أَدَعُ[١]

فَمَا أُحَمِّـلُ صَـبْرِي فَـوْقَ طَاقَتِـهِ
وَلاَ أُكَلِّفُ قَلْبِي فَـوْقَ مَـا يَسَـعُ[٢]

إِذَا صَـدِيقٌ نَبَـتْ عَنـي جَوَانِبُـهُ
وَغَرَّهُ الحِلْمُ حَتـى غَالَـهُ الطَمَـعُ[٣]

نَزَعْتُ عَنْهُ وَفِـي قَلْبِـي نَوَازِعُـهُ

(*) الأبيات في نسخة ظ ورقة ٤٩، ف. ك ٣٥، ق ٥٤، م ٥٠، مط ٦٧.

(١) آونة: قصد بـا معظم الأحيان، وخرج بـا شيئا ما عن دلالتها الأصلية.
وقوله: أمتطيه... على الـاز.

(٢) ف. ق. ك: غير ما يسع.

(٣) قوله: نبت عنّي جوانبه: أراد لم يكن معي لين الجانب. غاله: أخذه غيلة، أهلكه.

خَيْرٌ مِنَ الـضَيْمِ أنْ يَنْتَابَـكَ الجَـزَعُ[1]
قَاذْهَبْ طَلِيقَـا فَفِـي الغَبْـرَاءِ مُطَـرَحٌ
وَإنْ كرِهْـتَ فَفِـي الإخْـوَانِ متَـسَعُ
خمسة أبيات

(1) ف. ق. ك. مط : خير من الطيش.
نزع عنه : ابتعد. النوازع : من النـزوع، وهو الشوق.
يقول : لأن يصيبك الجزع لفراق الإخوان أهون من أن تضام.

*[٥٩]

وقال على طريقة الشعر المعروف باستغفرْ واستغفري [بسيط]:

أسْـتَغْفِرُ اللهَ سِـري في الهَـوَى عَلَـنٌ[١]
وَقَـدْ قَنِعْـتُ فَقَالَـتْ عِنْـدِيَ المِـنَنُ[٢]

عَرَفْـتُ دَهْـرِي فَلَـمْ أحْفِـلْ[٣] بِحَادِثَـةٍ
فِيـهِ فَـلا فَـرَحٌ عِنْـدِي وَلا حَـزَنُ[٤]

فَـنٌ مِـنَ العَـيْشِ لا تُخْـشَى[٥] عَوَاقِبُـهُ
وَلا تُثَـارُ بِـهِ الأحْقَـادُ وَالـدِّمَنُ[٦]

ضَـلَّ الَّـذِينَ رَأَوْا فِـي النَّسْلِ فَائِـدَةً
وَلَـوْ أصَـابُوا لَمَـا رَبَّـوْا وَلا حَضَنُوا[٧]

٥- وَقَدْ تَصَافَى رِجَالٌ لَـوْ كَشَفْتُ لَهُـمْ
سَـجِيَةَ النَّـاسِ خَـافُوا كُـلَّ مَـنْ أمِنُـوا

(*) القصيدة في نسخة ط ورقة ٥٢، ف. ك ٣٧، ق ٥٧، م ٥٠، مط ١٩.

(1) ظ. م: في الورى علن.

(2) المنن مفردها المنة: الإنعام والإحسان، يقصد إنعام الناس علي.

(3) ظ: عرفت دهري ولم أحفل ف. ق. ك: لم أحفل.

(4) تكرر هذا المعنى في قطعة (٥٠) في قوله: إذا سررت فما ثغري بمبتسم...

(5) ف. ق. ك. مط: لا تخفى عواقبه.

(6) ف. ق. ك: والمنن مط: والإحن.

الدمنة: آثار الدار والناس، ما اسود من آثار الناس والدواب وتلّبد، ومن الـاز في قلبه دمنة، أي حقد ثابت آبد، وقد دَمِنَ قلْبه عليه.

(7) في هذا البيت وما بعده يظهر أثر المعري في تلميذه ابن سنان، فهو على مذهبه.

يَجْرِي القَضَاءُ بِمَا تَعْيَا العُقُولُ[1] بِهِ
وَيُنْصَرُ الجَهْلُ حَتى يُعْبَدَ الوَثَنُ

وَالظُلْمُ طَبْعٌ وَلَوْلا الشر مَا حُمِدَتْ
في صَنْعَةِ البِيضِ لا هِنْدٌ وَلا يَمَنُ[2]

ذَمَمْتَ دَهْرَكَ إِذْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ
بِمِثْلِ مَا تَشْتَكِيهِ يُعْرَفُ الزَمَنُ

خَفضْ عَلَيْكَ فَإن العُمْرَ مُخْتَرمٌ
وَالمَوْتَ مُنْتَظِرٌ والحُر مُمْتَحَنُ[3]

١٠- وَلا يَغُرِكَ خَلْقٌ رَاقَ ظَاهِرُهُ
فَلَيْسَ تَصْدُقُ لا عَيْنٌ وَلا أُذُنُ

صَحِبْتُ قَوْمًا يُعَد الشر عِنْدَهُمُ
حَزْمًا تُشِيرُ بِهِ الآرَاءُ وَالفِطَنُ[4]

عَمُوا عَنِ الرشْدِ وَاعْتَادَتْ نُفُوسُهُمُ
فِعْلَ القَبِيحِ فَظَنوا أنهُ حَسَنُ

وَقَدْ تَوَالَتْ عَلَى قَصْدِي سِهَامُهُمُ
وَلِي مِنَ الزهْدِ في أَوْطَانِهِمْ جُنَنُ[5]

---

(1) م: تعيا القلوب به...

(2) هذا شبيه بقول المتنبي [كامل]:

الظلْمُ مِنْ شِيَمِ النفُوسِ فَإنْ تَجِدْ ... ذَا عفةٍ فَلِعِلةٍ لا يَظْلِمُ

الديوان، ٤ / ٢٥٣

(3) ف. ك: والموتُ منتظر والحر...

(4) يصور طبائع بعض الناس في عصره.

(5) على قصدي: قسري وقهري. جُنَنُ: مفردها جُنة، وهي الوقاية، وكل ما واراك من السلاح، وكل ما وقى كالدرع والمِجَن، انظر ق ١٤ ب ٢٠.

رَضِيتُ عَيْشِي فَلا حِرْصٌ[1] وَلاَ طَمَعٌ
وَصُنْتُ عِرْضِي فَلاَ عَارٌ وَلاَ درنُ

إِذَا سَغِبْتُ فَجِسْمٌ لاَ حَيَاةَ لَهُ
وَإِنْ ظَمِئْتُ فَمَاءٌ مَا لَهُ ثَمَنُ[2]

خَيْرُ المَشَارِبِ مَا تَبْقَى الحَيَاةُ بِهِ
فِي فِطْرَةِ[3] الخَلْقِ لاَ خَمْرٌ وَلاَ لَبَنُ

وَأَفْضَلُ القُوتِ مَا جَادَتْ لِطَالِبِهِ
يَدُ الثَرَى وَقَرَاهُ العَارِضُ الهَتِنُ[4]

لاَ أَطْلُبُ الرِزْقَ مِنْ سَيْفٍ وَلاَ قَلَمٍ
وَلاَ أُمَارِسُ فِيمَا أَكْسِبُ المِهَنُ[5]

وَرِثْتُ مَالَ أُنَاسٍ طَالَ عَهْدُهُمُ
غَنِيتُ مِنْهُمْ وَمَا خُبِّرْتُ كَيْفَ غَنُوا

أَوْدَى (عليُّ بْنُ حَمْدَانٍ) بِوَفْرِهِمُ
وَقُدِّرَتْ لَهُمُ فِي مُلْكِهِ المِحَنُ[6]

---

(1) م: فلا خوف.

(2) يريد أنه إذا جاع تغذى بما لا حياة فيه كالنبات، وإذا عطش شرب الماء، وأنه يكتفي بالقليل ليحفظ كرامته.

(3) مط: في قطرة الخلق.

(4) هتن السحاب: صب ماءه فهْوَ هَتِن.

(5) ينفي عن نفسه صفة اكتساب الرزق بالسيف أو بالقلم، أو بمهنة يمارسها (مع أن قصائده في معظمها مدح تكسب)، ويشير في البيت التالي إلى مال كثير ورثه.

(6) سقط البيت من مط.

علي بن حمدان: قصد به سيف الدولة الحمداني (ت ٣٥٦ هـ)، وهذا البيت والذي يليه يبيّنان ما كان سيف الدولة يحمل عليه رعيته لمحاربة الروم وفداء الأسرى.

فَأَفْـــسَدُوا[١] بِجِـــوَارِ الـــرومِ عَيْـــشَهُمُ
إِنْ حَـــارَبُوا أُسِـــرُوا أَوْ سَـــالَمُوا رُهِنُـــوا[٢]
فَمَـــا تخَلَّـــفَ عَـــنْهُمْ غَـــيرُ خَاذِلَـــةٍ[٣]
تَلُوكُهـــا هـــذه الأَحْـــدَاثُ والفِـــتَنُ[٤]
هِـــيَ (العَوَاصِـــمُ) مَرْمَـــى كُـــلِّ فـــاقِرَةٍ
فَلَـــيسَ تُـــسْكَنُ لَـــوْلاَ أنهَـــا وَطَـــنُ[٥]
وَقَـــدْ تَقَـــدمَ فِيهَـــا مَعْـــشَرٌ نَـــشَرُوا[٦]
حَتـــى يَجُـــورُوا[٧] وَعِنْـــدِي أَنهُـــمْ دُفِنُـــوا

(1) ف. ك: وأفسدوا.
(2) ق. مط: أو سالموا دهنوا.
(3) ظ: غير حادثة تلوكها.
(4) قصد بالخاذلة: المال القليل الذي لا ينفع صاحبه، وخذل ضدّ نصر.
وقوله: تلوكها هذه الأحداث - على المجاز - أي ما تزال تأخذ منها وتعبث بها الأحداث والفتن.
(5) العواصم: حصون موانع، وولاية تحيط بها وقصبتها أنطاكية. كانت على عهد الرشيد تضم منبج ودَلوك ورعيان وقورس وأنطاكية وتيزين وقاعدتها منبج. سميت العواصم لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها عند رجوعهم من غزو الروم، وخروجهم من الثغور، ذكرها المتنبي وغيره من شعراء القرن الرابع، وأخذها نِقْفُور فُوكّاس من الحمدانيّين، فقال ابن هانئ يمدح المعز لدين الله الفاطمي بعد معركة بحرّية انتصر فيها على الروم [طويل]:
فلا غرو أن أعززْتَ دينَ محمّدٍ فأنت له دون الأنام عَقِيـــدُ
غضبتَ له أن ثل بالشام عرشه وَعَادَكَ من ذكر العواصم عيدُ
(الديوان: ص 55)
والفاقرة: الداهية التي تكسر الفقار.
(6) ف. ق. ك. مط: معشر دفنوا... وما أثبتناه من ظ. م.
(7) ق: حتى يحوروا.

٢٥- أَهْــونْ عَلَــي بِــدُنْيَاهُمْ وَإِنْ كَثُــرَتْ
عَلَــى مَحَبَّتِهَــا الأَضْــغَانُ وَالإِحَــنُ[١]

يَــا دِمْنَــةَ الــشر لاَ جَادَتْــكِ سَــارِيَةٌ[٢]
فَطَالَمَــا دَرَسَــتْ مِــنْ جَــوْرِكِ الــدِمَنُ[٣]

يَمْــضِي الزمَــانُ وَتَعْفُــو كُــل حَادِثَــةٍ
مِنْهُ[٤] وَقَدْ ثَبَتَــتْ مِــنْ ظُلْمِــكِ الــسنَنُ[٥]

أَلِفْــتُ شَــرَكِ حَتــى مَــا أُرَاعُ لَــهُ
وكَيْــفَ يَفْــرَقُ[٦] سَــيْفَ البَــارِقِ المُــزُنُ

وَأَضْــحَكَتْنِي حُقُــودٌ مِنْــكَ بَادِيَــةٌ
وَهَــلْ يَــضِيقُ بِرَسْــمٍ دَارِسٍ عَطَــنُ[٧]

---

(1) بحاشية ك: يقال في صدره أخت الإحنة: الحقد، وجمعها إحَن وإحنات.

(2) ف. ق. ك. مط: لا جادتك غادية. م: يا ديمة.

(3) دمنة الشرّ: قصد بها الدنيا. وفي مط: من جودك الدمن.

(4) ظ. م: كل حادثة فيه.

(5) قوله: وقد ثبتت من ظلمك السنن: أي ثبتت سنن ظلمك.

(6) ظ: تفرّق.

قوله: وكيف يفرق سيف البارق المزن... على سبيل التمثيل، أراد: كيف يخاف المطر سيف البرق وقد ألفه ؟

(7) العطن: المناخ حول المورد، فأما في مكان آخر فالمراح والمأوى، ومن المجاز: فلان واسع العطن، أي رحب الذراع. يريد: هل يضيق عطن برسم دارس؟

٣٠- تَبَارَكَ اللهُ مَــا فِــي الخَلْــقِ مُــشْكِلَةٌ
وَلَــيْسَ[١] يَطْمَــعُ في إِدْرَاكِــهِ المُــنَنُ[٢]
وَلاَ يَهُــب[٣] مِــنَ الأَحْــلاَمِ رَاقِــدَةٌ
إلا وَيَغْبَــرُ في أَجْفَانِهَــا الوَسَــنُ[٤]
يَا عَــالِمَ المِــصْرِ[٥] هَــلْ أَظْهَــرْتَ خَافِيَــةً
عَــنِ البَــصَائِرِ فِــي إِيــضَاحِهَا شَــجَنُ[٦]
أَمْ لَــيْسَ عِنْــدَكَ إلا حِيلَــةٌ لِغِنًــى
تُــصِيبُهُ وَحَــدِيثٌ كلُّــهُ ظِــنَنُ؟
رَمَيْــتَ خَــصْمَكَ بِالتقْلِيــدِ مُتبِعًــا
فِيــهِ وَأَنْــتَ بِمَــا أَنكَرْتَــهُ قَمِــنُ[٧]

---

(1) م: ما في الحقّ مشكلة فليس...

(2) المنةُ: القوة، والمَنين والجمع مُنُن: الضعيف والقويّ، من الأضداد.
في البيت إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾[الملك: ٣]، وأن الحقّ واضح لا يعجز أحد عن إدراكه، وهو بذا يعرض بمن يدّعي التبحر في العلم.

(3) ظ: ولا تب

(4) ف. ق. ك. مط: ويغبر في أجفانه.
معنى البيت متّصل بما قبله، يريد أن الناس نيام لا يكادون يستيقظون حتّى يعودوا إلى نومهم.

(5) ظ: هل أضمرت...ف. ق. ك: أوضحت..

(6) سقط البيت من مط.الشجن: الحاجة مهما كانت.
وقوله: في إيضاحها شجن: أي يحتاج الناس إلى إيضاحها. ينتقد الشاعر علماء عصره مثلما فعل المعريّ قبله، والأبيات التالية توضّح ذلك.

(7) قَمِن به وقمين: جدير، أي ترمي خصمك بالتقليد وتفعل ما أنكرت، فأنت أولى من خصمك بأن تُدْعَى مقلدًا.

٣٥- وَكَيفَ تَصْدُقُ[1] فِي الأَخْبَـارِ مُرْسَـلَةً
وَمَـا أَرَاكَ مَـعَ الإِسْنَادِ تُـؤْتَمَنُ؟[2]
وَكَـمْ تَـضَمنَ قَـوْمٌ فِـي جِـدَالِهمُ
أَنْ يُفْهمُـوكَ فَمَـا أَوْفَـوْا بِمَـا ضَـمِنُوا
خَفْ مِنْ جَلِيسِكَ وَاصْـمُتْ إِنْ بُلِيـتَ بِـهِ
فَـالعَي أَفْـضَلُ مِمـا يَجْلُـبُ اللَّـسَنُ[3]
وَلاَ يَغُـركَ قَـوْلٌ سَـارَ فِـي مَثَـلٍ
فَمَا (ابنُ سِيرِينَ) مَأْمُونٌ وَلاَ (الحَسَنُ)[4]
كُـلُّ الأَنَـامِ لأُم غَيْـرِ مُنْجِبَـةٍ
فَمَـا زَكَـا فِـيهمُ عِـرْقٌ وَلاَ غُـصُنُ[5]
٤٠-وَلاَ تَقَـدمَ مِـنْهُمْ مَعْـشَرٌ حُمِـدُوا
فَـلاَ تَغُـركَ أَخْبَـارُ الـذِينَ فَنُـوا
أربعون بيتًا

(1) ظ: وكيف يصدق... مع الإسناد مؤتمن.
(2) حديث مُرْسَل: غير متصل الإسناد.
يقول: ما أراك تصدق في الأخبار ولو أسندتا.. فكيف تصدق وأنت ترسلها؟
(3) اللسَن: الفصاحة، من لسِنَ أي فَصُحَ وجاد لسانه.
والبيت من باب إرسال المثل في حكمة اجتماعية.
(4) سقط هذا البيت والذي يليه من نسخة مط.
م: ولا حسن.ابن سيْرين: قصد به محمد بن سيرين البصري ت ١١٠ هـ/ ٧٢٩ م، تابعيّ روى الحديث واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا.
الحسن بن يسار البصري ت ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م، كان إمام البصرة في زمانه، ((وكان غاية في الفصاحة تتصبّب الحكمة من فيه)).
(5) م: زكا منهم
قوله: أمّ غير منجبة... قصد به الدنيا.

[٦٠]*

وقال أيضًا [وافر] :

وقَـــالُوا: قَـــدْ تَغَيــرَتِ اللّيَـــالِي

وضُـــيعَتِ المَنَـــازِلُ والحُقُـــوقُ!

وأُقْسِمُ[١] مــا اسْـتَجَد الــدهْرُ خُلْقًـا

وَلاَ عُدْوَانُـــــــــهُ إلا عَتِيـــــــقُ

أَلَــيْسَ يُــرَد عَــنْ (فَــدَكٍ) عَلِــيُ

وَيَمْلِــكُ أَكْثَــرَ الــدنْيا (عَتِيــقُ)؟[٢]

(*) الأبيات في نسخة ظ ورقة ٨٣، م ٥٢، مط صفحة ٧٨.

وأوردها صاحب فوات الوفيات، ١ / ٤٩١.

(١) في فوات الوفيات، ١ / ٤٩١: فأقسم...

(٢) فدك: قرية بالقرب من المدينة، أفاءها الله على رسوله ﷺ في غزوة خيبر صلحًا. فلمّا توفي رسول الله طلبت فاطمة نصيبها فيها ميراثًا من أبي بكر رضي الله عنهما، فمنعها إياها بحديث: ((نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركنا صدقة)) ولما ولي عمر الخلافة أدّاه اجتهاده إلى أن يسلّمها إلى الهاشميين، وقصتها طويلة... كانت تردّ إلى أحفاد عليّ رضي الله عنه، ثم ما تلبث أن تخرج من أيديهم، ردها إليهم عمر بن عبد العزيز، والسفاح والمهديّ، والمأمون، والمنتصر... ومنعهم إياها سائر الأمويين والعباسيين لأسباب سياسية.

عتيق: اسم أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ثلاثة أبيات

[٦١]*

وقال أيضًا [مجزوء الرمل]:

يَـ ـ ـــا حَبِيبًـ ـ ـــا وُدُّهُ للنـ ـ ـ ـــ ـ
ـ ـ ـ ـاس تِمْثَـ ـ ـالُ النفَـ ـ ـاقِ(١)

أنـ ـــتَ بَـ ـــدْرُ الـ ـــتم لَكِـ ـــنْ
لَـ ـكَ عَهْـ ـدٌ فِـ ـي المَحَـ ـاقِ(٢)

قَـ ـــدْ بَلَوْنَـ ـــاكَ عَلَـ ـــى حَـ ـــا
لِ التَنَـ ـ ـ ـ ـائي وَالتلاقِـ ـ ـ ـ ـي

فَـ ـ ـــإذَا أنـ ـ ـــكَ لاتَـ ـ ـــصْـ
ـ ـ ـ ـ ـــلُحُ إلا لِلفِـ ـ ـ ـ ـــرَاقِ

أربعة أبيات

(*) ظ ٨٣، ك. ف ٦٤، ق ٩٩، م ٥٢، مط ٧٨.

(١) التمثال: الصورة، من مثّل له الشيء صوّره كأنه ينظر إليه.

(٢) بدر التمّ (ويثلّث): أي الذي أكمل استدارته. المحاق - وتثلث الميم - أن يخفى القمر آخر الشهر، فلا يرى غدوة ولا عشية، من محق. وأصل المادّة النقصان (ابن فارس).

[٦٢]*

وقال أيضًا [مديد]:

مـــا علـــى العُـــذالِ لَـــوْ نَظَـــرُوا
ثُـــم لامُـــوا فِيـــكَ أوْ عَـــذَرُوا؟[١]

قَمَـ ـــرٌ ضَـ ـــلَّ الأنـ ـــامُ بِـ ـــهِ
مَـ ـــا بِهَـ ـــذَا يُعْـ ـــرَفُ القَمَـ ـــرُ

بيتان

(*) البيتان في ظ ٨٢، ف. ك ٦٢، ق ٩٦، وتكررا في نسخة م ٥٢ و ٧٨، ولم يردا في مط.

(1) هذا قريب من قول ابن أبي حصينة في المصراع الثاني من البيت [بسيط]:

كُفي ملامَكِ فالتبريحُ يكفـيني ... أو جربِي بَعْضَ ما ألْقَى ولُومِيني

الديوان ١ / ٣٥٨

*[٦٣]

وقال أيضًا [مجزوء الكامل]:

يَـــا نَازِحًـــا حَكَمَـــتْ عَلَـــي (م)

يُبْعْـ ـ ـدِهِ نُـ ـ ـوَبُ الزَمَـ ـ ـان

مَـــنْ لِـــي بِقُـــرْبِ الـــدارِ مِـــنْـ

ـ ـ ـكَ وَلاَ أَرَاكَ وَلاَ تَرَانِـ ـــي؟![1]

مَـا كُـنْـتُ[1] أَحْـسِـبُ أَنَنِـي

أَرْضَى بِهَجْـرِكَ فِـي الأَمَانِـي[2]

ثلاثة أبيات

(*) الأبيات في ظ ٨٤، ف. ك ٦٤، ق ١٠٠، م ٥٢، مط ١١١.

(1) كأنه ينظر إلى بيت ابن الدمّينة [طويل]:

بكل تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يُشْفَ ما بِنَا عَلَى أن قُرْبَ الدارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ

الديوان: ٨٢

(2) أرضى: قصد به: أصبر على. بجرك: بأن تجرني.

في الأماني: في مجّرد التفكير لا فيما يتمنى.

*[٦٤]

وقال يرثي مؤتمن الدولة أبا الحسن عليّ بن محمد بن عيسى، الكاتب المعروف بابن العُمَريّ ، وقد قتل وصلب [كامل]:

وَمُعَـ ـذلٍ جَـ ـارٍ عَلَـ ـى غُلَوائِـ ـهِ
يُـ ـرْوَى حَـ ـدِيثُ نَـ ـدَاهُ عَـ ـنْ أَعْدَائِـ ـهِ[١]

لَـ ـدْنٍ كَعَالِيَـ ـةِ القَنَـ ـاةِ يَخِـ ـف[٢] فِـ ـي
عَزَمَاتِـ ـهِ وَيَمِيـ ـدُ فِـ ـي أَهْوَائِـ ـهِ[٣]

ثَمِـ ـلُ الـ ـشمَائِلِ مَـ ـالَ فِـ ـي أَعْطَافِــهِ
وَوِدَادِهِ وَنَعِيمِـ ـ ـ ـهِ وَشَـ ـ ـ ـقَائِهِ[٤]

(*) ظ ٤٩، ف. ك ٣٥، ق ٥٤، م ٥٢، مط ٤.

قال ابن العديم في زبدة الحلب (١ / ٢٩٢): ((وكان أبو الحسن علي بن محمد بن عيسى العمريّ الحلبيّ وزيرَ منيع. وكان عطّيّةُ قد دعاه إلى خدمته فامتنع. فلمّا مات منيع عاد أبو الحسن العمريّ إلى حلب، فقبض عليه عطّية وقتله، لحقده على ما فعله من امتناعه من خدمته. ولعلّه احتجّ بأنه حَمَل منيعًا على حصار حلب مع محمود)).

(1) المعذلُ: من يتشدّد الناس في عذله لإفراطه في الجود؛ الغلواء: أوّل الشباب وشِرّته وسرعته. جارٍ على غلوائه: لا ينقطع عن جوده المفرط، والتعبْير مجازيّ. يقول: إن مؤتمن الدولة جواد مفرط في الجود، وأن الناس يكثرون من عذله في ذلك، وأن أعداءه أنفسهم يقرّون له بالكرم والفضل.

(2) م: تخف في عزماته وتميد.

(3) اللّدْن: اللّين من كلّ شيء، يقال: رمح لدْن. ومن المجاز: لَدُنَتْ أخلاقُه، وهو لَدْنُ الخليقةِ: لينُ العَريكة.

(4) ثَمِلَ ثَمَلاً: سَكِرَ وأخذ فيه الشراب، وثَمِلُ الشمائل من إضافة الصفة إلى الموصوف، وهو على المجاز.

عَجِلَتْ عَلَيْهِ يَدُ الحِمَامِ وَعُودُهُ
رَيَّانُ مِنْ خَمْرِ الشَّبَابِ وَمَائِهِ
٥- وَتَتَابَعَتْ هَفَوَاتُهُ وَلَرُبَّمَا
فَلَّ الخُطُوبَ بِخَطْرَةٍ مِنْ رَائِهِ(١)
عَجَبًا لِحَدِّ السَّيْفِ كَيْفَ أَصَابَهُ
وَمَضَاؤُهُ فِي الرَّوْعِ دُونَ مَضَائِهِ(٢)
وَلِمُصْعَبٍ مَلَأَ الزَّمَانَ هَدِيرُهُ
قَادُوهُ بَعْدَ شِمَاسِهِ وَإِبَائِهِ(٣)
إِنْ يَرْفَعُوهُ فَقَدْ عُنُوا بِعُلَائِهِ(٤)
أَوْ يُشْهِرُوهُ فَقَدْ كُفُوا بِثَنَائِهِ(٥)
أَوْ يُبْدِعِ الأَعْدَاءُ فِيهِ فَسُنَّةٌ
لِلدَّهْرِ(٦) جَارِيَةٌ عَلَى نُظَرَائِهِ

---

(1) الهفوة: السقطة والزلة، وأراد بها الإخفاق وعدم النجح. الراء: الرأي.
(2) الروع: الحرب - على المجاز.
(3) جمل صعب: غير ذلول، وأُصعِب الجملُ: لم يركب ولم يمسسه حبل فهو مُصْعَب، وأَصْعَبْنا جملنا فتركناه، ومن المجاز فلان مصعب من المصاعب، كما تقول قرم من القروم. الشماس: الاستعصاء.
(4) ف. ك: بعلائه، بفتح العين.
(5) في هذا البيت ما يسمّيه البلاغيون بالإيهام، فالرفع هنا يمكن أن يكون رفع الذكر أو الرفع على الأعواد، وشَهَر كذلك له معنيان: نوّه به، وفضحه... كذلك أبدع في البيت الذي يليه.
(6) م: أو تبدع الأعداء ظ: أو تبدع... فسنّة لله.

١٠- لا يَفْرَحُونَ بِهَـا فَكَـمْ مِـنْ شَـامِتٍ
بِحِمَامِـ ـهِ! وَلَعلَّـ ـهُ مِـ ـنْ دَائِـ ـهِ[١]
يَـا صَـاحِبَ الجَـدَثِ القَرِيـبِ وَدُونَـهُ
خَطَـرٌ يُعَـدُّ مَـسَافَةً فِـي نَائِـهِ[٢]
ذكَـرَ الغَمَـامُ عَلَـى ثَـرَاكَ عَلاقَـةً
تَجْـرِي بِهَـا العَبَـرَاتُ مِـنْ أنوَائِـهِ[٣]
وَتَنَفـسَتْ فِيـهِ الرِيَـاحُ مَرِيـضَةً
مِـنْ حَـرِّ نَـارِ[٤] الحُـزْنِ أوْ بُرَحَائِـهِ
فَلَقَـدْ جَفَوْتـكَ رَهْبَـةً وَلَرُبَمَـا
هَجَـرَ الـصدِيقُ وَأنْـتَ فِـي أحْـشَائِهِ[٥]
أربعة عشر بيتًا

(1) ظ: ولعله في دائه.ف. ق. ك. مط: فأحلّه في دائه.
قوله: لا يفرحون بها... إنشاء في قالب خبر.قوله: ((ولعله)) الضمير يعود فيه على الحمام، أي لعلّ موت المرثي يكون داء للشامت.
(2) م: مسافة من نائه. الناء: النأي كالراء والرأي (على القلب).
(3) جعل الغمام يبكي عليه، لما بينهما من علاقة، فكلاهما يجود بالخير.
(4) م: من حرّ ماء الحزن.
(5) جفوتك: أراد أظهرت الجفاء خوفًا من الأعداء. وهذا البيت شبيه بقول الأحوص:
يا بيتَ عاتِكةَ التي أتعـزلُ حذَرَ العِدَى وبِكَ الفُـؤادُ مُوَكـلُ
(أمالي المرتضى ١ / ١٣٥، وزهر الآداب ١ / ٢٠٠)
وقول دعبل الخزاعيّ في رثاء آل البيت:
أخافُ بأن أزْدارَهُم وَيشُوقُني مُعَرسُهُمْ بِالجِزْعِ مِنْ (نَخَـلاتِ)
الديوان: ٧٣.

* [٦٥]

وقال وكتب بها إلى الأمير أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداس(١)
في بعض الأوقات [كامل]:

يَا مَالِكَ الثَّغْرِ الَّذِي بِسُيُوفِهِ
عَـزَّتْ مَطَالِبُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ (٢)

أَشْرَقْتَ فِيهِ فَلَيْلُهُ كَنَهَارِهِ
وَرَفَعْتَ مِنْهُ فَأَرْضُهُ كَسَمَائِهِ

لأُمُوكَ فِي بَذْلِ النَّوَالِ وَإِنَّمَا
شَرَفُ الغَمَامِ بِمَا جَرَى مِنْ مَائِهِ(٣)

وَوَجَدْتَ عَاقِبَةَ السَّمَاحِ حَمِيدَةً
فَحَذَارِ مِنْ نُصْحِ البَخِيلِ وَرَائِهِ

(*) الأبيات في نسخة ظ ورقة ٥٠، ف. ك ٣٥، ق ٥٥، م ٥٢، مط ٨.

(1) الأمير عطية بن صالح بن مرداس، أمير حلب بعد وفاة أخيه ثمال بن صالح ٤٥٣ هـ، أبوه صالح مؤسس الدولة المرداسية، وهي دولة عربّية شيعّية، قامت على أنقاض الدولة الحمدانية؛ عمرت نحو ٤٧ سنة. انطلقت من وادي الفرات وشملت حلب ومنبج وبالس والرقّة والرحبة، ثم حمص وصيدا وبعلبك وطرابلس، وامتدت إلى عانة، وملكت جميع وادي الفرات الشامي. اشتهر المرداسّيون بانتصارهم على ملك الروم أرمانس. قضى عليها العُقَيْلّيون.
ترجمته في زبدة الحلب، ١ / ٢٩١ - ٢٩٧، والأعلام ٥ / ٣٣.

(2) قوله: يا مالك الثغر، أي: يا أمير الثغر، وأراد ثغر حلب. انظر ق ٥ ب ٢٦.

(3) م: شَرَفُ الغمامِ بما.

لا تُـشْفِقَن عَلَــى ثَــرَاكَ [1] فَمَــا ذَوَى

رَوْضٌ تَكُــونُ ظُبَــاكَ مِــنْ أَنْوائِــهِ

٥- ضَمِنَتْ لَكَ الخَلَـفَ الـسرِيعَ شِـفَارُهَا

مِنْ بَعْـدِ مَـا عَرَفَـتْ مَكَـانَ وَفَائِـهِ [2]

مَــا رَامَ عَبْــدُكَ أَنْ يُــشِيرَ [3] وَإِنَمَــا

نَظْــمُ القَــرِيضِ جَــرَى عَلَــى غُلَوائِــهِ

إِنْ صَــدَّهُ عَنَــتُ الزَمَــانِ[4] وَصَــرْفُهُ

قَلْــهُ قَــدِيمُ ذِمَامِــهِ وَوَلاَئِــهِ[5]

أَوْ كَــانَ مُقْتَــصِرًا فَخِدْمَــةُ مِثْلِــهِ

مَعْرُوفَــةٌ بِثَنَائِــهِ وَدُعَائِــهِ.

تسعة أبيات

---

(1) ظ. م: لا تشفقن على الثراء. مط: لا تشفقن على نداك.

(2) الخلَف: أراد به المال الذي يخلف ما ينفقه الممدوح على العُفاة.

(3) ظ: ما رام عندك ف. ق. ك: ما رام عبدك ما يُشْير.

مط: أن يَسْير عبدك: قصد به نفسَه.

الغُلَوَاء: أوّل الشباب وشِرّتُه وسرعته (والتعبْير على المجاز).

(4) م: إن صدّه ريب.

(5) م: قديم وداده ووفائه.

الذمام: كلّ حقّ أو حرمة تلزمك وتُلام إذا ضيّعتها، كالذمار.

[٦٦] *

وقال - سامحه الله - على طريقة الشعر المعروف باستغفر واستغفري [بسيط]:

أسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ تَرْكِي وَإخْلالِي
وَهَفْوةٍ خَطَرَتْ مِني عَلَى بَالِ[١]

قَضَيْتُ عُمْرِي بِدَرْسِ مَا حَظِيتُ بِهِ
وَكَيْفَ يَنفَعُ عِلْمٌ عِنْدَ جُهالِ؟[٢]

وَزَادَ فِي زَهَدِي أني عَرَفْتُهُمُ
فَمَا أسِيتُ عَلَى جَاهٍ وَلا مَالِ[٣]

قَيدْتُ بِاليَأسِ عَزْمِي عَنْ مُطَالَبَةٍ
فَلْتَحْمَدِ اللهَ أفْرَاسِي وَأجْمَالِي

٥- أعُدُّ أصْدَقَ آمَالِي مُخَادَعَةً
إذَا تَعَلقَ أقْوَامٌ بِآمَالِ[٤]

(*) القصيدة في نسخة ظ ورقة ٥٠، ف. ك ٣٦، ق ٥٥، م ٥٣، مط ٩٠.

(1) ف. ق. ك. مط: على بالي - بالياء -.

(2) ظ. م: علم بين جهال

يقول: قضيت العمر وأنا أدرس علوم اللغة والنحو والبلاغة، فلم أنتفع بعلمي عند قوم جهّال. وفي القصيدة ما يشير إلى قناعته بما ورث من مال، وهو الثراء غير المكتسب المشار إليه في البيت السابع من القصيدة.

(3) الزهَد - بفتح الزاي والهاء - في الشيء وعنه: تركه والإعراض عنه، كالزهْد والزهادة، وفي النسخ: الزهْد. ولا يستقيم وزن البيت إلا على الصيغة الأولى.

(4) ف. ق. ك. مط: إذا تعلّق أقوام بأذيالي.

وَلِلْقَنَاعَةِ عِنْدِي مِنَّةٌ شُكِرَتْ
وَالشُّكْرُ أَحْسَنُ إِعْظَامٍ وَإِجْلالِ

قَرَنْتُهَا بِثَرَاءٍ غَيْرِ مُكْتَسِبٍ
وَعِفَّةٍ بَيْنَ إِكْثَارٍ وَإِقْلالِ

مِيْرَاثُ قَوْمٍ كَفَانِي بُعْدُ عَهْدِهِمِ
فَتْوَى الظُّنُونِ بِإِحْرَامٍ وَإِحْلالِ[1]

سَقَى (الرَّبِيعَ) رَبِيعٌ جَادَ وَابِلُهُ
بِكُلِّ أَسْحَمَ صَافِي الذَّيْلِ هَطَّالِ[2]

١٠- وَخَصَّ رَمْسَ (سِنَانٍ) مِنْ مَوَاهِبِهِ
بِبَارِدٍ كَسُلافِ الخَمْرِ سَلْسَالِ[3]

فَقَدْ أَعَانَا عَلَى زُهْدٍ وَمَيْسَرَةٍ [4]
وَأَغْنَيَانِي عَنْ شَدٍّ وَتَرْحَالِ[5]

---

(1) أحرم الشيءَ: جعله حرامًا.
يريد أنه ورث ماله عن قومه، وأن بُعد عهدهم عن عهده جعله لا يستطيع أن يعرف كيف اكتسب هذا المال، وهل هو حلال. والحقيقة أن تراث بني خفاجة في معظمه ناتج عمّا غنموا في حروبهم الكثيرة المتوالية، وهذا ما أوحى إلى ابن سنان البيت ؛ على أنه ذكر أن بُعد العهد كفاه شرّ الظنون.
(2) ف. ق. ك. مط: جاد هاطله. الأسحم: السحاب وهو من سحِم الشيء - بكسر الحاء وضمّها -: اسودّ. و(الربيع) جدّه السادس؛ أي الربيع بن سنان، أو الثامن وهو والد سنان بن الربيع الخفاجي.
(3) سنان: جدّه السابع.
(4) ما أثبتناه من م. وفي سائر النسخ: بميسرة.
(5) شدّ الرحال: عزم على السفر.

أَرَحْتُ جِسْمِي[1] فَلَمْ تَنْصَبْ جَوَارِحُهُ
وَقَدْ أَضَرَّ بِهَا فِي الحِرْصِ أَمْثَالِي
وَمَا جَعَلْتُ اعْتِرَابِي لِلْغِنَى سَبَبًا
إِذَا تَفَرَّغَ أَقْوَامٌ لأَشْغَالِ
قَالُوا جَمِيلاً، وَلَكِنْ قَلَّ مَا فَعَلُوا
مِنْهُ، وَصَدَّقْتُ أَقْوَالِي بِأَفْعَالِي
١٥-وَقَدْ أَجَدَّ ابْنُ عَمِّي فِي مُخَالَفَتِي
رَأْيًا فَصَادَفَ عِنْدِي غَيْرَ إِجْفَالِ[2]
كُنْ كَيْفَ شِئْتَ جَفَاءً أَوْ مُوَاصَلَةً[3]
فَقَدْ خُلِقْتُ بِلاَ عَمٍّ وَلاَ خَالِ[4]
وَخَلِّ عَنْكَ جِدَالِي أَوْ مُعَاتَبَتِي
فَإِن ذَلِكَ فَضْلُ القِيلِ وَالقَالِ[5]

---

(1) ظ: أرحت نفسي، وهو خطأ من الناسخ.

(2) ظ: إحفالي.

أجدّ الرجل أمره: أحكمه، وأجدّ في أمره: صار ذا جِدّ واجتهاد فيه. الإجفال: الفرار والذهاب في الأرض بسرعة، وقصد به الإعراض والجفاء. يريد: أنه لم يعرض عنه ولم يجفه.

(3) ظ: جفاء أو مخالفة.

(4) قوله: خلقت بلا عمّ ولا خالٍ، يريد: أنه اعتمد دائمًا على نفسه لا على أقاربه.

(5) يطلب إليه أن يدع الجدل والعتاب فيما يعيبه عليه، فلا أساس لشيء من هذا وإنما هو (قيل) و(قال)، وحديث قوم يرمون الناس بما سمعوا من دون تمحيص.

وَعُصْبَةٍ أَلِفَ الأَحْرَارُ جَمْعَهُمُ[1]
عَلَى تَقَلُّبِ أَوْقَاتٍ وَأَحْوَالِ
مِنْ كُلِّ مُعْتَرِفٍ بِالشرِّ مُضْطَغِنٍ
وَقَاصِدٍ بِلَئِيمِ الطَّبْعِ مُخْتَالِ
بَيْتُ المَكَائِدِ إِلا أَنَّهُ طَلَلٌ
وَمَوْضِعُ السُّوءِ إِلا أَنَّهُ خَالِ[2]
عَوَوْا عَلَيَّ وَهَرَّتْنِي كِلابُهُمُ
فَمَا عَبَأْتُ بِرَسْمِ الدِّمْنَةِ البَالِي
الحَقُّ أَبْلَجُ فَاعْرِفْ مَنْ تُنَازِعُهُ
وَدَعْ وَسَاوِسَ أَفْكَارٍ وَأَقْوَالِ
وَلِلْعَدَاوَةِ أَسْبَابٌ وَأَظْهَرُهَا
فِينَا تَبَايُنُ أَغْرَاضٍ وَأَشْكَالِ
وَالنَّاسُ شَتَّى وَإِنْ عَمَّتْهُمُ صُوَرٌ
هِيَ التَّنَاسُبُ[3] بَيْنَ المَاءِ وَالآلِ[4]
تَبَارَكَ اللهُ، هَلْ لِلْخَيْرِ مِنْ أَثَرٍ
يُقْفَى فَيَتْبَعُ فِيهِ سَابِقًا تَالِ

---

(1) ظ. م: ألف الأحرار ظلمهم.

(2) قوله: بيت المكائد ؛ أي هذه العصبة بيت المكائد.

(3) ظ: هي المناسب.

(4) الآل: السراب.

يريد: الناس مختلفون في الطبائع وإن تشابهت أشكالهم، كما يتشابه الماء والسراب. وهل بين الماء والآل إلا تشابه ظاهري؟

وَهَــلْ تَبَــينَ (سَــيْفٌ) أن مَنْزِلَــهُ
فِــي رَأْسِ (غُمْــدَانَ) دَارٌ غَيْــرُ مِحْــلاَلِ؟[١]
أَمْ هَــلْ (لِسَابُورَ) عِلْــمٌ مِــنْ (مَدَائِنِــهِ)
قَبِـــسْتُهل لآثَـــارٍ وَأَطْـــلاَلِ؟[٢]
يَــا شَــائِدًا رَفَــعَ (الإيــوَانَ) مُجْتَهِــدًا
خَفِّــضْ عَلَيْــكَ فَــإن الحَــادِثَ الغَــالِي
يَكْفِيــكَ قُوتُــكَ مِمـَـا بِــتَّ تَــذْخَرُهُ
وَمَــا يَــصُونُكَ مِــنْ بَيْــتٍ وَسِــرْبَالِ[٣]
٣٠- وَقَدْ عَجِبْتُ مِنَ الرهْبَانِ إِذَا صَــدَفُوا
لِلنــسْكِ عَــنْ ذَبْــحِ حِــلاتٍ وَأَطْفَــالِ[٤]

---

(1) سقط البيت واثنان مما يليه من نسخة مط.
سيف هو سيف بن ذي يزن، آخر مَن ملك اليمن من قحطان بعد طرد الأحباش. قتله الأحباش بصنعاء حوالى سنة ٥٠ قبل الهجرة/ ٥٧٤ م.
غمدان قصر من أشهر القصور في اليمن يقع بصنعاء بين جبلي نقوم وعيباء. يعود تاريخه إلى ما قبل الإسلام، نسب بناؤه إلى سليمان الحكيم قبيل الميلاد، وقيل بناه الملك إلشرح يحضب المتوفى سنة ٥٠ ق. م، ويقال إن الأحباش هدموه سنة ٥٢٥ م، وإنه كان مؤلفًا من عشرين طابقًا، وأن سيف بن ذي يزن قد رمّمه وأقام فيه سنة ٥٧٠ م.

(2) هو سابور الأول من الأكاسرة، توفي سنة ٢٧٢م، وهو باني الإيوان الذي وصف البحتري آثاره في سينيته الشهيرة، ويقع بجنديسابور إحدى المدن السبع التي دعاها العرب بالمدائن، والتي شيّدها ملوك الفرس.

(3) سقط البيت من ظ.
ف. ق. ك. مط: مما أنت تذخره.

(4) ظ: عن ذبح خلانٍ، وهو من تصحيف الناسخ. وفي النسخ: إذ صدقوا - بالقاف - تصحيف.
صدف عن الشيء: أعرض. الحِلات: صغار الحيوانات مهما كانت، والجلّة من النوق: الثنية إلى أن تبزل.

لَــمْ يُؤْلِمُــوا حَيَــوَانَ البَــر واقْتَــصَرُوا
عَلَــى كَــوَامِنَ فِــي الأَمْــوَاهِ أَغْفَــالِ[1]

فَحَرمُوا الصَيْدَ جَهْرًا وَهْوَ أَيْـسَرُ فِـي الْـ ـ
ـعُقُولِ - لَوْ عَلِمُوا- مِـنْ صَـيْدِ مُغْتَـالِ[2]

وَمُدْيَــةُ الــذَبْحِ أَوْجَــى مِــنْ عَــذَابِهِم
للــسابِحَاتِ عَلَــى رِفْــقٍ وَإِمْهَــالِ[3]

أَمْ عِنْــدَهُمْ أن حَيــا لا يَحُــس أَذًى
هَيْهَــاتَ مَــا ذَاكَ إِلا خَــبْطُ ضُــلالِ[4]

٣٥- مَا أَكْثَرَ الجَهْـلَ في فِـسْقٍ وَفي نُـسُكٍ
وَالمُــضْحِكِينَ بِــأَقْوَالٍ وَأَعْمَــالِ !

أَنخْتُ عِيسِي وَسَـارَتْ في الـوَرَى حِكَمِـي
فَجَـالَ ذِكْـرِي وَشَخْـصِي غَيْـرُ جَـوالِ

وَلَـسْتُ مِـنْ وُدِ إِخْـوَانِي عَلَـى ثِقَـةٍ
فَكَيْـفَ آمَـنُ حُـسادِي وَأَقْتَـالِي[5]

---

(1) يريد أنهم حرموا صيد حيوان البرّ، واستحلوا اغتيال السمك في مأمنه بالبحر.

(2) يقول إنها جريمة لا يقبلها العقل. ولا يخفى تأثره بالمعري في هذه الأبيات وما بعدها، وقد سبق له أن طرق الموضوع.

(3) أوجى: أصله أَوْجَأُ، أراد به أشد إيلامًا. وقوله: على رفق وإمهال...: أي مهما كان الرفق بهذه السابحات.

(4) ظ. م: خبط جُهال. هذا على قول من لا يرى للحيوان روحًا كروح الإنسان.

(5) القِتْل والجمع أقتال: القِرن في القتال، والمِثل والنظير - على المجاز - والعدوّ؛ وهو المقصود في البيت، والصديق - من الأضداد -، وابن العم - على المجاز -، والشجاع المجرّب.

فَاسْـمَعْ كَلَامِـيَ وَافْهَـمْ مَـا أُرِيـدُ بِـهِ

وَاسْـتَوْصِ خَيْـرًا بِأَعْرَاضِـي وَأَمْثَـالِي

وَاجْعَـلْ عِظَـاتِيَ نُـورًا تَسْتَـضِيءُ بِـهِ

فَهْـيَ[1] المَـصَابِيحُ مَـا شُـبتْ لِقُفَـالِ[2]

٤٠- وَخَل مَدْحِي إِذَا مَـا ضَـمنِي جَـدَثِي

فَـلَا انْتِفَـاعَ لِتُـرْبٍ فِيـهِ مُنْهَـالِ

أربعون بيتًا

(1) م: وهي المصابيح.

(2) قفال مفردها قافل، وهو الراجع من سفر. وقوله ما شبت لقفال، تتميم لفظيّ لا يدخل في البديع؛ لأن المراد به الوصول إلى القافية فحسب.
وقد أرسل الأبيات السابقة لتجري مجرى المثل.

*[٦٧]

وقال في هذا المعنى أيضًا [كامل]:

اِسْـ ـتَغْفِرِ اللهَ القَـ ـدِيمَ وَعُـ ـذْ بِـ ـهِ
مِـ ـنْ شَـ ـرِّ عَـ ـاوٍ في الحُطَـ ـامِ مُنَـ ـافِسِ(١)

وَافْعَـ ـلْ جَمِـ ـيلاً لا يَـ ـضِيعُ صَـ ـنِيعُهُ
وَاسْـ ـمَحْ بِقُوتِـ ـكَ لِلْفَقِـ ـيرِ(٢) البَـ ـائِسِ

وَاقْنَـ ـعْ فَفِـ ـي عَـ ـيْشِ القَنَاعَـ ـةِ نِعْمَـ ـةٌ
لا تَتَقِـ ـي كَـ ـفَّ الزَمَـ ـانِ الخَـ ـالِسِ

لا تَـ ـرْكَنن إلَـ ـى الهِـ ـرَاءِ فَإنَّـ ـهُ
سَـ ـبَبٌ لِكُـ ـلِّ تَنَـ ـافُرٍ وَتَـ ـشَاوُسِ(٣)

٥- ضَـ ـلَّتْ بَنُـ ـو غَطَفَـ ـانَ فِيـ ـهِ فَقُتِّلَـ ـتْ(٤)
سَـ ـادَاتُهَا غَـ ـضَبًا لِلطْمَـ ـةِ (دَاحِـ ـسِ)(٥)

(*) القصيدة في نسخة ط ورقة ٥٤، ف. ك ٣٨، ق ٥٩، م ٥٥، مط ٥٧.

(1) ظ: من شر عاف. ف. ق. ك. مط: عاوٍ م: استغفر الملك.
الحُطام والحطامة: ما تكسر وتحطم، وحطام الدنيا: كل ما فيها مما يفنى ولا يبقى.

(2) ما أثبتناه من م، وفي سائر النسخ: للضعيف البائس.

(3) ف. ق. ك. مط: وتشامس

(4) ظ: ضلت بنو غطفان لما قتلت..

(5) داحس فحل لقيس بن زهير، ويُشيْر ابن سنان إلى حرب داحس والغبراء بين آل بغيض بن ريث بن غطفان وهما قبيلتا عبس وذبيان، ابني بغيض.

وكان السبب الذي هاجها أن قيس بن زهير وحَمَل بن بدر تراهنا على داحس والغبراء أيهما يكون له السبق، فتواضعا الرهان على مئة بعير وجعلا منتهى الغاية مئة غلوة. وجرى الفرسان، فلما شارف داحس فرس قيس بن زهير ودنا من فتية كان حمل أكمنهم ببعض الشعاب... وثبوا في وجه داحس فردّوه ((وثارت الحرب بين عبس وذبيان فدامت أربعين سنة، لم تنتج فيها ناقة ولا فرس لانشغالهم بالحرب وجرت وقائع وأهوالاً كثيرة)). ملأت القصّة كتب الأدب والتاريخ، وفيها ظهر عنترة... ولا يخفى أن حوادث هذه الحرب دخلتها

وَ(الحَـــارِثُ البَكْـــرِي) قَـــامَ إلى الـــوَغى
مِـــنْ بَعْـــدِ مَـــا أمْـــضَى عَزيمَـــةَ جَـــالِسِ[١]

أَلِـــفَ البَخِيـــلُ مِكاسَـــهُ فِـــي مَالِـــهِ
وَالعُمْـــرُ أنفَـــقَ مِنْـــهُ غَيْـــرَ مُمَـــاكِسِ[٢]

وَثَـــوَى فَـــأُرْمِسَ ثُـــم صَـــارَ تُرَاثُـــهُ
قِـــسَمًا تَغِـــيضُ بِهَـــا دُمُـــوعُ الـــرامِسِ[٣]

عَاذَتْ بَنُـــو حَـــواءَ مِـــنْ (إبْلِيـــسَ) في الـــد
نْـــيَا وَكَـــمْ فِـــيهِمْ فُنُـــونُ أبَـــالِسِ !

١٠- دَرَسُوا العُلُومَ لِيَمْلِكُـوا [٤] بِجِـدَالِهِمْ
فِيهَـــا صُـــدُورَ مَرَاتِـــبٍ وَمَجَـــالِسِ[٥]

وَتَزَهـــدُوا حَتـــى أصَـــابُوا فُرْصَـــةً
فِـــي أخْـــذِ مَـــالِ مَـــسَاجِدٍ وَكَنَـــائِسِ

الأساطير، فشوهت حقائقها، كما يُلاحَظ مما جعلناه بين علامتي التنصيص.

(1) الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة البكري أبو منذر، حكيم جاهلي شجاع مسوّد في قومه، اعتزل القتال في حرب البسوس، فلما قتل المهلهل ولده (بجيرًا) ثار الحارث البكري، ونادى بالحرب، وارتجل قصيدته المشهورة التي يتكرر فيها قوله: قربا مربط النعامة مني.

(2) ماكسه مِكاسًا: شاحه، وأصله من المكس أي جباية الأموال، والضريبة التي يأخذها الماكس.
يريد: أن البخيل يشاحّ في ماله ولا يماكس في عمره، فإذا مات اقتسم الورثة ماله وفرحوا بذلك، وغاضت دموعهم، وتتمة المعنى في البيت التالي.

(3) ما أثبتناه من م، وفي سائر النسخ: يفيض.مط: وتوت... يفيض به... وهو تحريف.
أصل الرمس: الستر، وأرمسه ورمسه: دفنه وسوّى عليه الأرض، وكل ما هيل عليه التراب فقد رُمس. ومن المجاز: رمس عليه الخبر، أي لوَاه وكتمه.

(4) ف. ق. ك. مط: ليملأوا بجدالهم...

(5) يعمق ابن سنان نظرته في الحياة، وهي دائمًا قائمة على الشك في خبايا البشر.

إيـوانُ كِـسْرَى صَـارَ مَرْتَـعَ ثُلَّـةٍ[1]
وَدِيَـارُهُ بَاتَـتْ مُنَـاخَ عَـرَامِسِ[2]
وَ(الحِـيرَةُ البَيْـضَاءُ) بَـدلَ أُنْـسَهَا
قَـدَرٌ[3] أَطَاعَتْـهُ (مَـدَائِنُ) فَـارِسِ[4]
يَا عَقْلُ! مَـا لَـكَ فِـي اللطَـائِفِ مَـنْهَجٌ
فَـإِذَا عَثَـرْتَ فَـلا لَعًـا لِلتَّـاعِسِ![5]

---

(1) ك: ثلة.
(2) الثلة - بالضم - الجماعة من الناس. الثلة - بالفتح - الجماعة الكثيرة من الضأن، قال أبو يوسف: ولا يقال للمعزى الكثيرة ثلة، ولكن حيلة، فإذا اجتمعت الضأن والمعزى فكثرتا قيل لهما ثَلّة.
العِرْمِس والجمع عرامس: الناقة الصلبة الشديدة، وكذلك الطيعة القياد، والعِرمِس في الأصل: الصخرة، وأطلق مجازًا على الناقة.
(3) ظ: بُدلَ - بالبناء للمجهول - م: بدل أنسها قدرًا.
(4) الحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة، في النجف، وكانت عاصمة المناذرة في الجاهلية، «وأما وصفهم إياها بالبياض، فإنما أرادوا حسن العمارة» - ياقوت، معجم البلدان.
(5) مط: لعا للناعس.
تَعَس تَعْسًا وتِعِس تَعَسًا: انكب فعثر على يديه وفمه، فهو تاعس وتِعِس. تقول: أضرع الله خده وأتعس جده. وهو منحوس متعوس، وهذا الأمر مَتْعَسَةٌ مَنْحَسَةٌ. ومن المجاز: جدّ تاعس ناعس.
لَعًا لك: دعاء بالانتعاش، قال الأعشى [بسيط]:
بِذَاتِ لَوْثٍ عِفِرْنَاةٍ إِذَا عَثَرَتْ فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنَ أَنْ أَقُولَ لَعَا
(الديوان: ص ١٠٧)
فكلمة لَعًا لك! تقال للعاثر يدعى له بها لينتعش من سقطته ومعناها الارتفاع، قال أبو زيد: إذا دعي للعاثر بأن ينتعش قيل: لعا لك عاليًا، ومثله: دَعْ دَعْ، وقال أبو عبيدة من دعائهم: لا لعا لفلان! أي لا أقامه الله! والعرب تدعو على العاثر من الدواب إذا كان جوادًا بالتعس فتقول: تعسًا له، وإن كان بليدًا قالت له إذا عثر: لعا لك... يقصد ابن سنان أن هناك ميادين كالروح والمغيبات... لا يستطيع العقل أن يخوض فيها.

١٥- أما النجُومُ فقَدْ تَضَمنَ شَأْنهَا
جَهْلَ اللبِيبِ وَبُعْدَ نَيْلِ اللامِسِ(١)
عَمْرِي لَقَدْ ذَهَبَ الذِينَ تَفَكَرُوا
فِيهَا وَمَا ظَفِرُوا بِغَيْرِ وَسَاوِسِ
مَا قَوْلُ (بَطْلَيْمُوسَ) عَنْهَا حُجةٌ
عِنْدِي وَلاَ المَرْوِي عَنْ (رُسْطَالِسِ)(٢)
حَارَ الأَنَامُ فَلاَ دَلاَلَةُ نَاظِرٍ
تَشْفِي العُقُولَ وَلاَ أَمَارَةُ قَابِسِ(٣)
لاَ تَحْفِلَنْ بِمَا حَوَتْهُ صَحَائِفٌ
لَهُمْ وَإِنْ وُجِدَتْ بِخَطٍ دَارِسِ(٤)
٢٠- فَالمَيْنُ(٥) رُكِبَ فِي طَبَائِعَ أَرْبَعٍ
وَالصِدْقُ عُدِمَ مِنْ القَبِيلِ الخَامِسِ(٦)

---

(1) سقط البيت من مط. م: تضمن شأنها جهلُ اللبيبِ وبعدُ.
يريد: أن النجوم بعدت عن العقل وعن اليد، وينكر أن يكون للنجوم علاقة بما يجري في العالم، وبما يُدْعَى في عصره بعلم الآفاق والأنفس.

(2) رسطالس: أرسطو، ويسميه العرب رسطاليس، وصفه الغزالي بأنه الفيلسوف المطلق والمعلم الأول عند الفلاسفة القدماء؛ لأنه رتّب علومهم وهذبا، وحذف الحشو من آرائهم ((وقد ردّ على كل من قبله حتى على أستاذه الملقب عندهم بأفلاطن الإلهي، ثم اعتذر عن مخالفته أستاذه بأن قال: أفلاطن صديق والحق صديق، ولكن الحق أصدق منه)) - تهافت الفلاسفة، دار المشرق، ص ٤٠.

(3) قابس: من قَبَسَهُ العلمَ أعطاه إيّاه.
يريد أن الجهل عامّ في الناس، وأن الأنام يبحثون عن الحقيقة بلا جدوى.

(4) دارس: من درس الرسمُ عفا، وقصد به الكتب القديمة لأنهم كانوا يحفلون بالقديم من المصنفات أكثر مما يُعْنَوْنَ بالحديث.

(5) سقط البيت من مط. وفي ف. ق. ك: فالكذب ركب...

(6) الطبائع الأربع عند القدماء: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، ومنها تتكون الموجودات، فلا خامس لها.
والمعنى أن الكذب طبيعة في الأنام وأن الصدق مفقود فيهم، بل منعدم.

عَجَبًــا لِــ ـ (هَمــامٍ) يُنَــازِعُ خَــصْمَهُ
في (آلِ يَرْبُــوعٍ) وَأُسْــرَةِ (حَــابِسِ)[1]
هَيْهَــاتَ! مَــا شَــرَفُ الأُصُــولِ بِنَــافِعٍ
حَتــى تَكُــونَ[2] ذَوَائِــبٌ كَمَغَــارِسِ[3]
لاَ تَفْخَــرَن وَإِنْ فَــضَلْتَ[4] فَبِــالتقى
نَاضِــلْ وَفِــي بَــذْلِ المَكَــارِمِ نَــافِسِ
سُــبْحَانَ مَــنْ نَظَــمَ النجُــومَ قَلاَئِــدًا
فِــي جِيــدِ دَاجِيَــةِ الظَــلاَمِ الــدامِسِ![5]
أربعة وعشرون بيتًا

---

(1) المقصود الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، ت ١١٠هـ/ ٧٢٨ م.
آل يربوع: رهط جرير الشاعر ت ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م، ويربوع هو ابن حنظلة بن مالك من تميم، بنوه بنو كليب رهط جرير. حابس: اسم أبي الأقرع التميمي.
يشير إلى شعر النقائض في العصر الأموي، ويعجب من انشغال الناس بها.
(2) ف. ق. مط: حتى يكون.
(3) الذوائب والمغارس: قصد بها الفروع والأصول. يقرر أن شرف الأصل لا يرفع الوضيع.
(4) ظ: لا تفعلنّ وإن فعلت. م: لا تفخرن وإن فعلت.
(5) هذا البيت مَثَلٌ ضربه ابن سنان ليشرح به ويؤكد ما سبق من الأبيات، وهو شبيه بقول أبي العلاء المعري في وصف الليل [خفيف]:
((لَيلتي هذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الزّنـ ـجِ عَلَيها قَلائِدٌ مِـن جُمـانِ))
سقط الزند ص ٩٤.
وفي القصيدة ظِلال كثيرة لما قاله لبيد بن ربيعة العامريّ في التأمّل والكون بعد وفاة أخيه أربد، ولفلسفة المعريّ.

* [٦٨]

وقال أيضًا في مثل هذا المعنى [بسيط]:

أسْتَغْفِرُ اللهَ لا فَخْرٌ وَلاَ شَرَفُ
وَلاَ وَفَاءٌ وَلاَ دِينٌ وَلاَ أنَفُ

كأنَما نَحْنُ فِي ظَلْمَاءِ دَاجِيَةٍ
فَلَيسَ تُرْفَعُ[١] عَنْ أبْصَارِنَا السجُفُ[٢]

تَزِيدُ بِالبَحْثِ جَهْلاً إنْ طَلَبْتْ هُدًى
وَهَلْ تُضِيءُ لِعَيْنٍ[٣] المُدْلِجِ السدَفُ[٤]

وَفِي الفَلاَسِفَةِ المَاضِينَ مُعْتَبَرٌ
فَطَالَمَا قَصَدُوا فِيهَا وَمَا عَسَفُوا

٥- وقَدْ أتَوْكَ بِمَيْنٍ مِنْ حَدِيثِهِمِ
يَكَادُ يَضْحَكُ[٥] مِنْهُ الحِبْرُ وَالصحُفُ

ظَنٌ بَعِيدٌ وَأقْوَالٌ مُلَفقَةٌ
تَخْفَى عَلَى الغُمْرِ أحْيَانًا وَتَنكَشِفُ

الأمْرُ أكْبَرُ مِنْ فِكْرٍ يُحِيطُ بِهِ

(*) القصيدة في نسخة ظ ورقة ٥٥، ف. ك ٣٩، ق ٦٠، م ٥٦، مط صفحة ٧٣.

(1) ظ: فليس يرفع.

(2) السجف مفردها سَجْف: الستر. انظر ق ٩ ب ٢٤، ق ١١ ب ١٢.

(3) ظ: وهل تضيء لغير.

(4) السدف مفردها سُدْفة: سواد الليل.

(5) ف. ك: يكاد تضحك.

وهذه القصيدة الواضحة في صورتا ومضمونا تبّين أثر المعرّي في ابن سنان.

وَالعُمْـرُ أَقْـصَرُ أَنْ يُلْقَـى لَـهُ طَـرَفُ[١]

فَـاعْظِمْ بِـدَائِكَ إِنْ حَاوَلْـتَ وَاضِـحَةً

وَمُتْ بِـهِ فَعَلَـى هَـذَا مَـضَى الـسلَفُ[٢]

جَـاءَتْ أَحَادِيـثُ عَـنْ قَـوْمٍ أَظُـنُّهُمُ

عَاشُـوا طَـوِيلاً[٣] وَقَـالُوا بَعْـدَمَا خَرِفُـوا

١٠- سَـخِيفَةٌ وَيَزِيـدُ المُخْبِـرُونَ بِهَـا

فَقَـدْ تَجَمـعَ سُـوءُ الكَيْـلِ وَالحَـشَفُ[٤]

يَـا حَـاكِمَ المِـصْرِ لاَ تَحْفَـلْ بِـذَمهِمِ

فَـإِن كُـلَّ قَـضَاءٍ عِنْـدَهُمْ جَنَـفُ[٥]

وَلاَ يَغُـرَّكَ فِـي دَعْـوَاهُمُ قَـسَمٌ

---

(1) قوله: العمر أقصر أن يلقى، أي أقصر من أن...
البيت شبيه بقول بُقْراط: ((المشكلات كثيرة ومعالجتها صعبة والعمر قصير)).

(2) م: إن حاولت فاضحة أو مت...
قوله: فاعظم: لا وجه لهذه الرواية من حيث المعنى، فإن كانت بالقطع فسد الوزن والأصح أن تحذف الفاء، وأراد بالواضحة: الأمر الواضح.

(3) م: عاشوا سنينًا.

(4) أي يأتون بأمور سخيفة ويزيد الرواة عليها. الحشف: رديء التمر. وقوله مأخوذ من المثل: أحشفًا وسوء كيلة ؟ قال أبو هلال: والعامّة تقول أحشفًا وسوء كيل؟. والصواب كِيلة اهـ، لأنه يدل على النوع. وفي روايات الميداني وأبي عبيد البكري وغيرهما (كيلة). ومن هذا المثل قول بعض الشعراء [بسيط]:
إن كنتِ لا تُلْطِفِينِي فاقبلي لَطَفِي ... لا تجمعي لِيَ سوء الكيل والحشفا
(جمهرة الأمثال ١ / ١٠١)

(5) ف. ك: لا تحفِل - بكسر الفاء.
الجنف: الجور والميل عن الحق.

وَ الْقَوْمُ أكْذَبُ مَا كَانُوا إِذَا حَلَفُوا
يَدِينُ قَوْمٌ بِأن الشهْبَ خَالِدَةٌ
وَعِنْدَ قَوْمٍ لَهَا وَقْتٌ وَتَنْصَرِفُ
وَمَا رَضِيتُ بِعَقْلِي فِي جِدَالِهِمُ
وَلاَ تَوَهمْتُ إلا غَيْرَ مَا وَصَفُوا
١٥- يَا أُم دَفْرٍ![1] جَزَاكِ اللهُ صَالِحَةً
وَإِنْ أضَافَ إِلَيْكِ القَوْمُ مَا اقْتَرَفُوا[2]
قَالُوا: تَغُرينَهُمْ[3] جَهْلاً، وَعِنْدَهُمُ
مِنَ المَوَاعِظِ فِيكِ المَوْتُ وَالخَرَفُ
وَمَا تَرَكْتِ قَبِيحًا تُعْرَفِينَ بِهِ
لَوْ كَانَ يَأنفُ مِنْكَ الهَائِمُ[4] الدنِفُ[5]
وَرُب قَوْمٍ أضَاعُونِي وَقَدْ فَهِمُوا
قَدْرِي فَمَا أنكَرُوا فَضْلِي[6] وَلا عَرَفُوا .
ثمانية عشر بيتًا

(1) ظ: يا أم ذفر..
(2) أم دفر: الدنيا، وكذا الدفْر وأم دافر.
البيت شبيه بقول الإمام الشافعي [وافر]:
نذمّ زمانَنا والعَيبُ فينا وما لِزمانِنا عَيبٌ سِوانا
وَنهجو دَهرَنا مِن غَيرِ جرمٍ ولو نطقَ الزّمانُ بنا هَجانا
(عيون الأخبار ٢ / ٢٦٠، وفيه وقد نجو الزمان بغير جرم...)
(3) ف. ق. ك. مط: قالوا تَبِعْتِهم ...
(4) سقط البيت من ف. ق. ك.م: يأنف منك العائم.
(5) الدنف: المريض الذي دنا مضيه.
(6) م: أنكروا قولي.

*[٦٩]

وقال في صباه [طويل]:

سَقَى بَانَةَ (الجَرْعَاءِ) مِنْ بَطْنِ (تُوضِحٍ)
وَلِلناسِ فِي سُقْيَا الدِيَارِ مَذَاهِبُ[1]

نَسِيمٌ كَأنْفَاسِ الخُزَامَى صَقِيلَةٌ
بِرِيحِ النَعَامَى قَبَلْتَهَا السحَائِبُ[2]

بيتان

(*) البيتان في ظ ورقة ٥٥، ف. ك ٣٩، ق ٦١، م ٥٧، مط ١٢.

(1) الجرعاء: سبق شرحها في القطعة ٣٩ البيت ٤.

توضح: كثيب أبيض من كثبان حمر بالدهناء قرب اليمامة، وقيل هي من قرقرى باليمامة.

(2) النعامى: من أسماء ريح الجنوب، ريح تب بين الجنوب والصبا.

* [٧٠]

وقال أيضًا في صباه [طويل]:

رَمَــتْ بِــالحِمَى أَبْــصَارَهَا مُطْمَئِنــةً
فَلَمَّا بَدَتْ (نَجْــدٌ) وَهَبــتْ جَنُوبُهَــا[١]

بَخِلْنَــا عَلَيْهَــا بِــالْبَرَى[٢] فَتَقَطَّعَــتْ
وَقَلَّ لِـ(نَجْدٍ) لَــوْ تَفَــرَتْ قُلُوبُهَــا[٣]

بيتان

(*) البيتان في ظ ورقة ٥٦، ف. ك ٣٩، ق ٦١، م ٥٧، مط ١٢.

(1) الضمير في (رمت) يعود على (الركائب)، والشطر الثاني مرتبط بما بعده.

(2) ف. ق. ك. مط: بالرى..

(3) الْبَرَة: والجمع بُرى وبراة وبرون (والبروة لغة فيها) حلقة تجعل في لحم أنف البعير، وهي من صفر أو فضة أو غير ذلك، وربما كانت من شعر فتسمّى (الخزامة) وهي المقصودة هنا. تفرّت: انشقت.
يعبر في هذين البيتين عن اشتياق الركائب إلى الحمى، يقول: كانت بالحمى تسير سيرًا عاديًا، فلما بدت لها نجد وهّبت عليها جنوبها اشتاقت، فأغذت السير فلم تطاوعها فقطعت براها، ولو تقطعت قلوبها بدل براها لكان ذلك قليلا في حق نجد.

*[٧١]

وقال أيضًا [طويل]:

خَلِيلَــي بُثَــا مَــا أَمَلــتْ عَلَيْكُمَــا
دُمُوعِي فَإنِي مَا أُرِيــدُ الهَــوَى سِــرا[١]

أَصَــابَكُمَا بَــرْحُ الغَــرَامِ! لَعَلَــهُ
يُمَهدُ لِي مَــا بَــيْنَ قَلْبيكُمَــا عُــذْرَا[٢]

سَقَى اللهُ أيامًا مِنَ الــدهْرِ لَــمْ تُــشَبْ
بِهِم كَأَنا مَا عَرَفْنَــا بِهَــا الــدهْرَا![٣]

وَمَائِلَةِ الأَعْطَــافِ مِــنْ نَــشْوَةِ الــصبَا
سَقَتْنِي الهَوَى صِرْفًا وَرَنحَهَــا سُــكْرًا[٤]

رَمَتْ عَيْنَهَا عَيْنِــي وَرَاحَــتْ سَــلِيمَةً
فَمَنْ حَاكِمٌ بَيْنَ الكَحِيلَــةِ وَالعَبْــرَى؟[٥]

فَيَا طَرْفُ قَدْ حَــذرْتُكَ النظْــرَةَ الَتِــي
خَلَسْتَ فَمَا رَاقَبْتَ نَهْيًــا وَلاَ زَجْــرَا[٦]

وَيَا قَلْبُ قَــدْ أَرْدَاكَ مِــنْ قَبْــلُ مَــرةً
فَوَيْحَكَ لِمْ[٧] طَاوَعْتَهُ مَــرةً أُخْــرَى؟[١]

(*) الأبيات في نسخة ظ ورقة ٥٦، ف. ك ٣٩، ق ٦١، م ٥٧، مط ٥٢.

(1) أملت، يقال أمْلَلْتُ الكتابَ وأمليته، قال الفراء: أمللت لغة أهل الحجاز وبني أسد، وأمليت لغة بني تميم وقيس اهـ، وبكليهما نزل القرآن الكريم. ما أريد الهوى سرّا: كأنه نظر إلى قول أبي نواس: ((ولا تَسقِني سرًا إذا أمكنَ الجَهرُ)).

(2) أصابكما برح الغرام: جملة إنشائية دعائية. ما بين: أراد (بين)، وزاد (ما) للتوكيد.

(3) كأنا ما عرفنا بها الدهرا: أراد كأن الدهر لم يكن دهرا لأنه مكدر اللذات غادر، لا يصفو لأحد.

(4) سقط البيت وما يليه من ظ.

(5) قوله: ((فمن حاكم)): أي من يحكم. الكحيلة: قصد بها عينها. العبرى: عينه.

(6) مط: نيا ولا أمرا

(7) مط: فويحك لو..

أُخْـــــــــــــــــرَى؟[١]
سبعة أبيات

[٧٢]*

وقال أيضًا [طويل]:

وَمَا زِلْتُ أُغْضِي عَنْكِ يَا (لَيْـلَ) كُلَّمَـا
بَدَوْتِ وَلَوْلاَ خَوْفُ قَوْمِكِ لَمْ أُغْـضِ[٢]
وَأَرْقُـبُ زَوْرًا مِـنْ خَيَالِـكِ طَارِقًـا
وَهَيْهَاتَ! مِنْ شَرْطِ الهَوَى عَدَمُ الغَمْـضِ[٣]
هَجَرْتُـكِ خَوْفًـا مِـنْ بِعَـادٍ يُـثِيرُهُ
دُنُوي وَبَعْضُ الشر أَهْوَنُ مِـنْ بَعْـضِ[٤]
فَيَا حَـاكِمَ الأَيَّـامِ إِنْ كُنْـتَ قَاضِـيًا

---

(1) ((قد أرداك من قبل مرة)): ((من قبل)) حشو صارخ.

(*) الأبيات في نسخة ظ ورقة ٥٦، ف. ك ٤٠، ق ٦٢، م ٥٧، مط ٦١.

(2) ظ: بالليل كلما... لم أبدي. يا ليل: فيه ترخيم، والأصل يا ليلى.

(3) أرقب زورًا أي زائرًا.

يتمّنى أن يزوره طيفها، وبما أنه لا يغمض عينه لفرط الجوى، فإن الخيال لا يمكن أن يزوره، فهو يتأسف لذلك.

(4) ضمّن جزءًا من بيت طرفة في قوله [طويل]:

أبا مُنذِرٍ أفنيتَ فاستَبقِ بَعضَنا حَنانَيكَ بَعضُ الشر أهوَنُ مِن بَعضِ

الديوان، ط الأنجلو، ص ٢٠٨، وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١/ ٦٧.

بِوَصْلٍ فَبَادِرْ قَبْلَ ((نَقْضِي وَلَمْ نَقْـضِ))[1]

أربعة أبيات

(1) قوله: قبل ((نقضي ولم نقض))، أي نقضي حياتنا ولم نقض مآربنا من الحب، وبعبارة أخرى: قبل أن أصل إلى الحالة المشار إليها.

[٧٣]*

وقال أيضًا [طويل]:

وَلَيْلَةِ وَصْـلٍ غَـابَ عَنْهَـا رَقِيبُهَـا[١]

مَعَ الدهْرِ لاَ عَادَا إِلَـى آخِـرِ الـدهْرِ!

نَهَبْنا بِهَا جُـنْحَ الظـلاَمِ فَمَـا بَـدَتْ

أوائِلُـــهُ حَتـــى خَلَطْنَـــاهُ بِـــالفَجْرِ[٢]

بيتان

(*) البيتان في نسخة ظ ورقة ٥٧، ف. ك ٤٠، ق ٦٢، م ٥٧، مط ٥٣.

(1) رقيبها: الرقيب فيها، من إضافة الحالّ إلى المحلّ والمظروف إلى الظرف.

(2) نهب الشيء: أخذه غنيمة.

الجُنْح: من غروب الشمس إلى وقت الليل، أو الطائفة من الليل. أطلق الجزء على الكل ليعبّر عن سرعة انقضاء الليل.

[٧٤]*

وقال أيضًا [طويل]:

إِذَا أَعْجَمَتْ أَطْلَالُ (هِنْدٍ) عَلَى البِلَى
فَدَمْعُكَ فِي بَثِّ الغَرَامِ فَصِيحُ

(زِيَادٌ) أَرَاحَ اللَّيْلُ عَازِبَ هَمِّهِ
وَهَمُّكَ لَمْ يَعْزُبْ فَكَيْفَ يَرُوحُ؟[1]

بيتان

(*) البيتان في ظ ٥٧، ف. ك ٤٠، ق ٦٢، م ٥٨، مط ٢٢.

(1) زياد: هو النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب الشاعر الجاهلي المشهور، مات سنة ١٨ ق.هـ / ٦٠٤ م.

في البيت إشارة إلى اعتذاريات النابغة كالبائية التي مطلعها:

كِلِيني لِهَم يا أُميمةَ ناصِبِ   ولَيلٍ أُقاسِيهِ بَطِيءِ الكَواكِبِ

وكأنّ همّ النابغة جمل يعزب نارًا ويرجع (يروح) إلى صاحبه ليلاً.

وعزب في أصل معناه: بَعُد، وعزبت الإبل أبعدت في المرعى، فهي عازبة وعزيب. وقوله: عازب همه أي همّه العازب. أراح إبله: ردّها إلى المراح لتستريح وتريح.

وقوله: فكيف يروح: قصد به كيف يذهب ويرجع في آن واحد، انظر ق ٥ ب ١٣. يلجأ ابن سنان إلى شتى ألوان البديع ليقول: إن أشجانه ملازمة له ولا تروح ولا تغدو.

***[٧٥]**

وقال أيضًا، وكتب بها إلى ابن عمّه القاضي أبي الحسن علي بن عبد المنعم بن سنان[1] في أمر أوجب ذلك [كامل] :

يَا مَـنْ رُمِيـتُ بِعَتْبِـهِ حَاشَـاكَ مِـنْ
هَجْـرٍ[٢] يَعِـزُّ عَلَـيَّ أَوْ إِعْـرَاضِ
لِيَ أُسْوَةٌ فِيمَـا فَعَلْـتَ وَلَسْـتَ مَـنْ
يَخْفَـى عَلَيْـهِ إِشَـارَةُ الأَغْـرَاضِ[٣]
لَـوْلاَ هَـوَاكَ وَجَـدْتَنِي وَخَلاَئِقِـي
شُـمْسٌ وَسَـيْفِي بِالقَطِيعَـةِ مَـاضِ[٤]
فَـاعْطِفْ عَلَـيَّ وَلاَ تَكُـنْ مُتَـسَرِّعًا
فِيمَـا أُحَـاذِرُهُ[٥] وَخَـصْمِي رَاضِ
فَمِـنَ العَجَائِـبِ أَنْ تَكُـونَ قَضِيةٌ
يَرْضَى الخُصُومُ بِهَا وَيَـأْبَى القَاضِـي[٦]

(*) الأبيات في نسخة ظ ٥٦، ف. ك ٤٠، ق ٦٢، م ٥٨، مط ٦١.

(1) القاضي أبو الحسن علي بن عبد المنعم بن سنان، لم نجد ترجمته فيما رجعنا إليه من الكتب.

(2) ظ: عتب يعزّ...

(3) مط. ق: الإعراض. الأغراض: أغراض الكلام، أما بالعين المهملة وكسر الهمزة (الإعراض)، فلا تحسن الرواية للإيطاء الذي يكون في القافية، وهو عيب يسهل تحاشيه بالرواية التي اخترناها.

(4) شُمْس جمع شَموس: مجاز من شمست الدابة أي استعصت على راكبها ومنعت ظهرها، قال الأخطل [بسيط]:

شُمسُ العداوةِ حتّى يُستقادَ لَهُم وأعظَمُ النّاسِ أحلامًا إذا قَـدروا

الديوان: ١٠٤.

(5) مط: فيما أجازره. «وخصمي راض» قصد بالخصم ابن عمه القاضي أبا الحسن.

(6) قوله: ويأبى القاضي، فيه تورية، لأن المخاطب قاض.

خمسة أبيات

[٧٦]*

وقال أيضًا [بسيط]:

أَلَـمْ أَقُـلْ لَـكَ لا تَخْلِـسْ مَحَاسِـنَهُ
فَإن طَرْفَـكَ مَوْتُـورٌ مِـنَ الخَلَـسِ[١]

ظَبْــيٌ رَمَيْــتُ لَــهُ عَيْنَــي جَائِلَــةً
وَمَا عَلِمْتُ بِـأَن اللَّيْـثَ فِـي الكُـنَسِ

عَلاقَــةٌ بِــت عَنْهَــا غَيْــرَ مُعْتَــذِرٍ
وَهَفْوَةٌ كُنتُ مِنْهَـا[٢] غَيْـرَ مُحْتَـرِسِ

جَرَيْتُ فِيهَا عَلَـى نَهْـجِ الـصبَا وَلَعًـا
فَإنْ ضَلَلْتُ فَإني بَعْـدُ فِـي الغَلَـسِ[٣]

أربعة أبيات

(*) الأبيات في ظ ٥٦، ف. ك ٤٠، ق ٦٢، م ٥٨، مط ٥٧.

(1) موتور من الوَتر والوِتر (الفتح للحجاز وأهل العالية والكسر لتميم)، وهو الجناية يجنيها الرجل على غيره من قتل أو نب أو سبي. وقصد الشاعر: الأخذ بذنب.

يخاطب نفسه قائلاً: إن ما أصابك لسرقتك محاسنه، فأنت مأخوذ بذه الجريرة.

(2) م: كنت عنها.

(3) الوَلع: عدم الجدّ في الشيء، والولِع: المستخف بالشيء.الغلس: ظلمة آخر الليل، وكنى به عن الشباب أو سواد شعر الشباب.

[٧٧]*

وقال يرثي الأمير عضب الدولة مسمان بن مسافن الغنوي[(١)]، وقتل في وقعة الفنيدق[(٢)] (رجب ٤٥٢ هـ) [سريع]:

يَـــا لَغَنِـــي مَـــالَنَـــادِيكُمُ
قَـــدْ فَقَـــدَ الطَـــارِقَ وَالـــسامِرَا[(٣)]

وَأَهْمِـــلَ الـــسرْحُ بِأَرْجَائِـــهِ
لاَ ذَائِـــدًا عَنْـــهُ وَلاَ عَـــاقِرَا[(٤)]

(*) الأبيات في ظ ٥٧، ف ٤٠، ك ٤١، ق ٦١، م ٥٨، مط ٥٣. وورد البيتان ١، ٦ في الأفضليات لابن الصيرفيّ، ص ١١١.

(1) ظ: مسمار. م: بن مسافر..
الغنوي نسبة إلى غني بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان، وكانت مراعيهم بين بيشة وحسى دريّة نزح كثير منهم إلى الشام بعد الإسلام. وكانت غنيّ في غزوة الفنيدق مع ناصر الدولة الحمداني على بني كلاب. والبيت الخامس من هذه المقطوعة واضح في ذلك كل الوضوح (راح بنجلاء كلابية...).

(2) الفنيدق: مكان، قال عنه ياقوت: هو من أعمال حلب، كانت به عدّة وقعات، وهو الذي يعرف اليوم بـ (تل السلطان)، بينه وبين حلب خمسة فراسخ، وبه كانت وقعة الفنيدق بين ناصر الدولة بن حمدان وبني كلاب من بني مرداس في سنة ٤٥٢ هـ، فأسره بنو كلاب ا.هـ. وانظر كذلك ابن الأثير: سنة ٤٥٢. أما ناصر الدولة أبو عليّ الحسين بن الحسن بن حمدان، فكان أميرًا على دمشق، عندما خرج إليه من حلب محمود بن شبل الدولة بن صالح بن مرداس، وعلى هذا يسهل تأريخ هذه المرثية، انظر ابن العديم١ / ٢٧٨.

(3) البيت في الأفضليات لابن الصيرفي ص ١١١. وفي ظ: يا ل غنيّ. ف. ق. ك: يا لغنيّ.

(4) هذان البيتان إلى هجاء الغنويين أقرب منهما إلى مدح فقيدهم، وأحسن منهما قول السموأل [طويل]:

لَعَلَّ عَضْبًا لِلرَّدَى(١) بَاتِرًا
أَصَابَ عَضْبَ الدَّوْلَةِ البَاتِرَا
مَا وَجَدَ الوَارِثُ مِنْ بَعْدِهِ
إلا حَدِيثًا فِي العُلا(٢) سَائِرَا
٥- رَاحَ بِنَجْلاءَ كِلابِيَّةٍ
تَسْفَحُ جُودًا فِي الثَّرَى قَاطِرَا(٣)
فَمَا لِهَذَا البَيْتِ مِنْ عَامِرٍ
لَمْ يُبْقِ بَيْتًا لِلنَّدَى عَامِرَا(٤)

إذا سيّدٌ منا خلا قام سيّدٌ ... قؤُولٌ لما قالَ الكِرامُ فَعُولُ
(ديوان الحماسة ١ / ١١٦)

(1) م: عضبا للندى.
في صدر هذا البيت تورية. وأكبر الظنّ أنه قصد بالعضب الأول محمود بن نصر، ولولا ذلك لما صحّ استعمال ((لعلّ)) ولكان البيت تافهًا، بل لا معنى له. وقد يكون قصد به الموت نفسه، واستعمل ((لعلّ)) من باب ((تجاهل العارف)) كما يقول أصحاب البديع.

(2) م: في الورى سائرا.

(3) ظ: في الورى قاطرا. النجلاء: الطعنة الواسعة.
البيت يدلّ على أن الكلابيين هم الذين قتلوا الأمير المرثيّ.

(4) الأفضليات، ص ١١١.ق. مط:
مُذْ هُد هذا البيتُ ... لم يُبقِ بيتًا للعُلا ...
ف. ك: بيتًا للعلا عامرا.
أورد ابن الصيرفي البيت شاهدًا على (المجانسة) بين (البيت من عامر)، (بيتًا للندى عامرًا). هذا البيت مدح ضمنيّ للكلابيين.

[٧٨]*

وقال من قصيدة في أهل البيت عليهم السلام [كامل]:

مَا لِي أَرَاكَ عَلَى قِلاَكَ تَنَاكَرَتْ
أَحْقَادُهَا وَتَسَالَمَتْ أَضْدَادُهَا؟[١]

وَتَجَاذَبَتْهَا إِمْرَةٌ لَوْلاَ التقَى
عَزَّتْ وَقَصَّرَ دُونَهَا قُصَّادُهَا؟[٢]

إِنْ يَحْسُدُوكَ عَلَى عُلُوكَ عَنْهُمُ
فَدَلِيلُ كُلِّ فَضِيلَةٍ حُسَّادُهَا[٣]

(*) الأبيات في نسخة ظ ورقة ٥٧، ف. ك ٤١، ق ٦٣، م ٥٩، ولم ترد في مط. والقصيدة في مدح آل البيت ولم يوردها كلها في ديوانه، وإليها أشار آغا بزرك الطهراني في ((الذريعة إلى تصانيف الشيعة))، ١٩٦٤، ج ١٢، ص ١٦٩ بقوله: ((ومن شعره المنقول في اللهوف: أعلى المنابر تعلنون بسبه))، وقال أيضًا ص ٦٩٥ - ٦٩٦: ((رأيت في بعض المجاميع قصائد له في مراثي الحسين)).

(1) يخاطب الإمام عليا كرم الله وجهه قائلاً: إن القرشيين تألّبوا عليك ونسُوا أحقادهم وتسالموا ليغصبوك حقك.

(2) وتجاذبتها إمرة: قصد بالإمرة الخلافة.
لولا التقى...: أي لولا خشية الله لما أخذ الخلافة منك أحد؛ لأنك أكثرهم دهاء وأقواهم على الحرب.

(3) هذا باب كثر فيه القول ورويت فيه الأحاديث، لأنم عدوا الحسد من الأسباب التي جعلت القرشيين يقصون عليا كرم الله وجهه عن الخلافة، بل إن كثيرًا من الآيات الكريمة تُحْمَل على هذا المعنى، وتُؤول على هذا الغرض، مثل﴿أَمْ يَحْسُدُونَ الناسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤]. ولذلك لا نجد

يَا أُمَّةً كَفَرَتْ وَفِي أَفْوَاهِهَا الـ
ـقُرْآنَ فِيهِ ضَلالُهَا وَرَشَادُهَا

٥- أَعَلَى المَنَابِرِ تُعْلِنُونَ بِسَبِّهِ
وَبِسَيْفِهِ نُصِبَتْ لَكُمْ أَعْوَادُهَا[1]

تِلْكَ الضَغَائِنُ بَيْنَكُمْ بَدْرِيَّةٌ
قُتِلَ الحُسَيْنُ وَمَا خَبَتْ أَحْقَادُهَا[2]

واللهِ لَوْلاَ (تَيْمُهَا) وَ(عَدِيُّهَا)
فَرِقَ الخِلاَفُ (يَزِيدُهَا) وَ(زِيَادُهَا)[3]

ضَرَبَتْكُمُ فِي (كَرْبلاَءَ) صَوَارِمٌ

شاعرًا شيعيا لم يتعرض لهذا المعنى، وعجز البيت يشبه قول أبي تمام [كامل]:

وإذا أرادَ اللهُ نشرَ فضيلةٍ طُويتْ أتاحَ لها لسانَ حسودِ

الديوان ١ / ٤٠٢

(1) هذا البيت كذلك من الأغراض التي لم يزل يطرقها الشعراء، وقد أشار إليه آقا بزرك الطهراني في الذريعة إلى تصانيف الشيعة.

(2) يقول: إن قريشًا نقموا على عليّ حسن بلائه في وقعة بدر، وإنّ قتل الحسين لم يشْفِ أنفسهم، وهو من الأغراض التي أكثر الشعراء فيها ؛ يقول دعبل في تائيته الشهيرة [طويل]:

وما الناسُ إلا حاسِدٌ ومُكذبٌ ومُضطَغِنٌ ذو إحنةٍ وتِراتِ
إذا ذَكَرُوا قتلى ببدرٍ وخيبرٍ ويومَ حُنينٍ أسبَلُوا العَبَراتِ

(الديوان ص ٢٢٨)

(3) تيمها: أراد الإشارة إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - لأنه من تيم. عديّها: أراد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يزيدها: يزيد بن معاوية زيادها: زياد بن أبيه.

يقول: لولا أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - غصبا عليًّا الخلافة لما تجرّأ الأمويّون على قتل الحسين. وقد طرق الكميت هذا المعنى في هاشمياته وتبعه جلّ من جاء بعده من الشعراء.

(يَــوْمَ الــسقِيفَةِ) مُزقَــتْ أعْمَادُهَــا[1]

طَلَبَــتْ ذُحُــولُ الــشرْكِ[2] فِــيكُمْ بَعْــدَمَا
جُبِــتْ غَوَارِبُهَــا وَفُــل عِمَادُهَــا

١٠- وَبَــدَتْ عَلَــى زُرْقِ الأسِــنةِ هَــامُكُمْ
مَــشْهُورَةً أفَــلا يَمِيــدُ صِــعَادُهَا؟![3]

عشرة أبيات

---

(1) م: مزّقت أعوادها. يوم السقيفة: يوم مشهود اجتمع فيه المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول ﷺ، وبويع فيه أبو بكر الصديق بالخلافة.

(2) ف. ق. ك: طلبت ذحول الشر. وفي ظ. م: دحول - بلا نقط -
أراد أن المشركين لم يستطيعوا الانتصار عليكم في الغزوات، فحملوا لكم الحقد وآذوكم بعد وفاة الرسول ﷺ.

(3) ظ: أفلا تيمد صعادها. هام جمع هامة، يشير به إلى رأس الحسين رضي الله عنه، يقول دعبل [كامل]:

رأسُ ابنِ بِنتِ مُحمدٍ ووَصِيهِ   يا لَلرجَالِ! عَلَى قَنَاةٍ تُرفَـعُ
والمسلمونَ بِمنظرٍ وبِمَسمَـعٍ   لا جازِعٌ مِن ذا ولا مُتَخَشعُ !

(الديوان: ١٤١)

وكان الشريف الرضي يرثي الحسين في كل يوم عاشوراء.

* [٧٩]

وقال يهنئ الأميرَ مخلص الدولة أبا المتوّج[١] مقَلد بن نصر بن منقِذ باللقب[٢] [كامل]:

أَعَرَفْــتَ مِــنْ عَبَــقِ النــسِيمِ الفَــائِحِ[٣]
خَبَــرَ (العُــذَيْبِ) وَبَانِــهِ المُتَنَــاوِحِ[٤]

وَاقْتَــادَ طَرْفَــكَ بَــارِقٌ مَلَكَــتْ بِــهِ
رِيــحُ الجُنُــوبِ عِنَــانَ أَشْــقَرَ رَامِــحِ[٥]

(*) القصيدة في نسخة ظ ٥٨، ف. ك ٤١، ق ٦٤، م ٥٩، مط ١٩. وذكر ابن خلكان (٦٠٨ - ٦٨١ هـ) بأنه طالع هذه القصيدة والتي بعدها في ديوان ابن سنان - وفيات الأعيان، ٤ / ٣٥٧.

(1) ف. ق. ك. مط: أبا الفتوح.

(2) أبو المتوّج مقلّد بن نصر بن منقذ الكناني، لقب مخلّص الدولة، والد الأمير سديد الدولة أبي الحسن علي صاحب قلعة شيرز - قلعة غربيّ حماة المعرّة - على حدّ قول ياقوت الحمويّ - وكان مقيمًا بالقرب من قلعة شيرز عند جسر بني منقذ المنسوب إليهم. وكان ملوك الشام يكرمونم ويجلّون أقدارهم، ولم يزل مخلّص الدولة في رياسته وجلالته إلى أن توفي في ذي الحجة سنة ٤٥٠ هـ بحلب، وحمل إلى كفر طاب، فرثاه ابن سنان الخفاجي بقصيدة رائية، كما رثاه القاضي أبو يعلى حمزة بن عبد الرزاق بن أبي حصين.
وكان لمخلّص الدولة أخ لقبه أبو المغيث منقذ بن نصر بن منقذ توفي سنة ٤٣٩ هـ، رثاه ابن سنان ببيتين . ثم كان لمخلّص الدولة أيضًا من أحفاده أمير مشهور هو أسامة بن منقذ المولود بشيرز (٤٨٨-٥٨٤ هـ).

(3) ما أثبتناه من نسخة ظ. وفي سائر النسخ: البائح. وفي م: النائح.

(4) العذيب: سبق شرحه في القطعة ٢ البيت ٦.

(5) الطرف: العين، وقيل هو اسم جامع للبصر. رمح ذو الحافر: رفس برجله أو

هَبّ اخْتِلاسًا فِي الدجَى وَنُجُومُهُ
يَكْرَعْنَ مِنْ حَوْضِ الصَبَاحِ الطافِحِ[(1)]

وَالنَسْرُ فِي أُفُقِ المَغَارِبِ رَايَةٌ
تَهْفُو[(2)] بِعَالِيَةِ السمَاكِ الرامِحِ[(3)]

٥- فَطَوَى حَوَاشِيَهُ وَجَادَ بِوَمْضِهِ
مِثْلَ الشرَارَةِ فِي زِنَادِ[(4)] القَادِحِ

دَقتْ عَلَى لَمْحِ العُيُونِ وَمَا خَبَتْ

برجليه معًا، فهو رامح ورَموح، ومن المجاز: رمح البرق: لمع لمعانًا خفيفًا متقاربًا.

(1) م. ظ: في حوض. ف. ق. مط: خوض.

هب: أي النسيم. الدجى: سواد الليل، وقصد هدوءه وسكونه. طفح الإناء: امتلأ وارتفع حتى فاض، فهو طافح.

في هذه الأبيات الثلاثة جرى ابن سنان على عادة الشعراء في أنهم يتأثّرون بالظواهر الطبيعية التي تذكّرهم محبوبهم، كهبوب النسيم ولمعان البرق، ممّا يُذْكي هواهم ويزيد في جواهم، والصور البلاغية كثيرة فيها.

(2) ظ. م: يهفو.

(3) النسران: كوكبان في السماء معروفان، على التشبيه بالنسر الطائر، يقال لكل واحد منهما نسر أو النسر، ويقسّمونهما إلى نسرين: النسر الواقع والنسر الطائر. هفا الطائر: خفق بجناحيه فطار.

عالية الرمح: رأسه، أو النصف الأعلى منه أو ما يلي السنان منه، أو السنان نفسه، أو القناة المستقيمة - من إطلاق الجزء على الكل. السماك: نجم معروف، وهما سماكان: رامح وأعزل، والرامح لا نوء له وهو إلى جهة الشمال، والأعزل من كواكب الأنواء وهو إلى جهة الجنوب، وهما في برج الميزان، ويكون طلوع السماك الأعزل مع الفجر في تشرين الأول (أكتوبر).

يذكر ما ترك البرق في حشاه من لواعج الحب. وفي هذا البيت والذي يليه كثير من صور البديع.

(4) ما أثبتناه من م، وفي سائر النسخ: في زناد.

حَتى تَضَرمَ فِي حَشًا وَجَوَانِحِ

بَعَثَ الغَرَامُ المُدْلِجِين فَوَسدُوا[1]

أَكْوَارَ عُوجٍ كَالقِسِي طَلَائِحِ[2]

فَتَرنحُوا فَوْقَ الرحَالِ كَأَنمَا

هَزتْ قُدُورَهُمْ سُلَافَةُ صَائِحِ[3]

دَب الكَرَى فِيهِمْ فَمَوَهَ زَوْرَةً

خَفِيَتْ عَلَى نَظَرِ الرقِيبِ الكَاشِحِ[4]

١٠- طَيْفٌ تَضُوعُ بِهِ الرِيَاضُ وَتَدعِي

خَطَرَاتِهِ لَمَعُ[5] الصباحِ اللائِحِ

كَيْفَ اهْتَدَيْتَ وَدُونَنَا مَجْهُولَةٌ

بَهْمَاءُ تَهْزَأُ مِنْ جَنَاحِ السارِحِ[6]

---

(1) أثبتنا رواية م، وفي سائر النسخ: توسّدوا

(2) الكور: رحل البعير أو الرحل بأداته. عُوج جمع عوجاء: الناقة عجفت فاعوجّ ظهرها. القسيّ: جمع قوس. طلح البعير: أعيا وكل.
يريد أن الغرام خامر عيون رفقائه في السفر.

(3) ورد البيت في ظ بعد بيتين. السلافة من الخمر: أخلصها وأفضلها.

(4) الكاشح: المضمر العداوة، ومنه عدو كاشح، وطوى كشحه على الأمر: أضمره. يريد أن طيف الحبيب انتهز هذه الفرصة فزاره مع ما بينهما من البعاد والـاهيل، والأبيات التالية توضح ذلك.

(5) ظ: ويدّعي خطراته لمع

(6) ظ: وبيننا مجهولة. البهماء: المفازة الواسعة لا نبت فيها ولا ماء.
جناح السارح: قصد به النظر السارح من قولهم سرّح نظره، أو ما لا يضل في طيرانه كالقطا.

وَالحَرَتَانِ، وَجَمْرَةٌ مُضَرِيةٌ
مَشْبُوبَةٌ بِذَوَابِلٍ وَصَفَائِحِ[1]

وَمُثَارُ قَسْطَلَةٍ وَبِيضُ صَوَارِمٍ
وَدِلاَصُ سَابِغَةٍ وَجُرْدُ سَوَابِحِ

مِنْ كُلِّ شَارِدَةٍ كَأَن عِنَانَهَا[2]
يُعْطِيكَ سَالِفَةَ الغَزَالِ السارِحِ[3]

١٥- يَنْفُرْنَ مِنْ عَذْبِ النمِيرِ وَلَوْ جَرَى
بِدَمِ الطعَانِ وَرَدْنَ غَيْرَ قَوَامِحِ [4]

مَا كُنْتَ تَبْذُلُ لِلْقَرِيبِ تَحِيةً
بُخْلاً فَكَيْفَ سَرَيْتَ نَحْوَ النازِحِ[5]

---

(1) الحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة كأنا أحرقت بالنار (كتاب العين). والحِرار في بلاد العرب كثيرة، واشتهرت حرتا المدينة، وأكثرها حوالي المدينة إلى الشام، وقد تأتي في الشعر مجموعة ومثناة، انظر معجم البلدان: حرة. الجمرة: القبيلة ذات المنعة والشدّة، أو التي فيها ثلاثمائة فارس، أو ألف فارس، صار رجالها يدًا واحدة لا ينضمون إلى أحد ولا يحالفون غيرهم، وجمرات العرب في الجاهلية: بنو نمير بن عامر، وبنو الحرب بن كعب، وبنو عبس بن بغيض، وزادوا عليهم بني ضبة بن أُدّ بن طابخة.وبذا البيت انتقل إلى المدح.

(2) ف. ق. مط: عيونا تعطيك.

(3) ظ. م: السانح
قوله: من كل شاردة.. أي من كل خيل شاردة منيعة مستعصية.

(4) ف. ق. ك. مط: غير طوافح. ولعلّه أراد: غير جوامح.
غير قوامح: من قَمَحَ قُمُوحا: رفع رأسه عند الحوض وامتنع عن الشرب.
قوله ينفرن من عذب النمير... أراد أن الخيل تفضل دم الطعان على المياه العذبة لتعوّدها على الحرب.

(5) البيت وما بعده في خطاب الطيف.

وَلَعَلَّ عَطْفَكَ أَنْ يَعُودَ بِمِثْلِهَا
بَعْدَ الرُّقَادِ فَرُبَّ يَوْمٍ صَالِحِ
قَدْ أَصْحَبَ الدَّهْرُ[١] الأَبِيُّ قِيَادُهُ
قَسْرًا وَفَرَّجَ كُلَّ خَطْبٍ فَادِحِ[٢]
وَهَمَى بَنَانُ أَبِي المُتَوَّجِ بَعْدَمَا
نُسِخَ السَّمَاحُ وَعَزَّ صِدْقُ المَادِحِ[٣]
٢٠- يُوفِي عَلَى طَلَبِ العُفَاةِ نَوَالُهُ[٤]
كَالبَحْرِ يَغْرَقُ فِيهِ قَعْبُ المَاتِحِ[٥]
لَوْ رَاضَ[٦] نَافِرَةَ القُلُوبِ بِرَأْيِهِ
سَكَنَ البُغَاثُ إِلَى هَوِي الجَارِحِ[٧]
مَا حَادَ عَنْ سَنَنِ العُفَاةِ مَحَلُّهُ[٨]
حَتَّى يَدُلَّ عَلَيْهِ صَوْتُ النَّابِحِ

---

(1) ف. ك: قد أصحبُ الدهرُ
(2) أصحب الدهر الأبيّ قياده: لان وخضع، يقال: استصعب ثم أصحب.
(3) أبو المتوّج: مخلص الدولة مقلد بن نصر بن منقذ الكناني المتوفى سنة ٤٥٠ هـ، سبق التعريف به في البيت الأول.
(4) ف. ق. ك. مط: محله ق. مط: المائح.
(5) القعب: القدح الضخم، أو قدح صغير يشبه به الحافر. الماتح: اسم فاعل، من متح الماء بالدلو: جذبا مستسقيًا.
يريد أنه يعطي العفاة أكثر مما يطلبون وما ينتظرون منه.
(6) ف. ق. ك. مط: لو رام.
(7) البغاث من الطير: ما لا يصيد ولا يُرْغَبُ في صيده، لأنه لا يؤكل.
يصف الأمير مقلّد بن نصر بن منقذ بسداد الرأي.
(8) ف. ق. ك. مط: ما جار عن سنن العفاة نواله.

مَعْـ ـ ـنىً إذَا وَرَدَ الـ ـ ـضُيوفُ فِنَـ ـ ـاءَهُ
وَجَـ ـدُوا قِـ ـرَى الثـ ـاوِي وَزَادَ الـ ـرائِحِ
حَلَبَ العِـ ـشَارَ مِـ ـنَ النحُـ ـورِ وَ ـزَادَ عَـ ـنْ
أَلْبَانِهَـ ـ ـا دَر النجِيـ ـ ـعِ الـ ـ ـسائِحِ[١]
٢٥- متوقِّـ ـدُ العزمـ ـات فيـ ـاضُ النـ ـدى
جَـ ـذْلانُ يُبْـ ـسِمُ فِـ ـي الزمَـ ـانِ الكَـ ـالِحِ
فَرَعَتْ بِـ ـهِ (عَـ ـوْفُ بْـ ـنُ عُـ ـذْرَةَ)[٢] هَـ ـضْبَةً
فِي المَجْـ ـدِ تُحْـ ـسِرُ كُـ ـل طَـ ـرْفٍ لامِـ ـحِ[٣]
قَـ ـوْمٌ إذَا رُفِـ ـعَ الـ ـصرِيخُ لِغَـ ـارَةٍ
سَـ ـبَقَتْ إجَـ ـابَتُهُمْ نِـ ـدَاءَ الـ ـصائِحِ[٤]
وَإذَا رَبِيـ ـعُ العَـ ـامِ صَـ ـوحَ نَبْتَـ ـهُ
وَجَـ ـرَتْ رِيَـ ـاحُ القُـ ـرِ غَيْـ ـرَ لَـ ـوَاقِحِ[٥]
وَخَبَـ ـتْ بَوَارِقُـ ـهُ وَحَـ ـرمَ جَدْبُـ ـهُ
بَـ ـذْلَ القِـ ـرَى وَأَبَـ ـاحَ عَقْـ ـرَ الناصِـ ـحِ[٦]

---

(1) ف. ق. ك. مط: وزاد عن... العشار من الإبل: الحديثة العهد بالنتاج، أو التي أتى عليها عشرة أشهر من طروق الفحل.
قوله: حلب العشار من النحور: أي نحرها لضيوفه. النجيع هاهنا مطلق الدم.
(2) ف. ق. ك. مط: عوف بن مرة.
(3) فرع في الجبل: صعد. وقوله: فرعت به في المجد على المجاز: أي بلغ به قومه منـزلة رفيعة تعجز من رامها.
(4) الصريخ: نداء المستغيث.
(5) مط: رياح العز. ظ: غير لوافح
صوح نبته: أصابته آفة ويبس. القُر: البرد عامة، أو البرد في الشتاء خاصة.
اللواقح: الرياح تحمل الندى، ثم تمجه في السحاب، فينـزل المطر (مجاز).
(6) ف. ق. ك. مط: عقر الناضح. الناصح: الخالص، وأراد خيار إبله.

٣٠- نَصَبُوا العِمَـاقَ الراسِـيَاتِ وَأَعْجَلُـوا
نِيرَانَهَـ ـ ـا بِعَقَـ ـ ـائِرٍ وَذَبَـ ـ ـائِحِ[١]

كَـ ـرَمٌ تَوَارَثُـ ـهُ الأَكُـ ـف وَحَلْبَـ ـةٌ
فِـي الفَـضْلِ يُقْـرَنُ مُهْرُهَـا بِالقَـارِحِ[٢]

يَهْفُـ ـو بِأَعْطَـ ـافِ الوَلِيـ ـدِ مِرَاحُـ ـهُ
وَإِذَا احْتَبَـى فَالهَـضْبُ لَـيْسَ بِـرَاجِحِ[٣]

سَــبَقَ الكِــرَامَ (مُقَلَّــدٌ) فِــي غَايَــةٍ
جُهْــدُ الجَــوَادِ بِهَــا كَعَفْــوِ الــرازِحِ[٤]

وَجَـ ـرَى فَقَـ ـصرَ طَـ ـالِبُوهُ وَإِنَمَـ ـا
ضَــلوا عَلَــى أَثَــرِ الطرِيــقِ الوَاضِــحِ

٣٥- يَـا جَـامِعَ الآمَـالِ[٥] وَهْـيَ بَدَائِـدٌ
شَــتى وَرَائِــضَ كُــل صَــعْبٍ جَــامِحِ

شَــرفْتَ مَــنْ أَبْــدَى عُــلاكَ وَإِنمَــا
عَبَــقُ اللطِيمَــةِ فِــي بَنَــانِ الفَــاتِحِ[٦]

---

(1) العماق: القدور. الراسيات: الثابتة.
(2) قوله حلبة في الفضل يقرن مهرها بالقارح: أراد أن صغيرهم وكبيرهم متساويان في الفضل.
(3) المراح: الخفّة والنشاط، وأراد بالاحتباء الاكتهال. الهضب ليس براجح: لا يعدّ الهضب راجحًا إذا قيس برجاحة عقل الوليد إذا اكتهل.
(4) مقلد: هو مخلص الدولة أبو المتوّج مقلّد بن نصر بن منقذ الكناني. الجهد: الطاقة والوسع. العفو: أوّل الجَرْي. الرازح: الشديد الهزال وبه حَراك. يريد أنه يسبق الناس في كرم الشمائل، وأن ما يُجهدُهم لا يتعبه.
(5) ف. ق. ك: يا جامع الأموال.
(6) م. مط: من بنان. اللطيمة: قصد با وعاء المسك. يريد أن اللطيمة لا يفوح عطرها إلا إذا فُتِحَت.

وَحَبَـوْتَ[1] أَلْقَابَ الإِمَامِ نَبَاهَةً
وَسِوَاكَ طَوَّقَهَا بِعَارٍ فَاضِحِ[2]
لَوْ مَاثَلُوا اللفْظَيْنِ كُنْتَ بِرَغْمِهِ
سَعْدَ السُعُودِ وَكَانَ سَعْدَ الذابِحِ[3]
مَا طَالَ قَدْرُكَ[4] عَنْ مَدَاهُ وَإِنَمَا
هَزوا قَنَاتَكَ بِاللِوَاءِ الطائِحِ[5]
٤٠- فَاسْلَمْ لِمُلْكٍ أنتَ غَرْبُ حُسَامِهِ الـ
ـمَاضِي وَعَبْقَةُ رَوْضِهِ[6] المُتَفَاوِحِ
وَفِدَاكَ مُغْتَصِبُ الثَرَاءِ جَدِيدُهُ
أَخَذَ الرِيَاسَةَ فَلْتَةً مِنْ مَازِحِ[7]

---

(1) ف. ك. ق. مط: وحبيت.
(2) يريد أنه نال اللقب بخصاله ومساعيه الحميدة، فشرّف المنصب. أما غيره فكساه العار بمخازيه.
(3) السعود من الكواكب العشرة اشهرها في منازل القمر: سعد الذابح وسعد بُلَع، وسعد السعود، وسعد الأخبية. وأطلق اللفظ على كثير من بطون القبائل كسعد بكر، وسعد تميم وسعد قيس. ومن هنا جاء المثل: في كل واد بنو سعد. أما سعد الدولة فهو ابن الممدوح، صاحب قلعة شيرز لقب بسديد الملك سعد الدولة، عليّ بن مقلّد.
قوله برغمه: لعله يشير إلى شخص معين يبدأ لقبه بسعد كسعد الدولة أو سعد الملك وما إلى ذلك..
(4) ظ: ما طال قدرَك - بالنصب -.
(5) يشير في هذا البيت إلى حادثة جرت للمدوح.
(6) ظ: وريقةِ روضه.
(7) يعرض ابن سنان في الأبيات الثلاثة التالية بأحد أعداء الممدوح ويعيب عليه جدة ثرائه وكونه اغتصبه وأخذ الرئاسة فلتة، كما يعيب عليه خمول نسبه، وكون دولته نبذته.

نَــسَبٌ كَمَــا جَــن الظــلامُ فَلَــمْ يَلُــحْ
لِلْمُــدْلِجِينَ بِــهِ ضِــيَاءُ مَــصَابِحِ
نَبذَتْــهُ دَوْلَتُــهُ وَكَانَــتْ رَوْضَــةً
يَخْلُــو الــذَبَابُ بِهَــا وَلَــيْسَ بِبَــارِحِ
وَتَمَــلْ مَــا أُهْــدِي إِلَيْــكَ فَإِنهَــا
نَظْــمُ الــشقِيقِ وَبِنْــتُ[1] فِكْــرِ الناصِــحِ
٤٥- وَسَــمِيرَةُ النــادِي وَمُطْلِقَــةُ الحُبَــا[2]
وَزَمِيلَــةُ الــساري وَأُنْــسُ الــصادِحِ
وَالبَاقِيَــاتُ الــصالِحَاتُ وَرُبمَــا
كَانَــتْ بَــوَاقِي القَــوْلِ غَيْــرَ صَــوَالِح[3]
ستة وأربعون بيتًا

(1) ظ. ف. ك: ونبت فكر.

(2) ظ. م: ومطلقة الحَيا. الحْبَوَة: وتثلث الحاء: الثوب الذي يحتبى به، والج حِبًا وحُبًا. قال الفرّاء: وإنما هي حُبْيَة سماعًا من العرب أي أن العرب لم يقولوا حُبْوَة، وإن كان أصلها الواو (عن لسان العرب بتصرّف، المادة: حبو).

أراد بإطلاق الحُبا: الإعجاب بها، على المجاز.

(3) في هذه الأبيات - الأخيرة - نرى ابن سنان على عادته وعادة بعض الشعراء قبله كأبي تمام والمتنبي.. نراه معجبا بقصيده يطلب إلى الممدوح أن يستمتع به، فالقصيدة نظم الأخ الشقيق وثمرة الفكر الناصح، تتلى في النوادي لجمالها، ويتغنى بها الناس في الحلّ والترحال، ويأنس بها الصادح.. فهي أبدًا صالحة خالدة.

*[٨٠]

وقال يرثي مخلص الدولة أبا المتوج مقلد بن نصر بن منقذ [الكناني] وتوفي في ذي الحجة من سنة خمسين وأربعمائة[١] [متقارب]:

حَبَتْكَ السَّمَاءُ بِأَمْطَارِهَا
وَكَيْفَ تَضِنُّ عَلَى جَارِهَا[٢]

وَلاَ بَرِحَتْ فِي ثَرَاكَ الرِّيَاضُ
تَفُضُّ لَطَائِمَ نُوَّارِهَا![٣]

وَقَدْ نَابَ عَنْهَا جَمِيلُ الثَّنَاءِ
فَذِكْرُكَ أَعْبَقُ أَزْهَارِهَا

أَطَالَتْ لَيَالِيَ حَتَّى ظَنَنْتُ
أَنَّكَ بِنْتَ بِأَسْحَارِهَا[٤]

(*) القصيدة في نسخة ظ ورقة ٦٠، ف. ك ٤٢، ق ٦٦، م ٦١، مط ٥٣.

(1) بقي الأمير مقلد بن نصر في رياسة وجلالة إلى أن توفي بحلب سنة ٤٥٠ هـ، وحمل إلى كفر طاب، فدفن. وفي القصيدة تعزية رفعها ابن سنان إلى ابن المرثيّ الأمير سديد الدولة سعد الملك أبي الحسن علي بن المقلّد صاحب قلعة شيرز.
قوله: ((وتوفي في.. خمسين وأربعمائة)) تصحفت هذه العبارة على محقق وفيات الأعيان، إذ ورد خبر القصيدة في وفيات الأعيان ٢٧٠/٥: وقال يرثيه وقد توفي في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وأربعمائة اهـ. والصواب سنة خمسين وأربعمائة.

(2) يدعو لقبره بالسقيا على عادة العرب ن وسّماه جار السماء لكون روحه انتقلت إلى الملأ الأعلى، أو لعلو منـزلته أو لجوده وشَبّهه بالغيث.

(3) يدعو له بأن تظلّ رياض ثراه تفوح عليه بعطورها.

(4) يقول: صارت ليالي طويلة لحزني عليك، حتّى ظننت أن الأسحار صحبتك إلى قبرك، فمات الصباح بموتك.

٥- وَغَادَرْتَ دَمْعِي رَقِيبَ الجُفُون
فَبَاعَدْتَ[1] مَا بَيْنَ أَشْفَارِهَا[2]

وَبِي لَوْعَةٌ مِنْكَ مَا تَطْمَئِن
فَأَشْكُو إِلَيْكَ بِمِقْدَارِهَا

فَلَهْفِي عَلَيْكَ لِشُعْثِ العُفَاةِ
تَرَامَى إِلَيْكَ بِأَوْطَارِهَا!

تَجُوبُ المَهَامِهَ حَتَّى يُنِيخَ[3]
بِقَارِي العَشِيرَةِ عَقَارِهَا

وَسَاغِبَةٍ عَلَلْتَ فِي الظَّلاَمِ
بَنِيهَا بِقُرْبِكَ مِنْ دَارِهَا

١٠-فَكُنْتَ إِلَى بَذْلِ مَا أَمَّلَتْه
ُ أَسْرَعَ مِنْ وَهْمِ أَفْكَارِهَا

وَبَهْمَاءَ تَلْمَحُ فِيهَا النُّجُومَ
مُضَيَّعَةً بَيْنَ أَقْطَارِهَا[4]

---

(1) ظ: وغادرتُ - بضم التاء -... فباعدَ.
(2) الرقيب: النجم الطالع قُبالة نجم غارب يراقبه (مجاز)، ويقال للإكليل (رقيب الثريا) إذا طلع غابت وإذا غابت طلع، وأنشد الفراء [طويل]:
أَحَقًّا عِبادَ الله أن لستُ لاقيًا ... بُثَينةَ أو يَلقَى الثريّا رَقيبُها؟!
(تاج العروس مادة: رقب)
يقول ابن سنان: لا يغمض لي جفن حتّى تجفّ دموعي، وقد تقدّم أن دمعه لا يرقأ، ولذا فإن عينه دائما مسهّدة، وهذا من باب (حسن التعليل). انظر شرح الكافية البديعية ص ٢٨٣.
(3) أثبتنا رواية ظ، وفي سائر النسخ: تنيخ.
(4) يريد أن هذه الصحراء واسعة تضلّ فيها النجوم نفسها.

تَعَسَّفْتَهَا سَارِيًا وَالقَطَا
حَوَائِرُ[1] عَنْ نَهْجِ أَوْكَارِهَا

وَعَانٍ دَعَاكَ وَصَحْبُ الهُمُومِ
تَرُوحُ[2] عَلَيْهِ بِسُمَّارِهَا

فَأَنْقَذْتَهُ مِنْ يَدِ الحَادِثَاتِ
وَقَدْ عَلِقَتْهُ بِأَظْفَارِهَا

وَنَجْلاءَ تَهْزَأُ أَرْجَاؤُهَا
بِأَيْدِي الأُسَاةِ وَمِسْبَارِهَا[3]

فَضَلْتَ[4] بِهَا خَطَرَاتِ الظُّنُونِ
بَيْنَ القُلُوبِ وَأَغْمَارِهَا

وَلَهْفِي عَلَيْكَ وَهُوجُ الرِّيَاحِ
تَسْحَبُ أَذْيَالَ إِعْصَارِهَا

بِغَبْرَاءَ تَعْرُقُ[5] كُومَ المَطِي
حَتَّى تَنُوءَ بِأَوْبَارِهَا[6]

---

(1) ف. ق. ك. مط: جوائر. م: تعسفتها سائرا.
(2) م: يروح.
(3) النجلاء: الطعنة الواسعة. الأساة: الأطباء. المسبار: ما يسبر به الجرح، وأصل التركيب: لهفي عليك لشعث العفاة ولساغبة، ولبهماء، ولعانٍ، ولنجلاء... وكنّى بالنجلاء عن الملمّات التي لا قِبَلَ لغير المرثي بها.
(4) ف. ك: فضلت - بتشديد اللام -. فضلت... وأغمارها: سبقت خطرات الظنون إلى أزالة الهموم عن هذه القلوب.
(5) ظ: تُعْرَفُ
(6) الغبراء: الجدبة من السنين. عَرَقَ العظمَ: أكل ما عليه من اللحم نهشًا بأسنانه، أو ألقى ما عليه من اللحم. ومن المجاز: عرقته الخطوب والسنون، إذا أخذت منه. الأكْوَم والجمع كوم: السنام المرتفع، والبعير العظيم السنام. قوله: حتى تنوء بأوبارها، أي حتى تسقط أوبارها أو حتى تثقلها أوبارُها، والأول أجود.

جَلَـ ـ ـوْتَ غَيَاهِبَهَـ ـ ـا وَالكِـ ـ ـرَامُ

تُقَـ ـ ـرِي[1] الـ ـ ـضُيُوفَ بِأَعْـ ـ ـذَارِهَا

٢٠- وَجَــدلَ سَــيْفُكَ شَــوْلَ اللقَــاحِ

وَقَـ ـ ـدْ كَـ ـ ـسَعُوهَا بِأَغْبَارِهَـ ـ ـا[2]

يُقَـ ـ ـسمُهَا[3] وَرِبَـ ـ ـابُ القِـ ـ ـدَاحِ

مُعَطَلَـ ـ ـةٌ عِنْـ ـ ـدَ أَيْـ ـ ـسَارِهَا[4]

وَلَهْفِـ ـي لإِخْـ ـوَانِ صِـ ـدْقٍ أَطَلْـ ـتَ

عَلَيْهَـ ـ ـا بَقِيـ ـ ـةَ أَعْمَارِهَـ ـ ـا[5]

---

(1) ق. مط:... والكرا. م: تقري... - بلا شكل -

(2) هذا من قول الحارث بن حلزة اليشكري في المفضّليّات - ق ١٢٧ [سريع]:

لا تَكسَعِ الشولَ بأغبارِها إنـكَ لا تَـدري مَـنِ النـاتِجُ

أي لا تُبقِ ذلك اللبن لسمنها، فإنك لا تدري من ينتجها، فتكون للوارث أو يُغار عليها، وقال ابن سيده في المخصص ٧ / ٣٨ عنه: هذا مثل اهـ. الكسع: أن يوضع الماء البارد على ضرع الناقة ليرتفع اللبن فتسمن. الشول: الإبل التي شولت ألبانا أي ارتفعت. الغُبرُ: بقية اللبن في الضرع. الناتج: الذي يلي نتاج الإبل وغيرها.

يمدح ابن سنان المرثي بأنه ينحر إبله للعفاة، بينما يبخل با غيره من الناس وَيَدَعُها لتسمن.

(3) ظ: تَقَسمَهَا.

(4) الرباب: خيط تشدّ به سهام الميسر، أو جلدة دقيقة تلف على مخرج القداح في الميسر كي لا يعرف بالمس، فيختارها لصاحبه. الأيسار: جمع ياسر، وهو الذي يلي قسمة الجزور.

يصف المرثي بالكرم في حين يّتصف غيره بالبخل.

(5) يقول: لا قيمة للحياة من بعدك، ولذلك سئمها أصدقاؤك، فاستطالوا أعمارهم، وكأنك أطلتها حقيقة.

مَلَكْــتَ ضَــمَائِرَهَا وَاسْــتَرَق
جُــودُكَ رِبْقَــةَ أحْرَارِهَــا
وَإنْ نَزَحُــوا فِيــكَ مَــاءَ الجُفُــونِ
فَإنَّــكَ إنْــسَانُ أبْــصَارِهَا[1]
٢٥- وَإنْ عَقَــرُوا لَــكَ حَــبَّ القُلُــوبِ
فَقَــدْ كُنْــتَ مَوْضِــعَ أسْــرَارِهَا
بِرَغْمِــي نَزَلْــتَ بِــدَارٍ تُقِــيمُ
رَهِــينَ ثَرَاهَــا وَأحْجَارِهَــا
تُــزَارُ وَلَــيْسَ بِهَــا مِــنْ قِــرَا
كَ إلا الغَــرَامُ لِزُوارِهَــا
وَكُنْــتَ بِعَلْيَــاءَ مَطْرُوقَــةٍ
يُــضِيءُ[2] النجُــومَ سَــنَا نَارِهَــا
إذَا عَرَسَــتْ في ذُرَاهَــا الركَــابُ
فَقَــدْ أمِنَــتْ شَــدَّ أكْوَارِهَــا
٣٠- وَلَــوْ نَزَلَــتْ بِــكَ فِيهَــا العُــصَاةُ
حَمَلْــتَ صَحَــائِفَ أوْزَارِهَــا[3]

---

(1) إنسان العين: البؤبؤ، المثال يرى في سوادها.
(2) م: يضيم.
«إذا عرّست في ذراها الركاب..»، هذا من قول أبي نواس [كامل]:
وإذا المطي بنا بلغْــنَ محمــدًا فظهورهن على الرجال حــرامُ
(الديوان: ٥٧٥)
(3) يريد أنه يجير الجاني، ويتحمل عنه الدّية.

(أبـا حَسَنٍ) هِيَ دُنْيَا تُنَا
لُ أوْدَارُهَا فَوْقَ أوْدَارِهَا[1]

جَرَتْ فِي أبِيكَ عَلَى عَادَةٍ
يَمُوتُ الكِرَامُ بِأوْتَارِهَا [2]

وَقَدْ صَفَحَتْ عَنْكَ مِنْ بَعْدِهِ
فَإظْلامُهَا مِثْلُ إسْفَارِهَا[3]

جَرَيْتَ عَلَى نَهْجِهِ فِي العُلا
وَكَانَ[4] خَبِيرًا بِأوْعَارِهَا

٣٥- وَجَادَ لَنَا بِكَ بَعْدَ الكِرَامِ
فَصَدقَ كَاذِبَ أخْبَارِهَا [5]

خمسة وثلاثون بيتًا

---

(1) أبو الحسن ابن المرثي، واسمه علي بن المقلّد، لقب بـ (سعد الدولة) و(سديد الدولة)، وكان ابن سنان على صلة به وصحبة معه. ترجمته في القطعة رقم ٤.
(2) ظ. م: تموت.
(3) صفحت عنك: أي أعرضت وولتك قفاها، وفي الشطر الثاني طباق.
(4) ف. ق. ك. مط: فكان.
(5) قوله: فصدق كاذب أخبارها: أي أنجبك، فحققت ما لم يخطر على بال، وما كان في غيرك من الكرام محض قصص ونسيج خيال كاذب صار بك واقعًا ملموسًا.

[٨١] *

وقال يمدح الأمير سعد الدولة أبا الحسن علي بن المقلّد بن نصر بن منقذ[(١)]، ويشكره [كامل]:

أُمِيحَهَــا فَــضْلَ الأزمــةِ فَــصرِ فَمَــعَ النــسِيمِ تَحِيــةٌ مِــنْ (عَرْعَــرِ)[(٢)]

هَبــتْ تَهَادَاهَــا البُــرُوقُ وَبَيْنَهَــا نَــسَبُ الخِــدَاعِ وَهِــزةُ المُتــذَكرِ[(٣)]

(*) ظ ٦١، ف ٤٣، ق ٦٨، ك ٤٤، م ٦٢، مط ٣٠.

(1) تقدمت ترجمته في القصدة ٤ (التعليقة ٣).

(2) أمبيحها: الضمير يعود على المطيّة. الأزمة، جمع زمام، وهو الخيط الذي يُشَد في البُرة (حلقة يخلل با أنف البعير) أو في الخِشاش ثم يشدّ في طرفه المقود. وقد يسمى المِقْوَدُ زمامًا كما هي الحال في البيت.

عرعر: اسم لعدّة مواضع في نجد وفي غير نجد. ولا نعرف أيها قصد الشاعر. يطلب من رفيقه في السفر أو من نفسه - على سبيل التجريد - أن يتمهل في السير؛ لأن النّسيم حمل إليه تحّية الحبيب من عرعر.

(3) تاداها: تتهاداها؛ الهزة: النشاط والأريحّية (مجاز).

يريد أن النسيم والبرق يشتركان في الخداع والنشاط الناتج عن ذكرى الحبيب. ينظر في آخر البيت إلى قول أبي صخر الهذليّ [طويل]:

وإنّي لَتعرُوني لِذِكراكِ هِزةٌ كما انتَفَضَ العُصفورُ بَلّلَـهُ القَطـرُ

وهو من الشواهد النحوية (شذور الذهب، رقم ١١٠، ابن عقيل رقم ٢٠٤، الأشموني رقم ٤٢٨).

وَاللَّيلُ قَـدْ أخَـذَ الـسرَى مِـنْ شُـهْبِهِ[١]
وَأعَـارَهُ ذُلُـلَ القِـلاصِ الـضمرِ

يَـا بَـانَتيْ إضَـمٍ - وَمِـنْ دِيـنِ الهَـوَى
بَث الـسؤَالِ لِكُـل مَـنْ لَـمْ يُخْبِـرِ-[٢]

٥- أعَلِمْتُمَـا قَلْبِـي أقَـامَ مَكَانَـهُ
أمْ سَـارَ[٣] في طَلَـبِ الـصَباحِ المُـسْفِرِ؟

أبْلِـغْ (أبَـا حَـسانَ) أن قِلاصَـهُ
تَجْتَـابُ أرْدِيَـةَ العَجَـاجِ الأغْبَـرِ[٤]

مَطْـرُودَةً وَعَلَـى (الـشرَيفِ) فَـوَارِسٌ
يَتَرَنحُـونَ مَـعَ الوَشِـيجِ الأسْـمَرِ[٥]

---

(1) ظ. م. مط: من شهبه.
ذُلُل: جمع ذَلول وهي الدابّة التي يذلّلها الركوب والعمل، ضد الصعب منها.
القِلاص: جمع قَلوص وهي الشابّة من الإبل حتى تبزُل، والناقة الطويلة القوائم، والأخير أليق بالبيت.
يصف طول الليل وبطء حركة النجوم، فكأن الليل أخذ حركتها وأعارها المطايا، فزادت سرعتها.

(2) يقول: ومن شِرعة الهوى وعادته أن يسائل العاشق ما لا يُخْبِر ولا يجيب.

(3) م: أم راح. الصباح المسفر: الظاهر أنه قصد به المحبوب.

(4) ليس في القصيدة ما يبيّن من هو أبو حسّان.

(5) الشرّيف: ورد في معجم البلدان: «الشريف: ماء لبني نمير... ويقال إنه سُرة نجد.. قال أبو زياد: وأرض بني نمير الشرَيف ودارها كلها بالشريف، إلا بطنًا واحدًا باليمامة... وقال ابن السكّيت: الشريف واد بنجد، فما كان عن يمينه فهو الشرف، وما كان عن يساره فهو الشرّيف...» (٣ / ٣٤١، مادة الشريف).

أحْذَوْا مَنَاسِمَهَا الرِيَاحَ عَشِيَةً
وَنجَوْا وَقَوْمُكَ فَقْعَةٌ بِالقَرْقَرِ(١)

وَزَعَمْتَ أن البُخْلَ حَامِي سَرْحِهَا
أفَهَلْ أمِنْتَ(٢) الشل إنْ لَمْ تُعْقَرِ؟(٣)

١٠- كُنْ في الطِرَادِ لَبَانَ طِرْفِكَ مُقْدِمًا
وَإذَا دُعِيتَ إلَى الطعَانِ فَشَمرِ(٤)

وَاهْجُرْ نُضَارَكَ مِثْلَ هَجْرِكَ لِلْقِرَى
إن المَكَارِمَ فِي السبِيلِ الأوْعَرِ(٥)

---

(1) أحْذَوْا مناسَمها الرياح: جعلوا الرياح أحذية لمناسمها؛ كناية عن سرعة الهرب. الفقع: الكمأة البيضاء؛ يشبه به الرجل الذليل، لأن الدواب تَنْجُلُه بأرجلها وتثيره. القرقر والقرقرة: الأرض المطمئنة ينحاز إليها الماء؛ الأرض الملساء ليست بجِد واسعةٍ.

قوله «فقعة بالقرقر»: من المثل العربي «أذلّ من فقع بقرقرة» (الميداني: ١ / ٢٨٤).

(2) ف. ق. ك. م: أفإن أمنت. وهذه الرواية يسوّغها كون البتين ١٠ - ١١ غيّر موجودين في هذه النسخ.

أفهل أمنت: هذا التركيب موجود في العربية على قلّة، وعلى اختلاف بين النحاة واللغويين في التخريج، وفي رواية الشعر المستشهد به. أنشدوا لزيد الخيل [بسيط]:

سَائِلْ فَوَارِسَ يَرْبُوعٍ بِشِدتِنَا أَهَلْ رَأَوْهَا بِسَفْحِ القَاعِ ذِي الأَكَمِ؟

واستنتجوا أن «هل» بمعنى «قد»، ولو كانت حرف استفهام لما دخلت عليها الهمزة. وروي أيضا «فهل»؛ فلا يكون فيه إذا شاهد. وممن رأى أن «هل» الداخلة على الفعل تكون بمعنى «قد» الكسائي والفراء والمبرّد والزمخشري. فإن صحّ هذا فلا إشكال في بيت ابن سنان.

(3) الشّلّ: الطرد والسرقة.

(4) ظ: دعيت إلى الطراد. اللبان: صدر ذي الحافر خاصة، وهو ما جرى عليه اللّبب. الطِّرف من الخيل العتيق الكريم (مجاز).

(5) النضار: الخالص من الذهب.

أَفَمَـــا يَـــرَى (ٱبْـــنُ العَامِرِيـــةِ) شُـــبةً
شَـــنْعَاءَ، مِثْـــلُ حَـــدِيثِهَا لَـــمْ يُـــؤْثَرِ؟

تَـــرَكَ الفَخَـــارَ لِعُـــصْبَةٍ يَمَنِيـــةٍ
غَلَبتْ عَلَى الحَـسَبِ الـذِي لَـمْ يُغْمَـرِ[1]

أَوَلاَ يُحَـاذِرُ أَنْ يَقُـولَ مُخَبِّـرٌ
فِي الحي قَـصرَ (عَـامِرٌ) فِـي (حِمْيَـرِ)؟[2]

١٥- سَبقَتْ (كِنَانَـةُ) فَلْيَثِـقْ مَـنْ رَامَهَـا
بِـالعَجْزِ[3] عَـنْ شَـأوِ الـصَباحِ الأَشْـقَرِ

قَـوْمٌ أَضَـاؤُوا وَالخُطُـوبُ بَهِيمَـةٌ
كَـالبِيضِ تَلْمَـعُ مِـنْ خِـلاَلِ[4] العِثْيَـرِ

يَتَغَـايَرُونَ عَلَـى النـدَى فَكَأَنمَـا
يَجِـدُ الغَنِـي عَـدَاوَةً لِلْمُعْـسِرِ[5]

وَيُـسَارِعُونَ إِلَـى الـوَغَى وَسُـيوفُهُمْ
مَعْلُولَـةٌ[6] وَكُلُـومُهُمْ لَـمْ تُـسْبَرِ

---

(1) عصبة يمنّية: إشارة إلى كنانة قوم الممدوح.
(2) ظ. م: عن حمير؛ وهذا لا يناسب المقام، لأن الممدوح حميريّ والتعجّب من فضل قومه على غيرهم هجاء له.
(3) ف. ق. ك: فليقف من رامها في العيّ.
يريد: من رام أن يدرك كنانة في الـد كمَنْ رام أن يدرك الصباح ويسبقه. ووصف الصباح بالشقرة تشبيها له بجواد.
(4) م. ق. مط: في خلال.
(5) يصفهم بالكرم والتنافس عليه ؛ فالغنيّ يكره أن يرى معسرًا، فيبادر إلى دفع الفقر عنه.
(6) مط: مغلولة. معلولة: من عَله: سقاه السقية الثانية بعد النهل (مجاز).
قوله ((وكلومهم لم تسبر)) كناية عن تقارب المعارك التي يخوضونا وكثرتا.

أَلِفَــتْ رِمَــاحَهُمْ الطُّيــورُ كَــأَنَّهُمْ
رَتَقُــوا بِهَــا خَلَــلَ العَجَــاجِ الأَكْــدَرِ(١)

٢٠- لاَ يَرْقُــدُون سِــوَى مُعَــرسِ سَــاعَةٍ
يَتَفَيــؤُونَ(٢) بِهَــا ظِــلاَلَ الــضمرِ(٣)

مِــنْ كُــل وُرادِ الــوَغَى بِحُــسَامِهِ
وَالحَتْــفُ مُعْتَــرِضٌ طَرِيــقَ المَــصْدَرِ

حَــرَمَ الإِبَــاءُ عَلَــى الأَسِــنةِ ظَهْــرَهُ
فَــالمَوْتُ مَفْزَعُــهُ إِذَا لَــمْ يَظْفَــرِ(٤)

لأنُــوا وَفِــيهِمْ لِلعَــدُو قَــسَاوَةٌ
كَالمَــاءِ يُغْــرِقُ وَهْــوَ غَيْــرُ مُكَــدرِ

---

(1) ((رتقوا بها خلل العجاج الأكدر)) كناية عن كثرة الطيور التي تتغذّى بلحوم أعدائهم الذين يسقطون في المعركة. وهذا المعنى مُتَعَاوَرٌ في الشعر العربي. ومنه قول النابغة الذبيانيّ [طويل]:

إذا ما غَزَوا بالجَيش حَلّقَ فَوقَهُم   عَصائِبُ طَيرٍ تَهتَدي بِعَـصائِبِ

ورواية اللسان (مادة عصب): ((عصابة طير...)).

(2) ف. ق. ك. مط: يتفيئون (الهمزة على النبرة).

(3) المعرس: مصدر ميمي من عرس في سفره: نزل أوّل الليل ؛ أو آخره، أو وقت السحر للاستراحة، فإذا انفجر الصبح سار. وهو هنا على التوسّع في الدلالة وعلى المجاز.

((معرس ساعة)): قدر ساعة، أي برهة قليلة. يتفيؤون بها ظلال الضمر: ينامون في ظلال خيولهم الضامرة.

(4) يريد أن الفارس منهم يمنعه إباؤه من الفرار في الحرب، فلا تأخذ الأسّنةُ ظهرَه، ولا سبيل له إلا النصر أو الموت في ساحة الوغى.

فِي (مُنْقِذٍ) شَرَفٌ وَإِنْ وُصِلَتْ بِهِ
(عِجْلٌ)[1] فَلَيْسَ وَرَاءَهُ مِنْ مَفْخَرِ

٢٥-سَبَقُوا[2] الكِرَامَ وَأُخِّرَ (ابْنُ مُقَلَّدٍ)
عَنْهُمْ فَكَانَ السَّبْقُ لِلْمُتَأَخِّرِ[3]

شُهِرَتْ مَنَاقِبُهُمْ وَزَادَ فَعَالُهُ
عَنْ شَأْوِهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُشْهَرِ[4]

إِنَّ الأُصُولَ وَإِنْ زَكَتْ أَغْرَاسُهَا
لَوْلاَ فُرُوعُ غُصُونِهَا لَمْ تُثْمِرِ[5]

---

(1) م: عجْل. ك: عَجِلٌ. الظاهر أن أمّ الممدوح أو أن جدةً له من بني عِجْل بن لُجَيْمٍ من بكر بن وائل، من عدنان، وأن الشاعر أراد أن يقول: إن الممدوح جمع بين شرف منقذ وشرف عِجْل، فهو مِعِم مُخْوِلٌ.

(2) ظ: سبق.

(3) قوله ((أخر ابنُ مقلّد)): يريد أُخر في الزمن، لكنه سبق سلفَه في الفضل. ولعلّه في هذا ينظر إلى بيتيْ عديّ بن الرقاع (أو غيره) ويعكس آخر عجز فيهما [طويل]:

فلو قبلَ مَبْكاها بَكيتُ صَبابةً ... بِسُعْدَى شَفَيْتُ النفسَ قَبلَ التندمِ
ولكنْ بَكَتْ قَبلي فَهيجَ لي البُكا ... بُكاها فقُلتُ: الفَضلُ لِلمُتقدمِ

(عن مقامات الحريري: المقدمة).

(4) الفَعَالُ: اسم للفعل الحسن من الجود وغيره. ومنه قول المتنبي [طويل]:

أقل فَعَالي، بلْه أكثرَهُ، مجدُ ... وذا الجِد فيه، نلْتُ أم لم أنلْ، جِد

(الديوان ٢ / ٩١)

وقد يكون للشّر. والمعنى الأول هو المقصود في بيت ابن سنان.

(5) أثبتنا رواية م؛ وفي سائر النسخ: لولا غصون فروعها ؛ وفي ظ: لولا الغصون فروعُها لم تثمر.

إنْ جَاوَدُوهُ فَحَاتِمٌ فِي (طَيِّءٍ)[1]
أوْ نَازَلُوهُ فَعَامِرٌ فِي (جَعْفَرِ)[2]

يَنْدَى عَلَى عَنَتِ الزمَانِ وَكُلَّمَا
صُقِلَ الحُسَامُ أَفَاضَ مَاءَ الجَوْهَرِ

٣٠- شَرِقَتْ[3] أَسِرَّةُ وَجْهِهِ بِحَيَائِهِ
شَرَقَ الصَوَارِمِ بِالنجِيعِ الأَحْمَرِ

وَأَرَادَ إِخْفَاءَ النَدَى فَأَذَاعَهُ
لاَ يَظْهَرُ[4] المَعْرُوفُ مَا لَمْ يُسْتَرِ

بَيْنِي وَبَيْنَكَ حُرْمَةٌ مَا غَالَهَا
وَلْعُ الخُطُوبِ، وَذِمَّةٌ لَمْ تُخْفَرِ[5]

وَمَوَدَّةٌ مُزِجَتْ بِأَيَّامِ الصِبَا
وَرَأَتْ تَغَيُّرَهُ وَلَمْ تَتَغَيَّرِ[6]

يَفْدِيكَ كُلُّ جَدِيدَةٍ نَعْمَاؤُهُ
وَعْرِ السَبِيلِ إلَى العَلاَءِ مُؤَخَّرِ[7]

---

(1) ق. مط: في طيه.
(2) جاودوه: فاضلوه في الجود. نازله في الحرب: نزل كل واحد منهما في مقابلة الآخَر. يقول: إن غالبوه في الكرم أُلْفُوْهُ كحاتم في قبيلة طيء، وإن نازلوه وجدوه في باسه كعامر بن طفيل في جعفر بن كلاب.
(3) ق. ك: شَرُفَتْ أسرة... شرف.
(4) ما يظهر. ((لا يظهر المعروف ما لم يستر)): أراد أن المعروف لا يثبت لصاحبه ولا يصدق إلا إذا كان مستورًا عن الناس. ولا يخفى ما في البيت من صُوَرٍ بلاغيّة.
(5) سقط البيت وما يليه من نسخة م.
(6) يشير إلى صحبته القديمة للممدوح، وإلى أنا تعود إلى أيام الصبا. وكان كلاهما يَمْحَضُ صاحبه الود والنصح. فلم ينقطع ابن سنان عن مجالسته أو الكتابة إليه إلى آخر أيامه.
(7) يعود إلى هجاء أبي حسان الذي بدأه في البيت السادس.

٣٥- تَتَعَجَّبُ(١) الأيامُ كَيْفَ أَطَاعَهُ
قَدَرٌ وَفَازَ مَنِيحُهُ فِي المَيْسِرِ(٢)
وَعْدٌ كَمَا خَدَعَ الجَهَامُ وَبَرْقُهُ
كَذِبٌ، وَعَارِضُ مُزْنِهِ لَمْ يُمْطِرِ(٣)
عَدَّ الزَمَانُ لِئَامَهُ فَاسْتَوْقَفَتْ
تِلْكَ الخِلالُ عَلَيْهِ عَقْدَ الخِنْصَرِ(٤)
أَهْوِنْ بِهِ مَا كُنْتَ(٥) يَا ابْنَ مُقَلَّدٍ
عَوْنِي عَلَيْهِ وَكَانَ قَوْمُكَ مَعْشَرِي!
أُثْنِي عَلَيْكَ(٦) بِمَا عَلِمْتُ وَبَعْضُهُ
يُعْيِي البَلِيغَ وَإِنْ خَبَرْتَ فَخَبِّرِ
٤٠- وَإِذَا عَجَزْتُ، وَكَانَ يَقْصُرُ عَاجِزًا
شُكْرِي، فَأَعْجِبْ بِالمُطِيلِ المُكْثِرِ!
أربعون بيتًا

(1) ف: يتعجب.
(2) المنيح (كأمير) قِدْحٌ بلا نصيب. وهو، في الميسر، الثالث من القداح الغفل التي ليس لها فرض. ونص الصحاح: المنيح سهم من سهام الميسر مما لا نصيب له إلا أن يُمْنَحَ صاحبه شيئًا اهـ. والقداح الأربعة مما ليس له غُنْمٌ ولا غُرْم هي على الترتيب: المصدر، والمضعف، والمنيح، والسفيح. يريد ابن سنان أن المهجوّ وصل إلى الإمارة في غفلة من الدهر.
(3) يستشف من البيت أن المهجوّ وعد الشاعر وعْدًا ولم يفِ به.
(4) يريد: عدّ الزمانُ لئامَه فبدأ به. يقال: بفلان تُثْنى الخناصرُ، أي يبتدأ به إذا ذكر أشكالُه.
(5) ظ: ما زلت.
(6) ف. ق. ك. مط: أثني عليه.

* [٨٢]

وقال أيضًا يمدحه[1] [رمل]:

أُتُــرَى طَــيْفُكُمُ لَمَّــا سَــرَى أَخَــذَ النَّــوْمَ وَأَعْطَــى الــسهَرَا[2]

أَمْ ذَهِلْنَــا وَتَمَــادَى لَيْلُنَــا فَتَوَهَّمْنَــا العِــشَاءَ الــسحَرَا؟

مَــا لنُــومُ اللَّيْــلِ بَــلْ نَعْــذُرُهُ إِنَّمَــا طَوَّلَــهُ مَــنْ قَــصرَا[3]

إِنْ لَيِــسْنَاهُ ظَلاَمًــا دَاجِيًــا فَبِمَــا كَــانَ صَــبَاحًا مُــسْفِرَا[4]

(*) القصيدة في نسخة م ٦٤، وقد سقط منها الأبيات من ١ إلى ١٦، ووردت بتمامها في نسخة ف ورقة ٤٦ ك ٤٦، ق ٧٢، ظ ٦٥، مط ٣٢، وهي في مدح الأمير سعد الدولة أبي الحسن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ.

(1) ظ: وكتب إليه أيضا.

(2) في البيت والذي يليه ما يسمّيه البديعّيون بـ (تجاهل العارف) ويفيد التعبيرُ شدّة الشوق وطول الليل.

(3) أي إنما طوّل الليل من قصّر عن واجبه ولم يرعَ حقنا.

(4) فبما كان: الفاء هنا للسببّية.

يريد: إن صرنا في ليل دامس - ببعد الحبيب عنّا - فلأن ليلنا كان مشرقًا كالصباح بما قضينا فيه من ساعات اللهو والسرور. وهذا المعنى كثير في الشعر، ومثله قول ابن زيدون [بسيط]:

حالَت ِلفَقدِكُمُ أَيّامُنا فَغَـدَتْ سُودًا وكانَت بِكُم بِيضًا لَيالِينـا

(الديوان: ١٤٣)

٥- يَـا عُيونًـا بِـالحِمَى رَاقِـدَةً
حَـرِمَ اللهُ عَلَيْكُن الكَـرَى![1]
لَـوْ عَـدَلْتن تَـسَاهَمْنَا جَـوًى
مِثْـلَ مَـا كُنـا اشْـتَرَكْنَا نَظَـرَا
سَـلْ فُـرُوعَ البَـانِ عَـنْ قَلْبِـي فَقَـدْ
وَهِـمَ البَـارِقُ فِيمَـا ذَكَـرَا
قَـالَ: فِـي الرَّبْـعِ، وَمَـا أَحْسَبُهُ
فَـارَقَ الأَظْعَـانَ حَتـى انْفَطَـرَا[2]
مَـا عَلَـى الغَيْـرَانِ مِـنْ سُـقْيَا الحِمَـى؟
أحَـرَامٌ عِنْـدَهُ أَنْ يُمْطَـرَا؟[3]
١٠- وَإِذَا أَغْـضَبَهُ رِيكُـمُ
فَـسَقَى اللهُ الغَـضَا وَالـسمُرَا![4]
حَبَّـذَا فِيـكَ حَـدِيثٌ ظَـاهِرٌ
فَطِـنَ الـدَّمْعُ بِـهِ فَانْتَـشَرَا[5]

---

(1) ظ: يا عيونا بالغضا راقدة.
في هذا البيت والذي يليه يخاطب الحبيب.
(2) مط: ص ٣٢: حتى انقطرا، وهو خطأ مطبعي.
(3) ف: أن يمطِرا - بالبناء للمعلوم -
(4) ق. مط: فسقى الله الفضا. ظ: الفضا. والسمُرا - بضم السين المشدّدة - السمُر: من شجر الطلح، صغير الورق قصير الشوك له برمة صفراء، وخشبه جيد للسقوف - ولعل الشاعر ذكره لعلاقته بالديار - واحدته سَمُرة.
ومعنى البيت والذي قبله أن الغيران يسوؤه دعائي لديار المحبوب بالسقيا، لما يلمس في ذلك من عاطفة مشبوبة ومما أكّنه لك من حب.
(5) مط - ص ٣٢: حبذا فيك حديثا ك. ظ: فطن الدمع به فانتشرا.

خَبَّـرَ الوَاشِـي وَفِينَـا رِيبَـةٌ
تُوجِـبُ التهْمَـةَ فِيمَـا خبَّـرا

نَظَـرٌ مَـوَّهَ دَمْعًـا لَـمْ يَـزَلْ
يُفْـضِحُ الوَجْـدُ بِـهِ حَتَّـى جَـرَى(1)

يَـا (بَنِـي العَـوامِ) هَـلْ ذلكُـمُ
يَمْنَـعُ المَوْتُـورَ أنْ يَنْتَـصِرَا(2)

١٥- دُونَ نَيْـلِ الـضَّيْمِ نَفْـسٌ حُـرةٌ
وَالمَطَايَـا وَالفَيَـافِي وَالـسرَى

لَـسْتُ مَـنْ يَقْبَـعُ فِـي حَبْوَتِـهِ
يَتَمَنَّـى فِـي الأَعَـادِي القَـدَرَا(3)

يَجِـدُ العِـزَّ مِهَـادًا آمِنًـا
طَلَـبُ العِـزِّ يُـثِيرُ الخَطَـرَا(4)

---

(1) التمويه: من الماء، يقال ماهت السفينة أي دخل فيها الماء، وموّه الموضع: صار فيه الماء، وموهت النحاس وغيره: طليته بماء الذهب أو الفضة، ومن هنا موّهت الحديث أي زخرفته ولبّسته، وموّهْتُ عليه الخبر: أخبرته بخلاف ما سأل عنه. والتمويه أيضًا. التدليس والخداع. والمعنى الجمْليّ لهذه الأبيات الثلاثة التي ينتهي بها النسيب أنه حاول أن يخفي عاطفته ففضحه دمعه، وأن ما خبّر به الواشي يجلب الريبة ويوجب التهمة.

(2) بنو العوام: قبيلة من عامر بن عوف، من كلب، من القحطانية، كان قسم منها يقطن شمالي الشام (راجع تاج العروس وكمّله بمعجم البلدان). والأبيات التالية من أجمل ما قيل في الحثّ على طلب الـد.

(3) ظ: يتمنى في الأعادي الظفرا ا.هـ
قبع الرجل: أدخل رأسه في قميصه.

(4) من هنا ينتهي السقط الذي أشرنا إليه بنسخة م.
م. ظ: أمن العجز مهادا وأرى طلب...

وَهْـــوَ مَغْلُـــوبٌ عَلَـــى صَـــارِمِهِ
يَتْبَـــعُ الـــدهرَ إذَا مَـــا أَمَـــرَا

أيهَـــا الراقِـــدُ عَـــنْ نُهْزَتِـــهِ
مَـــا يَـــرُوعُ الـــسيْفُ حَتَـــى يُـــشْهَرَا[1]

٢٠- إنمَـــا قَوْمُـــكَ إنْ رُمْـــتَهُمُ
فَقْعَـــةٌ تَـــسْكُنُ وَعْثَـــا قَرْقَـــرَا[2]

شُـــنهَا فَهْـــيَ عَلَـــى عِلاتِهَـــا
تُلْـــبِسُ الجَـــو عَجَاجًـــا أَكْـــدَرَا[3]

---

(1) النُهْزة: الفرصة تجدها من صاحبك، وقولهم هو نزة المختلس: أي صيد لكل أحد. والنهزة ما كان لك معرّضًا كالغنيمة، وأصله: القرب، وعنه تفرعت كل المعاني، مثل: يناهز العشرين من عمره. وناهز الصيد: بادر فقبض عليه قبل إفلاته.

(2) ف. ق. ك. مط - ص ٣٣: إنما قومك إن رضتهمُ.

الفَقْع والفِقْع: ضرب من الكمأة رخو، وهو أردؤها وأسرعها إلى الفساد، ويشّبه به الذليل، فيقال: ((هو فقع قرقر)) و ((أذلّ من فقع بقرقرة)) لأنه لا يمتنع على من اجتناه، أو لأنه يوطأ بالأرجل.

والقرقرة: الأرض الموطوءة لا تمنع ساكنها. وأصل المعنى القرار، أي الثبوت والسكون.

الوعث: المكان السهل الدهِش تغيب فيه الأقدام، وأصله من وعْث الرمل أي ما لم يكن منه كثّيرا جدا.

(3) شنّ الغارة عليهم: بثّها وفرقها من كل وجه. والهاء في (شنها) تعود على الحرب وإن لم تذكر.

على علاتها: أي على كلّ حال. الهوينا: مصغّر الهُوَنى (مؤنث الأهون). والهوينى من الأمر: أهونه... كذلك التؤدة والرفق والسكينة والوقار.

عَلَهَــا تُــسْفِرُ عَــنْ حَادِثَــةٍ
يَــسْبِقُ الأَبْــيَضُ فِيهَــا الأَسْــمَرَا[1]

فَالهُوَيْنَــا مَرْكَــبٌ مَــا خِلْتُــهُ
يُــشْرِكُ البَــادُونَ فِيــهِ الحُــضَرَا[2]

ثَلَــةٌ هَــوَّمَ رَاعِيهَــا، فَمَــا
يَعْتَفِــي سِــرْحَانُهَا أَنْ يَعْقِــرَا؟[3]

٢٥- قَــدْ رَجَوْنَــاكَ فَــشَمِّرْ جَاهِــدًا
إِنَّمَــا يُــدْرِكُهَا مَــنْ شَــمَّرَا

وَأَبِــيِّ المَجْــدِ قَــدْ فَــازَ بِــهِ
سَــالِكٌ فِيــهِ الــسَّبِيلَ الأَوْعَــرَا[4]

مِــنْ (بَنِــي الأَجْــدَارِ) لَــوْلاَ كَفُّــهُ
سَــبَقَتْ فِي الجُــودِ(قَــيْسٌ)(حِمْيَــرَا)[5]

---

(1) م: يسبق الأبيض فيها الأشقرا. خلافا لسائر النسخ.

(2) الحُضر: الحَضَرُ.

(3) ظ تعتفي. مط: يعتفي. م: أن تعقرا. الثلة: الضأن الكثيرة، انظر ق ٦٧ ب ١٢. هوّم راعيها: نام نومًا خفيفًا. اعتفى: منع وحبس.
ومعنى هذا البيت: إذا نام الرعاة عن أغنامهم، فما الذي يمنع السراحين (الذئاب) من أن تعيث فيها فسادًا ؟

(4) ظ: وأبيّ الـد لو فاز. أبيّ الـد - من إضافة الصفة إلى الموصوف - أي ما استعصى منه.

(5) ظ: الأجرار.
قوله: من بني الأجدار: قصد به عامر الأجدار، وهو أبو حيّ من كلب، من قضاعة. والنسب عامر بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات. ولقّب عامرٌ بالأجدار لجدَرة كانت بعنقه. والجدَرة: ورمة تكون في العنق خِلقة (عن ابن الأنباري: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٤٤).

مُعْـ ــ ـسِرٌ مَـ ــ ـالاً وَمُثْـ ــ ـرٍ كَرَمًـ ــ ـا

إنمَـ ــ ـا أَتْـ ــ ـرَبَ لمـ ــ ـا أَقْتَـ ــ ـرَا[1]

مُنقِـ ــ ـذِي غُـ ــ ـرِسَ الظـ ــ ـن بِـ ــ ـهِ

ثُـ ــ م مَـ ــ ـا أَوْرَقَ حَتـ ــ ـى أَثْمَـ ــ ـرَا[2]

٣٠- مِـ ــ ـنْ كِـ ــ ـرَامٍ رَتَقَـ ــ ـتْ بِيـ ــ ـضُهُمُ

فُـ ــ ـرَجَ المَجْـ ــ ـدِ وَكَانَـ ــ ـتْ ثُغَـ ــ ـرَا[3]

أَلِفُـ ــ ـوا ظِـ ــ ـلَ العَـ ــ ـوَالِي فَبَنَـ ــ ـوْا

بِرِمَـ ــ ـاحِ الطَعْـ ــ ـنِ أَبْيَـ ــ ـاتَ القِـ ــ ـرَى[4]

وَنَـ ــ ـأى الغَيْـ ــ ـثُ فَجَـ ــ ـادُوا دِيَمًـ ــ ـا

وَدَجَـ ــ ـا الخَطْـ ــ ـبُ فَلاَحُـ ــ ـوا غُـ ــ ـرَرَا[5]

نَجْـ ــ ـدَةٌ سَـ ــ ـرْبَلَتِ الأَرْضَ دَمًـ ــ ـا

وَحَثَـ ــ ـتْ فَـ ــ ـوْقَ الـ ــ ـسَمَاءِ العَفَـ ــ ـرَا[6]

---

(1) ظ: إنما أقرب لما. أترب: كثر ماله. أقتر: قلّ ماله وضاق عيشه. قصد به: أنفقه وبذله. ومعنى عجز هذا البيت أن كرمه هو الذي جعله قليل المال، وأن غناه يكمن في بذله.

(2) مط: منتدى قد غرس - وهو تحريف -
منقذيّ: أي من بني منقذ، ومنقذ هو الجدّ الثاني للممدوح.
قوله: غرس الظنّ به.. أي نيط به الرجاء وسرعان ما تحقق هذا الرجاء.

(3) رتق الفتق: سدّه وألحمه. يصف سلف الممدوح بعلو الهمّة والعظمة والشجاعة والكرم...

(4) ظ: ألفوا ضل... برماح الد أبيات...مط، ص ٣٣: أمات القرى.
م: أبيات القُرا - بضم القاف -

(5) الغرر: النجوم.

(6) مط: سربلت الأرض وما - وهو خطأ - العفر: ظاهر التراب، والمقصود به قتام الحرب.

وَنَـ ـــوَالٌ مِـ ـــنْ أكُـ ـــف أوْجَبَـ ـــتْ

طَاعَـ ـــةَ الجُـ ـــودِ فَـ ـــصَارَتْ أبْحُـ ـــرَا[1]

٣٥- سَـــلْ بِهِـــمْ يُوشُـــكَ إذْ أرْسَـــلَهَا

كَقَنَـ ـــا الخَـ ـــط خِفَاقًـ ـــا ضُـ ـــمرَا[2]

قَادَهَـ ـــا هِيمًـ ـــا فَلَمـ ـــا وَرَدَتْ

حَظَـ ـــرَ الطَعْـ ـــنُ عَلَيْهَـ ـــا الـ ـــصدَرَا[3]

وَقْعَـ ـــةٌ إنْ نَطَـ ـــقَ الفَخْـ ـــرُ بِهَـ ـــا

فَـ ـــضَلَتْ (قَحْطَـ ـــانُ) فِيهَـ ـــا (مُـ ـــضَرَا)

وَعَلَـ ـــى (المَـ ـــرْجِ) أعَـ ـــادَتْ بِيـ ـــضُهُمْ

كُـ ـــل جَـ ـــوْنٍ في (مَعَـ ـــد) أشْـ ـــقَرَا[4]

---

(1) يريد أن أكفّهم أخضعت الجود وأوجبت عليه طاعتها، فصارت أبحرًا.

(2) ف. ق. ك. مط: سَلْ بم بوسك. م: لقنا الخطّ. مط: كقنا الخطّ ضمّرا، وقد سقطت منها كلمة (خفاقًا).

الخطّ: مواضع في سيف البحرين وعمان منها القطيف والعُقير وقطر، كانت تجلب إليها الرماح القنا من الهند فتقوّم وتباع إلى العرب. بوسك أو يوشك: لم نجده فيما رجعنا إليه من المصادر، ولذلك لم نستطع أن نجد هذه الوقعة التي يشير إليها.

(3) الهيمُ: الإبل العطاش التي يصيبها داء، فلا تروى من الماء. الصدور: ضد الورود، والصدور من كل شيء: الرجوع، وهو مصدر، والاسم منه الصدَر.

(4) ق. مط: أعادت بيضها.

مرج راهط: بنواحي دمشق، وهو أشهر المروج في الشعر، فإذا قالوه مفردًا فإياه يعنون، وبالمرج كانت الواقعة المشهورة بين قيس وتغلب سنة ٦٤ هـ/ ٨٦٥م، وفيها تغلّب مروان ومن معه من اليمانية على ابن الزبير وأشياعه من القيسّيين. معدّ: قصد به معدّ بن عدنان أبا نزار، ومنه تشعبت قبائل ربيعة ومضر (انظر ق ٣ ب ١٦).

أشْـ ـــرَعُوا فِيـ ـــهِ أكُفّـ ـــا سَـ ـــبْطَةً
علمَـ ـــتْ وَخْـ ـــزَ العَـ ـــوَالِي (زُفَـ ـــرا)(١)

٤٠- وَجِيَـ ـــادًا ظَنهَـ ـــا وَاتِبَـ ـــةً
مِطْـ ـــرَقَ القَـ ـــيْنِ أتَـ ـــارَ الـ ـــشررَا(٢)

رَهْـ ـــطُ سَـ ـــرارِ بْـ ـــنِ زَيْـ ـــدٍ ألِفُـ ـــوا
كَرَمًـ ـــا دَثْـ ـــرًا وَمَـ ـــالاً ثَرْثَـ ـــرَا(٣)

وَاسْـ ـــتطَالَتْ بِعَلِـ ـــي لَهُـ ـــمُ
دَوْحَـــةٌ لَـــمْ تَـــكُ تَـــشْكُو القِـــصَرَا(٤)

فَـ ـــشَأهُمْ وَهْـ ـــوَ مِـ ـــنْ نَجْـ ـــرِهِمُ
يَجْمَـ ـــعُ الأُفْـ ـــقُ الـ ـــسهَا وَالقَمَـ ـــرا(٥)

يَـــا أبَـــا نَـــصْرٍ دُعَـــاءً أمِـــنَ الــ ـ
ـ ـــخَطْبَ مَـــنْ كَـــانَ بِـــهِ مُنْتَـــصِرَا

---

(1) ظ: أشرعوا فيه. أشرعوا: أراد بها أعملوا. زفر بن الحارث الكلابي: كان كبير قس في زمانه، شهد (صفين) مع معاوية و (مرج راهط) مع الضحاك ابن قيس الفهري، ولما قتل الضحاك هرب زفر إلى (قرقيسيا) وبها مات.

(2) م. ظ: مُطرق - بضم الميم -. القْين: الحداد، وكل عامل بالحديد أو بالحديد والكير. وفي هذا البيت يشبه وثوب الخيل بتطاير الشرر.

(3) ظ: رهط سوّار بن زيد. سرّار بن زيد: من أسلاف الممدوح. الدثر: الكثير من كلّ شيء. الثرثر: الغزير وهو من ثرّ.

(4) ق. مط - ص ٣٤: لم تك تشكّ. بعليّ: أي عليّ بن مقلّد

(5) ظ: وهو من يخبرهم. شأهم: سبقهم. النجر: النسب والحسب والأصل والطبيعة. قوله: يجمع الأفق السها والقمرا، لا نرى الشاعر وفّق في هذا المعنى، لأن لفظ (السها) يوحي بأن من قوم الممدوح من هو جدّ مغمور، خامل الذكر لا يكاد يُرَى كهذا النجم، وهذا بطبيعة الحال لا يعجب الممدوح، ثم إنه يناقض العجز السابق الذي هو من (باب الاحتراس).

٤٥- أنــا عِنْــدَ الــذب عَــنْ أحْــسَابِكُمْ
لَجِـــبٌ عَـــب وَقَـــرْمٌ هَـــدَرَا[1]

لِـــيَ فِـــيكُمْ، عَـــنْ وِدَادٍ أَمِنَـــتْ
صَـــفْوَةُ الإِخْـــلاَصِ فِيـــهِ الكَـــدَرَا

كُـــل غَـــراءَ شَـــرُودٍ حَـــسَدَتْ
أَوَلُ الـــدهْرِ عَلَيْهَـــا الأُخَـــرَا[2]

يَجِـــدُ الركْـــبُ إِذَا أُنْـــشَدَهَا
عَبْقَـــةَ الـــرِيحِ تُنُـــوشُ الزهَـــرَا[3]

تَحْـــبِسُ العَجْـــلاَنَ عَـــنْ حَاجَتِـــهِ
وَيَـــضِيمُ الـــسمْعُ فِيهَـــا البَـــصَرَا[4]

٥٠- فَابْـــسُطِ العُـــذْرَ فَمَـــا زِلْنَـــا إِلَـــى

---

(1) ظ: لجبٌ عبٌ.
اللجب: الصوت والصياح والجلبة، وعسكر لجِب عرمرم وذو لجب وكثرة، وعب البحر كثر موجه وارتفع. القرم: الفحْل.

(2) ف. ك. ق. مط: كل عذراء. ف. ك. م. ظ: أوّل الدهر - بتشديد الواو - وأثبتنا رواية ق. قوله: كل غراء يعني كل قصيدة غرّاء. شرود: سائرة في البلاد منتشرة.

(3) ف. ق. ك. مط - ص ٣٤: إذا أنشدتا
تنوش الزهر: تتناوله وتأخذ منه.

(4) ف. ق. ك. ظ. مط: يحبس العجلانُ وما أثبتناه من نسخة م. مط: فيه البصرا.

ظ: ويصم السمع. م: ويصيمُ
ضام: ظلم. وقوله: يضيم السمع... فيها البصرا: أي جمال ما تسمعه الأذن من هذه القصيدة يفوق كل جمال تراه العين.

بَحْـ ـرِكَ الزاخِـ ـرِ نُهْـ ـدِي الجَـ ـوْهَرَا(١)

خمسون بيتًا

[٨٣] *

قال وكتب بها إلى الأمير سعد الدولة أبي الحسن عليّ بن مقلّد بن نصر بن منقذ(٢) [كامل]:

يَا إِخْـ ـوَتي مِـ ـنْ مَالِـ ـكِ بْـ ـنِ كِنَانَـ ـةٍ
حَيْثُ السُيوفُ تَطُـ ـولُ بِالأَحْـ ـسَابِ(٣)

لاَ تَـ ـسْأَلُوا عَنِّـ ـي الخَيَـ ـالَ فَإِنَّـ ـهُ
مَا زَارَنِي مِنْكُمْ فَيَعْلَمَ مَـ ـا بِـ ـي(٤)

وَاسْـ ـتَخْبِرُوا لَـ ـيْلاً رَعَيْـ ـتُ شَـ ـبَابَهُ
فَنَضَا، وَلَمْ يَنْـ ـصِلْ دُجَـ ـاهُ، شَـ ـبَابِي(٥)

سَـ ـهِرَتْ كَوَاكِبُـ ـهُ مَعِـ ـي وَبَعُـ ـدْتُمُ

---

(1) بحرك الزاخر: كرمك. والجوهر: عيون الشعر.

(*) م ٦٥، ظ ٦٧، ف ٤٧، ك ٤٨، مط ١٣.

(2) م. ظ: وكتب إليه أيضا. ف. ق. ك: قال وكتب بها إليه.
وقد أثبتنا رواية مط.

(3) تطول: يزيدُ فضلُها.

(4) ف. ك: فيعلمَ - بالنصب. م: فيعلم - بالرفع -

(5) مط: رعيتُ نجومَه ظ: فيضا ولم يَنْصَلْ عليّ شبابي.
رعيتُ شبابه: رعيت ظلامه أي قضيته ساهرًا. نضا: انقضى، من قولهم: نضا الخضاب: ذهب ونصل. وأصل التركيب في العجز: فنضا شبابي ولم ينصل دجاه (دجى الليل)

أَنْتُمْ كَوَاكِبُـهُ وَهُـنَّ صِحَابِـي[1]

أربعة أبيات

(1) ق: سهرت كواكبه معًا.

[٨٤]*

وقال يمدح الأمير سعد الدولة أبا الحسن عليّ بن مقلّد[1] [متقارب]:

دَعُوهَا تُناضِلُ بِالأَذْرُعِ
فَأَيْنَ (العَوَاصِمُ) مِنْ (لَعْلَعِ)؟![2]

وَقُودُوا أَزِمَّتَهَا بِالحَنِينِ
فَلَوْلاَ الصَّبَابَةُ لَمْ تَتْبَعِ[3]

وَيَا سَعْدُ! هَلْ لَكَ مِنْ وَقْفَةٍ
عَلَى الدارِ تَجْهَلُ فِيهَا مَعِي؟![4]

فَمَا لِي قَلْبٌ يُبِثُّ الغَرَامَ
عَلَى رَسْمِ دِمْنَتِهَا البَلْقَعِ

٥- وَلَكِنَّهُ كَانَ لَمَّا مَضَى
مع الظعن وصى إلى أدمعي

فَهُنَّ إِذَا مَا عَدِمْنَ الخَلِيطَ

(*) م ٦٥، ظ ٦٧، ف ٤٨، ق ٧٤، مط ٦٧.

(1) م. ظ: وكتب إليه أيضا.

(2) العواصم: سبق شرحه في القط. ٢ ب ٢٥. لعلع: جبل كانت به وقعة بين بكر بن وائل وتميم (الكامل لابن الأثير، ١ / ٦٥٤ - ٦٥٥)، وماء بالبادية (الأزهري)؛ وموضع بين البصرة والكوفة (ياقوت) والظاهر أنه المقصود في البيت.
يقول: اتركوها تباري بقوائمها وتجدّ في السير، فإن المسافة بعيدة بين العواصم ولعلع.

(3) يقول: احْدُوا لها وأثيروا شوقها لتغِذ سيرَها ولئلا تكِل.

(4) ظ. مط: هل لك في وقفة. الدار: الطلل. تجهل: يَسْتَخِفّك الشوق فتبكي. ومن المجاز: استجهلت الريحُ الغصن إذا حركته.

رَعَيْنَ الأَمَانَةَ فِي الأَرْبُعِ[1]

عَذِيرِيَ مِنْ عَاذِلٍ فِي هَوَاكِ
يَعِزُّ عَلَى سَوْمِهِ مَسْمَعِي[2]

كَتَمْتُ الغَرَامَ وَلَكِنْ أُتِيتُ
بِحُكْمِ الصَّبَابَةِ مِنْ مَدْمَعِي

وَأَوْدَعْتُ سِرَّكِ سَفْحَ (الغُوَيْرِ)
فَضَلَّ الوَفَاءُ عَنِ المُودَعِ[3]

١٠- وَصَارَتْ صَبَاهُ تَبُثُّ الحَدِيثَ
وَتُسْنِدُ عَنْ بَانَةِ الأَجْرَعِ[4]

وَتُقْسِمُ أَنِّي أَهْوَاكُمُ
وَلَيْسَ اليَمِينُ عَلَى المُدَّعِي[5]

وَبَرْقٌ أَضَاءَ فَلَوْلاَ السُّهَادُ

---

(1) الخليط: القوم أمرُهم واحد. يقول: رعت أدمعي الأمانة بسيلانها في الأربع.

(2) ف. ق. ك. مط: عذيري من عاذل شفّني. العذير: الحال. وعذيرك: الحال التي تحاولها مِما تُعْذَرُ عليه إذا فعلت. وقالوا: عذيرك من فلان: بمعنى هات من يعذرك، يعني إذا أوقعت به كنت معذورًا. يعزّ: يَكْرُم، وقصد استعصى. يريد: لا أعيره سمعي عندما يعذلني.

(3) م: فضل الغرام عن المودَع. ظ. ف. ك: فضل الوفاء على.

(4) هذا البيت والذي يليه مما أورده ابن الصّيرفيّ في كتابه الأفضليّات - ص ١٦٨ - وفيه: وأمست صباه تبثّ... واستشهد بهما على أنهما من الأشعار الدالة على النظر في العلوم الشرعية. وأردف بعدهما: وهذا قول أحمد بن سلمة [متقارب]:

حَلَفتَ بِأنكَ مِن حِمْيَرٍ   ولَيسَ اليَمِينُ عَلَى المُدعِي

والأجرع: المكان الواسع الذي فيه حزونة وخشونة، عن ابن الأثير (اللسان: مادة جرع).

(5) المعنى: تقسم الصبا أنّي أهواكم وليس لها أن تقسم لأنها مدّعية. يشير إلى الحديث: ((البيّنة على المدعي، واليمين على المدعى عليه)).

أَــدَل الخَيَــالُ عَلَــى مَــضْجَعِي(١)

سَــرَى وَهْــوَ فِــي الأَعْــيُنِ الــساهِرَا
تِ أَحْلَــى مِــنَ النــوْمِ فِــي الهُجــعِ(٢)

فَطَارَحَنَــا بِحَــدِيثِ (العَــذْيبِ)
وَلَكِــنْ جَزِعْنَــا وَلَــمْ يَجْــزَعِ(٣)

١٥-خَلِيلَي هَلْ ضَــل هَــادِي الــصَباحِ
أَمِ الأُفُقَــان بِــلاَ مَطْلَــعِ؟(٤)

هُمُــومٌ تُعِــينُ عَلَيْنَــا الظَــلاَمَ
فَلَــوْ صُــدِعَ اللَيْــلُ لَــمْ تُــصْدَعِ(٥)

وَدَهْــرٌ تُفَــاخِرُ أَيامُــهُ
فُــرُوعَ الكَوَاكِــبِ بِــاليَرْمَعِ(٦)

يُحَــاوِلُ ضَــيْمِي وَمِــنْ دُونِــهِ

---

(1) ف. ك. م. مط: دل الخيال. وما أثبتناه رواية ظ.

(2) سرى: سرى الخيال. في الهجع: في الأعين الهاجعة.

(3) ف. ك. مط: فطار حتى بحديث، وهو تحريف. ق: فطارحني بحديث.
طارحه الكلام: ألقاه إليه وتلقّاه منه. العذيب: مرّ شرحه في القط. (٢) ب ٦.

(4) ظ: هل ضلّ حادي الصباح.

(5) م. ظ: فلو صَدَعَ الليلُ لم تَصْدَعِ، بالبناء للمعلوم. سقط البيت من مط.
صَدَعَ الصبحُ: شق ظلمة الليل وأشرق. وصُدِعَ الليلُ: شُقتْ ظلمتُه فزال.
يقول: هي هموم شديدة تزيد من وطأة الليل ولا تزول بزواله.

(6) اليرمع: حجارة رِخْوة لّينة تنفت، وهي دقاق بيض تلمع، والواحدة يرمعة. مأخوذ من رمع الشيء: لمع. ويقال للمغموم المنكسر: تركته يفتّ اليرمع (مجاز). والفرع من كل شيء أعلاه. شّبه صروف الدهر باليرمع، والممدوح بالكواكب، واليرمع لا يثبت أمام الكواكب. والبيت من باب ((حسن التخلص)) انتقل به إلى المدح.

طِـ ـ ـ ـوَالُ الـ ـ ـ ـذوَابلِ وَالأذْرُعِ[1]

وَيَحْـ ـ ـسُبنِي طَالِبًـ ـ ـا جُـ ـ ـودَهُ

مَتَـ ـى خَـ ـدَعَتْ منـ ـةٌ مَطْمَعِـ ـي؟[2]

٢٠-أبِيـ ـتُ، وَ ـ إنْ أسْـ ـلَمَتْنِي المُنَـ ـى

إليْـ ـكَ، فَمَاطِـ ـلْ بِهَـ ـا وَامْنَـ ـعِ

وَقُـ ـلْ لِبَنِيـ ـكَ: قِلًـ ـى لِلـ ـسمَاحِ

وَجَرْيًـ ـا عَلَـ ـى الخُلُـ ـقِ الأشْـ ـنَعِ[3]

وَبُخْـ ـ ـلاً، فَلِلّـ ـ ـهِ دَر الطـ ـ ـوَى

إذَا كَـ ـ ـانَ عِنْـ ـ ـدَهُمُ مَرْتَعِـ ـ ـي!

بَلَـ ـى لـ ـ ـ (بَنِـ ـي مُنقِـ ـذٍ) مَنْهَـ ـلٌ

مِـ ـنَ الجُـ ـودِ لَـ ـوْلاهُ لَـ ـمْ أشْـ ـرَعِ[4]

هُـ ـمُ جَنَبُـ ـونِيَ بَعْـ ـدَ الإبَـ ـاءِ

إلَـ ـى خِـ ـصْبِ وَادِيهِـ ـمُ المُمْـ ـرِعِ [5]

٢٥- نَقَعْـ ـتُ بِهِـ ـمْ غُلتِـ ـي بَعْـ ـدَمَا

---

(1) مط: طوال الزوابل، وهو خطأ مطبعيّ.

(2) م: وتحسبني طالبا ظ: متى صدعت مِنّة.

(3) ظ: وحزنا على الخلق.. مط: وقل لبنيك قل للسماح.

قوله: قل لبنيك أي قل يا دهر لمن يشبهك من اللئام: قِلًى، وجرًيا، وبخلاً: مصادر تعوّض أفعالها للتوكيد. أي: أقلوا السماح، واجروا على الخلق الأشنع، وابخلوا... فإنّي أفضّل الجوع على طلب معروفكم.

(4) شَرَعَ: دخل المورد.

يعلل قبوله عطايا بني منقذ ودخوله في مواردهم بأن منهلهم متميّز.

(5) جَنَبُهُ: قاده إلى جنْبه. بعد الإباء: متعلق بالأبيات ٢٠ - ٢٤ (أبيتُ...).

عَزَفْـــتُ عَـــنِ الـــسحُبِ الهُمــعِ[١]
وَأَبلَـــجَ مِـــنْهُمْ بَعَـــوْا شَـــأْوَهُ
وَقَـــدْ فَـــاتَ شَـــارِدَةَ الأَرْبَـــعِ[٢]
فَمَـــا أَدرَكُـــوهُ وَلاَ مَـــاطَلُوا
مِطَـــالَ البَطِـــيءِ عَـــنِ الـــسْرعِ[٣]
وَلَكِـــنْ جَـــرَى سَـــابِقًا فِـــي الرهَـــانِ
وَصَـــلوْا عَلَـــى الأَثَـــرِ المَهْيَـــعِ[٤]
تُرَنحُـــــهُ هِـــــزةٌ لِلـــــسمَاحِ
عَزْتَـــهُ إِلَـــى الأَسَـــلِ الزعْـــزَعِ[٥]
٣٠- وَيَنْسُبُهُ البَأْسُ فِـي البِـيضِ فَهْــ ــ

(1) ف. ك: نقعت بم غلتي بعدهم. ظ: غرقت عن السحب، وهو تصحيف. وكذلك رواية مط: غرفت عن السحب. الهمع ج هامع من هَمَعَ الطل: سقط ثم سال. عزفت عن السحب الهمّع: صددت عن غيرهم من الأجاود.
(2) الأبلج: الأغرّ (مجاز). الشأو: الغاية؛ وشَأَوْتُهُ: سَبَقْتُهُ ؛ وفلان بعيد الشأو. شاردة الأربع: السابق من الخيل (مجاز).
(3) ظ: مطال البطيء عن السرع. البطيء من الخيل في المضمار.
المعنى: لم يدركوه ولن يدركوه.
(4) م: فضلوا على الأثر المهيع. ظ: وظلوا على الأثر... وهي رواية حسنة وجيهة.
صلى الفرسُ: تلا السابقَ من خيل الحلبة، وهو المصلّيّ أي الثاني في السباق.
طريق مَهْيَعٌ: بين منبسط، وبلد مهيع: واسع.
(5) ترنحه: قصد به: تحركه. الأسلُ في أصل معناه: نبات دقيق الأغصان تتخّذ منه الغرابيل بالعراق؛ والرماح الطويلة (على التشبيه). الزعزع: الشديد. وقصد به الصلْب.

ـ ـوَبَـيْنَ الـصوارمِ والـشرع(1)

تَطُولُ بِهِ الأَرْضُ حَتى تُظَنّ (م)
أُخْتَ المَجَرةِ فِي المَوْضِعِ

غَذاهُ أَبُوهُ بِحُبّ النَّوالِ
فلَمْ يَسْلُ عَنْهُ ولَمْ يَنْزَعِ

وعَرّقَ فِيهِ نَدى خَالِهِ
إذَا لُؤِّمَتْ دِرةُ المُرْضِعِ(2)

فَجاءَ كَما أمّلَ المَجْدُ فِيهِ
مَلِيًا يُغَارِبُهِ الأَتْلَعِ(3)

أَبا حَسَنٍ إِنّنِي فِي مَدْحِكُمْ
شَوارِدُ لَوْلاكَ لَمْ تُجْمَعِ

نَهَيْتَ عَدُوكَ عَنْ غيه
بِوَخْزِ العِتابِ فلَمْ يَسْمَعِ

وَقُلْتَ لَهُ: مَنْ يَرُومُ النُّجُومَ
بِبَاعٍ كَبَاعِكَ فَلْيَرْبَعِ(4)

أَلَسْتَ تَرَى شَمَمَ الأَكْرَمِينَ (م)

---

(1) أثبتنا رواية م. وفي سائر النسخ: وهو بين الصوارم.
الشرع: قصد به الرماح الطويلة المسددة.

(2) عرّق فيه ندى خاله: من عرّق فيه أعمامه وأخواله وأعرقوا: ضربوا إليه بعروقهم من كرَم أو لؤْم (مجاز)، وهو في الكرم أكثر، وهو المقصود في البيت. والدرة: اللبن.

(3) مليا: مليئًا. قصد به جليلاً يملأ العين، رئيسًا فائقًا غيرَه.
الغارب: الكاهل (على المجاز). الأتلع: المرتفع الطويل.

(4) فليربع: من ربع بالمكان: أقام به. ومنه على المجاز: ارْبَعْ على ظلعك، واربعْ عليك، واربعْ على نفسك: تَمكثْ وانتظِرْ.

يَهْزَأُ مِنْ أنفِكَ الأَجْدَعِ؟ (١)

حَذَارِ بَنِي مُنْقِذٍ أَنْ يَغِيـ

ـضَ بَحْرُكَ فِي بَحْرِهَا المُتْرَعِ(٢)

٤٠- فَإِنهُمُ قَرَعُوا غَايَةً

بِغَيْرِ المَكَارِمِ لَمْ تُقْرَعِ(٣)

وَأَنْتَ، كَمَا حَكَمَ اللُّؤْمُ فِيكَ،

تَلُوبُ عَلَى ذَلِكَ المَشْرَعِ(٤)

وَقَدْ غَمَرُوكَ بَبَذْلِ النَّوَالِ

فَطِرْ بِمَوَاعِيدِهِمْ أَوْ قَعِ(٥)

فَلَوْ نُسِبَتْ مُرْهَفَاتُ السُّيُوفِ

إِلَى لُؤْمِ أَصْلِكَ لَمْ تَقْطَعِ

وَآخَرُ نَازَعَنِي فِيكُمُ

وَلَوْ تُرِكَ الصِّلُّ لَمْ يَلْسَعِ(٦)

٤٥- فَرَاحَ بِغَرَّاءَ وَضَّاحَةٍ

---

(1) مط: ألست ترى شِيَمَ...

(2) ظ. م: أن يغيض آلُك. المترع: المليء الطامي.

(3) م: فإنهم قرعوا غاية... لم تقرع.

فرعوا: بلغوا، وأصل فرع: صعد. وفرْع الوادي: أعلاه.

(4) م: تلوث على ذلك... لاب حول الماء: حام عطشًا.

(5) م. ظ: فطِرْ بوعيدهم أو قَعِ.

فطِرْ بمواعيدهم أو قَعِ: افعل ما شئت، فتوعدك المتكرّر لهم لا يضيرُهُمْ.

(6) الصل: الحيّة لا تقبل الرقى. ومن المجاز: فلان صِلّ أصلال أي داهِيَة. قصد بالصل نفسه.

«ولو ترك الصل لم يلسع» أرسله مثلاً. يريد: لو تركوني ولم ينازعوني فيكم ما هجوتم. وهذا قريب من المثل العربي: «لو ترك الحرباء ما صل»، والحرباء مسمار الدرع، وصل: صوت (الميداني: ٢/١٩٩).

تَــبَلجُ فِــي عِرْضِــهِ الأَسْــفَع[١]
هِــنَ الــوَاخِزَاتِ الــتي لاَ تَــصُد (م)
عَـــــنْهن سَـــــابِغَةُ الأَدْرُع[٢]
تَــــوَافِرُ تُعْجِــــزُ طُلاَبهَـــــا
مَتَــى أُبْــغ شَــارِدَهَا يُــسْرع[٣]
إذَا مَــا دَعَــوْتُ جَمُــوحَ الكَــلاَ
مِ جَــــاءَ بمُمْتَنِــــعٍ طَيِّــــعِ[٤]
يُغَــر إذَا مَــا عَــشِينَ الظَــلاَ
مَ كَــسَفْنَ سَــنَا شُــهْبِهِ الطالِــعِ[٥]
٥٠- لَكُــمْ أَرْيُهَــا وَلأَعْــدَائِكُمْ
مَــوَارِدُ هِــنْ سُــمهَا المُنقَــعِ[٦]

(١) ف. ك. ظ: تَبلجَ، بفتح الجيم. قصد بالغرّاء الواضحة قصيدة نظمها في هجاء من عاب عليه مدح بني منقذ. الأسفع: الأسود.
(٢) مط: من الوخزات.
الوخْز: الشيء القليل من الخضرة في العذق، والشيب في الرأس. وقيل: كل قليل وخْز. ووَخَزَه بالرمح والخنجر يخزُه وَخْزًا: طعنه طعنًا غير نافذ. وهذا يتنافى مع معنى البيت.
وقيل الوخز: الطعن النافذ في جنب المطعون ؛ وعلى هذا يمكن تخريج البيت.
(٣) ظ: يعجز طلابا.
(٤) جاء بممتنع طيّع: جاء بما يمتنع عن غيري ويطاوعني كل المطاوعة. وهذا ما يسمّيه النقاد العرب بـ ((السهل الممتنع)) الذي يُطْمِعُ الناسَ فإذا راموه أعجزهم.

(٥) ظ: شهبه المطلع، وهو تصحيف.
(٦) أرت النحلُ تأري أريًا: عملت العسل. وسّميَ العسل أريًا كما سميَ المكسوب كسبًا.
نقع السم في ناب الحية: اجتمع فيه فهو ناقع. وسُم منقع ونقيع: مربى.

خمسون بيتًا

[٨٥]*

وقال يمدح الأمير سعد الدولة أبا الحسن عليّ بن مقلّد بن نصر بن منقذ [الكناني]، وكتب بها إليه يهنيه بالبرء من مرض ناله[١]، ويعتذر من تأخّره عن خدمته [كامل]:

يَا نَاقُ[٢] إِنْ أَثْرَى (العُذَيْبُ) وَرَوضَا
فَلَنَا دُيُونٌ بِالأَسِنَّةِ تُقْتَضَى[٣]

قَدْ مَاطَلَ القَدَرُ الجَمُوحُ بِوَعْدِهِ
فِيهَا وَآنَ لِمُغْمَدٍ أَنْ يُنْتَضَى

بَيْنِي وَبَيْنَ الذُلِّ عِزُّ قَنَاعَةٍ
نَبَذَ الجِمَامَ إِبَاؤُهَا وَتَبَرَّضَا[٤]

(*) م ٦٧، ظ ٦٩، ف. ك ٤٩، ق ٧٧، مط ٥٩.

(1) ظ: يهنيه بعافيته من مرض لحقه.

(2) ظ: يا ناقَ، بفتح القاف.

(3) العذيب: اسم لموضعين، مرّ شرحه ق ٢ ب ٦.
يطلب من ناقته ألاّ تخلد إلى خصب المرعى؛ لأن له ديونًا تتطلب قضاءها بالأسنّة.

(4) الجِمام جمع جُمة، وهي المكان الذي يجتمع فيه ماؤه، والجُموم - بضم الجيم - المصدر؛ يقال جم الماءُ يجُمّ ويجِمّ إذا كثر في البئر واجتمع بعدما استقي ما فيها. تبرض: تبلّغ بالقليل من العيش؛ وتبرّض الشيءَ: أخذه قليلاً قليلاً؛ وتبرض فلانًا: أخذ منه الشيءَ بعد الشيء وتبلّغ به. وكلها على سبيل المجاز. وأصله القلة، من بَرَضَ الماءُ: قلّ أو خرج وهو قليل. التبرض: الترشّف (راجع ق ١٥ ب ١١).

وَسِـنَانُ مُطـردِ الكُعُـوبِ مُثَقَـفٍ
كَالـصل صَـرحَ بِالوَعِيـدِ وَنَضْنَـضَا[1]

٥- حُـب الغِنَـى عَقَـلَ اللئَـامَ وَفَاتَـهُ
طَيـانُ أتـرَبَ بِالثنَـاءِ فَأنفَـضَا[2]

عَـصَبَ الـسرَاحَ عَلَـى بَقِيـةِ زَادِهَـا
وَقَـرَى فَـأمْحَضَ لِلـضُيوفِ وَأنحَـضَا[3]

المعنى: نبذت قناعتي أمكنةَ الغنى الذليلة وتبلغت بالقليل إباءً.

(1) النضنضة: صوت الحيّة، وحيّة نضناض ونضناضة: قلقة لا تستقر على حال لشرتها ونشاطها، والتي إذا نشت قتلت من ساعتها، والتي أخرجت لسانها تحرّكه. شبّه الرمح والسنان بالحيّة النضناض.
الصّلّ: الحيّة التي لا تنفع معها الرقية. يقال للرجل إذا كان داهية: إنه لصلّ أصلال، أي حية من الحيات. شُبه الرجل بها. قال النابغة الذبياني [بسيط]:
ماذا رُزئنا به من حيّـة ذَكَـرٍ نَضْنَاضَةٍ بِالرزايا صِـل أصْـلالِ
(اللسان مادة صلل)
يصرّح بعداوته للذلّ وببعد ما بينهما، وبأنّ له السلاحَ الذي يدفع به هذا الذلّ.

(2) ظ: وأنفضا عقل اللئامَ: ثناهم عن طلب الحمد. فاته: سبقه فلم يدركه.
الطّيان: الجائع، أراد به من قلّ ماله. أترب: استغنى وافتقر - ضدّ - والأول هو المقصود.
أنفض القوم: أرملوا أي نفذ طعامهم وزادهم، وأنفض زادَه: أفناه.
أراد: حب الغنى عقل اللئيم عن طلب الحمد، وخيرٌ منه قليل المال الذي ينفق ماله في الذكر الحسن.

(3) السراح: جمع ترخيم للسرحان وهو الذئب. محضه مَحْضًا وأمحضه: سقاه المحض؛ وأمحضه الود والنصح: أخلصه؛ وأمحض الشيء جلعه خالصا. النحض: اللحم المكتنـز كلحم الفخذ؛ ونحضت ما على العظم من اللحم وانتحضته: اعترقته وأخذت ما عليه. وليس في المعجمات أنحض كما في بيت ابن سنان.
أراد أن قليل المال ممن يمحض ضيفه القرى والودّ ويجعله في يسر من أمره

عَـــرِضْ تَـــرَاءَكَ لِلْخُطُـــوبِ وَشُـــلَّهُ
شَـــلَّ الطرِيـــدَةِ قَبْـــلَ أنْ يَتَعَرضَـــا[1]

وَٱنْبِـذْ غِنَـاكَ فَمَـا رُزِئْـتَ بِـذَاهِبٍ
لَـمْ يَبْـدُ عِنْـدَكَ نَفْعُـهُ حَتـى مَـضَى[2]

إنْ رَاعَنِـي وَضَـحُ المَـشِيبِ فَإنـهُ
بَـرْقٌ تَـأَلقَ بِـالخُطُوبِ وَأَوْمَـضَا

١٠- وَلَقَـدْ أَضَـاءَ وَأَظْلَمَـتْ أَيامُـهُ
حَتـى عَرَفْـتُ بِهَـا[3] السَوَادَ الأَبْيَـضَا[4]

وَبِجَانِـبِ العَلَمَـيْنِ شَـاكٍ سَـرهُ
أَنـي رَعَيْـتُ لَـهُ النجُـومَ وَغَمـضَا[5]

خيرٌ من الغنيِّ البخيل.

(1) شلّ: طرد وأرسل. الطريدة: ما يغير عليه العدو من نَعَم فيطرده.
تعرّض: دخله الفساد؛ أراد به: زال.

(2) الرزء: المصيبة بفقد الأعزّة، من رزأه الشيءَ: أخذه منه. والمرزّأ: الرجل يصيب الموتُ خيار أهله، والكريمُ يصيبُ الناسُ خيرَه ونفعَه.
يقول: أنفقْ مالَك في المحامد، فالمال الذي لا ينفعك إلا ببذله لا يعدّ رزيّة إن ذهب.

(3) ظ. م: عرفت به.

(4) أضاء: أي المشيب.عرفت با السواد: عرفت بالأيام سواد الخطوب.السواد الأبيض: عنى هموم الشيب. ومثل هذا الجمع بين المتضادين كثير في الشعر العربي. ومنه قول المتنبي في مدح كافور الإخشيدي [خفيف]:

تفضح الشمسَ كلّما ذرّت الشمسُ (م) بشمسٍ منيرةٍ سوداءِ

(الديوان: ١ / ١٥٨)

(5) بجانب العلمين: سياق القصيدة لا يبيّن ما يقصد بالعلمين. ولعله أراد بما (قَنَوَان): جبلين تلقاء (الحاجر)، وقد ذكر (الحاجر) سبع مرات في الديوان وفي قسم النسيب من قصائده؛ أو (علم السعْد) جبلين منيفين بينهما وبين (حِسمى) أربع ليال (ياقوت ٤ / ١٤٧: مادة العلم). وقد ذكر الشاعر

وَمُـــرَنحٍ قَطِـــنَ النـــسِيمُ بِوَجْـــدِهِ

فَـــرَوَى لَـــهُ خَبَـــرَ (العُـــذَيبِ) مُعَرِضَـــا[1]

نَــمْ وَاحْمَــدِ اللَّيْــلَ القَــصِيرَ[2] فَلَيْلُــهُ

بَــارَى الهُمُــومَ فَمَــا انْقَــضَيْنَ وَلاَ انْقَــضَى

وَسَلِ الــصباحَ وَقَــدْ أَقَــامَ (بِحَــاجِرٍ)

إنْ كَــانَ أَضْــمَرَ أَنْ يَمُــرَ عَلَــى (الغَــضَا)[3]

١٥- ذُم الزمَانُ وَمَــا وَجَــدْتُ صُــرُوفَهُ

إلا ذَلُــولاً فِــي القِيَــادِ وَرَيِــضَا[4]

صَــفَحَتْ نَوَائِبُــهُ عَــنِ (ابْــنِ مُقَلَّــدٍ)

(حِسْمى) مرتين في معرض النسيب؛ أو عنى موضعًا آخر يصعب تحديده.

(1) ف. ق. ك. مط: وعَرّضا.

(2) ف. ق. ك. مط: الليل الطويل. فليله: ليل العاشق المحب؛ قصد الشاعر نفسه.

يقول: نَمْ أيها الحبيب الرخيّ واحمدْ ليلَك القصير، فليلُ محبك بارى الهموم، فما انقضت الهموم ولا انقضى الليل.

(3) حاجر: موضع سبق شرحه في ق ٣ ب ٢؛ والغضا: أرض بديار بني كلاب؛ وواد بنجد. ولا ندري أيهما قصد.

يستشفّ من البيت بأن المشبب مقيم بالغضا والمشبب به بحاجر. والشاعر يشكو طول ليله ويلاحظ قصر ليل المحبوب. والبيت تأكيد لما قبله وتتمّة له.

(4) ذُم الزمانُ: يريد: يذمّ الناسُ الزمانَ. الرّيض من الدواب: الذي لم يقبل الرياضة؛ والصعب أوّلَ رياضته، وهو ضدّ الذلول (للذكر والأنثى)؛ والرّيض من الأمور: الذي لم يُحْكَمْ تدبيره (مجاز).

يقول: يذمّ الناس الزمان وما وجدتُ صروفه إلا صنفين: صنفًا سهلاً طيّعًا وآخر لا يذللُ إلا بصعوبة.

كَرَمًا فَكَيْفَ أَلُومُهُ فِيمَا قَضَى؟[1]

وَلَقَدْ أَلَمَّ بِهِ فَأَظْهَرَ فَضْلَهُ
وَالنَّارُ لاَ تَشْتَبُّ حَتَّى تُحْتَضَى[2]

رَاضَ الزَّمَانَ فَأَصْبَحَتْ أَخْلاَقُهُ
وَأَعَادَ صِبْغَ[3] شَبَابِهِ لَمَّا نَضَا[4]

مِنْ مَعْشَرٍ بَذَلُوا النُّفُوسَ سَمَاحَةً
وَحَمَوْا بُيُوتَ المَجْدِ أَنْ تَتَقَوَّضَا

٢٠- عَادَتْ بِهِمْ ظُلَمُ الخُطُوبِ مُضِيئَةً
وَالجَدْبُ مُوشِي البُرُودِ مَرَوَّضَا[5]

لَوْلاَ مُخَالَطَةُ الصَّوَارِمِ وَالقَنَا
مَنَعَ السَّمَاحُ أَكُفَّهُمْ أَنْ تُقْبَضَا[6]

---

(1) ظ: فيما مضى.

(2) لا تشتبّ: أراد بها: لا تضطرم ولا تيج، وهي صيغة غير موجودة في المعجمات. إنما يقال بهذا المعنى: شبتِ النارُ شبوًّا وشبا. حتى تحتضى: حتى تحتضأ، والتخفيف لغة، من حضأ النار: أوقدها؛ حرّكها لتشتعل؛ ومنه حضأ الفتنةَ والحربَ (مجاز) فحضأت: اتّقدت (يُهْمَز ولا يُهْمَز).

(3) ظ: وأعاد وضع

(4) نضا: من نضا الخِضابُ: ذهب لونه ونصل.
يقول: ذلّل الزمانَ فأبصر رُشدَه، وأعاد إليه قوةَ شبابه.

(5) ف. ك. م: موشي، بالرفع.
مثل هذا التركيب موجود في العربية إذا أمن اللبس، لأن ظُلَمَ الخطوب لا تكون أبدًا مضيئة، ولا الجدب موشّيّ البرود مروضًا. وهو تركيب مبنيّ على الحذف (عادت بهم ظلم الخطوب أنوارًا مضيئة أي مشعّة وعاد الجدب خِصْبًا...).

(6) يقول: هم متمرّسون بالحرب تعوّدت أكفهم القبض على الصوارم والقنا، ولولا ذلك لمنعها سماحهم أن تقبض ولكانتْ دائمًا مبسوطة بالبذل.

قَـــوْمٌ إِذَا اسْـــتَنْجَدْتَهُمْ لِمُلِمَّـــةٍ
مَـــلأَتْ عَلَيْـــكَ جِيَـــادُهُمْ رَحْـــبَ الفَـــضَا
الـــسُمْرُ تُـــشْرَعُ وَالـــدُروعُ تَـــصُونُهَا
سُـــحُبُ الـــسِهَامِ كَأَنَهَـــا رُسُـــلُ القَـــضَا
وَالنَقْـــعُ يُـــسْفِرُ بِـــالظِبَى فَكَأَنَـــهُ
غَـــضَبٌ تَبَـــسَمَ[1] بَيْنَـــهُ لَمَـــعُ الرِضَـــا[2]
٢٥- أَسْـيَافُهُمْ فِـي (رَاهِـطٍ) مَعْرُوفَـةٌ
مَنَعَـــتْ دَعَـــائِمَ عِـــزِهِمْ أَنْ تُدْحَـــضَا[3]
وَتَقَلَـــدَ (العُمَـــرِي)[4] مِـــنْ أَيْمَـــانِهِمْ

---

(1) ف. ك: تبسّم. ووردت بلا شكل في سائر النسخ.
(2) اللمْعة والجُمَع: نعمة الجسد وبريق لونه. شبّه لمعان السيوف في النقع بتبسّم الراضي بعد غضبه.
(3) راهط: قصد به (مرج راهط) على أميال من دمشق. كانت به آخر سنة ٦٤ وقعة عظيمة بين القيسيّة أنصار عبد الله بن الزبير وعلى راسهم الضحّاك بن قيس الفهري، وبين الكلبيّين أنصار مروان بن الحكم. دامت المعركة ٢٠ يومًا - فيما يقول ابن الأثير - وفي اليوم الأول من محرّم سنة ٦٥ قتل الضحّاك... «وقتل معه من نزار، وأكثرهم من قيس مقتلةً عظيمة لم يُرَ مثلها قط» (المسعودي: مروج الذهب: ٣ / ٨٧). ويلاحظ المؤرخون أن هذه الوقعة هي التي فرقت بين القيسّة واليمانّية وأضعفت العرب.
أن تدحض: أن تتقوّض، من الدّحض وهو الزلق.
(4) الظاهر أن الرواية الصحيحة هي «العَمْري» - بفتح العين وتسكين الميم - وأنه قصد به أبا الهذيل زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ بن يزيد بن عمرو... بن عمرو بن كلاب، العامري الكلابيّ (خزانة الأدب للبغداديّ، ١ / ٣٩٣)، أميرًا من التابعين من أهل الجزيرة وكبير قيس، شهد صِفين مع معاوية ومرْج راهط مع الضحّاك. ولما قُتل الضّحاك هرب إلى قرقيسيا ومكث با إلى أن مات حوالي سنة ٧٥. وهو القائل بعد فراره، من أبيات مشهورة [طويل]:
أتذهب كلبٌ لم تنلْها رماحُنا وتُترك قتلى راهط هي ما هيا ؟

عَارًا يَطُولُ عَلَيْهِ حَتَّى يُرْحَضَا[١]

يَا مَنْ إِذَا مَا ذَادَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ
يَوْمَ النِّضَالِ أَصَابَ لَمَّا أُنْبِضَا[٢]

خَفِّضْ عَلَيْكَ فَكَمْ ظَفِرْتَ بِغَايَةٍ
وَكَبَا وَرَاءَكَ جَاهِدٌ مَا خَفَّضَا[٣]

بَيْنِي وَبَيْنَكَ ذِمَّةٌ مَرْعِيَّةٌ
حَاشَا مَرَائِرَ عَهْدِهَا أَنْ تُنْقَضَا[٤]

٣٠- عَيْنُ الحَوَادِثِ دُونَهَا مَطْرُوفَةٌ
نَظَرَ المُحِبِّ سَلاَ وَعَاوَدَ مُبْغِضَا[٥]

فَأَصِخْ إِلَيَّ وَلِلْحَدِيثِ شُجُونُهُ
حَتَّى أُبَثَّكَ مَا أَمَضَّ وَأَرْمَضَا[٦]

(الطبريّ: ٥ / ٥٤٢، ٢ / ٤٨٤)

(1) أرحضه ورحّضه: غسله. أراد: حتى يموت.

(2) أنبض الوترَ: جذبه ثم أرسله. وأصل المعنى التحريك. يقال أنبض في قوسه: حرّك وترها فصاتت. ومن المجاز: نبض نابضه أي هاج غضبُه. وما نبض له عرقٌ عصبيّة: لم يتعصبْ.

(3) خفضْ عليك: هونْ عليك. ما خفضا: لم يألُ فيما سعى إليه.

(4) المريرة والمرير: الحبل المفتول على أكثر من طاق ن والجمع مرائر. وأصل المعنى إحكام الفتل. وفلان أمر عقدًا من فلان، أي أحكم أمرًا منه وأوفى ذِمةً. يشير الشاعر إلى الصحبة القديمة بينه وبين الأمير.

(5) عين مطروفة: أصيبت بثوب ونحوه فدمعت. وقد طُرفت عيُنه.
نظر المحب: لا تنظر إلا كما ينظر المحب.

(6) أرمضه الأمرُ: أوجعه وأحرقه، من الرمَض وهو شدّة وقْع الشمس على الرمل وغيره.

مَــا أَخْرَتْنِــي عَــنْ جَنَابِــكَ هِمَّــةٌ
وَجَــدَتْ بِــهِ مِــنَ الأَهْــوَاءِ عَنْــكَ مُعَوضَــا[١]

لَكِنَّــهُ قَــدَرٌ أَنَــاخَ رَكَــائِبِي
قَــسْرًا وَقَيَّــدَ هِمَّتِــي أَنْ تَنْهَــضَا

وَعَلِمْــتُ أَنَّــكَ كَالنَّــسِيمِ مُخَلَّــدٌ
أَبَــدًا فَلَيْــسَ يَــصِح حَتَّــى يَمْرَضَــا[٢]

٣٥- فَــاغْفِرْ لِخِــلٍّ لَــوْ أُبِيــعَ هَــوَاكُمُ
بِحَيَاتِــهِ هَجَــرَ الحَيَــاةَ وَأَعْرَضَــا[٣]

وَفِــدَاكَ صَــبٌّ بِــالثَرَاءِ[٤] مُغْــرَمٌ
بَــسْطُ البَنَــانِ[٥] عَلَيْــهِ حَتَّــى يُقْبَــضَا

نَبَــذَ الإِبَــاءَ وَإِنْ تَنَكَّــرَ حَــادِثٌ

---

(1) الجناب: الفِناء؛ الناحية أو ما قرب من محلّة القوم. الهمة: اعتناء القلب بالشيء.

(2) فليس يصح حتى يمرضا: يريد أن النسيم لا يكون نسيمًا حقيقيًا صحيحًا في تسميته حتى يمرض، أي حتى يكون عليلاً. ومن هذا المنطلق وباستغلال الاشتراك الدلالي للألفاظ أمكن الشاعرَ تشبيهُ الممدوح بالنسيم والحكم عليه بأنه مخلّد. ولا يخفى ما في البيت من الصور البلاغية المقصود إليها قصدًا.

(3) أُبِيعَ: من أباعه: عرّضه للبيع؛ وأباع أيضًا لغة في باع، حكاها ابن القطاع، وهي الأليق بالبيت على قلّتها أو ندرتها.
أراد لو استطاع أن يشتري هواكم بحياته لفعل.

(4) ظ: بالثناء.

(5) م. ظ: بَسَطَ البنانَ.
صَبٌّ بالثراء: مغرَم بالثناء البنان: الأصابع أو أطرافها.

أَلْقَـــى مَقَالِـــدَهُ إِلَيْـــهِ[1] وَفَوضَـــا
وَاسْـمَعْ شَـوَارِدَ لاَ يُمَـلُّ غَرِيبُهَـا
حَتَّـى يُمَـلَّ بِـهِ مِنَ الحَيَـاةِ وَيُغْرَضَـا[2]
قَدْ كَـانَ يُـسْهِلُ خَـاطِرِي فَكَأَنَّـهُ
سَئِمَتْ رَكَائِبُـهُ الرِّيَـاض فَأَحْمَـضَا[3]
٤٠- فِكْرٌ أَجُـودُ بِـهِ الجَمُـوحَ كَأَنَمَـا
طَبْعُ (الرضي) لَهُ[4] وَعِلْـمُ (المُرْتَـضَى)[5]

---

(1) م: فلو تنكرَ... مقالده إليكَ...

(2) م: فاسمع شوارد ف. ق. ك. مط: لا تَمَل غريبَها حتى تَمَل... وتغرضا.

الغرض: الضجر والملال؛ وقد غَرِضَ بالمقال يغْرَض. ويقال أيضًا: غرضت إليه بمعنى اشتقت. قال الأخفش: تفسيرها: غرضت من هؤلاء إليه، لأن العرب توصل بهذه الحروف كلها الفعلَ، قال الشاعر الكلابيّ [طويل]:

فمن يكُ لم يغرضْ فإنّي وناقتي بحجرٍ إلى أهلِ الحِمَـى غَرِضَـانِ
تحن فتُبدِي ما بِهَا من صبابـةٍ وأخفي الذي لولا الأسى لَقَضَانِي

(الصحاح واللسان: مادة غرض)

(3) ظ. م: يسهُلُ. أسهل: صار في السهل. أحمض الإبلَ: رعاها الحمض وهو ما ملُح وأمرّ من النبات كالرمْث والأثْل والطرفاء ونحوها. تقول العرب: الخُلة خُبز الإبل والحمضُ فاكهتُها.

(4) م: به.

(5) الرّضيّ: قصد به الشريف الرضيّ أبا الحسن محمد بن الحسين (ت ٤٠٦) شاعر مشهور. كان نقيب الطالبيين. في شعره رصانة وعذوبة. أشهر شعره (الحجازيات) و(الإخوانيات). جمع «نهج البلاغة» وله «المجازات النبوية». ولعل هذا البيت هو الذي جعل الأستاذ عز الدين التنوخي يذهب إلى أن ابن سنان «كان يتشبّه بالشريف الرضيّ في شعره» (مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: ٣١ / ٤٥٨).

المرتضى: هو الشريف المرتضى أبو القاسم، علم الهدى، عليّ بن الحسين

*[٨٦]

وقال وكتب [بها] إلى الأمير سعد الدولة أبي الحسن علي بن مقلّد ابن نصر بن منقذ من أنطاكية[1] [متقارب]:

(أَبَـا حَـسَنٍ) كَـمْ أَلُـومُ الفِـرَاقَ
وَحَظِّـي يُوجِـبُ أَنْ تَبْعُـدَا[2]

(ت ٤٣٦)، المتكلم الفقيه الأصولي المفسّر الأديب الشاعر النحويّ اللغويّ المُكْثِر، أشهر أهل زمانه علمًا وشعرًا. له تصانيف كثيرة.

(*) ظ ٧١، ف. ك ٥٤، ق ٨٤، م ٦٨، مط ٢٦.

لهذه القصيدة أهمّية في التأريخ لحياة الشاعر. إلاّ أن خلوّ المقدمة من ذكر السنة التي نظمت فيها، وغلبةَ التلميح على التصريح في أبياتها جعلا الكثير منها غامضًا. وكلّ ما نستطيع استنتاجه أو القول فيه بالترجيح أن ابن مقلّد وَفَدَ أو أُوفِدَ إلى أنطاكية لمفاداة الأسرى من العرب، ومنهم ابن سنان؛ وأن الروم ماطلوه فطالت إقامته عندهم (البيت ٨) - ولعلّهم اتّهموه بالكيد لهم أو بما يشبه ذلك (البيت ١١) - وأن الشاعر كان ينتظر بفارغ الصبر الخلاص على يده. فالقصيدة استعطاف وتوسّل.

(1) أنطاكية مدينة قديمة. أنشأها سِلُوقُوسُ الأوّل حوالي ٣٠٠ ق.م. وتعاقبت عليها الأجناس والأجيال. فتحها العرب عام ١٦ ﻫ. واستقلّ بها الطولونيون (٢٦٥ - ٢٨٨ﻫـ). ثم صارت إلى الروم إلى أن استرجعها سيف الدولة (٣٣٣ﻫـ)، ثم عادت إلى الروم. وكانت بأيديهم على عهد ابن سنان.

(2) ف. ق. ك. مط: أن يبعدا.

وَكَــمْ أَمْطُــلُ(١) النــوْمَ حَتــى أَرَاكَ
وَأَمْنَــعُ عَيْنَــي أَنْ تَرْقُــدَا !

فَقَــدْ صَــارَ لِــي فِيهِمَــا عَــادَةٌ
تُعَلِّــمُ نَــوْمِي أَنْ يَشْرُدَا

عَــذِيرِي مِــنَ الــرومِ جَــارَ الفِــرَاقُ
عَلَــيَّ بِحُكْمِهِــمُ وَاعْتَــدَى(٢)

٥- دَعَوْتُــكَ مِــنْ أَرْضِــهِمْ عَانِيًــا
فَنَــاهَلْتَنِي ذَلِــكَ المَــوْرِدَا(٣)

وَأَوْثَقْــتَ نَفْــسَكَ حِرْصًــا عَلَــيَّ (م)
حَتــى عُــدِمْتَ(٤) بِــأَنْ أُوجَــدَا

فَلاَ كَانَ وَعْــدُهُمُ ! مَــا أَغَثَّ(٥) (م)

---

(1) ظ: أُمطِلُ.

(2) العذير: النصير؛ الحال. وعذيرك: الحال التي تحاول مما تُعذر عليها إذا فعلتَ.
قال عمرو بن معد يكرب [وافر]:

أريد حياته ويُريد قتلي   عذيرَك مِن خليلك من مُرادِ

(أساس البلاغة: المادة عذر)

ومعناه: هلم من يعذِرك منه إن أوقعتَ به، يعني أنه أهل للإيقاع به، فإن أوقعتَ به كنت معذورًا. وتقول ((عذيري من فلان)): تريد به طلب العذر من الناس إن بطشتَ به.

فالعذير في هذه الأمثلة بمعنى العاذر، من فعيل بمعنى فاعل.

(3) العاني: الأسير، من عنا يعنو: خضع وذلّ. ويقال: عنا فيهم فلانٌ أسيرًا، أي أقام فيهم على إسارة واحتُبس (الصحاح).

(4) ظ. م: حتى عَدِمْتَ...

(5) ما أرث.

فِيـ ـــهِ البِطَـ ـــالَ وَمَـ ـــا أبْـ ـــرَدَا ![1]

لَعَـ ـــلَ مُقَامَـ ـــكَ هَـ ـــذَا الطويِـ ـــلَ

يَكُـ ـــونُ لَحَيْـ ـــنِهِمُ مَوْعِـ ـــدَا

فَتُخْـ ـــرِجَ بَطْـ ـــرَكَهُمْ مُـ ـــسْلِمًا

وَتَجْعَـ ـــلَ قُـ ـــسْيَانَهُمْ مَـ ـــسْجِدَا[2]

١٠- وَيَعْلَـ ـــمَ حَـ ـــازِمُهُمْ[3] أنَّهُـ ـــمْ

أثَـ ـــارُوا بِـ ـــكَ الأسَـ ـــدَ المُلْبِـ ـــدَا[4]

وَأنَّـ ـــكَ جِئْـ ـــتَهُمْ مُـ ـــصْلِحًا

فَـ ـــصِرْتَ[1] بِجَهْلِهِـ ـــمُ مُفْـ ـــسِدَا

---

(1) الأبيات ٥ - ٧ تبيّن أن القصيدة نظمت وابن مقلّد عند الروم بأنطاكية أو خارجها.

(2) البطرك والبطريك والبطريرك: لفظ عبريّ الأصل، ومعناه: ربّ الأسرة. أخذه الرومان عن اليونان، واليونان عن السفر القديم. تُوُسع في دلالته فصار يعني رئيس رؤساء الأساقفة على أقطار معّينة أو في طائفة من الطوائف المسيحية عند النصارى. وكان بأنطاكية آنذاك بِيمَارِسْتَانٌ مشهور يراعي البطريك فيه المرضى بنفسه.

قسيانم: أراد بيعة القسيان، وكانت بوسط المدينة، مدينة أنطاكية. وصفه ياقوت بأنه ((هيكل طوله مئة خطوة وعرضه ثمانون، وعليه كنيسة على أساطين، وكان يدور الهيكلَ أرْوِقةٌ يجلس عليها القضاة للحكومة ومتعلمو النحو واللغة...)) (معجم البلدان: المادة أنطاكية).

(3) ظ: جارهُم.

(4) الملبد: من اللّبد وهو كلّ ما تلبد من شعر أو صوف. ومنه لِبْدَة الأسد: الشعر المتمع على زبرته المتراكب بين كتفيه. واللابد الأسد، وهو أبو لُبد ولِبَد. والملبد مجاز. ويقال: لَبَدَ بالمكان: أقام ولزق، وألبد فهو مُلْبِد (مجاز).

وَإِنْ طَلَبُوا مِنْكَ عَوْدَ البِلادِ[٢]
فَقَدْ لَحِقَ الأَوْ رَبُ الأَبْعَدَا

وَإِنْ حَاوَلُوا بِكَ سَبْرَ الجِرَاحِ
فَقَدْ شَرَعَتْ فِي العِظَامِ المُدَى[٣]

وَخُبِّرْتُ قَوْمَكَ ظَنُّوا نَوَا
كَ عِنْدَهُمُ أَبَدًا سَرْمَدَا[٤]

١٥- فَأَسْرَفَ إِدْلالُهُمْ فِي الجَفَاءِ
وَجَاءَ يَفُوقُ الَّذِي عَوَّدَا[٥]

وَإِنْ لَمْ تَكُنْ صَافِحًا عَنْهُمُ
فَمِنْ أَيْنَ صِرْتَ لَهُمْ سَيِّدَا؟[٦]

أَبُوكَ أَبُوهُمْ وَلَوْلا الرِّضَا

---

(1) ف. ق. ك. مط: فَكُنْتَ.

(2) عود البلاد: العود إلى البلاد (على حذف الجارّ).

(3) شرعت: شقتْ، من شرع الإهابَ: سلخه فشق ما بين رجليه، ولم يجعله زقًا.

يقول: وإن حاولوا بمماطلتهم لك معرفة مقدار صبرك على أذاهم، فقد جاوزوا الحد.

(4) السرمد: الدائم الذي لا ينقطع.

(5) الإدلال: من أدلّ عليه: وثق بمحبّته وصحبته فافرط عليه.

(6) كأنه ينظر في هذا البيت إلى قول المقنع الكنديّ [طويل]:

ولا أحمِلُ الحِقدَ القَدِيمَ عَليهمُ وليسَ رَئيسُ القَومِ مَن يَحمِلُ الحقدا

(الشعر والشعراء ص ٧١٦)

ءُ مَـ ــا وَ ـ ــضَلَ القَمَـ ــرُ الفَرْقَـ ــدَا[1]

لَــكَ الخَيْــرُ، عِنْــدِيَ دَاءٌ مَرِضْــتُ

فَكُنْـ ـ ـ ـتُ أُكَاتِمُـ ـ ـ ـهُ العُـ ـ ـ ـودَا

وَفَــن هِــنَ الوَجْــدِ مَــا أَسْـتَعِينُ

بِغَيْـ ــرِكَ مِـ ــنْ حَـ ــرِهِ[2] مُـ ــسْعِدَا

٢٠- أُرِيـ ـدُ لِيَكْـ ـتَمَ[3] وَالوَاسِـ ـطِي

يَفْـ ـ ـ ـضَحُهُ كُلَمَـ ـ ـ ـا غَـ ـ ـ ـرَدَا[4]

نَـ ـدِمْتُ كَمَـ ـا نَـ ـدِمَ البُحْتُـ ـرِي

وَزِدْتُ عَلَيْـ ـ ــهِ بِبُعْـ ـ ــدِ المَـ ـ ــدَى[5]

---

(1) الفرقد: واحد الفرقدين، وهما كوكبان في بنات نعش الصغرى قريبان من القطب يهتدي بها السفْرُ.

لولا الضياء: شبه الصفح والحِلم بالضياء وبنى عليه البيت.

(2) ظ: من جوره.

(3) ك: لَيَكْتُم - بالبناء للمعلوم -... يُفْضِحُهُ. لِيَكْتُم: أن يكتم.

(4) الواسطي: الظاهر أنه قصد به أحد المغنّين؛ أو معاصرَه أبا الجوائز الحسن بن عليّ ابن محمد بن بارى الكاتب الواسطيّ (ت ٤٦٠). ذكره الخطيب البغداديّ في تاريخه. قال: ((وعلّقْتُ عنه أخبارًا وحكايات وأناشيدَ وأماليَ عن ابن سكرة وغيره. وكان أديبًا وشاعرًا حسن الشعر في المديح والأوصاف وغير ذلك)) (تاريخ بغداد ٧ / ٣٩٣)؛ (وابن خلكان: الترجمة رقم ١٦٥).

وقد يكون قصد به ابن التمّار الواسطيّ. قال عنه الثعالبيّ: ((شعره يتغّنى بأكثره ملاحة ورشاقة. وإنّما كان يقوله تطرّبًا لا تكسّبًا. أو أبا طاهر الواسطيّ المعروف بِبِيدُوك. وله غزل رقيق. (يتيمة الدهر ٢ / ٤٣٥ - ٤٣٧، الرقمان: ١٢٨، ١٢٩).

(5) الظاهر أنه يشير إلى ما يروى من أن البحتريّ كان له غلام روميّ، يقال له نسيم وهبه له محمد بن عليّ القمّيّ، فاشتراه منه إبراهيم بن الحسن بن سهل، فلمّا خرج من يديه ندم عليه ندمًا شديدًا، وقال فيه شعرًا كثيرًا.

وَدُونَ هَوَايَ وَلاَ لَوْ سَرَى

نَسِيمُ الرِّيَاحِ بِهِ مَا اهْتَدَى

فَهَلْ عِنْدَ رَأْيِكَ مِنْ حِيلَةٍ

تُغِيثُ بِهَا[1] هَائِمًا مُفْرَدَا؟

فَقَدْ طَالَ مَا أَنْقَذَتْنِي يَدَاكَ

وَقَدْ عَلِقَتْ بِي حِبَالُ الرَّدى

٢٥- وَحَمَّلْتَ مَالَكَ مَا لاَ يُطِيقُ[2]

فَكُنْتَ عَلَى عُسْرِهِ أَحْمَدَا

ومن ذلك قوله مخاطبًا إيّاه [طويل]:

فقبلك بان (الفتحُ) عنّي مودعا — وفارقني شفعًا له (المتوكل)
فما بلغ الدمعُ الذي كنتُ أرتجي — ولا فعل الوجدُ الذي خلتُ يفعلُ
وما كل نيران الجوى تُحرِق الحشا — ولا كل أدواءِ الصبابةِ تَقْتُلُ
لعل (أبا العباس) يرضَى أميرُه — فيقربَ منا ما نرومُ ويَسْهلُ

(الديوان ص ١٨٩٣)

ولم ينقطع عن نظم الشعر فيه وعن استهدائه، حتى أحوج إبراهيمَ إلى ردّه= = عليه، فمدحه برائيّة هي القصيدة ٣٥٠ في الديوان. وقد رويت القصة بروايات مختلفة بعض الاختلاف (يرجع إلى الديوان: القصائد رقم ٢٢١، ٥٨١، ٧٦٥، ٧٨٧؛ والأغاني: ١٨ / ٣٩٨؛ ومعاهد التنصيص: ١ / ٢٣٩؛ ووفيات الأعيان: ٥ / ٧٩) وقد أشار ابن نباتة المصريّ إلى هذه القصة، قال [وافر]:

وأُعذَرُ إن بكيتُ على (رياضٍ) — بُكاءَ البُحتري على (نسيم)

(معاهد التنصيص: ١ / ٢٣٩)

(1) تعين بها.

(2) م: وحملتُ - بضم التاء -... فكنتُ.

ق: ما لا يطاق. ظ: ما تطيق.

وَوَاللهِ لاَ شِمْتُ غَيْثًا سِوَاكَ

فَإِمَّا نَدَاكَ وَإِمَّا الصَّدَى[١]

ستة وعشرون بيتًا

---

(1) الصدَى: قصد به الهلاك.

*[٨٧]

وقال وكتب بها إليه في صباه[1]، وقد أبل من مرض ناله [طويل]:

وَقَتْكَ صُرُوفُ الدهْرِ (يَا ابْـنَ مُقَلَّـدٍ)
وَلاَ زِلْـتَ تَـدْعُو سَـعْدَهَا فَتُجِيـبُ![2]

وَرَاحَـتْ رَزَايَاهَـا عَلَيْـكَ شَـفِيقَةً
كَـأَن الخُطُـوبَ الطارِقَـاتِ قُلُـوبُ![3]

وَلاَ صَـحِبَتْ كَفَـاكَ غَيْـرَ صَـوَارِمٍ
لَهَا فِي صُـدُورِ[4] الـدارِعِينَ وَجِيـبُ![5]

(*) ظ ٧٢، ف. ك ٥٥، ق ٨٥، م ٦٩، مط ١٣.

(1) وعلى هذا تكون المقطوعة من بواكيره، فهي لا تعدو حدود عام ٤٤٠ هـ في ظنّنا. وأسلوب ابن هانئ الأندلسي واضح فيها، مما يدلّ على أن الشاعر لم يتحرّر من مطالعاته.

(2) مط: ولا زلت تدعى سعدها فتجيب. وهذه الرواية أقرب إلى المعنى، لأنا تشير إلى لقب الأمير الممدوح عليّ بن مقلّد (سعد الدولة). م: فيجيب - بالياء -

(3) يدعو له بلطف الأقدار، بأن يكون للخطوب قلوب تحمل الشفقة عند وفودها، وهذا منتهى الحب للأمير.

وفي البيت ما يسمّيه البلاغيون (مراعاة النظير) أو (التوفيق)، لجمعه (الشفقة) إلى ما يناسبها من نوعها، وهو (القلوب).

(4) م: في قلوب.

(5) الدارعون: لابسو الدروع. الوجيب: الخفوق والاضطراب.

تُنفِّرُ عَنْكَ النائِبَاتِ كأنَّهَا
عَوَانٍ وَبِيضُ المُرْهَفَاتِ مَشِيبُ[1]

٥- فَقَدْ زَالَ دَاءٌ كُنْتَ فِيمَا أَمَاطَهُ
كَمَا ثُقِفَ الخَطِّيُّ وَهْوَ صَلِيبُ[2]

وَقَدْ يُصْقَلُ الهِنْدِيُّ وَهْوَ مُذَرَّبٌ
وَيُمْسَحُ عِطْفُ الطِّرْفِ[3] وَهْوَ أَدِيبُ.

ستة أبيات

---

(1) شبّه النائبات النافرة من الصوارم بالغواني تنفر من المرء ذي الشيب. وهذا المعنى يتردّد كثيرًا في الشعر، ومنه قول علقمة الفحل [طويل]:

فإنْ تَسألُوني بالنساءِ فإنّني — بَصيرٌ بأدْواءِ النساءِ طَبِيبُ
إذا شابَ رأسُ المَرءِ أو قلّ مالُهُ — فلَيسَ لَهُ مِن وُدهِن نَصِيبُ
يُرِدْنَ ثراءَ المالِ حيثُ وَجَدنَهُ — وشَرخُ الشبابِ عِندَهُن عَجِيبُ

(الأبيات ٨ - ١٠ من المفضلّية ١١٩ - المفضلّيات)

(2) ثقف الرمح والعود: قوّمه. الخطّيّ: الرمح. انظر ق ١٥ ب ٤١.
الصليب: الشديد ذو الصلابة. الطِّرف من الخيل: العتيق الكريم (مجاز).
والأديب من الخيل والإبل: المروّض المذلّل.

(3) ظ: ويسمح عطف المرء.

[٨٨]*

وقال فيه أيضًا [كامل]:

أغنى[١] جَزِيلُ نَدَاكَ (يَـا بْـنَ مُقَلَّـدٍ)
شُكْرِي وَقَـصرَ عَنْـكَ جُهْـدُ ثَنَـائِي
وَصَفُوا بَيَـاضَ يَـدِ الكَلِـيمِ بِمُعْجِـزٍ
فِيهِ وَكَـمْ لَـكَ مِـنْ يَـدٍ بَيْـضَاءِ[٢]
وَاسْـتَطْرَفُوا إِحْيَــاءَ عِيــسَى مَيِّتًــا
فَــرْدًا وَجُــودُكَ بَاعِــثُ الفُقَــرَاءِ[٣]
وَرَأَوْا وَقَـدْ طَلَـعَ الـسمَاءَ (مُحَمـدٌ)
عَجَبًا وَقَـدْرُكَ فَـوْقَ كُـلِّ سَـمَاءِ[٤]

أربعة أبيات

(*) ظ ٧٣، ف. ك ٥٥، ق ٨٦، م ٧٠ ورد منها بيتان (٢ - ٣) في الأفضليات لابن الصيرفي، ص ٤١.

(1) ف. ق. ك: أعيا.

(2) الكليم: موسى عليه السلام، والبيت مقتبس من عدّة آيات، منها ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَاظِرِينَ﴾[الأعراف:١٠٨].

(3) في البيت إشارة إلى الآية ﴿وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩] قال ابن الصيرفي في الأفضليات ص ٤١ عن البيت والذي قبله: إنما من ملح التورية.

(4) طلع السماء محمد: يشير إلى المعراج، ومثل هذه المقارنات كثير في الشعر العربي مع أن فيها تاونًا بالدين، فقد شّبه جرير عمر بن عبد العزيز بموسى عليه السلام (ديوانه ص ٢٧٥)، والحجاج بن يوسف بود عليه السلام (ديوانه ص ١٢٠)، وأيوب بن سليمان بنوح عليه السلام (ديوانه ص ٣٥). وكذلك فعل الفرزدق مع عبد الملك وابنه سليمان (ديوانه ص ٧٠٥)، بل فضّل يزيد بن عبد الملك على الرسول ﷺ (ديوانه ص ٢٠٤)، وكان شعراء الرشيد يكثرون من تشبيهه بالرسول محّمد حتى ضاق بذلك - ابن واصل الحموي: تجريد الأغاني ٣/ ١٤٨٢. ومثل هذا كثير يطول ذكره.

[٨٩] *

وكتب إليه الأمير أبو الحسن عليّ بن منقذ [طويل]:

عَدَتْنِي عَوَادٍ مِنْكَ[1] (يَا ابْـنَ مُحَمَّـدٍ) ... تَأَوَّبَنِي مِنْ لَـذْعِهَا نَـازِحُ الـنُّكْسِ[2]

وَلَمْ أَلْقَ فِي يَـوْمِي سُـرُورًا يُجِيرُنِـي ... مِنَ الهَم إِلا بَتَّ مَا كَانَ فِـي أَمْـسِي[3]

فَإِنْ عَاقَ دَهْرٌ عَنْكَ مُثْـرٍ مَـنِ الـذِي ... تُبَاعُ لَهُ الأَوْطَـانُ بِـالثَّمَنِ الـبَخْسِ؟[4]

وَخَـادَعَ بِـالقَوْمِ[5] الـذِينَ دُنُـوهُمُ ... يُبْعِدُكَ عَنْ عَيْنِي بَغِـيضٌ إِلَـى نَفْـسِي

فَلَـمْ أَوْتَـنِ الأَبْـدَالَ مِنْـكَ وَإِنَّمَـا ... قَنِعْتُ إِلَى المِلْحِ الأُجَاجِ مِنَ الخِمْـسِ[6]

خمسة أبيات

(*) ظ ٧٣، ف. ك ٥٥، ق ٨٦، م ٧٠، مط ٥٨.

(1) م. ظ: منك.

(2) العادية: الشغل يَعْدوك عن الشيء والج العوادي، وهي الصوارف. يقال: عَدَتْني عوادٍ عن كذا: صرفتني صوارفُ.تأوّبه وتأيّبه: أتاه ليلاً. نزح: بُعُدَ فهو نازح. والنكْس: معاودة المرض، من نُكِسَ في مرضه: عاوده المرض (مجاز).
يقول: صرفتني عنك أمور جسيمة أدخلت عليّ الهم، وأصابني منها الداء الذي كنت شفيت منه.

(3) م: في أمسِ

(4) ((من الذي..)): يريد أن ثمن الأوطان غال. وخلوّ جواب الشرط من الفاء غير مفهوم لدينا.

(5) ظ: القول.

(6) الأجاج: كل ما يحرق الفم من حارّ ومرّ ومِلْح. الخِمْس: من أظماء الإبل، وهو - في أشهر معانيه - أن ترعَى ثلاثة أيام وَترِدَ الرابعَ، وهو الخامس من شربا الأوّل، والجمع أخماس. والإبل خوامس.
يريد: لم أستبدل غيرك بك، إنما شغلتني عنك ظروف قاهرة.

[٩٠] *

وكتب إليه الأمير أبو الحسن أيضًا[١] [خفيف]:

كَيفَ أَشْكُو مِنْكَ الجَفَـاءَ وَمَـا لِلـْ
ـمَجْدِ فَـرْعٌ إلا عَلَـى أَعْـوَادِكْ![٢]

أَوْ أُناجِيـ ـكَ بِالقَطِيعَـ ـةِ وَالعَلْـ ـ
ـيَاءُ مِمـنْ يُعَـدُ[٣] فِـي حُـسادِكْ؟

غَيْـ ـرَ أنـ ـي أذُم دَهْـ ـرًا رَمَـ ـانِي
فِيكَ حَتى أَخْلَلْتَ بِـي[٤] فِـي بِعَـادِكْ

وَتَـصَامَمْتَ عَـنْ نِـدَايَ بِـلاَ وَقْـ ـ
ـرٍ فَيَـا لَيْـتَ أننِـي لَـمْ أُنَـادِكْ![٥]

أَحْمَــدُ اللهَ أن أَمْــرًا مِــنَ الحَــا
جِ يَـسِيرًا أَضَـاءَ مَـا فِـي فُـؤَادِكْ

لَمْ تَكِلْنِـي[٦] إلَيْـكَ فِـي حَـادِثٍ لاَ
يُتَخَطـــى إلا عَلَـــى إسْـــعَادِكْ

ستة أبيات

(*) ظ ٧٤، ف. ك ٥٦، ق ٨٧، م ٧١، مط ٣٠.

(1) هو الأمير سعد الدولة أبو الحسن عليّ بن المقلّد الكناني حاكم شيزر. ويلاحظ المزاح في هذه المقطوعات المتبادلة بينه وبين ابن سنان.

(2) ظ: عُوادك.

الأعواد: واحدها العُود - بالضمّ - من الخشب، والعود أيضًا الذي يضرب به، والعُود: الذي يتبخر به. وفي العبارة تورية حسنها المزاح.

(3) اعتمدنا رواية ظ: ممن يعد - بالياء -

استعمل ((من)) لأنه استعار للعلياء روحًا وحسا وعاطفة، فجعلها قادرة على الحسد.

(4) ظ: أخللت في إبعادك. ق: أحلت في بعادك

(5) الوقر: ثقل في الأذن، أو ذهاب السمع كله - وكلا المعنيين على المجاز.

(6) ما أثبتناه من م، وفي سائر النسخ: لم يكلني.

فأجابه[1] [خفيف]:

لَـــسْتُ أَخْـــشَى تَغَيُـــرًا فِـــي اعْتِقَـــادِكْ
بَعْـــدَ عِلْمِـــي بِمَوْضِـــعِي مِـــنْ فُـــؤَادِكْ

أَحْجُــــبُ الـــوَارِدِينَ عَنْـــهُ فَـــلا[2] آ
ذَنُ مِـــــــنْهُمْ إِلا لِـــــــصَافِي وِدَادِكْ

وَأَرَى كُـــلَ مَـــا تُجِـــن فَمَـــا أَتـــ
ـرُكُ شَـيْئًا يُخَـافُ مِـنْ أَحْقَـادِكْ[3]

وَالْتِمِسْ مَـــنْ يَرُوعُـــهُ ظَـــاهِرُ القَـــوْ
لِ وَيَخْفَـــى عَلَيْـــهِ سِـــر مُـــرَادِكْ[4]

٥- لاَ مُطِــلاًّ عَلَــى ضَــمِيرِكَ قَــدْ ذَلَ (م)
لَـــهُ فِـــي هَـــوَاكَ صَـــعْبُ قِيَـــادِكْ

يَـــأْمَنُ الحَاسِـــدِينَ فِيـــكَ إِذَا فَكـــ
ـــرَ فِـــي صَـــفْوِ وُده وَسَـــدَادِكْ

وَبُعْـــد العِتَـــابَ مِنْـــكَ وَإِنْ أَســـرَفَ
ـرَفَ عَمْـزَ[5] الثقَـافِ مِـنْ إِرْشَـادِكْ

مِنـــةٌ مِـــنْ فُنُـــون بِـــركَ لاَ تُـــو
جِـــبُ إِلا المَزِيـــدَ مِـــنْ إِحْمَـــادِكْ[6]

ثمانية أبيات

[٩١] *

---

(1) أي أجابه ابن سنان.

(2) ما أثبتناه من م، وفي سائر النسخ: ولا.

(3) أجن الشيء في صدره: أكنه وواراه.

(4) يريد: التمس غيري مِمن لا يعرفك لتخيفه بظاهر القول، فقد علمتُ صفاء قلبك فلا أخشاك.

(5) ما أثبتناه من م، وفي سائر النسخ غمر - بالراء - الثقاف: حديدة أو خشبة مع القواس والرماح يقوم بـا المعوجّ. غَمَزَهُ الثقافُ: عضه.

(6) أحمده: رضي فعله وتصرفه.

وقال وكتب بها إلى الأمير أبي الحسن علي بن منقذ (الكناني) [خفيف]:

يَــا نَــسِيمَ الــصَبَا تَحَمــلْ وَمَــا زِلــْ ـــتَ مُعَنــى فِــي خِدْمَــةِ العُــشاقِ[1]

حَاجَــةً خَــف حَمْلُهَــا وَلَهَــا مَــن (م) ثَقِيــلٌ يَبْقَــى عَلَــى الأَعْنَــاقِ

وَتَعَــرضْ بِمَنْــزلٍ فِــي (كَفَــرْ طَــا بَ) كَــثِيرٍ[2] الــزوارِ وَالطــراقِ[3]

حَيْثُ تُــستَطْلَقُ[٤] المُنَــى مِــنْ يَــدِ الــدهْـ ـــرِ وَتُبْغَــى نَــشَائِدُ الأرْزَاقِ

(*) ظ ٧٤، ف. ك ٥٦، ق ٨٨، م ٧١، مط ٧٧.

(1) يدعو النسيم لحمل تحيّته إلى الأمير، وهي طريقة شائعة كثيرًا في الشعر العاطفي.

(2) مط: بمنـزل لبني منقذ جمّ الزوار.

(3) قوله: وتعرّض لمنـزل، عنى به منازل بني منقذ بكفر طاب، على الطريق إلى حلب، وبها قبر مخلّص الدولة مقلّد بن نصر بن منقذ والد الممدوح الذي مضى رثاء ابن سنان فيه في القصيدة التي مطلعها:

حَبْتـكَ الـسماءُ بأمطارهـا وكيف تَضِن علـى جارهـا

كَفَرْطَابُ: بلدة بين المعرّة ومدينة حلب، وفيها يقول أبو عبد الله محمد بن سنان الخفاجي (مخلع البسيط):

بالله يـا حـادي المطايـا بـين حُنـاك وأرضايـا

عرّج على أرض (كَفَرْطَـابٍ) وحيهـا أحسن التحايـا

واهدِ لها الماء فـهي ممـن يفـرح بالمـاء والهدايـا

(معجم البلدان - كفرطاب)

وحُنَاكُ: حصن كان بمعرة النعمان وكان حصنًا مكينًا، خربه عبد الله بن طاهر سنة ٢٠٩ هـ فيما خرب من حصون الشام لما عصى نصر بن شبث، وشعراء المعرة يكثرون من ذكره في غزلهم.

(4) آثرنا رواية م، وفي سائر النسخ: يستطلق - بالياء -، وفي ظ: كيف يَستَطلق..

فاقْرِ[1] مِني لَهُ السلامَ فَقَدْ قِيـ
ـلَ «بَلاغُ السلامِ بَعْضُ التلاقِي»[2]

ثُمَّ قُلْ: يَا بَنِي كِنَانَةَ مَا أَسْـ
ـرَعَ مَا حُلْتُمُ عَنِ المِيثَاقِ![3]

لَوْ وَفَيْتُمْ وَاصَلْتُمُونَا عَلَى عَهْـ
ـدٍ وَكَانَ اتفَاقُنَا بِاتفَاقِ

لاَ بِأَمْرِ السلْطَانِ قَسْرًا إِذَا اسْتَدْ
عَى (بَنِي جَعْفَرٍ) إِلَى الإِنْفَاقِ[4]

أَوْ بِحُكْمِ المُوَدِّعِينَ إِذَا عَنَّ
لَهُ أَنْ يَسِيرَ نَحْوَ العِرَاقِ

كَلَفٌ يُخْجِلُ القُلُوبَ بِدَعْوَا
هُ وَشَوْقٌ عَارٍ عَلَى الأَشْوَاقِ[5]

---

(1) ف. ك: فاقرَ - بفتح الراء -

(2) هذا العجز للشريف الرضي من قصيدة نظمها في الحنين والاشتياق وأولها [خفيف]:

أيها الرّائحُ المُغِذ تحمّلْ حاجةً لِلمُعَذبِ المُشتاقِ
أقْرِ عَني السلامَ أهلَ المُصَلى وَبلاغ السلامِ بَعدَ التّلاقِي

(ديوانه ٢ / ٧٩)

ورواية ابن سنان أبلغ ونظنها الأصحّ.

(3) بنو كنانة: قوم الممدوح المعاتَب، من إطلاق الكل وإرادة البعض.
أحال الغريم بدَينه على آخر: صرفه عنه إليه.
أراد: إن لياليك المقبلة عليك لا تستجيب لك فيما تطلب منها، إنما تحيلك على أيام شبابك التي قضيتها في الفراق. وبعبارة أخرى: ما لم يحقق في الصغر لا يحقق في الكبر.

(4) بنو جعفر: قوم عليّ بن مقلد.

(5) ظ: كُلَفٌ تَخْجَل... وشوقٌ عارِ منَ...

وَاحْتِرَاقٌ فِـي العَقْـلِ قَـدْ كَـادَ أنْ يمـ ـْ
ـ ـزُجَ عِنْــدِي إِخْلاَصَــكُمْ[1] بِالنفَــاقِ

ثُـ ـم يَـ ـا صَــاحِبَ الجِنَايـ ـةِ مِـ ـنْهُمْ
قَـدْ لَقِينَـا فِـي البُعْـدِ مَـا لَـمْ تُـلاَقِ[٢]

كَيْــفَ تَرْضَــى بِمُقْلَــةٍ تَــأْلَفُ الــنـ
ـ ـوْمَ وَدَمْـعٍ يُـصَانُ فِـي الآمَـاقِ؟![٣]

وَزَمَـ ـانُ الــصبَا يَمُــ ـر وَقَــدْ أنـ ـْ
ـ ـ ــفَقَ أيامَــ ــهُ زَمَــ ــانُ الفِـ ــرَاقِ

١٥- وَاللَيَالِي تَمْـضِي سِـرَاعًا وَمَـا يُقْـ ـ
ـ ــبَلُ مِنْهَــا[٤] إِحَالَــةٌ فِــي البَــوَاقِي

قَـاجْرِ فِـي حَلْبَـة الخَلاَعَــةِ مَـا دُمْـ ـ
ـتَ بِحُكْـمِ الـشبَابِ شَـرْطَ الـسبَاقِ[٥]

وَاعْتمِــدْ مَــذْهَبَ (الــشرِيفِ) فَقَــدْ قَــا
لَ:((التــصَابِي رِيَاضَـــةُ الأَخْــ ــلاَقِ))[٦]

---

(1) أن يُمْزَجَ - بالبناء للمفعول - عندي أخلاقهم...
(2) يلاقي
(3) لآماق: جمع مؤق - على القلب - وهو مؤخر العين وقيل مقدمتها. انظر ق ٢ ب ٦.
(4) يقبل منّا
(5) ظ: شرط النياق. ط: فاجر في حلية. : فاجر في خلعة الخلاعة.
(6) ((التصابي رياضة الأخلاق)): ضمنه من قصيدة للشريف المرتضى كتب با إلى خاله أبي الحسين أحمد بن الحسن الناصر يهنئه بعيد الفطر، مطلعها [خفيف]:

ما رأتني عينـاكَ يـوم الفـراق　　أخدعُ القلبَ بادّكار التلاقـي

وفيها قوله:

يا خَليلَي مِن ذُؤابـةِ (قَـيسٍ)　　في التــصابي رياضــةُ الأخــلاقِ

(ديوانه ٢ / ٣٤٢)

سبعة عشر بيتًا

* [٩٢]

وكتب إليه (1) الأمير أبو الحسن علي بن منقذ قصيدة أوّلُهَا [طويل]:

سِوَايَ تَشُوقُ الكِلَّةُ السِّيَرَاءُ
وَيَجْلُو هَوَاهُ البَيْنُ وَالعُدَوَاءُ(2)

ومنها:

أيا رَاكِباً مَالَتْ بِهِ نَشْوَةُ الكَرَى
كَمَا اهْتَزَّ مِنْ مَرِّ الرِّيَاحِ لِوَاءُ(3)

كأنَّ بِهِ مِمَّا تَرَنَّحَ نَظْرَةً
مِنَ الجِنِّ أَوْ مَاسَتْ بِهِ الخُيَلاءُ(4)

(*) ظ ٧٥، ف. ك ٥٧، ق ٨٨، م ٧٢، مط ٧. ولم يرد منها في ظ سوى المطلع (بيت واحد).

(1) ف. ق. ك: وقال وكتب إليه..

(2) الكِلة -بكسر الكاف - الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقّى به من البق، ويُجْعل أيضًا على الهودج. السِّيَراء - وتُسكّن الياء أيضًا -: ضرب من البرود يخالطه حرير كالسيور - ومن هنا أصل الكلمة -، أو فيه خطوط صفر، وهو من ثياب اليمن. وكنّى بالكِلّة السيراء عن الحبّ والمحبوبة وأهواء الغزل. العُدَوَاء: البعد والتفرّق، وعدواء الشوق ما برّح بصاحبه، والمعنى الثاني أولى بالبيت.

وهذا المطلع عكس ما ذكره ابن هانئ الأندلسي في قصيدة يمدح بها المعزّ لدين الله الفاطمي [كامل]:

الحِب حيث المعشر الأعداء والصبر حيث الكِلّةُ السيراءُ
ما للمهارَى الناجِيَاتِ كأنها حُتْمٌ عليها البَيْنُ وَالعُدَوَاءُ ؟

(ديوانه ص ١١)

والعدواء في بيت ابن هانئ: بعد الدار.

(3) سقط البيت وما يليه من نسخة ظ، فلم يرد إلا المطلع.

(4) كأن به مما ترنّح: ما مصدرية، أي من ترنحه.

تَحَمــلْ عَــنِ الحَــي المُقِــيم أَلُوكَــةً
إلى السفْرِ[1] مَـا فِيهَـا عَلَيْـكَ عَنَـاءُ[2]
٥- تَحِيــةَ مَــنْ لاَ يَمْلِــكُ الــصبْرَ عَــنْهُمُ
وَلاَ تَنْقَــضِي أَنفَاسُــهُ الــصعَدَاءُ[3]
فَيا خَيْرَ مَنْ يَمْــشِي عَلَــى صَــفْحَةِ الثــرَى
وَأَكْــرَمَ[4] مَــنْ يُبْنَــى عَلَيْــهِ خِبَــاءُ
بِــأَي لِــسَانٍ يَنْطِــقُ المَــدْحَ فِــيكُمُ
بَلِيــغٌ وَمَــاذَا يَــنْظِمُ الــشعَرَاءُ؟!
وَفِــي كُــل يَــوْمٍ مِنــةٌ[5] مِــنْ حَــدِيثِكُمْ
تَــنِم عَلَــى مَــا أَسْــلَفَ القُــدَمَاءُ[6]
عَهِــدْتُكُمُ مَــأْوَى الغَرِيــبِ وَأَهْلَــهُ
فَمَا بَيْـنَكُمْ[7] - لَـوْلاَ التقَـى- غُرَبَـاءُ
١٠- تَــؤُمكُمُ آمَــالُ قَــوْمٍ صَــوَادِياً

---

(1) مط: تحمل إلى الحي المقيم ألوكة عن.
(2) تحملْ: احمل. الألوكة: الرسالة، وكذلك الألوك والمألك والمألكة... ومنه المَلَك، أصله مَلأَك - مقلوب مألك - والجمع ملائك وملائكة، ومنه أَلِكَ وألاك، يقال ألكني إليه... أي أبلغه عنّي (هذه الرسالة)، أصلها أألكني، فخففت بالقلب والحذف.
(3) الصَعَداء: تنفّس ممدود طويل، والنفَس بتوجع، والنفس إلى فوق.
(4) م: وأكرمُ - بالرفع -
(5) ف. ك. ق. مط: سنة.
(6) يشير إلى مدائح ابن سنان فيه ويسميها منّة، ويمدح فصاحته التي تشبه فصاحة الشعراء المتقدّمين.
(7) مط: فما بالكم.

فَمَـ ـ ـا تَنْثَنِـ ـ ـي إلا وَهُـ ـ ـن رِوَاءُ

فَمَـ ـا لَكُـ ـمُ - لاَ أَوْحَـ ـشَ اللهُ مِـ ـنْكُمُ

مَـ ـوَاطِنَ فِيهَـ ـا بِالـ ـذِمَامِ[1] وَفَـ ـاءُ !-[2]

رَفَعْـ ـتُمْ مَنَـ ـارَ الغَـ ـدْرِ بَعْـ ـدَ هُبوطِـ ـهِ

وَأَخْفَـ ـقَ فِـ ـيكُمْ[3] مَطْلَـ ـبٌ وَرَجَـ ـاءُ؟[4]

وَسَـ ـاوَيْتُمُ فِـ ـي ظُلْمِكُـ ـمْ أَهْـ ـلَ وُدكُـ ـمْ

فَكُلُهُـ ـمُ فِـ ـي جُـ ـودِكُمْ شُـ ـرَكَاءُ[5]

أَخُـ ـصكَ (عَبْـ ـدَ اللهِ) مِـ ـنْ بَيْـ ـنِهِمْ بِمَـ ـا

أَقُـ ـولُ، وَمَـ ـا عِنْـ ـدِي عَلَيْـ ـهِ غِطَـ ـاءُ

١٥- وَإِنِـ ـي لأَسْـ ـتَحْيِي عِتَابَـ ـكَ وَالـ ـذِي

بَـ ـدَا مِنْـ ـكَ يَـ ـأْبى أَنْ يَكُـ ـونَ حَيَـ ـاءُ[6]

لأَوْلَيْتَنِـ ـي[7] نُكْـ ـرًا عَلَـ ـى غَيْـ ـرِ سَـ ـابِقٍ

---

(1) مط: للذمام.

(2) جملة لا أوحش الله... اعتراضية دعائية، وتتمّة المعنى في البيت التالي.

(3) ف. ق. ك. مط: وأخفق منكم.

(4) أصل التركيب: فما لكم رفعتم...

(5) سقط البيت من مط. قوله: وساويتم في ظلمكم أهل ودكم، أي شمل حكمكم الجائر أهل ودّكم وأعداءكم... من باب الدعابة.

(6) استحيا منه واستحى: الأولى حجازيّة والقرآن نزل بها، والثانية تميميّة، واستحياه واستحاه: أنفه، وداخله الحياء منه. وقوله: أن يكون حياء: كان هنا تامّة.

(7) مط: وأوليتني. اللام في ((لأوليتني)) داخلة على قد المحذوفة لضرورة الشعر.

أظُـنُّ لَـهُ أن القَبِـيحَ جَـزَاءُ

وَمَا لِيَ مِنْ جُرْمٍ(1) سِـوَى ظَـنِّ مَعْـشَرٍ

بِـأنْ لَـيسَ لِـي مَنْدُوحَـةٌ وَغَنَـاءُ(٢)

أَلَـمْ تَعْلَمَـنْ أنْ لَـسْتُ بِـابْنِ لَئِيمَـةٍ

وَلاَ زَلَّ عَنِّـي أعْبُـدٌ وَإمَـاءُ؟(٣)

وَمَـا بِـكَ إلا أنْ مَلِلْـتَ فَـلاَ تَقُـلْ

شُـؤُونِيَ فِيهَـا دِقَّـةٌ وَخَفَـاءُ(٤)

٢٠- سَأَشْـفِيكَ مِـنْ دَاءِ المَـلاَلِ بِرِحْلَـةٍ

مُفَرِّقَـةٍ إنْ كَـانَ مِنْـهُ شِـفَاءُ(٥)

وَأَمْنَـعُ مَبْـذُولَ الزِّيَـارَةِ بِـالتِي

---

(1) ق: وما لي من ظلم.

(2) المندوحة: الفسحة والسّعة، والمندوحة من الأرض: الواسعة البعيدة، وأصل المعنى: ندحه: وسعه، ومنه المثل: أترب فَنَدَحَ، أي صار ماله كالتراب فتوسّع وبذّر - الميداني، رقم ٧٠٨.

(3) زلّ: انحدر، ولا زلّ عني أعبد: أي فروعي وأبنائي ليسوا عبيدًا وإماءً، وهذا مما يسمّيه البديعيّون (التعريض). ((كمن يقول لإنسان: لم تكن أمّي زانية، يعرض بأمّه. ومن الشعر قول الحرث بن همّام الشيبانيّ [سريع]:

أيـا ابـن زيّابـةَ إن تلقـني لا تلقـني في الـنعم العـازب

(ديوان الحماسة ١ / ١٤١)

ومراده: إني لست راعيًا وإنك راعٍ، وكقول الحجاج: لست براعي إبل)). (شرح الكافية البديعية ص ٢٥٠ - ٢٥١).

(4) سقط البيت من ف. ك. وفي مط: إلا أن ملكت.

(5) م: فيه شفاء. يدعوه الأمير إلى رحلة بعيده قد تقطع ملاله لانقطاع الصلة بينهما.

يَحُــولُ صَــبَاحٌ دُونَهَــا وَمَــسَاءُ[١]

فَعَلـكَ إمـا تَنْـزَحُ[٢] الـدارُ بيْننَـا

وَتُعْـ ـرِضُ أرْضٌ دُونَنَـ ـا وَسَـ ـمَاءُ

تَعَطــفُ تَعْطَــافَ الكَــرِيم فَــإنكُمْ

أُنَــاسٌ عَلَــى عِلاتِكُــمْ كُرَمَــاءُ[٣]

تَنَاءَيْــتُ عَـنْكُمْ رَغْبَــةً فِــي دُنُـوكُمْ

(1) يشير إلى ما ورد في الأثر ((زر غبا تزدد حبا))، ومنهم من جعل هذا المثل حديثًا مما رواه أبو هريرة، قال بعض الشعراء [وافر]:

وقد قالَ النبي وكانَ بَـرا ... إذا زُرتَ الحَبِيــبَ فــزُرْهُ غِبــا

(جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١ / ٥٠٥).

وأنشد أبو أحمد عن ابن دريد [طويل]:

عليكَ بإغبابِ الزيارةِ إنهـا ... تَكُونُ إذا دامَت إلى الهَجرِ مَسلَكا

فإني رأيتُ الغَيثَ يُسأمُ دائِبًا ... ويُسألُ بالأيدِي إذا هُوَ أمسَكـا

(المصدر السابق ١ / ٥٠٥)

يشير إلى الدعاء، وقال غيره [مجزوء الكامل]:

أقِلــلْ زيارَتَــكَ الحَبِيــ ... ـبَ تكونُ كالثوب استَجَدّه

وأمــل شَــيءٍ لامــرئٍ ... ألا يَـزالَ يَـراكَ عِنــده

(المصدر السابق ١ / ٥٠٥)

وللأمير من هذا القبيل أيضًا قوله بعد أبيات:

تَناءَيتُ عَنكُم رَغبةً في دُنُوكُم ... ألا رُبّ داءٍ عــادَ وهــوَ دَواءُ

(2) م: إما ن ح.

(3) على علاّتكم: على كل أحوالكم، وقد أفاد من قول زهير [بسيط]:

مَنْ يَلقَ يومًا على علاّتِهِ هَرِمًـا ... يَلقَ السماحةَ مِنهُ والندَى خُلقـا

(الديوان: ٥٣)

ألاَ رُب دَاءٍ عَــــادَ وَهْــــوَ دَوَاءُ

٢٥- عَلَيْــكَ سَــلاَمٌ لاَ زِيَــارَةَ بَعْــدَهُ [1]

تَجُــرِ قِلــىً أوْ لاَ يَكُــونُ جَفَــاءُ

بِعَــادٌ بِــلاَ هَجْــرٍ وَقُــرْبٌ بِــلاَ أذىً

لَهِنــيَ فِــي الحَــالَيْنِ كَيْــفَ تَــشَاءُ[2]

ستة وعشرون بيتًا

(1) م. ف. ق. ك: عليك السلام لا زيارة بعدها.مط: عليكم سلام.

(2) مط: تنأ م: لهى. لَهِنيَ: لأنيَ - على البدل -

*[٩٣]

وقال في صباه من أبيات رثى بها أبا المغيث منقذ بن نصر بن منقذ[١]، وقد توفي في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة [كامل]:

غَرَبَـــتْ خَلائِقُـــكَ الحِـــسَانُ غَرِيبَـــةً
وَرَمَـــى الزَمَـــانُ دُنُوهَـــا بِبِعَـــادِ[٢]

ذَهَبَتْ كَمَا ذَهَـبَ الربِيـعُ وَخَلفَـتْ
قَـــيْظَ المَقِيـــلِ حَـــرَارَةُ الأَكْبَـــادِ[٣]

(*) ف. ك ٥٩، ق ٩٢، م ٧٥، مط ٢٧. لم ترد في ظ.

(1) هو ابن منقذ الكناني أخو الأمير مخلّص الدولة أبي المتوّج مقلد بن نصر بن منقذ ت ٤٥٠هـ، وعمّ سعد الدولة أبي الحسن عليّ بن مقلّد صاحب قلعة شيزر

(2) غَرَبت أي بعدت. غريبة: أراد غير مألوفة لدى الناس، ونصبها على الحال.

قصد إلى مدح أخلاقه وسجاياه الطّيبة وذمّ ما هو سائد بين الناس، فمثل أبي المغيث غريب في وطنه نادر الشبه، يلجأ إليه قومه في كل ما يهمّهم.

(3) المقيل: النوم أو الاستراحة نصف النهار؛ قصد به منتصف نار الصيف أي الهاجرةَ.

حرارة الأكباد: عبّر بها عن الحزن والغيظ.

يقول: ذهبت خلائقك الحسان كما ذهب الربيع باعتدال مناخه وخلفت حرارةُ الأكباد حرارة شبيهة بحرارة الهاجرة.

بيتان

* [٩٤]

وقال أيضًا في صباه [متقارب]:

صَرَفْتَ(1) بِعَـدْلِكَ صَـرْفَ الزَمَـانِ
وَأَحْيَـتْ عَطَايَـاكَ مَيْـتَ الكَـرَمْ

وَلاَ زَالَ بِـشْرُكَ قَبْـلَ النَّـوَالِ(2)
كَمَـا ابْتَـسَمَ الغَيْـثُ ثُـمَّ انْـسَجَمْ

وَسَـيْفُكَ يَـسْبِقُ(3) شَـأْوَ السَحَـا
بِ ذَاكَ بِمَـاءٍ وَهَـذَا بِـدَمْ

ثلاثة أبيات

(*) ظ ٧٧، ف. ك ٥٩، ق ٩٢، م ٧٥، مط ١٠١.

(1) ظ: صرفتُ.

(2) م: ولا زال بشرك. ظ: قبل السؤال.

(3) ف. ك: يسبُق - بضم الباء - .

[٩٥]*

وقال أيضًا في صباه [طويل]:

رَمَى الدَّهْرُ دُونِي وَهْــوَ جَــم صُــرُوفُهُ

وَحَمَّلَنِي[1] مَــا لاَ يَقُــومُ بِــهِ شُــكْرِي

فَإِنْ شُغِلَتْ نَفْــسِي بَغَيْــرِ مَدِيحِــهِ

فَعُدْتُ إِلَى مَا كُنْتُ فِيهِ مَــعَ الــدَّهْرِ[2].

بيتان

(*) ف. ك ٥٩ ، ق ٩٢ ، م ٧٥ ، مط ٣٤. لم ترد في ظ.

(1) ف. ك. ق. مط: وكلفني.

(2) ((فعدت إلى ما كنت فيه مع الدهر)): جملة دعائية، أي جعلني الله أعود إلى ما كنت فيه من الهموم والفاقة وجور الزمان عليّ. وهذا العجز وثيق الصلة بصدر البيت الذي قبله.

*[٩٦]

وقال أيضًا في صباه [متقارب]:

أَرِقْتُ لِبَرْقٍ كَمَتْنِ الحُسَا
مِ يَبْدُو مِرَارًا وَيَخْفَى مِرَارَا

كَأَنَّ الصَّبَاحَ أَتَى زَائِرًا
إِلَى اللَّيْلِ ثُمَّ تَوَلَّى فِرَارَا

تَقُولُ المَطَايَا وَقَدْ عَزَّهَا(1)
لِرَكْبٍ تَهَاوَوْا عَلَيْهَا حَيَارَى

هَلُمُّوا إِلَى الجُودِ قَدْ أَوْقَدَتْ
(بَنُو عَامِرٍ) فِي دُجَى اللَّيْلِ نَارَا

أربعة أبيات

(*) ف. ك ٥٩، ق ٩٢، م ٧٥، مط ٣٤. لم ترد في ظ.

(1) ف. ق. ك. مط: وقد عزها.

[٩٧]*

وقال أيضًا في صباه [وافر]:

تُحَاذِرُ أنْ أسُبكَ يا بْنَ سَلْمَى
كأن أباكَ في حَسَبٍ كَرِيمِ

وَبِالشهْبَاءِ مِنْ (حَزْنِ بْنِ عَمْرِو)
بُيُوتٌ مَا رُفِعْنَ عَلَى لَئِيمِ[1]

إذَا مَا شِئْتُ هَبَّ إليَّ مِنْهَا
مُذَرَّبَةُ الأسِنَّةِ كَالنُّجُومِ[2]

ثلاثة أبيات

(*) الأبيات في نسخة ف. ك ورقة ٥٩، ق ٩٢، م ٧٥، مط ١٠١.

(1) الشهباء: قصد بها حلب. قوله: بيوت ما رفعن على لئيم: أي ليس بحلب بيت للئيم، ولا سيما بيوت بني حزن بن خفاجة بن عمر.

(2) الضمير في (منها) عائد على البيوت. سنان مذرب: محدّد، والذرِبُ: الحادّ من كل شيء.

شبّه رماح أنصاره في بني حزن بن عمرو بالنجوم، لشدّة لمعانها وكثرة عددها، وأراد أنها تنصره متى شاء.

[٩٨]*

وقال أيضًا في صباه [طويل]:

إِذَا مِت فَادْفِني بِوَعْسَاءَ سَهْلَةٍ
بِهَا السِرْبُ يَعْطُو وَالجَآذِرُ تَلْعَبُ[1]

وَفَاوِحْ سُحَيْرِي الصَبَا مِنْ خَلاَئِقِي
بِمَا هُوَ أَذْكَى مِنْهُ عَرْفًا وَأَطْيَبُ[2]

بيتان

(*) البيتان في ف. ك ورقة ٥٩، ق ٩٣، م ٧٥، مط ١٧.

(1) الوعساء: الأرض اللّينة ذات الرمل. عطا الظبي: رفع رأسه ويديه ليتناول أوراق الشجر.

يطلب أن يدفن في أرض ليّنة خصبة عامرة بالحياة، تؤمّها الظباء وصغار البقر الوحشيّ، وهو في هذا ينظر إلى قول أبي محجن الثقفي:

إذا مت فادفني إلى جَنبِ كَرمةٍ ... تُروي عِظامي بَعدَ مَوتي عُروقُها

ولا تَدفِنَني بالفَلاةِ فإنني ... أخافُ إذا ما مت ألاّ أذُوقَها

(عيون الأخبار ١ / ٣٨)

(2) فاح الطيب: إذا تضوع، ولا يقال فاحت ريح خبيثة (الصحاح). سُحَيْر: تصغير سحَر، وهو وقت قبيل الصبح، والياء للنسبة. الصبا: ريح مهبها المستوي أن تبّ من موضع مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار.

يطلب إلى صديقه أن يباهي الدنيا بخلائقه بعد موته، وفي البيت صورة مركبة، فحين تبّ الصَبا سحرًا، تأتي على قبره وتمتزج بفوح عطر خلائقه، التي هي أزكى عرقًا، وأطيب من الصبا ذاتا.

*[٩٩]

وقال أيضًا في صباه [طويل]:

إِذَا مَا الغَمَـامُ الجَـوْنُ أَنْجَـدَ صَـوْبُهُ
وَأَسْـفَرَ بِالإِيمَـاضِ وَهْـوَ قَطُـوبُ [1]

فَلَيْـتَ نَـسِيمًا بِالغُوَيْـرِ يَقُـودُهُ
وَتُـسْمِكُ عَنْـهُ شَـمْأَلٌ وَجَنُـوبُ [2]

لَعَلَّ بِـهِ مِـنْ نَـشْرِ (سَـلْمَى) بَقِيَّـةٌ
يَـضُوعُ بِهَـا ذَاكَ الحَيَـا وَيَطِيـبُ[3]

ثلاثة أبيات

(*) الأبيات في ف ٥٩، ق ٩٣، ك ٦٠، م ٧٥، مط ١٤.

(1) أنجد صوبه: دخل أرض نجد. أسفر الصبح: أضاء، أسفر وجهه حسنًا: أي أشرق.

(2) الغوير: ماء لبني كلب، بين العراق والشام، بأرض السماوة؛ وماء بين العقبة والقاع في طريق مكّة؛ وموضع على الفرات (معجم ياقوت، ما. الغوير).

(3) يتمنّى للغمام الداكن الممطر حين يدخل أرض نجد، ويلمع برقه بين السحب لمعًا خفيفًا، أن يأتيه نسيم يقوده إليه من دون أن تتنازعه ريح الشمال والجنوب، لعلّه يحمل إليه بُقيًا من نشر سلمى.

* [١٠٠]

وقال أيضًا في صباه [مجزوء الوافر]:

تَأمـ ـــلْ مَـ ـــنْ يَلُومُـ ـــكَ فِـ ـــي
هَـ ـــوَاكَ وَيَكْـ ـــثُرُهُ العَـ ـــذَلاَ (1)

فَـ ـــ ـــإِنْ أَلْفَيْتَـ ـــ ـــهُ صَبـ ـــ ـــا
فَهَـ ـــ ـــلاَ نَفْـ ـــ ـــسَهُ عَـ ـــ ـــ ـــذَلاَ

وَإِنْ نَكِـ ـــ ـــرَ الهَـ ـــ ـــوَى جَهْـ ـــ ـــلاً
فَـ ـــذَاكَ عَـ ـــدُو مَـ ـــا جَهِـ ـــلاَ

ثلاثة أبيات

(*) الأبيات في ظ ٧٧، ف. ك ٦٠، ق ٩٣، م ٧٦، مط ٩١.

(1) الأبيات في تسفيه من يعذل في الحب، يقول : تأمله، فإن كان صبا فعليه أن يرى عيب نفسه قبل عذل الآخرين، وإن أنكر الهوى لجهله به فلا تأبه له، لأن الإنسان عدو ما يجهل.
في مط : يلومك في هواك ويكثر العذلا.

[١٠١]*

وقال أيضًا في صباه [سريع]:

سَـ ـــلُوا أعَـ ـــادِي إذَا كُنْتُـ ـــ ـمُ

لَـ ـمْ تَقْبَلُـ ـوا أقْـ ـوَالَ أشْـ ـيَاعِي

هَـــلْ رُفِعَـــتْ فِـــي كَـــرَمٍ رَايَـــةٌ

قَـــصرَ عَـــنْ إدْرَاكِهَـــا بَـــاعِي[1]

بيتان

(*) البيتان في ط ٧٨، ف. ك ٦٠، ق ٩٣، م ٧٦، مط ٧١.

(1) يفتخر بكرم الأخلاق، وبأنه ما رفعت للكرم راية إلا سبق إليها. ويشهد الأعداء على دعواه، على نحو قول ابن حيوس في مدح ذي الدين ناصر الدولة بن حمدان [طويل]:

تُقِر لك الأعداءُ بالفضل عَنْـوَةً وما الفضل إلا ما أقّرت به الأعدا

(الديوان : ١ / ٢٢٦)

*[١٠٢]

وقال وقد أحضره ملك الروم إلى الملعب المعروف بالْبَظْرم [متقارب]:

أَيا مَلِـ ـكَ الـ ـرومِ شَتْمَـ ـا لَهُـ ـمْ
وَفِـ ـي ظَـ ـاهِرِ القَـ ـوْلِ لَـ ـمْ أَشْـ ـتِمِ[1]

تَجَاوَزْتَ فِـ ـي الْبُخْـ ـلِ حَـ ـدَّ الكِـ ـلاَبِ
فَفِـ ـي أيِّ طَائِفَـ ـ ـ ـةٍ تَنْتَمِـ ـ ـ ـي

وَأَظْهَـ ـرْتَ فِـ ـي الْبَظْـ ـرُمِ الْمُـ ـضْحِكَاتِ
وَأَنْـ ـتَ بِعَقْلِـ ـكَ[2] فِـ ـي بَظْـ ـرَمِ[3]

وَمَا فِيهِ أَعْجَـ ـبُ مِـ ـنْ تَاجِـ ـكَ الـ ـ
ـ ـ ـمُنِيرِ عَلَـ ـى وَجْهِـ ـكَ المُظْلِـ ـمِ

أربعة أبيات

(*) القطعة في ظ ٧٨ ، ف. ك ٦٠ ، م ٧٦.

(1) في القصيدة انتقاص من عقل ملك الروم. وقوله: في ظاهر القول لم أشتم يدلّ على أن باطن القول شتم وتوبيخ.

ذكر ابن القلانسيّ في ذيل تاريخ دمشق أنه في سنة ٤٥٣ هـ ((ندب أبو محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الشاعر للمسير من حلب إلى القسطنطينية رسولاً في المحرم منها)). حوادث سنة ٤٥٣ هـ.

(2) ظ: المعجزات وكنت بفعلك في بظرم.

(3) البظرم - كجعفر -: الخاتم - عن ابن الأعرابي ، وأهمله الجوهري وابن منظور. يقال: قد تبظرم الرجل إذا كان أحمق وعليه خاتم ، فيتكلم ويشير به في وجوه الناس - كذا في العباب - وزاد الزبيدي في تاج العروس: والعامة تسمي هذا الرجل البظرميت.

أما الْبَظْرَم ، في المقدمة وفي صدر البيت الثالث ، فالظاهر أنه معرّب عن كلمتين يونانيتين نُحِتتا: hippos (فَرَس) وdramos (سباق). ومنه في الفرنسية hippodrome (مِضْمَار).

*[١٠٣]

وكتب على حائط دار استأجرها بالقُسطنطينيّة [متقارب]:

سَــرَيْنَا إِلَــى المَلِــكِ الدوْسَــقِي[1] وَلَكِنَّنَــا مَــا حَمِــدْنَا الــسـرَى[2]

فَأَنزَلَنَــا الـ ــدهْرُ فِــ ــي مَنْــ ــزِلٍ كَـــثِيرِ الهُمُـــومِ قَلِيـــلِ الكَـــ ــرَى[3]

نَظَـــلُ مَـــعَ الـــرومِ فِيـــ ــهِ فَمَـــ ــا نُعَاشِـــ ــرُ إلا كِـــ ــلاَبَ الـــ ـــ ـــوَرَى

طِـ ــوَالَ القُــ ــرُونِ قِـ ــصَارَ[4] النفُـ ــو سِ فَــ ــوْقَ الثرِيـــا وَتَحْــ ــتَ الثـــرَى

٥- مَجَاهِيـــلَ مَـــا فَطِنُـــوا بِالـــسمَاحِ وَلاَ سَـــ ــمِعُوا بِحَـــ ــدِيثِ القِـــرَى

بَلَـــى! عِنْـــدَ ضَـــيْفِهِمُ مَـــا يُرِيـــدُ[5] وَلَكِـــنْ لَعَمْـــرِي إِذَا مَـــا اشْـــتَرَى[6]

وَإِنْ كَـــ ـــانَ عِنْدَهُـــ ــــ ـــمُ ثَاوِيًـــ ــــ ـــا فَمَـــ ـــا تَتَعَـــ ــــ ـــذرُ دُورُ الكِـــ ــــ ـــرَى

سبعة أبيات

(*) ظ ٧٨، ف. ك ٦٠، ق ٩٤، م ٧٦.

(1) ما أثبتناه من م، وسائر النسخ: الدوقسي.

(2) الدوسق - ضبطه كراع بالسين، وأبو عبيدة بالشين وأهمله الجوهري -: البيت الضخم، وهو ما يناسب معنى البيت. والدوسقي: صاحب البيت الكبير، ولا يخفى ما في هذا من التهكّم بملك الروم. ويشير عجز البيت إلى عكس المثل: ((عند الصباح يحمد القوم السرى)).

(3) يهجو الروم بمنع النفقة على الضيف.

(4) م: طوال القرون قصارُ - بالضمّ -

(5) م: عند ضيفهم كلّما يريد ولكن إذا ما..

(6) يذمّ تقصيرهم في حقّه وأن ضيفهم لا ينال حاجته إلا بالشراء من مضّيفه. وفي البيت التالي يذكر أنه نزل عندهم ببيت أجرة.

[١٠٤]*

وقال أيضًا [بسيط]:

أمـا فُـؤَادِي فَقَـدْ رَقَّـتْ جَوَانِحُـهُ
عَـنِ الغَـرَامِ وَخَـانَتْنِي عَزَائِمُـهُ
وَلَسْـتُ أُنكِـرُ مَـا فِيـهِ لِبُعْـدِكُمُ
وَكَيْـفَ أُنكِـرُهُ وَاللهُ عَالِمُـهُ[1]

بيتان

(*) ظ ٧٨، ف. ك ٦٠، ق ٩٤، م ٧٦، مط ١٠١.

(1) يبدو أنه أنشد البيتين وهو بالقسطنطينية. يبالغ في عرض الوله والشوق، وأن فؤاده قد شفّ عن الغرام وضعف لما يقاسيه من البعد.

[١٠٥]*

وقال أيضًا [كامل]:

وَبَعِيـدَةٍ سَـمَحَ الخَيَـالُ بِقُرْبِهَـا
حَتـى دَنَـتْ فَبِحَمْـدِهِ لاَ حَمْـدِهَا

مَالَتْ مَـعَ الوَاشِـي وَمَـاسَ قَوَامُهَـا
فَرَأَيْـتُ لَـي عُهُودِهَـا فِـي قَـدِّهَا[1]

بيتان

(*) ظ ٧٨، ف. ك ٦٠، ق ٩٤، م ٧٧، مط ٢٧.

(1) يداخل ما بين الصورة الجسدية والنفسية للفتاة، يصوّرها تميل بقدها مع الواشي على نحو اللي (الكذب) في عهودها.

*[١٠٦]

وقال أيضًا [طويل]:

أَبـا حَـسَنٍ! مَـا هَفْـوَتي بِغَرِيبَــةٍ
إِلَيْــكَ وَلاَ غُفْرَانُهَــا بِطَرِيــفِ[1]
فَإِنْ تَقْبَـلِ العُـذْرَ الـضَعِيفَ تَطَـولاً
فَإِن رَجَـائِي فِيـكَ غَيْـرُ ضَـعِيفِ[2]

بيتان

(*) ظ ٧٧، ف ٦٠، ك ٦١، ق ٩٤، م ٧٧، مط ٧٥.

(1) أبو الحسن: قصد به صديقه الأمير سعد الدولة علي بن المقلّد صاحب قلعة شيزر.

بغريبة: أي بأول هفوة. ولا غفرانا بطريف: أي سبق أن غَفَرْتَ لي مثلَها.

(2) التطول: الامتنان والتفضل.

البيتان في الاعتذار إلى الأمير أبي الحسن من هفوة بدرت من الشاعر.

* [١٠٧]

وقال أيضًا في صباه [كامل]:

أَسْرَفْتَ فِي أُنْسِ الغَرِيبِ وَبِرِّهِ
وَرَفَعْتَ مِنْ قَدْرِ البَعِيدِ بِذِكْرِهِ[(١)]

وَبَعَثْتَ فِي رِيحِ الشَمَالِ تَحِيَّةً
عَادَتْ إِلَيْكَ بِعَبْقَةٍ مِنْ شُكْرِهِ[(٢)]

لاَ تَعْجَبَنْ لِحَرِّهَا مِنْ بَعْدِ مَا
بَرَدَتْ فَقَدْ مَرَّتْ بِلَوْعَةِ صَدْرِهِ[(٣)]

وَسَأَلْتَ عَنْهُ وَمَا يَذُمُّ زَمَانَهُ
لَوْ كَانَ يَعْرِفُ لَيْلَهُ مِنْ فَجْرِهِ

مُتَقَسِّمُ[(٤)] العَزَمَاتِ يُنْفِقُ عُمْرَهُ
سَرَفًا عَلَى نَهْيِ الزَمَانِ وَأَمْرِهِ

(*) ظ ٧٩، ف ٦٠، ق ٩٤، ك ٦١، م ٧٧، مط ٣٥.

(1) أسرفتَ: ضمير الخطاب عائد على الممدوح، وربما قصد به الأمير أبا الحسن عليّ بن المقلّد. وقصد بالغريب نفسه.
يقول للأمير الممدوح: بالغت في إكرامي، وطالما وافاني كرمك وأنسك - في الرسائل - ورفعك من قدري مع بعدي وغربتي، فقد ذكرتني في مجلسك وأنا بعيد عنك.

(2) يقول: إنني حمّلت تحيتك التي بعثتها إليّ عبقة شكري وحرارة شوقي، وهنا تنويه بأن جواب الرسالة كان شعرًا.

(3) يقول: لا تعجب لحرارة شكري، فقد مرّت بلوعة الصدر.

(4) ظ: متقسم.

غَـدَرَتْ بِـهِ أيامُـهُ فِـي غُفَّـةٍ[1]
مِـنْ مَالِـهِ وَصُـبَابَةٍ مِـنْ شِـعْرِهِ[2]
وَإِذَا أَرَادَ مَـدِيحَ مِثْلِـكَ أَظْلَمَـتْ
سُدُفُ الهُمُومِ عَلَـى مَطَـالِعِ فِكْـرِهِ[3]

سبعة أبيات

---

(1) ظ: في عِفة. مط: في غفلة.

(2) الغُفة: البلغة من العيش - الصحاح -. الجار والمجرور (في غفّة) متعلقان بحال محذوفة، وصاحب الحال عائد على الضمير (الهاء). وأصل التركيب: أدركه غدر الأيام حال كونه في بلغة من العيش.
الصَبَابَةُ - بالضمّ - البقية من الماء في الإناء، واستعملت هنا مجازًا.

(3) ف. ك: سُدَف - بفتح الدال -

السدفة - بالفتح - الظلمة، والضمّ لغة تميم، وفي الصحاح: قال الأصمعي هي لغة نجد اهـ. وفي لغة غيرهم الضوء (قيس)، وهي من الأضداد عند من يقول بالتضاد مع اختلاف اللغتين. وقد أسدف الليل أي أظلم، ومنه قول العجاج [رجز]:

وأقطع الليلَ إذا مـا أسْـدَفَا أَدْفَعُهَا بـالراح كـي تَزَحْلَفَـا

الصحاح

أراد ابن سنان تصوير حاله وبؤسه وأن امتناع النظم عليه عند المدح تسببه الهموم مما يثقل الفكر ويشغل عن الإمعان في تنقيح القريض.

[١٠٨] *

وقال في صباه، وقد رأى غلامًا تركيا يرمي عن قوس النشاب [كامل]:

وَمُفَـ ــوقٍ أَلْحَاظَـ ــهُ وَسِـ ــهَامَهُ
وَكَأَن مَا فِـ ـي جَفْنِـ ـهِ فِـ ـي جَفْـ ـرِهِ[١]

مَلَـ ـكَ الزَمَـ ـانَ بِأَسْـ ـرِهِ فَنَهَـ ـارُهُ
فِـ ـي وَجْهِـ ـهِ وَظَلاَمُـ ـهُ فِـ ـي شَعْـ ـرِهِ[٢]

وَسَطَا عَلَـ ـى الـ ـصهْبَاءِ حَتَـ ـى لَوْنَهَـ ـا
فِـ ـي خَـ ـدِهِ وَحَبَابُهَـ ـا فِـ ـي ثَغْـ ـرِهِ[٣]

ثلاثة أبيات

(*) ظ ٧٩ ، ف . ك ٦١ ، ق ٩٥ ، م ٧٧ ، مط ٣٤.

(1) فوق السهم: جعل الوتر في فُوقِهِ عند الرمْي . والفُوق موضع الوتر من السهم . الجَفْر: ولد الشاة إذا استكرش وأكل أو بلغ أربعة أشهر أو سنة . والجفر أيضًا الجذع من الماعز . والمقصود بها جعبة النشاب. ((وكأنّ ما في جفنه في جفره))، أراد: وكأنّ ما في جفره في جفنه . قلب للتّوكيد .

(2) ((ملك الزمان بأسره)): هو الزمان نفسُه ، بنهاره وليله . فنور ناره في وجهه، وظلام ليله في شعره .

(3) الحباب للماء وللخمر: النفاخات التي تعلوه. شبّه بها الأسنان في صفائها ونصاعة بياضها.

[١٠٩] *

وقال أيضًا يعاتب [بسيط]:

هَلْ تَعْرِفُونَ لَنَا فِي قُرْبِكُمْ رَشَدَا
أَوْ تَعْلَمُونَ بِمَا أُولِيتُمُ حَسَدَا[١]

لاَ أَرْقَأَ اللهُ دَمْعًا فَاضَ بَعْدَكُمُ
وَلاَ أَعَادَ رُقَادًا فِيكُمُ فُقِدَا[٢]

مَا تَكْفُرُ العِيسُ نُعْمَاهَا بِبُعْدِكُمُ
عَنا[٣] وَإِنَّ لَهَا عِنْدَ الكِرَامِ يَدَا[٤]

وَرَدْتُ مِنْ (بَرَدَى) مَاءً نَقَعْتُ بِهِ
مِنَ الصَّبَابَةِ قَلْبًا عَنْكُمُ بَرَدَا[٥]

(*) ظ ٧٩، ف. ك ٦١، ق ٩٥، م ٧٧، مط ٢٧.

(1) الأبيات في العتاب الرقيق، وفيها إشارة إلى إقامة الشاعر بدمشق، وارتحال من يعاتبهم إلى حلب.
قوله: هل تعرفون خرج الاستفهام إلى معنى اللوم والعتاب، يريد أنه كان في غيّ متّصل أيّام القرب، وأن ما أولوه إيّاه ليس مما يحسد عليه.

(2) يدعو لنفسه بطول البكاء وطول السهاد، وهذا شأن العشاق يتلذّذون بحرقة العذاب.

(3) ق: ما نكفر العيس... ببعدكم.م: ببعدكم عنها.

(4) يقول: شكرت العيس نعمة الاستقرار بعدما تجشّمت أسفار الرحلة في طلبكم، فقد أقامت عند قوم كرام.

(5) بردى: نهر عذب يمرّ بدمشق ويسقي غوطتها. يذكّر قدومه إلى دمشق وإعجابه بماء نهرها (بردى)، مما أنساه حرقة البعاد، فاطمأن وسلا وتجلّد.

وَصَارَ كُلُّ قَبِيحٍ مِنْكُمُ[1] حَسَنًا
لَمَّا أَعَادَ عَلَى هُجْرَانِكُمْ جَلَدَا[2]

لَوْ كُنْتُ مِثْلَكُمُ جَازَيْتُ فِعْلَكُمُ
فَمَا أَطَلْتُ لِسَانًا دُونَكُمْ وَيَدَا[3]

وَكَانَ أَيْسَرَ مَا عِنْدِي لِغَدْرِكُمُ
أَلا أَعُودَ إِلَى نَادِيكُمُ أَبَدَا

فَإِنْ وَجَدْتُمْ كَمَا أَوْجَدْتُمُ بَدَلاً
فَلْيَرْضَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا بِمَا وَجَدَا[4]

وَمَا أَلُومُكُمُ أَنْ تَبْلُغُوا (حَلَبًا)
بِأَنَّنَا قَدْ رَضِينَا (جِلَّقًا) بَلَدَا[5]

وَقَدْ تَعَلَّمْتُ سُوءَ الظَّنِّ عِنْدَكُمُ
فَمَا أُؤَمِّلُ يَوْمًا بَعْدَكُمْ أَحَدًا

عشرة أبيات

---

(1) م: فصار. ف. ق. ك. مط: فيكم حسنا.
(2) يريد: محا الشوق من نفسي ما صدر عنكم من فَعَال سيئة.
(3) يقول لو كان لي مثل طباعكم لجعلت العقوبة من جنس العمل، ولما نافحت بلساني ويدي، وهذا شأن المحبّ.
(4) يقول: فإن وَجَدْتُمْ، منا بدلاً، كما جعلتمونا نجد منكم بدلاً، فليهنأ كل منا بما وجد.
(5) جِلقُ: هو اسم لكورة الغوطة كلها، وقيل هي دمشق نفسها، وقيل موضع بقرية من قُرى دمشق، وقيل غير ذلك، مما لا يبعد كثيرًا عن دمشق (انظر ياقوت، ما. جلق، وبخاصة دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الجديدة: ٢ / ٥٥). والظاهر أن الشاعر قصد بما دمشق بأوسع دلالاتها.

* [١١٠]

وقال أيضًا في المعنى [كامل]:

هَلْ تَسْمَعُونَ شِكَايَةً[(١)] مِنْ عَاتِبِ
أَوْ تَقْبَلُونَ إِنَابَةً مِنْ تَائِبِ[(٢)]

أَمْ كُلُّ مَا يَتْلُو الصَّدِيقُ عَلَيْكُمُ
فِي جَانِبٍ وَقُلُوبُكُمْ فِي جَانِبِ[(٣)]

أَمَّا الْوُشَاةُ فَقَدْ أَصَابُوا عِنْدَكُمْ
سُوقًا تُنَفِّقُ كُلَّ قَوْلٍ كَاذِبِ[(٤)]

فَمَلِلْتُمُ مِنْ صَابِرٍ وَرَقَدْتُمُ
عَنْ سَاهِرٍ وَزَهِدْتُمُ فِي رَاغِبِ

وَأَقَلُّ مَا حَكَمَ المَلَالُ عَلَيْكُمُ
سُوءُ القِلَى وَسَمَاعُ قَوْلِ العَائِبِ[(٥)]

خمسة أبيات

(*) ظ ٨٠، ف. ك ٦١، ق ٩٥، م ٧٨، مط ١٤. الأبيات في فوات الوفيات، ١ / ٤٩١ - ٤٩٢.

(1) ظ. ف. ق. ك: شكية

(2) الأبيات في العتاب والشكوى والغزل، والشاعر يعود تائبًا متنصلاً من وشاية دسها الأعداء عليه.

(3) فوات الوفيات، ١ / ٤٩١: أَوْ كل. م: من جانب وقلوبكم من..

(4) فوات الوفيات، ١ / ٤٩١: أصابوا عنكم سوقًا ينفق. ظ: ينفق.
نفق السلعة: روجها ورغب فيها، ومنه تنفيق القول على المجاز.

(5) م: قول العاتب.
يصوّر صبره وسهره ورغبته فيهم، ويذمّ إعراضهم وقلاهم وسماعهم ما يعيب الأعداء عليه وما يلفّقون من الأقول.

*[١١١]

وكتب إلى شرف الكفاة سني الدولة أبي الكتائب محمد بن عليّ بن محمد [كامل]:

لَـوْلاَ سَـنِي الدوْلَـةِ بْـنُ مَحَمَّـدٍ
مَـا كَـانَ لِلْمَعْـرُوفِ ذِكْـرٌ يُعْـرَفُ

كَيْفَ الـسبِيلُ إلَـى مَـدِيحِكَ بَعْـدَمَا
وَصَـفُوا عُـلاَكَ بِأَنهَـا لاَ تُوصَـفُ

أمـا (دِمَـشْقُ) فَإنهَـا بِـكَ رَوْضَـةٌ
مَا تُجْتَـوَى وَسَـحَابَةٌ مَـا تُخْلِـفُ[١]

بَلَـدٌ أَقَمْـتَ بِـهِ وَذِكْـرُكَ سَـائِرٌ
فِي كُـلِّ نَاحِيَـةٍ يَخُـبُّ وَيُوجِـفُ[٢]

لاَ يَـسْأَلُ العَـافُونَ فِيـهِ لأنهُـمْ
لَما رَأَوا شَـرَفَ الكُفَـاةِ بِـهِ كُفُـوا

خمسة أبيات

(*) ظ ٨٠، ف ٦١، ق ٩٦، ك ٦٢، م ٧٨، مط ٧٤ .

(1) دمشق: المدينة التي نزلها الممدوح الأمير محمد بن علي.
ما تجتوى: ما يكره المقام بها إن كان النازل بها في نعمة.

(2) وجف الشيء أي اضطرب، والوجيف: ضرب من سير الإبل والخيل.
يمدح الأمير بذكره الحميد واشتهاره في الأقطار. العافون: طالبو العرف أي المعروف.

[١١٢] *

وقال أيضًا [كامل]:

زُفتْ إِلَيْكَ وَلَـسْتَ مِـنْ أَكْفَائِهَـ ـا
كَالشمْسِ طَالِعَـةً عَلَـى حِرْبَائِهَـ ـا[1]
بَيْضَاءُ أَشْرَقَ وَجْهُهَـا فِـي فَرْعِهَـ ـا

(*) ظ ٨٠، ف. ك ٦٢، ق ٩٦، م ٧٨، مط ٦.

(1) يشبه قصيدته في مدح ذاك الرجل بالغادة الجميلة، تزف يوم عرسها، وابن سنان يكثر من استعمال هذا المجاز.

الحرباء: ذَكَر أمّ حُبَيْن، وهو دويبة نحو العظاءة أو أكبر. له أربع قوائم، دقيق الرأس، مخطط الظهر. أصفر اللون وهو فرخ، أغبر عند البلوغ، وكلما اشتدّ وهج الشمس اخضرّ. ينتصب على الحجارة، وعلى أجذال الشجر يستقبل الشمس في كل اتجاهاتها، فإذا زالت زال معها مقابلاً لها. يصفه العرب بالتلّون وبالحزم وبأنه قذر لا يؤكل. ويشبهون به أهل الملل لاختلاف اتجاهاتهم. ويقال: حرباءَ تَنْضُب كما يقال ذئبُ غَضًى، قال أبو دؤاد الإيادي [بسيط]:

أنى أتيح له حِرْبَاءُ تَنْضُبَةٍ لا يُرْسِلُ الساقَ إلا مُمْسِكًا سَـاقَا

(ديوان أبي دؤاد، ص ٣٢٦. ونسبه أبو عبيد البكري في فصل المقال، ص ٣٥٠ إلى كعب بن زهير، ورده شارح ديوان كعب إلى أبي دؤاد).

وبيت ابن سنان من باب التشبيه التمثيلي، شبّه قصيدته بالعروس، وبالشمس الطالعة، وشبّه المهجوّ بالحرباء، ويجمع بين الصورتين، فتطلع قصيدة المدح على هذا الرجل كالشمس الطالعة على تلك الحرباء، ضوء ساطع على بقعة صغيرة قاتمة.

حَتى عَرَفْـتَ صَـبَاحَهَا بِمَـسَائِهَـا[١]

لَوْ كَانَ صَرْفُ الدهْرِ عِنْـدَكَ حَاضِـرًا

نَثَرَ الخُطُوبَ عَلَيْـكَ وَقْـتَ جَلاَئِهَـا[٢]

رُفِعَـتْ سُـتُورٌ لِلْهَنَـاءِ بِأَخْذِهَـا

وَالحُسْنُ قَبْلَـكَ جَـالِسٌ لِعَزَائِهَـا[٣]

مَا جَادَتِ الـدنْيا عَلَيْـكَ بِمِثْلِهَـا

إلا لِيُحْمَـدَ[٤] بُخْلُهَـا بِـسَخَائِهَـا[٥]

خمسة أبيات

---

(1) كنّى عن جمال بياض الوجه بالصباح وجمال سواد الشعر بالمساء.

(2) الجَلاء - بالفتح والمدّ - الأمر الجليّ، والجلاء أيضًا الخروج من البلد. وقوله: وقت جلائها: قصد به المعنيين.

يقول: لو كان صرف الدهر حاضرًا عندك لأنزل خطوبه عليك وقت مغادرة هذه الفريدة البلد إليك.

(3) سقط البيت من ق. ط. ف. ك. مط: رفعت ستورك.

أراد أن ستور الهناء قد أسدلت بعد أخذ المخطوبة الجميلة، وكان الحسن من قبل يعزيها ويصبرها على هذا المصاب.

(4) م: لتحمد.

(5) يريد: ما جرّبت الدنيا الجود عليك بمثل هذه العروس إلا ليحمد الناس بخلها، فالبخل على أمثالك خير من هذا السخاء؛ لأن في الشرّ خيارًا - كما يقول المثل.

* [١١٣]

وقال يرثي جماعة من أهله وأصحابه [خفيف]:

طَلَـبُ الأَمْـنِ فِـي الزمَـانِ عَسِيرُ
وَحَـدِيثُ المُنـى خِـدَاعٌ وَزُورُ
تَبْدَهُ الحَـازِمَ الخُطُـوبُ وَإنْ قَـدرَ (م)
أَبْـدَتْ مَـا أَغْفَـلَ التقْـدِيرُ[١]
وَإذَا قَتـرَ البَخِيـلُ فَلِلأَيـامِ (م)
فِـي طَـي عُمْـرِهِ تَبْـذِيرُ[٢]
لاَ تَظُـن الفَقِيـدَ أوْ بَرَدَهُ البيْـ
ـنُ فَقَـدْ أَعْجَـلَ المُقِـيمَ المَسِيرُ[٣]

(*) ظ ٨١، ف. ك ٦٢، ق ٩٦، م ٧٩، مط ٣٥.

ورد بعض أبيات القصيدة في الأفضليّات، ص ٣١٥.

(1) تبده: من بَدَهَهُ الأمرُ: فَجِئَهُ. وبادهه: فاجأه. وأصله البدء، قلبت فيه الهمزة هاءً.

كأنه ينظر في هذا البيت إلى عجز بيت المعرّيّ [كامل]:

تَقِفُونَ والفَلَكُ المُسَخرُ دائـرٌ وتُقَدرونَ فتضحَكُ الأقدارُ

(اللزوميات ٢ / ١٥٠).

(2) يريد: إذا كان البخيل مقتّرًا مضيّقًا في ماله، فإن الأيام لا تبخل بموته.

(3) أعجله: استحثّه ليعجل، أي أنه موشك على الرحيل.

٥-سَلْ بِـ(غُمْدَانَ)[١] أَينَ قَاطِنُـهُ (سَـيْـ
ـفٌ) وَقُلْ لِلنُّعْمَـانِ كَيْـفَ (الـسدِيرُ)؟[٢]

عَـدلَ[٣] الـدهْرُ فِـيهِمُ قِـسْمَةَ الجَـوْ
رِ فَـلاَ عَـامِرٌ وَلاَ مَعْمُـورُ

يَـا سَـوَادَ الهُمُـومِ صِـرْتَ عَلَـى الأيـ
ـامِ لَمـا ضَـاقَتْ عَلَيْـكَ الـصدُورُ[٤]

إِن فِـي جَانِـبِ (المُقَطَّـمِ) مَهْجُـو
رًا وَمِـنْ أَجْلِـهِ تُـزَارُ القُبُـورُ[٥]

---

(1) م: بغمذان.

(2) غُمدان: قصر بصنعاء، سبق التعريف به في ق ٦٥ ب ٢٦. سيف: هو سيف بن ذي يزن، امرئ القيس اللخمي، أبو قابوس (ت نحو ١٥ ق. هـ)، من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية. سجنه كسرى (أبرويز) غدرًا وقتله. وهو صاحب يومَيْ البؤس والنعيم، وقاتل عبيد بن الأبرص وعديّ بن زيد. مدحه النابغة الذبياني وحسّان بن ثابت وحاتم الطائيّ. السدير: قصد به القصر القريب من الخورنق. اتخذه النعمان الأكبر لبعض ملوك العجم. وقد افترض بعض العلماء المعاصرين أنه قصر الأُخَيْضِر الذي اكتشفت بقاياه بالقرب من كربلاء سنة ١٦٢٥، ودُرِسَ بالتفصيل أوائل هذا القرن (١٩٠٨-١٩١٢). انظر دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الأولى، المادة أخيضر.

(3) ظ: عدَل، بلا تشديد. قسمة الجور: قصد بها الهلاك والخراب.

(4) البيت في الأفضليات، ص ٣١٥.

(5) المقطم: الجبل المشرف على القرافة، مقبرة فسطاط مصر والقاهرة. مهجورًا: قال ابن العديم في الإنصاف والتحرّي إنه أراد به المسلم بن عليّ بن تغلب الملقّب مؤتمن الدولة. وقد رثاه ابن سنان بالقطعة رقم ٤٧ (يرجع إليها للوقوف على ترجمته وعلى المصدر).

وَمُقِيمَـ ـا عَلَـ ـى (المَعَـ ـرةِ) تَطْـ ـوِيـ ـ
ـ ـ ـه اللّيَـ ـالِي وَذِكْـ ـرُهُ مَنْـ ـشُورُ[1]

١٠- وَصَـ ـرِيحَيْنِ بِـ ـ ـ (العَوَاصِـ ـمِ) مَبْـ ـذُو
لَـ ـيْنِ وَالـ ـصبْرُ عَنْهُمَـ ـا مَحْظُـ ـورُ[2]

وَغَرِيبًـ ـا بِـ ـ ـ (الـ ـدَيْرِ) بَـ ـانَ لَـ ـهُ العَيْـ ـ
ـ ـشُ وَغَـ ـاضَ النـ ـدَى وَمَـ ـاتَ الـ ـسرُورُ[3]

صَـ ـارِمٌ فَلَـ ـتِ النوَائِـ ـبُ حَدَيْـ ـ ـ
ـ ـهِ وَغُـ ـصْنٌ تَحْـ ـتَ الثـ ـرَى مَهْـ ـصُورُ

عُصْبَةٌ كُنْـ ـتُ أدعِـ ـي[4] لَهُـ ـمُ الـ ـوُد (م)
وَصَـ ـبْرِي لُـ ـؤْمٌ عَلَـ ـيْهِمْ كَـ ـبِيرُ[5]

وَحَيَـ ـاتِي غَـ ـدْرٌ فَهَـ ـلْ لِوَفَـ ـائِي[6]
أجَـ ـلٌ عَاجِـ ـلٌ وَعُمْـ ـرٌ قَـ ـصِيرُ؟!

---

(1) يشير بهذا البيت إلى أبي العلاء المعرّيّ.

(2) العواصم والثغور: سبق شرحهما في ق ٢ ب ٢٥.
لعلّه يشير بهذا البيت إلى والديه. قابل البيت مع البيت ٢٣ من القطعة ٥٩.

(3) الدير: اسم لعدّة مواضع في البلاد العربيّة. منها ما كان بالقرب من حلب، وما كان بالثغور، كما يستخلص من «كتاب الديارات» للشابُشْتِي؛ معجم البلدان (مادة: الدّير). بان له: بان من أجله.

(4) م: كنت أدّعي فيهم.

(5) ظ. م: لؤم عليهم كثير.

(6) م: فهل لوفاتي.
يقول إن حياتي بعدهم غدرٌ بهم. فهل يكون وفائي لهم محدودًا بهذا القدر؟

١٥- أيهَـــا الظـــاعِنُونَ لاَ زَالَ لِلْغَـــيْـ
ـــــثِ رَوَاحٌ عَلَـــيْكُمُ وَبُكُـــورُ!
لَسْتُ أَرْضَى بِالـدَّمْعِ فِـيكُمْ وَهَـلْ يَمْـ
ـــلِكُ ري الْبُحُـــورِ إلا الْبُحُـــورُ؟!
قَـــدْ رَأَيْنَـــا دِيَـــارَكُمْ وَعَلَيْهَـــا[1]
أَثَـــرٌ مِـــنْ عُفَـــاتِكُمْ مَهْجُـــورُ
وَسَــــأَلْنَا أَطْلاَلَهَـــا فَأَجَابَـــتْ
وَمِـــنَ الـــصَّمْتِ وَاعِـــظٌ وَنَـــذِيرُ[2]
عَرَصَـــاتٌ كَـــأَنهن لَيَـــالٍ
فَارَقْتَهَـــا عِنْـــدَ الكَمَـــالِ الْبُـــدُورُ
٢٠- تُفْهِمُ الغَـافِلِينَ كَيْـفَ يَحُـولُ الـدَّ
هْــرُ عَــنْ عَهْــدِهِ وَكَيْــفَ يَحُــورُ
بَـــانَ ذُل الأَسَـــى عَلَيْهَـــا فَلِلْغَيْـــ
ـــثِ بُكَـــاءٌ وَلِلنَّـــسِيمِ زَفِـــيرُ
ذَكَرَتْنَـــا عُهُـــودَكُمْ بَعْـــدَمَا طَـــا
لَـــتْ لَيَـــالٍ مِـــنْ بَعْـــدِهَا وَشُـــهُورُ

---

(1) ظ: وعرفنا.
(2) الأفضليات، ص ٣١٥: قد سألنا أطلالكم
كأنّه ينظر إلى قول المعرّيّ [طويل]:
وقد تَنْطقُ الأشياءُ وهْيَ صَـوامتٌ وما كلّ نُطْقِ المخبرين كلامُ
(سقط الزند، ص ١٠٩)

عَجَبًـا كَيْـفَ لَـمْ تَمُـتْ فِـي مَغَانِيـ ـ
ـ ـهَا أَسًـى، مَـا القُلُـوبُ إلا صُـخُورُ
يَـا دِيَـارَ الأَحْبَـابِ غَيَّـرَكِ الدهْـ ـ
ـرُ فَكَانَـتْ[1] بَعْـدَ الأُمُـورِ أُمُـورُ
٢٥- أَيْـنَ أيامُنَـا بِظِـلِّكِ وَالـشمْـ
ـ ـلُ جَمِيـعٌ وَالعَـيْشُ غَـضٌ نَـضِيرُ؟
نَشْوَةٌ أَعْقَبَـتْ خُمَـارًا مِـنَ الهَـمِّ (م)
وَلَكِـنْ قَـدْ يُفْـرِقُ المَخْمُـورُ[2]
وَزَمَـانٌ مَـضَى فَمَـا عُـرِفَ الأولُ
إلا بِمَـا جَنَـاهُ الأَخِـيرُ[3]
يَـا نُجُـومَ العَـلاءِ غُـرْتُمْ[4] وَمَـا لِلَّيْـ ـ
ـ ـلِ مِـنْ بَعْـدِكُمْ نُجُـومٌ تَغُـورُ

---

(1) م: وكانتْ.
(2) أعقبتْ: زالت وتركت ؛ أورثت. والخُمار: ما يترك شُرْبُ الخمر من صداعٍ وأذًى.
قد يفرق المخمور: قد يصحو، من أفرق المريض والمحموم: أفاق وبرئ.
(3) يريد: لم يّتضح الأول إلا بالآخر، أي لم نعرف ما كُنّا فيه من سعادة ونعيم معرفة حقيقية إلابعد ما فقدناكم. وهذا على حدّ قول أبي تمّام [كامل]:
والحادثات وإن أصابَك بؤسُها فَهْو الذي أنباكَ كيف نعيمُهـا
(الديوان: ٣ / ٢٧٣)
وهو معنًى طرقه فحول الشعراء بأساليب متنوعة، وصرّح به المتنّبي [كامل]:
وَنَذِيمُهم وبـهـم عرفنـا فـضلَه وبـضدها تتبـيّن الأشـياءُ
(الديوان: ١ / ١٤٩)
(4) ظ. ف: غُرْتُمْ وفي غيرها غِرْتُمْ.

طَالَ عَمَّا عَهِدْتُمُوهُ وَلَمْ(١) يَجْـ ـ

ـ ـرِ عَلَى رَسْمِهِ الصَّبَاحُ المُنِيرُ

٣٠- وَعَفَا الجُودُ فَالكَرِيمُ بَخِيلٌ

فِي المُلِمَّاتِ(٢) وَالغَنِيُّ فَقِيرُ

وَتَسَاوَى الوَرَى فَلَمْ يَبْقَ مَشْكُو

رٌ عَلَى مِنَّةٍ وَلاَ مَعْذُورُ

لاَ يُجَاوِرْكُمُ الصَّعِيدُ(٣) بِسُوءٍ

فَهْوَ لِلنَّازِلِينَ بِئْسَ المُجِيرُ

وَسَقَاكُمْ مِنَ السَّحَابِ صَنَاعُ الكَـ ـ

ـ ـفِّ يُسْدِي فِي رَوْضِكُمْ وَيُنِيرُ(٤)

كُلَّ غَنَّاءَ يُقْلِعُ الغَيْثُ عَنْهَا

وَلَهَا أَعْيُنٌ مِنَ النَّوْرِ حُورُ(٥)

---

(1) م: فَلَمْ.

(2) ظ: المهمات.

(3) الصعيد: القبر.

(4) صناع الكفّ: حاذق، ماهر بعمل اليدين. السدَى من الثوب: ما مُد منه طولاً في النسج وهو خلاف اللحْمَة. وأسدى الثوب: أقام سداه. والنير: هدب الثوب أو لُحمته والعلم في الحاشية. والنير أيضًا: القصب والخيوط إذا اجتمعتا. ومن المجاز: أمر مبرَم مسدى مُلْحَم. وما أنت بلحمة ولا سداة أي لا تضرّ ولا تنفع (أساس البلاغة، مادة: سدي).
يدعو لهم بأن يسقي قبورهم سحابٌ يغدق سكْبَ مائه في روضهم.

(5) الغناء من الرياض: الكثيرة العشب إذا كانت يألفها الذِبان أو تمرّ بها الريح غير صافية الصوت لكثافة عشبها والتفافه (وأصلها من الغُنة). والنوْر: الزهر.

٣٥- عَارِضٌ مُغْضَبٌ عَلَى المَحْـ ـلِ لاَ يَخْـ ـ
ـ ـ ـ ـطِرُ إلا وَسَـ ـ ـيْفُهُ مَـ ـ ـ ـشْهُورُ(١)
أشْـ ـرَقَتْ فِيـ ـهِ لِلا ـ شقِيقِ خُـ ـدُودٌ
وَأَضَـ ـاءَتْ مِـ ـنَ الأَقَـ ـاحِي ثُغُـ ـورُ(٢)
يُبْتِـ ـلُ المَـ ـاءُ خَطْـ ـوَهُ فَتُزَجيـ ـ ـ
ـ ـهِ النعَـ ـامَى كَمَـ ـا يُزَجـ ـى الحَـ ـسِيرُ(٣)
عَـ ـم مَعْرُوفُـ ـهُ فَفِـ ـي كُـ ـل وَادٍ
مِـ ـنْ أيادِيـ ـهِ رَوْضَـ ـةٌ وَغَـ ـدِيرُ
وَعَلَـ ـى الـ ـرغْمِ أنْ يَجُـ ـودَ عَلَـ ـيْكُمْ
وَاهِـ ـبٌ بِـ ـالنوَالِ مِـ ـنْكُمْ جَـ ـدِيرُ
٤٠- مَا رَأى الـ ـشعْرَ كَافِيًـ ـا فِـ ـي مَرَاثِيـ ـ
ـ ـكُمْ وَلَكِـ ـنْ قَـ ـدْ يَنفِـ ـثُ المَـ ـصْدُورُ(٤)
وَإذَا مَـ ـا أطَلْـ ـتُ فِيـ ـهِ وَلَـ ـمْ يَـ ـشْـ
ـ ـ ـفِ غَلِـ ـيلاً فَكُلـ ـهُ تَقْـ ـصِيرُ

---

(1) م: مُغضِب، بالكسر. مغضَب: كناية عن الرعد.

وسيفه مشهور: شبّه البرقَ بالسيف في لمعانه.

(2) الشقيق: ما يدعى بشقائق النعمان، وهو نَوْر أحمر. واسمه الشقْر.

(3) النعامى: ريح الجنوب لأنا أبل الرياح وأرطبها. الحسير: البعير إذا أصابه الإعياء.

يدعو للغيث أن تدفعه النعامى النديّة فينهمر على مهل وينمو العشب والنبات.

(4) ينظم المَثلَ: ((لا بدّ للمصدور أن ينفِث)) (الميداني: ٢ / ٢٤١، الرقم ٣٦٦٦).

واحد وأربعون بيتًا

[١١٤] *

وقال أيضًا [سريع]:

وَا خَجْلَتَــا[١] لِلطَّيْــفِ لَمــا سَــرَى
فِــي خَطَــرِ اللَّيْــلِ إِلَــى سَــاهِرِ!

زِيَـــارَةٌ ضَاعَـــتْ وَلَكِنَّهَـــا
جِنَايَـــةُ الـــشَّوْقِ عَلَـــى الزَّائِـــرِ

بيتــان

(*) ف. ك ٦٣، ق ٩٨، م ٨٠، ظ ٨٣، مط ٣٧.

(١) ك: وا خجلتي.

* [١١٥]

وقال أيضًا [مديد]:

مَـــا عَلَـــى الوَاشِـــينَ مِـــنْ حَـــرَجٍ
مِثْـــلُ[١] مَـــا بِـــي لَـــيْسَ يَنكَـــتِمُ
زَعَمُـــوا أنِّـــي أُحِبُّكُـــمُ
وَعَرَاهِـــي فَـــوْقَ مَـــا زَعَمُـــوا[٢]

بيتان

* [١١٦]

(*) ف. ك ٦٣، ق ٩٨، م ٨٠، ط ٨٣، مط ١٠٢.

(١) م: مثلَ - بالفتح -

(٢) البيتان في الغزل.

وقال أيضًا [المديد الخامس]:

أيهَـ ـ ـا النـ ـ ـوامُ وَيْحَكُـ ـ ـ ـمُ
قَـ ـدْ حَمَلْنـ ـا عَـ ـنْكُمُ الـ ـسهَرا(١)

نَحْـ ـنُ فِـ ـي ظُلْمَـ ـاءَ دَاجِيَـ ـةٍ
مَـ ـا لَهَـ ـا صُـ ـبْحٌ فَيُنتَظَـ ـ ـرَا

فَجْرُهَـ ـ ـا وَالـ ـ ـصبْرُ بَعْـ ـ ـدَهُمُ
مَـ ـا سَـ ـمِعْنا عَنْهُمَـ ـا خَبَـ ـرَا(٢)

ثلاثة أبيات

[١١٧] *

(*) ف. ك ٦٣، ق ٩٩، م ٨٠، مط ٣٧.

(١) في الصدر يحذو حذو جميل بن معمر في قوله [طويل]:

ألا أيهـا النـوام ويحكـم هبـوا ... أسائلكم: هل يقتلُ الرجلَ الحب ؟

(الأغاني ٧ / ١٦٤)

وهي رواية الأغاني، ورواية غيره: ألا أيها الركب النَيامُ ألا هبوا...

وفي الصحاح: نائم والجمع نِيَام، وجمع النائم نُوم ونِيم على اللفظ.

(٢) جعل الفجر والفرج مجهولين بعيدين، وهذا كقول الحُصْري القيروانيّ [متدارك]:

يا لَيـلُ ! الـصب مـتى غَـدُهُ ؟ ... أَقِيامُ الـسّاعةِ مَوْعِـدُهُ ؟

(الديوان ص ١٤٣)

وقال أيضًا [كامل]:

وَمُـــرَنحِ الأَعْطَـــافِ فِـــي أَجْفَانِـــهِ
سَقَمٌ يَزِيدُ بِــهِ سَقَــامُ المُدْنَــفِ[1]

عَنفْتَنِــي فِــي حُبــهِ وَلَرُبمَــا
أَبْــصَرْتَهُ فَأَتَيْــتَ غَيْــرَ مُعَنــفِ

وَأَمَرْتَنِــي بِجُحُــودِهِ وَبِــذِكْرِهِ
عَنْوَنْتُ طَي صَحِيفَتِي فِــي المَوْقِــفِ[2]

وَحَيَاتِــهِ مَــا حَــازَ مِثْــلَ جَمَالِــهِ
أَحَدٌ وَلاَ تُجْلِــبْ عَلَــي بِيُوسُــفِ[3]

أربعة أبيات

(*) ظ ٨٣، ف ٦٣، ث ٦٤، ق ٩٩، م ٨١، مط ٧٤.

(1) المدْنف: من براه المرض حتّى أشرف على الهلاك. قصد به: من أضرّ به الحبّ.

(2) ((وبذكره عنونت طيّ صحيفتي في الموقف)): الظاهر أنها كناية عن كون هذا المحبوب ذهب بعقله وأوْرثه الخَبال. والتكليف مرفوع عن المجنون؛ فهو من النّاجين يوم يقف الناس أمام ربّهم.

(3) ظ: فلا تَجْلُب.

جَلَبَ على فرسه يجلُب وأجلب عليه إذا صاح به من خلفه واستحثّه للسبق، وأجلبوا عليه إذا اجتمعوا وتألّبوا. وقوله: لا تجلب عليّ بيوسف، أي لا تذكر لي جمال يوسف عليه السلام، فإنه دون جماله، ومثل هذا كثير في المديح، بَلْهَ الغزلَ.

[١١٨] *

وقال في الزهد [مجزوء الكامل]:

أيهَا النفْسُ أَقِلِي
فَلَقَدْ أَكْثَرْتِ ثِقْلِي[١]

إنمَا أُصْلِحُ مِنْ أمْرِكِ مَا يُفْسِدُ عَقْلِي[٢]

لَسْتُ أرْضَى لَكِ بِالعِزِ الذِي يُوجِبُ ذُلِي[٣]

وَهَوَى الأَكْثَرِ، وَالعَيْشُ يُزَجى بِالأَقَلِ[٤]

(*) ظ ٨٣، ف. ك ٦٤، ق ٩٩، م ٨١، مط ٩١. القصيدة في عتاب النفس ونهيها عن التمادي في النزوع إلى العلاء والمجد، وهي من أندر ما قيل في الشعر العربي لما فيها من فلسفة الصراع بين العقل والقلب داخل الإنسان.

(1) لعل ابن سنان ينظر في هذا البيت إلى قوله المتنبي [خفيف]:

وإذا كانَتِ النفوسُ كِبارًا تعبَتْ في مُرادِها الأجسامُ

(الديوان ٤ / ٦٤)

يخاطب ابن سنان نفسه طالبًا منها أن تقلّل اللّوم، فلقد ناء كاهله بثقل مطامحها.

(2) يفضل العقل على إيحاءات النفس وهواجسها، ويقول: إذا وافقت هوى النفس وأصلحت أمرها فسيكون ذلك بمخالفة ما يُمليه العقل الرشيد.

(3) يشير إلى أنه يستطيع إدراك المجد، إلا أن ذلك لا ينبغي أن يكون على حساب عزّته.

(4) هوى الأكثر: معطوف على (بالعزّ). يزجى: يسهل تحصيله.

يقول: لا أرضى لك بحبّ الأكثر، فإن العيش يمكن أن يزجّى بالميسور القليل.

قَدْ تَعَلَّقْتِ(1) مِنَ الدُّنْـ
ـيَا بِأَمْرٍ مُضْمَحِلِّ
وَتَمَسَّكْتِ مِنَ النَّا
سِ بِعَقْدٍ مِنْحَلِّ
وَإِذَا حَاوَلْتِ تَحْقِيـ
ـقًا فَجَهْلٌ(2) فَوْقَ جَهْلِ
يَا حِلاَلَ(3) التُّرْبِ مَا أَبْـ
ـلاَكُمُ إلا وَيُبْلِي(4)
وَنَحْنُ نَتْلُوكُمْ وَمَا السَّا
بِقُ إلا كَالْمُصَلِّي(5)
قَدْ بَذَلْنَا لَكُمُ مِنْ
دَمْعِنَا جُهْدَ المُقِلِّ(6)

---

(1) ظ. م: قد تعلّقتُ - بضمّ التاء -.

(2) ظ: فجهلا..

(3) ق: يا حَلال. والحِلال: القوم المقيمون المتجاورون.

(4) قوله ((يا حِلال الترب))، أي يا أيّها الحالّون في التُّرْبِ. وقوله: إلا ويُبْلِي: فيه اكتفاء، أي ويبلي غيرَكم.

(5) المصلي: تالي السابق من الخيل، يقال: صلّى الفرس إذا جاء مصلّيًا، وهو الذي يتلو السابق لأن رأسه عند صلاه. يعظ نفسه بالموتى السابقين، فالأحياءُ التالون سيؤولون إلى أحوال أولئك.

(6) جهد المقل: قَدْرَ ما يحمله قليلُ المال، واستعمله الشاعر على الـاز. يريد: بكيناكم قليلاً.

وَلَحِقْنَاكُمْ مِنَ الدَّهْـ
ـرِ بِحَادٍ مُشْمَعِلِّ[1]

كَمْ أُطِيلُ الخَوْضَ فِي لَيْـ
ـلٍ مِنَ الفِكْرِ مُضِلِّ!

مَنْ لِسَارِي اللَّيْلَةِ اللَّيْـ
ـلاءِ فِي الصُّبْحِ وَمَنْ لِي؟![2]

ثلاثة عشر بيتًا

(1) المشمعِل: الناقة السريعة. قال الخليل: اشمعلت الإبل إذا مضت وتفرقت مرَحًا ونشاطًا. الحادي المشمعلّ: قصد به منادي الموت الذي يسوق الناس بسرعة ويفرقهم وبه مَرَحٌ ونشاط. وأصل التركيب: ولحقناكم بحادٍ من الدهر مشمعلّ.

(2) عنى بساري الليلة الليلاء: الإنسان في الحياة الدنيا، وبـ (الصبح) انتباهه من رقدة القبر.

يتساءَل تَسَاؤُل خوف وقلق عن مصيره ومصير غيره حين يدركهم الصبح، أي يوم البعث والنشور.

[١١٩] *

وقال يمدح شرف أمراء العرب سيف الخلافة أبا سلامة محمود بن نصر بن صالح بن مرداس (1) في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة [طويل]:

يُحَارِبُنِي فِـي كُـلّ نَائِبَـةٍ دَهْـرِي
كَأن الرزَايَا تُدْرِكُ الفَخْـرَ فِـي قَـسْرِي

أُضُم لـ(سَعْدٍ) شَـارِدَ المَجْـدِ وَالعُـلا
وَ(سَعْدٌ) يَرَانِـي بِالتـشَاوُسِ وَالـشزْرِ (٢)

يُحَـاوِلُ أَنْ أَرْضَـى الدنِيـةَ طَائِعًـا
وَأَعْدُو بِـلاَ نَـابٍ يَـرُوعُ وَلاَ ظُفْـرِ

وَمِـنْ دُونِ ذُلِّـي عُـصْبَةٌ (عَامِرِيـةٌ)
يَلُوونَ أَعْطَـافَ المُثَقفَـةِ الـسمْـرِ (٣)

٥- إِذَا فَوقَ الوَسْمِي أَبْـرَادَ حَاجِـرِ

(*) ظ ٨٤، ف. ك ٦٤، ق ١٠٠، م ٨١، مط ٣٧.
ورد بعض أبيات القصيدة في الأفضليات، ص ٤٢.

(1) رشيد الدولة محمود بن نصر (شبل الدولة) بن صالح (أسد الدولة) بن مرداس.

(2) الشوَس - بالتحريك - النظر بمؤخر العين تكبرًا أو تغيظًا، ويقال تشاوس إليه، وهو أن ينظر إليه بمؤخر عينه ويميل وجهه في شقّ العين التي ينظر بها.
الشّزر: نظر الغضبان بمؤخر العين.
و(سعد) وهميّ، من عادة العرب أن يكنوا به مثل:((انجُ سعد، فقد هلك سعيد)).
يقول: أريد أن أضمّ المجد والعلا لسعدٍ، وسعد ينظر إليّ بمؤخر عينه استخفافًا وتكّبرًا وتغّيظًا. وكأن ابن سنان ترسم قول علي بن أبي طالب مستشهدًا ببيت لعمرو بن معديكرب [وافر]:
أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيـدُ قَتِلـي عَذِيرَكَ مِن خَلِيلِـكَ مِـن مُـرادِ
(اللسان وتاج العروس مادة عذر).

(3) عصبة عامريّة: ربما أراد قوم الممدوح الذين يرجع نسبهم إلى بني كلاب بن عامر بن صعصعة، وفي الصحاح: خفاجة حيّ من بني عامر اهـ.

وَأَتْرَتْ شِعَابُ (الوَادِيْينِ) مِـنَ القَطْـرِ[١]

فَـلا تَـأْمَنُوا أَنْ تَـسْمَعُوهَـا مُرِنَّـةً

بِقَـرْعِ العَوَالِـي وَالمُهَنَّـدَةِ البُتْـرِ

يَقُولُ (أَبو حَـزْنٍ): طَلَبْنَـا لَـكَ الغِنَـى

فَلِمْ أَخَذَتْ كَفاكَ فِي طَلَـبِ الفَقْـرِ؟[٢]

فَقُلْتُ: رَأَيْـتُ المَـالَ يَبْلَـى حُطَامُـهُ

وَتَبْقَى أَحَادِيثُ الرجَـالِ مَـعَ الـدهْرِ[٣]

وَ(شَيْبانُ) لَبانِـي فَلَمـا بَلَوْتُـهُ

تَقَاعَسَ عَني وَالأَسِنةُ فِـي نَحْـرِي[٤]

١٠- تَحَملَ عَارَ الذل وَاطرَحَ الـردَى

(1) سقط البيت من ف. ق. ك. البُرد من الثياب والجمع برود وأبراد، برد مفوف: فيه خطوط بيض. الوسميّ: مطر الربيع الأول لأنه يَسِمُ الأرض بالنبات، نُسب إلى الوَسْم. والأرض موسومة. حاجر: اسم موضع تقدم شرحه في القطعة ٣ البيت ٢، وقد تكرر ثماني مرات في شعر ابن سنان.
يقول: إذا وسم مطر الربيع أرض حاجر فجعل فيه خطوطًا بيضًا من النبات كالتي تكون في الأبراد، وامتلأت شعاب الواديين بماء المطر واطمأنّ الناس، فلا تأمنوا أن تسمعوا قرع طبول الحرب. وكأن الخطابَ موجّهٌ إلى بني خفاجة قومه.

(2) يقول أبو حزن: أردنا أن نغنيك فلمَ أنفقت ما أعطيناك، وكأنك تطلب لنفسك الفقر ؟! وهذا يذكّر بقول حاتم الطائي [طويل]:
أماوي إن المال غادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الأحاديث والذكرُ
(الشعر والشعراء: ص ١٩٩)

(3) يذكر ابن سنان في بعض شعره أنه ورث مالا من أهله، ويشير هنا إلى إنفاقه في الكرم.

(4) يشير إلى اسم شخص (شيبان) وعده بأن ينصره فلمّا احتاج إلى نصرته خذله. ونرى أن الاسم وهميّ عنى به شخصًا لم يرد أن يصرّح باسمه.

وَطُوقَهَا[1] شَـنْعَاءَ أَبْقَـى مِـنَ الـذِّكْرِ

وَقَارَعَنِي ذُلانُ (عَبْسٍ) عَلَـى النَّـدَى
كَمَا قَارَعَ الْغَيرَانُ عَنْ بَيْـضَةِ الخِـدْرِ[2]

أَغَادَرْتُمُوهَا فِي الـشَّرِيفِ خَوَامِـسًا
طَلاَئِحَ لَمْ تُسْعَفْ بِـسَوْقٍ وَلاَ زَجْـرِ؟[3]

فَهَـلْ فِـيكُمُ أَنْ تَمْنَعُـوا نَزَوَاتِهَــا[4]
بِمِيسَمِ عَارٍ فِيكُمُ ثَابِــتِ الذِّكْــرِ؟[5]

أَرَمْـتُمْ مَـدِيحِي وَاطَرَحْتُـمْ ثَوَابَــهُ

---

(1) م: وطُوقَها.

(2) الخِدْر: الستر، وجارية مخدّرة إذا لازمت الخدر، وبيضة الخدر: الجارية المصونة في خدرها، قال امرئ القيس:

وَبيضةِ خِدرٍ لا يُرامُ خِباؤُها

(الديوان: ص ١٤٨)

(3) مط: لم تعسف. الشرِّيف: ماء لبني نمير.

يشير بهذا البيت وبما بعده إلى يوم الشرِّيف من أيام العرب.

الخوامس: أخمس الرجل إذا وردت إبله خِمسًا. والخِمْس من أظماء الإبل أن ترعى ثلاثة وترد اليوم الرابع، فهي خوامس.

إبل طُلّح وطلائح وناقة طليح أسفار إذا جهدها السير وهَزَلَها. والطلْح - بالكسر - المعيي من الإبل وغيرها.

يعيب على بني عبس ذلهم في إبلهم الـهدة من السير والهزال وتركها أظماء لا ترد ماء بني نمير إلا خمسًا.

(4) ظ. م: نزواتها، وهو تصحيف.

(5) نَزَا يَنْزُو نَزْوًا وَنَزَوَانًا: وثب، ونزا الذكر على الأنثى نِزاء، ويقال وقع في الشاة نُزاء - بالضمّ - وهو داء يأخذها فتنـزو منه حتى تموت - أي تثب -

يهجوهم لضعفهم عن نصرة الناس حتى إبلهم لا يملكون لها شفاء من النـزوان إلا بالكيّ، فآخر الدواء الكيّ كما يقولون. ولعلّه يشير إلى اعتقاد العرب في جاهليتهم بأن الكيّ يشفي العاشق المولّه من داء الحبّ، وفي هذا تهكّم بهم.

وَهَلْ تُمْلَكُ الحَسْنَاءُ إلا عَلَى مَهْــرِ؟[1]

١٥- فَمَالِـيَ أَرْضَـى مِنْكُــمُ بِدَنِيـَّـةٍ

تَحُض الرجَالَ الأَبْعَـدِينَ عَلَـى نَـصْرِي

وَفي الحَي (مَحْمُودُ بْنُ نَصْرِ بْنِ صَـالِحٍ)

أَخُو الغَارَةِ الشَعْوَاءِ وَالكَرَمِ الدثْــرِ؟[2]

أَقِلْهَا مِنَ الحَــيِ اللئِيــمِ وَنَادِهَــا

مِرَاحَكِ هَذَا آخِرُ العَهْــدِ بِالــضـر[3]

---

(1) م: مُهر - بضم الميم -

(2) محمود بن نصر بن صالح الأمير المرداسي، وقد قيلت القصيدة في مدحه عام ٤٤٣ هـ أي قبل امتلاكه حلب بإحدى عشرة سنة، ويشير في البيت إلى أنه كان أميرًا على الثغور.

وفي هذا البيت ما يسمّيه البلاغيون بالاطراد، وهو أن يذكر الشاعر الممدوح واسم من أمكنه من آبائه في بيت واحد على الترتيب، ليعمّ المدح كل من ذُكِرَ ولإبراز المفاخر. ومنه قول أبي تمام [كامل]:

عَمرُو بنُ كُلثُومِ بنِ مالِكٍ الذي   تَرَكَ العُــلا لِبَنِــي أبِيــهِ تُراثــا

(الديوان ١ / ٣٢٢)

وقول ابن سنان: غارة شعواء، أي شافية متفرقة، قال عبيد الله بن قيس الرقيات [خفيف]:

كيف نومي على الفراش ولَما   تــشمل الــشامَ غــارةٌ شــعواءُ

(الصحاح للجوهري)

الدثر - بالفتح - المال الكثير، وعسكر دثر أي كثير.

وفي البيت أيضًا (حسن التخلص) وهو الانتقال من غرض هجاء القوم إلى مدح الأمير.

(3) المَرَح: شدة الفرح، والنشاط، وقد مرح - بالكسر - فهو مرحٌ، والاسم المِراح - بكسر الميم - يستغيث بالأمير من الحيّ اللئيم، ويطلب منه أن يقيل عثرة ناقته ويطلق لها النشاط والمرح بعدما عانت الضرّ، على طريق المجاز المرسل: نسب الضرّ إلى ناقته وأراد من عليها يعني نفسه.

وَإِنْ هِيَ حَنتْ فِي بُيُوتِ (ابْـنِ صَـالِحٍ)
فَلاَ عُقِلَتْ إلا قُيُودًا مِـنَ العَقْـرِ![1]
مِنَ القَوْمِ صَالَ الدَهْـرُ إلا عَلَيْهِـمُ
وَصَالُوا بِبِيضِ الهِنْدِ حَتى عَلَى الدَهْرِ[2]
٢٠- لَهُمْ فِي قِرَاعِ المَحْلِ أيْـدٍ كَأنَمَا
يَعُدونَهَا وَقْفًا عَلَى الحُجَـجِ الغُبْـرِ[3]
إِذَا سُئِلُوا خِلْتَ النـدَى مِـنْ أكُفهِمْ
تَسَربَ مَاءً فِي وُجُوهِهِـمُ الغُـرِ
وَإِنْ أخْضَبُوا بِالطعْنِ عَادُوا مِنَ النـدَى
سِرَاعًا إِلَى دَاعِـي الخَصَاصَةِ وَالعُسْرِ
تَمِيسُ بِهِمْ فِي طَاعَةِ الجُـودِ هِـزةٌ
كَمَا طَربَ النشْوَانُ عَنْ نَزْوَةِ[4] الخَمْـرِ[5]
وَمَا كَاثَرَتْ جُـنْحَ الظـلاَمِ سَـوَامُهُمْ
فَرَوحَهَا الرعْيَـانُ إلا إِلَى النحْـرِ[6]

---

(1) حنين الناقة: صوتها في نزاعها إلى ولدها، وحنة البعير رغاؤه. بيوت ابن صالح: أراد بيوت الأمير نصر بن صالح والد الممدوح أمير حلب المتوفي سنة ٤٢٩ هـ. يريد أن ليس للنوق أن ترغو في بيوت ابن صالح، فإن هي فعلت فليس لها إلا العقر، كناية عن الكرم.

(2) البيت في الأفضليات لابن الصيرفيّ - ص ٤٢ - ومعه بيتان.

(3) الحِجة: السنة، والجمع حِجَج. سنة غبراء: جدبة. سميت بذلك لاغبرار آفاقها من قلة الأمطار وأراضيها من عدم النبات والخضرة.
يمدحهم بالكرم وأنم يقارعون المحل بجودهم كما يقارعون جيوش الأعداء.

(4) ظ: من نزوة

(5) عن نزوة الخمر: أي من نزوة الخمر.

(6) جُنح الليل وجِنحه: طائفة منه. السوَام: المال الراعي، يقال سامت الماشية تسوم سومًا أي رعت فهي سائمة. أراد أنم أغنياء يكاثرون الليل بإبلهم، وأنم كرام.

٢٥- إذَا انْتَسَبُوا جِلْـتَ السَّمَاءَ تَهَافَتَتْ
عَلَيْهِمْ وَبَانَتْ مِنْ كَوَاكِبِهَا(١) الزهْرِ(٢)

هُمُ البِيضُ إلا أنهُمْ وَاصَلُوا القِرَى
وَقَدوا الطلَى وَالبِيضُ تَفْرِي وَلاَ تَقْرِي(٣)

وُجُوهٌ كَأَيمَاضِ الصَوَارِمِ أشْرَقَتْ
مِنَ الحَسَبِ الوَضاحِ وَالنائِلِ الغَمْرِ(٤)

---

(1) ظ: عن كواكبها.

(2) التهافت: التساقط قطعة قطعة.

يشّبههم بالنجوم في علوّ منزلتهم، وهذا على حدّ قول أبي تمّام [طويل]:

كأنّ بَنِي نَبهانَ يومَ وفاتِهِ نجومُ سماءٍ خَر من بَينِها البَدرُ

(الديوان: ص ٢١٩، ط. دار الفكر)

وفي قول ابن سنان إغراق في المبالغة، وهذا أسلوبه في جلّ شعره، أراد أن السماء تـ ل إليهم لمباركة نسبهم، وهذا المعنى جديد، فقد ألف الشعراء القول إن بيوتهم في السماء كقول الفرزدق [كامل]:

إن الذِي سَمَكَ السماءَ بَنى لَنا بَيتًا دَعائِمُهُ أعَز وأطوَلُ

(الديوان ص ٧١٤)

وابن سنان يقول: إذا انتسبوا سلبوا السماء نجومها.

(3) الطلى: الأعناق، قال الأصمعي: واحدتا طُلْيَة، وقال أبو عمرو والفراء: واحدتا طُلاة. هم البيض: أي بيض الوجوه، على المجاز. استعمل البيض مرة بمعنى الغرّ، ومرة بمعنى السيوف، وفي البيت ما يسمّيه البلاغيون بالتعطف. يقول: إن المرداسيين قوم الأمير الممدوح كرام يقرون العفاة، وفي الحرب كالسيوف يقدّون أعناق الرجال، بل هم أفضل من السيوف لأنهم يقرون ويفرون، أما هي فتفري ولا تقري.

(4) الغمر: الماء الكثير. النائل الغمر: الكثير وفيه سخاء.

يقول إن وجوههم تشرق بالحسب الأصيل وبالسخاء ؛ لأنهم ينتمون إلى النجوم، ولأنهم يرتاحون إلى المعروف.

وَخَيْـــلٌ[(١)] تَبَـــارَى بِالرِمَـــاحِ كَأَنَّهَـــا

أَغَارَتْ عَلَى مَا فِـي الرِمَـاحِ مِـنَ الـضمْرِ[(٢)]

وَبِـيضٌ بِهَـا مَـاءُ الفِرِنْـدِ كَأَنَّـهُ

دُمُوعُ الغَوَادِي جُلْنَ فِي حَدَقِ الزَهْـرِ[(٣)]

٣٠- حَبِيبٌ إِلَيْهِـمْ أَنْ تُلِـمَّ مُلِمَّـةٌ

وَتَطْرُقُهُمْ فِيمَا أَصَـابُوا مِـنَ الوَفْـرِ[(٤)]

هُمُ ظَفِرُوا بِالعِز مِـنْ سَـيْفِ (صَـالِحِ)

---

(1) ف. ك: وخيلٍ - بتنوين الجرّ -

(2) الضمْر والضمُر: الهزال وخفّة اللحم، وقد ضَمَر الفرس يضْمُر ضمورًا، وتضمير الفرس أن تعلفه حتى يسمن، ثم تُرده إلى القوت، وذلك في أربعين يومًا، وهذه المدّة تسمى المضمار، والموضع الذي تضمر فيه الخيل أيضا مضمار (الصحاح). يقول: خيلهم ضامرة، تتبارى بالرماح في ميدان الحرب وكأنها أغارت على رماح فرسانها وسلبتها ضمورها.

(3) فِرْندُ السيف: رُبَدُه ووشيه. حدق مفرده حدقة، وحدقة العين سوادها. يشّبه لمعان السيوف بلمعان القطر على عيون الأزهار. وفي هذا البيت ما سّماه السكاكي (الاستتباع) وأبو هلال العسكري (المضاعف)، وابن أبي الإصبع (التعليق)، والزنجاني (الموجه)، لأن التشبيه جمع بين الشجاعة والندى، ومن الاستتباع قول أبي بكر الخوارزمي:

سَمحُ البَدِيهةِ لَيسَ يَمِلِكُ لَفظَهُ فكأنمـــا ألفاظُـــهُ في مالِـــهِ

مدحه بذلاقة اللسان على وجه استتبع الكرم. وفي بيت ابن سنان ما يشعر بالكرم (دموع الغوادي) وما ينبئ بالشجاعة (وبيض).

(4) يقول: حُببت إليهم الملمات ليبادروا إلى ما أصابوه من الوفر فيقدموه عطاء للمحتاجين، ولكنه يستدرك في البيت التالي ليقول إنهم دائما في عزّ وعلاء ينقاد الزمان لهم.

وَغُرِ المَعَالِي عَنْ (ثِمَالٍ) وَعَنْ (نَـصْرٍ)[1]
وَنَـالُوا (بِعِـزِ الدوْلَـةِ) المَجْـدَ شَـائِدًا

---

(1) صالح بن مرداس أسد الدولة، مؤسس الدولة المرداسية ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م. أمير الشام من بني كلاب الذين كانوا ينـزلون ضفاف الفرات والجزيرة. امتلك حلب وقوي أمره فحاربه الفاطميون، وقتل في الأقحوانة بالقرب من بحيرة طبرية سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩م.

ثمال بن صالح المرداسي معز الدولة ابنه، من أمراء الدولة المرداسية، صاحب حلب منذ عام ٤٣٤هـ وكان عليها زمن إنشاد القصيدة ٤٤٣هـ، ثم مدحه ابن سنان في العام التالي ٤٤٤هـ. استغنى الناس في زمانه. فلمّا اضطرب عليه بنو كلاب ترك حلب ٤٤٨هـ، وأعطاه الخليفة الفاطمي المستنصر بيروت وعكا وجبيل، وخلفه ابن ملهم على حلب. ثم عاد ثمال إليها سنة ٤٥٢ هـ إلى وفاته ٤٥٣ هـ، ودفن في المسجد بالقلعة لسبع بقين من ذي الحجة، فملكها أخوه عطية بن نصر.

نصر بن صالح بن مرداس شبل الدولة صاحب حلب، استولى عليها بعد مقتل أبيه ٤٢٠هـ. تولّى الدفاع عن العواصم والثغور شمالي سورية، وحارب البيزنطيين، وانتصر عليهم في معركة فاصلة مع ملك الروم أرمانس عام ٤٢٢ هـ/ ١٠٣٠م، صدّته عن شمالي سورية، وعقد معهم معاهدة صلح. قتل في حربه مع الفاطميين سنة ٤٢٩هـ.

يسلسل أسماء المرداسيين الذين ملكوا حلب والشام وحموا ثغور المسلمين من الروم، وأوّلهم صالح بن مرداس أسد الدولة، ثم أبناؤه: نصر شبل الدولة (والد الممدوح، وبعده ثمال معز الدولة، ثم عطية، ولم يذكره لأنه أنشد القصيدة قبل وصوله إلى الملك، إذ كان في أيامها على أحد الثغور. أما الممدوح فكان أيضًا على الثغور وقد سمّاه ابن سنان (عزّ الدولة) في البيت التالي.

لِمَا أتلُوهُ مِنْ عَـلاءٍ وَمِـ ـنْ فَخْـ ـرِ[١]

فَتًى ذَلـلَ الأيـامَ حَتـ ـى تَثَقفَـ ـتْ
عَلَى الهُونِ وَانْقَادَ الزمَـانُ عَلَـى القَـسْرِ

إذَا شَـرَدَ المَعْـرُوفَ أوْ جَمَـعَ العُـلا
رَأيْتَ الفَعَالَ السهْلَ في المَطْلَبِ الـوَعْرِ[٢]

٣٥- أشَد احْتِقَارًا لِلـرَدَى مِـنْ حُـسَامِهِ
وَأدْنَى إلَى سِر الأعَـادِي مِـنْ الذعْـ ـرِ

لَهُ خُلُقٌ: في المَحْـلِ غَيْـثٌ وَفي الـصَبَا
نَسِيمٌ وَفي جُنْحِ الدجَى غُـرةُ البَـ ـدْرِ[٣]

حَدَوْتُ إلَيْـهِ المَـدْحَ حُـرا وَطَالَمَـ ـا

---

(1) م: على قسر. عز الدولة: عنى محمود بن نصر الأمير الممدوح، ولم يكن بعد قد تسمّى بلقب. وقد عرف فيما بعد برشيد الدولة - تقدمت ترجمته في مطلع القصيدة.

(2) ظ. م: الفِعال - بكسر الفاء - الفَعال - بالفتح - الكرم، والفَعال أيضًا مصدر فَعَلَ يفعِل، والفِعال - بالكسر -: جمع الفِعل من فَعَل يفعَل.

(3) البيت والذي قبله في الأفضليات - ص ٤٢ - قال ابن الصيرفيّ في (له خلق في المحل...): ((وقد استعمل (ابن سنان) تركيب هذا البيت في موضع آخر فقال:

مـا هَزّهُ طَـرَبُ العُقـارِ وإنّمـا   أعطَتْهُ نَشوةَ كأسِها الأخلاقُ
هي في الهوى وَعدُ الوصالِ وفي الكرى   طَيفُ الخيالِ وفي الوداعِ عِناقُ

وأما قوله: أشد احتقارًا للردى من حسامه، فهذا الصدر يصلح أن يعجز بقول أبي الطيب: وأقْدَمُ بين الجحفلين من النبل.

على أن صدر أبي الطيب مناسب للفخر المذكور لأنه قال: أقلّ بلاء بالرّزايا من القنا، فصير هذا العجز مع الصدرين)).

بَخِلْتُ بِهِ حَتى تَقَاعَسَ فِي فِكْرِي
وَأَكْبَرْتُ قَدْرِي أَنْ يَجُودَ بِهِ فَمِي
وَنَزهْتُ نَفْسِي أَنْ يَجِيشَ بِهِ صَدْرِي
فَجَاءَ عَلَى إِجْمَامِهِ[1] بِشَوَارِدٍ
جَوَائِلَ فِي الآفَاقِ مِصْرًا إِلَى مِصْرِ[2]
٤٠- إذَا غَرَدَ الحَادِي بِهَا حَفَزَتْ[3] بِهِ
حَنِينًا فَأَضْحَى وَهْوَ حَاسِدُهَا يُطْرِي[4]

أربعون بيتًا

---

(1) مط: على إحجامه.

(2) الجَمَم: الكثرة من كلّ شيء، أجمّ الفرس إجمامًا: ترك فلم يُركَبْ فذهب عنه إعياؤه.

الشوارد جمع شرود: أراد القصيدة المنتشرة في الآفاق لحسنها وجودتا، من شرد البعير إذا نفر، المؤنث شاردة والجمع شوارد.

يريد أنه نظم بعد سكوت طويل هذه الأبيات التي اشتهرت ومرّت في الآفاق حتى حدا با الحداة، ويذكّر هذا بفخر المتنبي وأبي تمام بقصائدهما الجوالة.

(3) سقط البيت من ظ. م: عقرت به. مط: خفرت به.

(4) حفزت به: أي اندفعت به، وحفزته: دفعته من خلفه. حنينًا: مفعول به، وأصل التركيب حفزت حنينًا به (أي فيه)، ويريد: زادت من حنينه؛ أي أن الحداء يزيد من حنين الحادي، فيتوقف مشدوها معجبًا بجمالها وهو يحسد الشاعر عليها.

* [١٢٠]

وقال أيضًا يمدح شرف أمراء العرب أبا سلامة محمود بن نصر بن صالح بن مرداس في سنة ثلاث وأربعمائة[1] [متقارب]:

إذَا حَـــدَتِ الـــريحُ عِـــيسَ الحَيَـــا
وَهُتِـ ـلَكَ بِـ ـالْبَرْقِ سِـ ـتْرُ الـ ـدجَى[٢]

وَظَـ ـلَّ يُفَـ ـوفُ حُـ ـو الرِيَـ ـاضِ
وَيَـ ـ ـصْقُلُهَا بِنَـ ـ ـسِيمِ الـ ـ ـصبَا[٣]

فَنط ـــقَ[٤] مِنْهَـــا خُـــصُورِ الوِهَـــادِ

(*) ظ ٨٦، ف ٦٥، ق ١٠٢، ك ٦٦، م ٨٣، مط ٥

القصيدة أدخل في باب شعر التكسب، ومطلعها من أجمل ما قيل في وصف الطبيعة؛ استهلّها ابن سنان بوصف أثر المطر في إنبات الربيع والزهر وتغيير الطبيعة، وآثر هذا على المطلع الغزلي ليحسن الانتقال إلى مدح الأمير محمود بن نصر ولحمل السامع على التوفيق أو إيجاد الصلة بين الطبيعة السخية النضرة المعطاء وشخصية الممدوح الكريم، وقد أحسن الشاعر الخلوص من وصف الطبيعة إلى باب المديح.

(1) ما أثبتناه من مط، وفي سائر النسخ: وقال أيضًا يمدحه.

(2) الحيا: المطر. وجواب الشرط: إذا حدت مفهوم ضمنًا في البيت التاسع. يصف نزول المطر، وما يصنعه من خصب في الأرض.

(3) قوله: وظلّ يفوف: أي المطر، أراد أنه ظلّ يصنع خطوطًا بيضًا من الزهر على طول السهل. الحُوة: لون يخالط الكُمْتة مثل صدأ الحديد، وقال الأصمعي: حمرة تضرب إلى السواد - الصحاح – يصقلها بنسيم الصبا: أي يجلوها بنسيمه.

(4) ظ: فمنطق.

وَتَـ ـ ـوجَ مِنْهَـ ـ ـا رُؤُوسَ الرُبَـ ـ ـا[1]
وَقَبِـ ـلَ فِيهَـ ـا ثُغُـ ـورَ الأقَـ ـاحِ
مُدَاعَبَـ ـ ـ ـةً لِخُـ ـ ـدُودِ المَهَـ ـ ـ ـا[2]

٥- فَحَلَـ ـى (الغُـ ـوَيْرَ) بِأوْضَـ ـاحِهِ
وَنجـ ـ ـدَهُ بَرْقُـ ـ ـهُ المُنْتَـ ـ ـضَى[3]
وَزَارَ عُذَيْبَـ ـ ـ ـةَ زَوْرَ الحَيَـ ـ ـ ـا
لِ يَعْثُـ ـرُ بَـ ـيْنَ فُـ ـرُوجِ الكَـ ـرَى[4]
فَـ ـرَاحَ عَلَـ ـى تُرْبِهَـ ـا بَاكِيًـ ـا
يجَفْـ ـنِ الرِيَـ ـاضِ وَدَمْـ ـعِ النَـ ـدَى[5]

---

(1) فنطق: شّبه النبات بنطاق أخضر في الرياض.

(2) الأقاحيّ جمع الأقحوان، نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر، وهو البابونج، وإن شئت قلت أقاحٍ. المَها - بالفتح - جمع مَهاة، وهي البقرة الوحشية، أراد الفتاة الجميلة العينين.

(3) الغوير اسم مكان تكرر ذكره في القطع: ١٩، ٢٣، ٣٦، ٤٥، ٥٣، ٨٤، ٩٩، ١١٩. الأوضاح: حليّ من الدراهم - الصحاح - التنجيد: التزيين، قال ذو الرمة [بسيط]:

حتى كأنّ رياض القف ألبـسها   من وشي عبقر تجليـل وتنجيـد

(اللسان مادة: نجد)

(4) عذيبة: ربّما عنى فتاة من العُذيب، أو هي فتاة وهمّية اشتق اسمها من العذوبة؛ أو حقيقّية كنى عنها بما يعجبه من الأسماء. غير أن الاستعمال مجاز: يريد ديار عذيبة. وفاعل زار يعود على الحيا.

(5) راح باكيًا: أي راح الحيا باكيًا، كناية عن قطرات الندى. والفعل معطوف

وَأَصْبَحَ رَائِدُهَا[1] بَعْدَهُ
يُقَبِّلُ أَجْرَاعَهَا وَالثَّرَى
كَأَنَّ (ابْنَ نَصْرٍ) هَمَى كَفُّهُ
عَلَيْهَا فَأَخْجَلَ صَوْبَ الحَيَا[2]
١٠- فَتًى جَادَ بِالمَالِ قَبْلَ السُّؤَالِ
وَعَاجَلَ بِالبِشْرِ قَبْلَ المُنَى
وَقَادَتْ مَوَاهِبُهُ الطَّالِبِينَ
فَأَنْضَى المَطِيَّ وَسَدَّ الفَلاَ[3]
كَأَنَّ لَهُ غَفَلاَتِ الزَّمَانِ
يَجُودُ بِهِنَّ وَعَصْرَ الصِّبَا[4]

على زار (هذا القسم سلسلة من المعطوفات: ظلّ، نطق، توّج، قبّل، حلّى، نجّد، زار، راح).

(1) سقط البيت من ف. ق. ك. ظ. مط: رائدنا.

(2) ابن نصر هو الأمير رشيد الدولة محمود بن نصر أبو سابق، وفي البيت التالي دلالة على أنه ما زال في ريعان الشباب.

(3) المواهب: العطاءات. أنضى المطيّ أي أهزلها بالتنقّل.
يدلّ عجز البيت على كثرة الراغبين في معروفه وعلى أنهم يأتونه من بعيد، وامتلاء الأرض بجنده.

(4) م: الصبا.

يعتبر الشعراء أن الزمان عدوّ الإنسان وأنه أصل البلايا، وهذا كثير في الأدب العربي شعره ونثره. وكان من نتيجة ذلك أن ربطوا بين غفلات الزمان وبين النعم، وتوسّعوا في المعنى فأطلقوا غفلات الزمان على ما ينال الإنسان من خير. أما عصر الصبا فهو (العصر الذهبي) عند كلّ إنسان: هو

إذَا مَـــا ذَكَرْنَـــاهُ خِلْنَـــا المَطِـــي
عَـــرَفْنَ مَكارِمَـــهُ وَالعُـــلا[١]

فَهُـــن صَـــوَادٍ إلَـــى قُرْبِـــهِ
تَـــسَافَهُ أنْـــسَاعُهَا وَالبُـــرَى[٢]

١٥- مِنَ القَوْمِ إنْ خَطَرُوا لِلنـزَالِ[٣]
رَأيْـــتَ الـــرَدَى فِـــي نُحُـــورِ العِـــدَى[٤]

رمز العافية والآمال، وهو الجامع لكل خير وكل مستطاب، وبذا يتّضح معنى البيت.

(1) يقول: إذا ما ذكرناه في سفرنا خيّل إلينا أن مطايانا تعرف مكارمه وعلاه، فيشوقها السعي إلى رحابه.

(2) صوادٍ: مشتاقة. تسافه: في الصحاح تسفّهت فلانًا عن ماله إذا خدعته عنه، وتسفهت الريح الشجر أي مالت به. الأنساع جمع نِسع: السير العريض الطويل تشدّ به الرحال.

البُرَى جمع البُرَة: وهي حلقة من صُفْرٍ تجعل في أحد جانبي المنخرين من البعير. ومن المجاز: زمام سفيه أي مضطرب، وذلك لمرح الناقة ومنازعتها إياه. قال ذو الرمّة [طويل]:

وأبيض موشيّ القميص نصبته ... إلى جنب مقلاق سفيه جديلها

(اللسان مادة: سفه)

ومنه ناقة سفيهة الزمام، والناقة تسافه الطريق، إذا أقبلت عليه بسير شديد، قال الشاعر [رجز]:

أحدو مطيات وقومًا نعسا ... مسافهات مُعْمَلاً موعسا

(اللسان مادة: سفه)

يقول ابن سنان عن سفر نوقه إلى الممدوح: إنا مشتاقة إلى رحابه تجاذب أزمتها وبراها لتصل إليه في أقرب وقت.

(3) ظ: للنوال... في نحور الثرى.

(4) ف. ق. ك. مط: رأيت الردى في بحور الندى.

تَــدُل صَــوَارِمُهُمْ فِــي الــصَبَاحِ
عَلَــى نَــارِ لَــيْلِهِمُ لِلْقِــرَى[١]
لَهُــمْ كُــل أَجْــرَدَ مِــلْءُ العَنَــانِ
رَحِيــبِ اللَّبَــانِ سَــلِيمِ الــشَظَا[٢]
تَمِيــلُ بِأَعْطَافِــهِ هِــزَةٌ

خطر الرجل برمحه إذا مشى بين الصفّين كما يخطر الفحل، قال الطرّماح [طويل]:

وهم تركوا مسعودَ نُشْبَةَ مسندًا ينوء بخطار من الخط مازن

(نشبة هنا حيّ من بني مرّة).

(1) يريد أن صوارمهم التي تلمع في الحرب تدلّ على أن نار قراهم ستشعل في المساء. مدحهم بالشجاعة وقوة الشكيمة والكرم.

(2) فرس أجرد: قصير الشعر رقيقه، وهو من علامات العتق والكرم في الخيل.

ملء العنان: يقال ملأت عنان الفرس أي بلغت به مجهوده في الجري، وأصل التركيب: لهم كل أجرد يجري ملء العنان.

اللّبان - بالفتح - ما جرى عليه اللّبب من الصدر، واللبان الصدر أو ما بين الثديين، وأكثر استعماله لصدر ذات الحوافر كالفرس، قال عنترة [كامل]:

فازورّ من وقع القنا بلبانه وشكا إليّ بعبرة وتحمحم

(الديوان: ص ٣٠)

الشظا، قال الأصمعي: عُظيم مستدقّ ملزق بالذراع... وأنشد لامرئ القيس [طويل]:

سليم الشظا عبل الشوى سنج النسا له حجبات مشرفات على الفال

(الديوان: ص ١٦٥)

يمدح ابن سنان خيول بني مرداس بأنا عظيمة الرقاب واسعة الصدور سليمة العظيمات المتصلة بالذراع، وهذا أحسن لها في العدو.

وَنَازَعَـــهُ اللَّيْــلُ أَوْضَـــاحَهُ
تُعَـارِضُ بِـالبَرْقِ لَمَّـا جَـرَى[1]

فَقَبَّلَـهُ الـصُّبْحُ لَمَّـا نَجَـا[2]

٢٠- وَيَأنَفُ مِنْ عِزِّهِ أَنْ يَذِل
لِغَيْرٍ وَجُوهُهُمُ فِي الـسُّرَى

فَيَا (عِزّ دَوْلَتِهِمْ) فَدْهُمُ
فَإِنَّ الأَبَاطِحَ دُونَ الذُّرَى

وَشَمِّرْ فَمِثْلُكَ أَوْضَى الجِيَادَ
وَتَلِمَ بِالضَّرْبِ بِيضَ الظُّبَا

وَنَلْ (بِالمُعِزِّ) عَلِي الأُمُورِ
كَمَا تَبِعَ البَدْرُ شَمْسَ الضُّحَى[3]

فَلَوْ هَرَبَ النَّجْمُ مِنْ خَوْفِهِ

---

(1) يريد أن هذا الفرس أسرع من البرق، والبيت التالي يتمم معناه.

(2) الوضح: البياض من كلّ شيء، والحلي من الفضة، والخلخال، والغرّة في الجبين، والتحجيل في القوائم. وقصد الشاعر كل هذه المعاني لغرض بلاغيّ. نجا: من النجاة ومن النجا، أي العدو وكلاهما مقصود، أي نازعه الليلُ هذه الأشياء، فعدا فنجا منه، فقبّل الصباح جبهته وقوائمه، وقد يذكر هذا بقول ابن نباتة السعديّ [وافر]:

وأدهم يستمدّ الليل منه — وتطلع بين عينيه الثريّا
جرى خلف الصباح يطير زهوا — ويطوي خلفه الأفلاك طيّا
فلمّا خاف وشك الفوت منه — تشبّث بالقوائم والمحيّا

(يتيمة الدهر للثعالبي ٢ / ٤٦٢ - ٤٦٣)

(3) ونل بالمعزّ: قصد معزّ الدولة ثمال بن صالح عمّ الممدوح، وكان في تلك السنة أمير الدولة المرداسية بحلب؛ يشبّهه بشمس الضحى، ويشبّه الممدوح بالبدر الذي يتبع الشمس للاقتباس من نورها.

وَمَــالَ عَلَــى صَــوْبِهِ مَــا اهْتَــدَى[١]

٢٥- أَلَــيْسَ أَبُــوكَ (أَبَــا كَامِــلٍ)

فَهَـــلْ فَوْقَـــهُ لِلْعُـــلا مُنْتَهَـــى؟[٢]

فَتَــى وَجَــدَ الِعِــزَّ حَيْــثُ الحِمَــامُ[٣]

وَمِــنْ دَوْحَــةِ المَجْــدِ يُجْنَــى الــرَّدَى[٤]

وَجَــاوَدَهُ الغَيْــثُ جَهْــلاً بِــهِ

فَلَمـــا رَأَى جُــــودَهُ مَـــا هَمَـــى

سَــقَاهُ نَــدَاكَ إِذَا مَــا العُفَــاةُ

مَــلأْنَ إِلَيْــكَ فُــرُوجَ المَــلا[٥]

فَكَــمْ مَوْقِــفٍ مِثْــلِ حَــدِّ الحُــسَامِ

(1) النّجم: إن أطلقوه قصدوا به الثريّا.

(2) أبوك: يعني نصر بن صالح، ثاني أمراء الدولة المرداسية.

في البيت ما سمى في البديع بحسن التعليل، وقصده ابن سنان قصدًا؛ بنى العجز على الكنية الواردة في صدر البيت، فكأن والد الممدوح إنما سّمي أبا كامل لكمال مروءته وخصاله ومكارمه، ولذلك قال: فهل فوقه للعلا منتهى ؟ وقد عرفوا حسن التعليل بأنه استنباط علّة مناسبة للشيء غير حقيقية مخالفة لعلته الأصلية واشترطوا أن تكون على وجه لطيف يحصل بها زيادة في المقصود من المدح أو غيره وجعلوه أربعة أقسام، فصلتها كتب البلاغة.

(3) ف. ك: حيث الحِمَامِ - بالجر -

(4) يشير إلى مقتل نصر والد الممدوح في الحرب، وإلى قتل جدّه صالح بن مرداس كذلك.

(5) الملا: الصحراء، والمّتسع من الأرض. وفروج الملا: أوديتها وشعابها.

يُغَـــص بِـــهِ الجَـــو سُـــمْرُ القَنَـــا![1]

٣٠- تَلَقَـى الـسنَانَ بِـهِ حَاسِـرًا[2]
كَـأن عَلَيْـهِ قُلُـوبَ العِـدَى[3]

وَقَـدْ غَنَـتِ[4] البِـيضُ فِـي نَقْعِـهِ
فَمَـا شَـرِبَ الـرمْحُ حَتـى انْتَـشَى[5]

عَلَـوْتَ فَخَيلْـتَ أن النجُـو
مَ مِـنْ نُـورِ وَجْهِـكَ فِيهَـا الـسنَا

وَجُـدْتَ فَأعْلَمْـتَ أن الغَمَـا
مَ يَـشْكُو إِلَـى رَاحَتَيْـكَ الـصدَى

مَـدَحْتُكَ أخْطُـبُ مِنْـكَ الـودَادَ
إِذَا حَـاوَلَ القَـوْمُ مِنْـكَ الغِنَـى

٣٥- وَلِـي فِـي فَخَـارِكُمْ شُـعْبَةٌ[6]
وَفِي الأُفْـقِ بَدْرُالـدجَى وَالـسهَا

إِذَا (عَـامِرٌ) قَرَعَـتْ فِي العَـلاَءِ[7]

---

(1) الجو سمرَ القنا.

مثل حدّ الحسام: أي ضّيق حَرِج، واستعمله على الـاز.

(2) ف. ق. ك. مط: خاسرا.

(3) حاسرًا: مكشوف الرأس وبلا درع ولا جُنة.كأنّ عليه قلوب العدى: أي كأنّ السنان يهب لك قلوب أعدائك هبة.

(4) ظ. م: وقد غَنت.

(5) أي ما كاد الرمح يشرب حتّى ثمل، وهذا دليل على سرعة الانتصار على الأعداء وسهولته. جعل الشاعر الموقعة مجلس شراب فيه غناء وانتشاء.

(6) ظ: شيعة.

(7) م. ظ. مط: العُلا.

وَلَمْ يَبْقَ مِنْ فَوْقِهَا مُرْتَقَى[١]
عَلِقْتُ بِأَطْرَافِ ذَاكَ النِّجَارِ
وَجُلْتُ[٢] بِعَادِي ذَاكَ البِنَا[٣]
وَقُورًا[٤] إِذَا طَرَقَتْنِي الخُطُوبُ
وَحُلَّ مِنَ الخَوْفِ[٥] عَقْدُ النُّهَى
بِعِشْرِينَ أُنْفَقْتُهَا فِي الصُّدُودِ
وَجُدْتُ بِهَا[٦] فِي زَمَانِ النَّوَى[1]
٤٠- وَإِنِّي عَلَى شَغَفِي بِالقَرِيضِ
لَأَذْخَرُهُ عَنْ جَمِيعِ الوَرَى[٧]
وَلَكِنْ حُبُّكَ نَادَى بِهِ

---

(1) عامر: قصد قبيلة عامر التي ينحدر منها بنو كلاب الذين ينتسب صالح بن مرداس مؤسس الدولة إليهم. وقد نزلوا ضفاف الفرات والجزيرة عقب انسياحهم من نجد بعد الفتوحات الإسلامية الكبرى. وهي قبيلة عزيزة على الزمان في الجاهلية ثم شاركت في حركة الفتح.

(2) في النسخ: وحلت.

(3) وجُلْت بعادي ذاك البنا: أي بقديم المجد الذي بنته عامر. والعرب تفضّل تالد المجد على طريفه.

وفي البيت إشارة إلى تمسّكه بهذا الأمير.

(4) ظ: وقورٌ - بالرفع -

(5) م: من الجود.

(6) م: بعشرين أنفقها في الصدود وجُدْتَ.

(7) أذخره: أمنعه وأبخل به.

وَلَـــمْ يَـــزَلِ المَـــرْءُ طَـــوْعَ الهَـــوَى[1]

وَقَـــدْ جَـــلَّ قَـــدْرُكَ عَـــنْ نَظْمِـــهِ

وَلَكِنَهَـــــا سُـــــنَّةٌ تُقْتَفَـــــى

اثنان وأربعون بيتًا

(1) ظ: طوع النّدى.

*[١٢١]

وقال أيضًا يمدح شرف أمراء العرب أبا سلامة محمود بن نصر بن صالح بن مرداس في صفر سنة سبع وخمسين وأربعمائة(١) [طويل]:

لَعَلَّ دُنُوَّ الحَيِّ بَعْدَ شُسُوعِهِ
يُعَلِّلُ قَلْبًا هَائِمًا بِجَمِيعِهِ(٢)

أأَحْبَابَنَا بَيْنَ (الأَحَصِّ) وَ(جَوْشَنٍ)
دُعَاءَ مُعَنًى بِالفِرَاقِ صَرِيعِهِ(٣)

(*) ظ ٨٨، ف. ك ٦٧، ق ١٠٤، م ٨٥، مط ٦٩.

(١) م. ظ: تسع وخمسين وأربعمائة.

أنشد ابن سنان هذه القصيدة عام ٤٥٧ هـ، وهي السنة التي غلب فيها الممدوح على حلب ثانية. وكان قد أُقْصِيَ عنها سنة ٤٥٣ هـ. المصادر كلها مجمعة على ذلك (يراجع ابن النديم: زبدة الحلب، مج١ ص ٢٩٦ - ٢٩٧).

وقد قرأنا في القصيدتين السابقتين أنه أنشده المدح في سنة ٤٤٣ هـ؛ أي أنه منذ أربع عشرة سنة توطدت الصلة بين الشاعر والأمير.

(٢) الشسوع: البعد، ومكان شاسع وشَسوع: بعيد. الجميع: الجماعة.

والضمير في شسوعه يعود على الحيّ.

يشير في هذا المطلع إلى دنوّ اللقاء مع أهله الذين فارقهم.

(٣) الأحصّ وجوشن اسما مكان سبق شرحهما في القطعتين ٤٧ و ٠٣.

دعاءَ: أي أدعوكم دعاءَ معنى... وهو متعلق بالنداء في أول البيت، فكأنّه

مُقِـيمٍ عَلَـى الحُـبِّ الـذِي تَعْرِفُونَـهُ
وَإِنْ جَهِـدَتْ أَفْعَـالُكُمْ فِـي نُزُوعِـهِ[1]
يُحِبُّ سَنَا البَـرْقِ الـذِي لاَحَ مِنْكُمُ
وَمَـا هُـوَ إِلا جَمْـرَةٌ فِـي ضُـلُوعِهِ
٥- وَمُنْتَصِرٍ بِالدَّمْعِ فِـي رَسْـمِ مَنْـزِلٍ
تَـذَكَّرَ أَيَّـامَ الـصِّبَا فِـي رُبُوعِـهِ[2]
فَلَـوْ أَعْشَبَتْ أَطْلاَلُهَـا مِـنْ بُكَائِـهِ
لَمَـا رَضِـيَتْ أَجْفَانُـهُ عَـنْ دُمُوعِـهِ
إِذَا كَـانَ خَـوْفُ الـضَّيْمِ أَبْعَـدَ دَارَهُ
فَـلاَ تَطْمَعُـوا فِـي قُرْبِـهِ وَرُجُوعِـهِ[3]

فكأنه قال: أدعو أحبابنا دعاءَ..صريعه: من إضافة الصفة المشبّهة إلى معمولها، أي معنّى صرعه الفراق.

(١) مقيم: تابع لـ (معنّى) و (صريع) الواردين في البيت السابق. النـزوع مصدر نزع عن الأمر، أي انتهى وكفّ، قال أبو نواس [كامل]:

فإذا نزعت عن الغواية فليكن　　لله ذاك النّزع لا للنّـاس

(الديوان: ٣٦٤)

وقول ابن سنان: وإن جهدت أفعالكم في نزوعه: أي وإن كانت كلّ أفعالكم تدفعه إلى نسيانكم والإقلاع عن حبّكم.

يريد أنم جهدوا في الإساءة إليه حتى غادرهم وهو مع ذلك باق على حبّهم.

(٢) قوله: ومنتصر بالدمع... تذكّر: عنى نفسَه.

(٣) انتقل في هذا البيت من النسيب إلى التظلّم من قومه. يقول: إذا كان خوف الضّيم حملني على الارتحال عن الحيّ، فلا يطمعنّ أحد في قربي أو عودتي ما دام

فَمَا هِيَ إلا نَخْوَةٌ عَامِرِيَّةٌ
تَعلقَهَا مِنْ حَزْنِهِ وَرَبِيعِهِ(١)

وَرُب هَنَاتٍ(٢) مِنْكُمُ صَارَ ذِكْرُهَا
يَمُن عَلَى أَجْفَانِهِ بِهُجُوعِهِ(٣)

١٠- لَحَى اللهُ مَنْ يَرْضَى الدنِيةَ وَاصِلاً
لِهَاجِرِهِ أَوْ حَافِظاً لِمُضِيعِهِ(٤)

الظلم قائمًا.

(١) النخوة: العظمة والكبر والفخر، والمقصود با الأنفة وعزّة النفس. والنخوة العامرية قصد با نخوته ونخوة الأمير محمود بن نصر؛ لأن كليهما عامريّ. قوله: من حزنه وربيعه: أي ما صعب وسهل في حياته من صروف الدهر. والشاعر يتحدث دائمًا عن نفسه ويفتخر بقبيلته، ويريد أن يشعر الممدوح بأن نسبهما واحد وأن بينهما وشائج القربى.

(٢) ظ. م: هناة.

(٣) ف. ق. ك: يمّر. هَنات جمع هَنٍ كلمه كناية، ومعناه شيء وأصله هنو، وفي فلان هنات أي خَصَلات شرّ، ولا يقال ذلك في الخير.

يريد: رُب عيوب أو تصرفات شائنة صدرت منكم أرّقته وعاوده ذكراها في هجوعه. وربما يفيد التذكير بأن الخفاجيّين منذ عام ٤٠٢ ﻫ عاثوا فسادًا في الديار التي حلّوها. وفي عام ٤٤٦ قصدت خفاجة الجامعين وأعمال دبيس الأسدي، وفتكوا في أهل دبيس، فهزمهم، فرجعوا إلى الفساد فعاد إليهم، وأوقع بم فقتل جماعة ونب أموالهم وجمالهم وعبيدهم.. ثم حصر الأنبار وأسر منهم مئة رجل، وصلب بعضهم.. وقد هجاهم ابن سنان في عدة مواضع من ديوانه.

(٤) لحى الله من... أي قّبحه ولعنه، وفي المثل ((من لاحاك فقد عاداك)).

يُقِيمُ عَلَى أَوْطَانِهِ فِي مُلِمَّةٍ
مِنَ الدَّهْرِ يَلْقَى عِزَّهَا بِخُضُوعِهِ[1]

وَأَيْنَ ذَمِيلُ الأَرْحَبِيَّةِ فِي الدُّجَى
وَأَخْذُ السُّرَى مِنْ نِيِّهَا وَهَزِيعِهِ[2]

وَنُصْرَةُ (مَحْمُودِ بْنِ نَصْرٍ) فَلَمْ تَكُنْ
بِعَازِبَةٍ عَنْ تِرْبِهِ[3] وَرَضِيعِهِ[4]

يدعو على من يصل لئيمًا هاجرًا مضيعًا.

(1) البيت تتمّة لما قبله في الدعاء على من يُقيم في وطنه ذليلاً يفضّل رغد العيش على كرامته.

(2) الذَميل: ضرب من سير الإبل، قال الأصمعيّ: لا يَذْمُلُ بعيرٌ يومًا وليلة إلا مهري. أرحب: بطن من همدان ينتسب إلى أرحب واسمه مرة بن الدعام (الأصغر) أبي الصعب بن مالك الهمداني من بكيل، جدّ جاهلي من ملوك اليمن، قال الكميت في هاشمياته [طويل]:

يقولون لم يورث ولولا تراثه   لقد شركت فيه بكيل وأرحبُ

(شرح هاشميات الكميت: ص ٦٢)

النيّ: الشحم، ونوت الناقة نيا: أي سمنت. الهزيع من الليل: طائفة منه. البيت في التمهيد للانتقال إلى وصف الرحلة إلى الممدوح الأمير محمود بن نصر، فبعد أن سوغ الشاعر لنفسه مغادرة قومه يسأل: أين البعير المهري الذي يسير بي سيرًا حثيثًا حتّى يذهب منه الشحم والسمن، قال أبو ذؤيب في إعمال راحلته [كامل]:

قصر الصبوحَ لها فَشَرجَ لحمَها   بالني فهي تَثوخُ فيها الإصبعُ

(ديوان الهذليين: ص ١٦). تَثُوخُ: تدخل.

(3) ظ: عن بعده.

(4) أي: وأين نصرة محمود. عازبة: بعيدة، عزب عن أي شيء بعد وغاب. الترب: اللدَة.

يريد أن نصرة الأمير محمود ليست بعيدة عن أترابه ومن هم في سنّه،

نَزَلْـــتُ عَلَـــى رَحْـــبِ الفِنَـــاءِ مَرِيعِـــهِ
وَلُـــذْتُ(١) بِعَـــادِي البِنَـــاءِ رَفِيعِـــهِ
١٥- فَمُـــذْ سَـــمَحَ الـــدَّهْرُ اللَّئِـــيمُ بِقُرْبِـــهِ
صَـــفَحْنَا لَـــهُ عَمَّـــا مَضَـــى مِـــنْ صَنِيعِهِ(٢)
أَخِي الغَـارَةِ الـشَّعْوَاءِ فِـي كُـلِّ جَانِـبٍ
مِـنَ الأَرْضِ تُـرْوِي(٣) بَاغِيًـا مِـنْ نَجِيعِـهِ
وَذِي الحَـرْبِ مَـا أَلْقَـى تَمَـائِمَ عَهْـدِهِ
عَـنِ الجِيـدِ حَتَّـى اجْتَـابَ زَغْـفَ دُرُوعِـهِ(٤)
وَإِنْ تُنْجِـزِ الأَيَّـامُ مَمْطُـولَ وَعْـدِهِ
فَقَـدْ بَـانَ ضَـوْءُ الـصُّبْحِ قَبْـلَ طُلُوعِـهِ

وابن سنان يقصد نفسه وأن الأمير صديقه وتربه ونصيره.

(١) م: وعذتُ.

(٢) الدهر في الشعر العربي لئيم مذموم دائمًا، ومن هنا قال ابن سنان: إن الدهر اللئيم سمح على غير عادته بالقرب من الأمير. ومنذ أن تمّ هذا القرب صفح الشاعر عمّا بدر من الدهر من إساءة. وقد تكرّر هذا المعنى في شعر ابن سنان.

(٣) ظ: يروي. قوله: تروي باغيًا من نجيعه: أي أن غارة الأمير تروي الباغي الظالم بالدم الذي يسيل منه أي من الباغي نفسه.

(٤) ذي الحرب معطوف على أخي الغارة في البيت السابق. الزغْفَة - تسكن وتحرك - الدرع اللّينة وقال الشيباني هي الواسعة، والجمع زغْف وزغَف. اجتاب القميص: لبسه، قال لبيد في معلقته [كامل]:

فبتلكَ إذْ رَقَصَ اللوامِعُ بالضحَى واجتابَ أرديةَ السرابِ إكامُها

وقوله: ألقى تمائم مهده أي شب. والتميمة خرزة تثقب ويجعل فيها سْير وخيوط تعلّق بها في العنق وكانوا يعتقدون فيها تمام الشفاء، والجمع تمائم.

والمعنى أن الممدوح صاحب حرب منذ صغره، فمذ شبّ لبس الدروع الواسعة.

وَمِـــنْ عَـــادَةِ اللهِ الجَمِيلَـــةِ[1] عِنْـــدَهُ
مَنِيــ ــ ــةُ عَاصِــ ــ ــيهِ بِـ ــ ــ ــسَيْفِ مُطِيعِـ ــ ــ ــهِ

٢٠- أَقُولُ لِمَغْـرُورٍ بِخَـادِعِ سِـلْمِهِ: [2]
حَـ ـــذَارِ وُثُـ ـــوبَ اللَّيْـ ـــثِ قَبْـ ـــلَ قُبُوعِـ ـــهِ[3]

فَإن التي أَبْـصَرْتَ فِـي (يَـوْمِ مَالِـكٍ)[4]
مَكَانَـ ـــكَ مِنْهَـ ـــا فِرْقَـ ـــةٌ مِـ ـــنْ جُمُوعِـ ـــهِ[5]

تَـضُم (كِـلاَبٌ) كُــلَّ يَــوْمٍ أُمُورَهَــا
إِلَى نَاشِـ ـ ـرِ المَعْـ ـ ـرُوفِ فِيهَـ ـ ـا مُذِيعِـ ـ ـهِ[6]

---

(1) ظ: الحميدة.

(2) م: نفسه ظ. م. ف. مط: يخادع.

(3) قبع الليث يقبع قُبوعًا إذا أدخل رأسه في صدره، وكذلك الرجل إذا أدخل رأسه في قميصه.

(4) ظ. م: يوم مالك. يوم مالك: قصد «يوم رحبة مالك» ، وهي مدينة على الفرات بين الرقة وبين عانة. هجم عليها الكلابيون واحتلوها بعد موت البساسيري (٤٥١ هـ).

(5) يشير إلى وقعة بين الأمير محمود بن نصر وأعدائه من جيوش عمّه عطية بن صالح بن مرداس، انتهت بفتح حلب وانتصار الأمير وعودته إلى ملكه. الظاهر أنه قصد معركة الرحبة (٤٥١ هـ) التي وقعت بقيادة عطية. شارك فيها محمود. فغنم منها الكلابيون كل ما تركه البساسيري. وذلك ما جعلهم يتطلّعون إلى احتلال حلب بقيادة محمود (زبدة، ص ٢٧٥، السيرة المؤيّدية، ٢٨١. ديوان ابن حيّوس: ٣١٧ - ٣٢٥: عينيّة في مدح محمود (٩٦ بيتًا)، وفيها يقول [كامل]:

ما إن رأى من حلّ رحبة مالك　　　شمسًا سواك من المغـارب تطلـع

(خصص للمعركة أكثر من ٥٠ بيتًا).

(6) بنو كلاب قوم الممدوح، وقد تجمّعوا عام ٤٥٢ هـ، وقدّموه عليهم، فسار إلى حلب، فتركها الأمير ابن ملهم. وما زالوا معه حتّى أمر على حلب سنة ٤٥٤ هـ. والقصيدة تشير إلى نصرتم الأمير محمود في أحداث سنة ٤٥٧ وعودته إلى ملكه.

إذَا نَابَهَا خَطْبٌ مِنَ الدَّهْرِ عَوَّلَتْ
عَلَى رَأْيِهِ أَوْ سَيْفِهِ أَوْ قَطِيعِهِ
كَفِيلٌ بِرَدِّ المُلْكِ بَعْدَ ذَهَابِهِ
عَلَيْهَا وَدَفْعِ الخَطْبِ قَبْلَ وُقُوعِهِ(١)
٢٥- لَعَمْرِي لَقَدْ قَادَ (ابْنُ خَانٍ) عَلِيلَهُ
إلَى مَنْهَلٍ يَلْقَى الرَّدَى فِي شُرُوعِهِ(٢)
تَعَرَّضَ لِلسُّمْرِ الطِّوَالِ بِنَحْرِهِ
وَفِيهَا شِفَاءٌ مِنْ صَدَاهُ وَجُوعِهِ
وَمَنْ يَكُنِ العِسْبَارُ رَائِدَ سَرْحِهِ(٣)
فَلا يَتَعَجَّبْ مِنْ وَخِيمِ رُتُوعِهِ(٤)

---

(١) ردّ الملك بعد ذهابه: يريد أن عودة الأمير محمود إلى ملكه كانت بمساعدة بني كلاب.

(٢) ابن خان التركماني: من قوّاد الترك. استنجد به عطّية في حربه مع محمود، فهزمه محمود. انضمّ فيما بعد إلى محمود وصار يأتمر بأوامره.

(٣) ظ: ومن يكن العشار رائد سرحه.

(٤) العِسْبار والعِسْبارة: ولد الضَّبع من الذئب، الذكر والأنثى فيه سواء، قال الكميت [مجزوء الكامل]:

وتجمّع المتفرقو ... نَ من الفراعل والعَسابر

(الصحاح مادة: عسبر)

الفُرْعُل ولد الضُّبع. ينعى على قوم المهجوّ تسليمهم قيادتهم إلى رجل غير صافي المزاج والفكر يرتع بهم في مكان وخيم.

وَمَــا يَتْــرُكُ الأَصْــلُ الــذَمِيمُ دَنَــاءَةً

هِـ ــنَ اللـ ــؤْمِ إلا رَدَّهَـ ــا فِـ ــي فُرُوعِـ ــهِ(1)

جَــزَى اللهُ خَيْــرًا عُــصْبَةً أُنْزِلَــتْ بِــهِ(2)

عَلَـ ــى حُكْـ ــمِ مَـ ــصْقُولِ الغِـ ــرَارِ صَـ ــنِيعِهِ(3)

٣٠- أَجَابَــتْ صَــرِيخَ (المُرْتَــضَى) فِــي غَرِيــهِ

وَسَـ ـرتْ صَـ ـرِيخَ (المُـ ـصْطَفَى) فِـ ـي بَقِيعِـ ـهِ(4)

دَمٌ طُـ ــلَ هَامِيـ ــهِ(5) وَنَجْـ ــدَةُ ثَـ ــائِرٍ

هُـ ــوَ الـ ــسَّيْفُ إلا نَبْـ ــوَةٌ مِـ ــنْ هُلُوعِـ ــهِ

(أَبَـ ــا سَـ ــابِقٍ)! للهِ فِيـ ــكَ سَـ ــرِيرَةٌ

قَـ ــضَتْ بِقَرِيـ ــبِ النَـ ــصْرِ مِنْـ ــهُ سَـ ــرِيعِهِ(6)

---

(1) يشير إلى علم الوراثة النفسية ويعتقد أن الصفات النفسية تنتقل من الآباء إلى الأبناء بالوراثة.

(2) م: نزلت به.

(3) مصقول الغِرار: أراد مصقول حدّ السيف، والغراران شفرتا السيف، وكلّ شيء له حدّ فحده غِراره.

(4) المرتضى من ألقاب الإمام عليّ كرم الله وجهه، وقد دفن بالغريّ في الكوفة. البقيع: بقيع الغرقد أو مقبرة المدينة، دفن فيها كثيرون من أصحاب النبيّ ﷺ ومن أهل المدينة، وكانت بقعة يكثر فيها شجر الغرقد.

(5) ف. ق. ك. مط: هاديه. هاميه: سائله، من همى.

(6) أبو سابق كنية الأمير محمود بن نصر، وسابق ابنه الذي تولّى الإمارة بحلب بعد أخيه نصر بن محمود سنة ٤٦٩، وكان ضعيفًا، وبه انقرضت الدولة المرداسية.

إِذَا أَظْلَمَتْ سُودُ الخُطُوبِ جَلَوْتَهَا
بِرَأْيٍ يُعِيرُ الصُّبْحَ ضَوْءَ صَدِيعِهِ

وَلِي فِيكَ آمَالٌ طِوَالٌ تَرَدَّدَتْ
بِقَلْبِ جَمِيلِ الظَّنِّ فِيهِ وَسِيعِهِ[1]

٣٥- وَمَنْ كَانَ يَبْغِي شَافِعًا فِي[2] لُبَانَةٍ
فَوَجْهُكَ يُغْنِي سَائِلاً[3] عَنْ شَفِيعِهِ

خمسة وثلاثون بيتًا

---

(1) يسأله الندى والمعروف، ولعلّه يلمّح إلى طلب الإمارة على طريقة خطاب المتنبي لكافور، وقد منحه إمارة قلعة أعزاز شمالي حلب بعد سنوات قليلة.

(2) م: من لبانة.

(3) مط: فوجهك أمسى شافعا.

[١٢٢]*

وقال يمدح شرف أمراء العرب أبا سلامة محمود بن نصر بن صالح بن مرداس، ويذكر فتحه حلب والوقيعة في (المسلمية) في سنة سبع وخمسين وأربعمائة [طويل]:

أبَى اللهُ إلا أنْ يَكُونَ لَكَ السعْدُ
فَلَيْسَ لِمَا تبْغِيهِ مَنْعٌ وَلاَ رَد (١)

إذَا أبَتِ الأقْدَارُ أمْراً قَسَرْتَها
عَلَيْهِ فَعَادَتْ وَهْيَ فِي نَيْلِهِ جُنْدُ(٢)

(*) ظ ٨٩، ف. ك ٦٨، ق ١٠٦، م ٨٦، مط ٢٨.

وبعض الأبيات في مختارات البارودي ٢ / ٣٧٩.

ملك أبو ذؤابة عطية بن صالح المرداسي حلبَ بعد وفاة أخيه ثمال سنة ٤٥٣ ه، ثم أمر عليها محمود بن نصر بن صالح سنة ٤٥٤ ه، وفي حدود عام ٤٥٥ ه عاد إليها عطية بن صالح إلى سنة ٤٥٧ ه وفي هذه السنة افتكها منه ابن أخيه محمود بن نصر رشيد الدولة بجيش من بني كلاب وإعانة غيرهم من أعداء عطية بن صالح. وقد جرت أحداث هذه الوقعة بمنطقة المسلمية على مقربة من حلب، ويتحدث ابن سنان عنها في هذه القصيدة، وكان قد نوّه بها في قصائد سنة ٤٥٧.

(1) في الشطر الثاني وفي الأبيات التالية، يعزو للأمير القدرة على التصرف بالمقادير كما يشاء، وفي هذا مغالاة فرضها الشعر العربي قديمه وحديثه حتى صار القارئ لا يعتدّ بها.

(2) عليه، نيله: الضمير فيهما عائد على الأمير، أي عادت، وهي في نيل الأمير جند. جعل من الأقدار جندا للممدوح.

قَضَتْ (حَلَـبٌ) مِيعَادَهَـا بَعْـدَ مَطْلِـهِ
وَأَطْيَـبُ وَصْـلٍ مَـا مَـضَى قَبْلَـهُ صَـدُّ[1]

وَمَـا كَانَـتِ (الْوَرْهَـاءُ) أولَ غَـادَةٍ
إِذَا رَضِيَتْ لَـمْ يَبْـقَ فِـي قَلْبِهَـا[2] حِقْـدُ[3]

٥- وَعَهْدِي بِهَا بَيْضَاءَ حَتـى وَرَدْتَهَـا[4]
وَتُرْبُـكَ مُحْمَـرٌ وَجَـوُّكَ مُسْـوَدُّ[5]

تَهُـزُّ[6] لِـوَاءَ النَّـصْرِ حَوْلَـكَ عُصْبَةٌ
إِذَا طَلَبُـوا نَـالُوا وَإِنْ عَقَـدُوا شَـدُّوا[7]

---

(1) يشير إلى عودة الأمير إلى ما كان عليه في الحكم بعد عهد طويل. وسّمى العهد ميعادًا لجعله من حلب معشوقة تمطُل وعدَها. وفي البيت ضروب مستحسنة من البلاغة.

(2) م: من قبلها.

(3) الوره: الحمق، وامرأة ورهاء: حمقاء. والمقصود بـا حلب، يشبه المدينة بغادة ورهاء رضيت بالأمير حاكمًا ولكن قلبها لم يصفُ بعد، وعجز البيت يدل على أنه بقي بحلب من ناصر عطية بن صالح على ابن أخيه الممدوح.

(4) ظ. م: وردُتها - بضم التاء -

(5) وجوّك مسوّد: كناية عن قتام الحرب. يوغل في تشبيه حلب بغادة بيضاء، ثم يصف حالها بعد مقدم الأمير ويجعل ترابا محمرا من كثرة ما أريق فيها من دماء.

(6) ظ: يهز

(7) كأن ابن سنان ينظر في هذا البيت إلى قول الحطيئة [طويل]:

أولئكَ قَومٌ إن بَنوا أحسَنُوا البُنى   وإن عاهَدُوا أوفَوا وإن عَقَدُوا شَدوا
(الديوان: ص ٢٠)

وَخَطيــةٌ سُــمْرٌ وَبِــيضٌ صَــوَارِمٌ
وَضَــافِيَةٌ زَغْــفٌ وَصَــافِنةٌ جُــرْدُ[١]
فَحَــارَتْ عُيُــونُ النــاظِرينَ وَأَظْلَمَــتْ
وُجُــوهُ رِجَــالٍ مِثْــلُ أَعْرَاضِــهَا رُبْــدُ[٢]
رَأَوْكَ فَخَــافُوا مِــنْ ظُبَــاكَ وَمِــثْلُهُمْ
يَعِــزُّ عَلَيْنَــا أَنْ يُــذَالَ لَهُــمْ خَــدُّ[٣]

---

(١) الخطّية: الرماح المنسوبة إلى الخط، موضع باليمامة، وهو خطّ هَجَر تنسب إليه الرماح الخطّية لأنها تحمل من الهند فتقوّم به. سُمْر جمع أسمر وهو الرمح. الضفْو: السبوغ، ودرع ضافية أي سابغة. الزغْف جمع زَغْفة وهي الدرع اللّينة. الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر. يصف عدة جيش الأمير: رماح خطّية، وسيوف صارمة، ودروع سابغة، وخيل أصيلة صافنة.

(٢) الرُبدة: لون إلى الغُبرة. وقوله: أعراض الرجال ربد: أي ملوّنة مكدّرة. يصف مرور جيش الأمير الفاتح أمام أهل حلب، وإظلام وجوه المهزومين.

(٣) ف. ق. ك. مط: حَد - بالحاء المهملة - الإذالة: الإهانة، وفي الحديث نَهْيٌ عن إذالة الخيل، وهو امتهانها بالعمل والحمل عليها، وفي المثل ((أخيل من مُذالة)) وهي الأَمَة؛ لأنها تهان وهي تتبختر. وقوله: يعزّ علينا... أراد أن المهزومين من العرب أي من قوم الممدوح لأنه لم يملك حلب إلا بعد التغلب عليهم، لذلك يعزّ على الأمير والشاعر أن تذلّ سيوفهم على هذا النحو من الهزيمة. وهذا البيت دليل على أن الحرب دارت بين الأشقاء، وعجزه يذكّر بقول الحصين بن الهمام المرّيّ [طويل]:

يُفَلِّقنَ هامًا مِن رِجالٍ أَعِزَّةٍ   عَلينا، وهُم كانُوا أعَـقَّ وأظلَمَـا

(المفضليات: ٦٥، والطبريّ ٢ / ٣٨١)

وبقول البحتريّ [طويل]:

إذا احتَرَبت يَومًا ففاضَت دِماؤُهـا   تَذكَرَتِ القُربَى ففاضَت دُمُوعُها

(الديوان ٢ / ١٢٩٩)

يطلب ابن سنان إلى ممدوحه ألا يهين أبناء عمومته، فكأنه يقول: ملكتَ فأسْجِحْ.

وَقَدْ آمَنُوا بِالْمُعجِزَاتِ الَّتِـي طَـرَتْ
عَلَيْـهِمْ وَلَكِـنْ بَعْـدَمَا فُـتِحَ الـسد[1]

لَحَا اللهُ قَوْمًـا أَسْـلَمُوا بَيْـتَ جَـارِهِمْ
وَقَـدْ عَلِقَتْـهُ فِـي مَخَالِبِهَـا الأُسْـدُ

رَمَوْا (حَلَبًا) - مِنْ بَعْدِ مَا عَـز أَهْلُهَـا -
عُهُـودَ[2] أَكُـف مَالَهَـا بِالنـدَى عَهْـدُ[3]

لِئَـامُ الـسجَايَا لا وَفَـاءٌ وَلاَ قِـرًى
فَـلاَ غَـدْرُهُمْ[4] يَخْفَـى وَلاَ نَـارُهُمْ تَبْـدُو

مَضَوْا يَحْمَدُونَ الْبُعْدَ فِـي الـذل عَـنْهُمُ
وَمَـا الـذل إلا حَيْـثُ يَحْمِـيهمُ الْبُعْـدُ[5]

وَقَدْ ثَبُتـوا حَتـى طَلَعْـتَ عَلَيْـهِمُ
كَمَا[6] قَابَلَـتْ شَـمْسَ الـضحَى الأَعْـيُنُ الرمْـدُ[7]

---

(1) ف. ك: السد.
طرت: طرأت - على التخفيف - يقال: طرأت على القوم إذا طلعت عليهم من بلد آخر بعدما تغلّبت عليهم. السد والسد: الجبل والحاجز.

(2) مختارات البارودي: بعدَما غر. ف. ك: عهودُ - بالرفع -

(3) هذا البيت يؤكد ما ذكره المؤرخون من أن الحروب بين أبناء صالح بن مرداس أضرّت كثيرًا بأهل حلب وخربت مدينتهم من بعد ما عزّ أهلها، أي في عهد محمود الأول فقد ملك حلب قبل ذلك ٤٥٤ - ٤٥٥ هـ وقوله: عهود أكفّ..: أي وعدوهم بحياة أفضل وأخلفوا وعدهم.

(4) م: ولا غدرهم.

(5) يريد أن فرارهم نجاهم منك فلذلك هم يحمدونه، مع أن هذا البعد هو الذلّ عينه.

(6) م: وقد وثبوا... وما قابلت

(7) يشير إلى عجزهم منذ طلع عليهم جيش الأمير، فزاغت أبصارهم فمكثوا مبهورين.

فَإِنْ تَفْعَلِ المَعْرُوفَ فِـيهِمْ فَقَـدْ مَـضَتْ
مَوَاهِـبُ لاَ أَجْـرٌ عَلَيْهَـا وَلاَ حَمْـدُ[1]

وَإِنْ عُوتِبُـوا بِالمُرْهَفَـاتِ فَطَالَمَـا
أَصَاخَ لَهَـا الغَـاوِي وَبَـانَ بِهَـا الرشْـدُ[2]

وَلَمـا اسْـتَقَلتْ لِلْفِـرَارِ[3] حُمُـولُهُمْ
وَلَـمْ يَبْـقَ هَـزْلٌ لِلطعَـانِ وَلاَ جِـدُّ[4]

أَتَـوْكَ يَعُـدونَ القَـدِيمَ وَلَـوْ وَفَـوْا
بِعَهْـدِهِمُ فِيـهِ لَكَـانُوا كَمَـا عَـدوا[5]

٢٠- وَلَكِنهُمْ رَامُوا عَلَـى المَكْـرِ غَايَـةً
أَبَـى اللهُ إِلا أَنْ يُقَـصرَهَا عَبْـدُ[6]

---

(1) تفعل المعروف: أراد تطلق سراحهم من الأسر. قوله: لا أجر عليها...: أي سبق أن فعلت فيهم المعروف فما شكروه لك.

(2) العتاب بالمرهفات كناية عن القتل على حدّ قوله بشّار [طويل]:

إذا المَلِكُ الجَبّارُ صَعرَ خَدهُ ... مَـشَينا إليـهِ بالـسيوفِ نُعاتِبُـهْ

(الديوان ١ / ٣١٧)

يقول: عهدي بالمرهفات تبين طريق الرشاد وينتصح با الغاوي.

(3) م: للفَرار - بفتح الفاء - ظ: استقلت بالفرار. ف. ق. ك. مط: استقرت للفرار.

(4) قوله: لم يبق هزل للطعان ولا جدّ: أي توقف الطعان لفرارهم وانتهى القتال.

(5) يعدّون القديم: أي يتوسّلون بحرمة القرابة.

يقول: جاؤوا يتوسّلون بحرمة القرابة، ولو وفوا بعهدهم، أي لو رعوها لما وقع قتال لأنك ممن يرعى الحرمة.

(6) يُبلغَها عبد. عبد: قصد به الممدوح. يريد: راموا - على مكرهم - غايةً أبى الله إلا أن تُبلغَها أنت.

فَمَا سَلِمُوا بِـ (المَسْلَمِيةِ) عِنْدَكُمْ[1]   وَلاَ وَافَقَ (السعْدِي) عِنْدَهُمُ سَعْدُ

وَلاَ ظَفِرُوا مِنْ عِنْدِ[2] (قَيسٍ) بِنُصْرَةٍ   وَأَلأمُ خَطْبٍ أَنْ يَكُونَ لَهَا عِنْدُ[3]

(أَبَا حَازِمٍ) مَا أَسْلَمَتكَ (رَبِيعَةٌ)   وَبَيْنَكُمُ عَهْدٌ يُرَاعَى وَلاَ وُدُّ[4]

---

(1) ظ: فما سلموا بالمسلمية عندهم.

المسلمّية: موضع قرب حلب على بعد ثلاثين كيلومتر. السعديّ: علم نسب إلى أحد السعود وهم كثير عند العرب كسعد تميم وسعد قيس وسعد هذيل وسعد بكر، وأغلب الظنّ أنه من بني قيس يدلّ على ذلك البيت التالي. سعد: ضد نحس، مأخوذ من أحد سعود النجوم وهي عشرة.

ربما أراد الشاعر الإشارة إلى المثل ((بكلّ وادٍ بنو سعد))، قاله السعدي الأضبط بن قريع، لمّا تحوّل عن قومه وانتقل في القبائل، فلمّا لم يحمدهم رجع إلى قومه يردّد المثل. وفي البيت ما يدعى في البديع بالاشتقاق.

(2) ظ: من عبد قيس. ق: من بعد قيس.

(3) أن يكون لها عند: أي أن يكون عندها نصر.

أخذ ابن سنان هذا التركيب من (عند) الذي استعمله في الشطر الأول، وهو أسلوب شائع، قال أحد الشعراء [طويل]:

يَقُولُونَ هذا عِندَنا غَيرُ جائِزٍ   وَمَنْ أَنْتُمُ حتّى يَكُونَ لَكُم عِندُ ؟

(عجزه في تاج العروس، مادة: عندَ)

يريد ابن سنان هجاء بني قيس، فيقول: إن ألأم مصيبة تنزل أن تأتي النجدة للمغلوبين من عند القيسّيين، لأن المستجير بهم كالمستجير من الرمضاء بالنار.

(4) أبو حازم: قصد به الممدوح، والرواية الصحيحة لعجز البيت: وما بينكم عهد يراعى ولا ودّ. لكن أثبتنا ما ورد في النسخ المخطوطة لاحتمال أن تكون ((لا)) زائدة في ((ولا ودّ)) كما هي الحال في كثير من آيات الذكر الحكيم ومن الشواهد الشعرية.

لَعَادَتْـكَ(1) في سَـفْحِ المَـضِيقِ فَـوَارِسٌ
طِـوَالُ العَـوَالِي لاَ لِئَـامٌ وَلاَ نُكَّـدُ(2)
٢٥- وَكَيْفَ يَفُوتُ(3) الذل مِنـا وَمِـنْهُمُ
وَسُـمْرُهُمُ لُـدْنٌ وَأَلْـسُنُنَا لُـد؟
وَمَا كَـانَ يَـوْمُ (المَـرْجِ) مِنْـكَ غَرِيبَـةً
وَلاَ لَـكَ مِـنْ فِعْـلٍ تُـلاَمُ بِـهِ بُـد(4)
وَقَوْمٍ رَمَوْا عِرْضِي وَلَوْ شِـئْتُ كَـانَ لِـي
مِـنَ الـذم حَـادٍ فِـي حَمَـائِلِهِمْ يَـشْدُو(5)
وَمَـا العَـارُ إلا أن مِـلءَ(6) بُيُـوتِهِمْ
أَحَادِيـثُ مَـا فِيهَـا نِـزَاعٌ وَلاَ جَحْـدُ
مَحَـا الـسَّيفُ مَـا قَـالُوا وَرُب نَـسِيئَةٍ
مِـنَ القَـوْلِ وَفاهَـا طِعَـانُكُمُ النقْـدُ(7)

---

(1) ف. ق. ك: لقادتك. مط: أفادتك.

(2) لعادتك: اللام إما للابتداء وإما جواب قسم مقدر وإما للتعجب، ذكر ذلك ابن خالويه في مثل هذا التركيب وأنكره ابن هشام.

(3) ف. ك: وكيف يفوت الذل.

(4) المرج، قال ياقوت: إذا أطلق أريد به مرج راهط (مادة راهط). ذكره ابن سنان ليشير إلى انكسار القيسّيين فيه وانتصار الكلبّيين.

(5) ظ: وقومٌ... في حمائلهم يحدو.

(6) ظ. ف. ك. ق: بين بيوتم. مط: تحلّ بيوتم.

(7) ف. ك. ق. مط: النفد - بالفاء - النسيئة بيع يؤخر دفع ثمنه، وضده النقد وهو الحاضر المعجّل.

٣٠- وَعِنْدِي إذَا عَـز الكَـلامُ غَرَائِـبٌ

هِـيَ الغُـل عِنْـدَ الـسامِعِينَ أوِ العِقْـدُ(١)

وَكَيْدٌ عَلَـى الأعْـدَاءِ تَرْمِـي(٢) زِنَـادُهُ

لَـوَاذِعَ مَـا فِيهَـا سَـلامٌ وَلاَ بَـرْدُ(٣)

(أبَـا سَـابِقٍ) مَـا أنْـزَلَ اللهُ نَـصْرَهُ

عَلَـى فِئَـةٍ إلا وَأنْـتَ لَهَـا رِدُ(٤)

هَنِيئًا لَـكَ المُلْـكُ الـذِي نِلْـتَ حَقـهُ

بِـسُمْرِ العَـوَالِي لاَ تُـرَاثٌ وَلاَ رِفْـدُ(٥)

لَكَ النسَبُ السامِي(٦) عَلَى كُـل مَنْـصِبٍ

---

(١) الغِلّ - بالكسر - الغشّ والحقد، وبالضمّ واحد الأغلال، وإليه قصد الشاعر لمناسبة العقد. كنّى بالغلّ عن الهجاء وبالعقد عن المدح.

(٢) ما أثبتناه من م، وفي سائر النسخ: يرمي زناده.

(٣) قوله: لواذع ما فيها سلام ولا برد: أي نيران محرقة مهلكة. ينظر في هذا التعبير إلى قوله تعالى:﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩].

(٤) الرِدّ - بكسر الراء - عماد الشيء ومعلّقه، يردّ عنه البلاء، وكأنه من الردء قلبت همزته دالاً، والرِدْءُ: المعين والناصر. يوجّه الخطاب إلى الأمير محمود بن نصر أبي سابق.

(٥) مختارات البارودي: هنيئًا لك النصر.

يقول: نلت هذا الملك بسعيك ولم ترثه، فأنت عِصاميّ، وهذا قريب من قول المتنبّي [خفيف]:

لا بِقَومِي شَرُفتُ بَلْ شَرُفُوا بِي ... وبِنَفسِي فَخَرتُ لا بِجُـدُودِي

(الديوان: ٢ / ٤٦)

(٦) ظ: النسب الزاكي.

وَقَــدْرُكَ أَعْلَــى مِــنْ نِــزَارٌ وَمِــنْ أُد ؟[١]

٣٥- وَقَــدْ وَفِــقَ اللهُ الإِمَــامَ[٢] لِفِكْــرَةٍ

تَــيَقنَ فِيهَــا أَنــكَ الــسَّيْفُ وَالعُــضْدُ[٣]

دَعَــا (التــرْكَ) أَقْــوَامٌ فَكَــانُوا عَلَــيْهِمُ

نَكَــالاً أَلاَ للهِ مَــا صَــنَعَ الجَــد[٤]

وَلَوْ وُفقُوا كُنْتُمْ جَمِيعًــا عَلَــى العِــدَى[٥]

وَدَافَـعَ دُونَ الغِيــلِ ذَا الأَسَــدُ الــوَرْدُ[٦]

وَلَكِــنهُمْ أَصْــغَوْا إِلَى قَــوْلِ كَاشِــحٍ

---

(١) نزار: قصد به نزار بن معد بن عدنان، أبو قبيلة عظيمة. أُدّ - أو أدد - هو أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر أبو قبيلة عظيمة، قال الشاعر [كامل]:

أُد بنُ طابِخةٍ أُبونا، فانـسُبُوا يَومَ الفَخارِ أَبـا كـأُد تُنْفَـروا

(اللسان مادة: أدد)

(٢) ما أثبتناه من م، وفي سائر النسخ: الأنام

(٣) سقط البيت من مط.

في البيت إشارة إلى اللقب الذي أفاءه الخليفة العباسي عليه وهو (سيف الخلافة).

(٤) الجَدّ - بالفتح - الحظ.

يشير إلى الفتنة التي حدثت بين أهل حلب والترك المقيمين بها، وكان أكثرهم من جند عطّية بن صالح فخرج رؤساء الترك إلى حران وفيها محمود بن نصر - الممدوح - فأعانوه على مهاجمة حلب، فامتلكها سنة ٤٥٧هـ. ويلمّح دائمًا إلى عطية بن صالح ويتحدّث عنه بالجمع: أقوام، وفقوا..

(٥) م: جميعًا عليهم.

(٦) وفقوا: يتحدث عن عطية بن صالح بالجمع، كذلك في البيت التالي (أصغوا).

يَرُوحُ عَلَيهِمْ بِالنمِيمَةِ أَوْ يَغْدُو

وَإِنْ ظَهَرَتْ فِيهِمْ عَوَاقِبُ رَأْيِهِ
فَقَدْ يُؤْخَذُ المَوْلَى بِمَا صَنَعَ العَبْدُ(1)

٤٠- وَإِنْ جَنَحُوا لِلسلْمِ رَاعَيْتَ فِيهِمُ
أَوَاصِرَ قُرْبَى يَأْبَى أَنْ يُضَيعَهَا المَجْدُ(2)

وَمَا السلْمُ إلا فُرْصَةٌ لِمُحَارِبٍ
لَهُ كُلَّ يَوْمٍ شَلَّةٌ مِنْكَ أَوْ طَرْدُ(3)

بَقِيتَ! فَلِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ نِعْمَةٌ
هِيَ العِزةُ القَعْسَاءُ وَالعِيشَةُ الرغْدُ(4)

وَدُونَكَ مِنْ نَصْرِي(5) حُسَامٌ بَلَوْتَهُ
فَبَانَ شَبَاهُ حِينَ فَارَقَهُ الغِمْدُ(6)

---

(1) عواقب رأيه: الضمير يعود على الكاشح في البيت السابق.

(2) يريد: وإن سالموك فسالمهم، لأن بينك وبينهم أواصر القربى، والمجد لا يرضى أن تقطع الرحم وألا ترعى هذه الأواصر، والتعبير قرآني (الأنفال: ٦١).

(3) الشلّ: الطرد، يقال شَلَلْتُ الإبل إذا طردتها، وشله بالسيف: طرده.
كأنه يقول للأمير: إن قوّتك لا تمنعك من مسالمتهم، لأنهم إن عادوا عدت فقهرتهم، ففرصة السلم التي ينتهزونها ستعود عليهم بالوبال.

(4) بقيت: جملة طلبية دعائية. العزّة القعساء أي الثابتة - الصحاح - أراد: عزّة مقيمة لا تبرح.

(5) ظ: من نصرٍ.

(6) الشبا من كلّ شيء: حده.
جعل من نفسه سيفا ومن ممدوحه غمدا يحفظه، والسيف يدركه التلف إن فارقه غمده.

*[١٢٣]

وقال يمدح شرف أمراء العرب أبا سلامة[١] [محمود بن نصر] ويذكر استنقاذه نساء بني حمّاد النميريّين[٢] بيده[٣] سنة ثمان وخمسين وأربعمائة [بسيط]:

أمـا ظُبَـاكَ فَقَـدْ دَانَـتْ لَهَـا الأُمَـمُ
فَمَـا تُخَالِفُهَـا[٤] عُـرْبٌ وَلاَ عَجَـمُ[٥]

يَجْرِي القَضَاءُ بِمَـا تَهْـوَى فَـإِنْ جَمَحَـتْ
عَنْهَا القُلُـوبُ أَطَاعَـتْ أَمْرَهَـا القِمَـمُ[٦]

تُـرْدِي وَتُحْيِـي نُفُـوسَ[٧] العَائِـذِينَ بِهَـا
فَعِنْـدَهَا نِعَـمٌ فِـي طَيِّهَـا نِقَـمُ[٨]

كَأَنَّمَـا هِـيَ لِلأَعْمَـارِ مَالِكَـةٌ

(*) ظ ٩٤، ف. ك ٧١، ق ١١١، م ٨٨، مط ١٠٢.

(١) في أكثر النسخ: وقال يمدحه.

(٢) ق: النمرّيين

(٣) زيادة من ظ.

(٤) م: فليس تُنْكِرها عرب.

(٥) ظُبة السيف: طرفه وحدّه، وكذلك السنان والخنجر وما أشبه ذلك.
وقوله: أمّا ظباك أي أما سيوفك، من باب إطلاق الجزء وإرادة الكلّ.
يشير في هذا البيت إلى النفوذ الذي يتحلّى به محمود بن نصر أمير حلب.

(٦) القِمة - بكسر القاف - أعلى الرأس، وأعلى كلّ شيء، وقامة الرجل.
بِمَا تهوى: أي بما تهوى ظباك.فإن جنحت عنها القلوب...: يريد إن عصتها القلوب أطاعتها الرؤوس. وفي البيت مغالاة.

(٧) م: وتحيي نفوسُ.

(٨) تردي وتُحيي: في التركيب حذف، وأصله: تُردي ظباك الأعداءَ وتحيي نفوس العائذين بها.

فَمِنْ مَضَارِبِهَا تُعْطَى وَتُخْتَرَمُ[1]

نَادَتْ (نُمَيْرٌ) فَلَبَّتْهَا وَقَدْ لَؤُمَتْ

فِيهَا الكِرَامُ وَمَاتَتْ دُونَهَا الهِمَمُ[2]

وَضَارَبَ الخَوْفُ عَنْهَا وَهْيَ مُغْمَدَةٌ

وَلَيْسَ[3] كُلُّ ضِرَابٍ أَنْ يُرَاقَ دَمُ[4]

أَغْنَى كِتَابُكَ عَنْ جَيْشٍ تُجَهِّزُهُ

وَوُقِّرَ السَّيْفُ لَمَّا أَقْنَعَ القَلَمُ[5]

يَا هِمَّةً حَمَلَ الإِسْلَامُ مِنَّتَهَا

وَنِعْمَةً صَغُرَتْ فِي جَنْبِهَا النِّعَمُ

هَلْ عِنْدَ قَبْرِ (شَبِيبٍ) مِنْكَ مَعْرِفَةٌ

فَرُبَّمَا صَنَعَتْ مَا تَصْنَعُ الدِّيَمُ[6]

دَعَتْكَ رِمَّتُهُ وَالتُّرْبُ بَيْنَكُمَا

---

(1) ظ: وَتَخْتَرِم - بالبناء للمعلوم -

(2) نُمَيْر: أبو قبيلة من قيس، وهو نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن. اللئيم: الدنيء الأصل الشّحيح النفس، وقد لَؤُم الرجل - بالضم - يقصد بني نمير الذين نادوا محمود بن نصر لنجدتم فلبّاهم يوم ماتت فيهم الهمم ولَؤُمَ الكرامُ.

(3) م: فليس.

(4) يريد: انتشر الخوف بين الأعداء (الروم) فكان بمثابة جيش يذبّ عنها.

(5) يشير إلى أن الأمير محمودًا أرسل كتابًا إلى الروم افتكّ به الأسرى.

يريد: ناب عن سيوفك خوف الروم منك، لأن رسالتك إليهم جعلتهم يطلقون الأسرى.

(6) شبيب: هو شبيب بن وثّاب النميريّ (ت ٤٣١ هـ / ١٠٤٠ م)، أمير، صاحِبُ الرقةِ وسَرُوجَ وحرّان، خطب للمستنصر العلويّ، ثم للقائم العباسي سنة ٤٣٠ هـ. كان شجاعًا ذا نجدة وكرم ورأي، توفّي بحرّان (ابن الأثير سنة ٤٣٠ هـ(.

وَمِنْ فُـرُوضِ العُـلاَ أَنْ تُـسْمَعَ الـرِمَمُ(١)

فَلَمْ يَكُـنْ بِـكَ - فِيمَـا نَالَـهُ - حَـصَرٌ
وَلاَ بِـسَمْعِكَ عَمَّـا قَالَـهُ صَـمَمُ(٢)

أَعْـرَاضُ قَـوْمٍ أَقَـادُوكَ الفَخَـارَ بِهَـا
فَإِنْ دَعَـوْا بِـكَ تَحْمِيهَـا فَمَـا ظَلَمُـوا(٣)

مَـاتُوا وَلَكِـنَّهُمْ أَحْيَـاءُ ذِكْـرِهِمُ
إِنَّ الثَنَـاءَ وُجُـودٌ مَـا لَـهُ عَـدَمُ(٤)

أَحْيَـتْ سُـيُوفُكَ مَيْـتَ العِـزِّ فِي (مُـضَرٍ)
وَأَسْـفَرَتْ بِـسَنَاهَا(٥) عَـنْهُمُ الظُلَـمُ(٦)

١٥- كَانَتْ لَهُمْ آيَةٌ فِـي الفَخْـرِ وَاحِـدَةٌ
حَتَّـى خُلِقْـتَ فَـصَارَ الـدِينُ وَالكَـرَمُ(٧)

قَالَـتْ عُـدَاتُكَ: طُـرْقُ المَجْـدِ خَافِيَـةٌ

---

(١) الرمة - بالتشديد والكسر - العظام البالية والجمع رِمَمٌ، والرمة - بالضم - قطعة من الحبل البالية. يريد أن رِمّة أمير النميريّين شبيب اهتزت في قبرها ودعت محمودا للثأر بعد أن تخاذل القوم.

(٢) فيما ناله: أي ما ناله في نساء قومه. أراد بالحصر: الضيق والعجز.

(٣) قوم: قصد بهم بني نُمير. بها: أي بالأعراض.
تحميها: الضمير عائد على الأعراض.

(٤) راعى في هذا البيت قول المتنبي في صدر البيت [بسيط]:
ذِكْرُ الفَتى عُمْرُهُ الثاني وَحَاجَتُهُ   مَا فَاتَهُ وَفُضُولُ العَيْشِ أَشْغَالُ
(الديوان: ٣ / ٤٠٧)

(٥) ف. ق. ك: لسناها

(٦) ميت العزّ: من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي العزّ الميّت، أو ما مات فيهم من العزّ.
بسناها: بسنا السيوف، أي بمآثرها.

(٧) يريد: كانت لهم آية الدين وهي الإسلام، فزدتم آية الكرم.

وَمَــا عَلَيْــكَ إذَا أُبْــصِرْتَهَا وَعَمُــوا ؟[1]

كَمْ خَلَّــةٍ[2] لَــكَ رَامُــوا سَــتْرَ شَــارِقِهَا

حَتَّـــى رَأَوْهُ صَـــبَاحًا لَـــيْسَ يَنكَـــتِمُ[3]

أَطْلَعْــتَ فِيهَــا[4] شُمُوسًــا غَيْــرَ آفِلَــةٍ

وَعَانَـــدُوكَ فَقَـــالُوا: إنَهَـــا شِـــيَمُ

مَـــا أَيْقَنُـــوا بِغَرِيـــبٍ[5] مِـــنْ بَـــدَائِعِهَا

إلا وَقَـــدْ جَهِلُـــوا فَـــوْقَ الَّـــذِي عَلِمُـــوا

٢٠- وَلاَ أَطَـــاعُوكَ إلاَ بَعْـــدَ مَعْرِفَـــةٍ

بِـــأَن مِثْلَـــكَ لاَ يَعْـــصِيهِ مِـــثْلُهُمُ

شَـــفَتْ سُـــيُوفُكَ دَاءً مِـــنْ عُقُـــوقِهِمُ[6]

لَهَـــا، وَرُبَّ شِـــفَاءٍ كُلُّـــهُ سَـــقَمُ[7]

---

(١) سقط البيت من ظ.

عداة: جمع عادٍ، وهو الجائر الظالم، وقصد به الأعداء، وأصلها العداوة.

(٢) م: خُلة - بالضمّ -

(٣) الخَلة - بالفتح - الخصلة، والخُلة - بالضمّ - الخليل، يستوي فيه المذكر والمؤنث.

الشّارِق: الشمس حين تشرق، يقال: طلع الشارقُ، ولا آتيك ما ذر شارق.

يريد: كم من خصلة طّيبة للأمير راموا إخفاءها، فكانوا كمن يحاول ستر الشمس، وكان الشاعر رماهم في البيت السابق بالعمى.

(٤) ظ. ف. ق. ك. مط: أطلعت منها.

(٥) ظ. ف. ق. ك: لغريب.

(٦) م: عقولهم.

(٧) وربّ شفاء كله سقم: يقول إنه شفاهم بتحكيم السيف فيهم وبالتقتيل، فكان هذا الشفاء سقامًا.

يَا ابْنَ الْأُلىَ رَضَعُوا خِلْـفَ النـدَى فَرَبَـوْا(1)
بِـدَرِّهِ ثُـم مَـاتوا قبْـلَ مَـا فُطِمُـوا(2)

لاَ تَأْسَـفَن لِمَوْتَـاهُمْ(3) إِذَا ذَهَبُـوا
فَمَـا مَـضَى أَحَـدٌ مِـنْهُمْ وَأَنْـتَ هُـمُ(4)

مَـا يُخْبِـرُ النـاسُ عَـنْ قَـوْمٍ بَقِيـتُهُمْ
(أَبُـو سَـلاَمَةَ) إلا أنهُـمْ سَـلِمُوا(5)

أربعة وعشرون بيتًا

---

(1) ظ. م. ك: فَرُبوا.

(2) الخِلْف: ضرع الناقة وكل ذات خف وظلف، وهو هنا على المجاز. ربا: زاد ونما.

قوله: ماتوا قبل ما فطموا: كناية، أي ماتوا في ميادين الحروب شبابًا شجعانًا.

يمدح أرومته من بني مرداس بالكرم وبأنهم لا يعمرون لإيثارهم الحروب، ويطلب منه في البيت التالي أن يصبر عن فقدهم.

(3) ظ. م: لا تأسفن لشبّان.

(4) يطلب إليه التجلّد ويسوّغ ذلك بأنه - أي الأمير - جمع فضائلهم وتمثلها، فكأنهم أحياء فيه.

(5) هذا البيت تتمّة لما قبله. وفي عجزه ما سُمي في البديع بالاشتقاق، وهو أن يشتقّ المتكلم من الاسم العَلَم معنًى في غرضٍ يقصده من مدح أو هجاء أو غيره.

*[١٢٤]

وقال أيضًا يمدح شرف أمراء العرب أبا سلامة [محمود بن نصر] ويعاتبه، في صفر سنة تسع وخمسين وأربعمائة [رمل]:

مَا عَلَـى أَحْـسَنِكُمْ لَـوْ أَحْـسَنَا؟
إِنَمَــا نَــسْأَلُ[1] شَــيْئًا هَيِّنَــا[2]

قَـدْ شَـجَانَا الْيَـأْسُ مِـنْ بَعْـدِكُمُ
فَالْحَقُونَــا[3] بِأَحَادِيــثِ الْمُنَــى

وَعِــدُوا بِالوَصْــلِ مِــنْ طَــيْفِكُمُ
مُقْلَــةً تَعْــرِفُ[4] فِــيكُمْ وَسَــنَا[5]

(*) ظ ٩٥، ف. ك ٧٢، ق ١١٢، م ٨٩، مط ١١١.

قصيدة من أعذب ما قيل في الشعر العربي، وهي أجمل شعر ابن سنان، ولا سيما مطلعها، للرقة والعذوبة وتجانس الكلام وانسجام الوزن.

(1) م: إنما نطلب.

(2) أحسنكم: قصد به المحبوبة، وكثيرًا ما تخاطب بالمذكر في الشعر. شيئًا هيِّنًا: أراد الوصال.

استهل القصيدة بعتاب المحبوبة، قائلاً وماذا عليها لو أسدت إليّ إحسانا وهو هيّن. ثم تابع الغزل ووصف الطيف.

(3) ظ: فِعِدونا.

(4) ظ: مقلة لم تذر

(5) الطيف: الخيال الزائر، ويطلق على الحبيب الغائب أو البعيد. ((تعرف فيكم وسنا)) : أراد عندما يزورها النوم لأن المحبّ يغلب عليه الأرق.

لاَ، وَسِحْرٍ بَيْنَ أَجْفَانِكُمُ
فَتَنَ الحُبُّ بِهِ مَنْ فَتَنَا
٥- وَحَدِيثٍ مِنْ مَوَاعِيدِكُمُ
تَحْسُدُ العَيْنُ عَلَيْهِ الأُذُنَا
مَا رَحَلْتُ العِيسَ عَنْ أَرْضِكُمُ
فَرَأَتْ عَيْنَايَ شَيْئًا حَسَنَا(١)
يَا (بَنِي عُذْرَةَ) إِنْ خِفْنَاكُمُ
فَدَمُ الهِرْمَاسِ مِنْكُمْ عِنْدَنَا(٢)
أَخَذَتْ سُمْرُكُمُ الثَّأْرَ بِهِ
لَسْتُ أَعْنِي لَكُمُ سُمْرَ القَنَا(٣)

---

(١) الأبيات ٤، ٥، ٦ تكون جملة واحدة مصدّرة بقسمين (وسحرٍ)، (وحديثٍ).
وقوله: ما رحلت العيس أراد: ما ركبت العيس مبتعدًا عن أرضكم.

(٢) عذرة: قبيلة من اليمن، تنسب إلى عذرة بن سعد هذيم بن زيد بن ليث، من قضاعة من قحطان، جدّ جاهلي من بنيه بطون عامر، وكاهل، وإياس، وعوف، ورفاعة (وهو غير عذرة بن زيد اللات بن رفيدة من بني كلاب، من قضاعة). وبنو عذرة هم المعروفون بشدّة العشق والعفّة فيه، وقصد الشاعر نساءهم.
الهرماس: الأسد الجريء الشديد، أو الأسد العادي على الناس، وأصله من هرس، زيدت فيه الميم.
يقول: يا بني عذرة إن خفناكم فلأننا أخذنا منكم دم الأسد، ولذلك تثأرون منّا.

(٣) سمركم: أي عيونكم، أو بناتكم السمر. وفي البيت (الاشتراك) وهو من أبواب البديع.

وَسَلَلْتُمْ فِيهِ أَلْحَاظَكُمُ
فَعَرَفْنَا بِالسُّيُوفِ (الْيَمَنَا)(1)

١٠- هَلْ لَنَا نَحْوَكُمُ مِنْ عَوْدَةٍ؟
وَمِنَ التَّعْلِيلِ قَوْلِي: هَلْ لَنَا؟

كَمْ أُسَلِّي النَّفْسَ عَنْ حُبِّكُمُ
وَهْيَ لاَ تَزْدَادُ إلا حَزَنَا

وَلَعَمْرِي لَوْ وَجَدْنَا رَاحَةً
فِي هَوَاكُمْ(2) لَطَلَبْنَا شَجَنَا(3)

يَا نَدِيمَيَّ عَلَى ذِكْرِهِمُ
وَحَدِيثُ الشَّوْقِ قَدْ أَسْكَرَنَا

بَيْنَ (بُصْرَى) وَ(ضُمَيْرٍ) عَرَبٌ
يَأْمَنُ الخَائِفُ فِيهِمْ مَا جَنَى(4)

يريد أن نساء بني عذرة استوفت الثأر لدم الهرماس بسهام ألحاظها.

(1) اللحَاظ - بالفتح - مؤخر العين، ولحظه ولحظ إليه أي نظر إليه بمؤخر عينيه. شبّه الألحاظ بالسيوف.
يقول: عندما سللتم علينا ألحاظكم عرفنا فيها السيوف اليمانية الحديدة.

(2) أثبتنا رواية م، وفي سائر النسخ: من هواكم.

(3) الشجَن - بالتحريك - الحاجة حيث كانت، وقد شجنتك الحاجة شجنًا إذا حبستك، والشجن: الحزن وهو المقصود هاهنا.

(4) بصرى: مدينة جنوبي بلاد الشام من أعمال دمشق، وهي قصبة ذكرتا التوراة والأدب اليوناني، تقصدها العربان لخصبها وغناها. ضمير: بلدة بالشام شمالي دمشق تبعد عنها نحو ٣٠ كم، وكانت حصنا في آخر حدود دمشق، ذكرها المتنبي في ميميته الشهيرة [بسيط]:
لئن تركن ضُمَيْرًا عن ميامننا ليحدثن لِمَنْ ودعتهم ندم
(الديوان: ٤ / ٨٩)

كُلَمَا شُـنتْ عَلَيهِـمْ غَـارَةٌ
أَعْمَـدُوا البِيضَ وَسَـلوا الأَعْيُنَـا

طَلَعَـتْ لِلْحُسْنِ فِيهِمْ مُزْنَـةٌ
أَنْبَتَـتْ فِـي كُـلِ حِقْـفٍ غُـصُنَا[١]

مَـا لِقَلْبِـي لَـيْسَ يُـشْفَـى دَاؤُهُ
كُلَمَـا زَالَ ضَـنًى عَـادَ ضَـنَى؟

كُـلَ يَـوْمٍ صَبْـوَةٌ عُذْرِيَـةٌ
وَدُمُـوعٌ[٢] تَتَلاقَـى الدمَنَـا[٣]

لَوْ سَلِمْنا مِـنْ تَبَارِيحِ الهَـوَى[٤]
لَـذَكَرْنا جُمْلَـةً مِـنْ أَمْرِنَـا[٥]

وَشَـكَرْنا (لابْـنِ نَـصْرٍ) مِنَّـةً
أَنطَقَـتْ بِالمَـدْحِ فِيـهِ الأَلْـسُنَا[٦]

مُغْـرَمٌ بِالجُودِ مَـا يَحْمِلُـهُ

عرب: عربيات. يوازن في البيت بين نسوة بني عذرة وضنّها بالوصال وعرب بصرى وضُمَير بالشام واحتمالها جناية الخائف.

(١) الحِقف - لغة - الكثيب من الرمل إذا تقوّس، والمقصود هنا ردف المرأة، وعنى بالغصن خصرها وقوامها، وبالمزنة ماء الشباب ونضرته.

(٢) مط: من هواكم تتلاقى.

(٣) تتلاقى: تطلب وتفتقد.

(٤) ظ. م: تباريح الجوى.

(٥) بهذا البيت ينتقل من الغزل إلى المدح والاستعطاف، بعد أن وظّف الغزل لبيان الشوق والضنى؛ ففيه براعة التخلّص.

(٦) رشيد الدولة أبو سلامة محمود بن نصر، أمير حلب ٤٥٤ هـ / ٤٦٨ هـ.

نَــصَبُ الفَقْــرِ عَلَــى حُــب الغِنَــى[1]

كُلمَــا عُــرضَ بِالحَمْــ ــدِ لَــ ــهُ

أَكْثَــرَ الــسوْمَ وَأَغْلَــى الثمَنَــ ــا[2]

مَــا تَــرَاهُ كَيفَمَــا حَالَــتْ بِــهِ

عُقَــ ــبُ الأَيـ ــ ــامِ إلا مُحْــ ــسِنَــا[3]

وَقَرِيــ ــبٌ بَعُــ ــدَتْ هِمتُــ ــهُ

رُب أَمْــرٍ مَــا نَــأَى حَتــى دَنَــ ــا

٢٥- وَإِذَا مَــ ــا أَقْبَلَــ ــتْ غَائِــ ــرَةً

كَقَنَــا الخَــ ــطِ خِفَافًــ ــا لُدُنَــ ــا[4]

صَــاحَ (مَحْمُــودٌ) عَلَــى فُراطِهَــا

لاَ فَتَــ ــى يَعْطِفُهَــ ــا إلا أنَــ ــا[5]

---

(١) أراد أن هذا الممدوح كريم لم يعرف الفقر وهمومه، فيفرطَ في حب الغنى.

(٢) التعريض: عدم التصريح بالشيء. ومعنى عجز البيت أنه يجزل العطاء لمادحيه.

(٣) عقب جمع عُقْبة وهي النوبة، وقصد بها صروف الدهر وما تترك من أثر.

(٤) أقبلت: أي أقبلت الخيل المغيرة. الخطّ: موضع باليمامة وهو خطّ هَجَر تنسب إليه الرماح الخطّية لأنها تحمل من بلاد الهند فتقوم به. خفاف: يقال أخف القوم إذا كانت دوابّهم خفافًا. الرمح اللّدْن: اللّين، ورماح لُدْن - بسكون الدال - وحرّكها ابن سنان لضرورة الشعر. يصف الغارة المقبلة.

(٥) محمود: يعني الأمير محمود بن نصر. فراطها: قصد مقدمة جيشه، فراط جمع فارط، وفرَط القومَ أي سبقهم إلى الماء، وفراط القطا متقدماتها إلى الوادي والماء، قال الراجز، وهو نقادة الأسديّ [رجز]:

ومنـهل وردتـه التقاطـا لم أر إذ وردتـ ـ ـه فُراطـ ـ ـا

إلاّ الحمام الوُرْق والغَطاطا

خُلِقَــتْ لِلْجُــودِ مِنْــهُ رَاحَــةٌ
عَلَّمَتْنَـا أَنْ نَـذُمَّ الْمُـزْنَـا

يَا (عِمَادَ الْمُلْـكِ) نَعْتًـا صَـادِقًا
وَمِــنَ الأَلْقَــابِ مَــيْنٌ وَالكُنَــى[1]

لاَ أَرَى عَتْبَـكَ إِلا ظَاهِـرًا
خَيْــرُ شَــكْوَى عَاشِــقٍ مَــا أَعْلَنَــا[2]

٣٠- كُنتَ تَرْمِي زَمَنِـي دُونِـي فَقَـدْ
صِــرْتُ أَخْــشَى أَنْ تَكُــونَ الزمَنَــا[3]

مَا تَعَامَلْنَا – بِحَمْـدِ اللهِ - فِـي
سَــبَبٍ يُوجِــبُ خُلْفًــا بَيْنَنَــا[4]

غَيْـرَ شِعْـرٍ رُبَّمَـا أَهْدَيْتُـهُ
لَـكَ إِنْ صَـادَفَ وَقْتًـا مُمْكِنَـا

(تاج العروس مادة: فرط)

يعطفها: يثنيها. يمدحه في هذين البيتين بالشجاعة.

(١) ومن الألقاب مين والكنى، وأصل التركيب: من الألقاب والكنى مين. وقوله: نعتًا صادقًا، يريد أنه جعله صادقا بأعماله.

(٢) عتبك: من باب إضافة المصدر إلى مفعوله، أي أن الشاعر هو الذي يعتب لكنّه يدّعي أنه يعتب على ممدوحه عتبًا ظاهرًا، ويؤكد ذلك بالحكمة التي أوردها في عجز البيت.

(٣) في البيت إشارة إلى بذرة الخلاف بين الأمير والشاعر.

(٤) يعبّر عن الخلف القائم بينهما من غير سبب. ثم يستدرك في البيت التالي بأنه لم يقدم للأمير سوى المدائح الشعرية، فلِمَ العتب؟

لَيسَ فِي الأَعْدَاءِ مَنْ يَفْهَمُهُ
فَيقُولُوا إِنَّهُ مَا أَحْسَنَا
وَلَعَمْرِي إِن مِنْ حُبهِمُ
مَا تَرَى[1](سَحْبانَ) إلا أَلْكَنا[2]
٣٥- كُل يَوْمٍ لِي مِنْهُمْ نَوْبَةٌ
تَذَرُ الحُرَ بِهِمْ مُمْتَحَنا[3]
وَعَلَى العِلاتِ مَا زِلْتُ بِمَا
أَكْرَهُ التَصْرِيحَ فِيهِ فَطِنَا
أَنكَرُوا حِرْصِي عَلَى السِلْمِ وَمَا
أَدعِي أَنِي أُحِبُ الفِتَنا[4]
كَيفَ يَهْوَى الحَرْبَ مَنْ إِنْ فُزْتُمُ
لَمْ يَكُنْ بِالخَيرِ مِنكُمْ[5] فَمِنَا[6]
وَإِذَا ضَاقَتْ عَلَيْكُمْ خُطةٌ

---

(1) ظ: إنّ في حبهم ما يُري. وهذه الرواية صحيحة في تركيبها مستساغة.

(2) سَحبان وائل خطيب فصيح ضرب به المثل، تكلّم أمام معاوية ساعات، فقال له: أنت أخطب العرب فقال: سحبان: والعجم والجنّ والإنس. توفي سنة ٥٥ هـ. اللكنة: عجمة في اللسان وعِيٌ، يقال رجل ألْكن بين اللكن. يرفع ابن سنان منزلته في الفصاحة فوق بلاغة سحبان.

(3) يريد أنهم سلطوا عليه أذاهم (من حسد وحقد..) وذلك ما يجعل الحرّ ممتحنًا دائمًا بهم.

(4) في البيت إشارة إلى قوم يكرهونه وينكرون عليه حرصه على السلم، ويبين في البيت التالي أنهم لو قاموا بحرب لما عادت عليهم بالخير.

(5) ظ: فيكم.

(6) فاز: ظفر بالخير.

عَدِمَ المَالَ بِهَا[1] وَالوَطَنَا

٤٠- لَيْسَ فِي المَعْقُولِ أَنْ يُؤْثِرَهَا
غَيْرُ مَنْ إِنْ خِفْتُ فِيهَا أَمِنَا[2]

فَتَنَبَّهْ لِمَخَارِيقِهِمُ
مَا عَهِدْنَا مِنْكَ هَذَا الوَسَنَا[3]

وَاحْمِلِ النَّاسَ عَلَى حُبِّهِمُ
لَيْسَ مِنْ دِينِ[4] العُلَا أَنْ تَغْبِنَا[5]

إِنَّ مَنْ أَحْرَزَ عَنْكُمْ مَذْهَبًا
غَيْرُ مَنْ أَنْتُمْ لَهُ كُلُّ الدُّنَا[6]

لَيْسَ مَنْ يَعْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا
مِثْلَ مَنْ يُشْرِكُ فِيهِ الوَثَنَا[7]

---

(١) ظ: عدم الملك بم.

(٢) ف. ك: خفتَ - بفتح التاء -
يشير إلى أعدائه، فهم يأمنون حينما يقع في حال من الخوف والفتنة، عند ذلك يؤثرون إعلان الحرب عليه.

(٣) قوله فتنّبه... ما عهدنا منك هذا الوسنا: فيه جرأة على الأمير لا عهد للشاعر بها.

(٤) أثبتنا رواية م، وفي سائر النسخ: في دين.

(٥) ظ: أن يُغبنا - بالبناء للمجهول.

(٦) يريد أن بعض خلصاء الأمير المقرّبين نالوا منـزلتهم عنده من باب واحد كخدمة الأمير أو القربى.. ولكنهم ليسوا كمن كان الأمير ملء حياته ونفسه. أي أن هؤلاء الذين تقربهم ليسوا مثلي في الإخلاص لك.

(٧) في البيت تشبيه ضمنيّ أوّله في البيت السابق، فحال الشاعر مع الأمير كحال من

*[١٢٥]

وقال يمدح شرف أمراء العرب أبا سلامة محمود بن نصر بن صالح بن مرداس [من السريع والقافية من المتواتر]:

قَدْ زَجَرَ الشِّعْرُ لَكُمْ فَالَهْ
وَطَالَمَا جَرَّبْتُ أَقْوَالَهْ[١]

وَلَمْ[٢] يَزَلْ يُخْبِرُ فِيمَا مَضَى
عَنْكَ كَأَنَّ اللهَ أَوْحَى لَهْ[٣]

وَقَدْ رَأَى جَيْشَكَ، وَالنَّصْرُ فِي
لِوَائِهِ، يَسْحَبُ أَذْيَالَهْ[٤]

يعبد ربا واحدًا، وحال الناس مع الأمير كحال من يعبد الله ويشرك معه الأوثان. وهذه مبالغة واضحة.

(*) ظ ٩٧، ف. ك ٧٣، ق ١١٤، م ٩١، مط ٩٢.

(١) الزجر في الأصل: الطرد بالصوت. والزجر: ضرب من العيافة - على التفاؤل - وأصله أن يرمي الإنسان الطير بحصاة أو يصيح به، فإن ولاه في طيرانه ميامنهُ تفاءل به، وإن ولاه مياسرهُ تطير. والزجر: ضرب من التكهن، يقال على التفاؤل: قد زجرت أن يكون كذا وكذا. الشعر: الألف واللام فيها عوض عن المضاف إليه، أي: شعري.

ومعنى صدر البيت: تفاءل لكم شعري، فصحّ فألُه.

(٢) ظ: فلم

(٣) في البيت اقتباس غير مباشر من سورة الزلزلة ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ وهو من نوع المباح المبذول لأنه أتى به على غير وجه مدح النبي وآله وصحبه أو المواعظ.

أراد: طالما أخبر شعري عن انتصاراتك فصدقت أخباره، فكأنه وحي من الله.

(٤) الضمير في (رأى) يعود على الشعر. جملة يسحب أذياله إما متعلقة بالنصر

وَ(الرحْبَـ ـةُ) الخَـ ـضْرَاءُ جَذْلاَنَـ ـةٌ

يِمُلْكِـ ـكَ المُقْبِـ ـلِ مُخْتَالَـ ـهْ[١]

٥- وَ(مُـ ـسْلِمٌ) مِـ ـنْ دُونِهَـ ـا مُـ ـسْلِمٌ

لاَ يَمْنَـ ـعُ الـ ـشيْءَ إِذَا نَالَـ ـهْ[٢]

إِذَا هَـ ـوَتْ خَيْلُـ ـكَ عَـ ـنْ (بَـ ـالِسٍ)

حَـ ـدَا إِلَـ ـى (المَوْصِـ ـلِ) أَجْمَالَـ ـهْ[٣]

فتكون خبرًا لمبتدأ، وإما حال من (جيشك) وهو الأرجح.

ويبدو أنه أنشده القصيدة بعد عدة مواقع خاضها، أو أنه كان يستعدّ لوقعة كبيرة في حدود عام ٤٦٠ هـ.

(١) الرحبة: آثار مدينة على الفرات الأوسط، قيل أسسها مالك بن طوق التغلبي في خلافة المأمون، وقيل هي مدينة قديمة ذكرت في التوراة وتحدث عنها بطليموس وأعاد العرب بناءها. وكانت في حكمها تتبع الدولة المرداسية التي قامت على أنقاض الدولة الحمدانية. الخضراء: إما على الحقيقة للدلالة على خصبها، وإما على المجاز كما يقال رجل أخضر ومودة خضراء. وعجز البيت يبين أن الممدوح كان يطمح إلى الاستيلاء ثانية على الرحبة وأنها كانت خارج سلطانه زمن إنشاد القصيدة.

(٢) مسلم: مسلم بن قريش شرف الدولة أبو المكارم بن بدران العقيليّ، من كبار الأمراء العرب. خلف أباه قريش بن بدران أميرا على الموصل وديار ربيعة ومضر من أرض الجزيرة. بلغت الدولة العقيلّية أوج سلطانها في عهده. تحالف مع ألْب أرسلان السلجوقيّ، ثم مع ابنه ملك شاه، ثم انقلب على السلجوقّيين وحالف الفاطمّيين، وحاصر سابق بن محمود بن نصر (ابن الممدوح) سنة ٤٧٣ هـ/ ١٠٨٠ م، فاستسلم له وانقرضت دولة المرداسّيين. احتل مسلم عدة مدن في سورية ولبنان، منها بعلبك، وقُتِل في معركة مع سليمان ابن قتلمش سنة ٤٧٨ هـ.

وابن سنان هنا ينال منه في أنه عاجز عن ردّ الهزيمة التي ستحل به من قِبَل محمود بن نصر.

(٣) بالس مدينة بوادي الفرات بين الرقة ومنبج، كانت تابعة للدولة المرداسّية، ثم صارت لحكم الدولة العقيلّية. أجمال: جمع قلّة، استعمل للمبالغة في بيان

فَاعْرِفْ لَـهُ الْبِـشْرَى وَكُـنْ ضَـامِنًا
طُنونَـ ـ ـهُ فِيـ ـ ـكَ وَآمَالَـ ـ ـهْ(١)

إنكَ إنْ أَنطَقْـ ـ ـتَهُ بِـ ـ ـ ـالغِنَى
فَتحْـ ـتَ دُونَ الغَيْـ ـبِ أَقْفَالَـ ـهْ(٢)

وَلَـمْ تُـرِدْ مِـنْ بَـعْدِهِ كَـاهِنًا
يُجَمْجِـ ـمُ القَـ ـوْلَ إذَا قَـ ـالَهْ(٣)

١٠- يَا طَالِبًا قَوْمِي - وَعِنْـدِي لَهُـمْ
رَسَـائِلٌ بِالنـصْحِ حَمالَـهْ -(٤)

قُلْ لَهُمُ عَني - وَمَا يَكْـذِبُ الـرا (م)

الضعف وعدم صلاحية المهجوّ (مسلم) للحرب لأنه صاحب أجمال لا خيل.

يريد: عندما تغادر خيلك بالسَّا مطاردة فلول جيشه يفر عنك إلى الموصل.

(١) فاعرف له: الضمير في (له) يعود على الشعر. أي صدق البشرى التي يزفها الشعر إليك. الضامن: الكفيل. والبيت التالي يفصل ما أجمل في البيت السابع.

(٢) أنطقته: الضمير يعود على الشعر، وقصد به الشاعر لما بين القائل والمقول من سبب، فهو مجاز مرسل.

أراد: إن بذلت لي الكثير من مالك، بينت لك ما يكشف المستقبل لك من انتصارات.

(٣) جمجم: لم يبّين كلامه. أراد أن شعره خير مما يجمجم به الكهّان.

(٤) يا طالبًا: يا قاصدًا. والبيت متصل بما بعده، ويدلّ على أنه كان بين قوم الشاعر (الخفاجيّين) وبين أمير حلب (محمود) جفوة وعداء. وفي الأبيات التالية طريقة بديعة لكسب ثقة الممدوح ونيل مبتغاه منه في ثْنيه عن معاقبة الخفاجيّين.

ـرِئِـ ـ ـدُ فِـ ـ ـي إخْـ ـ ـبَارِهِ آلَهْ[1]

إيـ ـ ـاكُمُ مِنْ أسَـ ـ ـدٍ بَاسِـ ـ ـلٍ
قَـ ـ ـدمَ[2] لِلْوَثْبَـ ـ ـةِ أشْـ ـ ـبَالَهْ[3]

أرْوَعَ لاَ يَـ ـ ـ ـعْرفُ جَـ ـ ـ ـيرَانُهُ
حَـ ـوَادِثَ الـ ـدهْرِ وَأهْوَالَـ ـهْ[4]

كَـ ـ ـأنهُ مَـ ـ ـتْنُ رُدَيْنِـ ـ ـيةٍ[5]
ذَابِلَـ ـةٍ فِـ ـي الكَـ ـف عَـ ـسالَهْ[6]

---

(١) ما يكذب... آله: جملة اعتراضية نظم بها المثل «إن الرائد لا يكذبُ أهله». وقد تمثل به النبي ﷺ أول أيام البعثة.

(٢) ظ: يقدم. مط. ق. ف: قد مرّ.

(٣) في هذا البيت وما يليه ينصح قومه بمصالحة الممدوح ويصفه بالبأس والنجدة، ولا يخلو هذا الأسلوب من الاستعطاف.

(٤) ف. ك: تعرف... وأوجاله. م: أروعُ - بالضمّ - جيرانه - بالنصب - ظ. ق: أوجاله. الأروع من الرجال الذي يعجبك حسنه، والروْع: الفزع. والروعة: الفزعة.

(٥) ظ: كأنه متْنٍ ردينية ذابلةً.

(٦) قال ابن حبيب: ردينة جزيرة ترفأ إليها السفن. قال النابغة [وافر]:

أثيث نبته جعد ثـراه به عوذ المطافل والمتالـي
يكشفن الألاء مزّينات بغاب ردينة السحم الطوال

ويقال: ردينة قرية تصنع بها الرماح. وقال أبو زياد: ردينة كورة تعمل بها الرماح (ياقوت الحموي: ردينة). لرماح الذوابل: أي الدقيقة، الرماح نفسها من إقامة الصفة مقام الموصوف.

عَسَلَ الرمحُ: اهتز واضطرب، والرمح عسال قال العجاج [رجز]:

بكل عسال إذا هُزّ عَتَرْ

١٥- مَا زُوحِمَتْ فِي المَجْــدِ أَعْمَالُــهُ
إلا إِذَا عَــــــــددَ أَخْوَالَــــــــهْ

أَمـــــا سَـــــمِعْتُمْ بِأَحَـــــادِيثِهِ
شَـــارِدَةً[1] فِـــي الأَرْضِ جَوالَـــهْ[2]

فِـي كُــل أُفْــقٍ مِــنْ دُجَــى نَقْعِــهِ
غَمَـــــامَةٌ بِـــــالدمِ هَـــــطالَهْ[3]

وَقَـــائِعٌ فِـــي الأَرْضِ مَـــشْهُورَةٌ
زُلْـــزِلَ[4] مِنْهَـــا (الـــشامُ) زِلْزَالَـــهْ[5]

يَـــا نَاصِـــرَ المُلْـــكِ وَقَـــدْ غَـــالَهُ
مِـــنْ هَفَـــوَاتِ القَـــوْمِ مَـــا غَـــالَهْ[6]

وفي رواية الزمخشري في أساس البلاغة: وكل خطارٍ إذا هُز عَتَرْ.

(١) م: سائرة.

(٢) بأحاديثه: بأخباره.

(٣) النقع - كما سبق - غبار الحرب، وشبهه بالدجى لكثافته، وجعل في هذا الدجى غمامة تطهل بدم الأعداء.

(٤) ظ. م: زَلزل - بالفتح -

(٥) وقائعٌ: صرف لضرورة الشعر، وحذف المبتدأ في صدر البيت للتوكيد. وفي الشطر الثاني اقتباس من القرآن الكريم أفاد التوكيد كذلك.
يشير إلى كثرة الحروب بين أمراء الممالك الشامية.

(٦) غاله الشيء: أصابه غيلة، أي أخذه من حيث لا يدري، ومنه الغائلة أي التهلكة والشرّ، والغيل موضع الأسد. المدح هنا لا ينمّ عن إعجاب الشاعر بالملك.

٢٠- كَـ ـمْ ضَـ ـيعُوهُ فَتَـ ـدَارَكْتُهُ

وَالا ـ ـيثُ لاَ يُـ ـسْلِمُ أَغْيَـ ـالَهْ

فِـ ـي كُـ ـل يَـ ـوْمٍ مِـ ـنْهُمُ رَاحِلٌ

يَنْـ ـتَجِعُ الـ ـذل وَيَـ ـسْعَى لَهْ(١)

وَنَـ ـازِحٌ(٢) عَـ ـنْ عِـ ـز أَوْطَانِـ ـهِ

يَنفِـ ـقُ فِي الغُـ ـرْبَةِ أَمْـ ـوَالَهْ(٣)

جَـ ـارَ، وَلَـ ـوْ أَحْـ ـسَنَ(٤) تَـ ـدْبِيرَهُ

مَـ ـا خَـ ـرَجَ البَـ ـدْرُ عَـ ـنِ الهَالَـ ـهْ(٥)

وَأَنْـ ـتَ مِـ ـنْ دُونِـ ـهِمُ لاَئِذٌ

---

(١) انتجع كنجع: طلب الكلأ. وانتجع الذلّ: طلبه كما يطلب الكلأ، والاستعمال مجازي.

(٢) م: ونازحٍ - بتنوين الجرّ -

(٣) يشير إلى تقلب الخفاجيين في الأرض بسبب شغبهم.
قصد عطية بن صالح بن مرداس الرقة، ولم يزل بها حتى أخذها منه مسلم بن قريش (٤٦٣) فسار إلى الروم فمات بالقسطنطينية (٤٦٥). راجع ابن الأثير وديوان ابن حيوس في مدح محمود، ص ٤٢٠ - ٤٢٦، والقصيدة جدّ طويلة نظمها سنة ٤٦٥ هـ [كامل]:

ما بالُ عمك ظلّ يخدَعُ نفسَهُ سَفهًا ويقطعُ عمرَهُ تعليلا؟

إلى أن يقول:

أكدت مطالبه وهل يعدي على القر آن من يستنصر الإنجـيلا؟

قابل مع الأبيات ٢١، ٢٢، ٢٣.

(٤) ظ: ولو أبصر.

(٥) الهالة: دارة القمر كالطفاوة لدارة الشمس، وأصل الكلمة يوناني.
أراد: لو أحسن هذا الجائر التدبير لما اضطرّ إلى مغادرة وطنه.

تُجَاهِـ ـــدُ الـ ـــدهْرَ وَأَهْـ ـــوَالَهْ[١]

٢٥- فِـــي مَعْـــرَكٍ تَقْـــتُلُ أَبطَـــالُهُ
أَوْ مَغْـ ـــرَمٍ[٢] تَحْمِـ ـــلُ أَثْقَالَـ ـــهْ[٣]

مَـــا عُرِفَـــتْ فِـــيهِمْ (نُمَيْـــرِيةٌ)
تَعُـ ـــد (وَثَابِـ ـــا)[٤] وَأَمْثَـ ـــالَهْ[٥]

وَلاَ لَهُـــمْ بَيْتٌـــكَ فِـــي (ظَـــالِمٍ)
تُنَـ ـ ـ ـــادِمُ الجَوْزَاءُ نُـ ـ ـ ـــزَالَهْ[٦]

---

(١) لابدٌ: مقيم، لَبِدَ بالمكان: أقام به (مجاز).

(٢) ظ. م: مُغرم - بضم الميم -

(٣) أي أنت في معرك أو في مغرم.

(٤) ظ: من بعد وثابٍ - وهو تصحيف -

(٥) نميرية: نسبة إلى نمير بن عامر بن صعصعة من هوازن من عدنان، سكنت نجدًا، ودخل قسم منها الجزيرة الفراتية. ثاب: قصد به وثاب بن سابق النميري، أمير من الشجعان الأشراف بحرّان. توفي سنة ٤١٠ بحران. ثم إن منيع بن شبيب بن وثاب ابنُ خال محمود، فيكون وثاب والد أمّ الممدوح. وفي ابن العديم أن أمّ محمود علويّة بنت وثاب النميريّ صاحب حرّان، وتعرف بالسّيدة. كانت من أعقل النساء وأفصحهن (زبدة الحَلَب، ٢٥٥). ماتت بعد محمود، فعزاها ابن حيوس ورثى ولدها ببائيّة (الديوان ص ١١٤-١١٨) مطلعها [خفيف]:

يَطمَعُ النّاسُ في البَقاءِ وتـأبى   نُوبٌ تَسلبُ النفـوسَ اغتِـصابا

وهي القرابة التي جعلت محمودًا يلجأ إلى منيع حين حاصره ثمال بن صالح سنة ٤٥٢ هـ بتدبير من الفاطميين. أراد أن ينفي عن المهجّوين الأخلاق النميرّية.

(٦) ظ: ينادم الجوزاء إنزاله.

ظالم: قصد به ظالم بن مرهوب العقيليّ، أمير شجاع احتل دمشق ثلاث مرات وأخرج منها، فقصد بعلبك وتغلب عليها. توفي بعد سنة ٣٦٤ هـ. الجوزاء: نجم. يقال إنا تعترض في جوز السماء وجَوْزُ كل شيء وسطه.

يفضّل الشاعر في هذا البيت قوم الممدوح على العقيلّيين منافسيهم،

لَـوْ طَلَبُـوا سِـلْمَكَ كَانَـتْ لَهُـمْ
قُرْبَـى عَلَـى وُدِّكَ مُحْتَالَـهْ[1]

لَكِـنَّهُمْ غَـرَّهُمُ خُـلَّبٌ
شَـامُوا عَلَـى غِلِّهِـمُ آلَهْ[2]

٣٠- مَا أَظْهَـرَ الـرَّأْيَ الَّـذِي فِكْـرَةِ
فِيـهِ وَمَـا أَكْثَـرَ جُهَّـالَهْ![3]

خُـذْهَا بِعَفْـوِ الفِكْـرِ مَـا فَارَقَـتْ
سُـلَافَةَ الطَّبْـعِ وَسَلْسَـالَهْ[4]

يقول: ليس لآل ظالم مثلُ بيتك؛ بيتك ينادم نزّاله الجوزاءَ لما ينالهم فيه من عزّ وخير.

(1) محتاله: ساعية في نيل مودّتك ورضاك.

(2) شام البرق: نظر إلى سحابته أين تمطر. لخلب: السحاب لا مطر فيه. على غِلهم: على هنا تعليلية أي من شدة عطشهم. لآل ما تراه في أول النهار وآخره، كأنه يرفع الشخوص وليس هو السراب.

أراد أنهم خُدِعوا وتطلعوا منتظرين من السراب أملاً.

(3) ما أظهر الرأي... بنى العبارة على أسلوب التعجب لإظهار المدح، كأنه يقول ما أرجح عقل الأمير وما أشدّ جهالة غيره!

(4) سلافة كل شيء: أول ما يعصر منه، والسلاف ما سال من العنب قبل أن يعصر، وتسمى الخمر سلافًا. لطبع: السجية التي جبل عليها الإنسان، وهو في الأصل مصدر، والطبيعة مثله.

كأن ابن سنان عند صوغ عبارته (خذها بعفو الفكر) يدافع قول أبي تمام [كامل]:

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى ... والليل أسود رقعة الجلبـاب

إنْ لَحِقَـ ـتْ سَـ ـامِعَها نَـ ـشْوَةٌ
فَإنهـ ـ ـا صَـ ـ ـهْباءُ جِرْيَـ ـ ـالِهْ[1]

خَالِـ ـصَةٌ[2] فِيـ ـ ـكَ فَمَـ ـ ـا تَـ ـ ـدعِي
صَـ ـ ـبَابَةَ الحُـ ـ ـب وَبَلْبَـ ـ ـالِهْ[3]

وَلاَ مَـ ـضَى الثاقِـ ـبُ مِـ ـنْ فِكْرِهَـ ـا
فِـ ـ ـي مَنْـ ـ ـزِلٍ تَنْعَـ ـ ـتُ أَطْلاَلَـ ـ ـهْ[4]

٣٥- يَـ ـشْغَلُهَا مَـ ـدْحُكَ عَـ ـنْ غَـ ـيْرِهِ
وَلَـ ـ ـمْ تَكُـ ـ ـنْ تَـ ـ ـصْلُحُ إلاَ لَـ ـ ـهْ[5]

(الديوان: ١ / ٩٦)

يريد أن مدائحه جاءت عن طبع وسجية لا تصنّع فيها.

(١) الجِريال - بالكسر - صبغ أحمر، عن الأصمعي، جريال الذهب حمرته، الجريال: الخمر، وهو دون السلاف في الجودة، ويقال جريال الخمر لونا، وينشد للأعشى [كامل]:

وسَـبيئةٍ ممّـا تُعتـقُ بابِـلٌ ... كدَمِ الذبيحِ سَـلبتها جِريالَهـا

(الديوان: ص ١٥٠)

يشبه ابن سنان أثر قصائده في السامعين بأثر الخمرة الحمراء، لما تحدث من نشوة وغيبوبة.

(٢) ظ. م: خالصةً - بتنوين النصب -

(٣) الببال: الهمّ ووسواس الصدر، وكذا البلبلة.

يقول: ليس حبّي لك وساوس طارئة، بل هو حب محض حقيقي.

(٤) ظ: ينعت أطلاله. من فكرها: من فكر أصحابا - مجاز مرسل - استعمل المنظوم وأراد الناظم.

نفى عن قصيدته مطالع الاستهلال بالغزل ووصف الأطلال لانشغاله بحبّ الممدوح.

(٥) في الشطر الثاني تضمين لقول أبي العتاهية في مدح المهديّ الخليفة العباسي [متقارب]:

أتتـهُ الخِلافـةُ مُنقـادةً ... إليـ ـهِ تُجـررُ أذيـالَهـا
ولم تـكُ تـصلُحُ إلا لـهُ ... ولم يـ ـكُ يَـ ـصلُحُ إلا لهـ ـا

*[١٢٦]

وقال يمدحه ويذكر الوقعة الحادثة بدمشق في سنة ستين وأربعمائة[١] [كامل]:

شَرُفَتْ[٢] بِنَظْمِ مَدِيحِكَ الفِكَرُ
وَتَجَمَّلَتْ بِحَدِيثِكَ السِّيَرُ[٣]

(الديوان: ٦١٢)

(*) ظ ٩٨، ف. ك ٧٤، ق ١١٤، م ٩٢، مط ٤١.
وبعض الأبيات في مختارات البارودي ٢ / ٣٨٢ - ٣٨٣.

(١) في سنة ٤٥٤ هـ ملك أمير الجيوش بدر الجمالي دمشق للمستنصر الفاطمي، واختلف هو والجند فثاروا به ووافقهم العامة، ففارقها سنة ٤٥٦ هـ هاربًا، ثم حشد وقدم إلى الشام، فاستولى عليه بأسره سنة ٤٥٦ ثم خالفه أهل دمشق مرة أخرى، فهرب منهم سنة ٤٦٠ هـ، وخرّب العامة والجند قصر الإمارة (ابن الأثير ١٠ / ٣٠ و٢٣٥).

(٢) م: شغلت.

(٣) تشير القصيدة إلى حادثتين وقعتا سنة ٤٦٠ هـ، إحداهما مع بدر الجمالي الذي نوى غزو حلب بعدما امتنع صاحبها محمود بن نصر (الممدوح) عن حمل المال إلى المستنصر الفاطمي وغزو الروم سنة ٤٥٩ هـ)ابن تغري بردي ٥ / ٧٩). فلما هاج أهل الشام ببدر الجمالي وهرب عنها عدّ ذلك نصرًا لأمير حلب.

والوقعة الثانية بالرحبة سنة ٤٦٠ هـ، وفيها انهزم الكلابيون أنصار محمود بن نصر أمام مسلم بن قريش «وهم في طاعة العلوي المصري فكسرهم شرف الدولة وأخذ أسلابهم وأرسل أعلامًا كانت معهم عليها سمات المصري إلى بغداد وكُسِرَتْ وطِيفَ بها في البلد» (ابن الأثير ١٠ / ٥٧).

وينوّه ابن سنان في مطلع القصيدة بانتصار أمير حلب ويهجو بدر الجمالي لفراره عن دمشق (من دون أن يصرح باسمه) ويشير إلى الحلف

آثَـارُ جُـودِكَ غَيْـرُ خَافِيَـةٍ
لاَ البَحْـرُ يُنْكِرُهَـا وَلاَ المَطَـرُ
وَلَسَعْدُ جَدِّكَ فِي العِدَى[1] عِبَـرٌ
إِنْ كَانَـتِ الأَلْبَـابُ تَعْتَبِـرُ
أَيْـنَ الذِيـنَ يُبْعْدِهِـمْ أَمِنُـوا
وَلَـرُبَّ أَمْـنٍ كُلُّـهُ حَـذَرُ[2]
٥- أَضْمَرْتَ عَزْمًا فِي طِلاَبِهِـمُ
فَمَضَى يُسَابِقُ سَيْفَكَ القَـدَرُ[3]
فَكَأَنَّمَا خَافَـتْ نَوَائِبُـهُ
مِنْ حُسْنِ عَفْوِكَ حِينَ تَقْتَـدِرُ[4]
فَأَتَتْهُمُ هَوْجَـاءَ خَابِطَـةً
- كَالمَوْتِ - لاَ تُبْقِـي وَلاَ تَـذَرُ[5]

الذي كان قائمًا بين محمود وبدر ونكث بدر به (البيت العاشر).

(1) ف. ق. ك. مط: في العدى.ظ: في الورى..

(2) قوله: أين الذين، يشير إلى بدر الجمالي (٤٠٥ - ٤٨٧ ﻫ (وفراره من دمشق سنة ٤٦٠ ﻫ، كما ذكرنا في مقدمة القطعة.

(3) في البيت تقديم المفعول على الفاعل، أي فمضى القدر يسابق سيفك.
يريد عزمت على قتاله ففرّ قبل وصول جيوشك، فكأنّ القدر سبقك إليه. وهذا من عجيب المبالغة في المدح، إذ جعل القدر يسبق سيوف الأمير لحرب العدوّ، مما يوحي بأنه طوْعُ أمره.

(4) الضمير في نوائبه عائد على السيف أو على القدر، أي خشيت نوائب سيفك أو القدر حسن عفوك عن الأعداء، فبادرتم بالأذى والحرب. وفي الشطر الثاني اقتباس من المثل ((العفو عند المقدرة)).

(5) م: لا يبقي ولا يذر.
الهوجاء: الناقة كأن بها هوجًا، أي تسرّعًا وحمقًا لسرعتها. والهوجاء: الريح التي تقلع البيوت. خبط البعير الأرض: ضربها، ومنه قيل خبط عشواء،

تَفْـري وَبِـيضُ ظُبـاكَ مُغْمَـدَةٌ
كُـلٌ لَعَمْـرُكَ صَـارِمٌ ذَكَـرُ[١]

مَـا يَـصْنَعُونَ وَفِـي ذَوَايِلِهَـا
طُـولٌ وَفِـي أَعْمَارِهِـمْ قِـصَـرُ![٢]

١٠- سَلْ (جِلقًـا) عَـنْهُمْ وَمَـا صَـنَعَتْ
بِهِـمُ وَعِنْـدَ جُهَيْنَـةَ الخَبَـرُ[٣]

للناقة التي في بصرها ضعف، تخبط إذا مشت لا تتوقى شيئًا.

يشير إلى ثورة الدمشقّيين وفرار بدر الجمالي وجنوده منهم.

(١) تفري: الضمير عائد على صاحب الحال (هوجاء خابطة).قوله: وبيض ظباك مغمدة: دليل على أن محمودا لم يقاتل أمير الجيوش بدر الجمالي.كل صارم ذكر: أي أن هذه الفتنة وسيوفك كل منها صارم ذكر. الذكر من السيوف: ما شفرته من حديد ذكر، ومتنه أنيثٌ أي غير قاطع. وفي العجز احتراس جيّد.

(٢) وفي ذوابلها: الضمير عائد على السيوف، ثم على الممدوح لعلاقة الذوابل بالسيوف، وعلاقة السيوف بصاحبها. وفي هذا مجاز مرسل بديع.

(٣) جِلق - وقد تفتح اللام - دمشق، حيث وقعت المعركة، قصبة الشام، أو غوطتها.

وعند جهينة الخبر: أشار إلى المثل (عند جهينة الخبر اليقين). قال ابن السكيت: عند جفينة ((ولا تقل جهينة)). وقال أبو عبيد في كتاب الأمثال هذا قول الأصمعي، وأما هشام الكلبي فيقول: بل هو (جهينة). وذكر ابن الأنباري عن أبي عبيدة أنه حفينة بالحاء المهملة. وقال ابن السكيت في ((إصلاح المنطق)) جفينة اسم خمار. قال عمير بن حنّى أو الأخنس بن كعب [وافر]:

كصخرة إذ تسائل في مراح ... وأنمار وعلمهما ظنون
تسائل عن حصين كل ركب ... وعند جهينة الخبر اليقين

وَمُطَـوحٍ عَنْهَـا يُـرَاقُ لَـهُ
فِـي كُـلِّ نَاحِيَـةٍ دَمٌ هَـدَرُ[١]
تَرْمِـي الـبِلاَدَ[٢] بِـهِ مُعَـوَدَةً
أَلاَ يُقَـصَّ وَرَاءَهَـا أَثَـرُ[٣]
[أَنزَلْتَهَـا][٤] جَـارًا وَتَتْرُكُهَـا
هَرَبًـا؟ لَبِـئْسَ الـوِرْدُ وَالـصَدَرُ![٥]
وَمِـنَ الـشقَاءِ نَأَيْـتَ عَـنْ نَفَـرٍ
أَرْدَاكَ جَـدُهُمُ وَمَـا شَعَـرُوا[٦]

رواهما الميداني - رقم ٣٨٣ - وأبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال، رقم ١١٩٤، وفي اللسان (جفن). والرواية المثبتة هنا من الميداني.

(١) طوحه: حمله على ركوب مفازة مهلكة. والمطوح: الذي قذفت به القواذف.
أراد ومطوح عن دمشق... والحديث عن بدر الجمالي، وفي البيت كناية عن أنه لا ينتصر لأن دمه مهدور في كل ناحية.

(٢) م: البلاد - بالرفع والنصب -

(٣) قص أثره أي تتبعه، قال تعالى: ﴿فَارْتَدا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾ (الكهف: ٦٣).
ألاّ يقصّ له أي لا يتبعَ إذا انزم لقلة شأنه. وربما قصد في الشطر الأول أن جلق ترمي المهجوّ إلى بلاد بعيدة أي تنفيه.

(٤) ف. ك: أَنزَلْتها كذا ! م: أُنزلْتها. ولم يرد الشكل في باقي النسخ. وربما كان الصواب أَنزَلْتها - بالتحريك - أو أُنزلتها - بالبناء للمفعول -

(٥) أراد: أنزلتها جارًا: أي دخلت دمشق غريبًا عنها.. أَو تتركها هربًا.. فبئس المجيء والنـزوح.
وفي البيت التفات، وفيه دليل على أن أمير الجيوش بدر الجمالي ترك دمشق هاربًا من أهلها.

(٦) الجَد: الحظّ.

١٥- وَلَقَـــدْ سَـــأَلْتُهُمُ فَمَـــ ـــا بَخِلُـــ ـــوا
وَعَلِقْـــ ـــتَ عَهْـــ ـــدَهُمُ فَمَـــ ـــا غَـــ ـــدَرُوا

وَبَنـــ ـــوْا لِبَيْتِـــ ـــكَ إِنْ فَخَـــ ـــرْتَ بِـــ ـــهِ
عَلْيـــ ـــاءَ يَحْـــ ـــسِرُ دُونَهَـــ ـــا الْبَـــ ـــصَـــ ـــرُ (١)

غَلَـــ ـــبَ الْمُلُـــ ـــوكَ عَلَـــ ـــى مَعَاقِلِهَـــ ـــا
أَسَـــ ـــدٌ أَمَـــ ـــامَ طِلاَبِـــ ـــهِ الظفَـــ ـــرُ (٢)

أَلْقَـــ ـــى عَلَـــ ـــى (الـــ ـــشهْبَاءِ) كَلْكَلَـــ ـــهُ
وَلَـــ ـــهُ بِكُـــ ـــلِ ثَنِيـــ ـــةٍ ظُفُـــ ـــرُ (٣)

وَعَـــ ـــلاَ النجُـــ ـــومَ فَظَـــ ـــن حَاسِـــ ـــدُهُ
أَن الـــ ـــسمَاءَ إِلَيْـــ ـــهِ تَنْحَـــ ـــدِرُ (٤)

يهجوه بالحمق والشقاوة لأنه نأى عن الأمراء المرداسيين الذين نالوا الحظ والتوفيق، فمات من الغيظ وهم لا يشعرون. ثم يشير في الأبيات التالية إلى التزامهم بوفاء العهد وفضلهم عليه، مما يدل على أن معاهدة صلح وتعاون قامت بينهما قبل سنة ٤٦٠ هـ.

(١) حَسَر بصرُه يحسِر: أي كل وانقطع نظره من طول مدى وما أشبه ذلك. وفي نسختي ف. ك: يحسَرُ - بفتح السين - من الحَسْرة، وهي أشدّ التلهف على الشيء الفائت، تقول منه: حسِر على الشيء - بالكسر - يحسَر حسرًا.

(٢) سقط البيت من مط. ((أسد أمام طلابه الظفر)): أي أسد لا ينهزم، وقصد به محمود بن نصر.
يمدح الأمير محمود بالغلبة والانتصار على الملوك الاورين (العقيلّيين) واقتحامه معاقلهم واستيلائه عليها.

(٣) الشهباء: حلب، حاضرة الإمارة المرداسية.

(٤) علا النجوم: امتطاها. فظنّ حاسده: أراد فظنّ حاسده أن السماء هي التي تنحدر إليه لتمكنه من نجومها، وفي هذا تأكيد المدح بما يشبه الذمّ.

٢٠- خَلَصَتْ بِهِ الدُّنْيا وَمَا عُرِفَتْ
إلا وَفِيهَا النفْعُ وَالضَرَرُ(١)
وَجَلَتْ قَذَى الأيامِ دَوْلَتُهُ
وَلِكُلِّ صَفْوٍ قَبْلَهَا كَدَرُ(٢)
شَهِدَتْ رِيَاضَتُهُ حَوَادِثَهَا
أن الزمَانَ إلَيْهِ مُفْتَقِرُ(٣)
وَكَأنمَا(٤) آلَتْ مَوَاهِبُهُ
أنْ لاَ يَفُوتَ مُؤَمِّلاً وَطَرُ(٥)
عَجَبًا لِمَغْرُورٍ وَقَدْ ظَهَرَتْ
لِسُيُوفِكَ الآيَاتُ وَالنُّذُرُ(٦)
٢٥- وَمُعَرِّضٍ لِقَنَاكَ ثُغْرَتَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا سُقِيَتْ بِهَا(٧) الثغَرُ(١)

---

(١) خلصت به الدنيا... أراد صفت من الكدر، نبذت شوائبها.
(٢) ظ: دونا كدر.
يشير إلى حروب الأمير محمود قبل استقرار ملكه بحلب.
(٣) رياضته: من إضافة المصدر إلى فاعله.
المعنى: راض حوادث الدهر، وفي ذلك شاهد على أن الزمان مفتقر إليه.
(٤) ظ. مط: فكأنما.
(٥) آلت: أقسمت (مجاز).مواهبه: جمع موهبة، أراد عطاياه.
المعنى: أقسمت عطاياه أن تدرك أمل كل من يرغب في الغنى.
(٦) هذا المعنى مكرّر كثيرًا في شعر ابن سنان.
الظاهر أنه يقصد بالمغرور أبا ذؤابة عطية بن صالح، صاحب الرحبة آنذاك الذي ندبه بدر الجمالي سنة ٤٦٠ هـ لقتال محمود، وكادت الحرب تحتدم بينهما لولا تدخل ابن عمار. أشرنا إلى ذلك في المقدمة.
(٧) ظ. مط: شَقِيَتْ به، وعنها نقل البارودي. ق: شَقِيَتْ بنا.

لَعِــبَ الرجَــاءُ بِفَــضْلِ غِرتِــــهِ(٢)
وَلَهَــتْ بِعَــازِبِ لُبِــــهِ الفِكَــــرُ(٣)

وَمِــنَ المُنَــى مَــا دُونَــهُ أَمَــــدٌ
لاَ يَــسْتَقِــلُ بِمِثْلِــــهِ العُــمُــــرُ(٤)

وَإِذَا يَــدٌ رَمَــتِ النجُــومَ فَــلاَ
سَــهْمٌ وَلاَ قَــوْسٌ وَلاَ وَتَــــرُ(٥)

غَــرتْ (عُقَــيْلاً)(٦) هَفْــوَةٌ عَرَضَــتْ
يَــصْحُو الزمَــانُ لَهَــا وَيَعْتَــــذِرُ(٧)

---

(١) ثغرته: نقرة النحر بين الترقوتين. الثَغر جمع ثُغْر - الثانية - موضع المخافة من فروج البلدان
من بعد ما سقيت با الثغر: من بعد ما هزمتَ بقناك كلّ من تعرّض لها. وفي البيت معان أخرى محتملة.

(٢) مط: بفضل عزته.

(٣) رجل غِرّ - بكسر الغين - أي غير مجرّب. الرجاء: قصد به الطمع. بفضل غِرته: ببلهه الشديد، والغِرة: الغفلة.
يقول: لعبت الأماني بنفس هذا المغرور وكان عقله غائبًا، فاغتر وخدع.

(٤) من المنى ما لا يستطيع الإنسان أن يحققه في عمره كله، وينقضي العمر من دون أن يحقق بعض ما يعيش له أمدًا طويلاً. أراد أن هذا المغرور رام المحال، والبيت التالي يفسّر ذلك.

(٥) قوله: فلا سهم... أي فلا يفيد سهم ولا قوس ولا وتر.

(٦) ظ: عَقيلا - بفتح العين وكسر القاف.

(٧) بنو عُقيل سلالة عربية حكمت الموصل في القرن الرابع الهجري، احتلت الموصل عام ٣٨٦هـ وبلغت أوج سلطانا في القرن الخامس في عهد مسلم بن قريش شرف الدولة الذي تحالف مع ألب أرسلان، ثم مع ابنه ملك شاه السلجوقّيينَ، يقول ابن الأثير: ((وفي سنة ٤٦٠هـ كانت حرب بينه وبين بني كلاب بالرحبة وهم في طاعة العلوي المصري، فكسرهم شرف الدولة وأخذ أسلابم وأرسل أعلاما كانت معهم - عليها سمات المصري - إلى بغداد وكسرت وطيف با في البلد، وأرسلت الخلع إلى شرف الدولة)).

٣٠- خَافَ الكَمَـالَ عَلَـى عُـلاكَ بِهَـا
وَمِـنَ الكَمَـالِ يُحَـاذِرُ القَمَـرُ
لاَ تَعْفُـوا عَنْهَـا فَإِنَّهُـمُ
يَـدْرُونَ أَيَّ فَـوَارِسٍ وَتَـرُوا
يَـا ابْـنَ الأُلَـى فَخَـرَتْ بِجُـودِهِمُ
(مُـضَرٌ) وَمَـا أَدْرَاكَ مَـا (مُـضَرُ)!(١)
يَكْفِيـكَ (نَـصْرًا) مِـنْهُمُ نَـسَبًا
مَعْنًـى عَلَـى الْمُـدَّاحِ مُخْتَـصَرُ(٢)
أَهْـوِنْ بِـشِعْرِي بَعْـدَمَا سَبَقَـتْ
مَـدْحِي إِلَيْـكَ ذَرَائِـعٌ أُخَـرُ!(٣)
٣٥- وَدَعِ القَـوَافِي الـسَّائِرَاتِ وَلَـوْ
كَانَـتْ نُجُومًـا فِيـكَ تَنْتَثِـرُ
فَلَطَالَمَـا فَاضَـتْ يَـدَاكَ عَلَـى

قصد بالهفوة الزلّة، وأشار بها إلى الوقعة بين شرف الدولة العقيلي وبين بني كلاب حلفاء محمود بالرحبة، وكانت الدائرة على الكلابيّين، يدل على ذلك عجز البيت، وحَصْرُ الشاعر الموضوع في ثلاثة أبيات، وتحرجه من تناوله وتشبيهه الممدوح بالقمر الذي يعرض له النقصان عند الكمال وذكره الأخذ بالثأر وعدّه النسب نصرًا (الأبيات ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣).

(١) أورد البيت للموازنة بين قوم الأمير (مضر) وغدر العقيليّين، وأن الانتساب إلى مضر هو عنوان الشرف.

(٢) نصر بن صالح بن مرداس أبو الممدوح، قتل في حربه مع الفاطميّين.

(٣) يتألم الشاعر - في هذا البيت وما بعده - من تقديم الممدوح غيره من الشعراء عليه، مع أنهم لا يجارونه لا في الشعر ولا في الشاعرية، ويعزو هذا إلى سوء حظه في الحياة وقلة حظوته عند محمود.

قَـوْمٍ وَمَـا نَظَمُـوا وَمَـا نَثَـرُوا[1]

مَـا أَخَرَتْنِـي عَنْهُـمُ قَـدَمٌ

لَـوْ كَـانَ فِـي وَفِيهِـمُ نَظَـرُ

لَكِنَّـهُ قَـدَرٌ رَضِيـتُ[2] بِـهِ

قَـسْرًا وَكَيْـفَ يُغَالَـبُ القَـدَرُ؟

بَينِـي وَبَيْـنَ الحَـظِّ دَاجِيَـةٌ

عَمْيَـاءُ لاَ نَجْـمٌ وَلاَ سَحَـرُ

لاَ يُهْتَـدَى فِيهَـا وَلَـوْ طَلَعَـتْ

مِـنْ أُفْقِهَـا أَخْلاَقُـكَ الغُـرَرُ

وَأَرَى – وَحَاشَـاكَ- الكِـرَامَ وَمَـا

لِـي عِنْـدَهُمْ ظِـلٌّ وَلاَ ثَمَـرُ

لَـوْ أَنَنِـي نَبَهْـتُ فِـي وَطَـرٍ

(عُمَـرًا) لَمَـاتَ مِـنَ الكَـرَى (عُمَـرُ)[3]

---

(1) يعرّض بندى الأمير الذي يصل إلى قوم لا تعدّ مدائحهم من النظم في شيء، ويعلّل في البيت ٣٨ بأن ذلك من القضاء والقدر، أي لا تفسير لحكمته.

(2) م: قدر رميت به.

(3) يشير في هذا البيت إلى قول بشار بن برد يمدح عمر بن العلاء عامل المهدي العباسيّ على طبرستان، وكان من الموالي توفي حوالي سنة ١٦٥ هـ / ٧٨٢ م [متقارب]:

إذا نبهتكَ جِسامُ الأمورِ (م) فَنبـهْ لهـا عُمـرًا ثم نَـمْ

*[١٢٧]

وقال عند نزول ملك الروم بقلعة عزاز وانصرافه عنها وكتب بها إليه من قلعة عزاز يمدحه ويذكر وصول ملك الروم إليها وانصرافه، ويشكره على جميل ذكره به، وذلك في صفر سنة إحدى وستين وأربعمائة[١] [وافر]:

إِذَا عَـ ـزتْ صِـ ـفَاتُكَ أنْ تُرَامَـ ـ ـا ... قَـ ـضَيْنا فِـ ـي الحَـ ـدِيثِ بِهَـ ـا ذِمَامَـ ـا[٢]

وَمَـــا قَـــصُرَتْ يَـــدٌ دُونَ الثرَيــــ ـا ... فَخَافَـــتْ عِنْـــدَ غَايتهَـــ ـا مَلامَـــ ـا[٣]

(عن طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٥)

وابن سنان يعكس معنى البيت ليبين قلة حظه من الناس...

(*) ف ٧٥، ك ٧٦، ق ١١٨، ظ ١٠٠، م ٩٤، مط ١٠٣.

(١) القصيدة من أجمل ما قال ابن سنان في المدح وزنًا ومعنى وموسيقى وسهولة لفظ، أرسلها إليه من قلعة عزاز، وتقع شمالي حلب. والظاهر أنها قصيدة مجاملة، تنمّ على حبّ للأمير الممدوح صاحب حلب وطمع بالمزيد من عطاياه، استهلها بمطلع مدحي بدل الغزل، ثمّ ذِكْر اجتياز ملك الروم ثغور الشام وانكفائه عنها، ثم عاد إلى المدح وشكر الأمير على جميل فعله معه وارتوائه من عطائه، وختمها بالمنّ على الأمير بهذا المديح وأنه كفؤ له، وقد داخل فيها ما بين نفسه وهواجسه، وبين الشخصية الممدوحة التي صوّرها عظيمة.

(٢) عزّ: صعب. الذمام: كل حق أو حرمة تلزمك وتلام إذا ضيعتها.

يقول: إننا نعجز عن وصف أخلاقك ومحامدك، لكننا - بمدحنا لك - نؤدي واجبنا نحوك، أي نَصِفُ ما نَقْدِرُ عليه.

(٣) يشبّه الممدوح وصفاته بالثريا لا تنال، ويقول إن اليد التي تروم الثريا تعجز لا محالة عن بلوغها، ومع ذلك لا يلومها أحد في ذلك.

والبيت تتمّة لمطلع القصيدة، وقد جاء في صورة التشبيه الضمنيّ، فحالُ

لَكَ النـسَبُ الـذِي مَـنْ سَـارَ فِيـهِ
فَمَــا يَخْــشَى الــضلاَلَ وَلاَ الظلاَمَــا(١)

إِذَا طَلَعَــتْ بُــدُورُ (بَنِــي حُمَيْــدٍ)
فَحَـقٌ لِلْكَوَاكِـ ـ ـبِ أَنْ تُـ ـضَامَـا(٢)

٥- أَمَا وَقُبُـورِهِمْ – فَلَقَـدْ أَجَنـ ـتْ
عِظَامًــا فِــي ضَــرَائِحِهَا عِظَامَــ ـا –(٣)

لَقَــدْ أُبقِيْــتَ مَجْــدَهُمُ وَمَاتُــ ـوا
فَكَـ ـأنوا لاَ حَيَـ ـ ـاةَ وَلاَ حِمَامَـ ـ ـا(٤)

وَرُب مُنَــازِعٍ لَــكَ فِــي المَعَــالِي
سَــهِرْتَ عَلَــى الطــلاَبِ لَهَــا وَنَامَــا

تَحَــدثَ(٥) عَــنْ لِقَائِــكَ بِالأَمَــانِي

عجز الشاعر عن رَوْم صفات الممدوح يشبه حال اليد القاصرة دون الثريا، ولا ملامة في هذا.

(٢) يشّبه أجداد الممدوح بالبدور، وأنه ينتهج سبيلهم، ومن كان كذلك أمن الضلال وعواديَ الظلام.

(٣) شبّه قوم الممدوح بالبدور، وشبّه غيرهم بالكواكب. أراد: إذا طلعت بدور قومك فمن الطبيعي أن تختفي الكواكب، وهذا يذكّر بقول النابغة [طويل]:

فإنّكَ شَمسٌ والمُلوكُ كَواكِبٌ إذا طلَعتْ لم يَبدُ مِنهُن كَوكَبُ

(٤) عِظَامًا الأولى جمع عَظيم، والثانية جمع عظْم.أجّنت: الضمير فيها يعود على القبور.

يعظّم القبور ويريد من دفن فيها على المجاز.

(٥) يقول: خلدت مجدهم وذكرهم، فهم أحياء فيك أموات على الحقيقة، فكأنهم لا أحياء ولا أموات.

(٦) ظ: يحدث.

فَقَالَ العَارِفُونَ بِهِ: سَلَامًا ! (1)

وَمُجْتَازٍ بِأَرْضِكَ حَذَرْتَهُ
سُيُوفُكَ أَنْ يُرِيدَ بِهَا مُقَامَا (2)

١٠- أَدَل بِجَمْعِهِ وَكَفَاكَ جَد (3)
تَفُل سُعُودُهُ الجَيْشَ اللهَامَا (4)

ضَرَبْنَاهُ بِذِكْرِكَ وَهْوَ لَفْظٌ
فَكَانَ القَلْبَ وَاليَدَ وَالحُسَامَا

عَجِبْتُ لِقَصْدِهِ المَوْلَى بِعَزْمٍ
يُقَصِّرُ أَنْ يَنَالَ بِهِ الغُلَامَا (5)

حَلَفْتُ بِهَا خِمَاصًا كَالحَنَايَا-

---

(1) تحدث: الضمير فيها عائد على (منازع) قوله: سلامًا، يفيد التعجّب والتهكّم بالمنازع المتحدث.

(2) قصد بالمجتاز ملك الروم، وبالسيوف الانتصارات السابقة لأن الممدوح لم يحاربه في الحادثة التي يشير إليها الشاعر، والبيت (11) دال على ذلك.

(3) م: أذل. ظ: أدلّ بحده فكفاك حد.ف. ق. ك. مط: فكفاك.

(4) الجَد - بالفتح - الحظ والغنى، وفي التنزيل: ﴿تَعَالَى جَد رَبِّنَا﴾ [الجن: ٣]، أي عظمة ربنا، ويقال غِنَاه. وفي حديث أنس رضي الله عنه: كان الرجل الذي قرأ البقرة وآل عمران جَد فينا أي عظم في أعيننا - الصحاح - السعود: عشرة نجوم، منها أربعة في برج الجدي والدلو، ينزلها القمر وستة ليست في المنازل، كل سعد منها كوكبان، بين كل كوكبين في رأي العين قدر ذراع، وهي متناسقة. اللهَام: الجيش الكثير كأنه يلتهم كل شيء. أَدَل يُدِل: في الصحاح: هو يُدِل بفلان أي يثق به.

(5) قصد بالمولى الممدوح وبالغلام ملك الروم. أراد: قصد ملك الروم مولاه بعزم قاصر.

وَإِنْ كَانَـ ـتْ لِـ ـسُرْعَتِهَا سِهَامـ ـ ـا[1]
تَخُـ ـب بِمُحْرِمِيـ ـ ـنَ تَـ ـسَنمُوهَـ ـا
وَأمـ ـوا فَوْقَهَـ ـا (البَلَـ ـدَ الحَرَامـ ـ ـا)-
١٥- لَيَوْمٌ فِيـ ـهِ دَوْلَتـ ـكَ اطْمَأنـ ـتْ
قَوَاعِـ ـدُهَا حَقِيـ ـ ـقٌ أنْ يُـ ـصَامـ ـا[2]
أبَيتَ اللَعْـ ـنَ! إنْ كَثُـ ـرَتْ شُجُونِـ ـي
فَـ ـإني قَـ ـدْ وَجَـ ـدْتُ لَهَـ ـا مَـ ـسَامـ ـا[3]
وَإنْ[4] بَلَغَـ ـتْ إلَيْـ ـكَ بِـ ـيَ المَعَالِـ ـي
فَقَـ ـدْ زَجّيْتَهَـ ـ ـا عَامًـ ـ ـا فَعَامـ ـ ـا[5]
شَكَرْتُ جَمِيلَ ذِكْـ ـرِكَ[6] وَهْـ ـوَ عِنْـ ـدِي
تَمَـ ـامُ الجُـ ـ ـودِ إن لَـ ـ ـهُ تَمَامـ ـ ـا[7]

---

(1) قوله: حلفت... ليومٌ... يشبه أسلوب القسم عند النابغة في اعتذارياته. بها: وضع المضمر في موضع المظهر (المطايا) للتعظيم.

(2) ليوم: جواب القسم (حلفت).

(3) سامت الدابّة: رعت حيث شاءت.

المعنى: إن كثرت همومي وضاقت بي الحال، فقد وجدت جودك متنفسًا.

(4) أثبتنا رواية م، وفي سائر النسخ: فإنّ.

(5) زجى: دفع برفق ولين. أراد أن القرب من الممدوح صعب، وأنه لم ينل ذلك إلا بعد مدّة.

(6) رواية م: فعلك، وفي سائر النسخ: جميل ذكرك.

(7) تمام الشيء ما يتمّ به النقص، وأحسن منه الكمال. جعل مدحه تمامًا لجود ممدوحه.

وللبيت معنى آخر، فهو ينمّ على تطلع الخفاجي إلى المقام الأعلى.. وينتظر التمام من الأمير في المستقبل.

وَرَوَّتْنِي سَحَابُكَ فِي بِلادٍ
كَثِيرًا مَا شَكَوْتُ بِهَا الأُوَامَا[1]

٢٠- وَأَغْنَانِي عَطَاؤُكَ عَنْ أُنَاسٍ
حَسِبْتُهُمُ – وَلاَ بَلَغُوا! - كِرَامَا[2]

بَعَثْتُ إِلَى نَوَالِهِمُ رَجَاءً
تَعَلَّمَ كَيْفَ يَنْتَجِعُ الجَهَامَا[3]

فَإِنْ أَكْدَى لَئِيمُ الظَّنِّ فِيهِمْ
فَإِنِي قَدْ عَرَفْتُ بِهِ اللِّئَامَا[4]

وَمَا لِي وَالبَخِيلَ! وَقَدْ كَفَتْنِي
مَوَاهِبُكَ الَّتِي كَفَتِ الأَنَامَا[5]

---

(١) الأُوام - بالضم -: حر العطش.

(٢) ولا بلغوا: جملة دعائية معترضة، وأصل التركيب: حسبتهم كرامًا، ولا بلغوا الكرم! واستعمل الواو لاقتضاء الوزن.

(٣) م: الجِهام، بكسر الجيم. انتجعه: أتاه طالبًا معروفه على الماز، وفي المثل: ((من أجدب انتجع)). الجهام: السحاب الذي لا ماء فيه، أو الذي هراق ماءه، والأول هو المقصود.

(٤) أداة الشرط (فإن) خارجة عن معناها الأصلي مفيدة للتحقيق كقولك: (إن كان لي صديق مخلص فهو فلان) تريد التوكيد لا الفرض. أكدى الرجل: إذا قلّ خيره، وقوله تعالى: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾ [النجم:٣٤]، أي قطع القليل، وكَدَتِ الأرضُ إذا أبطأ نباتها. لئيم الظنّ: من إضافة الصفة إلى الموصوف.

(٥) الموهبة والجمع مواهب: العطية.

إِذَا ضَــنَّ الــسَّحَابُ[1] عَلَــى نَــدَاهُ

فَقَــدْ نَالَــتْ يَــدُ الــصَّادِي الغَمَامَــا[2]

٢٥- وَمَا غَبتْ مَكَارِمُـكَ[3] القَـوَافِي

وَإِنْ كَانَــتْ زِيَارَتُهَــا لِمَامَــا[4]

وَكَيْـفَ يَـضِيعُ جُـودُكَ فِـي كَـرِيمٍ

أَعَــدَّ لِشُكْــرِهِ هَــذَا الكَلاَمَــا[5]

قَــصَائِدُ[6] إِنْ تَــزُرْكَ سَــامِعُوهَا

---

(1) ظ: السراب.

(2) على نداه: رغم نداه. الغمام: قصد به الممدوح.

(3) ف. ك: وما رغبت مكارِمَك - بالنصب -، ولم يرد الشكل في النسخ الأخرى، وضبطناها بالرفع لملاءمة السياق، وإلا أصبح المدح للقوافي لا للأمير.

(4) غب القوم وغب عنهم: زارهم يومًا وتركهم يومًا، والغِب في الزيارة. قال الحسن: في كل أسبوع. يقال: ((زر غبا تزدد حبا)) - الصحاح - اللمام: اللقاء اليسير، واحده لَمة. قوله: وإن كانت: قصد بها (ولو كانت) وإلا صار المدح هجاء لأن معنى البيت: تعطي الشعراء العطاء الجزيل، ولو فرضنا أن مدحهم قليل وبعبارة أخرى: تكافئ القليل بالكثير، فإن كانت (إن) على أصلها، فالشاعر يقصد نفسه.

(5) قوله: وكيف يضيع... إلى آخر البيت يحتمل التورية، لأن في الأبيات شكوى من عطاء الأمير أو احتباسه مدة إيثارًا لآخرين.

(6) ظ: بصائر.

هذا البيت تفصيل لعجز ما قبله، وبيان لسرّ استعمال اسم الإشارة (هذا الكلام). ((تزور صبابة)) جعل قصائده تزور الممدوح صبابة وشوقًا إليه. ((إذا زفت إليك...)) : في هذا البيت تلميح إلى طلب منصب إداري أو

فَــإني قَـــدْ أبحْـــتُ بِهَـــا المُدَامَـــا
تَـــزُورُ صَـــبَابَةً وَأحِـــن شَوْقَـــا
كِلانَـــا يَـــدعِي فِيـــكَ الغَرَامَـــا
إذَا زُفَـــتْ إلَيْـــكَ عَلِمْـــتُ أنـــي
مَلَكْـــتُ لِكُـــل جَامِحَـــةٍ زِمَامَـــا
٣٠- وَلَوْلا أنهَا وَجَدَتْـــكَ كُفْـــؤًا
لَكَانَـــتْ فِـــي الصُـــدُورِ مِـــنَ الأيَـــامَى
وَلَـــوْ قَـــصَدَتْ سِـــوَاكَ لَقُلْـــتُ فِيهَـــا
أرَارَ(١) اللهُ نِقْيَـــكِ فِـــي الـــسلامَى!(٢)
واحد وثلاثون بيتًا

ولاية، وهذا يذكّر بمدح المتنبي لكافور. ((لولا أنا وجدتك كفؤًا...)) هذا المعنى يتردّد كثيرًا في شعر ابن سنان. والأيِّم التي لا زوج لها بكرًا كانت أم ثيِّبًا. قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأيَامَى مِنْكُمْ وَالصالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

(١) ظ: أراني الله نقبك...ف. ك: نقيك - بفتح الكاف - وضبطناها بالكسر لمناسبة المعنى.

(٢) أرار الله مخه: أي جعله رقيقًا، ومخ رير أي فاسد ذاهب من الهزال، وأنشد: ((والساق مني باديات الرير)) : أي أنا ظاهر الهزال. النقْي: مخّ العظم، وشحم العين من السمن. السلامى في الأصل: عظم يكون في فِرْسِن البعير، ويقال إن آخر ما يبقى فيه المخّ من البعير إذا عَجَفَ السلامى والعين، فإن ذهب منهما لم يكن له بقية بعد - الصحاح - يدعو على قصيدته إن قصدت سوى الأمير محمود. والشطر الثاني يحتمل التحريف والتصحيف، ولربما عمد الشاعر إلى ذلك عندما وقعت الواقعة بينهما.

*[١٢٨]

وكتب إليه يمدحه ويذكر مسيره إلى حصن (أسفونا) وقد ظفرت الروم به منهم، واستنقاذه من الروم، وقتْله كل من كان فيه؛ وذلك في شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة [كامل]:

أما ظُباكَ فَقَدْ وَفَـتْ بِضَمَانِهَـا
فَمَتى تَجُودُ بِهَا عَلَـى أَجْفَانِهَـا؟[١]

(*) ف ٧٦، ق ١١٩، ك ٧٧، ظ ١٠٢، م ٩٥، مط ١١٣.

قال ابن العديم في زبدة الحلب: ((وفي يوم السبت أول شعبان من هذه السنة (٤٦١هـ) جمع قَطَبانُ أنطاكية ودُوقَسُهَا المعروف بالّنحت جموعًا كثيرة، وطلع إلى حصن أَسْفُونَا بعملة عملها عليه قوم يُعرَفون ببني ربيع من أهل جَوْزَن ففتحوه، وقتلوا كثيرًا من رجاله وأَسَروا الباقين. وكان الوالي به رجلاً من الترك يعرف بنادر.

وبلغ الخبر عزّ الدولة محمود بن نصر بن صالح وهو يسير في الميدان بظاهر مدينة حلب؛ فسار في الوقت يوم الاثنين في الترك والعربِ، ولم يدخل البلاد؛ واجتمع عليه خَلْقٌ عظيم سُمِعَ من يحزرهم بخمسين ألفًا، فحاصره سبعة أيام، وفتحه يوم السبت وقتل جميعَ رجاله وكانوا ٢٧٠٠.

وفي ذلك يقول أبو محمد الخفاجي:

إن أظهرت لعلاك أنطاكية حزنًا فقد ضحكت على قطبانا
بعث البريد مخبرًا عن وثبة ما كان أحوجه إلى كتمانا!
لّما أطلّ له لواؤك خافقًا عرفت وجوه الذّل في صلبانا

وفيه يقول أبو الفضل عبد الواحد بن محّمد الحلبي الربَعيّ:

رَدَدتَ على الإسلامِ شَرخَ شَبابِهِ وكادَت عليهِ أن تُقامَ المآتِمُ
وظَن طُغاةُ الرومِ منذُ أغبهم نزالُكَ أنا حينَ ذاكَ نسالِمُ

ثم إن محمودًا هادن الروم في هذه السنة على أن اقترض منهم أربعةَ عشرَ ألف دينار، وعلى أن يجعلَ ولده نصرًا رهنًا عليها، ويهدِمَ حصنَ اسفونا.=

=فأخرج ثابت ابن عمّه معزّ الدولة وشبل بن جامع، وجمعا الناس في

لَكَ كُل يَـوْمٍ غَضْبَـةٌ مُضَرِيَّـةٌ
تُدْنِي بِهَا الآجَـالَ قَبْـلَ أَوَانِهَـا
تَجْرِي بِطَاعَتِكَ الخُطُوبُ وَإِنْ عَصَتْ
يَوْمًا فَقَدْ عَرَفَـتْ مَـدَى عِصْيَانِهَا[1]

معرة النعمان وكفر طاب (بين المعرّة وحلبَ) وأعمالهما وخربا حصن أسفونا» (٢ / ١٤ - ١٥).

وأسفونا - بفتح الهمزة في معجم ياقوت، وضمها في القاموس المحيط (مادة أسف) - اسمُ حصن كان بالقرب من معرّة النعمان ؛ استولى عليه الفاطميون سنة ٤٥٩ ﻫ وسلّمه عاملهم ابن المرأة لمحمود بن نصر سنة ٤٦٠ ﻫ. فوكله إلى الأمير سديد الملك أبي الحسن عليّ بن منقذٍ (زبدة الحلب: ٢ / ١٠ - ١٢).

أما ما ورد في «نهر الذهب في تاريخ حلب» (٣ / ٧٢ - ٧٣) لكامل الغزّيّ من أن المرداسيّين هم الذين بنوا الحصن سنة ٤٥٦ ﻫ، فمحيرٌ لأن اسم الحصن (أسفونا) أعجميّ، إلا أن يكون الحصن بني في مكان أعجميّ الاسم وأضيف إليه. وقد أورد كامل الغزيّ قول بعضهم في تهديم الحصن [متقارب]:

وهدّوا بأيديهـم حِصنَهم … وأعيُنهـم حَزَنًا تدمـعُ
عجبـت لسـرعة بنيانـهِ … ولكن تخريَـه أسـرعُ

(مُحرّم) الظُبَا جمع ظُبَة وهي طرف السيف وحدّه، وكذلك في السنان والخنجر وما أشبههما.

والجَفْنُ: غمد السيف. يقول: إن سيوفك وفَتْ بما ضمِنتْ لك من نصرٍ، فمتى تُغْمِدُهَا لتستريحَ؟

تكرّر مدح ابن سنان لمحمود بذا النسب وبأن الغضبة المضرية تدني آجال الأعداء. وهذا على قول بشار بن برد [طويل]:

إذا ما غَضِبنا غَضبةً مُضَرِيةً … هَتَكنا حِجابَ الشمسِ أو قَطَرت دَما

(عن طبقات الشعراء لابن المعتز: ص ٣٠)

(مُحرّم) «فقد عرفت مدى عصيانا» : أي فقد عرفت إلى أيّ حدّ يبلغ عصيانا.

أراد أن عصيانا لا يطول.

مَا يُنكِـرُ الإِسْـلاَمُ أن ثُغُـورَهُ

عَزتْ وَسُمْرَ قَنَاكَ[1] هِـنْ أَرْكَانِهَـا[2]

٥- أَدْبَتَ صَرْفَ[3] الدهْرِ فِيهَـا بَعْـدَمَا

جَمَحَتْ حَوَادِثُهُ عَلَـى سُكانِهَـا[4]

وَصَدَدْتَهُ عَنْ نَهْجِـهِ فَكَأَنَمَـا

وَقَفَتْ لَكَ الأَفْـلاَكُ عَـنْ دَوَرَانِهَـا[5]

---

(1) م: وأن ظباك. في بعض النسخ: وسمُر - بالضمّ - ونفضّل الفتح لأنه أَوْجَهُ.

(2) ق: أركامِها.

(3) ظ: أَذَنتْ صروف.

(4) يشير الشاعر في هذا البيت والذي بعده إلى الحوادث التي جرت بين المسلمين والروم قبل استرجاع محمود حصن أسفونا. ففي سنة ٤٦١ هـ هجم الروم على منبج بقيادة الباسيل رومانوس ديوجين، ففتحوها واستولوا على قلعتها وأسروا الكثير ممن اعتصم بها، وغَنِمُوا أموالاً طائلة. ثم هجموا على عزاز فلم يقدروا عليها لِمَا حل بهم من الوباء. وأصاب السوَافُ (épizootie) خيولهم، فهلك منها ثلاثة آلاف فرس في يوم واحد. فعادوا من حيث أتوْا تاركين بمنبج حامية رومية (زبدة الحلب II / ١٤؛ وابن الأثير: ١٠ / ٦٠)

(5) سقط البيت من مط. وأثبتنا رواية ق، وفي سائر النسخ: عن نجها. وهي رواية وجيهة أيضًا، يعود الضمير فيها على (الثغور) المذكورة في البيت الرابع. ولعلّ الشاعر ينظر، في هذا البيت، إلى قول المتنبّي يمدح كافورًا [طويل]:

إنْ أظْهَرتْ لِعُلاكَ (أنطاكِيـ ـةٌ)
حُزْنًا فَقَدْ ضَحِكتْ عَلَـى قَطَبانِهَـا[١]
بَعَثَ البَرِيدَ[٢] مُخَبرًا عَـنْ وَثْبَـةٍ
مَا كَانَ أحْوَجَهُ إلَـ ـى كِتْمَانِهَـ ـا!
لَما أظَل[٣] لَهُ لِـوَاؤُكَ خَافِقًـ ـا
عَرَفَتْ وُجُوهَ الذل فِـي صُلْبَانِهَـ ـا[٤]
إنْ عَادَ نَحْوَكَ جَانِبٌ مِنْ كَيْـدِهِ
قَامَتْ لَكَ الخُطَبَاءُ فِـي قِـسْيَانِهَـا[٥]

لَوِ الفَلَكُ الدوارُ أبغَضتَ سَعيَهُ لَعوقُهُ شَيءٌ عَنِ الدوَرانِ
(الديوان: ٤ / ٣٧٨)

(١) القَطَبانُ لفظ يونانيّ الأصل أطلقه البيزنطيون على الحاكم العسكري. ويقصد به الشاعر قطبان أنطاكية ودوقسها (Dux) المعروف بالنحْتِ الذي ذكر ابن العديم أنه هجم على قصر أسفونا في يوم السبت أول شعبان من سنة ٤٦١))؛ إلا أن أول شعبان من هذه السنة يوافق يوم الثلاثاء. والسبت يوافق أول شعبان من سنة ٤٦٢ هـ. واحتلال الروم لمنبج - وهو قبل الهجوم على حصن أسفونا - يورده ابن الأثير في حوادث سنة ٤٦٢ هـ. والظاهر أن ما جاء في ((زبدة الحلب)) سهوٌ من صاحبه وأن كلتا الحادثتين جرتْ في سنة ٤٦٢ هـ. رواية ظ. م. مط: قُطانِها. والراجح أنا تصحيف، لأن البيت الثامن (بعث البريد...) يُنافِيهَا.
(٢) م: البريدُ - بالرفع -، وأثبتنا رواية ك - بالنصب -
(٣) ظ: لَما أطل على لوائك.
(٤) أظلّ: صار ذا ظِل.له: لصالحه أي ليقيه الحَر، ولا يخفى ما في هذا التركيب من تكم.
عَرَفَتْ: أي أنطاكية.الصلبان: جمع صليب، قصد به حَمَلَتهَا من الروم.
جعل جيش الممدوح يظلل بكثرته جيش الروم، وأن ذلك اسودت له وجوه حملة راياته ليقينها بالهزيمة، ففر أصحابا أذلاء.
(٥) ظ: قُسْيَانِهَا - بضمّ أوّله - قسيان: جمع قَسِيّ، يقال: يوم قسيّ أي شديد من

[١٢٩]

وكتب إليه أيضًا من قلعة عزاز[١] في رجب من سنة اثنتين وستين وأربعمائة[٢] [متقارب]:

فُــؤَادٌ يَهِــيمُ بِذِكْـــرِ الوَطَـــنْ
وَدَمْـــعٌ يُعِيـــدُ رُسُـــومَ الدِمَـــنْ[٣]

وَلَيْـــلٌ، كَمَـــا عَلِـــمَ الـــساهِرُونَ
أَسِـــيرُ الـــصَباحِ عَـــسِيرُ الوَسَـــنْ[٤]

وَحَـــيٍ[٥] نَزَلْـــتُ بِـــهِ فِـــي الـــصَبَا
وَمَـــا كُنْـــتُ أَعْـــرِفُ بَعْـــدُ الـــزَمَنْ[٦]

حر أو شر. والقسيّ أيضا: الشيء المرذول؛ والدرهم الرديء. قصد بالخطباء السيوف أو مجرّد السلاح لقعقعته، وبالقسيان ميادين الحرب لاشتعال نار الوغى فيها.

(١) ق: عزان. العزاز في أصل معناه: الأرض الصلبة. وعزاز (وأعزاز أيضًا) فيما يقول ياقوت: «بليدة فيها قلعة ولها رستاق، شمالي حلب، بينهما يوم. وهي طّيبة الهواء، عذبة الماء، صحيحة.. وذكر أبو الفرج الإصبهانيّ في كتاب الدَيرة أن عزازَ بالرقة... وقال نصر: عزاز موضع باليمن أيضًا» (معجم البلدان، مادة عزاز). وعزازُ حلب هي المقصودة هنا؛ وَلِيَهَا ابن سنان لمحمود بن نصر، وبا مات مسموما كما مرّ في ترجمة حياته.

(٢) م: وسبعمائة.

(٣) الدمن جمع دِمْنَة، وهي ما سُودَ من آثار الناس والدواب وتلبدَ.

«ودمع يعيد رسوم الدمن» : الظاهر أنه يقصد: ودمعٌ غزيرٌ يُعيدُ لنا ذكرى الصبا الذي كنّا نبكي فيه رسوم الديار، ديار الحبيب.

(٤) مط: عصي الوسن.

(٥) «وحيّ نزلتُ به في الصبا»: يقصد بالحيّ قومَه.

(٦) «ما كنت أعرف بعد الزمن»: أي وكنت في غرارة الصبا لم أجرّب

أعَقّ خَلِيلايَ فِيهِ القَدِيمُ

وَأغْدَرُ إخْوَانِيَ المُؤْتَمَنْ

٥- وَفَقْدُ أُنَاسٍ أعُدّ الحَيَا

ةَ بَعْدَهُمُ مِنْ تَمَام المِحَنْ

فَفِي أيِ نَهْجٍ أرُومُ السرُورَ

وَمِنْ أيِ وَجْهٍ أصُد الحَزَنْ؟(1)

وَلِي نَظْرَةٌ تَسْتَمِد الغَرَامَ

وَقَلْبٌ لَهُ كُل يَوْمٍ شَجَنْ(2)

وَبَرْحٌ مِنَ الحُب أخْفَيْتُهُ

فَقَدْ أكْثَرَ النَاسُ فِيهِ الظِّنَنْ(3)

الأمور ولم أكن أتفطّن للشرّ.

(1) الرَّوْمُ: الطلب. قوله «ففي أي نج..» الفاء داخلة على جواب شرطٍ مقدّر فعلُه؛ يريد: إذا كان هذا شأني (فؤاد يهيم.. ودمع يُعيد.. وليل أسير.. وحيّ نزلت به.. وفقد أناس...) ففي أي نج أروم السرور؟

(2) «تستمدّ الغرام» أي تطلبه. والغرام في أصل معناه الشر الدائمُ والعذاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]. وقال بشر بن أبي خازم الأسدي [متقارب]:

ويوم النسار ويوم الجفارِ (م) كانا عذابًا وكانا غراما

(الديوان: ص ١٩٠، والصحاح، مادة: غرم، ومعجم البلدان، مادة: الجفار. ونسب ابن منظور البيت إلى الطرمّاح، اللسان، مادة: غرم).

يقول إن عينه لا تخطئ في رؤية الشرّ الوافد كل يوم، وإن في قلبه عذابا وحزنا دائمَين.

(3) البَرْحُ: الشدة والأذى، ومنه الريح البارحة: الشديدة، وضربه ضربًا مبرحًا؛ وتباريح الشوق؛ وبُرَحَاء الحمّى؛ وبرح به الهمّ.

الظِّنَن جمع ظِنة وهي التهمة. ومنه الظنين: المتهم. وأصل المعنى الشكّ. يقال: ظننت الشيء إذا لم أتيقّنه. الظُّنون السيّء الظن؛ والبئر لا يدرى أفيها ماء أم

وَقَالَ الْوُشَاةُ سَمِعْنَا بِهِ
فَقُلْتُ: صَدَقْتُمْ وَلَكِنْ بِمَنْ؟[1]

١٠- وَهَلْ عِنْدَكُمْ غَيْرُ أنِّي أَهِيمُ
بِشَكْوَى الصَّبَابَةِ فِي كُلِّ فَنّ[2]

وَأَذْكُرُ بَيْضَاءَ مِنْ (عَامِرٍ)
وَكَمْ مِنْ (بَنِي عَامِرٍ) فِي (الْيَمَنْ)!؟[3]

خَلِيلَيَّ قَدْ عَادَ قَلْبِي إِلَيَّ
وَقَرَّتْ بَلاَبِلُهُ وَاطْمَأَنْ

وَمَا زِلْتُ أَزْهَدُ فِيمَنْ عَرَفْـ
ـتُ حَتَّى سَكَنْتُ لِفَقْدِ السَّكَنْ[4]

لا؛ والدّين لا يدرى أَيقضى أم لا.

وعلى هذا يكون ((الظّنن)) ، في البيت، الأقوال المبنية على الظن والتوهّم.

(1) ف. ق. ك. مط: ولكن لمن. وقد قصد الشاعر قصدًا إلى ما يسميه البديعيون بالاستدراك.

(2) الصبابة: الشوق، أو رقّته وحرارته.

(3) (بنو عامر): هم القوم الذين يفتخر بالانتساب إليهم في قوله [طويل]:

ومن دون ذلي عصبة عامرّية ... يُلوون أعطاف المثقفة السمر

(ق: ١١٩، ب: ٤)

وقوله [متقارب]:

إذا عَامِرٌ فَرَعَتْ في العلاء ... ولم يبقَ من فوقها مرتقى
علقتُ بأطراف ذاك النجَارِ ... وحلتْ بعادي ذاك البنا

(ق: ١٢٠، ب: ٣٦ - ٣٧)

ولعله لا يشبب بامرأة معينة، إنما يقصد بالجمال العامري الجمالَ المطلق.

(4) السّكَنُ: كل ما سكَنْتَ إليه. وقوله ((سكنتُ لفقد السكن)) : إما أن

فَلِلّــهِ حُــــرٌّ أبِــــيّ القِيَـــادِ
عَلَـــى الغَـــادِرِينَ خَلِيـــعُ الرَسَـــنْ[١]

١٥- وَنَفْــسٌ تَعَــافُ جَزِيــلَ الغِنَــى
إذَا كَـــانَ فِيـــهِ قَلِيـــلُ المِنَـــنْ![٢]

وَكَيْـــفَ أُضَـــامُ وَلِـــي نَاصِـــرَا
نِ (ذُو الحَسَـــبَيْنِ) وَهَـــذَا اللَسَـــنْ[٣]

حُـــسَامَانِ مَـــا لَهُمَـــا نَبْـــوَةٌ
فَـــلا يُتقَـــى مِنْهُمَـــا بِالجُنَـــنْ[٤]

تكون اللام فيه لتعليل، وإما أن تكون بمعنى ((إلى))، وهذا أوجهُ في نظرنا لأن السياق يقتضيه، ولدلالته على التوكيد.

(مُحَرَّمٌ) الخلع في أصل معناه: الإزالة. ومنه خَلَعَ الرجل ثوبَه ونعلَه. وخلع الفرسُ عِذَارَه. ومن المجاز: خلع فلان رَسَنَه وعذاره. فالرسن خليع أي مخلوع.

أراد الشاعر أنه لا ينقاد إلى غيره، وأنه يجازي الشرّ بالشرّ، فلا ينبغي أن يستهان به.

(صَفَرٌ) المِنَن - بكسر الميم وضمّها - جمع مِنّة بكسر الميم وضمّها أيضًا. والمنة - بالفعل - الإحسان والإنعام، وبالقول: اعتداد المرء بما فعل من الإحسان على المحسَن إليه، وهو المقصود في البيت. أمّا المَنّ فمصدر، وهو ذكر النعمة بما يكدّرها ويقطع حقّ الشكر بها.

(رَبِيعٌ أَوَّلُ) (ذو الحسبين) لقب الممدوح. وقد مرّ شرحه في البيت ٢٣ من القصيدة ٥:

سمّوه (ذا الحسبين) لمّا قابلوا في المجد (مرداسًا) عليه (وجعبرا)

اللسن: الفصاحة وجودة اللسان، والفعل منه لَسِنَ. وبهذا البيت والذي بعده تخلّص إلى المدح.

(رَبِيعٌ ثَانٍ) الجُنن جمع جُنّة، وهي الدرْع؛ وكل ما واراك من السلاح، وكلّ ما وَقَى.

رَعَى اللهُ مَنْ تَيمَتْهُ العُلا
فَهَامَ إِلَى وَصْلِهَا وَافْتَتَنْ![1]

وَمَا نَالَ عَفْوًا جَمِيلَ الثَّنَاءِ
وَلَكِنْ شَرَاهُ بِأَغْلَى ثَمَنْ[2]

٢٠- يَدُل عَلَى جُودِهِ بِشْرُهُ
وَمَا لَمَعَ الغَيْثُ إلا هَتَنْ[3]

مَنِيعُ الجِوَارِ، رَفِيعُ المَنَارِ
مَرِيعُ الدِّيَارِ، وَسِيعُ العَطَنْ[4]

تَلُوحُ لَهُ خَافِيَاتُ الغُيُوبِ
فَسِرُّ القَضَاءِ لَدَيْهِ عَلَنْ[5]

---

(1) تيم: من التّيم، وهو في أصل معناه التعبيد. ومنه تيمه الحب: استعبده وذلّله. وتَيْمُ الله أي عبد الله، فيما قال اللغويّون.
والبيت في الممدوح. والإبهام في ((من)) مقصود، أريد به توكيد المدح.

(2) سقط البيت من ظ. وأصل التركيب في الصدر: ((وما نال جميل الثناء عفوًا)). والعفو: السهولة والسّراح في إدراك الشيء.

(3) ((إلا هَتَنْ)) : أثبتنا أشهر الروايات. وفي م: حتى هتن. وهتن: هطل.

(4) المنار: علم الطريق.والمَرِيعُ: الخَصيب، من مَرِعَ الوادي: أخصب. والعَطَن: واحد الأعطان وهي مبارك الإبل عند الماء لتشرب عَلَلاً بعد نَهَلٍ، فإذا استوفتْ رُدت إلى المراعي والأظْماء. وقوله: وسيع العطن: كناية عن كثرة الأموال والخير. وفي البيت تجزئة قصد إليها قصدًا.

(5) هذا من المعاني التي لا يجرؤ على طرقها إلا شيعيّ أو من يميل إلى التشّيع (راجع كتاب الكافي للكُلِيني: ١ / ٢٥٦ - ٢٧٥). والمتنّبي رغم مبالغاته

إِذَا أَخْـ ـصَبَتْ يَنَـ ـدَاهُ البِـ ـ ـلادُ
فَمَـ ـا شَـ ـاءَتِ الـ ـسحْبُ فَلْـ ـتَفْعَلَنْ

أُبُــوكَ عَلَــ ـى (تُبـ ـلٍ) شَنَهَـ ـا
بَدَائِـــدَ مَـــا حُـــسِبَـــتْ أَنْ تُـــشَـــنْ[1]

٢٥ - وَسَيْفُكَ فِـي هَـضَبَاتِ (العُيُـو
نِ) عَلَّـمَ قَوْمَـكَ ضَـرْبَ القُنَـنْ

وَقَــدْ عَلِمَــتْ (حَلَــبٌ) أَنَّــهُ

رغم مبالغاته اضطر إلى تلطيفه في مدح سيف الدولة [طويل]:

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى إلى قول قومٍ أنت بالغيب عالم

(الديوان: ٤ / ١٠٣)

([1]) أبو الممدوح هو الأمير نصر بن صالح. تولّى الدفاع عن العواصم والثغور الإسلامية شماليّ سورية، وحارب البيزنطيين وعقد معهم معاهدة صلح. قُتل في حربه مع الفاطميين سنة ٤٢٩هـ. ملك حلب من سنة ٤٢٠هـ إلى سنة ٤٢٩هـ، بعد وفاة أبيه صالح مؤسس الدولة المرداسيّة. تُبل: من قرى حلب من ناحية عزاز. يشير إلى حادثة انتصار نصر بن صالح على البيزنطيين سنة ٤٢١ وكانوا هجموا عليه بقيادة دوق أنطاكية، فألحق بهم هزيمة منكرة بالقرب من حلب وبإعانة من أهلها (النجوم الزاهرة: ٤ / ٢٥٤) وذكر الحادثة ابن الجوزيّ وغيره. وذكر ابن أبي حصينة أيضا وقعة تُبل في ردّه على قصيدة لابن حيّوس مدح بها الدزبريّ. قال [كامل]:

لولا صوارمنا لكانت (تُبّلٌ) دهمتكمُ بأشـدّ خطـبٍ يَدْهَـمُ

(الديوان: ٢٤٥)

العيون: اسم لعدة مواضع. يشير إلى إحدى المعارك التي انتصر فيها محمود بن نصر.

بَـصِيرٌ بِأدْوَائِهَـا فِـي الفَتَـنْ

وَلَـوْلاهُ(1) كَانَـتْ عَلَـى عَادِهَـا
مُروءَـةُ كُـل يَـوْمٍ بِفَـنّ(2)

وَكَـمْ حَاسِـدٍ رَامَهَـا بِالمُنَـى
وَمَـاذَا عَلَيْهَـا؟ وَلَهْـوَ التَمَـنّ(3)

أتاهَـا يَـشِيمُ بُـرُوقَ(4) الجَهَـا
مِ فِـي عَارِضٍ مُخْلِـفٍ كُـل ظَـنّ(5)

٣٠- فَلَمـا طَلَعْـتَ بِمَلْمُـومَـةٍ
يَـنِم بِهَـا رَهَـجٌ كَالدخَـنْ(6)

---

(1) ظ: ولولاك.

(2) العادُ والعادات جمع عادة. «على عادها»: على عادتها، عبّر بالجمع عن المفرد. بفنّ: بنوع جديد من أنواع الفتـن.

(3) رامَها بالمنى: رام احتلالها بالتمنّي لا بالفعل لعجزه عن ذلك وجبنه. «وماذا عليها ولهو التمنّ»: أي وما يضيرها ذلك، لأن عزمه على احتلالها لا يجاوز التمنّيَ؟ التمنّ: قصره للوزن.

(4) م: أتاها نسيمُ بُروق.

(5) شام البرق والسحاب: نظر إليه أين يقصد وأين يُمطِر. الجهام: السحاب الذي لا ماء فيه. العارض: السحاب يعترض في الأفق.
يشبّه الطامعين في حلب، ممن أتوْها، بمن ينتظر مطرًا من سحاب لا ماء فيه.

(6) ظ: يُلِم بها وَهَجٌ كالدجن. م: كالدجن. الكتيبة الملمومة: المجتمعة. ينمّ بها: يشي بها. الرهجُ: الغبار. الدخن: الدخان. وتشبيه الغبار بالدخان شائع. قال الأعشى [متقارب]:

تَبَــرأَ مِــنْ كَاذِبَــاتِ الظُنُــونِ
وَحَمَــلَ أَجْمَالَــهُ لِلظعَــنْ[1]

تَخَيــرْ (أَبَــا رَافِــعٍ) لِلْجِــوَا
رِ إمــا (عُقَــيْلاً) وَإمــا (قَطَــنْ)[2]

وَنَــمْ فِــي بُيُوتهــمُ وَادِعًــا
فَمَــا المُلْــكُ إلا عَنَــاءٌ مُعَــنّ[3]

وَمَا عَز حِلْــمُ (ابْــنِ نَــصْرٍ) عَلَيْــكَ

تباري الزجَاجَ مغاويرُها شماطيط في رهجٍ كالدخَنْ

(الديوان: ٢١٠)

(1) يقول: لما أيقن أن ظنونه كذبته وأنه عاجز عن أخذ حلب منك تبرّأ من هذه الظنون ولجأ إلى الفرار والرحيل بعيدًا عنك.

(2) ظ: عَقِيلاً - بفتح العين المهملة -.

((أبا رافع)) : لا ندري من قصد به. وقد يكون قصد به أحد الأمراء الكلبّيين من حفدة عزيز الدولة رافع بن أبي الليل الكلبيّ الذي كان مع الدزبريّ في معركة الأقحوانة وفي فتح حلب. وكان نشاط الكلبّيين في الخمس سنوات الأولى من الستينّيات في نواحي دمشق يُقْلِقُ المرداسّيين. والظاهر أن ((أبا رافع)) تلميح لا تصريح، وكثيرًا ما يلجأ ابن سنان إلى ذلك.

عقيلاً: قصد به أمراء العقيلّيين أصحاب الموصل. (قطن): قصد به قطن بن ربيعة ابن عبد الله بن الحارث بن نمير.

(3) مُعَنّ: أي مَعن، من العناء.

يطلب إلى (أبي رافع) هذا أن يدعَ التفكير في الملك وأن يلجأ إلى مكان يستريح فيه، وهذا مثل قوله الحطيئة [بسيط]:

دَعِ المكارِمَ لا تَرحَلْ لبُغيتِها واقعُدْ، فإنّكَ أنتَ الطاعِمُ الكاسِي

(اللسان مادة: كسا)

وَلاَ عَـ ـاضَ عَنْـ ـكَ نَـ ـدَاهُ وَضَـ ـنّ[١]

٣٥- وَلَكِنْ سَنَنْتَ عُقُـوقَ الكِـ ـرَامِ
فَقَـ ـدْ تَبِعُـ ـوا فِيـ ـكَ تِلْـ ـكَ الـ ـسَنَنْ[٢]

بَقِيـ ـتَ! فَكَـ ـمْ لَـ ـكَ عِنْـ ـدِي يَـ ـدًا
وَمَـ ـا بَعَثْـ ـتَ بِـ ـهِ بَعْـ ـدَ مَـ ـنّ![٣]

تَوَالَـ ـى إِلَـ ـيَّ بِـ ـلاَ شَافِـ ـعٍ
وَأَغْنَـ ـى الفُـ ـرَاتُ يَـ ـدًا عَـ ـنْ شَـ ـطَنْ[٤]

مَوَاهِـ ـبُ إِنْ كُنْـ ـتَ أَخْفَيْتَهُـ ـن
فَـ ـإِنِّي بِهِـ ـن كَثِيـ ـرُ التَغَـ ـنّ[٥]

وَإِنْ كَـ ـانَ مَـ ـدْحِي لَهَـ ـا سَائِـ ـرًا

---

(١) ابن نصر: هو محمود بن نصر، الممدوح.

(٢) البيت على المشاكلة مثل قوله تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ (الشورى:٤٠). وإلا كان المدح هجاء.

(٣) ((بقيت!)) : يعود إلى خطاب الممدوح. والجملة دعائية.

(٤) توالى: أي توالى المنّ.الفرات: قصد به نهر الفرات على التشبيه.الشطن: الحبل، أو الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به - وهو المقصود - أو تشدّ به الخيل.

((وأغنى الفرات يدًا عن شطن))، يريد: ما أعطيتنيه كفاني عناء الكسب. وهو تعبير بالكناية، لأن من توفر له ماءُ الفرات لم يُجهدْ نفسه في الاستقاء من البئر.

(٥) ف. ك: مواهبَ - بالنصب - ق: أخفيتها

((كثير التغنّ)) : قصد كثير التغنّي.

فَرِقِي بِهَا عَلِقٌ مُرْتَهَنْ(١)

٤٠- قَنِعْتُ زَمَانًا وَلَكِنَّنِي
قَطَنْتُ لِجُودِكَ فِيمَنْ قَطَنْ

وَأَهْدَيْتُ مِنْ زَفَرَاتِ الحَنِينِ
إِلَيْكَ وَمَا كُلُّ مَنْ حَنَّ حَنّ(٢)

شَوَارِدَ فِي كُلِّ صَدْرٍ لَهَا
مُنَاخٌ وَفِي كُلِّ سَمْعٍ سَنَنْ(٣)

لَزِمْتُ بِهَا الفَتْحَ قَبْلَ الرَّوِي
وَمَا أَوْجَبَ النَّظْمُ أَنْ يُلْزَمَنْ(٤)

---

(١) ظ: عَلَقٌ - بالعين المهملة وفتح اللام -.
عَلِقَ الرهْنُ: استحقه المرتهن ولم يقدر الراهن على فكّه. فالرهن غلق، على المجاز. واصل التركيب في العجز: فرقي بها مرتهن، غلق رهْنُهُ.

(٢) جعل قصيدته زفرة من زفرات الحنين. ((وما كل من حنّ حنّ)): أي ما كل من حنّ حنّ صادقًا، ما كل من مدح صادق في مدحه. ومفعول أهديت في البيت الموالي (شواردَ).

(٣) الشوارد: جمع شرود: قصد بها السائرة في البلاد. المُناخ والمَناخ - بضمّ الميم وفتحها - مبرك الإبل. ثم اشتهر وعمّ لكل مكان تقيم فيه ينفعك هواؤه أو يؤذيك (مجاز) كما عمّ استعمال الوطن.
السنن: الطريقة.
يقول هذه قصائد سائرة في الآفاق مشهورة يرويها الناس وتجد لكل سمع منفذًا.

(٤) قافية هذه القصيدة مقيدة لأن رويها ساكن. وحركة الحرف الذي قبل الرويّ مباشرة يدعوها العروضيون ((التوجيه)). وفي هذه الحركة ثلاثة مذاهب:

أَتَتْـكَ تُجَـدِّدُ عَهْـدَ الثَّنَـاءِ

وَتُظْهِـرُهُ مِـنْ هَـائِمٍ مَـا أَجَـنّ[1]

٤٥- وَمَا كُل مَنْ حَسُنَتْ عِنْـدَهُ

أَيَادِيـكَ جَـاءَ بِـشُكْرٍ حَـسَـنْ

وَمَـنْ كَـانَ فِيـكَ حَـدِيثَ الهَـوَى

فَـإِنِي غُـذِيتُ بِـهِ فِـي اللَّبَـنْ[2]

وَلَسْتُ أُرِيـدُ سِـوَى أَنْ أَرَاكَ

وَهَـلْ تَـسْمَعُ المَـدْحَ إِنْ لَـمْ تَـرَنْ؟[3]

وَمِثْلُـكَ مَـنْ جَمَعَـتْ لِـي يَـدَا

- مذهب الخليل ألا تجتمع فتحة مع ضمة أو كسرة.
- مذهب علي بن الحسن، الملقّب بكراع النمل، أن يجتمع الفتح والضم لا غير.
- مذهب الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة، أن تجتمع الحركات الثلاث في التوجيه لكثرة ما استعمله الفصحاء. وابن سنان على هذا المذهب.

يقول: لزمت في قصيدتي الفتح قبل الرويّ وهو غير لازم في قواعد القافية.

(1) ظ. م: عن هائم. ما أجن: ما ستر عن النّاس.

(2) في هذا البيت والذي قبله غمز لبعض منافسيه من شعراء عصره أو من وجهائه من حاشية محمود بن نصر. وفيه تذكير بأن الشاعر من أتراب محمود ومن الذين نشؤوا معه.

(3) م: وهل يُسمَعُ المدح إن لم يغن.ظ: من لم يرن.

معنى عجز البيت: وهل يطيب لك سماع المدح إن لم ترَ مادحك.

هُ بَـــيْنَ الثَّـــرَاءِ وَبَيْـــــنَ الوَطَـــــنْ[1]

ثمانية وأربعون بيتًا

(1) سقط البيت من مط.

((وبين الوطن)) : قد يكون الشاعر جعل مقرّ الممدوح وطنه الحقيقي، والبعدُ عن الوطن غربة. وقد يكون طامعًا في الولاية على عزاز، وهو الأرجح، ويكون في البيت تلميح، على طريقة المتنّبي مثلاً، والتعبير بالماضي ((جمعت)) مجاز يلطّف من حدّة الطلب ويجعل الشيء كائنًا مفروغًا منه.

*[١٣٠]

وقال يمدح شرف أمراء العرب أبا سلامة محمود بن نصر بن صالح ابن مرداس ويذكر دعاءه للخليفة القائم بأمر الله في حلب وأعمالها وقد لقبه بحسام الدولة العباسية زعيم جيوشها الشامية وذلك في صفر سنة ثلاث وستين وأربعمائة(١) [كامل]:

قَدْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مَنْ يَتَرَنَّمُ
إِنْ كَانَ يُسْمَعُ مَا أَقُولُ وَيُفْهَمُ(٢)

(*) ف ٧٨، ق ١٢٢، ك ٧٩، ظ ١٠٤، م ٩٨، مط ٩٦.
وورد بعض أبياتها في كتاب الأفضليات لابن الصيرفي ص ٤١، وأشار إليها ابن الأثير في الكامل (سنة ٤٦٣ هـ ٩، والطباخ في أعلام النبلاء ١ / ٣٣٩، ولم يورداها).

(١) قال ابن الأثير: ((في هذه السنة خطب محمود بن نصر بن صالح بن مرداس بحلب لأمير المؤمنين القائم بأمر الله (العباسيّ) وللسلطان ألب أرسلان (السلجوقيّ)؛ وسبب ذلك أنه رأى إقبال دولة السلطان وقوّتها وانتشار دعوتها، فجمع أهل حلب وقال: هذه دولة جديدة... والرأي أن نقيمَ الخطبةَ قبل أن يأتي وقتٌ لا ينفعنا فيه قول ولا بذل، فأجاب المشايخ... وخطبوا للقائم بأمر الله وللسلطان، فأخذت العامّة حُصُرَ الجامع وقالوا: هذه حصر علي بن أبي طالب فليأتِ أبو بكر بحصر يصلّي عليها الناس. وأرسل الخليفة (القائم العباسيّ) إلى محمود الخِلَع مع نقيب النقباء طِرَاد بن محمد الزينبيّ، فلبسها.. ومدحه ابن سنان الخفاجي وأبو الفتيان ابن حيوس...)) الكامل ١٠ / ٦٣. ويورد ابن العديم ما سبق مفصّلا (زبدة الحلب: ١٦/٢ - ٢٣).

(٢) م: إن كان يَسْمَع... ويَفْهَم، بالبناء للمعلوم. ينظر إلى قول عنترة [كامل]:

هل غادر الشعراء من متردّم ... أم هل عرفت الدار بعد توهّم؟

ويخالفه في عجز البيت. وهذا على حدّ قول المعريّ [طويل]:

لِي كُـلَ يَـ ـوْمٍ آيَـ ـةٌ مَـشْهُـورَةٌ

فِيــهِ إذَا نُثِــرَتْ عَلَيْــكَ الأَنجُــ ـمُ(١)

وَكَوَاكِبٌ قَدْ بَانَ كَيْـفَ تَنَالُهَـا الـ ـ

أَيْـدِي، وَلَكِـنْ أَيْـنَ مَـنْ يَتَعَلـ ـمُ؟(٢)

فَنَـدًى! فَحَـسْبُكَ أَن مِثْلِـي شَـاكِرٌ

وَغِنًــى! فَحَــسْبِي أَن مِثْلَــكَ مُـنْعِمُ(٣)

٥- لاَ تَحْفِلَن - إِذَا بَقِيتُ(٤)- بِنَـاطِقٍ

غَيْـرِي فَلَـيْسَ مَـعَ الفُـرَاتِ تَيَمـ ـمُ(٥)

وإنّي وإنْ كنت الأخير زمانُهُ لآت بما لم تستطعْه الأوائل

(سقط الزند: ١٩٣)

(١) الآية، في أصل معناها، العلامة والشاهد. وأراد بها القصيدة التي تعجز غيره وتشهَد له بالسبق.

فيه: الضمير عائد على ((ما)) في البيت السابق (ما أقول).

يقول: إذا مدحك الشعراء بغرر القصائد، فإن مدحي لك يفوق كل مدْحٍ.

(٢) جعل من قصائده كواكب تعجز غيره من الشعراء، وقد بيّن لهم بهذه القصائد كيف تُنال الأنجم.

(٣) ((فندًى)) : أَغْمُرْنِي بنداك.((وغِنًى)) : أَغْنِنِي.

((فحسبك أن مثلي شاكر)): لا يخاطب ممدوح بمثل هذا، ولا يخفى ما فيه من تطاولٍ.

(٤) ظ: إذا بَقِيتَ، وهو تصحيف لا محالة.

(٥) الفرات: قصد به الماء الطهور، من فَرُتَ الماء فُرُوتَةً: عَذُبَ، أو اشتدّت عذوبته. فهو فُرات وفُراة، ويجمع على فُرْتان وفِرْتان، لكن جمعه نادر.

يريد: إذا حضرتُ حَرَم الإنشاد على غيري من الشعراء، وهذا على نحو ما يقول المتنبي لسيف الدولة [طويل]:

ودعْ كل صوتٍ غيرَ صوتي فإنني أنا الصائحُ المحكي والآخر الصدى

وَدَعِ الكَلامَ لمَنْ يَسِيرُ(١) ثَنَاؤُهُ
وَالريحُ حَسْرَى وَالكَوَاكِبُ نُوَّمُ(٢)

قَدْ كَانَ قَبْلَكَ وَاهِبُونَ وَفَاتَهُمْ
مَدْحِي فَمَاتوا وَالمَوَاهِبُ مَعْهُمُ(٣)

لَمْ يَبْقَ بَعْدَهُمُ حَدِيثٌ سَائِرٌ
فِيهَا وَلا حَادٍ بِهَا يَتَرَنَّمُ

لا يَدَّعِي الفُصَحَاءُ فِيكَ غَرِيبَةً
وَالبِيضُ تَنْثُرُ وَالأَسِنَّةُ تَنْظِمُ(٤)

(الديوان: ٢ / ١٥)

(١) ق. مط: يشير

(٢) الحَسَر: الإعياء والكلال. الريح حَسْرَى: الريح ساكنة.
يقصد أن الناس يتناشدون شعره في أسمارهم في الليالي الهادئة.

(٣) يريد: كان قبلك أمراء واهبون فاتهم مدحي، فلم يخلدْ شعرُ غيري ذكرَهم وماتوا وماتت مواهبهم معهم. وفي هذا البيت ما فيه من غمز لمعاصريه من الشعراء كابن حيّوس وابن أبي حصينة اللذين استوليا على المرداسيين.

(٤) النسخ مجمعة على الرواية ((لا يدّعي))، وهي رواية تجعل عدم الدعوى واقعة بالفعل وذلك أوكد للمعنى. لكنه نفي يراد به النهيُ. فكأنه قال: ((لا يدعِ الفصحاء..))، أو((لا يمكنهم أن يدعوا..))، أو ((لا يحقّ لهم ذلك)). والنهي في هذا المقام أقرب إلى طبيعة الشعر العربي وعادة الشعراء، يعضد ذلك الشرطُ في البيت العاشر (إن أحسنوا عنك الثناء..). غريبة: قصيدة نادرة تُعْجِز القائلين.
((البيض تنثر)): أي تنثر الأجساد، وهي بذلك تنثر الكلام في شجاعة الممدوح وبأسه. ((ووالأسّنة تنظم)): تخترق أجساد الأعداء، وهي بذلك تنظم الشعر في بأس الممدوح.
يقول: أنت ألهمت الفصحاء الغريب من القول، فما زادوا على أن ردّدوا ما نثر سلاحك وما نظم في ميادين القتال، فلا دعوى لهم بمدحك.
والبيت وما يليه مما أعجب به ابن الصيرفي، فأورده في الأفضليّات (ص ٤١) شاهدًا على مليح التورية. ورواية الأفضليات ((تُنْثَرُ... تُنْظَمُ)) - بالبناء

إنْ أحْسَنُوا عَنْكَ الثَنَاءَ فَإنهَا
نَطَقَتْ بِمَدْحِكَ قَبْلَ أنْ يَتكَلمُوا(١)

تَجْرِي جِيَادُكَ فِي البِلاَدِ وَمَا لَهَا
شَأوٌ يُرَامُ وَلاَ مَدَى يُتَوَهمُ(٢)

وَيَرُد جَدكَ كُل خَطْبٍ نَازِلٍ
حَتى يَحُل بِهِ القَضَاءُ المُبْرَمُ(٣)

عَجَبًا لِوَجْهِكَ كَيْفَ بَارِقُ بِشْرِهِ
تَهْمِي سَحَائِبُهُ وَلاَ يَتَغَيمُ!(٤)

وَلِحَاسِدِيكَ وَهَلْ تَأخرَ مِنْهُمُ
مَنْ كَانَ يُمْكِنُ أنهُ يَتَقَدمُ؟

مَا تنْزِلُ الأفْلاَكَ غَيْرُ نُجُومِهَا

للمجهول تصحيف يُفسد المعنى.

(١) ((إن أحسنوا عنك الثناء)): أراد: إن أحسنوا الثناء في حديثهم عنك، أو رَاوِينَ عن مَنَاقِبِكَ.

(٢) ((وما لها شأو يرام ولا مدى يتوهم)): يريد: ولها شأو لا يرومه غيرك، ومدى لا يتمثله سواك. فالنفي في الفعلين.

(٣) م: حتّى يَحُل - بالرفع -

الجَد: البخت والحظّ في الدنيا، والحظوة والرزق والغنى، والجلال والعظمة؛ والمقصود المعنى الثالث أو ما يقرب منه، مثل البأس والمقدرة. والمبرَم: الأمر الذي لا يحلّ عقدُه ولا يُنقَض. وهو مجرد توكيد، لأن القضاء لا يكون إلا كذلك.

(٤) ((بارق بشره)) كنى به عن ارتياحه للمعروف سحائبه: أراد بها مواهبه.

وفي البيت استعارة تخييلّية تخفّف من سذاجة المعنى وشيء من ثقل التركيب في الصدر.

أَبـــ ـدًا وَلاَ لِلْغِيــ ـــلِ إلا الـــضيْغَــمُ[١]
وَمُعَرضِـــينَ نُحُورَهُـــ ـمْ لِذَوَابِـــ ـلِ

مَا زَالَ يُمْطِـرُ مِـنْ أَسِنِتهَـ ـا الـ ـدمُ[٢]
حَـارَبْتَهُمْ فَتَنَـصرُوا وَلَـوَ انهُـــ ـمْ

نَظَـرُوا الـصوَابَ لَـسَالَمُوكَ وَأَسْـلَمُوا[٣]
دَعْهُمْ وَرَأْيهُمُ فَقَـدْ أَعْطَـوْا بِـ ـهِ

---

(١) أراد: لا ينال المعالي إلا من كان أهلاً لها. قصد بذلك الممدوح.

(٢) ((ومعرضين نحورَهم)): استعمل الجمع وقصد به المفرد، ومثل هذا المجاز كثير في ديوانه، لا سيما في حديثه عن الأعداء.

يشير في هذا البيت وفي الأبيات الستة بعده إلى عطية بن صالح بن مرداس عمّ محمود. وقعت بينهما حرب على حلب (٤٥٦ - ٤٥٧ هـ) وتغلب محمود عليها فأخذها وأخذ قِبْليها، وترك لعمّه عطية الرحبة وعزاز ومنبج وبالس وجميع الضياع شرقي حلب وشماليّها. غير أن عطية لم يزل يحنّ إلى حلب، فاستنجد بالمصرّيين فلم يحصل منهم على شيء، فحالف الروم على ابن أخيه. وقصد القسطنطينية، وبها مات سنة ٤٦٤ هـ.

(٣) فتنصّروا: صاروا نصارى. والتعبير مجازي يريد به: مدوا أيديهم إلى النصارى وحالفوهم عليك. ويمدح ابن حيوس محمودًا بهذه المناسبة، فيصرّح بما يعرّض به ابن سنان؛ يقول ابن حيوس [كامل]:

ما بالُ عمّكَ ظل يخدعُ نفسَـه   سَفَهًا وَيقطعُ عُمرَهُ تَعلِيـلا
متطرحًا أبدًا وكم مِـن خامِـلٍ   طلبَ النباهةَ فاستزادَ خُمولا
متعوضًا من عز من هو فرعُـهُ   ذُلًّا يحدث عنه جيلٌ جيـلا ؟!
فارحَمْ غنيا عَـالَ وَارْثِ لتائـهٍ   قد ضل واعذرْ صبره إن عيلا
أكْدَتْ مطالبُه وهل يعدي على الـ   ـقرآنِ من يَستنصِرُ الإنجيـلا؟

(الديوان: ص ٤٢٢)

مَـا لَـيْسَ تَطْلُبُـهُ[1] سُـيُوفُكَ مِنْهُـمُ

يَقْـضِي صَـلِيبُ الأَرْمَنِـي عَلَيْهِـمُ
وَأَبُـوكَ ذَل بِـهِ الـصلِيبُ الأَعْظَـمُ[2]

٢٠- مَا يَصْنَعُ الحَسَبُ الكَـرِيمُ بِعَـاجِزٍ
يُبْنَـى لَـهُ الـشرَفُ القَـدِيمُ[3] وَيَهْـدِمُ؟

لاَ يَذْكُرُوا (حَلَبًـا)[4] وَبِيـضُكَ دُونَهَـا
مَشْهُورَةٌ فَهِـيَ الظُبَـا وَهُـمُ هُـمُ![5]

وَلَرُبَمَـا قَـالَ الجَبَـانُ بِقَلْبِـهِ
مَـا لاَ يَقُـومُ بِـهِ اللِـسَانُ وَلاَ الفَـمُ[6]

صَعُبَتْ فَقَارُبَهَـا[7] الـذِي لاَ يُمْتَطَـى
وَأَبَـتْ فَمَارُنَهَـا[8] الـذِي لاَ يُخْطَـمُ[9]

---

(١) ظ: نبلغه.
(٢) ظ: ذل لَهُ. سقط البيت من مط.
(٣) زبدة الحلب: الرفيع.
في البيت قلب، والأصل: ما يصنع عاجز بالحسب الكريم.
(٤) ظ: لا يدركوا حلَبًا.
(٥) ((وهمُ همُ)): هذا التعبير في الأصل للمدح. وهو هنا للذّم والتهكم.

(٦) ولا الفم: حشو جيء به للقافية
يقول: ولرّبما عّبر الجبان بخفقان قلبه خيرًا مما يعّبر بلسانه.
(٧) مط: صعِدَتْ فَقَارَ بِهَا.
(٨) م: وأبت فمازنا.
(٩) ظ: الذي لا يحْطِمُ - بالبناء للمعلوم وبالحاء المهملة - الضمير في ((صعبت)) يعود على حلب. الغارب: الكاهل، وما بين السنام والعنق.
المارن: ما لان من الأنف وفضل عن القصبة. ويطلق كذلك على الأنف كلّه. والخطم من كل دابّة: مقدّم الأنف والفم، ومنه: خطمتُ البعير:

كَمْ وَقْفَـةٍ لَـكَ دُونَهَـا[1] مَـشْهُورَةٍ
وَالنقْــعُ لَيْــ ــلٌ وَالأَسِنــ ــةُ أَنْجُــ ــمُ!
٢٥- فِي حَيْثُ يَرْتَابُ الحُسَـامُ بِحَـدِهِ
وَيَخُــونُ صَــدْرَ الــسمْهَرِي اللهْــذَمُ[2]
شَرَفًا (بَنِي العَبـاسِ) إن حُـسَامَكُـمْ

زَمَمْتُهُ؛ والخِطَام: الزمام. ومن المازن: خطم أنفه: ألزق به عارًا ظاهرًا.
((فغاربا الذي لا يمتطى... فمارنا الذي لا يخطم)): يقول: إن الغاربَ الذي لا يمتطى غارِبُها، والمارنَ الذي لا يمكن خطمه مارِنُها، ولا يخفى ما في هذا التعبير من توكيد وبلاغة.

(١) دونا: دون حلب. والمعنى وارد في الشعر العربي، ومنه قول بشار بن برد [طويل]:

كأن مُثَارَ النقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهْ

(الديوان: ١ / ٣١٨)

(٢) في حيثُ: هذا التركيب عربيّ لكنّه جدّ نادر، لأن المعروف في حيث أن تدخل عليها من، كقوله تعالى ﴿ثُم أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ الناسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]. وقد دخلت عليها لَدَى في قول زهير بن أبي سلمى في معلقته [طويل]:

فشدّ ولم يُفْزِعْ بيوتًا كثيرةً لدى حيث ألقت رحلها أم قَشْعَمِ

(الديوان ص ٢٢)

السمهريّ: الصلب العود. ويزعم معظم اللغويّين أنا نسبة إلى (سمهر)، رجل كان يثقف الرماحَ مع زوجته رُدَيْنَة، فنسب إليهما. ولا يخفى ما في هذا من خطل. والظاهر أنا نسبة إلى مكان (راجع معجم ياقوت، مادة: سمهر؛ ودائرة المعارف الإسلامية، ط٢ مادة: Masaure. ومصّوع - وتدعى سمهر - جزيرة ومرفأ بإريتيريا: على البحر الأحمر من شمال الحبشة، وذلك ما يعضد قول الزبير بن بكار فيما يروي ياقوت وغيره).اللهذم من الأسنّة: القاطع.
المعنى: في معارك طاحنة لا يسكن فيها أحدٌ إلى أحدٍ ويرتاب كل أخ بأخيه.

مَاضٍ يُطَبِّقُ فِي العِدَى وَيُصَمِّمُ(١)

حَمَلَتْ لِوَاءَكُمُ (السحَابَ)(٢) أَنَامِلٌ

أَنْدَى عَلَيْهِ مِنْ السحَابِ وَأَكْرَمُ

فَكَأَنَّمَا حَكَمَتْ عَلَى عَذَبَاتِهِ

أَلاَّ يُفَارِقَهَا النُّسُورُ الحُومُ(٣)

لَوْلاَ (ابْنُ نَصْرٍ) مَا أَطَلَّ عَلَيْكُمُ

رُكْنُ (الحَطِيمِ) وَلاَ سَقَاكُمْ (زَمْزَمُ)(٤)

---

(١) حُسامَكم: قصد به محمود بن نصر، وقد لقّبه القائم بحسام الدولة العبّاسيّة في صفر سنة ٤٦٣ هـ.
طبّق العنق: أصاب المفصل فأبانه. ومنه سيف مطبق، ورأي مطبق. وحقيقة التطبيق إصابة الطّبق وهو مَوْصِل ما بين العظمين. والسيف المصمم: الماضي في الضريبة.

(٢) ق. م. مط: السحابُ - بالرفع. السحاب: لواء العباسّيين سمّي باسم عمامة الرسول-ﷺ -.

(٣) ف. ق. ك. مط: يُفَارِقُها - بالرفع -
العَذَبُ: الطرف من كلّ شيء. و((عذباته)): أطرافه. والضمير فيها عائد على اللواء في البيت السابق. يقول: كأنّما حكمت أنامل الممدوح على لواء العباسّيين بالنصر الدائم، فلا تفارقه النسور الحوّم لعلمها بأنا ستجد غذاءً وافرًا في القتلى من أعدائه.

(٤) الحطيم: اختلف العلماء في تحديده. فقال مالك بن أنس: هو ما بين المقام إلى الباب؛ وقال ابن جريج هو ما بين الركن والمقام وزمزم والحجر؛ وقال ابن حبيب: هو ما بين الحجر الأسود إلى المقام، حث يتحطّم (يتزاحم) الناس للدعاء؛ وقال ابن دريد: كان الناس في الجاهلية يتحالفون هناك يتحطّمون بالأيمان، فكلّ

٣٠- وَنظَرْتُمُ تِلْكَ المَعالِمَ حَجْرَةً
عَنْكُمْ كَما نَظَرَ الثَّراءَ المُعْدِمُ(١)

لَكِنْ أَعادَ لَكُمْ تُراثَ مُحَمَّدٍ
طَعْنٌ(٢) تُرَدُّ بِهِ الحُقُوقُ وَتُغْرَمُ(٣)

وَمُتَوَّجٌ لَمَعَتْ أَسِرَّةُ وَجْهِهِ
حَتّى أَضاءَ بِهِ الزَّمانُ المُظْلِمُ(٤)

غَضْبانُ يَطْلُبُ حَقَّكُمْ بِعَزائِمٍ
كَالدَّهْرِ يُعْطِي مَنْ يَشاءُ وَيَحْرِمُ(٥)

من دعا على ظالم وحلف عُجلت عقوبته؛ وقال ابن عباس: الحطيم: جدار الكعبة (معجم البلدان، مادة: الحطيم).

(١) حجرة: مُحرمة.

(٢) ق. ف. ك. مط: ظَعْنٌ.

(٣) قوله: أعاد لكم تراث محّمد: يشير إلى دعاء محمود في المساجد بحلب للخليفة العّباسيّ القائم بأمر الله، وكان الدعاء بها للفاطميّين.

هذا البيت والأربعة قبله والسّتة التي تليه هجاء صريح للعباسّيين، يجعلهم ألعوبة في يد الأمير المرداسيّ يتحكّم في مصيرهم كما يشاء، بل لولاه لحرمت عليهم الأماكن المقدّسة، ولما رجع إليهم ميراث محّمد. وهذا الميراث لا يُقِر به الشاعر في أعماق نفسه لتشيّعه الظاهر. إنما هي تقية أملتها المصالح، وتزلف يؤكده كل بيتٍ.

(٤) ومتوّج: قصد به الممدوح، وهو معطوف على ((طعْن)) في البيت السابق.

(٥) مط: ما يشاء.

وَمِنَ العَجَائِـبِ أن بِـيضَ سُيوفِـهِ

تَبْكِـي دَمًـا وَكَأنهَـا تَتَبَسَّـمُ[1]

٣٥- فَالآنَ سَلمَتِ[2] القُلُـوبُ إلَـيْكُمُ

وَتَيقَنَـتْ أن الخِلاَفَـةَ فِيكُـمُ

مَا كَانَ حَمْلُكُـمُ القَـضِيبَ بِنَافِـعٍ

حَتى يُـضَافَ إلَيْـهِ هَـذَا المِخْـذَمُ[3]

وَالخَـوْفُ أدْعَـى لِلقُلُـوبِ وَإنمَـا

خُلِقَـتْ عَلَـى حُكْـمِ الطِبَـاعِ جَهَـنمُ[4]

جَادَتْ بِكَ الأيـامُ – وَهْـيَ بَخِيلَـةٌ-

---

(١) البيت في الأفضليات، ص ٤١.

(٢) ظ: سُلِمَتْ - بالبناء للمفعول -.

(٣) القضيب: الغصن المقضوب أي المقطوع، وقصد به عصا الرسول ﷺ. والقضيب - أو العصا - كالبردة والخاتم والعمامة والسيف مما كان يتوارثه الخلفاء ويمثّل السلطة، ومنه: ملك فلانٌ البردةَ والقضيبَ: إذا استُخْلِفَ. ولذلك كان الأمويون بالشرق وبالأندلس يتوارثون خاتمًا وعصًا لاحقًا عن سابقٍ؛ وكذلك فعل العباسيون. فإن مات أحدهم بعيدًا عن مقرّ الخلافة حملَ البريدُ الخاتمَ والقضيبَ إلى وليّ عهدِه؛ حُمِلاَ إلى المهديّ بعد موت المنصور بمكّة وإلى الأمين بعد وفاة الرشيد بطوس في الممالك الشرقية. وكثيرًا ما نجد لفظ ((القضيب)) في القرن الرابع وما بعده مرادفًا لكلمة الخلافة. المخذم: السيف القاطع من خَذَمَ إذا قطع. والمقصود به الممدوح.

بهذا البيت يبلغ الشاعر القمّة في هجاء العباسيين.

(٤) أراد أن الناس لا يستجيبون إلا لداعي الخوف المركّب في طباعهم، ولذلك خلقت جهنّم، وأن حقّ الخلافة يؤخذ ولا يعطى. وقد أخذ بسيف الممدوح.

شَـرَقًا وَأَفْـصَحَ فِـي الزمَـانُ الأَعْجَـمُ[1]

عَرَضْـتُ قَبْلَـكَ لِلْمُلُـوكِ فَأَعْرَضُـوا

وَجَلَـوْتُ أَبْكَـارَ القَـرِيضِ وَقَـدْ عَمُـوا

٤٠- وَفَطِنْتَ بِي فَلَبِسْتَ مَا لَمْ يَلْبَـسُوا

مِنْ وَشْـيِهِ وَغَنِمْـتَ مَـا لَـمْ يَغْنَمُـوا

وَهْيَ القَـوَافِي مَـا يُفَـرِّطُ عِنْدَهَـا

فِـي العَارِفَـاتِ وَلاَ تَـضِيعُ الأَنْعُـمُ[2]

تَبْقَـى مُخَلَّـدَةً، وَكُـلُّ غَرِيبَـةٍ

- حَاشَـا عُـلاَكَ - فَإِنَّهَـا تَتَـصَرَّمُ[3]

إِنْ أَعْرَضُـوا عَنْهَـا[4] فَـإِنَّ عُقُودَهَـا

---

(١) جادت بك: يلتفت إلى الممدوح.شرقًا: يميز الكاف في ((بك))، أي جاد بك شرقًا.

الأعجم: الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان من العرب. والأعجم أيضًا: الذي في لسانه عجمة وإن أفصح بالعجمّية. والزمان الأعجم: الذي لا يُبين. وفي البيت طباقان وفّق فيهما الشاعر.

أبكار القريض: قصد بها ما لم يسبق إليه من الشعر وما يتعذّر على غيره قوله.

(٢) العارفات جمع عارفة. والعارفة والعارف والمعروف: اسم لكل فعل يُعرَف حُسنُه عقلاً وشرعًا.

ومنه قيل للجود عارفة ومعروفٌ؛ وكذلك حسن الصحبة مع الأهل وغيرهم.

(٣) ظ. ف. ك: تتضرم.

تتصرّم: تزول. ((فإنها)) زائدة وكأن الشاعر اضطرّ إليها اضطرارًا.

(٤) عنها: عنى بها قصائده التي سمّاها تارة أبكارًا (ب ٣٩) وأخرى ثيابًا موشاة (ب ٤٠) وجعلها عقود درّ. والنّحر: موضع القلادة.

في هذه الأبيات قلق واضطراب، بل وتناقض. فممدوحوه إمّا رجال يُعرِضون عن الأبكار وإمّا نساء ليست نحورهن أهلاً لما ينظم من عقود.

دُرِّ لِمِثْـلِ نُحُورِهِـمْ لا يَنْظِـمُ

وَأَبِيهِمُ مَـا كُنْـتُ أَتْبَـعُ خُلَّبًـا

خَمَـدَتْ بَوَارِقُـهُ وَبَحْـرُكَ مُفْعَـمُ(١)

٤٥- فَاضَ (الفُرَاتُ) بِرَغْمِهِمْ فَوَرَدْتُـهُ

وَتَرَكْـتُ كُـلَّ غَمَامَـةٍ تَتَجَهَّـمُ(٢)

تَرِبَتْ يَدٌ سَـأَلَتْ سِـوَاكَ وَأَجْـدَبَتْ

أَرْضٌ بِغَيْـرِ سَـحَابِ كَفِّـكَ تُوسَـمُ!(٣)

فَـالعِزُّ إلا فِـي جَنَابِـكَ ذِلَّـةٌ

وَالمَـالُ إلا مِـنْ نَـدَاكَ مُحَـرَّمُ

وَغَرِيبَةٍ سَبَـقَ الوُشَـاةُ بِـأَوَّلِ

ولعلّه قصد إلى ذلك قصدًا ما دام في مقام التعريض.

(١) ظ. م: خَمِدَتْ - بكسر الميم -.

وأبيهم: الواو فيه للقسم إلا أنه قسم خرج عن أصله، بل لا يقصد به الشاعر شيئًا حقيقيا وإنما جرى فيه على عادة القدماء. والسياق يجعله، نوعًا ما، للتهكّم.

الخلب: السحاب يبرق ويرعد ولا مطر فيه، من خلب إذا خدع.

(٢) مط: يزعمهم. ق: فوردتم.

قصد بالفرات: الممدوح. برغمهم: برغم الملوك. فَوَرَدْتُهُ: أي حضرت لأشرب. تتجهّم: تبخل بمطرها، على المجاز، كقولك: الدهر يتجهّم الكرام.

(٣) ترب الرجل تَرَبًا ومَتْرَبًا لصق بالتراب، افتقر وصار في يده التراب (مجاز). يقال تربت يده ويداه: أي لا أصاب خيرًا! وفي الدعاء له: تربت جبينُهُ!: أي كثر سجوده. تُوسَم: أراد توشّى بالوسميّ وهو مطر الربيع، وسمّي بذلك لأنه يَسِمُ الأرض بالنبات.

ِمِنْهَــا وَحُــسْنُ الــشعْرِ حِــينَ يُــتَممُ(١)

غَنتْ كَمَــا سَــجَعَ الحَمَــامُ وَرُبمَــا

زَأَرتْ كَمَــا هَــدَرَ الفَنِيــقُ المُقْــرَمُ(٢)

كَالكَاعِــبِ الحَــسْنَــاءِ إلا أَنهَــا

مِــنْ فَقْــدِهَا الأَكْفَــاءَ قَبْلَــكَ أَيِّــمُ(٣)

أَظْهَــرْتُ فِيهَــا المُعجِــزَاتِ لأُمــةٍ

(مُحَرَّم) وغريبة: أراد بها قصيدته.

((سبق الوشاة بأوّل منها...)): قد يكون مراده: سبقني الوشاة إلى إنشادك بعض هذه القصيدة، إلاّ أنني عندما أنشدتها كاملة بين يديك تم حسنُها كما يتمّ حسن البيت بالتتميم. والتتميم الإتيانُ في النظم أو النثر بكلمة أو جملة إذا طُرِحَتْ من الكلام، نقص حسن معناه، وهو على ضربين: ضرب في المعاني وهو الحسن المقصود. وضرب في الألفاظ وهذا لا يُعْتَد به لأنه مجرد حشو.

(صَفَر) م: المحرَم.

الفنيق: الفحل المكرم الذي لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يُركَب، وهو من الفَنَقِ أي النعمة في العيش. المُقْرَم: البعير المكرَم لا يحمل عليه ولا يذلّل ولكن يكون للفحولة.

(رَبِيع أَوَّل) الكاعب: الجارية حين يبدو ثديها للنهود، من كعب: ارتفع. الأيم من النساء من لا زوج لها بكرًا كانت أو ثيّبًا، مطلّقة أو متوفّى عنها. وآمت المرأة: فقدت زوجها وفيها بقيّة. وقد يستعار للرجل فيقال: آم إذا فقد زوجته. وتأيم الرجل و - تِ المرأة: مكثا زمانًا لا يتزوّجان.

وقصد بالأيم: البكر غير المتزوجة، استعارها لقصيدته.

ذَل البَلِيــغُ[1] بِهَــا وَعَــز المُفْحِــ ـمُ[2]

لَوْ كَانَ فِـي نَظْـمِ القَـرِيضِ نُبُـوةٌ

صَـلى عَلَــي الــسامِعُونَ وَسَلمُـوا[3]

اثنان وخمسون بيتًا

---

(١) ف. ق. ك: ذلّ البقيع.

(٢) المُفْحَمُ: المنقطع. يقال كلّمته حتى أفحمته إذا أسكته في خصومة أو غيرها. وأفحمتُه: وجدته مُفْحَمًا لا يقول الشعر.

(٣) لم يورده ناشر مط، وعوّضه بنقاط. وربّما عدّه كفرًا. وفي ف. ق. ك: صلّى عليك.

*[١٣١]

وقال يمدح الأمير الأجل، ناصر الدولة أبا علي بن الأمير ناصر الدولة بن أبي تغلب بن حمدان(1) [طويل]:

أَناخَ عَلَي الهَـمِّ مِـنْ كُـلِّ جَانِـبِ
بَياضُ عِـذَارِي فِـي سَـوَادِ المَطَالِـبِ(2)

وَكُنْـتُ أَظُـنُّ الأَرْبَعِـينَ تَـصُـدُّهُ
فَمَا قُبِلَـتْ فِيهَـا شَهَـادَةُ حَاسِـبِ(3)

(*) ظ ١٠٦، ف. ك ٨٠،، ق ١٢٥، م ١٠٠، مط.
واختار منها البارودي ٣١ بيتا في مختاراته، ٢ / ٣٧٦ - ٣٧٧.

(1) أبو علي الحسين بن الحسن بن عبد الله بن حمدان، لقّب بناصر الدولة، وتغلّب على المستنصر الفاطمي. انظر بشأنه في تاريخ ابن الأثير سنة ٤٦٥هـ. في عام ٤٥٣هـ وصل إلى دمشق واليًا عليها، مدحه ابن سنان سنة ٤٥٩هـ بغرر القصائد، ونوّه بعلاقته الحسنة مع محمود بن نصر بقوله:

أما ابنُ نصرٍ فقد أخْفَت ضمائِرُهُ مَوَدّةً لكَ ما في صَفوِها كَدَرُ

وفي السنة نفسها شارك ناصر الدولة في وقائع مع العبيد (عبيد الشراء) أبناء جنس أم المستنصر الفاطمي، وكانت أمة تستظهر بم على العرب والمغاربة والأتراك والديلم والأرمن، فهُزم تارة وانتصر أخرى. كما مدحه ابن سنان لإطلاقه حميد بن محمود وحازم بن الجراح من سجن المستنصر (خزانة البنود) سنة ٤٥٩هـ. والظاهر أن القصيدة نظمت نحو سنة ٤٦٤هـ، وكان الشاعر آنذاك على قلعة (عزاز) شمالي حلب.

(2) أناخ الهم: أبركه، وقصد أحلّه. العِذار: الشعر النابت في موضع العذار. بياض العذار: أراد ظهور الشيب. وفي البيت مجاز كثير.

(3) قوله: الأربعين أي سنّ الأربعين وأنه بلغها، وهذا يعني أن القصيدة نظمت عام ٤٦٤ هـ، والشاعر على قلعة عزاز. تصدّه: أي تصدّ الهمّ. حاسب: قصد با نفسه، وهي من حسِب أي ظن.

طَلَبْتُ الصَبَا مِنْ بَعْـدِهَا فَكَأَنَمَـا

عَلِقَـتُ بِأَعْجَـازِ النجُـومِ الغَـ ـوَارِبِ[1]

وَمَا سَاءَنِي فَقْـدُ الـشَبَابِ وَإِنَمَـ ـا

بَكَيْتُ عَلَى شَـطْرٍ مِـنَ العُمْـرِ ذَاهِـبِ[2]

٥- وَلاَ رَاعَنِي شَـيْبُ الـذوَائِبِ بَعْـدَهُ

وَعِنْدِي هُمُـومٌ قَبْـلَ خَلْـقِ الـذوَائِبِ[3]

وَلَكِنَهُ وَافَى وَمَـا أَطْلَـقَ الـصَبَـا

أراد: ظننتُ سنّ الأربعين تصدّ الهمّ عنّي فكذب ظنّي.

(١) سقط البيت من ظ.

الصَبَا: أراد التصابي من تصابَى الجاريةَ وتصبّاها: دعاها إلى الصبا. أعجاز مجاز مرسل، واستعارها للنجوم.

المعنى: طلبت التصابي بعد الأربعين، فكأنما طلبت بذلك ما لا ينال.

(٢) يلاحظ أن الوزن والقوافي مبني على قصيدة النابغة في شكوى الهم والزمان:

كِلِينِي لِهَم يَا أميمةُ ناصبِ وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكبِ

(أخبار النوابغ وآثارهم، ص ٣٩٢)

وسيجيء بعد ذلك الشاعر الأندلسي ابن خفاجة (٤٥٠ - ٥٣٣ هـ / ١٠٥٨ - ١١٣٨م) ليشكو الشيب وليتأمل في الحياة في قصيدته المشهورة (الجبل) على الوزن والروي والقوافي وحتى المعاني... مستفيدًا مما قاله ابن سنان في قصيدته البائية هذه.

(٣) الذوائب جمع ذؤابة، وهي شعر مقدّم الرأس أي الناصية. بعده: أي بعد فقد الشباب.

عِنَـانِي وَلاَ قَضَى الشَّبَابُ مَآرِبِي[1]

وَمَا كُنْتُ[2] مِنْ أَصْحَابِهِ غَيْرَ أَنَّهُ

وَفَى لِيَ لَمَّا خَانَنِي كُلُّ صَاحِبِ[3]

بَكَى النَّاسُ أَطْلاَلَ الدِّيَارِ وَلَيْتَنِي

وَجَدْتُ دِيَارًا لِلدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ[4]

وَقَالُوا: (زِيَادٌ) رَاحَ عَازِبُ هَمِّهِ

وَمَنْ لِفُؤَادِي بِالهُمُومِ العَوَازِبِ!؟[5]

١٠- أَأَحْبَابَنَا هَلْ تَسْمَعُونَ عَلَى النَّوَى

تَحِيَّةَ عَانٍ أَوْ شَكِيَّةَ عَاتِبِ؟

وَلَوْ حَمَلَتْ رِيحُ الشَّمَالِ إِلَيْكُمُ

---

(1) وافى أي وافى الشيب. العِنان للفرس، واستعمله على المجاز.

(2) ف. ق. ك. مط: فما كنت.

(3) في البيت ما يسمّيه البديعّيون بتوهيم الاشتراك. فالقارئ يتوهّم أن (أصحاب) في الصدر من الصحبة، لأنه يجد في العجز: وفى، خان، صاحب. مع أن المعنى: وما كنت من الذين يشيبون في مثل هذه السنّ.

(4) لعلّه يشير إلى أن الخفاجيّين لم يبقَ لهم ديار ثابتة بعدما تشرّدوا في الآفاق.

(5) زياد: النابغة الذبياني، وهو هنا يشير إلى بائيته ويترسّمها في الوزن والروي ويضمّن بيته قول النابغة:

وصدر أراح الليل عازبَ همه   يضاعف فيه الحزن من كل جانب

(أخبار النوابغ وآثارهم ص ٣٩٢)

انظر شرحنا بيت ابن سنان: القطعة (٧٤):

زيادٌ أراحَ الليلُ عازِبَ هَمه   وهمك لم يعزُبْ فكيف يروح؟

وإبل عزيب - جمع عازب - أي لا يروح على الحيّ. وأعزبت الإبل: أي بعدت في المرعى لا تروح أراد أن الهمّ مُقيم لا يبرَح.

كِلاَمَـا طَلَبْنَـا مِثْلَـهُ فِـي الجَنَائِـبِ[١]

ذَكَرْتُكُمُ مِنْ بَعْـدِ عِـشْرِينَ حِجَـةً[٢]

لَقَدْ دَرَسَـتْ أَسْـرَارُكُمْ فِـي التَرَائِـبِ[٣]

وَمَا أدعِي أنِـي أحِـن إلَيْكُـمُ

وَيَمْنَعُنِـي[٤] الأَعْـدَاءُ مِـنْ كُـل جَانِـبِ

وَلاَ أنـا بِالمُـشْتَاقِ إنْ قُلْـتُ بيْنَنَـا

طِـوَالُ العَـوَالِي أَوْ طِـوَالُ الـسَبَاسِبِ[٥]

فَمَا لِقُلُـوبِ العَاشِقِيـنَ مَزِيـةٌ

إذَا نَظَـرَتْ أَفْكَارُهَـا فِـي العَوَاقِـبِ[٦]

---

(١) الشمال: الريح التي تهبّ من ناحية القطب. الجنائب: جمع جنوب: الريح التي تقابل الشمال. تقول: جنبت الريح إذا تحولت جنوبًا.

(٢) ف. ك.: حَجة - بفتح الحاء -.

(٣) ذكرتكم: من الذكر باللسان لا من التذكر بعد النسيان، وإلا صار البيتُ هجاءً. الحِجة: السنة. يشير إلى مغادرته الحيّ منذ عشرين سنة مضت، وأنه حفظ مودتم وكتمها حتى كادت تدرس في ضميره. ويحتمل البيت معانيَ أخرى.

(٤) م: وتمنعُني.ظ: وتمنَعني - بالنصب -

(٥) السباسب: المفازة، يقال: بلد سبسب وبلد سباسب.

معنى البيتين: أن المخاطر والبعد لا تمنع المحب الصادق من لقاء أحبابه.

(٦) يقول: لا مزية لقلوب العاشقين إذا كانت تخشى العواقب في حبها، ويؤكد هذا المعنى البيت التالي.

وَلاَ الشوْقُ إلا فِي صُدُورٍ تَعَودَتْ
لِقَاءَ الأعَادِي فِي لِقَاءِ الحَبَائِبِ[1]

جَزى اللهُ عَني العِيسَ خَيْرًا فَطَالَمَا
قَرَنْتُ بِهَا بَيْنِي وَبَيْنَ النوَائِبِ[2][3]

كَفَتْنَا ثَقِيلَ الهَم حَتى كَأنمَا
رَمَيْنَا بِهِ فَوْقَ الذرَى وَالغَوَارِبِ[4]

وَإنْ صَدَقَتْ فِي (نَاصِرِ الدوْلَةِ) المُنَى
فَمَا هِيَ إلا مِنْ أيَادِي الركَائِبِ[5]

---

(1) سقط البيت من ف. ق. ك. وفي مط: إلا في قلوب.

(2) ظ: جزى الله عنّا.

(3) ينظر الشاعر في هذا البيت إلى قول المسّيب بن علس [طويل]:

وقد أتناسى الهم عند احْتِضَارِهِ   بِنَاجٍ عليه الصَّيْعَرِيةُ مُكْدَمِ

وبيت المسّيب (وينسب إلى المتلمّس) هو الذي قال فيه طرفة لما سمعه: ((اسْتَنْوَقَ الجَمَلُ))؛ وهو الذي أوهم الجوهريّ في شرح الصيعريّة، لأن الصيعريّة وَسْمٌ لأهل اليمن خاص بالنّوق (عن اللسان، مادة صعر).

(4) يقول: حملتْ هذه العيس همنا وأراحتنا فكأننا ألقيناه على ذُراها وغواربا. والغارب: الكاهل، أو ما بين السنام والعُنق.

(5) إن صدق ظني، إن صدقت المنى: يستعمل العرب مثلَ هذا ولا يريدون به شيئًا، مثل: لا أبا لك! أي تعوّده الناس حتى ضعف معناه وصاروا لا يلتفتون إليه. ولولا ذلك لكان البيت مَعيبًا لأنه يجعل الشاعر شاكًّا في فضائل ممدوحه.

٢٠- فَتًى حَارَتِ الأَقْدَارُ فِي[١] عَزَمَاتِهِ
عَلَى أَنَّهَا مَعْرُوفَةٌ بِالعَجَائِبِ

وَأَدْرَكَ أَعْقَابَ الأُمُورِ بِفِكْرِهِ[٢]
كَأَنَّ لَهُ عَيْنًا[٣] عَلَى كُلِّ غَائِبِ

لَهُ نَسَبٌ كَالشَّمْسِ أَشْرَقَ نُورُهُ
عَلَى طُولِ أَيَّامِ السِّنِينَ الذَّوَاهِبِ[٤]

إِذَا دَجَتِ الأَحْسَابُ لاحَتْ نُجُومُهُ
ثَوَاقِبَ مِنْ قَبْلِ النُّجُومِ الثَّوَاقِبِ[٥]

جِيَادُكَ (يَوْمَ النِّيلِ) ذَكَّرْنَ أَهْلَهُ
بِمَا صَنَعَتْ أُمَّاتُهَا فِي (قُبَاقِبِ)[٦]

---

(١) ظ. ف. ق. ك. مط. مختارات البارودي: من عزماته.

(٢) ف. ق. ك. مط. مختارات البارودي: بفكرة.

(٣) في جميع النسخ: كأن لها.

(٤) يستعيد ذكريات مجد آل حمدان ولا سيما أميرهم المشهور سيف الدولة، وهم ينحدرون من بني تغلب.

(٥) النجم الثاقب: المضيء، وثقبت النار إذا اتّقدت. وفي البيت اقتباس. يتمّم الموازنة بين الماضي والحاضر.

(٦) في مختارات البارودي: يوم التلّ.

يوم النيل: وقعة الكرم بالقرب من الإسكندرية، جرت بين ناصر الدولة والعبيد ومن تبعهم من مصر والقاهرة، وقُتِل من العبيد عدد كبير. انظر حوادث سنة ٤٥٦ هـ في كتب التاريخ.

قباقب: ماء لبني تغلب خلف البشر من أرض الجزيرة الفراتية، واسم موضع ونهر بالثغر وسط الأناضول يمرّ شماليّ ملطية قرب حصن زياد، وهو المقصود لأن الشاعر يشير إلى انتصار سيف الدولة الحمداني على الروم في

٢٥- سَقَتْ تِلْكَ أَكْنافَ المَشَارِقِ وَابِـلَ (م)
الـدمَاءِ وَجَـادَتْ هَـذِهِ فِـي المَغَـارِبِ[١]
تَـرَكْنَ دِيَـارًا لاَ تَبِيـنُ لِعَـارِفٍ
وَخُـضْنَ بِحَـارًا لاَ تَحِـلُّ لِـشَارِبِ[٢]
وَقَدْ سَـمِعُوا أَخْبَارَهَـا فِـي سِـوَاهُمُ
فَمَـا قَنِعُـوا إلا بِـبَعْضِ التجَـارِبِ[٣]
إِذَا كَانَ عَقْلُ المَـرْءِ أَدْنَـى خِلاَلِـهِ
فَمَـا هِـيَ إلا ثُغْـرَةٌ لِلْمَـصَائِـبِ[٤]
وَكَمْ حَـبَسَ القُمْـرِي حُـسْنُ غِنَائِـهِ

شهر ربيع الأول عام ٣٤٣ هـ. وقد خلّد المتنبي هذه الوقعة بلاميّته الشهيرة التي مدح بها سيف الدولة، وفيها قوله [طويل]:

وكرّت فمرت في دماء مَلَطْيةٍ   مَلَطْيةُ أمّ للبنين ثَكول
وأضعفن ما كُلفْنَهُ من قُباقب   فأضحى كأن الماء فيه عليل

(الديوان ٣ / ٢٢٤)

يقرن ابن سنان بين النصرين؛ الأول حققه الجدّ سيف الدولة والثاني حققه ناصر الدولة الحمداني بالإسكندرية.

(١) تلك: أي معركة سيف الدولة بالمشرق مع الروم. هذه: أراد معركة يوم النيل بين ناصر الدولة والعبيد.
(٢) وخضنَ بحارًا لا تحلّ لشارب: كناية عن كثرة الدماء فيها.
(٣) نظم المثل الوارد في الأثر: ((الشقِي مَن اتعظَ بِنَفسِهِ)) ، أو ((السعِيدُ مَن اتَعَظَ بِغَيرِهِ))، وهذا أنسب للبيت.
(٤) البيت في الحكمة: أي أن ضعف العقل في الإنسان مجلبة للمصائب، فهو كالثغرة تنفذ المصائب منها.

وَقَيـــدَتِ البَـــازِي حُجْـــنُ المَخَالِـــ ــبِ[1]

٣٠- طَلَعْـــتَ عَلَـــيْهِمْ وَالـــسُيوفُ كَأَنهَـــا

ضَرَائِبُ مِما كُـــسرَتْ[2] فِـــي الـــضرَائِبِ[3]

بَقِيـــةُ آثَـــارِ (اللقَـــانِ) و (آلِـــ ــسٍ)

وَفَـــضْلَةُ أيـــامِ (الحِمَـــى) وَ(الذَنَائِـــ ــبِ)[4]

---

(1) في مختارات البارودي: القِمري - بكسر القاف وبالنصب -.

القمري: منسوب إلى طير قُمْر، وهو ضرب من الحمام حسن الصوت، والأنثى قمريّة. وقُمْر إمّا أن يكون جمع أقمر مثل أحمر وحُمْر، وإمّا أن يكون جمع قُمْريّ. والبازي: واحد البزاة التي تصيد وهو طير من الجوارح.الحَجَن: الاعوجاج، والحُجْن جمع أحجن، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي المخالب الجحن. أراد أن البازي خانته مخالبه. والبيت كلّه كنايات.

المعنى: أن سرور الأعداء بدل حزنًا، وقوتم ضعفًا.

(2) ف. ك: كسرت - بالنباء للمفعول - ولم يرد الشكل في سائر النسخ إلا على نحو ما أثبتناه.

(3) الضريبة هي المضروبة، والسيف - وقيل حده وقيل نحو من شبر في طرفه - يقول: طلعت عليهم وكأن سيوفك مصوغة (مضروبة) مما كسرت في سيوف الأعداء، فهي حادّة مرهفة لأنا أخذت حدّ غيرها زيادة على ما فيها.

(4) اللقان: بلد بالروم وراء خَرْشَنَةَ بيومين غزاه سيف الدولة سنة ٣٣٩ هـ. آلس: اسم نر في بلاد الروم، وهو نر سلوقية، قريب من البحر، بينه وبين طرسوس مسيرة يوم، وعليه كان الفداء بين المسلمين والروم في وقعة بحيرة الحدث، ورد ذكره في كثير من الغزوات التي وقعت أيام المعتصم، وذكره أبو فراس في قصيدة بعث ىا إلى سيف الدولة من القسطنطينيّة [طويل]:

وما كنتُ أخشَى أن أبيتَ وَبيَننا خَلِيجانِ والدربُ الأصم وآلِسُ

(ديوانه - دار صادر - ص ١٧٦)

يُحَدثُ[١] عَـنْ تِلْـكَ المَنَايَـا فُلُولُهَـا
وَقَـدْ كُتِبَـتْ أَخْبَارُهَـا فِـي الكَتَائِـبِ[٢]

قَوَاضِـبُ إلا أنهَـا فِــي أنَامِــلٍ
تَكَادُ تَقُــد الهَـامَ قَبْــلَ القَوَاضِــبِ[٣]

حَمَيْتَ بِهَا سِـرْبَ الخِلاَفَــةِ بَعْـدَمَا
تَرَامَتْ بِـهِ أَيْـدِي (العَبِيـدِ) اللوَاعِـبِ[٤]

وقال المتنبي يصف خيل سيف الدولة في غزاته وسرعتها - وفي البيتين مغالاة - [بسيط]:

تذري اللقان غبارًا في مناخرها — وفي حناجرها من آلـس جُـرَعُ
كأنمَا تتلقاهم لتسلكهم — فالطعن يفتح في الأجواف ما تَسَعُ

(الديوان: ٢ / ٣٣٥ - ٣٣٦)

الحمى: اسم لمواضع كثيرة. الذنائب: موقع بالقرب من حمى ضرية على طريق البصرة إلى مكّة ذكره مهلهل بن ربيعة في شعره.

يمدح بني حمدان ويذكر بعض مآثرهم، ويقول إن سيوف ناصر الدولة من سيوف آبائه.

(١) ظ. مختارات البارودي: تحدّث - بالتاء -

(٢) فلول القوم: منهزموهم. الكتائب: جمع كتيبة وهي الجيش، وكتّب فلان الكتائب تكتيبًا أي عبّأها كتيبةً كتيبةً.

(٣) القواضب من قضب أي قطع. يتابع الحديث عن السيوف قاصدًا إلى البديع قصدًا، يقول:

إن هذه السيوف بأيدي رجال يقطعون الهام قبل الضرب بها. والبيت من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم.

(٤) مختارات البارودي: سرب الإمارة.

٣٥- وَأَبْعَدْتَ عَنْ تَدْبِيرِهَا كُـ ـلَ مَائِـ ـقٍ
حَدِيثِ الغِنَـى فِيهَـا جَدِيـدِ المَناسِـبِ[1]
وَكُنتَ إِذَا أَشْرَعْتَ رَأْيَكَ فِـي العِـدَى
طَعَنْتَ بِـهِ قَبْـلَ الرِمَـاحِ الـسَوَائِـبِ[2]
وَقَدْ يُبصِرُ الرأْيَ الفَتَـى وَهْـوَ عَـاجِزٌ
وَرُب حُـسَامٍ سَـلَهُ غَيْـرُ ضَـارِبٍ
كَأَن المَدَى فِي كُل شَـيْءٍ شَـرَعْتَهُ[3]
دَنَا لَـكَ حَتـى نِلْتَـهُ غَيْـرَ طَالِـبِ
يَظُن العِدَى أَنـي مَـدَحْتُكَ لِلْغِنَـى
وَمَا الشعْرُ عِنْـدِي مِـنْ كَـرِيمِ المَكَاسِـبِ
٤٠- وَمَا شِـئْتُ إِلا أَنْ تَتِـمَ صِفَاتُـهُ

السرب: القطيع من الظباء والبقر والقطا والنساء، وهذا كلّه على المجاز. الخلافة: عنى خلافة الفطميين.

يمدحه بحماية الخلافة ويهجو الذين سطوا عليها ويسميهم عبيدًا لواعب.

(1) قوله: حديث الغنى: أي حديث العهد بالغنى. جديد المناسب: أي ليس له شرف النسب القديم المعروف.

(2) مختارات البارودي: السوالب.

يمدح عقله وحسن تدبيره. وهو قريب من بيت المتنبي [كامل]:

الرأيُ قَبلَ شَجاعةِ الشجعانِ هُوَ أَوّلٌ وهيَ المحل الثّانِي

(الديوان: ٤ / ٣٠٧)

ثم يؤكد قوله في البيت (٣٧).

(3) م. ظ. مط: في كلّ شيء طلبته.

وَللدر مَعْنَى فِي نُحُورِ الكَوَاعِبِ[1]

كَأني إذَا أنشَدْتُ فِيكَ قَصِيدَةً
نَثَرتُ عَلَيهِمْ طَالِعَاتِ الكَوَاكِبِ[2]

وَلَكِنهَا مَنْسِيةُ الذكْرِ فِيكُمُ
تُسَائِلُ عَنْ إحْسَانِكُمْ كُل رَاكِبِ[3]

وَوَاللهِ مَا صِدْقُ الثنَاءِ بِضَائِعِ
لَدَيْكَ[4] وَلاَ حُسْنُ الرجَاءِ بِخَائِبِ

وَفِيكُمْ رَوَى الناسُ المَدِيحَ وَمِنْكُمُ
تَعَلمَ فِيهِ القَوْمُ[5] بَذْلَ الرغَائِبِ

٤٥- أعِني عَلَى نَيلِ الكَوَاكِبِ فِي العُلاَ

---

(1) أراد أن الشعر يجود بجودة الممدوح وجميل صفاته. لكن هذا البيت معيب لأن الشاعر جعل من ممدوحه امرأة، يدل على ذلك العجز، إذ يقول: كلما كانت الكواعب جميلة ظهرت نصاعة الدرّ على نحورها.

(2) مختارات البارودي: أنشأت فيك قصيدة.
عليهم: قصد على منافسيه، أو على السّامعين.

(3) ظ. م. مط: عن أحسابكم.
بالرواية التي أثبتناها يقع تناقض بين هذا البيت والبيت رقم (٣٩)، وإن قرأنا (أحسابكم) صار المدح هجاء، لأن ذلك يشعر بأن ممدوحه خامل الذكر.
وفي البيت اقتباس من البيت [وافر]:
تُسائِلُ عَن حُصَينٍ كُل رَكبٍ   وعِندَ جُهَينةَ الخَبَرُ اليَقِينُ
(فصل المقال: ص ٢٩٣ - ٢٩٤)

(4) أثبتنا رواية م. وفي سائر النسخ: عليك.

(5) ف. ق. ك: تُعلم قبل اليوم بذلَ.

فَأَنتَ الـذِي صَـيْرتَهَا مِـنْ مَطَالِبِـي[1]
وَدَعْنِي وَصِدْقَ القَـوْلِ فِيـكَ لَعَلَّـهُ
يُكَفِّـرُ عَـنْ تِلْـكَ القَـوَافِي الكَـوَاذِبِ[2]
غَرَائِبُ مَيْنٍ فِـي سِـوَاكَ كَثِيـرَةٌ
وَلَكِننِـي مِنْهُـنَّ أَولُ تَائِـبِ[3]
وَمَا كُنتُ لَما أَعْـرَضَ البَحْـرُ زَاخِـرًا
أُقَلِّـبُ طَرْفِـي فِـي جَهَـامِ السحَائِبِ[4]

---

(1) أسلوب الطلب وجوابه في هذا البيت يقترب من قول المتنبي في خطاب سيف الدولة بعدما كثر حساده [طويل]:

أزلْ حسدَ الحُساد عني بكبتهم   فأنت الذي صيّرتم لي حُسدا

(الديوان: ٢ / ١٣)

(2) دعني وصدقَ القول: الواو واو المعية، أي دعني مع صدق قولي فيك أمدحك مدحًا غير كاذب لعلّه يكفّر سيئاتي، فقد نظمت في غيرك قوافي كاذبة.

(3) ولكنني منهن: أي من غرائب المين (القصائد الكاذبة).

يعرّض بالأمراء الذين مدحهم، وهم كثيرون في ديوانه ويتخلى عن القصائد الكاذبة التي قالها فيهم. وفي هذا البيت يشرك غيره من الشعراء في مدح الأمراء كذبًا. ولولا ذلك لما جاز استعمال (أوّل) في عجز البيت.

(4) الجَهام: السحاب الذي لا ماء فيه. أقلب طرفي: أي أشيم هذا السحاب ناظرًا إلى البرق أو إلى السحاب لمعرفة اتجاهه وما إذا كان فيه مطر أو لا. وعنى بالبحر: الممدوح، وبجهام السحاب غيرَه.

يقول: لم أنظر إلى الجهام عندما عرض لي البحر.

طَوَيتُ إِلَيـكَ البَاخِلِيـنَ كَأَنَمـا
سَرَيتُ إِلى شَمْسِ الضحَى فِـي الغَيَاهِـبِ[1]

٥٠- وَكَانَ سَبِيلُ الجُودِ فِـي الأَرْضِ وَاحِـدًا
فَمَا عَـرَفَ النـاسُ اخْـتِلاَفَ المَـذَاهِبِ[2]

وَشَرفَنِي قَـصْدِي إِلَيـكَ وَإِنمَـا
يَبِينُ بِقَـصْدِ (البَيـتِ) فَـضْلُ المَحَـارِبِ[3]

فَمَنْ كَـانَ يَبْغِـي بِالمَـدِيحِ مَوَاهِبًـا
فَإِن مَـدِيحِي فِيـكَ بَعْـضُ المَوَاهِـبِ[4]

اثنان وخمسون بيتًا

---

(١) لعلّه في هذا يفكر باللحاق بالممدوح بعد أن تبدى ارتيابه بأميره محمود ابن نصر.

(٢) المذاهب: الطرق والمسالك. أراد أن الطريق الذي يُجْنى منه الخير واحد يعرفه الناس جميعًا، وهو الذي يوصل إليك، أما غيره فلا يؤدي إلى الجود.

(٣) المحارب: أراد المحاريب، وقصرها للضرورة.

يقول: فضل المحاريب بالبيوت تجعل الناس يقصدونا كمحراب المسجد الحرام. وفضلك على غيرك هو الذي جعلني أقصدك، وذلك شرف لي.

(٤) يبغي مواهب أي عطايا. المواهب: جمع الموهبة الفطرية التي يهبها الله الإنسان. ويحتمل أن يكون قصده أن صفات الممدوح جعلته ينظم مثل هذه القصيدة، فهي كسب أدبي حازه الشاعر.

*[١٣٢]

وقال أيضًا [طويل]:

بَقِيتُ وَقَدْ شَطتْ بِكُـمْ غُرْبَـةُ النـوَى
وَمَا كُنتُ أَخْشَى أَنِنـي بَعْـدَكُمْ أَبقَـى

وَعَلمْتُمُـونِي كَيْـفَ أَصْـبِرُ عَنكُـمُ
وَأَطْلُبُ مِنْ رِقِ الغَرَامِ بِكُـمْ عِتْقَـا[١]

فَمَا قُلْـتُ يَوْمًـا لِلْبُكَـاءِ عَلَيْكُـمُ
رُوَيْـدًا! وَلاَ لِلـشوْقِ نَحْـوَكُمُ رِفْقَـا

وَمَـا الحُـب إلا أنْ أَعُـد قَبِيحَكُـمْ
إلَي جَمِيلاً وَالقِلَى مِـنْكُمُ عِـشْقَـا[٢]

(*) ظ ١٠٩، ف ٨١، ق ١٢٧، ك ٨٢، م ١٠٢، مط ٧٩.
الأبيات في فوات الوفيات، ١ / ٤٩١.

(١) في فوات الوفيات ١ / ٤٩١: للشوق بعدكم.

(٢) عبّر في هذه الأبيات عن لذّة الحب والحنين مع أنه حرم الحبيب وبقي منه في الجفاء وأنواع العذاب... وهو مذهب ظاهر في الأدب العربي على قلة.

وربما يكون قصد غرضًا آخر غير الغزل لما تدل عليه بعض التعابير،

أربعة أبيات

[١٣٣]*

وقال أيضًا [منسرح]:

يَـا دِمْنَـةً فِـي الطُّلُـولِ دَارِسَـةً
أَضْـيَعُ مَـا كُنْـتُ حِـينَ أَنْـشُدُهَا

وَيْـلاهُ كَـمْ زَفْـرَةٍ أُرَدِّدُهَـا
فِيـكِ وَكَـمْ عَبْـرَةٍ[1] أُبَدِّدُهَـا!

بيتـان

ولكون الشاعر يلجأ إلى الإيهام والتعمية في بعض منظوماته.

(*) ف ٥٠، ك ٥١، ق ٧٩، ظ ١٠٩، م ١٠٢، مط ٥٩.

(١) م: وكم دمعة.

*[١٣٤]

وكتب إليه أبو العلاء زرعة بن موسى(١) [طويل]:

وَكُنْـتَ عَلَـى الأَيـامِ دُونِـي طَلِيعَـةً
وَرِدءًا(٢) إِذَا كَـرتْ عَلَـي جُيوشُـهَا(٣)

(*) ف ٥٠، ك ٥١، ق ٧٩، ظ ١٠٩، م ١٠٢، مط ٥٩.

(١) زرعة بن موسى أبو العلاء الكاتب الطبرانيّ النصرانيّ. شاعر مجيد وكاتب بليغ. كان كاتبًا للأمير مكين الدولة أبي عليّ الحسن بن عليّ بن ملهم. قَدِمَ معه من طبريّة إلى حلب وكتب له أيام ولايته. ولما تسلّم محمود بن نصر المرداسي حلب بعد ابن ملهم قصده زرعة بن موسى وكتب له. فلمّا تنكّر محمود لأصحابه، بعد رحيل ألب أرسلان عن حلب، قبض على أبي العلاء سنة ٤٦٣ هـ.

ذكر ابن العديم بأسانيد فصّلها أن الحافظ أبا القاسم عليّ بن الحسن قال: ((قرأت بخطّ أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الشاعر: كتب إليّ الشيخ أبو العلاء زرعة بن موسى الكاتب: ((وكنتَ على الأيام...)) (البيتان)، فكتبتُ إليه: كتبت فهجّنت الذين تقدّموا...)) (الأبيات الخمسة).

وتابع ابن العديم: ((وقال الحافظ أبو القاسم وذكر أبو الحسن الكفرطابيّ أن زرعة كتب بيتيه هذين إلى الأمير أبي الحسن بن منقذ، والله أعلم...))
(راجع بغية الطلب: ٨ / ٣٧٩٠)

والظاهر أن زرعة بن موسى كتب بيتيه إلى ابن سنان وهو هارب من محمود.

(٢) م. ظ: ترُد. ك: ورِدا.

(٣) البيتان في شكوى الناس والزمان، يشّبه أبو العلاء بن زرعة بن موسى نفسه بعدما فرّ من أعدائه بالطريدة ويستحث ابن سنان على دفع الضرّ عنه.

فَمَا أنـا إلا كالطريـدَةِ عَرهَـا الـ ـ
ـفِرَارُ فَأضْحَتْ كُـل كَـف[(١)] تَنوشُـهَا

بيتـ ـان

فأجابه* (ابن سنان) [طويل]:

كَتَبتَ فَهَجَنْـتَ الذِيـ ـنَ تَقَدمُـ ـوا
وَأعْلَمْتَنَا أن التأخرَ فِـ ـي الـسبْـقِ[(٢)]
وَأعْطَيْتَ مِنْ نَظْـمِ القَـريضِ سَـمَاحَةً
بِهِ فَطَنِنـا أن ذَلِـ ـكَ عَـ ـنْ حَـ ـق
فَإنْ عُدْتَ تُهْدِي مِنْـهُ كُـل عَجِيبَـةٍ[(٣)]
إلَيْنَا فَكَمْ مِنْ مُعْجِزٍ لَكَ فِـي النطْـقِ[(٤)]
وَمَنْ لِي بِأنْ ألْقَـى بِعَيْنَـي كُـل مَـا
شَكَوْتَ وَمَا يَرْتَابُ مِثْلُكَ فِي صِـدْقِي!؟[(٥)]

---

(١) ق. ك: كل كفٍ
(*) ف. ك ٥١، ق ٧٩، ظ ١٠٩، م ١٠٢، مط ٧٩.
(٢) سبق شرح الهجان ق ٣٥ ب ٢٨، وتجين الأمر هنا: تقبيحه.
يقول: ما نظمت بين أنك فُقْتَ من سبقك من الشعراء وأنّ تأخّرَهم عنك في فن الشعر ناتج عن سبقهم لك في الوجود.
(٣) غ. ق. ك: غريبة.
(٤) ق. ك: في السبق. وبهذه الرواية يكون في المقطوعة إيطاء.
(٥) ((بأن ألقى بعينيّ كل ما شكوت)) : يريد بأن أدفع عينيّ ثمًنا لأجنبك ما تشكو من أذًى وما يصيبك من بلاء. وأنا صادق ومِثْلُكَ لا يشكّ فيما أقول.

وَوَاللهِ لَوْ شَاطَرْتُكَ العُمْـرَ مَـا وَفَـتْ

حَيَاتِي بِأَدْنَى مِنَّةٍ لَـكَ فِـي عُنْقِـي

خمسة أبيات

*[١٣٥]

وقال على طريق المداعبة لإخوانه ولم يَرَ إيرادها في ديوانه [طويل]:

خَلِيلَــي خَلَّيْنَــــا الــصَبَـا وَتَعَاقَلْنَــــا
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَـلْ نَعُـودُ كَمَـا كُنَّـا؟[1]
وَهَيْهَـاتَ! حَـالَ الهَـم دُونَ مِرَاحِنَـــا[2]
وَفَارَقَنَـا شَــرْخُ الــشَبَابِ وَأَلْحَحْنَـــا[3]
سَــقَى اللهُ أيـــامَ الــسِيَاحَـةِ[4] رِيهَـــا

(*) ف. ك ٥١، ق ٧٩، ظ ١١١، م ١٠٣، مط ١١٥.

(1) الصبا: من صبا يصبو صبوة وصُبُوا: مال إلى جهلة الفتوة واللهو والشوق.
تعاقل: أظهر أنه عاقل فَهِمٌ وليس بذاك. لكن السياق في البيت الأول الذي يليه يدلّ على أن الشاعر أراد: تعقل بمعنى تكلّف العقل، كما يقال تحلم وتكيس.

(2) أثبتنا رواية ك، وفي سائر النسخ: مزاحنا.
والمراح: شدّة الفرح والنشاط، أي المسرّة التي لا يكاد الإنسان يستقرّ معها طربًا.

(3) م: فألححنا، بالفاء.
شرخ الشباب: أوّله وريعانه. ومنه صبيّ شارخ أي حدث.

(4) ق: السباحة. أراد بالسياحة إمّا التطواف والتجوال، وإمّا الانسياح وهو اتساع البال وراحته. ومن المعنى الثاني المستشهد به في اللسان:

أمَني ضـميرَ الــنفس إيّــاكِ بعــدما
يــراجعني بثـــي فينـــساح بالهـــا

ريّها: حتى تروى: يريد: سقى الله أيام السياحة مدامًا، سقاها حتى تروى. وقصد بالمدام المطر. والبيت كلّه مجاز.

مُـدَامًا، فَـإِن اللهَ قَـدْ أَرْخَـصَ المُزْنَـا!

وَحَيـا زَمَـانَ (الأَصْـمَعِي) وَنَظْـرَةً

إِلى (الـدَّيْلَمِي) غَـادَرَتْ بَيْنَنَـا صِـغْنَا![١]

٥- وَلَيْلَتَنا بِـ(البُرْجِ) مِنْ (حِـصْنِ صُـمعٍ)

رَعَى اللهُ ذَاكَ اللَّيْـلَ وَالبُـرْجَ وَالحِـصْنَا![٢]

وَحَرْبَ (أَبِـي عَمْـرٍو) وَدَارَ (ابْـنِ تَغْلِـبٍ)

فَكَمْ[٣] قَدْ عَمِلْنا فِـي الجُنُـونِ لَهَـا[٤]فَنَـا!

وَلَـيْلاً[٥] قَـصَرْنَا (بِـالقُرَيْطِي) طُولَـهُ

إِذَا شَـدَّدَ المِيمَـاتِ[٦]فِـي شَـدْوِهِ صِـحْنَا

---

(١) الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب اللغوي المشهور (ت ٢١٦).
الديلميّ: الظاهر أنه عنى به الشاعر الكبير مهيار بن مرزويه الديلميّ (ت ٤٢٨). والبيت إشارة إلى أيام دراسته وإلى اختلاف الطلبة في بعض المسائل اللغوية والأدبية.

(٢) سقط البيت من نسخة ظ.
البرج: أحد البيوت المبنّية على السور أو في نواحي أركان القصر. والأخير هو المقصود.
حصن صمع: لم نعثر عليه بذا الاسم فيما رجعنا إليه من الكتب، ولا نراه إلا حصنًا من حصون الشام من التي ذكرها ياقوت وغيره في المواد: حصن وقلعة وتلّ وقصر.

(٣) م: وكم قد.

(٤) ق. ك: علمنا في الجنون لها.
لا ندري من قصد بأبي عمرو وابن تغلب لانعدام ما يدل عليهما في البيت.

(٥) ق. وليلٍ، بالجرّ.

(٦) ق. ك. ظ: الميمات، بالتاء المثناة.
الميمات، إما بالتاء كما ورد في ق. ك. ظ، وهي جمع الميم، وإما بالثاء. فإن كانت الثاء على أصلها، فلا ندري ما أراد بالكلمة، وإن كانت مبدلة من السين، وعبّر الشاعر عن هذا الإبدال بالتشديد، فالمقصود بالكلمة

وَقَوْلَ (عَلِي) لِلنَبِامِ تَمَعْرُقًا:[١]

عَلَى الجَسَدِ المَقْرُورِ وَالمُقْلَةِ الوَسْنَى
مَعَاهِدُ أتْرَابِ الصِبَا وَمَلاَعِبٌ
أَجَدَّ[٢] لَنَا ذِكْرُ السُرُورِ بِهَا حُزْنَا
١٠- لَيَالِيَ لاَ نَخْشَى[٣] مِنَ (التُرْكِ) غَارَةً
وَلاَ نَبْتَغِي[٤] فِي وَصْلِ أَحْبَابِنَا إِذْنَا
نَبِيتُ نَشَاوَى مَا شَرِبْنَا مُدَامَةً
وَنَغْدُو إِلَى خَلْعِ العِذَارِ كَمَا رُحْنَا[٥]
وَكَمْ مُلْحِجٍ[٦] وَافَى إِلَيْنَا يَرُدُّنَا
فَلَمَّا أَبَيْنَا أَنْ نَرُوحَ مَضَى عَنَّا[٧]
وَمُسْتَخْبِرٍ عَنَّا أَجَبْنَا سُؤَالَهُ

((الميماس)) ، وهو نهر الرسن أي العاصي نفسه (راجع ياقوت). واللثغة بالثاء في السين كثيرة والعكس كذلك.

(محرم) تَمَعْرُقًا: وزن تمفعل شاذّ في العربية وقياسه تفعّل. وقد وردت كلمات قليلة على هذا الوزن الشاذّ منها تمسكن وتمدرع وتمندل، من المسكنة، والمدرعة، والمنديل، وقياسها تفعّل كتسكّن وتدرّع وتشجّع وتحلّم. والظاهر أن الشاعر بنى تمعرف على تمسكن وغيره من الأفعال النادرة. ولعلّه قصد إلى ذلك قصدًا لما في هذا الاستعمال من دعابة وفكاهة، وأن عجز البيت والذي يليه (معاهد أتراب الصبا..) اقتباس.

(صفر) أجدّ: جدّد.

(ربيع أول) ف. ق: تخشى. م: خشي، بلا نقط. ظ: يخشى.

(ربيع ثان) ظ: يبغي، بالياء.

صدر البيت وثيقة تاريخية تبيّن تمكّن الترك في ذلك العهد.

(جمادى أولى) ظ: كما كنا.

((ما شربنا مدامة)): أي وما شربنا مدامة.

(جمادى ثان) م: ملجج. ظ: ملج.

ملحح: ملحّ، فك الإدغام لضرورة الوزن.

(رجب) ظ. م: مضى مَعْنا.

بِعَجْمَاءَ لاَ عِلْمًا أَفَادَتْ وَلاَ ظَنًّا(1)

أَتَانَا(2) فَسَمَّيْنَا لَهُ الأَمْرَ نَاسِقًا(3)
فَأُتْيِسَ فِي إِبْهَامِهِ وَتَلَذَّذْنَا

١٥- أَحَادِيثُ أَمَّا لَفْظُهَا فَهْوَ وَاضِحٌ
جَلِيٌّ وَلَكِنْ قَلَّ مَنْ يَفْهَمُ المَعْنَى(4)

يُفَسِّرُهَا لِلْقَوْمِ كُلُّ مُلَذِّذٍ(5)
تَوَاحَشَتِ الأَيَّامُ فِي بُعْدِهِ عَنَّا(6)

ذَكَرْنَا بِهَا أَحْبَابَنَا فَتَبَادَرَتْ(7)
مَدَامِعُ لاَ يَتْرُكْنَ عَيْنًا وَلاَ جَفْنَا

مَضَوْا وَبَقِينَا لِلشَّقَاوَةِ بَعْدَهُمْ

---

(1) بعجماء: بما لم يَفْهَم من الكلام. لا علمًا: لا يقينًا.

(2) م: أَتَيْنَا.

(3) ظ: ناسفا. م: باشقا.

ناسقًا: من النسق وهو النظام. أتيس: أراد به أتاس أي كذّب ونسبَ إلى الجهل. وفي حديث عليّ كرّم الله وجهه: ((والله لأتيسنهم عن ذلك)) أي لأبطلَن قولهم ولأردنهم عن ذلك (اللسان، مادة: تيس).

(4) في البيت حذف، وأصل التركيب: أحاديث أما لفظها فواضح جليّ، وأمّا معناها فخفيّ [لا يدركه إلا اللبيب الفطن]، ولكن قلّ من يفهم المعنى [الخفيّ].

(5) م: ملذلذ. وسقطت الكلمة من ظ.

(6) مط: بعدها.

الملذّذ: الذي تلتذّ حديثه وتستأنس به. ((تواحشت الأيام في بعده عنّا)): ذهبت تلك الأيام المستطابة، ببعده عنّا، أو صارت الأيام وحشة ببعده عنّا.

(7) ظ: فتناثرت.

نَزُورُ دِيَـارًا مَـا نُحِـب لَهَـا مَغْنَـ ـى[1]

ثمانية عشر بيتًا

(مُحَرَّمٌ) م: لا يحبّ لها ظ: معنى. مضوا : ماتوا.

[١٣٦]*

وكتب إلى الشيخ أبي نصر بن هاشم يُعرض بروشن عَمِله أبو طاهر ابن المحسن بن الجدي [كامل]:

بِحَيَاةِ (زَيْنَبَ) يَا (ٱبْـنَ عَبْـدِ الوَاحِـدِ)
وَبِحَق كُل بَنِيـةٍ فِـي (يَاقِـدِ)(1)

(*) ف. ك ٥، ق ٨٠، م ١٣٠، مط ٢٩. ولا توجد في ظ.

(1) معجم البلدان لياقوت (مادة ياقد): ((ياقد، بالقاف والدال: قرية من نواحي حلب، قرب عزاز، قال عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي:

بِحَيَاةِ (زَيْنَبَ) يَا ٱبْنَ عَبْدِ الوَاحِدِ — وَبِحَق كُـل بَنِيـةٍ فِي (يَاقِـدِ)
مَا صَارَ عِنْدَكَ رَوْشَنُ (ٱبْنِ مُحَسنٍ) — فِيمَا يَقُولُ الناسُ - أَعْدَلَ شَاهِدِ
نَسَخَ التغَفلُ عَنْهُ خَلْطَ عِمَـارَةٍ — وَأَتَاهُ فِي هَـذَا الزمَـانِ البَـارِدِ

وكانت في هذه الضيعة امرأة تزعم أن الوحي يأتيها. وكان أبوها يؤمن بها ويقول في أيمانه: ((وحقّ بنتي النبّية)). فهزأ ابن سنان بالمكتوب إليه بهذا القول، لأنه كان من أهلها)).

وكل ما نعرف عن أبي نصر بن هاشم أو نصر بن هاشم أن ابن حيّوس هجاه بعد موته (الديوان ص ٥٧٨). فإن كان ما عقّب به ياقوت على الأبيات صحيحًا، كانت روايته أقرب إلى الواقع، وتكون بنّية تحريفًا لـ ((نبّية)). وقد تكون على أصلها لأن الشاعر يتحدّث عن الروشن، إلا أن رواية النسخ والمطبوعة لا توضح البيتين الثاني والثالث، وبخاصة العبارتين ((أعدل شاهد)) و((نسخ)) مثلما يوضحها ياقوت.

مَا صَارَ عِنْدَكَ رَوْشَنٌ (ابنِ مُحَسنٍ)[1]

فِيمَا يَقُولُ النَاسُ - أَعْدَلَ شَاهِدِ

نَسَخَ التَعَاقُلُ[2] مِنْهُ خَلْطَ عِمَارَةٍ

وَاقَاهُ فِي هَذَا الزمَانِ البَارِدِ

ثلاثة أبيات

(١) أثبتنا رواية مط. ومعجم البدان.وفي النسخ: ابن محمد. الروشن: الرّفّ؛ والكُوّة؛ وما يدعى اليوم بالبالكون (مولّد).

(٢) في معجم البلدان: التغفّل.

*[١٣٧]

وقال يصف فخا [طويل]:

وَأَهْيَفَ مُنْآدِ[1] القُرَى[2] يَبْـذُلُ القِـرَى
لِطَارِقِـهِ جَهْـرًا وَيَمْنَعُـهُ سِـرا
لَهُ بِزةُ النسـاكِ[3] لَـوْلاَ صِنَاعَـةٌ
يُعَانِي بِهَا الأَطْمَـاعَ أَشْـعَثَ مُغْبَـرا
يُهابُ عَلَـى أن الخُمُـولَ[4] طِبَاعُـهُ
وَفِي أي أرضٍ حَل كَانَـتْ لَـهُ سِـتْرَا
إِذَا صَحِبَ النساكَ أَصْـبَحَهُمْ قِـرًى[5]
وإِنْ صَحِبَ الحُجـاجَ أَكْـسَبُهُمْ وِزْرَا[6]
أربعة أبيات

(*) ف ٥١، ق ٨٠، ك ٥٢، ظ ١٠٩، م ١٠٤، مط ٤٣.
(1) ظ. مط. ك: منآد القُوَى.
(2) م: مياد. منآد: منحنٍ معوجّ.
(3) البِزة: الهيئة والشارة واللبسة.
(4) كنى بالخمول عن اختفاء الفخّ تحت التراب.
(5) ق. مط: أكسبهم قِرًى.
(6) م: أصحبهم وزرا.
يشير بعجز البيت إلى مضمون قوله تعالى: ﴿أُحِل لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَكُمْ وَلِلسيارَةِ وَحُرمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَر مَا دُمْتُمْ حُرُماً﴾ [المائدة: ٩٦].

*[١٣٨]

وقال على سبيل المداعبة لإخوانه وكتبها من القسطنطينية إلى الأمير أبي الحسن على بن المقلد [ابن نصر] بن منقذ [الكناني] رحمه الله[1] [كامل]:

هَـذَا كِتَـابِي عَـنْ كَمَـالِ سَـلاَمَةٍ
عِنْـدِي[2] وَحَـالٍ شَـرْحُهَا فِـي الجُمْلَـةِ
هَـم وَإِقْتَـارٌ وَعُمْـرٌ ذَاهِـبٌ
وَفِـرَاقُ أَوْطَـانٍ وَبُعْـدُ أَحِبَـةِ[3]

(*) ف. ك ٥٢، ق ٨٠، ظ ١١٢، م ١٠٤، مط ١٧.

(1) قال ابن القلانسيّ في كتابه ((ذيل تاريخ دمشق)) (٣٦٠ - ٥٥٥هـ(، ط. الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨، ص ٩١: ((في هذه السنة [٤٥٣هـ[وصل عزّ الدين والدولة ابن ناصر الدولة بن حمدان إلى دمشق واليًا عليها يوم الجمعة الثاني من رمضان... وفي هذه السنة استقرّ الصلح والموادعة بين معزّ الدولة صاحب حلب وابن أخيه محمود بن شبل الدولة، وفيها نُدِبَ أبو محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الشاعر للمسير من حلب إلى القسطنطيّنية رسولاً، في المحرم منها)). ويبّين البيت التاسع من القصيدة أنه أنشدها بعد ثلاثة أشهر من مسيره.

وقال ابن العديم في ((زبدة الحلب)) في حوادث ٤٥٣هـ: ((وسّير محمود الشيخ أبا محمد عبد الله بن محمد رسولاً إلى ملك الروم... وبقي عنده إلى أن ملك ثِمَالُ حلبَ. وكتب الخفاجي إلى حلب القصيدة المشهورة:

هذا كتابي عن كمال سلامة   عندي وحال شرحها في الجملة

١ / ٢٨١.

(2) م: منّي.

(3) ظ. م: وفَقْدُ أحِبةِ.

يَا إِخْوَتي وَإِذَا صَدَقْتُ فَأَنْتُمُ
مِنْ إِخْوَةِ الأَيامِ لاَ مِنْ إِخْوَتِي
أَعْدَدْتُكُمْ لِدِفَاعِ كُلِّ مُلِمَّةٍ
عَوْنًا فَكُنْتُمْ عَوْنَ كُلِّ مُلِمَّةِ(1)
٥- وَتَخِذْتُكُمْ لِي جُنَّةً فَكَأَنَمَا
نَظَرَ العَدُو مَقَاتِلي مِنْ جُنتِي(2)

---

(1) الأبيات ٤، ٥، ٦، ٧ سقطت من جميع النسخ ما عدا نسخة ظ. ورد فيها البيتان: ٦، ٧. وأورد ابن أبي الأصبع الأبيات ٤، ٥، ٧ في كتابه ((تحرير التحبير)) في باب حسن الاتباع (ص ٤٧٥)، مبيِّنًا أن ابن سنان أحسن فيها اتباع ابن الرومي في قوله:

تَخِذْتُكُمُ دِرْعًا حَصِينًا لِتَدْفَعُوا نِبَالَ العِدَا عَني فَكُنْتُمْ نِصَالَهَا
... (الأبيات)

وأورد شهاب الدين الحلبي في ((حسن التوسّل)) (ص ٢٩٨)، والنويري في ((نهاية الأرب)) (٧ / ١٦٥)، والحموي في ((خزانة الأدب)) (٤٠٩) وابن الأثير الحلبي في ((جوهر الكنز)) (ص ١٦٠) وابن معصوم في ((أنوار الربيع)) (٦ / ٥...) نص ابن أبي الإصبع في تعريف حسن الاتباع واستشهاده بشعر ابن الرومي وأبيات ابن سنان الثلاثة. وأوردها عبد الرحيم بن أحمد العباسّي في ((معاهد التنصيص)) (٤ / ٣٠)، إلا أنه نسبها خطأ إلى ابن سناء الملك.

(2) الجنّة: الوقاية والسترة والدرع، وكل ما واراك من السلاح، وكل ما وقى. والجنّة أيضًا خرقة تلبسها المرأة فتغطّي من رأسها ما قبل منه ودبر غير وسطه أو تغطي الوجه وجَنْبَتيْ الصدر، وفيها عينان مجوبتان كعيني البرقع (عن اللسان). والظاهر أن الشاعر قصد كل هذه المعاني حتى جُنّة المرأة، وعجز البيت يوحي بذلك. وفي هذا افتنان في القول وتصرّف حسن، والبيتُ تأكيدٌ لمضمون سابقه.

فَلأَرْحَلَــنْ رَحِيــلَ لا مُتَأَســفٍ

لِفِرَاقِكُــمْ أَبَــدًا وَلا مُتَـلَفِّــتِ

وَلأَنفُضَــنْ[١] يَــدَيَّ يَأْسًــا مِنْكُمُ

نَفْــضَ الأَنَامِــلِ مِــنْ تُــرَابِ المَيِّــتِ

بُعْــدًا لآمَــالِي الَّتِــي عُلِّقْتُهَــا

بِكُــمُ فَحَــارَتْ[٢] فِــي السَّبِيلِ وَضَــلَّتِ!

أَأَغِيــبُ عَــنْ (حَلَــبٍ) ثَلاثَــةَ أَشْــهُرٍ

لَــمْ تَكْتُبُــوا فِيهَــا إِلَــيَّ بِلَفْظَــةٍ؟!

١٠- حَتى كَأَنِي قَدْ جَنَيْــتُ عَلَيْكُــمُ

مَــا أَسْــتَحِقُّ بِــهِ عَظِيــمَ الجَفْــوَةِ

لا حُرْمَــةَ الآدَابِ رَاعَيْتُــمْ وَلا

حَــقَّ الإِخَــاءِ وَلا ذِمَــامَ الصُّحْبَــةِ

وَكَأَنَّنِــي بِكُــمُ إِذَا لَقِيتُــمُ

عُــذْرًا كَمِثْــلِ الحَاجَــةِ المَعْرُوفَــةِ

---

(١) رواية ((تحرير التحبير)): ((فلأنفضن يديّ يأسًا منكم))، ورواية ظ: ولأنفضن يدي إياسًا منكم. ونؤثر رواية ((التحرير)) ولكن بالواو لابتداء البيت الذي قبله والذي أثبتناه من ظ بالفاء، وبتثنية اليد، لأن التثنية أوجه وأقرب وإن كان المفرد جائزًا على سبيل المجاز؛ ولأن أكثر اللغويّين يفضّلون أيس يأسًا على أيس إياسًا وينصّون على أن اليأس مصدر يئس وأيس وأن أيس مقلوب يئس أو لغة فيه. وإنما روى ابن أبي الإصبع ((فلأنفضنّ)) بالفاء لأن البيت السابق (فلأرحلنّ...) سقط عنده.

(٢) مط: فجارت.

قُلْتُمْ شُغِلْنَا بِالحِصَارِ وَصَدِّنَا
مَا كَانَ بَعْدَكَ مِنْ (مُعِزِّ الدَّوْلَةِ)[1]

وَصَدَقْتُمُ فَبِأَيِّ حُكْمٍ أُصْدِرَتْ[2]
كُتُبُ التِّجَارِ خِلَالَ تِلْكَ النَّوْبَةِ

١٥- أَعَجَزْتُمُ عَنْ مِثْلِ مَا هَمُّوا بِهِ
بُعْدًا لِمَنْ هُوَ دُونَهُمْ فِي الهِمَّةِ!

طَابَ التَّنَصُّرُ مِنْكُمُ فَتَوَقَّعُوا
بَعْدَ الصِّيَامِ حَدِيثَ مَعْمُودِيَّةِ[3]

لَوْ شِئْتُ أَهْرُبُ مَرَّةً مِنْ عِنْدِكُمْ
مَا كُنْتُ أَقْصِدُ[4] غَيْرَ (قُسْطَنْطِينَةِ)

---

(١) معز الدولة: ثمال بن صالح بن مرداس الكلابيّ أبو علوان من أمراء المرداسيين. يشير الشاعر في هذه البيت إلى الحوادث التي جرت بحلب (٤٥٢ - ٤٥٣)؛ وكان يليها الحسن بن عليّ بن ملهم للفاطميّين. فهجم عليها الكلابيون بقيادة محمود بن نصر بن صالح المرداسيّ فاحتلّوها في جمادى الثانية من سنة ٤٥٢هـ. وكان معزّ الدولة بمصر، فصرفه المستنصر عن ولاية عكّا وبيروت وجبيل، وأمره بأخذ حلب من محمود ابن أخيه، فعاد إليها بجموع من عشيرته. لقيهم بحمص وحماة ومعرّة النعمان، وحاصرها مرتين إلى أن ملكها.

وهذه الحوادث هي التي يدعوها الشاعر (نوبة) من نابه الأمر ينوبه: نزل به وأصابه.

(٢) ظ: صُدرت. والتجار كالتجار، والتجْر جمع تاجر.

(٣) المعمودية: ماء يقدس بتلاوة آيات من الإنجيل عليه، ويغمس به الولد تطهيرًا له. وهو عند النصارى كالختان عند المسلمين. واللفظ من أصل آرامي، أو هو مولّد، من عَمِد الثرى: بلّله المطر حتى إذا قبضت عليه تجمّع وتعقّد لندوّته، وعمدتِ الأرضُ: رسخ فيها المطر إلى الثرى. وعمّد السيلَ: سد وجهَ جريته بتراب أو حجارة ونحو ذلك حتى يتجمّع في موضع.

(٤) م: أطلب.

فَلأَجْلِسَنَّ بِهَا جُلُوسَ مُبَايِنٍ

لِدِيَارِكُمْ فِي عَادَةٍ وَشَرِيعَةِ

وَلأَكْتُبَنَّ إِذَا نَشِطْتُ إِلَيْكُمُ

مِنْ (دَيْرِ أَرْمَانُوسَ)[١] بِالرُّومِيَّةِ

٢٠- يَا (ابْنَ المُقَلِّدِ)[٢] وَالكَلامُ جَمِيعُهُ

عَطْفٌ عَلَيْكَ وَأَنْتَ رَأْسُ الرِّزْمَةِ[٣]

أَجْلَلْتَهَا وَبَرِئْتَ مِنْ تَبِعَاتِهَا

هَذِي[٤] رُسُومُ الشَّيْخِ وَالِدِ (مُرَّةٍ)[٥]

بِاللهِ خَبِّرْنِي لأَيَّةِ عِلَّةٍ

أَعْرَضْتَ عَنْ عَهْدِي لَكُمْ وَوَصِيَّتِي؟

---

(١) الدير: دار الرهبان. واللفظ آرامي فيما تقول معاجم اللغات السامية. أرمانوس: عَلَم لأربعة من ملوك الروم، حكموا في القرنين الرابع والخامس الهجريين، والرابع منهم هو الذي عاصره ابن سنان. توفّي قبل وفاة الشاعر. وأرمانوس كذلك عَلَم لثلاثة من رجال الدين: قديسين وحبر أعظم. ونسبة الدّير إلى أرمانوس، مهما يكن المقصود بالعلم، إمّا حقيقية وإمّا مجازية اقتضتها السياسة ونوع من الدعاية الأدبية.

(٢) قصد به صديقه الأمير سديد الدولة عليّ بن مقلّد بن نصر بن منقذ.

(٣) مط: الزمرة. والرزمة: الكارة التي فيها ضروب الثياب وأخلاطها، وما شدّ منها بخيط واحد. وأصل المعنى الخلط. ولعلّ الرّزمة أليق بالدعابة لاستعمال ما لا يعقل فيما يعقل.

(٤) ظ: هذي فِعال.

(٥) لا ندري من قصد به.

أَلِوَصْلِ مُؤْنِسِكَ الذِي أَحْضَرْتَهُ
وَجَعَلْتَ خِدْمَتَهُ بِرَسْمِ الخَلْوَةِ؟(1)
مَا هَكَذَا يَتَنَاصَفُ الخِلانُ فِي
حُكْمِ المَوَدَّةِ بَيْنَهُمْ وَالخُلَّةِ
٢٥- كُنْ كَيفَ شِئْتَ فَإِن قُرْبَكَ بَعْدَهَا
حَدُّ الرَّجَاءِ وَغَايَةُ الأُمْنِيَّةِ(2)
أَمَا أَخُوكَ (أَبُو العَلاءِ)(3) فَإِنَّنِي
مَا زِلْتُ أَعْرِفُ مِنْهُ لُؤْمَ العِشْرَةِ
قَدْ كُنتُ أَعْدَمُ فِي الحُضُورِ سُؤَالَهُ
عَنِّي فَكَيْفَ يَكُونُ عِنْدَ الغَيْبَةِ؟
وَمَتَى يَحِنُّ وَمَا يَزَالُ مُرَنَّحًا
فِي نَشْوَةٍ وَمُطَوَّحًا فِي سَكْرَةِ؟
وَلِخَالِكَ الخَمْرِيِّ عُذْرٌ وَاضِحٌ
عِنْدِي فَكَيْفَ أَلُومُهُ فِي الجَفْوَةِ

---

(1) ظ: الخُلوة. والفصيح الخَلوة بفتح الخاء كما وردت في سائر النسخ. وفي الجمع بين الألفاظ: ((مؤنس)) و ((خدمة)) و ((خلوة)) تلميح وغمز.
(2) يريد: كن كيف شئت، فإن قربي منك بعد هذه الفعلة حدّ رجائي وغاية أمنيتي.
(3) أبو العلاء: صاعد بن عيسى بن نسطوروس النصراني، كاتب، شاعر، أديب، كان بينه وبين الشاعر صحبة ومودّة رغم فارق السنّ بينهما. كان كاتبًا لمحمود ابن نصر. ولما ملك ثمال حلب سنة ٤٥٣ أراد أن يفتك به فهرب منه إلى أنطاكية، وصار بها أسقفًا إلى أن مات (٤٥٦). فرثاه الشاعر بعدّة قصائد.

٣٠- الذنْبُ لِي فِيمَا جَنَـاهُ لأنِي
رُمْـتُ المُـرُوءَةَ مِـنْ تِجَـارِ الكُوفَـةِ[١]

وَمِنَ العَجَائِـبِ أنْ يَكُـونَ (مُحَمَّـدٌ)[٢]
وَهْـوَ القَـدِيمُ العَهْـدِ بِالقُدْمُوسَـةِ[٣]

يَنْسَى هَـوَايَ فَمَـا أمُـرُّ بِبَالِـهِ
شُغْلاً بِتِلْـكَ العُـصْبَةِ الـسوقِيَّـةِ

يَا صَاحِبَ الحُقَـيْنِ قَـدْ ذَهَبَـا إلَـى
عِنْـدِ المَبَـارِزِ وَالثِّيَـابِ المُـصْمَـتِ[٤]

---

(١) هذا البيت يعكس صورة التاجر الكوفي في نظر الأعراب آنذاك. فهو وثيقة تاريخية اجتماعية.

(٢) محمد: هو أبو نصر محمد بن الحسن بن النحاس، وكانت بينهما مودّة أكيدة. صار فيما بعد كاتبًا لمحمود بن نصر بن صالح. واستجاب إليه في خدمة ابن سنان، فمات الشاعر مسمومًا على يده.

(٣) القُدموس: القديم، والجيش العظيم، والملك الضخم، أو السّيد مطلقًا، والعظيم من الإبل، والشديد والمتقدّم. ولا ندري ما قصد بالقدموسة على وجه التحديد. والظاهر أنه أراد المحّبة القديمة والصداقة المتأصلة. ولا يخفى ما في هذا الاستعمال من التفكّه والطرفة.

(٤) ظ. م. مط: الخُفين.

الحُق: رأس الورك الذي فيه عظم الفخذ. والعِنْد: الناحية. المبارز، ج مَبْرَزٍ وهو المتوضأ. والمُصْمَت: المغلق من الأبواب؛ والمبهَم إغلاقه من الأقفال؛ ومن الأثواب ما كان من إبريسم لا يخالطه قطن؛ وما كان من لون واحد.

وإفراد لفظ المصمت في البيت يقتضي أن يكون صفة لكلمة (عند) وأن يكون المعنى: العند المغلق.

وَعَلَيْكَ أَجْرُ الحَمْلِ فَانْفِذْهُ[١] فَمَا
فِيهِ خِلافٌ بَيْنَ أَهْلِ القِبْلَةِ

٣٥- وبِحَق (دِينَارٍ) عَلَيْكَ فَإِنَّهُ
إِنْ كُنْتَ مَطْبُوعًا أَجَلُّ أَلِيَّةِ

أَبْلِغْ (أَبَا الحَسَنِ) السلامَ وَقُلْ لَهُ
هَذَا الجَفَاءُ عَدَاوَةٌ لِلشيعَةِ

فَلأَطْرقَنَّ بِمَا صَنَعْتَ (مُكَابِرًا)
وَأَبُثُّ مَا لاقَيْتُ مِنْكَ (لِنَكْبَةِ)[٢]

وَلأَجْلِسَنَّكَ لِلْقَضِيَّةِ بَيْنَنَا
فِي يَوْمِ (عَاشُورَاءَ) (بِالشَّرْقِيَّةِ)[٣]

---

(١) فانفذْه: أصله فأنفذه. واستعمال الثلاثي ضرورة شعرية. والضمير فيه عائد على ما لم يذكر. والتعمية مقصودة.

(٢) بحاشية ك. ف. ق: (مكابر) و(نكبة) من غوغاء الشيعة. وفي م: (مكابر) و(نكبة): شيخا الشيعة. وفي «الإنصاف والتحري» المطبوع ضمن كتاب «تعريف القدماء بأبي العلاء»: (بنكة)، وهو تصحيف. وفي مط: «النكتة»، وهو تصحيف أيضا.

(٣) في النص المطبوع الذي أشرنا إليه: «الشرفية». قال المصحّحون: «يراد بها المدرسة الشرفية»، نسبة إلى بانيها شرف الدين عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن الحلبيّ، المولود بحلب سنة ٤٨٠هـ، والمتوفّى بها في شعبان سنة ٥٦١.
والتصحيح في غير محله، لأن نصّ ابن العديم يوافق رواية الديوان، ولأن ابن سنان توفيّ قبل ولادة شرف الدين الحلبيّ.
والأبيات ٣٧، ٣٨ توعد يداعب به الشاعر مخاطبه. وهي أيضًا وثيقة تاريخية تدعّم ما أورد ابن العديم وغيره.
أورد ابن العديم هذه الأبيات في تعليقه على قصّة رواها ابن منقذ في ذكاء

حَتى أُثِيرَ عَلَيْكَ فِيهَا فِتْنَةً[١]

تُنْسِيكَ يَوْمَ (خِزَانَةِ الصوفِيةِ)[٢]

٤٠- دَعْ ذَا وَقُلْ لِي أنتَ (يَا بْنَ مُحَسنٍ)[٣]

أبي العلاء المعرّي صبيا وفي قوة حافظته. قال بعد كلام طويل:((فيحتمل =

=أن هذه الحكاية التي حكاها ابن منقذ كانت بحلب، وأبو المتوّج بن منقذ كان بحلب، وله با دار ومنزل، وكان با خزانة كتب في الشرقّية التي بجامع حلب، في موضع خزانة الكتب اليوم. واتفقت فتنة في بعض أيام عاشوراء بين أهل السّنة والشيعة، ونبت خزانة الكتب، وكان ذلك في زمن أبي العلاء ولم يبق في خزانة الكتب إلا القليل. وجدّد الكتب بعد ذلك الوزير أبو النجم هبة الله بن بديع، وزير الملك رضوان. ثم وقف غيرُه كتًبا أخر با. وقد ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي هذه الخزانة في قصيدته التائية التي كتبها من القسطنطينية يداعب أحد أصدقائه با، قال فيها: [يذكر نص الأبيات الأربعة (٣٦ - ٣٩) ويتابع] وهذا أبو الحسن سالم بن عليّ ابن تميم الفقيه ابن الكفرطابيّ المعروف بالحماميّ، وكان من فضلاء حلب، وكان سنيّ المذهب. وأبو محمد الخفاجي شيعيّ، وكان بينهما مودّة. ومكابر ونكة من غوغاء الشيعة. فيحتمل أن أبا العلاء لما دخل حلب وهو صبيّ، اتفق له بخزانة الكتب ما ذكره ابن منقذ)) (الإنصاف والتحري المنشور ضمن كتاب ((تعريف القدماء بأبي العلاء)) بإشراف طه حسين ص ٥٥٦ - ٥٥٧).

(١) ف. ك. مط: منها فتنة. ظ: يوما فتنة.

(٢) الظاهر من نص ابن العديم أن ((خزانة الصوفية)) هي نفسها خزانة الكتب بالشرقية. وتعرف اليوم بدار الكتب الوطنية بحلب. وما زالت على بنائها القديم. وكان الشاعر عمر أبو ريشة مديرًا لها في الخمسينيات من هذا القرن.

(٣) لا ندري من قصد بابن محسّن. وقد يكون القاضي أبا القاسم المحسّن بن عمرو بن سعيد بن عبد المحسن من تلاميذ المعريّ (راجع الإنصاف والتحري ص ٥١٧). أو هو أبو طاهر ابن المحسّن بن الجدي المذكور في ق ١٣٦.

وَجَفَــاءُ مِثْلِــكَ مِــنْ تَمَــامِ الحِرْفَــةِ(١)

مَا كَـانَ حَقَّـكَ أَنْ تَمَــلْ وَإِنَّمَـا

تَــارِيخُ وَصْــلِكَ مِــنْ حِــصَارِ القَلْعَــةِ(٢)

كَانَــتْ زِيَارَتُــكَ الَّتِــي دَبَّرْتِنِــي

فِيهَــا كَمِثْــلِ الخِدْمَــةِ الرَّحْبِيَّــةِ

صَاحَ الغُرَابُ بِهَـا(٣) فَفَـرَّقَ شَـمْلَنَا(٤)

---

(١) ظ: تمام المحنة.

(٢) لما مات الدزبري بحلب في جمادى الأولى سنة ٤٣٣هـ، خلصت المدينة وأعمالها للمرداسيّين، وتولاها ثمال بن صالح وتحصّن غلمان الفاطميّين بالقلعة فحاصرهم ثمال حصارًا طويلاً دام سبعة أشهر، فيما يقول المؤرخون. ولم يكن الشاعر تجاوز العاشرة من عمره، فلا نراه يتحدّث عن الحصار.

ولما اضطرب الكلابيون على ثمال وامتدّت أطماعهم إلى حلب وإلى ما في يده كاتب المستنصر في أن يولّيه بيروت وعكّا وجبيل ويبعده عن حلب. فأجابه إلى ذلك وأنفذ إليه نوّابه: ابن ملهم وعين الدولة وقاضي صور، فتسلّموا منه القلعة سنة ٤٤٨. فتجمّع بنو كلاب وقدّموا عليهم محمود بن نصر بن صالح، فسار إلى حلب في جمادى الأولى من سنة ٤٥٢هـ، وتغلّب على مكين الدولة ابن ملهم، فانحاز إلى القلعة وتحصّن بها، واستنجد بمصر، فهبّ ناصر الدولة بن حمدان إلى نجدته، لكنّه هزم وأُسِر. وحاصر محمود القلعة إلى أن طلب مكين الدولة منه الأمان وغادرها في شهر شعبان ٤٥٢هـ. والأرجح أن الشاعر يشير إلى هذا الحصار.

(٣) ف. ك. ق: بنا.

(٤) ظ. م: ففرق بيننا. فأصمت: من أَصْماه: قتله مكانه.

قَـــدَرٌ رَمَـــتْ فِيـــهِ الخُطُـــوبُ فَأَصْـــمَتِ

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ فِـي عِقَـابِ (هِرَقْلَـةٍ)(1)
وَجِبَـالِ (نِيقِيَـةٍ)(2) وَثَلْـجِ (الحَمَّــةِ) (3)
٤٥- وَصَدِيقُكَ الخَبَازُ مَشْغُـولٌ عَلَـى
إِدْبَـارِهِ(4) بِالقِصَّـةِ المَكْتُومَـةِ
حَيْرَانُ يَطْلُبُ مَوْضِعًا يَخْلُـو بِـهِ
فِيـهِ وَذَلِـكَ مِـنْ تَمَـامِ المِحْنَـةِ
وَاقْرَا(5) السلاَمَ عَلَى الفَقِيـهِ(6) وَقُـلْ لَـهُ
أَنْـتَ (7) العَتَـادُ لِـدَفْعِ كُـلِّ مُلِمَّـةِ

---

(1) هرقلة: اسم يوناني لعدة مواضع. والمقصود ما يسمّى الآن بأَرْكلة بالقرب من قونية. غزاها هارون الرشيد بنفسه، ثم افتتحها عنوة بعد حصار شديد وحرب طويلة. اشتق اسمها من هرقل البطل.

(2) نيقية: مدينة يونانية أسسها أنتيغونوس سنة ٣١٦ قبل الميلاد ودعاها أنتيغونيا. وافتتحها ليسيماخوس أحد قواد جيوش الإسكندر الأكبر فسمّاها نيقيا باسم زوجته. وهي اليوم بالمملكة التركية وتدعى إِزْنِك.

(3) الحمّة: اسم لمواضع عديدة. ولعلّه عنى حمّة ماكسين بديار ربيعة (على التشبيه) أو موضعًا معيّنًا بالثغور.

(4) إدباره: كبره، من أدبر: ولّى.

(5) واقرا السلام: من قرأه السلاَمَ: أبلغه إيّاه، وخفّف للوزن، وهو ثلاثي. أما الرباعي منه فأنكره بعض اللغويّين.

(6) لا ندري من يقصد به، ولعلّه يعني به أحد القضاة ممن لهم نفوذ.

(7) ظ: وهْو العتاد. م: وهو العياد.

حَاشَاكَ أَنْ تَــصِفَ الــ ـوِدَادَ وَأَهْلَــ ـهُ

وَيَكُــونُ حُبـ ــكَ كُلـ ــهُ بِالقُــ ــوةِ

مَا كَانَ ضَرَكَ لَــ ـوْ بَعَثْــ ــتَ تَحِيــ ـةً

وَكَتَبْــتَ خَمْــسَةَ أَسْــطُرٍ فِــي رُقْعَــ ـةٍ؟

٥٠- أَبِمِثْلِ هَذَا يُخْصِــبُ الْبُسْتَــانُ أَوْ

يَــزْدَادُ حُــسْنُ الــدارِ[1] فِــي (الــسهْلِيةِ)؟

وَاعْلَمْ[2] (أَبَا الحَسَنِ)[3] الوَكِيلَ وَقُــلْ لَــهُ

حَمْــدِي لِتِلْــكَ القِــصةِ المَــشْكُــورَةِ

وَوَقَفْتُ[4] مِنْهُ عَلَــى كِتَــابٍ وَاحِــ ـدٍ

تَارِيخُــهُ لِلنــصْفِ مِــنْ (ذِي القَعْــدَةِ)

---

(1) ظ. م: الدّور. يظهر من السياق أن السهلّية هي الموضع الذي يقطن به الفقيه المذكور.

(2) واعلم: وأعْلِم: رباعي خفّفه للضرورة. ورواية ظ: وأعْلَم. ولعلّه ثلاثيّ بمعنى اطّلعْ على أخبار...

(3) لا ندري من عنى بأبي الحسن.

(4) ظ: القِعدة - بكسر القاف - وهو جائز -

ووقفت: أراد: وبأنني وقفت.

قوله: ((تاريخه للنصف من ذي العقدة)) تكّم مستملح: يريد أن الكتاب مؤرخ قبل سفر الشاعر إلى القسطنطينية، لأن سفره كان في ذي الحجة على ما ذكر ابن القلانسي.

فَوَجَدْتُهُ مُتَــضَمِّنَــا ذِكْــرَى بِــلا

خَبَــرٍ أُسَــكِّنُ فِيــهِ بَعْــضَ اللَّوْعَــةِ

عَقْلاً كَــثِيرًا[1] أَيْ بِأَنِّــي سَالِــكٌ

طُـــرُقَ التِجَــارَةِ لاَزِمٌ «لِمَعِيــشَتِــي»[2]

٥٥- مَا كُنتُ أَطْلُبُ مِنْــهُ إلا ذِكْــرَ أَخْــ

ـبَارِ الجَمَاعَــةِ دُونَ حَــالِ البَلْــدَةِ

يَا قَوْمُ ! مَا لِي[3] قَــدْ ثَقُلْــتُ عَلَــيْكُمُ

مِــنْ بَعْــدِ تِلْــكَ النِيــةِ المَحْرُوسَــةِ؟

وَأَظُــن شَــوْقَكُــمُ إِلَــي كَأَنَّــهُ

شَــوْقُ اليَهُــودِ إِلَــى زَمَــانِ (الفِتْنَــةِ)[4]

شَاهَدْتُ بَعْــدَكُمُ عَجَائِــبَ جَمــةً

---

(1) م: كبيرا.

(2) يتابع ابن سنان المداعبة ذاكرًا أن أبا الحسن هذا ظنّ أن رحيل ابن سنان إلى بلاد الروم كان بقصد التجارة.

(3) ظ: ما بالي ثقلت.

(4) يشير إلى الفتنة التي وقع فيها اليهود عندما اتخذ لهم السامري العجل فعبدوه. والتعبير قرآني ورد عدّة مرات في سورة طه، كقوله تعالى: ق ﴿قالَ فَإنا قَدْ فَتنا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَهُمُ السامِري﴾ الآية ٨٦. وقوله ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إنمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِن رَبكُمُ الرحْمَنُ فَاتبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ الآية ٩١. يوهم الشاعر مخاطبيه بأن شوقهم إليه صادق في نظره كشوق اليهود إلى عبادة الذهب الـسّد في العجل.

وَرَأَيْـ ـتُ كُـ ـ ـل طَرِيفَـ ـةٍوَغَرِيبَـ ـ ـةٍ[1]

وَلَقِيتُ قَوْمًا مَا (أَبو الفَضْلِ بْـ ـنُ الأَنْـ ـ

ـ ـ ـبَارِي)[2] إِلا دُونَهُـ ـمْ فِـ ـي الخِـ ـسةِ

٦٠- لَوْ جَاءَ مَعْ رُسُلِ المَسِيحِ إِلَيْهِمُ الـ ـ ـ

إِنْجِيـ ـلُ مَـ ـا زَادُوهُـ ـمُ عَـ ـنْ فِرْيَـ ـةٍ[3]

أَتْلُـ ـو الحَدِيـ ـثَ عَلَيْهِـ ـمُ فَكَأَنَنِـ ـي

قَدْ صِـ ـرْتُ مِـ ـنْهُمْ فِـ ـي خِطَـ ـابِ القُوَنَـ ـةِ[4]

واحد وستون بيتًا[5]

---

(1) م: كل غريبة وطريفة. ف. ق. ك. مط: كل عجيبة.

(2) م: قوما ما كلاب المسلخ الغريّ إلا.

أبو الفضل بن الأنباري: هو إبراهيم بن عبد الكريم الأنباري الرحبيّ الثقة الكافي. استوزره معزّ الدولة ثمال بن نصر سنة ٤٤٢هـ، قبل أن يستوزر فخر الدولة نصر محمد بن جهير، وسديد الدولة هبة الله بن محمد الرعبانيّ (نسبة إلى رَعْبَانَ مدينة بالثغور بين حلب وسُمَيْسَاط). والتخفيف في الأنباري للوزن.

(3) سقط البيت من مط.

(4) ظ: القوة. والقونة: القطعة من الحديد أو الصفر يرقع بها الإناء (عن ابن الأعرابي).

توحي الأبيات الأربعة الأخيرة بأن الشاعر لم ينجح فيما نُدِبَ إليه.

(5) في جميع النسخ: سبعة وخمسون بيتًا أو أقلّ.

[١٣٩]*

وقال على مذهب لزوم ما لا يلزم [طويل]:

نَصَحْتُكَ فَافْعَلْ كُـلَّ خَيْـرٍ لِحُـسْنِـهِ
وَإِنْ لَمْ يَكُـنْ فِيـهِ ثَنَـاءٌ وَلاَ أَجْـرُ
فَكُنْ(١) لِبَنِي حَـوَاءَ حَرْبـاً فَإِنَّمَـا
وَفَـاؤُهُمُ غَـدْرٌ(٢) وَوَصْـلُهُمُ هَجْـرُ
فَقَدْ وُعِظُوا(٣) لَوْ يَنْفَـعُ الـوَعْظُ فِـيهِمُ
وَهَيْهَاتَ مَا صُم(٤) الجَنَـادِلِ وَالزجْـرُ!؟
رَضِيتُ عَلَى عِلْمِـي بِجَهْـلٍ حَكَيْتُـهُ
وَرُبَّ ظَلاَمٍ لاَ يُحَـبُّ لَـهُ فَجْـرُ(٥)
وَإِنْ بَذرَ الأَيَّـامُ(٦) مِـنْ عَـدَمِ النهَـى
فَإِن عَلَـى حُكَـامِهِمْ يَجِـبُ الحَجْـرُ

(*) ف ٥٣، ق ٨٣، ك ٥٤، ظ ١١٠، م ١٠٦، مط ٤٣.

(١) ظ: ولكنْ بنو. م: وكن.

(٢) ق. ك: عذر.

(٣) م: وعضوا - بالضاد -، وهو شأن الناسخ حيث يجعل الظاء ضادا في معظم النسخ.

(٤) ظ: ما ضمّ - بالضاد -، ولعلّها أنسب للمعنى.

الجنادل: جمع جَنْدَلَة وهي الحجر قدر رأس الإنسان. والأصمّ: الصلْب المصمَت من الحجارة.

(٥) يتمنّى الجهل على طريقة المتنبي في قوله:

ليتَ التجارِبَ باعَتنِي الذي أخذَتْ منّي بِعلمِي الذِي أعطَتْ وتجريبـي

(الديوان: ١ / ٢٩٣)

وينظر في صدر البيت إلى قول المعرّيّ:

ولما رأيتُ الجَهلَ في الناسِ فاشِيًـا تجاهَلتُ حتّى ظُن أنيَ جاهِـلُ

(سقط الزند، ص ١٩٤)

(٦) سقط البيت من مط. ف. ق. ك: دبرت. ظ: دبر الأيام.

م: وإن دبّر. وقد صحّح ناسخ ق الرواية (بذر) بحاشيته فآثرناها.

[١٤٠]*

وقال أيضًا [في المعنى]، والرويّ (اللاّم) ولزوم (ياء) الردف و(الحاء) قبلها:

جَهِلْـتُمْ فَمَـا وَجْـهُ النَهَـارِ بِوَاضِـحٍ
لَدَيْكُمْ وَلاَ طَرْفُ الـدجَى بِكَحِيـلِ(١)

وَغَـرَّكُمُ طُـولُ البَقَـاءِ(٢) سَـفَاهَةً
كَـأَنكُمُ لَـمْ تَـسْمَعُـوا بِرَحِيــلِ

إِذَا وَقَــفَ العَــافِي عَلَــيْكُمْ كَأَنمَــا
يَمُر بِرَسْـمٍ فِـي الدِيَـارِ مَحِيــلِ

فَصَادِقُ وَعْـدٍ مِـنْكُمُ مِثْـلُ كَـاذِبٍ
وَمُبْـرَمُ أَمْـرٍ مِنْكُـمُ كَـسَحِيـلِ(٣)

فَإِنْ نِلْتُمُ خِـصْبَ الجُـسُومِ نَـضَارَةً(٤)
فَـرُب كَــرِيمٍ كَالهِــلاَلِ نَحِيــلِ

(*) م ١٠٧. ورد في ظ (٤) أبيات فقط - ورقة ١١٠، ولم ترد في ف. ق. ك. مط.

(١) الكحَل: سواد في أجفان العين خِلْقَةً، من كحِل فهو كحيل.

(٢) ظ: طول المقام.

(٣) سقط من ظ.

الأمر المبرم: الذي لا يُحَل عَقْده ولا ينقض. السحيل: ضدّه على التشبيه بالثوب لم يحكم سَدَاه والحبل لم يبرم فتله.

(٤) م: نظارة - أبدل الضاد ظاء -

خمسة أبيات

[١٤١]*

وقال على الطريقة والروي (الميم) ولزوم (الراء) [بسيط]:

إذَا اتقَى القَوْمُ قَتْلَ الـصَّيْدِ فِـي حَـرَمٍ
جَعَلْتُ كُـل مَكَـانٍ حَلَّـهُ حَرَمَـا

لاَ تَحْمَدِ الدهْرَ فِي فِعْـلٍ يَجُـودُ بِـهِ
فَلَـيْسَ يَقْـصِدُ لاَ بُخْـلاً وَلاَ كَرَمَـا

قَالُوا أَتَيْنَـاهُ لَمـا نَالَـهُ هَـرَمٌ
وَمَا أَصَابُوا وَلَكِـنْ لَـمْ يَـزَلْ هَرِمَـا

مَا سَر (كِسْرَى) وَلم تَـذْهَبْ (مَدَائِنُـهُ)
وَلاَ (سِنَانًا) وَقَـدْ أَبقَـى لَـهُ الهَرِمَـا[1]

تَـأْبَى[2] لَيَالِيـهِ إِسْعَافًـا وَكُلُّهُـمُ
أَصْغَى إِلَى البَـيْنِ مُغْتَـرا فَـلاَ جَرَمَـا

خمسة أبيات

(*) م ١٠٧، ظ ١١٠، ولم ترد في باقي النسخ.

(١) ينكر أن يكون للدهر تصرف في الحياة الإنسانية، ويحاول أن يفلسف مشكلة الزمان وحوادث الأيام ليجردها من الفعل ويضرب مثلاً بكسرى أنوشروان وهرم بن سنان. أي لم يسعف الدهر كسرى بمدائنه ولا سنانًا بولده هرم.

(٢) ظ: تأتي.

*[١٤٢]

وقال أيضًا [طويل]:

وَعِنْـدِي غَـرَامٌ يُـؤْثِرُ الـدَّمْعُ بَثَّـهُ
وَلَكِنَّنِـي أَطْوِيـهِ عَنْـهُ[١] وَأُخْفِيـهِ

تَنَاهَيْـتُ فِـي كِتْمَانِـهِ فَجَهِلْتُـهُ
فَلِلَّهِ قَلْبٌ لَـيْسَ يَعْلَـمُ مَـا فِيـهِ![٢]

بيتـان

(*) م ١٠٧. ولم ترد في سائر النسخ.

(١) عنه: عن المُغْرَمِ بِهِ.

تناهيت: بلغت الغايةَ. فجهلته: أي أظهرت الجهل، لأن الإنسان لا يستطيع جهل ما يؤلمه أشدّ الإيلام.

(٢) فلله قلب ليس يعلم ما فيه!: أي ما أشقى قلبًا يعاني في صمتٍ ولا يدري حبيبُه ما يقاسي من ألم!.

وفي البيت نوع من المبالغة الحسنة المؤثرة.

*[١٤٣]

وقال أيضًا والروي الميم ولزوم اللام [طويل]:

يَقُولُونَ شُهْبُ اللَّيْـلِ تَحْكُـمُ فِيهِـمُ
وَأُقْسِمُ مَا سَـارَتْ لِعَـدْلٍ وَلاَ ظُلْـمِ[١]

إِذَا فَكَرَ الإِنْسَانُ فِي الـدَّهْرِ لَـمْ يَجِـدْ
بَيَانًا وَلَكِنْ جَهْلُـهُ غَايَـةُ العِلْـمِ[٢]

فَعِشْ فِيهِمُ[٣] أَعْمَى وَإِنْ كُنْـتَ مُبْـصِرًا
سَـفِيهًا وَإِنْ نَزَهْـتَ نَفْـسَكَ بِـالحِلْمِ

فَمَا العَيْشُ إِلا مَـا غَنِمْـتَ نِهَابَـهُ
وَلاَ العُمْرُ إِلا طَارِقٌ زَارَ فِـي الحُلْـمِ[٤]

لَعَمْرِي لَقَدْ أَنْحَى الزَمَـانُ بِحَرْبِـهِ

(*) م ١٠٧، ظ ١١١.

(١) ينكر أن يكون للنجوم تأثير في حياة الإنسان. ويقرّر أن التنجيم وَهْم.

(٢) ((ولكن جهله غاية العلم)): يريد أن أقصى ما يمكن الإنسان معرفته من أمور الدّهر أنه لا يصل فيها إلى نتيجة وإلى معرفة.

(٣) فيهمُ: في الناس.

(٤) النهاب: جمع نَهْبٍ، والنهب الغنيمة. ويأتي بمعنى الغارة والسلْب، وبمعنى المنهوب. والظاهر أن في التركيب حذفًا، فكأنّه قال: إلاّ ما غنمت من غنائمه أو مما يُنهَب فيه ويؤخذ غِلابًا.

عَلَي وَلَكِنْ مَا جَنَحْتُ إِلَى السِّلْمِ[1]
وَمَا كُنْتُ يَوْمًا سَالِمًا مِنْ جِرَاحِهِ
وَلَكِن كُلَّمَا زَادَ عِنْدِي عَلَى كَلْمِ[2]

ستة أبيات

*[١٤٤]

وقال أيضًا في هذا المعنى [بسيط]:

مَضَى الصَبَا وَأُنَاسٌ فِي الصَبَا عُرِفُوا
أَسْتَوْدِعُ اللهَ أَطْرَابِي وَأَتْرَابِي
وَلَوْ عَقَلْتُ لَمَا عَنَّيْتُ بَعْدَهُمُ
نَفْسِي وَأَتْعَبْتُ آرَابِي بِآرَابِي[3]
وَكُنْتُ فِي جَانِبِ الغَبْرَاءِ مُعْتَزِلاً
عِزِّي قُنُوعِي وَحِصْنِي ظِلُّ مِحْرَابِي
لاَ أَطْلُبُ الرِزْقَ مِنْ سَيْفٍ وَلاَ قَلَمٍ
وَلاَ أُفَكِّرُ فِي رُومٍ وَأَعْرَابِ

---

(1) أنحى عليّ: أقبل عليّ وقصدني. جنح: مال.
(2) الكلْم: الجرح، من كَلَمَه. ثم أطلق المصدر على الجرح. يريد بعجز البيت: كلّما أصابني كلْم تبعه كلْم. فالدهر متكالب عليّ بجراحاته المتتابعة.
(*) ف. ك ٥٤، ق ٨٤، ظ ١١١، م ١٠٧، مط ١٦.
(3) ((وأتعبت)) يريد: ولما أتعبت. ((آرابي)) الأوّل جمع إرب وهو العضو الكامل الموفر، والثاني: الحاجات. يقول: لو كنت عاقلاً لما عنّيت نفسي بعد الصبا ولما أتعبت جسمي بمطالبي.

أَقُـولُ حَقّـ ـا وَلَكِنـ ـي أُخَالِفُـ ـهُ

وَلَوْ[1] عَقَلْتُ لَكَانَ الصمْتُ أَحْرَى بِـي

خمسة أبيات

(مُحَرَّمٌ) م: فلو.

[١٤٥]*

وكان الأمير(١) أبو سلامة محمود بن نصر بن صالح - رحمه الله(٢) - سار إلى (طرابلس) وصحبُته الأمير أبو الحسن عليّ بن المقلّد بن منقذ والقائد أبو الحسن بن أبي الثريا. ولم يَسِرْ هو في الصحبة، وكتب إلى الأمير أبي الحسن علي بن المقلد بن منقذ هذه القصيدة يداعبه بها[خفيف]:

قَدْ قَنِعْنَا مِنْ وَصْلِكُمْ بِالخَيَالِ
وَرَضِينَا مِنْ وَعْدِكُمْ بِالمِطَالِ

وَصَبَرْنَا عَلَى مَلاَلِكُمُ الزَّا
ئِدِ عَنْ(٣) كُلِّ مَذْهَبٍ فِي المَلاَلِ

وَرَأَيْنَا دِيَارَكُمْ فَرَأَيْنَا(٤)
كُلَّ رَسْمٍ بَالٍ بِجِسْمٍ بَالِ(٥)

دَارِسَاتٍ وَنَاحِلِينَ فَمَا يُفْـ

(*) ف. ك ٨٢، ق ١٢٨، ظ ١١٥، م ١٠٨، مط ٩٤.

(١) ظ: وقال يمدح الأمير أبا سلامة محمود بن نصر بن صالح، وكان سار إلى طرابلس ولم يسرْ معه، وأنفذها إليه، ويذكر الأمير أبا الحسن عليّ بن المقلّد بن منقذ والقائد أبا الحسن بن أبي الثرّيا.

(٢) قوله ((رحمه الله)) يفيد أن الناسخ كتب الديوان بعد وفاة الأمير محمود بن نصر (٤٦٧ هـ) بعهد قريب. وبين أيدينا نسخة القاهرة مؤرّخة في ربيع الأول عام ٤٨٨ هـ.

(٣) يريد: على، لأن الفعلَ ((زاد)) يُعَدى بعلى. وتضمين عن معنى على اضطراريّ.

والبيتان في النسيب، لا محالة، ومع ذلك يشيران من طرف خفيّ إلى موضوع القصيدة.

(٤) ظ: فعرفنا.

(٥) في بعض النسخ: بالي.

ـ ــرَقُ بَــيْنَ العُــشـاقِ وَالأطْــ ـلالِ
٥-أيهَا اللائِمُونَ كُفوا فَمَـ ـا أغْـ ـ
ـفَلَ مَـنْ نَـامَ عَـنْ طِـوَالِ[1] اللّيَـالِي!
خَبرُونَا عَنِ الكَـرَى وَاسْـمَعُوا مِنـ ـ
ـ ـا حَــدِيثَ الغَــرَامِ وَالبَلْبَــالِ[2]
مَـا لأيامِنَـا تَمُـرُ قِـصَـارًا[3]
بِلَيَــالٍ سُــودِ الدَيَاجِــي طِــوَالِ؟
أكَـذَا تَـصْنَـعُ الـصَبَابَـةُ أَمْ عَـا
دَ عَلَيْنَــا الــصَيَـامُ فِــي شَــوالِ؟[4]
أَمْ رَمَانَا بِبُعْدِهِ نَاصِـرُ المُلْـكِ[5] بِـ ـ
ـ ـبِيضِ الظَبَــا وَسُــمْرِ العَوَالِــي؟[6]
١٠- فَفِرَاقُ الكِرَامِ يَفْعَـلُ فِـي الأجْـ
ـ ـسَامِ مَـا يَفْعَلُــونَ بِالأمْــوَالِ[7]

---

(١) مط: طول، وهو خطأ مطبعيّ.

(٢) البلبال: شدّة الهمّ والوساوس؛ والبُرحاء. وأصل المعنى فيه التحريك والتفريق، من بلبل المتاعَ والرأيَ: فرّقه؛ وبلبل القومَ هيّجهم وحرّكهم. والمصدر منه البِلْبال بكسر الباء والاسم بفتحها.

(٣) مط: قصارى.

(٤) الظاهر أن القصيدة نظمت في شهر شوّال.

(٥) يقصد بناصر الملك محمود بن نصر.

(٦) ببيض الظّبا وسمر العوالي: فيها قلب، يريد: بظُبا البيض وعوالي السمر، أي بظبا السيوف وعوالي الرماح.

(٧) ق. مط: تفعلون. يريد أن فراقهم يضرّ به كما يضرّون هم بالأموال التي يجودون با.

حَفِظَ اللهُ مَعْشَرًا(1) ضَيَّعُوا العَهْـ
ـدَ وَحَالُوا فِي سَائِرِ(2) الأَحْوَالِ!
كَانَ شَمْلِي بِهِمْ جَمِيعًا وَلَكِنْ
فَرَّقَتْ بَيْنَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي
قِيلَ لِي: لِمْ بَعُدْتَ عَنْهُمْ وَهَلْ يَصْـ
ـلُحُ أَنْ تَتْرُكَ العَبِيدُ المَوَالِي؟
قُلْتُ: لا تَعْجَلُوا عَلَيَّ فَلَوْ سِرْ
ـتُ لَكَانَتْ نِهَايَةُ الإِخْتِلالِ(3)
١٥- أَيُّ شَيْءٍ إِلَيَّ(4) مِنْ أَمْرِهِمْ حَتْـ
ـى يَكُونَ ارْتِحَالُهُمْ بِارْتِحَالِي؟
أَتُرِيدُونَ أَنْ يَقُولَ لِيَ (البَتْـ
ـيّ) مَا قَالَهُ لِـ(نَجْمِ المَعَالِي)؟(5)

---

(1) ((حفظ الله معشرًا...)) يريد: غفر الله لمعشر... ! فالدعاء خارج عن دلالة اللفظ الأصليّة. والتعبير مقصود.

(2) سَائِرَ: من سَئِرَ الشيء: بقي. وقد يستعمل بمعنى الجميع، على التوهم، أو مجازًا، وهو الأليق بمعنى البيت. فكأنّه قال: وحالوا في جميع الأحوال.

(3) نهاية الإختلال: تحقيق الهمز لضرورة الوزن. وفي مط: الإخلال ولعلّها تصحيح.

(4) ضمّن ((إلى)) معنى اللام.

(5) لا ندري من يقصد بنجم المعالي. أمّا البّتّي فنسبة إلى البتّ وهو اسم لقريتين أشهرهما التي هي من أعمال بغداد، وإليها ينسب أبو الحسن أحمد بن عليّ البّتّي (م. ٤٠٥هـ). كان أديبا شاعرًا خطيبًا فصيحًا. اهتم في أوّل الأمر بالقرآن وبالحديث وبعلم الكلام على طريقة المعتزلة وبالفقه على مذهب الحنفية. ثم دخل في خدمة القادر بالله العباسيّ ونادم الوزراء وأعيان الدولة.

حَـاشَ للهِ! لَيْـس فَـسْتَكَـةُ الأتبـ ـ

ـبَـ ـاعِ مِـنْ شِـيمَتِي وَلاَ أَعْمَالِـ ـي(١)

رَأْسُ مَالِي تَرْكُ الفُضُـولِ وَمَـا أَتـ ـ

ـ ـرُكُ مِـنْ أَجْـلِ حُـبكُمْ رَأْسَ مَـالِي(٢)

وَمِنَ السخْـفِ وَالرقَاعَـ ـةِ تَطْفِيـ ـ

ـ ـلِي بِنَفْـسِي عَلَـيْهِمُ فِـي القِتَـ ـالِ(٣)

٢٠- وَمَسِيرِي أَذِب(٤) فِي ظَهْرِ عَجْفَـا

ءَ تَبَـ ـارَى(٥) أَعْـ ـضَاؤُهَا بِـ ـالهُزَالِ

ذكره كثير من العلماء. وترجم له ياقوت بإسهاب في إرشاد الأريب (٥/ ٢٥٤ - ٢٧٠)، ومما قال في الترجمة: ((كانت له نوادر مضحكة وجوابات سريعة لا يكاد يلحقه فيها أحد)). والظاهر من السياق أن الشاعر أطلق اسم البّتّيّ على أحد أصدقائه يداعبه به، وقد يكون أبا الحسن بن منقذ.

(٢) ظ: فستكة - بالسين -. ولم نجد اللفظين فيما رجعنا إليه من المعجمات، إلا أن يكونا من العامّية، استعمل الشاعر أحدهما عمدًا، أو يكون تحريفًا لفسكلة. والفسكلة مصدر فَسْكَلَ: تأخّر وتبع؛ وفسكله غيره: أخّره وجعله تابعًا، كالفُسكُل والفِسكِل (وفيه لغات كثيرة) والفُشكُل أيضًا على أصله الفارسي، وهو الذي يجيء في آخر الحلبة آخِرَ الخيل.

وعلى هذه الرواية، إن صحّت، يكون المعنى: ليس من طباعي أن أرضى لنفسي بالمرتبة الأخيرة.

(٣) سقط البيت من ظ.

(٤) ظ: تطفيلي عليهم يوم الوغى في القتال.

الرقاعة: الحمق وقلّة الحياء؛ من رَقُعَ: أخلق عقله فاحتاج إلى أن يُرْقَعَ (مجاز)، فهو رقيع وأَرْقَعُ ومَرْقَعَان.

(٥) مط. ق: أَذِب - بالدال المهملة - ذب يَذِب: جف؛ وذوى؛ وهزل؛ وشحب لونه. العجفاء: التي ذهب سمنها وهزلت.

(٦) ظ: تباري - بكسر الراء -. ووردت بلا شكل في باقي النسخ.

عَاطِلاً[1] مِنْ جَمِيعِ مَا يَـصْحَبُ النـا

سَ وَيَــا رُب عَاطِــلٍ وَهْــوَ حَــالِ!

لَيسَ غَيْــرُ المَقَــامِ أَسْتُــرُ بِالجُــدْ

رَانِ مَــا يَعْلَمُــونَ مِــنْ إِقْلاَلِــي[2]

وَلَعمري لَو أَنْصَفُونِي لَمَــا قَــصـ

ــرْتُ عَــنْ نَفْعِهِــمْ عَلَــى كُــل حَــالِ

قَدْ رَأَوْا يُمْنَ طَـائِرِي[3] حِـينَ أَقْبَلْـ

ــتُ عَلَــيْهِمْ بِالــسعْـدِ وَالإِقْبَــالِ

٢٥- كَانَ جَدي مِثْلَ اسْمِ جَديَ فَالاً[4]

تَرَكُــونِي بِرَسْــمِ زَجْــرِ الفَــالِ[5]

أَحْمَدُ اللهَ مَا كَسَادِي سِـوَى الرخْـ

ـصِ فَـإِن النفَـاقَ فِـي كُـل غَـالِ

يَا خَلِيلَي عَرضَا بِـي[6] فَمَـا أَعْـ

تباري: تتبارى، على التخفيف.

(1) ظ: عاطل من جميع ما يتبع.

(2) ظ: ليس إلاّ... ما تعلمون من سوء حالي.

(3) ظ: قد رأوني وطائري.

(4) م. ظ: فهلا.

(5) «كان جدي»: كان حظي. «مثل اسم جدي»: مثل اسم جدي (سنان). الرسم: الأمر؛ من رسم له كذا: أمره به فارتسم أي امتثل.

الفال: ضد الطيرة. وقد يستعمل اللفظ فيما يحسن وفيما يسوء، وهو الأولى بسياق البيت وبالرواية التي اعتمدناها. وقد يمحض للشرّ، ومنه قولهم: «لا فأل عليك»: أي لا ضَيْرَ ولا شر.

يريد أنم تطيّروا باسمه (ابن سنان) فلم يستصحبوه في سفرهم إلى طرابلس.

(6) «عرضا بي»: أذكراني من غير تصريح باسمي.

ـ ـلَمُ أنـــي خَطَـــرْتُ مِنْهُـــ ـمْ بِبِـــ ـالِ
وَأنْشُدَا دَارِسَ الرسُـــومِ كَمَـــ ـا يُنْـــ ـ
ـ ـشَدُ رَبْـــعٌ[1] مِـــنَ الرسُـــومِ الخَـــوَالِي[2]
ثُـــم قُـــولاَ عَنّـــ ـي لِمَـــ ـوْلاَيَ إنْ آ
نَـــسْتُمَا مِنْـــ ـهُ سَامِعًـــ ـا لِمَقَالِـــ ـــي:
٣٠-((يَا أجَل المُلُوكِ عَمـــ ـا وَخَـــ ـالاً
عِنْـــ ـدَ ذِكْـــ ـرِ الأعْمَـــ ـامِ وَالأخْـــ ـوَالِ
وَمُثِيرَ الحَـــرْبِ العَـــوَانِ مِـــنَ المَهْـــ ـ
ـ ـدِي[3] إلَـــى يَـــوْمِ وَقْعَـــةِ(الـــدجالِ)[4]
وَالذِي لَـــمْ يَـــزَلْ لِجُـــودِ يَدَيْـــ ـهِ
مُزْنَـــ ـةٌ تَـــسْتَهِل قَبْـــ ـلَ الـــ ـسؤَالِ
لَيْتَ شِـــعْرِي بِـــأي فَـــن[5] أُدَارِيـ ـ
ـكَ فَقَـــدْ قَـــل فِـــي رِضَـــاكَ احْتِيَـــالِي[6]

---

(1) ظ: ينشد، بالبناء للفاعل.

(2) دارس الرسوم: قصد به نفسه، من باب الكناية.

(3) (المهديّ) في النسبة - بالياء -، وقد ظهر في م أثر الشطب في الياء، فلم يبق منها سوى أثرها؛ وكأن الناسخ آثر ((المهد)) على المهديّ.
خفّف ياء (المهديّ) للوزن وقصد به الإمام (المهديّ) المنتظر الذي يخرج قبل نزول الساعة - في اعتقاد أهل السنة والشيعة - ((ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا))، ويقتل الأعور الدجّال الذي يدّعي أنه المسيح عليه السلام.
العَوَان من الحرب: التي قُبْلَها حربٌ كأنم جعلوا الأولى بِكْرًا.

(4) ق. مط: تنزل.

(5) أثبتنا رواية ظ. وفي سائر النسخ: بأي شيء.

(6) هنا تنتهي نسخة م.

لَيسَ يُغْنِـي جِـدي وَلاَ يَنفَـعُ الهَـزْ
لُ سِـ ـوَى أَنْ أُعَـ ـدَ فِـ ـي الجُهـ ـالِ

٣٥- ثَقلَ الناسُ فِي الطلاَبِ وَخَففْـ ـ
ـ ـتُ بِجُهْـدِي عَلَيْـكَ مِـنْ أَثْقَـالِي

وَأَرَانِي فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ إِلَـى خَلْـ ـ
ـ ـفٍ كَـأَني خَرَجْـتُ فِـي الحُبَـالِ[1]

مَـا لِمِخْلاَتِـيَ الـصغِيرَةِ لاَ تَـ ـدْ
خُـلُ مَعْكُـمْ فِـي جُمْلَـةِ الأَعْـدَالِ؟[2]

أَتَرَانِي أَرْضَى بِهَـذَا وَفِـ ـي الدنْـ ـ
ـ ـيَا ظُهُـورُ الفَـلاَ وَأَيْـدِي الجِمَـالِ؟

لاَ وَنُعْمَاكَ مَـا مُقَـامِي عَلَـى التقْـ ـ
ـ ـصِيرِ إلا مِـنَ الحَدِيـ ـثِ المُحَـ ـالِ

٤٠- اِقْتَحُوا دُونِـيَ الطرِيـ ـقَ وَرُدوا
ـلِي إِلَـى عَـسْقَلاَنَ (بَـدْرَ الجَمَالِـ ـي)[3]

(1) الحُبال جمع حابل، من حَبَلَ: نصب حبالته وحبائله؛ وحبل الصيدَ واحتبله: أخذه بالحِبالة أو نصبها له.

(2) هنا تنتهي نسخة ظ.

المخلاة: ما يجعل فيه الخَلَى أي الحشيش ما دام رطَبًا، ويعلّق في عنق الدابّة. ثم عمّت لكل علف. والأعدال جمع عِدْل: الغِرارة أي الجُوَالق، سمّي بذلك لأنه يُحمَل على جنب البعير ويُعدَل بآخر.

(3) ق. مط: بدل الجمال.

بدر الجمالي: قائد الجيوش المصرية ووزير الدولة الفاطميّة، من أصل أرمنيّ.

وَدَعُونِي أَصِــيحُ عِنْــدَ ابْــنِ حَمْــدَا

نَ[١] صِــيَاحًا يَــشُقُ حَلْــقَ الــسلاَلِي[٢]

مَا اتفَقْنَــا إلا عَلَــى صُــحْبَةِ الدهْــ ـ

ـــرِ وَلَكِنْ بَــدَا لَكُــمْ فَبَــدَا لِــي[٣]

كان مملوكًا للأمير جمال الدولة بن عمّار، فنُسِبَ إليه. وُلِد حوالي ٤٠٠ هـ وتوفي سنة ٤٨٧هـ. ولي دمشق مرّتين. وفي سنة ٤٥٩هـ - فيما ذكر ابن تغريبردي في النجوم الزاهرة (٥ / ٧٩) - بعث المستنصر إلى محمود بن نصر يُطالبه بحمل المال إليه وغزو الروم وصَرْفِ ابن خان ومن معه من الغُز، فاعتلّ محمود عليه. فكتب المستنصر إلى بدر الجماليّ أمير الجيوش المقيم بدمشق= =طالبًا منه تأديبه. وكان عطّية بن صالح، عمّ محمود، بالرحبة، فكتب إليه بدر الجماليّ يطمعه في استرجاع حلب، وضمن له إعانته بالجيوش المصرية. فسار عطّية إلى محمود وكان لبدر الجماليّ ابنٌ قتل بعسقلان سنة ٤٥٨ هـ)ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ٩٣).

والظاهر أن الشاعر يشير إلى هذه الأحداث وإلى غيرها ممّا جرى بين القبائل العربية وبين بدر الجماليّ بالشام وبفلسطين، ويهدّد مخاطبيه بنوع من الذّلّ وبالعدول عنهم إلى منافسيهم. أو يريد أن يبيّن لهم بأسه في الحرب، وأنه قادر على إجلاء بدر الجماليّ عن عسقلان إن رجع إليها.

(١) قصد به ناصر الدولة بن حمدان أبا عليّ الحسين بن الحسن (انظر ترجمته في مقدمة القصيدة الأولى من هذه الديوان).

(٢) مط: السلال.

(٣) هنا تنتهي النسخ ف، ق، ك.

((على صحبة الدهر)): أي على الصحبة مدّة حياتنا.

((بدا لكم فبدا لي)): بدا لكم رأيٌ آخر فِي، فبدا لي رأي آخر فيكم. وفي البيت ما يسمّيه البلاغيون ((التوجيه))، لأن الشاعر يشير إلى مسألة ((البداء)) المعروفة في علم الكلام وفي الأصول (راجع الكافي للكلينيّ: ١ / ١٤٦ - ١٤٩؛ والفرق بين

*[١٤٦]

وقال في المعنى [كامل]:

أمـا الزمـان فمـوجزٌ فـي وَعْظِـه
وَظَفِرْتُ بِالأَسْـبَابِ فِـي إِيجَـازِهِ[١]

لا تُخْـدَعَن فَمَـا حَقِيقَـةُ أَمْـرِهِ
عِنْـدَ النهَـى إلا كَمِثْـلِ مَجَـازِهِ[٢]

سَبَقَ اللئَـامُ بِـهِ الكِـرَامَ كَأَنمَـا
قِيدَتْ هَوَادِيـهِ إِلَـى أَعْجَـازِهِ[٣]

كَـمْ مَوْعِـدٍ مِنْـهُ تَعَلَّـقَ[٤] طَامِـعٌ
سَـفَهًا فَحَـالَ المَـوْتُ دونَ نِجَـازِهِ

مَنْ كَانَ مُقْتَنِعًـا فَقَـدْ وَجَـدَ الغِنَـى
فِـي (شَـامِهِ) وَ(عِرَاقِـهِ) وَ(حِجَـازِهِ)

خمسة أبيات

الفرق للبغداديّ: ص ٣٦؛ والملل والنحل للشهرستانيّ: ١ / ١٤٨ - ١٤٩؛ ومقالات الإسلاميين للأشعريّ: ١ / ١٠٩).

(*) ف. ك ٥٤، ق ٨٤، ظ ١١٠، مط ٥٦، وليست في م.

(١) ((وظفرت)): يريد وقد ظفرت. وهذا الحذف شائع.

((وظفرت بالأسباب في إيجازه)): أي وقد عرفت كيف يوجز فتعلّمت منه الإيجاز.

(٢) ((عند النهى)): إذا أعملت فكرك. والنهى: العقل.

(٣) الهوادي ج هادٍ، والهادي العنق؛ والمتقدم من كل شيء.والأعجاز ج عَجُز: مؤخّر الشيء.

يريد أن الدهر قلبت فيه الأوضاع، أخر فيه ما يَستحِقّ التقديمَ وقدم ما يستحقّ التأخير.

(٤) تعلق الشيء: علقه من نفسه.

تم شعر أبي محمد عبد الله بن محمد

ابن سنان الخفاجي

رحمه الله تعالى ، والحمد لله وحده ٠٩ ربيع الأول ٨٨[1]

---

(١) أثبتنا آخر ما جاء في نسخة القاهرة المحفوظة في دار الكتب المصرية حاليًا، وعلى غلافها عبارة الشراء: ((مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية، ومضافة في ٢٣ يونية سنة ١٨٨٢، نمرة ١٨٦٢١)).

وفي آخر نسخة كوبريلي ما نصه: ((قد فرغ من كتابته فقير عفو الله وكرمه عمر بن الشيخ أحمد الزيني غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، في سابع شهر شعبان المبارك لسنة [١٠٢٣هـ] ثلاث وعشرين وألف من الهجرة النبوية)). ويلي هذه العبارة خاتم رسمي نقش فيه: ((هذا ما وقفه أبو العباس أحمد ابن الوزير أبي عبد الله عرف بكوبريلي، أقال الله عثارهما ١٠٨٨هـ)).